سلسلة مصادر التوراة

(١)

التوراة
من كتبها ؟ وكيف ؟
وما موقف العلماء منها ؟

عبد المجيد همو

المقدمة:

بدأت أبحاثي عن التوراة وأضاليلها منذ عشرة أعوام وكنت كلما أمضيت التوغل فيها لاحظت أنها أبعد من أن تطل فيها حقيقة واحدة مما يبتغيه البشر، لمن كتبت هذه التوراة؟

أكتبت لمن يريدون تدمير البشرية؟ أم كتبت لسعادة البشرية؟

إن كانت التوراة كتاباً سماوياً أوحي به فهو لسعادة البشر، وإن كانت كتاباً من صنع أناس حاقدين فهي لبؤس البشر.

تابعت أبحاثي في التوراة فرأيت ما فيها محرف مزور وليست التوراة التي يؤمن بها الإنسان لسعادة الإنسان، إنها مجرد كتاب ضال لغير فائدة البشرية كيف لا وهو يأمر بالقتل والتدمير والإبادة والحرق، كتاب يأمر بالكذب ويبيح السرقة والغش والخداع وينهى عن فعل الخير والصلاح.

لقد بحثت كثيراً وكلما أمعنت وجدت نفسي أنني لم أف الكتاب حقه فهو بعيد كل البعد عن البشرية وفائدتها.

وتعجبت غاية العجب من العقول التي تدعي المعرفة أنها تسقط كل المعرفة وتقف مؤمنة مسلمة بكتاب ملؤه الخرافة والأساطير ورأيت من الناس أصنافاً يتشبثون ما أمكنهم لتصديق هذا الكتاب ودعمه بكل ما أوتوا من قوة.

لقد فندت دعاوى الكتاب في سلسلتي التوراة تحريف وتزوير بأقسامه الأربعة:

١. التاريخ.

الإهداء

إلى من يتمسك بالتوراة على أنها كتاب مقدس

إلى من يقول إن التوراة كلام الله

أقدم هذا الكتاب عله أن يرفع الغشاوة عن عينيه

فيبصر الحقيقة كل الحقيقة

عبد المجيد همو

كفر تخاريم

٢. الجغرافية.

٣. الدين.

٤. اللغة.

ولكني أفاجأ بعلماء آخرين يقفون بعناد وإصرار يدافعون عنَ هـذا الكتاب ويدعون أنهم متزهون علميون، من هؤلاء الأستاذ كمال صليبي في كتابه التوراة جاءت من جزيرة العرب.

وسأناقشه في كتابي هذا أيضاً بعلمية وهدوء بال عسى أن تنكشف الحقيقة ما أمكن داعياً الله أن يهديني الصواب وبه التوفيق.

الفصل الأول

التوراة ومتى ألفت

.كتاب التوراة عمن أخذ:

لا أعتقد أن كتاباً من الكتب قام حوله الجدل كما قــــام حـــول كتاب التوراة واختلف فيه الباحثون اختلافاً كبيراً، فالعلماء التقليديــــون من اليهود والنصارى بشكل عام قالوا بتوثيق هذا الكتاب.

أما العلماء الذين فكروا بعقل متحرر فقد قــالوا بعكـــس ذلـــك وأرجعوا التوراة إلى أصولها البابلية والفارســية والكنعانيـــة والمصريـــة، وسأورد أدلة هؤلاء العلماء سواء أكانوا من اليهود أو النصارى، ولعـــل أول من بين ونبه إلى تحريفه المسلمون الذين أرشدهم كتابهم الكــريم إلى ذلك وقد مرَّ هذا البحث التوراة تحريف وتزوير في سلسلة كتــــب لي: التاريخ، الجغرافية، الدين، اللغة، بالإضافة إلى جذور اليهود أمام النقـــد التاريخي.

وقد وقف العلماء المسلمون وأخص بالذكر العلماء الذين ناقشـــوا الملل والنحل سواء كانوا من علماء الكلام كالجاحظ في رسالته الرد على النصارى، أو الإمام أبو المعالي الجويني أو كانوا من أئمة المذاهب كـــابن حزم الأندلسي في كتابه الفصل في الملل والنحل، أو الشهرستاني في الملـــل والنحل.

أما في عصرنا الحديث فقد تصدى لهذه المهمة علماء مسلمون للرد على التوراة وجماعته، نذكر منهم رحمه الله بن خليل الهندي العثمـــاني في

كتابه إظهار الحق، والعالم المسلم الأفريقي أحمد ديدات في كتبه ومحاضراته.

أما علماء اليهود والنصارى المحدثون فقد قالوا بأنه ليس كتاب وحي ونذكر منهم فرويد اليهودي عالم النفس، وفولتير المفكر الفرنسي، وليوكاستيل واسبينوزا اليهودي وأخيراً المفكر الفرنسي الكبير روجيه غارودي في كتبه التي صدرت تباعاً، وقد لاقت ضجة كبيرة وحوكم من أجل بعضها وهو في بلد حر كما يزعم أصحابه.

وسنناقش موقف العلماء من هذا الكتاب في فقرة خاصة ولهذا سنبحث في هذه الفقرة وباختصار عمن أخذ هذا الكتاب؟ لأن البحث الموسع سيأتي في الباب الثاني مصادر التوراة.

يقول الدكتور فوزي محمد حميد في كتابه عالم الأديان: ((إن كتاب التوراة قد نشأ وتطور منطلقاً من أرضية ثقافية سورية وبابلية ومصرية وخاصة عندما حصل السبي البابلي الأول عام ٥٨٦ ق.م والذي قدَّم لليهود فرصة مناسبة للإطلاع على آداب بلاد الرافدين وديانتهم وأساطيرها وثقافتها وخاصة ملحمة التكوين والخلق البابلي))(١).

ويؤكد الباحث شفيق مقار في كتابه الجنس في التوراة أو في كتابه قراءة سياسية في التوراة على هذه الأصول التي استخدمها كتاب التوراة أساطير وقصص فيقول: ((في المبحث الأول قراءة سياسية للتوراة استظهر

---

(١). محمد حميد فوزي عالم الأديان ص٢٥.

الأحوال الفولكلورية والميثولوجية لحكايات التوراة عن خلق العالم والطوفان وهي أصول كلدانية أوغاريتية ومصرية اغترف منه المؤلفون الأول الذين ينسب إليهم الآن حسابات يدعى بالوثائق ومن بعدهم المحررون المؤلفون الذين أعطوا شكله الذي وصلنا له، اغترافاً بلا حساب، لا تورع فيه، ونسبوا كل ما اغترفوه لأنفسهم.

هو نوع من السطو الحضاري مارسه أولئك المحررون والمؤلفون بشكل لحوح في صوغهم للتاريخ وصنعتهم للمعبود وتجميعهم للكتاب وإرسائهم لأسس الديانة اليهودية.

ذلك النوع من السطو فريد في نوعه، حقيقة أن كل ثقافات الشعوب تأثرت ببعضها وأثرت في بعضها وتفاعلت فيما بينها في كل العصور إلا أن حالة مؤلفي الديانة اليهودية تظل حالة فريدة لا قرين لها ولا مثيل لها في أي عصر وأي حضارة.

ويتمثل ذلك التفرد من أن الأخذ كان وظل بغير عطاء، كان اغترافاً لملء وعاء ليس فيه إلا القليل الشحيح من الخرافات القديمة والذكريات القبلية القائمة، والكثير الوفير من الغرور العرقي والضراوة البدوية.

والظمأ إلى المدح والجوع الذي لا يعرف الشبع والذي يعنينا في كل ذلك كما قلنا ليس إجراء مقارنات، الذي يعنينا استظهار النمط واستقصاء التوجه والبحث عن الهدف من كل ذلك، هل هو عبادة الله

وتقوى وصلاح أم هو اشتهاء للسيادة؟ وعلى من؟ على الشعب وكفى أم على بعض شعوب العالم أم على كل شعوب العالم؟

وكما هو واضح لا تحتمل المسألة إلا موقفاً من اثنين:

١. إما أن يكون الهدف من كل ذلك السطو والتجميع والتأليف والتوفيق وإعادة الصياغة هدفاً دينياً بحتاً هو التوصل إلى الله ولو في طريق دائرية، وبهذا يكون السطو مما يمكن تقبله وتفهمه من حيث إنه مفض إلى ما ينبغي أن تتجه القلوب إليه، قلوب كل البشر وهو الوصول إلى الله وعبادته والسير في ظله.

٢. أو أن يكون الهدف شيئاً غير الوصول إلى الله وعبادته ولو من خلال كشوف الشعوب الأخرى من ذلك المجال الحيوي لكل البشر وإذا ذاك يكون الهدف من كل ذلك السطو مسوغاً بحق[1].

ويتعين إذا أردنا أن نجيب على سؤال شفيق مقار جواباً شافياً أن نتوقف عند هذا المقطع من الحكاية التالية: ((فقال الرب لموسى انظر إني قد جعلتك إلهاً لفرعون وهارون أخاك يكون نبيك)) خروج ١٧/١/ وهذا قد يقع في مسامعنا موقعاً مثيراً.

هل هذا الكلام يقوله الله لموسى النبي نبي الله؟

هل يقول مثل هذا الكلام دين موحد؟

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص٨٢.

فإذا ما كان موسى إله فرعون فمن يهوه؟ وما عمله؟ أهناك آلهة عديدة غير يهوه يؤمن بهم اليهود أحدهم موسى، وإذا ما وصل موسى وهو بشر إلى مستوى الألوهية واختاره يهوه لذلك فكيف غضب يهوه على آدم لأنه أكل من شجرة المعرفة وصار عارفاً كيهوه ـــ كواحد منهم ـــ وسيطمع إلى أن يكون الخلود له وهاهو ذا موسى قد اختاره يهوه ليصبح إلهاً مثله.

وقد وصفت التوراة موسى بأنه رجل الآلهة ليبلغ الشعب المتعدد الآلهة في زمانه رسالة يهوه.

إذن غرض كتبة التوراة ليس الوصول إلى الله ولا عبادته الواحد الأحد خالق السموات والأرض لا إله غيره، وإنما يهوه إله بين آلهة عديدة يعتبره اليهود أقوى الآلهة.

ومما لم يعد مهرب من مواجهة و لم يعد يجدي الإنكار في شأنه أن ذلك السبق والسمو اللذين ادّعيا لليهود طويلاً في مجال التقنين الأخلاقي والتشريع السماوي إن هو إلا استنساخ من ديانات أرضية ومن ثقافات البلدان المتحضرة المتقدمة ثقافياً وفكرياً في العالم القديم، ولا سبيل في ظل علم الأديان المقارن إلا أن نلاحظ موضوعياً أن هناك وجوداً قوياً لمؤثرات غير يهودية في وضع تلك الوصايا، فالأفكار الأساسية المكونة لعدة وصايا منها وجدت في تقنيات أخلاقية وتشريعات سابقة على اليهودية في الكتابات الدينية المقدسة للمصريين وكتابات البابليين والشعوب الآخرى ثقافياً التي عاشت في منطقة الهلال الخصيب.

ومن المصادر البابلية واضحة الآثر تقنين حمورابي[1].

إذن أخذ التوراة من مصادر عديدة منها البابلي والكنعاني والمصري والفارسي والهندي وسنناقش ذلك بشكل مفصل في الأجزاء الأخرى إن شاء الله.

تناقضات التوراة:

لو أردنا وضع التوراة أمام البحث العلمي لرأينا أنه يقع في مطبَات لا يمكن الخروج منها ومن دراسة النصوص التوراتية وخاصة سفر التكوين يتبين لنا وجود تناقضات واضحة فهي تارة مطابقة للواقع العلمي وتارة غير مقبولة علمياً.

هذا عدا التقديم والتأخير في المراحل التكوينية.

ومما لا شك فيه أن الظلمات كانت سائدة في الكون قبل أن تخلق الأرض ولا شك أنها سائدة في الأجواء التي لا ترتد فيها الأشعة، وهذا ما حدثتنا عنه الكشوف الفلكية الأخيرة.

أما المياه المذكورة في النص فهي صورة رمزية صرفة وتقول النظريات الفلكية السائدة اليوم بوجود كتلة غازية سديمية في المرحلة الأولى _ نظرية لابلاس في تأسيس الكون_ فهل الكتلة السديمية هذه قد أصابها البرد فتجمعت وأصبحت سائلاً؟

---

(١). ارجع إلى كتابي بابل ونصوص اليهود لترى ذلك واضحاً.

لقد خلق يهوه كما تقول التوراة النجوم والكواكب في اليوم الرابع فكيف يكون الليل والنهار قبل وجود حركة الأرض لتدور حول الشمس ويميز الليل والنهار؟

وهنالك تناقضات كثيرة وردت في التوراة أسوق إليكم بعض الأمثلة:

١. تناقض في الأسماء فحمو موسى اسمه مرة رعوئيل الاسم أيلي وتارة اسمه يثرون وهو اسم كنعاني لا مديني وقد غيروا الاسم طمساً لإيل الذي سمي به إسرائيل.

٢. تناقض في المكان: فشور نشطة متحركة وإن كان اسم مدينة، فمرة نراها في المنطقة الشمالية المتاخمة للمتوسط من شبه جزيرة سيناء برية شور ومرة أخرى شور بلدة قرب حدود مصر، تكوين ١٦/٧/ وتكوين ٢٥/١٨/ وصموئيل الأول ١٥/٧/ وظلت باستمرار أمام مصر وفي مقابل مصر في كل مكان إلا داخل مصر.

غير أننا نفاجأ في سفر الخروج وقد صارت داخل مصر وقامت بينها وبين صحراء واسعة ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر سوف وخرجوا إلى برية شور ولم يجدوا ماءً خروج ١٥/٢٥/ ويسجل يوسف بن ماتياس أن شور ببلزيوم وأن برية شور هي المنطقة الصحراوية المحيطة ببلزيوم.

٣.تناقض في الآلهة: فالسلسلة تبدأ بظهور إله قدَّم نفسه لبطل الحكاية بقوله أنا الله القدير وكأن الرجل لم يكن يعرفه و لم يكن قد رآه قبلاً مع الرغم من أن إبرام في سلسلة الحكايات الأولى كان مخالطاً للإله باستمرار متكلماً معه ومناقشاً إياه وقائماً له بشعائر دينية.

بحيث أنه لو كان نفس الشخص إبرام الذي يقول النص أنه كان قد بلغ سن التاسعة والتسعين هو إبراهيم لما كان هناك حاجة بالإله لأن يقدم نفسه له ويعرفه بشخصه.

فمن الواضح أن ذلك الحكي الجديد ألصق بالحكي المأخوذ من سلسلة إبرام تأكيداً لاتصال السيرة التي ألفت من سلسلتي الحكايات وتمهيداً لحلول إبراهيم محل إبرام، تكوين١٧/٥/.

٤.تناقض في الأشخاص: فد حل إسحاق محل إسماعيل كيف لا وإسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم وإسحاق هو الابن الثاني وقد ذكرت التوراة خذ ابنك البكر وحيدك، ثم ألصق إسحاق مما يدل على أن حادثة الذبح كانت لإسماعيل في الوقت الذي لم يكن إسحاق قد ولد بعد.

ويبدو أن المؤلف والمحرر قد فطن إلى تلك الحقيقة فمارس حريته المبدعة قائلاً في سريرته بسيطة وسارع إلى إتلاف النقص بأن زجَّ في الحكي بدليل يثبت أن ذلك الرب كان يهوه وذلك عن طريق القول بأن

الأب إبراهيم دعا الموضع الذي أوشك أن يقدم فيه ابنه إسحاق ضحية بشرية لذلك الرب باسم يهوه يراه.

٥.تناقضات في الحكايات راجع إلى تعدد الوثائق:

فإبراهيم سلّم زوجه سارة إلى فرعون مصر وقال إنها أختي وسلم مرة أخرى زوجه لإبيمالك وقال إنها أختي، وقال إسحاق عن زوجه إنها أخته لإبيمالك.

لكن ذلك لسوء الحظ تناقض تناقضاً صريحاً ومبرراً للتشكيك في أمانة الرواية والمسجل والمحرر في مصداقية الحكي كله مع موثوقيته والتأكيد من أن يهوه قال لموسى في أول لقاء لهما قرب خيام مدين أنه لم يعرفه إبراهيم وإسحاق ويعقوب باسم يهوه، خروج٦/٣/ وبإزاء هذين القولين أيهما نصدق؟

قول سفر التكوين أن أبراهام عرف يهوه باسمه ودعا الموقع الذي أوشك أن يمارس عنده عادة ذبح الابن تقدمة للإله باسم يهوه يراه، أم قول يهوه ذاته لموسى في سفر الخروج أن الآباء الثلاثة لم يعرفوه باسم يهوه؟(١)

والأدعى للحيرة أن يهوه نفسه في كلامه مع أرميا نفى نفياً قاطعاً أنه يمكن أن يأمر عباده بمثل هذه الأشياء البربرية التي من قبيل ذبح الأبكار وتقديمها، أرميا٧/٣١/.

---

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة ص١١٣.

فمن نصدق أرميا ويهوه أم قول سفر التكوين والإله الذي يقول ذلك السفر إنه قال لإبراهيم خذ ابنك وحيدك، تكوين٢٢/٢/ وقد لا نختلف على أن الأمر هنا واحد من اثنين.

١.إن أحد القولين كاذب.

٢.إن هذا الكلام معلق بإله وذاك معلق بإله آخر، وذلك عند حسن الظن.

أما في أسوئه فإن كلا القولين تأليف واختلاق لم يتناوله بالتنسيق والمواءمة محرر يقظ يلتقط مثل هذه التناقضات ويبقي النصوص منها صوناً لموثوقيتها وقابليتها للتصديق.

٦.تناقضات في الحيوانات:

هناك تناقضات في الحيوانات الطاهرة والحيوانات النجسة وهناك تناقض في عدد الحيوانات التي ركبت مع نوح في السفينة وقد يعزوها بعضهم إلى تناقض في الوثائق.

٧.تناقضات في تفسير الحوادث:

لقد عبد بنو إسرائيل إيل الإله الكنعاني في بداية الأمر ولما أحل اليهود يهوه محل إيل رأوا في صراع يعقوب مع إيل (القصة المختلقة لتغيير اسم إسرائيل) حادثة تافهة ولا تليق بيهوه فحاروا في تفسيرها وبدا أن مسألة المصارعة لم تعد لائقة فدار المفسرون والمعتذرون والشراح باحثين عن مخرج من هذا المأزق بالقول: إن يعقوب لم يصارع الله (إذ تحول إيل

إلى يهوه وأصبح يهوه الله) بل صارع نفسه الشريرة وغلبها، أو صـــارع شيطاناً من شياطين الماء، لا بل صارع ملاكاً.

وحتى المتنبئ هوشع لم يكفه أن يهوه أمره بأن يذهب فيحب امرأة بغياً فتعين عليه أن يجد مخرجاً للديانة من حكاية مصارعة يعقوب لله حتى أوشك أن يغلبه و لم يجد الرجل ما يعتذر به إلا قوله: إن يعقوباً بقوتــــه جاهد مع الله جاهد مع الملاك وغلب، هوشع١٢/٣-٤/.

٨.تناقضات أظهرتها الكشوف الآثارية:

باتت ترغم كثيراً من المحررين والمعتذرين يهوداً وأممين على التراجع واختلاق ما يمكن أن يبقي على شيء مـــن قداســـة تلـــك المبالغـــات والتناقضات التي ربما أزيلت أو نعمت بالزئبقية المعـــهودة في الطبعـــات المنقحة التي جرى إصدارها تباعاً بنشاط بالغ.

من هذه التناقضات استحالة تحديد تواريخ لحوادث التوراة دقيقـــة تتيح لنا أن نرتب الأمور ترتيباً سليماً ومنها العمر الذي نسبوا إلى إبراهيم ٧٥سنة غادر حران ثمانين سنة أنجب إسحاق مائة سنة بعد أن ذهب مـع زوجه الحسناء سارة إلى مصر.

وقد أشار الباحث شفيق مقار إلى ذلك بقوله: ((يجب أن نحاذر في تعاملنا مع الحكي التوراتي من التوري والفخاخ الكثيرة المبثوثة في طريـق العقل من خلال الادعاء بأن ذلك الحكي يؤرخ أحداث مراحل تطـــور الشعب ذي أصول ضاربة في القدم واستمرارية عرقية وثقافية.

تلك الفخاخ الكثيرة منشأ الصعوبة التي أشرنا إليها في الباب بشأن استظهار مراحل العبادة لدى البدو الرحل الذين دعتهم التوراة بالآراميين التائهين ثم صرفت نظراً عن الآراميين فدعتهم بالعبرانيين ثم صرفت نظراً عن العبرانيين بعد استخدام لم يطل لأكثر من تسع عشرة مرة فدعتهم بني إسرائيل وأخيراً أدمجت تلك التسميات فدعوا باليهود.

ويعدد الفخاخ المنصوبة فيراها كما يلي:

١.نوح فلاح وارتد أبناؤه إلى رعاة والفلاح لا يرتد إلى الرعي بل الرعاة يستقرون ويصبحون فلاحين.

٢.الآباء كانوا رعاة والرعاة لا يكونون تراثاً أسطورياً.

٣.من المحتمل وجود هؤلاء الآباء لكن من غير المعقول أن يكونوا آباء لشعب غير موجود لا في زمانهم ولا بعد زمانهم بقرون، هذا الشعب إن هو إلا اختلاق أسطوري لجأ إليه مؤلفو سفر التكوين.

٤.إن هربهم من الجوع كما تذكر التوراة أمر يتناقض تماماً مع الصور المنقوشة على جدران المعابد المصرية لمحاولات التسرب وطرد الحرس لهم وبناء المصريين لحائط على الحدود لسد الطريق في وجوههم.

٥.الرعي والرحيل يناقض الأصول التي أوردتها التوراة عن أور والحضارة المكتشفة فيها.

٦. كذب في اقتناء الجمل في التوراة و لم يكن هؤلاء الجماعات عرفوا الجمال بعد.

٧. تناقض في التوراة حول استقرار إسحاق في الزراعة وبين البداوة والرحيل مع ابنه يعقوب والأجيال التي تلته.

بفضل تلك الوفرة الوافرة من المتناقضات، وما التزمه دائماً من تسليمٍ ورع كأنها من حق المؤلفين وليست مما يؤخذ على المحررين لأنها ناجمة عن قصد إلهي يعلو على أفهام البشر، والتناقضات أكثر من أن تحصى وأكبر من أن تعد.

٣. ما المقصود من التوراة؟

التوراة كلمة آرامية تعني الهداية والإرشاد، وفي عرف المسلمين إنها ليست أول كتاب سماوي أنزل على الرسل فقد كان قبل التوراة صحف أنزلت بدءاً من آدم وانتهاء بإبراهيم وقد أكد القرآن الكريم ذلك فقال: ﴿**إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى**﴾ سورة العلق.

واعتبر القرآن الكريم مرة التوراة صحفاً وسماها صحف موسى وقال مرة ثانية إنها كتاب أي صحف مجموعة إلى بعضها بعضاً وهذا يعني أن الصحف التي أنزلت على آدم وحتى إبراهيم لم تجمع ولا سيما كتاباً دائماً أول كتاب جمع كان التوراة وعلى هذا الأساس قبل المسلمون في التوراة إنه أول كتاب سماوي منزل.

ونحن نسمي الآن التوراة الكتب الخمسة التي جمعت ونسبت إلى موسى وهي:

١. سفر التكوين.
٢. سفر الخروج.
٣. سفر العدد.
٤. سفر اللاويين.
٥. سفر التثنية، وتسمى هذه الكتب أحياناً الكتب الخمسة، فإذا ما أضفت سفر يشوع صار عدد الأسفار ستة.

هذه الكتب الخمسة هي التي لا تختلف فيها فرق اليهود ولا النصارى، فالسامريون لا يعترفون إلا بها أما الكتب التي تليها فهي:

١. كتب تاريخية وتضم القضاة يشوع وصموئيل والملوك وأخبار الأيام.
٢. كتب قصصية طوبيت يهوديت راعوث استير.
٣. كتب أنبياء أيوب يونان والأنبياء المتأخرون.
٤. كتب حكمة الأمثال والحكمة.
٥. كتب شعرية المزامير ونشيد الإنشاد.

وتختلف هذه الكتب بين اليهود والنصارى في عددها وكيفيتها ولن أبحث فيها الآن، ومدار بحثنا على الغالب الكتب الخمسة وقد نضيف بعض الكتب الأخرى كالاستشهاد، ويقال بوجود توراتين التوراة المكتوبة وهي التي تحدثنا عنها تلقاها موسى عند جبل سيناء كما يدعون، والثانية شفهية تناقلها الحاخامون عن موسى ولها نفس قدسية

التوراة عندهم، ولا يعترف بها السامريون وفرق النصارى، وتسمى التوراة الثانية التلمود، والتلمود يتألف من النص المشنى والشرح الجمارا.

وهناك تلمودان البابلي والأورشليمي ولسنا بصدده الآن وقد نأخذ منه بعض الشواهد لأنه مكمل للتوراة في الديانة اليهودية ولن نتحدث في الخلاف بين التلمودين فهذا ليس مجالنا.

هذا الكتاب الذي يدعى التوراة حار فيه العلماء كثيراً واختلفوا فيه فمن قائل إنه كتاب موحى إلى موسى ليس فيه إلا ما قاله الله لموسى وسمي بالعهد القديم.

وأناس يرون أنه لا يمت إلى ما قاله موسى ولا سمع به فهو كتاب كتبه الحاخامات والكهنة شأنه شأن التلمود وفي هذا الكتاب من الترهات والأباطيل والتناقض الشيء الكثير أوردنا بعض الأمثلة على ذلك.

والخلاف بين اليهود أنفسهم كبير حول عقائد التوراة وإلى هذا أشار الباحث فوزي محمد حميد فقال: ((لم يتفق أحد من علماء اليهود على أية عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية باسم القانون الشفهي، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو نبيه يضع مذكرة عما سمعه من سلفه وموجهه، وهكذا آلف كل فرد من العلماء كتاباً ليستفاد منه حسب درجة لقاءاته))[1].

---

(١). محمد حميد فوزي عالم الأديان ص٣٦٤.

ولم يعترف بالتلمود فرق من اليهود نذكر منهم القرائين كما أن الديانة النصرانية لم تعترف به ولم يذكره القرآن الكريم ولم يشر إليه لا من قريب ولا من بعيد.

وهنالك أسفار كثيرة سقطت ذكرها التوراة ولا نعرف إلا اسمها منها سفر ياشر وسفر عدو النبي وسفر ياشر هذا خلق في الحقيقة مشكلة للدارسين والمعتذرين والمدافعين والمحررين فعلقوا رءوسهم الورعة بالبحث عنه والتكهن فيما يخصه، وقال بعضهم في النهاية: إنه ديوان شعر جميل من قبيل أشعار الحماسة عند العرب استناداً إلى أنه ذكر في العهد القديم مرة ثانية في سفر صموئيل الثاني ورثا داود بهذه المرثاة شاول ويوناثان ابنه وقال أن يتعلم بنو يهوذا نشيد القوس هو ذا ذلك مكتوب في سفر ياشر ١/١٧-١٨/.

وقال آخرون إنه سفر تضمن النخاع الديني للعهد القديم وأنه وضع في عهد سليمان إما بيده أو بتوجيه منه.

وإن كان القول الثاني هو الأصح فمن المقبول عقلاً أن تكون حكاية يشوع وإيقاف الأرض وتعطيل قوانين الطبيعة بالسحر قد وردت في ذلك السفر الضائع لأن علاقة سليمان الحكيم بالسحر قوية لا سبيل إلى إغفالها[1].

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص٤٧٧.

وكثير من الأسفار ما سقطت وضاعت وبعض الأسفار اعترفت بها بعض الفرق دون أخرى وهنالك بعض الأسفار فيها زيادات عند بعض الفرق ونقص عند الفرق الأخرى.

ويبقى هذا الكتاب الذي يؤمن به مئات الملايين من يهود ونصارى كتاباً محيراً لا يمكن أن يكون من كلام الله ولا يمت إليه بصلة، وما نزل على موسى ضاع منذ أيام ما قبل طالوت (شاول) ارجع إلى كتابي جذور اليهود، فكتاب موسى لم يعش عصراً طويلاً ونسخته الوحيدة اتلفت حينما كسر بنو إسرائيل في أيام القاضي عالي وخسر بنو إسرائيل التابوت وفيه التوراة.

ولم يمض وقت قصير حتى استلم داود زمام الأمور فأنزل الله كتاب الزبور لكن سرعان ما حرف وبدل وعاش بنو إسرائيل حتى زمن الأسر دون كتاب على ذكرى ما يسمى بالتوراة والزبور.

٤.متى ألف هذا الكتاب ؟ ومن ألفه؟

هذان السؤالان من الصعب الإجابة عليهما ويحتاجان لبحث دقيق ونحن في هذه الفقرة نحاول الإجابة ما أمكن ذلك.

ولنسر حسب أراء العلماء الباحثين في ذلك:

قال يوليوس فلهاوزن: إن تأليف هذه الأسفار تم بعد موسى بعدة قرون وحتى الذين قالوا إن الأسفار الخمسة تنسب إلى موسى اقتنعوا بأنها كانت من مصادر مختلفة:

- المصدر اليهوي نسبة إلى يهوه ويقولون ألف عام ٨٥٠ق.م.
- المصدر الإيلوهيمي نسبة إلى إيل وألف في ٧٧٠ق.م وقد أدمج المصدران في ٦٥٠ق.م.
- مصدر التثنية أعلن عن العثور عليه في٦٣٠ق.م.
- المصدر الكهنوتي صدر عن كهنة معبد القدس ويرجع إلى زمن عزرا ٤٤٤ق.م وهو أكبر معلم يهودي[1].

وقبل أن نمضي في بحثنا أحب أن أبدي بعض الملاحظات:

١.لا يمكن أن يكون هذا الكلام صحيحا لأننا سنرى أن يهوه لم يظهر إلا في كتابات متأخرة فقد أخذوا يهوه عن الفرس ولهذا فالمصدر اليهوي سيأتي متأخرا إلى زمن السبي هو والمصدر الكهنوتي.

---

(١). محمد حميد فوزي عالم الأديان ص٣٦٢.

٢. إن سفر الأعداد ألف في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وهو سفر فيه لعب الكهنوتي دوراً كبيراً ورغم ذلك ساهم فيه التقليد اليهوي مساهمة لا بأس بها.

والذي لا يغيب عن ذهن أيٍّ دارس للتوراة وسائر أسفار العهد القديم أن ذلك الخليط من التجميع الأسطوري والتأليف الأدبي الذي وصلنا تحت هذه المسميات كنتاج لعملية استمرت قروناً عديدة من الاستنساخ والتأليف والتلفيق والمراجعة والتحوير والتحرير والحذف والإضافة، وإعادة الصياغة أشرع بقدر يمكن أن يصبح محبطاً للعقل من حيل الإرباك والإتاهة والتلغيز والتمويه والتعمية.

فالمادة التي تألفت منها أسفار التوراة الخمسة وأسفار يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول والثاني بكل ما جمع فيها وعولج المرة تلو المرة ثم أساطير وحكايات فولكلورية استعيرت من ثقافات شعوب الشرق الأدنى القديم وتشريعات إلهية استنسخت من الديانة المصرية ومن شريعة حمورابي لم تتخذ شكلها الحالي الذي وصلتنا به إلا في آخر القرن الخامس قبل الميلاد بعد أن عملت فيها نشاط أقلام عدة محررين أشهرهم الكاتب عزرا.

وفي تقييم تلك المادة نجد أنه لا يكاد يكون هناك من بات في وسعه أن يدعي أية قيمة تاريخية للحكي عن خلق العالم في سفر التكوين وما أشبه ذلك من حكايات، وفيما يخص إبراهيم وإسحاق ويعقوب

مازال هناك من المؤمنين المتصفين بالتصميم من يجد بمكنته الدفاع عن حقيقتهم التاريخية والجوهرية.

إلا أن هناك من الأدلة ما هو أقوى على أن حكي التوراة عن أولئك الآباء إن هو إلا مجموعة من الحكايات الدينية الأسطورية عن شخصيات دينية فلسطينية اتخذها بنو إسرائيل بعد غزو فلسطين أسلافاً لهم، وفي حبك القصة كان لابد من أن يساق أبناء يعقوب بفعل الجوع إلى مصر حتى يمكن الادعاء بأن من خرجوا من مصر وغزوا فلسطين بعد/٤٧٠/سنة كانوا سلالة يعقوب.

وذلك على الرغم من أن يعقوب وأبناءه لم يكد يستقر بهم المقام في مصر حتى فقد العهد القديم كل اتصال بهم أو علم بإقامتهم، ويشير بوضوح إلى أنه لا وجود لتقليد متصل يربط ما بين زمن الآباء المدعى حوالي/١٧٠٠/ق.م وبين الخروج الذي يتعين تبعاً للتسلسل الزمني للتاريخ التوراتي أن يوضع تاريخه في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، وسائر التفاصيل بعد ذلك خرافة، فالعهد القديم الذي قطع في سيناء اخترع اختراعاً على ادعاء أصول موسوية لطقوس وشعائر كنعانية، والعهد يعني التزام بإطاعة القانون المقول بأنه شريعة يهوه رغم أن معبوداً صحراوياً كيهوه يستبعد أن يكون مشرعاً[1].

ولنضرب مثالاً لما أورده شفيق مقار لو رجعنا إلى تكوين١٦/٦-١٤/ نلاحظ أن النص عولج وأن معالجته ارتبكت في

---

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة والعهد القديم ص٣٤.

الأخذ من نصين مختلفين ومن إقحام مسميات مسموح بها مكان المسميات التي رفعت، فالنص يقول إن الذي تكلم معها ملاك الرب ثم يقول إنه إله وأنها رأته رأي العين وأن البئر دعيت لذلك بئر لحي رئي.

والكومة العشوائية من الحكايات كما وصفها سبينوزا وصلت أيدي المحررين في زمن لاحق لما تدعي أنها تحكي عنه من أحداث وشخوص وأماكن بقرون كثيرة كان من أسهل الأشياء على أقلام المحررين وقبلهم على ألسنة الرواة والمنشدين الجوالين أن تفعل فعلها في توضيب وتنسيق تلك الكومة العشوائية من الحكايات والإضافة إليها والحذف منها تشذيباً لها وتنقية.

ويقول فرويد في هذا الصدد: أن حيل الإخفاء وعملية الطمس التي لجأ إليها الكهنة في عصر السبي أثناء صوغهم لكتاب الديانة في الصورة التي وصلنا بها لم تكن بارعة كل البراعة أو محكمة غاية الإحكام، فتلك الحيل ظلت في مواضع كثيرة من النصوص المعالجة كاشفة عما أدخل على النصوص من التغيير والتعديل مفصحة عن عمليات المراجعة التي زيفت النصوص عملاً على جعلها متفقة، والمرامي الخفية لمن قاموا بمراجعتها فحرفوها وشوهوها وزيدوها وانقصوا منها بل وقلبوها على عكسها[1].

ونحن نرى واضحاً في سفر الخروج أن المحرر شعر بوطأة تلك الهوة السحيقة فحاول أن يردمها ببضعة أسطر تحدث فيها عن أسماء بني

(١). مقار شفيق المصدر السابق ص٣٥.

إسرائيل الذين جاءوا إلى مصر والذين خرجوا منها غير أنه تظـل تلـك الهوة السحيقة أربعمائة سنة بين موت يوسف وجميع ذلك الجيل وبين من بوغت بهم (ملك مصر) وذعر فصاح قائلا هو ذا بنو إسـرائيل شـعب أكثر منا وأعظم، فتمت تلك الهوة من الصمت المطبق الذي حاول المحرر أن يبدده ببضعة أسطر متضاربة ومتناقضة بينها يبدد ذلك الشعب الأكثر والأعظم لقيطا روائيا أي بلا آباء على الرغم من التصميم الذي لا يجيـد على تزويره روائيا بنسب ضارب القدم يعود إلى منشأ العالم ذاته ابتـداءا من آدم ومرورا بنوح وإبراهيم.

ويقول الباحث شفيق مقار ليست المسألة كما نرى مسألة حقيقيـة أو تاريخ بل مسألة صياغة حربائية لا تكف عن تغيير جلدهـا ولونها ومحتواها بصرف النظر عن آية حقيقة أو تاريخ اعتبارا.

لأن البرهنة تأخذ أولوية تعلو هنا على أي اعتبار حتى اعتبار صون عفة النصوص التوراتية والإبقاء على مصداقيتها(١).

وفي عملية التنظيف والترميم هذه انتهج الكهنة:

١. نهج مسح تلك المثالب القديمة الكاشفة التي من قبيـل ذبـح الأطفال ليلتهم يهوه هذا المعبود أو تلك أو ذاك من معبـودات الكنعانيين أو المصريين أو البابليين.

٢. نهج نفي القديمات بكنسها تحت سجادة تاريخ الديانة والتـبرؤ منها خاصة وإن كان ذلك عن طريق تكذيب موسى والأمثلـة

---

(١). مقار شفيق المصدر السابق ص١١٩.

على ذلك كثيرة بعضها ملتو وبعضها صريح ومن أصرحها ما أجراه حزقيال على لسان يهوه ((مالكم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل قائلين الآباء أكلوا الحصرم وأسنان الأبناء ضرست؟

ها هو ذا أنا يقول يهوه لا يكون لكم أن تضربوا هذا المثل بعد في إسرائيل ها كل النفوس لي نفس الأب كنفس الابن كلاهما لي والنفس التي تخطئ هي التي تموت)) حزقيال ١٨/٢-٥ و٩/ ١٩/٢١-٢٥/ حقيقة لم؟

والجواب الوحيد على هذا التساؤل الصفيق طبعا هو: لأن موسى أكد أنك قلت ذلك فموسى أجرى على لسان يهوه في سفر الخروج قوله أنا يهوه إلهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع خروج ٢٠/٥/.

ثم عاد فأكد ذلك في سفر العدد إذ وصف يهوه بأنه لا يبرئ بل يجعل ذنب الآباء في الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع ١٤/١٨/.

ويحار القارئ أي النبيين يصدق وأيهما يكذب.

إذن فقدت التوراة وما قاله موسى و لم يكن يهوه الإله الذي كلم موسى ولا سمع به إنما هو الإله إيل الذي عرفه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان.

أما يهوه ذلك الطارئ الغريب والذي نقلوه تحريفا عن آلهة الفرس كما تبين لنا هذا العمل لم يكن إلا ضربا من الاختلاق الروائي و لم يكن

من المتعذر تنظيف صورة المعبود الذي خلق اصطناعياً مما سرق له من عشرات الآلهة والإلهات من مصر وكنعان وأرض الرافدين.

يتضارب بعضها مع بعض كالذي أجراه أرميا على لسان يهوه بغير حرج أو بعذر من الصفاقة كما نجدها عند حزقيال ـ الاعتراف بالقديمات التي من قبيل ذبح الأبكار ضحايا على مذبح يهوه يقول: وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها ونجستهم بعطاياهم إذ جعلتهم يجيزون في النار كل فاتح رحم (كل بكر من ذكورهم) لأبيدهم حتى يعلموا أني أنا الرب، حزقيال ٢٠/٢٥-٢٦/ فحزقيال يبدو هنا يائساً قد جعل يهوه يعترف بأنه هو الذي أملى على الشعب فريضة تقديم بكورهم إليه محرقات على مذبحه بعد جز رقابهم، ولكن فقط كيما يلقنهم درساً حتى يعلموا أنه هو الرب.

ففي سفر التثنية ١٢/٢٩-٣٢/ يبرز كاتب السفر النقاط التالية:

١. تباعد يهوه عن انحطاط عبادات كنعان.

٢. تبرئة يهوه من اغتصاب أساطير آلهة كنعان لنفسه.

٣. تبرئة الديانة اليهودية كلها بعد قرون من ممارسة تقديم أبكار الشعب الرضع المختتنين ضحايا بشرية ليهوه على مذبحه.

في ذلك النص الذي قيل إنه ألف في زمن الملك يوشيا ورفع في زمن السبي وأقحم إقحاماً على الأسفار الأولى في العهد القديم باعتباره أنه من تأليف موسى وفي هذا يقول شفيق مقار: ((إلا أن سفر التثنية في زمن يوشيا كان يعلم جيداً أن الترتيب الوارد في أسفار الخروج

واللاويين والعدد لم يتحقق و لم يف يهوه بوعده و لم يقرض أصحاب الأرض، وهذا ما فسره سفر القضاة معتذراً بقوله: إن الإبادة لم تتحقق لأن السكان الأصليين كان لديهم مركبات حديد، ويبدو أن فتوة يهوه الحربية تخاذلت أمامها))[1].

ولكني أرى أن سفر التثنية لم يعرف يوشيا ولا ألف في عهده بل ألف في عهد السبي وما بعده.

إذن قام تأليف ما يسمى بالأسفار الخمسة أو التوراة في عهد السبي وقد قام المتمسكون بحركة يهوه بعد أن ألفت في زمن القيادة الفارسية ممن كانوا قيادة لبني إسرائيل الذين تعودوا عبادات كنعان وبلاد الرافدين، و لم يعودوا يعرفون عن موسى شيئاً إلا اسمه وبقايا من ظلاله وبخاصة الكاهن عزرا والخصي ساقي ملوك الفرس وخاصة أرتحشستا الكاهن نحميا بتأليف الأسفار ونسبوها إلى موسى ناقلين هذه الأسفار مما كدس أمامهم من معارف في بابل ومعارف كنعان ومصر التي كانت موجودة في خزائن بابل ومكتباتها، فجروا بني إسرائيل إلى هذه الديانة الجديدة وسموها اليهودية نسبة إلى يهودا أحد الأجداد المزعومين.

ويعتبر عزرا بحق مؤلف اليهودية دون منازع ولهذا قال القرآن الكريم (وقالت اليهود عزير ابن الله) لأنه مؤلف الديانة اليهودية وواضع قواعدها وأصولها عاونه على ذلك بعض من ادعوا النبوة فأكملوا ولما لم يكن لهؤلاء من هدف إلا تخليص من آمنوا بدعوته من الأسر فاعتبروا

(١). مقار شفيق المصدر السابق ص٣١٣.

أهم كبني إسرائيل حينما كانوا في مصر، وعزرا ليس إلا موسى المخلص لهم من هذا السبي، وكان الاتفاق المزعوم بين الفرس وقادة اليهود على احتلال فلسطين بقوة السلاح والسكنى فيها، وقد اعترفت التوراة بمقاومة السكان المحليين لهم مقاومة ضارية ولو كانوا فيها في الأصل وهجروها لمدة سبعين سنة كما يدعون لما كانت هذه المقاومة الضارية كما يحث في وقتنا الحالي.

ونلاحظ أن كتبة التوراة الجديدة اعتبروا كثيراً من الملوك والكهنة السابقين والشعب والأنبياء مرقة وخونة، كانوا كلهم مظلومين في الواقع فأتباع الديانة اليهودية هذه الديانة الجديدة تختلف تمام الخلاف عن دعوة موسى إذ أن دعوة موسى موحدة بينما اليهودية كانت ديانة تجميعية من كل قطر أغنية ومن كل ديانة رأي ومن كل إله صفة وصار يهوه الإله الذي خلقوه وجعلوه إلهاً محل إيل ومردوخ وآتون وبعل، وأهورامزدا، بل محل الآلهة مجتمعين معاً مع فارق بسيط أن هذه الآلهة كانت عالمية لكل الناس أما يهوه فقد كان إلهاً خاصاً قومياً قبلياً منغلقاً حاقداً على من لم يؤمن به يريد تدمير البشرية لأنهم كذلك يودون تدمير البشرية.

وفي عملية إعادة صياغة الديانة وجرها في هذا المترلق استفاد الجميع من اكتشاف بالغ الأهمية الذي تمثل في صيحة أشعيا والتثنية حقاً إنك لإله محتجب يايهوه.

جعل هذا الإله محتجب بعد أن حرصت الكتب السابقة أن الذين رأوه كثرة، إبراهيم ويعقوب وموسى وهاجر وإسحاق، وحتى صموئيل وشاول، عاد من جديد ليصبح محتجبا.

تمت كتابة ما يسمى بالتوراة وخضعت إلى عدة عمليات على مدى الدهور بعد كتابتها، من هذه العمليات:

١.طريق المراجعة الجذرية والتحرير والحذف والإضافة والشطب والقص واللصق إبان العملية التي قام بها عزرا.

٢.طريق الترجمة إلى اللغات الحية المعاصرة، لا يقف في وجه تقواها عائق من أمانة أو حقيقة عبر أكثر من خمسين عملية ترجمة أنجزت حتى الآن.

٣.ظل الكم الهائل من نصوص الديانة مستعصيا على تكل التنقية الرقابية التي لم تكن تتحقق بشكل كامل إلا بإعادة تأليف النصوص من أول حرف إلى آخر حرف من كلام يعتقد أنه وحي الله لا يبدل ولا يحرف ولا يغير.

إذن قام عزرا ومن عاونه على تحرير التوراة والأسفار التي تكاملت حتى زمانهم مما سبق تأليفه من وثائق وما ظل يتناقل من جيل إلى جيل منذ عهد موسى من ذكريات مضافا إليها تشويش من خيالات محمومة وآراء متأثرة بعبادات أقوام لا علاقة لهم بموسى ولا علاقة له بهم، واجتهد عزرا ومن معه بتصوير المسألة من ذيلها مقلوبة كما فعلوا في مواضع كثيرة من تحريرهم ومن خلال توضيبهم للنصوص وتلوينها

باستخدام طريق القص واللصق والحذف والإضافة عملاً على تصوير تاريخ الشعب كتاريخ ضارب في القدم بادئ بالآباء ومتصل عوداً إلى الوراء من خلال سام بن نوح ومن خلاله إلى الأب الأول آدم.

وقد فعل المحرر ومعاونوه ذلك في عهد السبي بتأليف وثيقة أخرى غير الوثيقة اليهودية والإيلوهيمية وتأليف سفر خامس هو سفر التثنية وعزوه إلى موسى.

وبتأليف الوثيقة الكهنوتية والوثيقة التثنوية وتحرير أسفار النبيم صور تاريخ يهوه وشعبه على النحو التالي:

١. عبد الشعب يهوه من بدء الخليقة باسم إيل شداي لا باسم يهوه منقولة عن الوثيقة الإيلوهيمية وجماعة من يعبدون إيلاً.
٢. أخرج موسى الشعب من مصر بأمر من يهوه وهنا تختلف المصادر فالوثيقة الإيلوهيمية تختلف في طرحها عن الوثيقة اليهوية لينقذهم من استعباد المصريين لهم ولينفذ يهوه تعهده للآباء.
٣. قاوم الشعب لصلابة رقبته موسى ويهوه.
٤. مكن يهوه الشعب تحت قيادة يشوع الذي حل محل موسى بعد موت موسى وهارون عقاباً لهما.
٥. فسدت عبادة الشعب ليهوه في أرض كنعان.
٦. فسد معظم ملوك يهوذا وكل ملوك إسرائيل وبلاطهم والمنظمة الكهنوتية حتى عوقبوا بالسبي.

ولو حللنا الوثيقة الإيلوهيمية واليهوية لرأينا أن هذا التصور بات محل شكوك قوية لما قام به هؤلاء الكهنة من نشاط القص واللصق الذي مارسوه في تحريرهم بنشاط بالغ وجرأة نادرة.

هذا كله دفع بباحث يهودي يسمى فريد مان بأن يسلم بمنتهى الموضوعية بأن إيل الإله الكنعاني كان هو فعلاً الإله الذي عبده بنو إسرائيل في كنعان من قبل موسى بوقت طويل من حيث أنه الإله الذي دارت تقاليدهم المتعلقة بأسلافهم إبراهام وإسحاق ويعقوب حوله[١].

والذي أراه أن يهوه لم يظهر في عهد موسى ولا عرفه بل سار موسى في هذا كبقية الأنبياء الذين دعوا لوحدانية الله.

ويقول فريد مان إنه مما يؤكد ذلك أنه لم يرد أي ذكر ليهوه في تقاليد بني إسرائيل المستقرين في كنعان.

ويتساءل الباحث شفيق مقار هل كان أنبياء يهوه والكهنة الذين ظلوا يسرقون تلك الصيغ بألفاظها وصورها ومضامينها مملقين فكرياً وأدبياً مفتقرين إلى سعة الخيال؟

ولكن كيف وكل كلمة يدعون أنها نزلت عليهم من يهوه؟

هل يا ترى كان يهوه فوق إملاقه الفكري الأسطوري ثقيل اللسان؟كما قال موسى عن نفسه.

ويجيب: لم تكن المشكلة عياً أو ثقل اللسان بل كانت مشكلة خلقتها ضرورة احتواء وسلب وابتلاع تلك الآلهة الآخرى إزاحة لها من

---

(١). المصدر السابق ص٢٩٩.

طريق يهوه، وفي العهد القديم أمثلة عديدة على ذلك التغليب الأسطوري ليهوه على منافسة من آلهة الهلال الخصيب كما في أشعيا، قد جثا بيـــل (بعل) انحنى بنو صارت تماثيلهما على الحيوانات والبهائم، وبعل تعـــني السيد وهو اللقب الذي خوطب به يهوه قال السيد الرب أما نبو (تذكر جبل نبو الذي مات عليه موسى) فهذا الإله البابلي أعليت مكانته مـــن القرن الثامن قبل الميلاد بأن جعل ابنا لمردوخ وانتمى إليه ملوك البـــابليين نبوخذنصر، نبونابيد[1].

وقد صاغ عزرا الإله يهوه كما يريده هو لا كما هو الإله إيل عند الكنعانيين أو الله عند المسلمين، في غمار نشاط عزرا المتصل الحلقات مع رفاقه بأيديهم المباركة التي اشتغلت بالنسخ والمسخ والمحاكاة عبر عصـور متعاقبة والاغتراف من ثقافات متباينة، هذه الأيدي الماهرة التي جمعـــت هذه الأشياء تحديا للفكر اليهودي لأنه فكر قاصر لم يستطع الســـمو في هذه الدنيا ولا الارتفاع للآخرة فصورت إلها لها أخرق لا يجيـــد شـــيئا سوى التدمير.

بل إنه عرضة للمساومة والضحك عليه والاستهزاء منه، خذ قصـة سارة حينما بشرها يهوه بإسحاق، وإبراهيم الذي ساومه من أجل قـــوم لوط، تكوين ١٨/١٦-٣٣/ وهذه المساومة ذات أهداف نبيلـــة كمـــا تصورها التوراة ولكنها مساومة بين بشر فانين وإله خـــالد محتجـــب، حاول فيها إبراهيم ثني يهوه عن عزمه في إبادة قوم لوط ويلومه علـــى

(١). المصدر السابق ص٤٧٦.

تهوره عن طريق تخويفه مما قد يقال عنه وابتزازه، ولكن الابتزاز من نوع رفيع بين بشر وإله لا إلى بشر فان بل إن يهوه نزل إلى إبراهيم ليشاوره في هذا الأمر الجلل وبطبيعة الحال وجد الرب أنه لم يكن من اللائق أن يخفي ما يريد عمله، وهو الإله الذي جاء للتحقيق فيما وصل إليه من أفعال سدوم وعمورة فإن كان ما سمع صحيحاً فالعقاب وإلا فإنه يتأكد من ذلك[1].

ولا أدري ما طبيعة هذا الإله الذي تبدو صفاته من خلال هذا الموقف:

١. إله جاهل لا يدري ولا يعرف حقيقة ما يحدث وقد جاء ليتحقق بنفسه من ذلك.
٢. نزل إلى مستوى إبراهام إذ جعله مستشاراً خاصاً له فهو يترل ضيفاً عليه يأكل عنده ويشاوره في الأمر.
٣. يحمل لإبراهيم ثمن استشارته فيبشره بمولود سيأتيه في العام القابل مما أثار سخرية سارة العجوز فضحكت منه وكذبت عليه دون أن يستشيط غيظاً كعادته ويدمر هذا البيت.

ومما يؤكد لنا أن هذا الكتاب صنع بشر لا صنع إله وجود أغلاط لا يمكن أن تحدث من إنسان عاقل فقد قال يهوه في سفر العدد وكان بنو إسرائيل حسب قولهم في التيه ١٨/١٦/ وفداؤه من ابن شهر تقبله حسب تقويمك فضة خمسة شواقل مع شاقل القدس هو عشرون حيرة.

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص٤٨.

والواقع أن شاقل القدس هذا من الزلات الفاضحة الــتي ينبغــي للأتقياء إزالتها من النص حيث يكشف عن التلفيق وإقحام القصة بعــد عهد موسى بزمن بعيد، فمن المؤكد أن شاقل القدس لم يكن مســتخدماً في مصر أو في القفر أو في أي مكان آخر في زمن موسى لأنه لم يكن قد قام ملك القدس بعد و لم يكن قد جرى صك شاقل القدس ومع ذلــك جعل المؤلفون الذين كتبوا سفر الخروج يهوه يقــول لموســى خــروج ٣٠/١٢-١٣/ وإذا أخذت كمية بني إسرائيل بحسب المعدودين منــهم يعطون كل واحد فدية نفسه للرب عندما تعدهم لئلا يصير فيهم وبــأ عندما تعدهم هذا ما يعطيه كل من اجتاز إلى المعدودين نصف شــاقل بشاقل القدس والشاقل هو عشرون حيرة.

وبين النصين الأول والثاني تناقض فاضح ففي النص الأول الفــداء خمسة شواقل وفي الثاني الفداء نصف الشاقل،كما أن الفداء إذا لم يرافقــه دفع النقود فسيصيب الوباء بني إسرائيل، وليت شعري ما يفعله يــهوه بهذه النقود هل سيشتري بها مزارع وممالك يضيفها لشعبه؟

بعد هذا الكلام نتساءل مع شفيق مقار ونقول: من الذي أوحــى بالعهد القديم؟

أو من الذي ألهم بما فيه؟

والسؤال كان دائماً من هم الذين ألفوا ذلك الكتاب؟

أما التساؤل عما إذا كانوا قد ألفوه بتوجيه إلهي أو بإلهام سماوي؟

هذا التساؤل يقع في نطاق المسائل الإيمانية البحتة.

فالتحدي الذي يطرحه مثل هذا النظر وما يفضي إليه من استعصاء علمي ليس موجهاً إلى الإيمان بما تضمنه العهد القديم موحى به بل هـــو استقصاءٌ مُنصبٌ على تراث ألفه أناس مـــن البشـــر وتركـــوه لنـــا في مخطوطات رقية، ولقد كان يوسف بن اليعازر أول فيلسوف متخصـــص توراتي يهودي جرؤ على القول علناً وقبل ستة قرون عن بعض ما جـــاء في التوراة:

((هذا لم يكتبه موسى)) [1]

ونحن الآن نعرف كلما قرأنا صفحة من العهد القديم أن ثلاثـــة أو أربعة من المؤلفين من بني البشر شاركوا في تأليف ما نقرأه فيها، كلٌ من واقع خبرته في لحظته التاريخية التي عاشها وهم عبر القرون العديدة الـــتي فصلت كل مؤلف منهم عن الآخر قد ألتقت أيديهم في تـــأليف تلـــك الصفحة.

وكثيراً ما نجد الصفحة الواحدة فيها من التقليد اليهوي والتقليـــد الإيلوهيمي والتقليد الكهنوتي، ونحن حينما نقرأ الآن علينا أن نتذكر أننـا نقرأ كتاباً وضعته أيدي البشر ورممته ونظفته ونسبته حسب أهوائـــها، وإذا ما رأينا فيه المتناقضات فلن نعجب لأنه من وضع البشر لا من صنـع إله محتجب مالك السموات والأرض.

والذي لا خلاف عليه الآن في ضوء المعارف الجديدة التي بـــاتت متوافرة والتي دفعت الدارسين التوراتيين كالمستر فريد مان إلى الاعـتراف

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص٧٩.

بأن أيدي البشر لا أصوات سماوية هب التي ألفت وحررت ونسقت ووضبت.

وفي ضوء التحليل الأدبي والتاريخي لتلك المادة المؤلفة المحررة الموضبة تتضح أهمية ذلك التاريخ بتأليف الحكايات والكثير من حكايات العهد القديم لا يوجد أي فرق بينه وبين الحكايات الخرافية[1].

وهناك من يستميت في إيهامنا أن هذا الكتاب موحى به من السماء وأنه كلمة الله، ولكن كيف يكون كذلك وهو منقول نقلا في كل كتاباتهم المقدسة من الأدب الديني لشعوب أخرى أعرق حضارة؟

واسمع هذا الوصف لهذا الكتاب: ((إن الكتاب المقدس لا سيما العهد القديم كتاب محير نعلم قبل أن نفتحه أنه الكتاب المقدس عند اليهود والمسيحيين ونتوقع أن نجد فيه كلام الله غير ممزوج بأي شيء: أي نوعاً من كتاب للتعليم المسيحي أو اللاهوت الأدبي.

وعندما نفتحه نجد فيه قصصاً من ماضي شعب صغير قصصاً كثيراً ما تكون لا فائدة فيها وروايات لا نستطيع أن نقرأها بصوت مرتفع دون أن نخجل، وحروباً واعتداءات وقصائد لا تحملنا على الصلاة وإن سميناها مزامير، وفضائح من أخلاقية قديمة تخطاها الزمن وكثيراً ما هي مبغضة للنساء، كتاب محير ولكن هل هو كتاب))[2].

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص٨٩.

(٢). شربنتية اصطفان دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص٨.

هذا رأي أب من آباء الكنيسة المسيحية فلنسمع إلى رأي شيخ مسلم داعية هل الكتاب المقدس كلام الله؟

((ثلاث درجات من الأدلة لا نتردد نحن المسلمين في التسليم بوجود ثلاثة أنواع من الشواهد في الكتاب المقدس وهو شيء لا يحتاج إلى تدريب مسبق، وهذه الأنواع هي:

١. نستطيع أن نرى في الكتاب المقدس ما يمكن وصفه بأنه كلام الرب.

٢. نستطيع أن نرى في الكتاب المقدس ما يمكن وصفه بأنه كلام نبي الرب.

٣. وما هو واضح أكثر هو ما تتكون منه معظم محتويات الكتاب المقدس من تقارير لشهود عيان أو غيرهم ممن كتبوا ما كانوا يسمعون عنه، وهو ما تستطيع أن تسميه كلام المؤرخ))[1].

بعد أن أوردت هذين الرأيين أستطيع أن أخرج منهما بالنقاط التالية:

- كلاهما اعترف بأن الكتاب ليس من صنع الله.
- أضاف اصطفان هناك قصائد لا تحملنا على الصلاة.، وهناك قصص لا نقرؤها دون أن نخجل، وهناك فضائح أخلاقية قديمة.

---

(١). ديدات أحمد هل هذا الكتاب المقدس كلام الله ص٩.

موقف العلماء منه:

اتفق العلماء على أن التوراة التي بين أيدينا رغم تزويرها فيما بعد وضعها إلا أنها كتبت أول ما كتبت في السبي البابلي.

جورجي كنعان قال: ((وفي السبي البابلي شعر الأحبار والكهنة بأن عليهم أن يهيئوا للمسبيين نفسياً للرحيل عن بابل والعودة إلى أرض فلسطين لإنشاء دولة قوية ينطلقون منها للسيطرة على العالم فخططوا بدقة كي يبقوا اليهود كتلة قوية واحدة متماسكة، ووضعوا من جديد هذه الشريعة التي ترمي إلى محاربة اندماج اليهود بغيرهم من الأمم والشعوب، وتنظيم علاقات اليهود ببعضهم مع بعض ولا تكترث بعلاقاتهم مع غيرهم من أفراد الشعوب وتهدف إلى تنمية الاعتقاد في نفوسهم بالتفوق والامتياز والاختيار وتعزيز الشعور بالعرق الخاص والعنصر المتميز فكانت هذه التشريعات العنصرية المنفلقة التي تدور في دائرة القبيلة الإسرائيلية ولا تتعداها إلى غيرها من الشعوب))(١).

ويؤكد جورجي كنعان مرة أخرى أن توراتهم لم تكتب إلا في أيام الأسر ومن البدهي أيضاً أن تتأثر كتابتهم بما حولهم فيأخذون من التراث البابلي ومن الحضارة التي حولهم الشيء الكثير من كتاباتهم:

((كان لهذا التاريخ الميثولوجي ما يزيد على سبعة آلاف سنة منذ بدأ الإنسان في الشرق المتوسطي يلتصق بالأرض في حضارة زراعية عمرانية تجسدت أولاً في حضارات ممالك المدن حيث ظهر عصر الحديد

(١). كنعان جورجي تاريخ يهوه ص٨٩.

الأول حوالي ١٢٠٠ق.م جماعة بني إسرائيل فالجماعة ظهروا متأخرين على مسرح التاريخ وحين بدؤوا بوضع سفر تكوينهم في السبي البابلي في القرن السادس قبل الميلاد كان العالم قد وضع منذ زمن طويل، وكانت معتقدات الآخرين قد صنعته فلم يكن تراث أجداد عاشوا في أزمنة البدء ووضعوا تفسيرهم للكون وأصل الوجود، قصة التكوين والخليقة كما كانت الحال لدى شعوب المنطقة ولذلك جاءت قصة التكوين التوراتية موجزة معلقة لا آثر فيها للصدق وعفوية النظرة الأولى التي ألقاها الإنسان القديم على عالمه وتكوينه، ولا إشارة فيها إلى محاولات ذلك الإنسان تفسيراً للكون المحيط به والتعبير عما أحاط به من عظمة الكون وضخامته، ومن ثم اندفاعه بشكل عفوي وطبيعي إلى تفسير أصول كل شيء شغله في عالمه ولم يكن لدى وضع سفر التكوين التوراتي أي اهتمام بمسائل فهم الكون وتفسير الخليقة وإنما حصروا همهم في الحديث عن الأصول القبلية التي اعتبروا أنفسهم منحدرين منها في محاولة لإثبات وجودهم في عالم ليس لهم، ولغرس جذورهم وسلسلوا من اعتبروهم آباءهم للبشر بإيجاز مبشر للغاية من ربط نسبهم بأنبل وأكرم شخصية عرفتها تلك الأزمان ثم عرفوها هم على ما يظهر أعني بها إبرام[1].

أما الباحث أحمد سوسة فيرى أن التوراة لا تمت إلى الله بصلة وإنما هو كتاب ملفق ومزور قد نقلوه بل قل مسخوه من كتب شتى ومصادر

---

(١). كنعان جورجي تاريخ يهوه ص١١٧.

مختلفة ومن حضارات عديدة وحاول أن يبرهن ذلك في كتابه العرب واليهود في التاريخ فيقول في مقدمته:

((واستبان للناس بعد طول مخادعة ومراوغة وتضليل من لدن دهاقنة القوم إنهم ليسوا على دين موسى وإن لهم يهوه الذي اتخذوه لأنفسهم وهو من وضع أفكارهم، وهو غير الإله الذي دعا إليه موسى قال الله تعالى في القرآن الكريم: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم) واتهموا بالزيغ والكفر والانحراف وأنهم قد كفروا بما جاءهم به موسى، قال الله في القرآن الكريم: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مُرِيبٍ﴾ فسعوا في قتله على أرجح الأقوال ثم عمدوا بعد قتله إلى اختلاق توراة من عند أنفسهم نسبوها إليه وادعوا ما شاءت لهم أهواؤهم الجامحة ونفوسهم المفطورة على البغي واقتراف الكبائر، وهكذا أخذت توراتهم الملفقة بالكذب والزور والتضليل، وادعوا أنها منزلة من عند إلههم الشرير يهوه الذي يأمرهم بالمنكر، وينهاهم عن المعروف، قال الله تعالى في القرآن: ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ وقال أيضاً: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ وقال: ﴿لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾، ثم أضافوا إليها بعض ما اقتبسوه من معالم الحضارة الكنعانية بوجه خاص والدولة البابلية

التي كانوا راضخين لسلطانها في بابل أيام أسرهم، ومن حضارات الأمم الأخرى التي كانت تقيم في وادي الرافدين ووادي النيل بوجه عام))[1].

ويقول الدكتور سوسة في مكان آخر مؤكداً علاقة التوراة التي كتبها اليهود بالرافدين والحضارات الأخرى فيقول: ((توصل الخبراء إلى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصل قديم وجد فيه أو ما يشابهه في المدونات السورية والأكادية والكنعانية والبابلية والآشورية والمصرية مما يدل على أنه ليس لليهود أدب مبتكر أو ثقافة خاصة بهم، وإنما اقتبس كهنتهم من هذه المدونات كل ما ارتأه جديراً بأن يحتويه تاريخ الجنس اليهودي، وحذفوا بلا هوادة كل ما لم يلق استحسانهم.

١. توصل الخبراء إلى أن مواد عديدة مأخوذة من شريعة حمورابي[2]، والشرائع القديمة الآخرى، وإن أكثر التراتيل والتسابيح الدينية التي وردت في التوراة مقتبسة عن الكنعانيين وقد عثر عليها في فينيقيا ثم ترجمت في وقت لاحق من اللغة الكنعانية الفينيقية إلى العبرية وأدخلت التوراة.
٢. توصل الخبراء إلى أن شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي كان يمارسها الكنعانيون والبابليون والمصريون من قبل، وقد

---

(١). سوسة أحمد العرب واليهود في التاريخ جـ١ المقدمة.

(٢). ارجع إلى كتابي بابل ونصوص اليهود لترى أثر ذلك.

اقتبسها اليهود منهم ومارسوها ثم أدخلوها في كتبهم المقدسة))[1].

وينقل الدكتور سوسة آراء المحدثين من العلماء ويسود الشعور بين الكتاب المحدثين أن الوقت قد حان للكشف عن حلة الثقافة اليهودية ومن ضمنها الديانة اليهودية بالثقافات السامية القديمة، فيقول الأستاذ هوك في مقدمة كتابه (أصول الديانات السامية القديمة) أننا الآن في وضع أكثر ملاءمة من أي وقت مضى لتوضيح علاقة العناصر الأساسية للديانة اليهودية بشبكة الشعائر الدينية التي كانت سائدة في البيئة السامية القديمة من وجهة نظر تاريخية جديدة.

ونحن نقول الآن لقد آن الآوان للباحثين أن يتحرروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث التاريخ اليهودي وأن عليهم أن يتوغلوا في أحدث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات القرون فمهدت السبيل للتمييز بين الغث والسمين[2].

ويؤكد الدكتور سوسة هذا الرأي في عدة أماكن من كتابه فالأحبار الذين سجلوا التوراة لم يكونوا جاهلين بلغة الشرق والمكتبات أمامهم خاصة بعدما تآمروا مع الفرس ضد بابل وسقطت بابل فنقلوا عن الرقم الطينية المكدسة ومن كل لغات العالم ما يروقهم وسخروا ذلك لمصلحتهم.

---

(١). سوسة أحمد العرب واليهود جـ١ ص ٢٣.

(٢). المصدر السابق جـ ١ ص٢٤.

ومما يذكر في هذا الصدد أن هؤلاء الكتبة هـم كبـار الكهنـة والحاخامين اليهود، وقد عاصروا مملكة يهوذا في أواخر أيامها قبل السبي الأخير /٥٧٦ ق.م/ وكانوا بصفتهم علماء في ذلك العصر يحسنون جميع اللغات القديمة ومن جملتها السومرية وكذلك الكتابة المسـمارية الـتي نشأت في جنوب العراق بالإضافة إلى الكتابة الهيروغليفية، فجلس هـؤلاء الكهنة وأمامهم الأكداس من الرقم الطينية في شتى الموضوعات في مختلف اللغات والخطوط وفي مقدمتها الموضوعات الدينية التي كانت تشغل حيزاً كبيراً من أقوال تلك العصور ويبدو لأول وهلة عندما نستعرض مدونات التوراة أن الهدف الأول الذي كان يهدف إليه هؤلاء الحاخـامون هـو تمجيد تاريخ الزمرة اليهودية التي كانوا يعيشون في وسطها وهم منـها وجعلها صفوة الأقوام البشرية والجماعات المختارة التي اصطفاها الـرب من بقية الشعوب، ولتحقيق هذا الهدف كان لا بد لهم من إرجاع أصـل هذه الجماعة اليهودية لا الإسرائيلية إلى أقدس شخصية في التاريخ القـديم أي إبراهيم الخليل الذي كان صيته قد عمَّ جميع أرجـاء عـالم تلـك الأزمان، أما الهدف الثاني فهو تثبيت الأرض الموعودة على لسان إبراهيم ويعقوب وموسى وهم بريئون منها(١).

إن ما ورد في التوراة من مزامير وأمثال وأشعار وشرائع ومـا إلى ذلك من أساطير وقصص مستقى من المصادر الأدبية القديمـة لمختلـف الثقافات التي اطلع عليها كتبة التـوراة، ومـن المعتقـدات والتقـاليد

(١). المصدر السابق جـ١ ص ٢٧٣.

الاجتماعية التي عاشوها ومارسوها فعلا في فلسطين وبابل وهي تقاليد كنعانية بابلية مصرية قديمة.

أما مورتكات في كتابه تاريخ الشرق الأدنى فقد رأى أنه لا يمكن الاعتماد من الناحية العلمية على أساطير التوراة إذ برهنت الأبحاث الأثرية على عدم صحة تلك الأساطير التي وردت فيها وتوجد أبحاث تبرهن عكس هذه الأساطير[1].

ولقد كشفت المدونات الكنعانية التي عثر عليها في أوغاريت شمال مدينة اللاذقية بكل جلاء أن أكثر ما دونه اليهود في التوراة من القطع الأدبية ومن مزامير وأشعار وتراتيل ترجع إلى أصل كنعاني في تعابير وردت في أسفار المزامير والأمثال ونشيد الإنشاد، ويظهر فيها التشابه واضحا مع التعابير الأوغاريتية، ومن أمثلة ذلك أن الأخيرة تنعت إلهها بعل براكب السحاب، في حين أن الأولى تطلق على إلهها يهوه راكب القفار.

وقد وردت التعابير الواردة في المدونات الكنعانية كما وردت في المزامير/١٨، ٦٨/ وسفر صموئيل والتشابه في سفر أيوب ومزامير/٢٩،٦، ١٠/ حيث تصف فيها صوت الإله يهوه بالرعد، اسمعوا سماعا رعد صوته والزلزلة الخارجة من فيه، وهو نفس الوصف الوارد في الكتابات الكنعانية، ومقدار التراتيل الكنعانية التي عثر عليها في أوغاريت تساوي نصف حجم كتاب المزامير في التوراة.

---

(١). مورتكات تاريخ الشرق الأدنى القديم ص٢٧.

كما أن القصة التي وردت في سفر أيوب وجد ما يشابهها تماماً في الكتابات البابلية ويعتقد أن الأصل نص آرامي حيث ورد فيها ذكر أحد ملوك أدوم القدماء باسم يوباب بن زارح.

والمرجح عند الباحثين أن صاحب سفر أيوب الوارد في التوراة عربي الأصل إذ يعتقد أن هذا الكتاب قد نظم في الأصل شعراً عربياً في القرن العشرين قبل الميلاد على أثر نزوح الساميين العرب من جزيرة العرب إلى بلاد ما وراء النهرين، ثم ترجمه الكهنة اليهود إلى العبرية وعد من الأسفار المقدسة، وضاع أصله العربي، فإذا صحت عربية سفر أيوب يكون العرب أسبق الأمم إلى قرض الشعر أي قبل إلياذة هوميروس بألف سنة.

ويثير الأستاذ أولمستد الخبير في تاريخ فلسطين القديم إلى أن الكنعانيين وضعوا أول شريعة في شكيم نابلس حاليا التي تعتبر عاصمة الكنعانيين في فلسطين في تلك العصور ومركزهم الديني المقدس حيث كان هيكل إلههم بعل هناك، ثم يضيف قوله: والفضل يرجع إلى حمورابي وشريعته في حمل الكنعانيين على إعادة النظر في شريعتهم الأولى وتنسيقها من جديد بإضافة بعض التعديلات عليها وحذف بعضها الآخر منها وجعلها شريعتهم الخاصة هي نفس الشريعة التي جاءت في التوراة، وقد حافظ عليها اليهود بإدخالها في كتبهم المقدسة فوصلت إلينا عن طريق ممارستهم الفرائض التي وردت فيها، ويؤيد الأستاذ وترمان ويقول:

وهكذا فإن بني إسرائيل وجدوا شرائع معقدة ومهيأة فعملوا بها في مسيرة حياتهم في كنعان.

ثم يضيف مؤكدا أن التحقيقات الأركيولوجية التي يمكن أن تزودنا بمعلومات في هذه الناحية ولا تعترف بوجود أي فاصل ثقافي بين الكنعانية واليهودية.

ويؤكد الأستاذ كوجنبرت مما يؤدي إلى نفس المعنى فيقول: لقد ثبت الآن أن دين العبرانيين (بمعنى اليهود) لا يمكن أن يكون تطور ونما محليا بل كانت عناصره الجوهرية قد استقصيت من آراء متراكمة ومن معتقدات كانت شائعة بين الأقوام الساميين في الشرق.

وأن هذه الوثائق القديمة تبرهن بما لا يتطرق إليه الشك على انعزال الديانة اليهودية عن غيرها في الزمن القديم لم يكن سوى خرافة بحتة.

أما ول ديورانت صاحب قصة الحضارة فهو يرى أن هذه الأساطير مستقاة من أساطير الجزيرة العربية، وكانت منبعا أصلا لأساطير اليهود كالخلق والطوفان والغواية، ولكنه يرى هذه الأساطير انتقلت إلى المصادر البابلية والسومرية ويرجح أنها انتشرت من هناك فأخذها اليهود.

إن أساطير الجزيرة العربية كانت المعين الغزير الذي أخذت منه قصص الخلق والغواية والطوفان التي يرجع عهدها في تلك البلاد إلى ثلاثة آلاف سنة أو نحوها قبل الميلاد، ولعل اليهود قد أخذوا بعضها من الأدب البابلي في أثناء أسرهم ولكن الأرجح من هذا أنهم أخذوها قبل

ذلك العهد بزمن طويل من مصادر سامية وسومرية قديمة كانت منتشرة في جميع بلاد الشرق الأدنى.

إن القصص الشعبية العالمية كانت شائعة في مصر والهند والتبت وبابل وبلاد الفرس واليونان والمكسيك وغيرها من البلاد قصص شعبية عن الجنة وما فيها كذلك بين الأشجار المحرقة والأفاعي التي سلبت الناس الخلود أو نفثت السم في الجنة.

أما قصة الطوفان فهي أكثر انتشاراً من قصة الخلق نفسه فلا يكاد يوجد في الأمم القديمة أمة لم تعرفها وقلما يوجد جبل في أسيا لم يرس عليه راكب السفينة الذي قدر له أن ينجو من الطوفان، وكانت الأسفار التي تلت على الشعب بأمر يوشيا وعزرا هي التي صيغت القوانين التي قامت عليها الحياة اليهودية كلها فيما بعد.

وكانت معظم الآداب المصرية الأولى آداباً دينية وأقدم العقائد المصرية ترانيم نصوص الأهرام وقد أخذ الشعراء العبريون عن المصريين والبابليين هذه الطريقة وخلدوها في المزامير(١).

ولي على هذا النص مايلي:

١. أساطير الجزيرة العربية إنما هي الأساطير التي انتقلت في الهجرات العربية إلى البلاد الجديدة ولهذا لن تختلف عن أساطير بابل وسومر ومن لف لفهما وهي أقدم من الألف الثالثة قبل الميلاد.

---

(١). ديوارنت ول قصة الحضارة جـ٢ ص٣٨٦.

٢. انتقلت هذه الأساطير إلى بلاد العالم القديم إما بواسطة أصحابها الراحلين مباشرة إلى هذه البلاد، أو نقلت عنهم بواسطة التجارة أو ما شابه ذلك.

٣. الطوفان: نقلت الحادثة في بلاد العالم ماعدا الفرس فقد استنكروا حادثة الطوفان، وأرى أن بلادهم لم تكن مسكونة آنذاك.

٤. جمع ول ديورانت بين يوشيا وعزرا وهما متباعدان في الزمن فكيف تم جمعهما؟ إن المؤرخين قد ادعوا أن سفر التثنية هو السفر الذي قرأه يوشيا ولا يزال هذا السفر موجوداً فكيف يكون أساساً لصوغ القوانين التي قامت عليها الحياة اليومية.

٥. تطرق ديورانت إلى الآداب المصرية في كتابه وأثرها في التراث اليهودي ولم يثبت لنا منها غير قطعة صغيرة من نشيد أخناتون ولا أدري لم سكت عن بقية الأناشيد، بينما تطرق بريستد في كتابه فجر الضمير إلى تأثير الآداب المصرية في التراث اليهودي، ويصر على ذلك وهو يستشهد بأثر الأدب الفرعوني أخناتون في المزامير وكذلك أثر أمون في وصاياه لابنه.

ويقول بريستد: إن التوراة الحالية تحتوي على اقتباسات من الأدب الفرعوني المصري القديم، وإن مزامير داود أخذت الكثير من أناشيد أخناتون كما ورد في سفر الأمثال الكثير من كتبه الحكيم المصري أمون في وصاياه لابنه.

إن جميع العلماء بكتاب العهد القديم الذين يعتد بأرائهم وأبحاثهم فيه يجزمون الآن بمحتويات ذلك الجزء الذي يؤلف نحو الفصل ونصف الفصل من كتاب الأمثال قد أخذ معظمه عن الحكيم المصري القديم أمون مينوب.

أي إن النسخة العبرية تقريباً ترجمة حرفية عن الأصل الهيروغليفي العتيق[١].

ويتابع الدكتور محمد علي البار في كتابه مدخل إلى دراسة التوراة على قول بريستد أن كاتب المزامير تأثر بنشيد أخناتون، ويقول مايلي: صار لدينا الآن الأصل اليهروغليفي المصري الذي ترجم ونشرت منه فقرات كاملة في كتاب العهد القديم، فقد تعرف هوجر سمان الباحث الضليع وصاحب الرأي الثاقب في الأدب العبراني بلا تردد على المنهل المصري الذي استقى منه المزمور /١٠٤/ المذكور، بل ذهب الأستاذ هوجر سمان إلى أبعد من ذلك حيث يقول: إن أقدم موضوع أسطوري تناولته العناية الربانية هو خلق العالم، وهو أسطورة الخلق نفسها نشأ في بابل.

وأما موضوع العناية الربانية في العالم فإنها فكرة جاءت فيما بعد وشقت طريقها إلى المزامير بتأثير مصر القديمة، ونجد كثيراً من علماء الآثار الغربيين والمفكرين من أمثال عالم الآثار المصرية القديمة أرمان، والعالم بريستد يكرران القول بأن المزمور /١٠٤/ منقول بشكل حرفي

---

(١). بريستد جيمس هنري فجر الضمير ص٩٤.

من نشيد أخناتون الكبير،وإن سفر الأمثال منقول بشكل فاضح من كتاب الحكم لأمون المصري القديم وقد قسم أمون كتابه إلى ثلاثين فصلاً وقد شهر كتابه باسم ثلاثون فصلاً من الحكمة، وأحياناً باسم ((ثلاثون فصلاً فقط))، وقد نقل كاتب سفر الأمثال هذه الحكم بعد تغيير طفيف فيها ولكنه ينقل بعض الأحيان حرفياً بعض العبارات مثل قوله: ألم أكتب ثلاثين فصلاً من جهة مؤامرة ومعرفة،وهو تشويه لعبارة أمون تبصر نفسك في هذه الفصول الثلاثين حتى يكون حسرة لك وتعليماً، والغريب حقاً أن كاتب سفر الأمثال لم يكمل ثلاثين فصلاً ومع هذا ما ذكره أمون موبي دون تحوير، ونقل سفر أرميا أيضاً شيئاً من حكم أمون موبي.

وكذلك المزمور الأول والثاني يعتقد كثير من الباحثين الغربيين أن كتابة العهد القديم تأثروا بفلسفة مصر القديمة كثيراً إلى الحد الذي صوروا فيه يهوه بصورة الشمس ذات الجناحين حيث جاء في سفر ملاخي ٤/٣/ ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها وهي استعارة من الفلسفة المصرية القديمة.

وتذكر الدراسة القيمة التي قدمتها الرهبانية اليسوعية والمسكونية الفرنسية أن مصادر سفر التكوين كانت الأساطير الشائعة السائدة لدى الحضارات الموجودة فيما بين النهرين وعلى ضفاف النيل والمنطقة الفينيقية الكنعانية والاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين

بعض النصوص الخاصة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت، ويعترف الباحثون أن روايات الآباء وسفر التكوين وضعت في زمن يبعد كثيرا عن الأحداث العائدة إليها في القصص البابلية، فتلك الأمور قد ذكرت في الأساطير البابلية في حدود سنة ٣٠٠٠ ق.م بينما كتب سفر التكوين في مرحلة متأخرة من القرن التاسع إلى القرن الرابع قبل الميلاد والفترة الزمنية بين إبراهيم وبين كتابة قصته في سفر التكوين تمتد إلى ١٩٠٠عام قبل الميلاد، وهي فترة زمنية بعيدة جدا وتتعرض فيها الروايات الشفهية للتبديل والتحريف والتغيير.

أما فون كريمر صاحب ألواح سومر فهو يقرر أن الآداب السومرية أثرت تأثيرا كاملا على الأدب العبراني التوراتي كما أثرت آداب سومر على بقية الآداب في العلم سواء كان اليونان أم عند الهند أم الفرس، لقد كان للأدب السومري تأثيرا كبيرا على أوسع المجالات الروحية في الآداب التوراتية التي تؤلف المبتكرات الأدبية عند العبرانيين، وكذلك الالياذة والأوديسة هما الملحمتان الزاخرتان بالقصص الأسطورية الملحمية الإغريقية، والريغ فيدا التي تمثل النتاج الديني عند قدامى الهنود والاوفستا التي تؤلف النتاج عند الإيرانيين القدامى، كل هذه المجموعات والتآليف الأدبية لم تكتب في صيغتها قبل النصف الأول من الألف الأولى قبل الميلاد، في حين أن أدبنا السومري المدون على الألواح يعود إلى تاريخه

إلى ما يقرب من ألفي سنة قبل الميلاد أي أنه أقدم من تلك الآداب بما يزيد على ألفي سنة[1].

هذه المجموعات أكدها جميع الكتاب دون استثناء وهم يرون أن أصول التوراة ترتد إلى أصول مصرية كنعانية بابلية.

((ومهما يكن من شيء فإن مجرد ترديد هذه الافتراضات على بساط البحث يثبت ما قدمناه من الغموض الذي يحيط بالأبعاد الحقيقية لسيدنا موسى ودعوته، ولكنها على كل حال في وضعها المثبت في التوراة التي بين أيدينا تنطق بما تراكم فيها من القصص والشرائع المأخوذة من الأمم الأخرى لاسيما السومريين والأكاديين والمصريين فهناك شرائع خاصة بالمعاملات تكاد تكون ترجمة أو تلخيصاً لشرائع مماثلة في قانون حمورابي))[2].

وأشار الأب هنري كاربل إلى أن التوراة أخذت الكثير من شريعتها من شرائع أخرى، إن جزءاً صغيراً من هذه الشرائع هو الذي أشرنا إليه بقانون العهد يتضمن تشريعات نابعة من قانون حمورابي والشرائع الآشورية والحثية وبعض أصول فرعونية أو كنعانية.

وتذكر الدراسة القيمة التي قدمها ليوتاكسيل في كتابه التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير فيقول: في التوراة اليهودية القديمة أي في أسفارها التي كتبت بعد السبي البابلي، بعد مضي أكثر من ألف عام

---

(١). كريمر فون أساطير سومرية ص٤٤ الترجمة العربية.

(٢). ظاظا حسن الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ص٢٠.

على التاريخ الذي ينسب إليه وموت موسى يجري الحديث عن الشيطان ويوصف فيها إبليس بأنه أكثر الشياطين أهمية فالشياطين هي أرواح شريرة لكنها مثل يهوه والمقربين منه ولا نقع فيها على أي إيضاح آخر فهم لا يصفون الشياطين بأنها كانت ناقمة مطرودة من الجنة السماوية ومقيدة إلى جدران جهنم المستعرة ففي أيوب نرى إبليس يتجول في السماء، بل ويدخل في جدال مع يهوه نفسه، ولما رأى النقاد أن هذه الشياطين تعيش في التوراة عيشة مرحة ولا تعاني من عذاب جهنم أشاروا إلى أن هذه الحال تتوافق مع عقائد الكلدانيين والفرس الذين يعود تاريخ كتبهم المقدسة إلى زمن أكثر عمقا في التاريخ من كتاب اليهود، وبناء على هذا سجلوا الاستنتاج التالي: في فترة السبي البابلي أضاف اليهود إلى معتقداتهم بعض معتقدات الشعوب التي تأتى لهم العيش بين ظهرانيها، أضف إلى هذا أن الاسم الذي أطلقه اليهود على الشيطان الرئيس يحمل طابع الهوية الكلدانية أو البابلية ساتانا، أي إبليس ليست كلمة يهودية بل كلدانية معناها الكره.

وهكذا نكتشف أن يهوه أخفى عن شعبه المختار قصة المؤامرة التي حاكها بعض الملائكة ضده وأخفى عنه أيضا الاسم الحقيقي للمتمرد الرئيسي فالتوراة لا تدعو لوسفير في أي نص من نصوصها فهذا الاسم أطلقه المسيحيون عليه[١].

---

(١). ليوتاكسيل التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٥٣.

ويؤكد في تعليقه على سفر طوبيت أن النقاد يذكرون أن النص التوراتي الوحيد الذي يسجل فيه ذكر لكلمتي شيطان أو إبليس، فالأرواح الشريرة عندهم فارسية المنشأ ومن المعروف أن الفرس آمنوا بوجودِ إلهين لهما القدرة نفسها آهورامزدا إله الخير وأهريمان إله الشر، وتحت إمرة كل واحد منهما جيش من الأرواح الطيبة والشريرة، وبذلك يتحول اليخود إلى مجرد منتحلين في هذا الشأن فقد اقتبسوا ديانتهم عن جيرانهم أو مستعبديهم.

واقتبسوا منها الخرافات والطقوس الدينية ويرغمنا كتاب طوبيت بأن الروح الشرير أرموزوس كان مغرماً بسارة ويغار عليها وهذا يتوافق تماماً مع التعاليم التوراتية القديمة عن الأرواح والملائكة والآلهة، وكنا رأينا في سفر التكوين أن الملائكة ضاجعوا بنات البشر وأنجبوا منهن العمالقة ثم أنشأ رجال الدين بعد ذلك خرافات كثيرة عن شياطين ضاجعوا نساءاً من البشر فولدن أولاداً غير عاديين وشياطين أخرى سكنت أجساد شباب وفتيات بمختلف الطرق والوسائل وخرافات عن استدعاء الشياطين وطردها، ولقد كانت ولا زالت هناك كثرة من المعتقدات الخرافية الوحشية التي استخدمها رجال الدين الآن لاستغلال الغباء البشري[1].

ولي على هذا النص مايلي:

---

(١). ليوتاكسيل التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٤٦٤.

١. إن كلمة الشيطان ساتان بابلية وليست فارسية وكلمة ساتان هذه تعني إبليس، وإبليس في الأسطورة البابلية إله شر.

٢. إن الثنائية التي تؤمن بها فارس إله الخير وإله الشر لم يكن البابليون يؤمنون بهما، ولو كان ذلك لوردت لإله الشر ليتجنبوا شروره ويبعدوا عن مصائبه.

٣. إن النص في سفر التكوين أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات، و لم يقل كتاب التوراة بأنهن ملائكة.

٤. إن وجود الشياطين في الديانة اليهودية هو أثر بابلي لأن التوراة كتبت أيام الأسر البابلي وقبل الخلاص من السبي، أو في ظل فارس في عهد عزرا والشياطين من أساطير كلدان وبابل.

٥. أسماء الملائكة التي وردت في التوراة أسماء بابلية ولا يوجد عند الفرس أسماء ملائكة بهذه الأسماء التي وردت في التوراة،و يقول ليوتاكسيل ومما يجدر الإشارة إليه أنها المرة الأولى التي يدعو فيها الملاك المقدس ملاكاً باسمه.

((ويؤكد الشارحون دون استثناء أن أسماء الملائكة اليهودية والمسيحية أكادية المنشأ، رافائيل: دواء الله، أورئيل: نار الله، إسرائيل: عشيرة الله، ميخائيل: صورة الله، جبرائيل: رجل الله، أما ملائكة فارس فكانت أسماؤهم مختلفة (ماكور، دوبادور، بامان) وما شابه ذلك، ولما كان اليهود عبيداً عند الأكاديين وليس عند الفرس فقد أخذوا عنهم

ملائكتهم وشياطينهم، وقد كان كل شيء يتبدل عند شعب الله المختلر تبعاً لتبدل أسياده))[1].

ولي على هذا النص مايلي:

١. إن تسمية الملائكة إيلية وليست يهوية ولـو كـان اليـهود أصحاب هذه الأسماء لجعلوها يهوية.

٢. إن كلمة أور معناها نور ومدينه، وأما أور بمعنى نار فلم تـرد ولهذا أورئيل معناه نور الله وليس نار الله.

٣. إن إسرائيل من يشر وياشر المستقيم ولهذا يصبح المعنى المستقيم مع الله ولا يمكن أن تكون الكلمة عشيرة الله وهذا التفسـير يؤكد شعب الله المختار، أما التفسير التوراتي فهو المصـارع لله فهو محض خطأ وإسرائيل ليس ملاكاً.

٤. ميخائيل أو ميكائيل لا يمكن أن تفسر بصورة الله فلا صـورة معروفة لله وقد وردت في القرآن الكريم: ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُـهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ والمكاء صوت ولهـذا كلمـة ميكائيل يمكن فهمها على أنها صوت الله.

٥. إن اقتباس الملائكة عن الأكاديين دليل أكيد على أنهم أخـذوا أسماء الشياطين عنهم.

ويقول ليوتاكسل في تعليقه على سفر يونان: يرى الناقدون من غير المؤمنين في قصة يونان أن هذه الحكاية مجرد انتحال للخرافات الإغريقيـة

---

(١). المصدر السابق ص٤٦٥.

ففي كتاب العشرين يروي هوميروس قصة وحش هاجم هرقل وقد أمضى الأخير ثلاثة أيام بلياليها في جوف الكائن المعتدي يتغذى بكبده المشوية، ثم شق طريق وخرج من ذلك السجن الغريب.

((وهناك في الميثولوجيا الوثنية قصة عن أريون الذي رمى به البحارة إلى اللجة ثم أنقذه دلفين حمله فوق ظهره إلى ليسبوس بيد أنها باهتة بالمقارنة مع مغامرتي هرقل ويونان وأوريون شاعر وموسيقي إغريقي قديم عاش بين القرن السابع والسادس قبل الميلاد، وتقول الأسطورة بينما كان أوريون مبحراً على متن سفينة قرر البحارة قتله ونهبه، فغنى أغنية ورمى بنفسه إلى البحر فحمله دلفين إلى اليابسة لأن الأغنية أعجبته كثيراً))[1].

ولي على هذا النص مايلي:

١. إن قصة يونان كما يرويها السفر لا يمكن أن تكون من بني إسرائيل من فلسطين لأن البحر الذي ركبه لا يمكن أن يؤدي إلى نينوى كما تقول القصة.

٢. لنفترض أن ترعة بين النيل والبحر الأحمر فالسفر سيطول حسب تلك الأيام أكثر من سنتين على الأقل و لم تحدثنا التوراة ولا يونان عن صعوبة السفر آنذاك.

٣. إن يونان ليست تسمية عبرية ولو كان عبرياً لكانت التسمية يهوناه.

---

(١). المصدر السابق ص٥٤.

٤. إن كلمة يونان محورة عن كلمة يونس ولا تحدثنا الكتب السماوية عن مكان مدينته التي نجاها الله من الهلاك بعد أن آمنت.

أما الدكتور فؤاد حسين علي فقد أكد في دراساته أثر بابل وآشور على التوراة وخاصة في القصص اليهوية وهو في هذا على حق حينما يقول: لا شك في أن أقدم ما جاءنا عن عقيدة يهوه في العصور القديمة جداً عبارة عن مجموعة من القصص ترجع إلى ذلك العهد أعني تقديس يهوه والمعروف باسم العهد اليهوي.

وليس معنى هذا أن هذه القصص إسرائيلية الأصل أو تنبع من الأساطير الإسرائيلية بل معظمها يستمد أصوله من الأساطير القديمة أو البابلية، ومن أشهر قصص اليهوية التي تتحدث عن يهوه قصة الخلق القائلة إن يهوه خلق البشر، وتكرر نفس الفكرة في قصة الطوفان، وفي أسطورة برج بابل وغيرهما ومن قصص الآباء الأولين، حيث يذكر يهوه كأب لأسرة ومع مرور الزمن نجد أن الإسرائيليين يحاولون صقل هذه الأمور الشائكة التي تحول دون قيام تجانس بينها ما جاء في وصف يهوه بأنه يتجلى في ثورة البركان، وفي موضع آخر نراه الرحمن الرحيم الذي يسمع بكاء الأطفال كما أن يهوه الذي يقتص من المسيء لإساءته للأبرياء، وهكذا نجد أن يهوه في مختلف هذه القصص ينعت بمختلف

الصفات التي تحتم على دارس العقيدة أن يستعرض هذه النعوت ليخرج بصورة تكاد تكون كاملة عن يهوه[1].

ويضيف الدكتور فؤاد أثر الديانة الكنعانية على الديانة اليهودية بشكل عام: ((ثم أخذت الديانة الكنعانية تؤثر في الإسرائيلية حتى اعتقدت أن كل مكان مقدس يجب أن يقع على جبل أو تحت شجرة دائمة الخضرة أو عند منابع المياه، وكذلك حيث الأحجار والكهوف وإن كان معظمها يقع في الأماكن المرتفعة كما تدل التسمية بإزاء جبل أونل أو ذروة، وقد نجد أيضا في الأماكن المقدسة الأعمدة المعروفة باسم المصبيم وقد تعني عضو التناسل للرجل وطقوسه واستخدام هذه الطقوس.

أما المصبيم فقد نشأت عن تقديس الأحجار التي ترمز إلى مقعد العبور أو أن هذا الحجر يشير إلى مكان مقدس، تكوين٢٨/١٠/ و٣١/٤٥/ ويشوع٤/٥/و٢٤/٢٦-٢٧/، وقضاة٦/٢٠-٢١/ والمزمور٢٧/٥-٦/ وتثنية٣٢.

ومن أهم هذه الأشياء التي كانت توجد في المكان المقدس أيضا المذابح لوضع القرابين عليه وهذه المذابح ليست على وتيرة واحدة بل هي مختلفة، فهي حينا موضوعة في الحائط وغالبا ما تكون لها قرون، وهذه المذابح قد تصنع من مواد بسيطة أي من الطين أو الحجر، والنوع

---

(١). حسين فؤاد علي اليهودية واليهودية المسيحية ص١٢.

من المذابح المبنى في الحائط كان أكثرها انتشاراً وهي من النوع المعروف باسم النوع السوري الفلسطيني))[1].

ولعل التأثير قد بلغ في التوراة أنهم سرقوا الأسماء، ففي الأسماء المعينة لودلوت كاهن وكاهنة وقد أخذ اليهود هذا الاسم لاوي فجعلوه سبط الكهنة.

أما الباحث صابر عبد الرحمن في كتابه اليهود بين الدين والتاريخ فقد أعطانا في بحثه نقداً ممتعاً وكشف لنا عن حقائق اليهود في التاريخ، ورأى في اليهود أكواماً من ركام غير متفقة تقوم على التناقض والأهواء لا يربط بينها أي رابط ولا يحكمها دليل أو يؤلف بينها شيء، غموض وتناقضات وادعاءات واجتراءات ويبرهن بصورة قاطعة على أن اليهود كانوا نقلة حتى في دينهم عن أديان ما بين النهرين،والدين رغم الوثنية في حضارة ما بين النهرين إلا أن له دوراً فعالاً في الحضارة، ولما حلَّ بنو إسرائيل في بلاد ما بين النهرين نقلوا عنهم هذا الدور ولكنهم لم يكونوا بالنقلة المهرة أيضاً، أقول ورغم أن الصورة الدينية التي تصادف عليها حضارات ما بين النهرين وهي حضارة كشأن الحضارات القديمة قائمة على التناقض، إلا أننا نود بالإتيان على دور العقيدة الدينية القديمة وما يتعلق بها أن نثبت ونؤكد أنه ليست الجماعات الإسرائيلية واليهودية وحدها التي كانت في التاريخ، أول من تعلق بالعقيدة الدينية وحاول

---

(١). المصدر السابق ص٥٥.

التطهر بها، وهذا هو ما دعانا إلى أن نلقي نظرة على العقيدة الدينية القديمة.

ونستطيع مثلاً أن نتلمس دور العقيدة الدينية في حياة شعوب منطقة الرافدين، ولتكون أيضاً هذه الصورة دليلاً على أن أفكار النقاء الديني رغم مراحل الوثنية الأولى لم تكن حكراً على بني إسرائيل وحدهم بل كانوا ناقلين ومتأثرين بغيرهم، فمن هذه الصورة نرى أنه حتى الأدب والسلوك العام كان لا يخلو من مسحة دين وعقيدة حياة(١).

ويأتي الباحث الدكتور صبري جرجس فيرى في كتابه التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي أن التوراة منقولة من قصص عن التراث الشرقي لما بين النهرين وخاصة الطوفان، فهو عبارة عن فيض كبير في حوض البحر الأبيض المتوسط، أو في بلاد جورجيان وبحر قزوين وعلى آية حال فقد أخذ اليهود قصة الطوفان عن مخطوطات سابقة وجدت قبل أن يوجد بنو إسرائيل وتوراتهم.

((وتبدأ التوراة بقصة الخليقة كما تصورها اليهود وتستطرد هذه القصة حتى تصل إلى حادثة الطوفان الشهيرة، ويبدو أن قصة الطوفان هذه منتشرة على نطاق واسع في التراث القديم، وقد تعكس معها ذكريات فيضان كبير بحوض البحر الأبيض المتوسط في العصر الحديث للبشرية أو قد تعكس كارثة عظمى أصابت منطقة جورجيا وبحر قزوين،وأياً ما كان الأمر فقد كشفت الحفريات عن نصوص بابلية لقصة

---

(١).طعمة صابر عبد الرحمن اليهود بين الدين والتاريخ ص٥٣٣.

الخليقة والفيضان سابقة على الوجود اليهودي، ومن ثم فقد استقر في يقين كثير من المؤرخين أن الإصحاحات العشرة الأولى سجلت هنالك في القرن السادس قبل الميلاد))[1].

ولا يرى هذا التأثير فقط في التوراة، وإنما هناك عناصر أخرى استمدها من الأقوام الذين خالطوا اليهود سواء كانوا في الأسر أم في الشتات، ومن ثم يقرر أن هذه الفترة تركت فيهم آثارا مهمة وبصمات واضحة من التأثير بجيرانهم، وليس في الوسع أن نذكر كل آثار السبي على الفكر اليهودي خارج النطاق الديني السياسي الذي أشرنا إليه، ولكن حسبنا أن نذكر قليلا من الأمثلة له فقد اندمج الألوف من اليهود في البيئة التي عاشوا فيها حتى امتصتهم وتفرق عدد آخر من مناطق مختلفة من بلاد العالم المتاخمة لفلسطين كمصر والجزيرة العربية وتأثر الأنبياء أيضا بما صادف قومهم فصاغ حزقيال الخيال البارع الذي ألبسه على غرار ما شهد من عجائب البخت وغيره من الفنون البابلية واستمد سفر أيوب مفهوم الشيطان من الديانة الفارسية فصوره واحدا من خدام الله يترل إلى الأرض متجولا فيها لكي يراقب إذا كان أهلها ينفذون الوصايا الإلهية أو يهملونها ثم يعود بعد ذلك مع أبناء الله الآخرين ليقدم تقريره إليه وقد امتد هذا المفهوم إلى عهد الملك داريوس الفارسي فذكر النبي

---

(١). جرجس صابر التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي ص٣٢.

زكريا أن الشيطان كان يقوم بنفس المهمة أن يراقب الكاهن الأكبر يشوع إذا كان نقي القلب وهو بحضرة يهوه[1].

ولي على هذا النص مايلي:

١. إن الشيطان كما نقله سفر أيوب لا يمت إلى الشيطان المذكور عند الفرس، وإنما هو الشيطان المذكور عند البابليين، والمنقول عن العرب، فالفرس يعتقدون بوجود إلهين إله الخير وإله الشر ولا يؤمن سفر أيوب بأن إبليس إلهاً للشر وممثلاً له.

٢. إن سفر أيوب عربي حسبما أشرنا إليه سابقاً ولهذا فاليهود حينما نقلوه تأثروا بالعرب و لم يتأثروا بالفرس.

٣. حتى في التراث العربي دور إبليس ليس دور المراقب، وإنما هو دور الغواية والضلال ولربما كان التأثير هذا بالتراث البابلي.

ويتابع صبري كلامه ولما كان الإسرائيليون أهل بداوة وعهدهم بتقاليد الحضارة لم يبدأ إلا في عهد الملكية فقد وجدوا في قواعد المجاملة الرسمية لمصر القديمة مجالاً كبيراً للنقل والاقتباس.

ويعقد الدكتور صبري الكثير من المقارنات بين نصوص التوراة والنصوص الأخرى سننقلها في حينها.

أما الدكتور سيد طنطاوي في كتابه بنو إسرائيل في القرآن والسنة فإنه يقرر أن الأسر البابلي الذي عاشوا فيه سنين طويلة قد ترك فيهم آثاراً كثيرة من عادات وأخلاق وديانة وفكر ويركز الدكتور سيد

---

(١). المصدر السابق ص٣٧.

الطنطاوي على أثر الحضارة البابلية بشكل واضح فيقول: ((عاشوا أسارى في بابل زهاء خمسين عاما قلدوا فيها عادات البابليين وأخذوا عنهم الكثير من شعائرهم وآدابهم واشتركوا في وظائف وأعمال الدولة تحت رقابة البابليين))[1].

أما غوستاف لوبون صاحب كتاب اليهود في تاريخ الحضارات الأولى فهو على الرغم من تربيته الغربية على العهد القديم إلا أنه حاول أن يكون منصفا ويرى أنهم أخذوا من كل الأمم لكنهم لم ينتقوا الأفضل ولكنهم اقتبسوا الأسوأ والأخس ((فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما في حضارتها و لم يقتبسوا سوى عيوبها وعاداتها الضارة ودعارتها وخرافاتها فقربوا لجميع آلهة آسية، قربوا لعشتاروت ولبعل ولمولك من القرابين ما هو أكثر جدا مما قربوه لإله قبيلتهم يهوه والحقود الذي لم يثقوا به إلا قليلا لطويل الزمن على الرغم من كل أنذار جاء به أنبياؤهم وكانوا يعبدون عجولا معدنية ويضعون أبناءهم في أذرعة محررة من نار لمولك وكانوا يحملون نساءهم على البغاء المقدس في المشارق))[2].

ويتتبع غوستاف سقطات التوراة ودعارات القوم وأخطاءهم ويرى في اليهودية أنها ليست إلا نتاجا مختلفا من فكر الأقوام الذين خالطوهم من السومريين والأكاديين والآراميين والبابليين ويعزو غوستاف عبادة

---

(١). طنطاوي سيد محمد بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص١٣.

(٢). لوبون غوستاف اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص٢٠.

العجل التي قام بها بنو إسرائيل إلى أنها كانت معروفة في جميع أسيا وهو من أصل كلداني وكان بنو إسرائيل يعبدون العجول المعدنية بعد خروجهم من مصر بزمن طويل لارتوائهم من مياه ما بين النهرين الدينية وكان هذا هو الوجه المفضل الذي يرمزون به إلى يهوه.

ومن مصر لم يقتبس بنو إسرائيل سوى جزئيات ظاهرة أي صدرة الأحبار وتابوت العهد أو الناووس السهل النقل المشتمل على يهوه في شكل حجرين، ومما يذكر أن فرعون مصر وهو المساوي للآلهة هو الذي كان يحق له وحده أن يفتح الناووس وأن يرى الشعار المرهوب الحافل بالأسرار، وفي اليهودية كان يحق للحبر الأعظم وحده أن يدخل مرة واحدة في العام الواحد قدس القداس حيث تابوت العهد، وكل ما استطاعه بنوا إسرائيل هو أنهم اقتصروا على اقتباس تلك الخرافات من الحضارة المصرية العظمى التي هي أسمى من مستواهم بمراحل، وبنو إسرائيل كانوا يتركون تلك الخرافات كلما أشبعوا من المعتقدات الأسيوية وآخر ذكر لتابوت العهد ورد في سفر أرميا، فبعد أن تكلم هذا النبي عن انتصارات إله روحاني واحد بين بني إسرائيل أضاف إلى ذلك قوله: يقول الرب إنهم لا يقولون بعد تابوت عهد الرب ولا يخطر على بال ولا يذكرونه ولا يتعهدونه ولا يصنع بعد، أرميا ٣/١٦/.

وفي وادي الفرات نشأت الديانة اليهودية أو على الأصح مختلف العبادات التي مارسها بنو إسرائيل وذلك بين إقامتهم في فلسطين وعودتهم من أسر بابل، حتى أن أسماء آلهتهم تدل على أصلها الأكادي في

الغالب فكلمة إيلوهيم هي جمع لكلمة إيل التي تجيء في كلدة بمعنى الإله، وكلمة بابل فيما بين النهرين تجيء بمعنى باب إيل: باب الله، كما أن بيت إيل تأتي في اليهودية بمعنى بيت الله، والمكان الذي قاتل فيه يعقوب الرب سمي فينوئيل أي وجه الله، وتسمى هذا الراعي إسرائيل الذي هو أقوى من إيل أسر الرب(١).

وليس بعل الذي جعله بنو إسرائيل منافساً ليهوه والذي اختلط به في نهاية الأمر بعل كلدة، وإنما انحدرت منه على وجه غير مباشر أي بعد أن جاوز فينيقية حيث استعاره العبريون، وإذا عددت دائرة السماء التي هي أمر ظاهري إلى الغاية وجدت أساس الدين يدل على أية دائرة من الأساطير صدرت عنها معتقدات اليهود، فمن ينظر إلى نظام الكون البابلي القديم الذي وجد في الكتب السماوية والذي هو أقدم من تاريخ التوراة بعدة قرون يبقى مشاهته الكونية التي وردت في سفر التكوين والتي ليست إلا نسخة بسيطة عنه.

وما تراه في سفر التكوين من أقاصيص فبراعة التأليف وقوة الخيال يجاوز قابليات اليهود بمراحل لا يحصيها عدد.

ويتضح سر المعجزة ويزول افتراض الوحي عندما ترى فاتحة التوراة، وفي كتاب حكماء كلدة التي هي أقدم من سفر الخروج بزمن طويل(٢).

---

(١). لا أرى أن إسرائيل يعقوب ارجع إلى كتاب جذور اليهود.

(٢). لوبون غوستاف اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص٦١.

ويعلق رينان على أصل الكونية التوراتية بأنها من أصل كلدي بابلي ويضيف على ذلك عدة قصص أخرى وردت في التـــوراة ذات أصـــل بابلي: ((لم يخترع الراعي البدوي تلك الأقاصيص الرائعة بـــل أوجـــب نجاحها، و لم تكن الكونية الكلدانية لتعم العالم بشكلها الرائد الـــوارد في نصوص الآشورية، فكان لا بد من القريحة السامية لتبسيط تلك الكونيـــة في الوقت الذي أرادت فيه النفس البشرية مبادئ واضحة حول مــــا لا يعرف بوضوح، فغدت الغرائب التي كانت تظل مختفية في حشـــــويات الشرق من الأمور البديهية وتمت هذه المعجزة بفضل خيال بني إســـرائيل الجلي القانع، وما كان غريباً في تاريخ كلدة بدا في أقاصيص التوراة مـــن الصحة والسهولة ما رأت فيه سذاجتنا الغربية تاريخاً معتقدة أنها إذا مــــا انتحلت هذه القصص قطعت صلتـــــها بالأســـاطير الأولى، ولا تبصـــر الأساطير الكلدانية في سفر التكوين وحده بل تجد لها آثاراً في أسفار أقـــل قدماً منها على وجه أقل وضوحاً، فمن ذلك قصة شمشون التي وردت في سفر القضاة.

يمثل شمشون الهرقل الإسرائيلي بقدرته الغريبة وأعماله التي كـــــان ينجزها بوسائل بسيطة جداً والواقع أن هرقل من أصل بابلي ويتجلـــــى مثاله في نينيب المعروف ذلك الإنسان الآشوري الأكادي العجيب الـــذي كان يقتل الأسد بيد واحده، و لم يكن اسمه شمشون مع ذلك، بل كـــــان

شمشون الذي معناه الشمس أي نصف الإله الذي كان يوجد على ضفاف الفرات[1].

النص الذي أوردته لرينان نقلاً عن غوستاف لوبون لي عليه ما يلي:

١. إن رينان متعصب لليهود ضد العرب والشرق العربي ولهذا نلحظ لديه الكلمات التالية: أوجب نجاحها، لا بد من القريحة السامية، تمت هذه المعجزة بفضل خيال بني إسرائيل، وبدا في أقاصيص التوراة من الصحة والسهولة، وهذه الكلمات تدل على حب وتآلف مع اليهود وتعصب واضح ضدنا.

٢. الحق على الشعب العربي كله يبدو واضحاً من كلمات رينان في الكلمات التالية: لم تكن الكونية الكلدانية لتعم العالم بشكلها الرائد حول مالا يعرف بوضوح، غدت الغرائب مختلفة في حشويات الشرق، كان غريباً في تاريخ كلدة.

٣. القريحة السامية ويقصد بها قريحة اليهود وقد أخذ هذه الكلمة من العنصرية اليهودية القائلة بأنهم الساميون، ونسي رينان أن التوراة صنفت البابليين والآشوريين من الساميين.

٤. رغم تعصبه المقيت لليهودية لم يستطع إنكار التأثر بأساطير بابل وآرائها ومعتقداتها.

(١). المرجع السابق ص٦٣.

٥. أراد أن يوازن بين أنينيب وشمشون ولكنه قارن بينهما من ناحية القوة وسكت عن بقية الأوجه لأنه لو أوردها لبان أن اليهود لم يقتبسوا لكنهم مسخوا، فأنينيب وجه قوته من أجل الفضيلة و لم يوجهها للشر كما فعل شمشون، إن شمشون اليهودي إن كان له وجود فلم يكن له عمل إلا العهر والحياة بين العاهرات وقد فتن بدليله التي استطاعت أن تنهي أسطورته فمات أعمى بين أعمدة المعبد الذي هاره فوقه وفوق الناس قائلاً عليَّ وعلى أعدائي، فأين هذه القريحة السامية التي تطل علينا عند اليهود؟

وأين هذا الخيال الرحب الذي يتمتع به اليهود؟

إنها أوهام التعصب المقيت الذي يحياه الغرب ويطل علينا بأفكاره التي يحاول تطبيقها علينا بين الفينة والأخرى.

أما الكاتب محمد محلا صاحب كتاب الخرافة التوراتية فقد أدى شهادته في اقتباس التوراة لأساطير بابل وقصصها فقال بعد أن أورد نص أولمستد الخبير في تاريخ فلسطين:

((إن وقفة متأنية عند المفردات التي منها النص تضع الدارس أمام جملة من الحقائق منها:

١. إن أدبيات التوراة اليهودية ليست نتيجة حضارة اخترعها اليهود، وليست نتيجة مساهمتهم في الحضارات التي عايشتها

المنطقة ولكنها سرقة من حضارات الشعوب التي تعتبر هـــذه المنطقة موطنها الأصلي مثل الكنعانيين والبابليين.

٢. بعض محتويات التوراة التاريخية خاصة التي تؤكد الخرافة وتقول بالقتل والإبادة الجماعية واحتلال الأرض والشـــعب المختـــار وعبودية هذه الشعوب له والتفوق والتمييز العنصري هذه كلها ابتدعها العقل اليهودي متمثلاً بتلك العقول المرضية للأحبـــار الذين كتبوا التوراة.

٣. أكد وترمن وأولمستد وغيرهما من علماء التاريخ والآثـــار أن مجموعة الشرائع التي كانت قبل القرن السادس قبل الميلاد هـــي ذاتها الشرائع التي تضمنتها التوراة اليهودية من حيث الأعيـــاد والتقاليد والأشعار والأمثال.

٤. أحبار اليهود كتبوا في وقت لم ينافسهم فيه أحد لأن مســـألة البحث والتحليل ودراسة الآثار وقراءة النصـــوص التاريخيـــة بالاعتماد على قرائن حضارية لم تكن مجتمعات هذه المنطقـــة تدرك أبعادها وعواملها، ولذلك كانت السرقات اليهودية غـــير محدودة تحت غطاء اسمه التوراة، وفي حقيقة الأمر ليست تـــوراة موسى، والكهنة الذين كتبوها يرفضون إلا دين يهوه وإليـــه ينتسبون وقد جاء هذا متأخرا جدا بالنسبة للديانة الموســـوية ديانة التوحيد والإخاء بين الناس.

٥. اعتمد الكنعانيون على شريعة حمورابي فنسقوا شرائعهم ونقحوها وصهروها مما جعلها أكثر تطوراً وشمولية لميادين الحياة وهذه الشرائع المنسقة والمنقحة هي ذاتها التي كانت موضع اهتمام كهنة اليهود وأحبارهم فسرقوها وتضمنتها توراهم وكتبهم الدينية الأخرى، ومع هذا فإنه لم تكن بغير اللغة الكنعانية كتابة وقراءة ولغة وتعامل)) [١].

وهكذا تولد اليهودية في فلسطين و لم تكن الديانة التي قال بها موسى و لم يكن اليهود من أتباعه.

وأما السيد القمني في كتابه قصة الخلق، ولقد اعتمد على أراء فون كريمر في نقله عن تأثر التوراة في السومريين كما ينقل عن بوتبر ورأيه في أثر السومريين في التوراة، كما ينقل عن عبد العزيز صالح تأثر الفكر البابلي بالفكر السومري وتأثير الفكر البابلي بالفكر التوراتي، ويرى السيد القمني أن الأثر أبعد مما يتصور الإنسان فيورد أسطورة الخلق عند السومريين وأسطورة الخلق عند البابليين ليقارنها بأسطورة الخلق عند اليهود.

ويقرر أن هذه الأسطورة أخذ بعضها من بعض وكل واحد اتكأ على من سبقه وعدَّل هذه النظرية حسب ظروفه.

وحسبي أن أسوق هذا المثال الذي ورد عن السيد القمني في رأيه في التوراة:

---

(١). محلا محمد الخرافة التوراتية ص٢٧.

((إن عدم الاستقرار في مكان واحد مدة طويلة أدى إلى تغيرات مستمرة في العقائد والعبادات التي أخذت تصطنع مع كل ارتحال بألوان متعددة فجاءت دياناتهم بعد جمعها مزيجاً متنافراً من الألوان عديمة الاتساق والتمازج مما أدى بباحث متحيز لليهود أيغارلسنر إلى القول عما خرج به من دراسة الكتاب المقدس: إن تابوت العهد يعود بنا إلى مساكن آلهة النيل المتنقلة وآثار السحر يرجع إلى مصر كما تذكرنا قصة الطوفان والأرقام الغامضة ببابل ويصير الإله البابلي جلجامش نمروداً وتصبح شيران آشور المنح كروبيم العبراني كما أسطورة الجنة وشخصية الشيطان أهريمان وعالم الملائكة ورؤساء الملائكة تعيد إلى أذهاننا بلاد الفرس ونتعرف على بعل إله الفنيقيين والكنعانيين في أسماء أشبعل ويربعل.

كان الفلسطنيون الذين يحتمل أن يكونوا وفدوا أصلاً من كريت ينظرون إلى اليمامة أصلاً كآلهة أما السمكة التي عبدت في عسقلان فتظهر في قصة يونان))[1].

ومن كان هذا اعترافه فلا أدل على أن التوراة لن تكون في نظره إلا بعيدة عن منابع الوحي الإلهي وبعيدة عن أن تكون كلام الله.

يقول السير فرنز كلر في كتابه المشهور الكتاب المقدس كتاريخ: بقدر غريب من السذاجة أو ادعاء السذاجة وبشكل قد يكون منشؤه الورع وقد يكون انصياعاً وأنه تبين بعد اكتشاف مدينة أور وظهورها

---

(١). القمني السيد قصة الخلق ص٩٩.

من خلال الحفائر كعاصمة متحضرة كبرى من عواصم الممالك التي ازدهرت في العالم بآلهتها ومعابدها وتراتيلها الدينية أي بثقافتها التي لا مهرب من التسليم بأن كل من عاش في رحابها لا بد أنه تأثر بها ومن المؤكد أن إبراهيم لم يكن قد عاش هناك لماذا؟ يقول الهركلر لأن ذلك من شأنه أن يناقض تماماً الصورة التي صور بها العهد القديم نوعية الحياة التي عاشها ذلك الأب إبراهيم، كما صورته التوراة كان ساكن خيام وكان ينتقل بقطعان من مرعى إلى مرعى ومن بئر إلى بئر، ولم يكن حضرياً ساكن مدن بل صور في التوراة بدوياً رحالاً.

ويعلق شفيق مقار على هذا النص إلى هذا الحد من إبطال العقل يمكن أن تقود التعبير أفضل العقول فالهركلر رجل عالم بحّاثه يقول بهذا الكلام الذي أوردناه أنه لا يجوز أن تتناقض صورة أبرام وطريقة حياته مع ما صوَّرته التوراة إلا أنه يجوز عملاً على التخلص من ذلك المأزق المتناقض مناقضة صريحة لنص من نصوص التوراة ذاتها هو النص الذي يقرر أن إبراماً وقومه عاشوا في أور الكلدانية وأن خروجهم إلى أرض كنعان كان منها(١).

ونحن مع فرانز كلر بين أمرين:

١.أن لا تكون أور مدينة إبراهام وحينها كذب نص التوراة.

٢.أن لا تكون حياة إبراهام راعياً متنقلاً، وحينها كذب نص التوراة وفي الحالتين يبقى النص كاذباً والحادثة مفتعلة.

---

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة والعهد القديم ص١١٩.

أما الباحث فريدمان فقد قال عن عزرا هو الذي أبدع لنا العمل الذي ظللنا نقرؤه تلك السنين بكل كتاباته المقدسة فهو الذي جمع كل تلك الحكايات والشرائع التي مارست تأثيراً على ملايين البشر بألف طريقة وطريقة وأعطاها الشكل النهائي فهل ذلك تأثيره أم تأثير من ألفوا المصادر التي جمعها؟

أم لعله يكون من الأفضل أن نتحدث هنا عن شركة أدبية أسهم فيها كل أولئك المؤلفين وهي شركة لم يخطر لمعظمهم ببال أنها ستقوم فيما بينهم[١].

ولا ننسى أن فريدمان يهودي وهو يشهد هذه الشهادة بأن عزرا هو الذي أبدع هذا العمل الفني الأدبي وله الفضل في ذلك فالكتاب الذي بين أيدينا وما يدعى بالكتاب المقدس ليس له صلة بالله ولا بالقدسية إن هو إلا نتاج أيد بشرية منها من يتحرى الصواب ومنها من يتعمد الخطأ، ونحن مع الاثنين لا تكون لنا قناعة بأن ما سجلوه هو وحي يوحى.

تقول السيدة إيلين ج وايت نبية الطائفة السبتية في تعليقها على أصالة الكتاب المقدس وصحته: ((إن الكتاب المقدس اليوم هو نتيجة عمل نساخ عديدين استطاعوا في معظم الأحيان أن ينفذوا عملهم بإتقان مدهش، ولكن النساخ لم يكونوا معصومين عن الخطأ، والرب في هذه الأحيان لم ير ضرورة حفظه من أخطاء النسخ، وعندما كانت نسخه

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص٤٦.

قليلة قام بعض رجال الدين في بعض الأحيان بتغيير بعض الكلمات ظناً منهم أنهم كانوا يبسطونها ولكنهم كانوا في الحقيقة يجعلونها أكثر غموضاً لتسببهم في ميلهم إلى آرائهم التي كان يحكمها التقليد في ذلك العصر))(١).

إننا أمام هذا النص نأخذ ما يلي:

١. لاحظوا كلمة معظم الأحيان إذن هناك بعض الأحيان أخطأوا فيها و لم يتقنوا عملهم.

٢. لم يكونوا معصومين عن الخطأ هذه الكلمة تبرر الأخطاء التي وقع فيها كتبة التوراة.

٣. اعترفت بالإضافات التي أضافها رجال الدين وأحدثت إرباكاً.

٤. اعترفت اعترافاً صريحاً بأن هذا الكتاب ليس كتاب الله.

كتب المفكر الساخر برناردشوا عن الكتاب المقدس: امنعوا هذا الكتاب إنه من أخطر الكتب الموجودة على وجه الأرض احفظوا الكتاب المقدس بعيداً عن متناول الأطفال، إن قراءة قصص الكتاب المقدس للأطفال يفتح الباب لعرض مناقشة العبرة وراء الجنس وإن الكتاب المقدس إذا لم يهذب وينقح قد تعتبره مجالس الرقابة صالحاً للكبار فقط لمن جاوزوا سن الثامنة عشرة من العمر. الحقيقة المجردة أكتوبر ١٩٧٧.

وأحب أخيراً أن أنهي هذه الجولة مع الكاتب الباحث جورجي كنعان في وثيقة الصهيونية في العهد القديم فهو يرى الأثر الكنعاني

---

(١). ديدات أحمد هل الكتاب المقدس كلام الله ص٣٣.

واضحاً ويستشهد بالتوراة حينما أوردت ملكي صادق ملك أورشليم وهو يهنئ إبرام في انتصاره على الغزاة ويدلك على سمو روح الكنعانيين وتعرفهم على الإله إيل.

ولكن المعتقدات التي خلفها الكنعانيون محفورة على جدران معابدهم والابتهالات التي رددت صداها قباب هياكلهم فيها دلالة قاطعة على سمو نظراتهم إلى الله والإنسان وعلى نضجهم المبكر، لقد عرفوا إيل الله وأسكنوه السماء البعيدة فرفعوا القيم الخلقية من حفيف المادية إلى القيم الروحية(١).

---

(١). كنعان جورجي وثيقة الصهيونية ص٣٢.

المصادر

١.محمد حميد فوزي عالم الأديان

٢.مقار شفيق السحر في التوراة

٣. همو عبد المجيد بابل ولصوص التوراة

٤.مقار شفيق الجنس في التوراة

٥. الكتاب المقدس

٦.شربنتية اصطفان دليل إلى قراءة الكتاب المقدس

٧.ديدات أحمد هل هذا الكتاب المقدس كلام الله

٨.كنعان جورجي تاريخ يهوه

٩.سوسة أحمد العرب واليهود في التاريخ

١٠.مورتكات تاريخ الشرق الأدنى القديم

١١.ديورانت ول قصة الحضارة الجزء الثاني

١٢.بريستد جيمس هنري فجر الضمير

١٣.البار محمد علي مدخل لدراسة الدين اليهودي

١٤.كريمر فون أساطير سومرية

١٥.ليوتاكسل التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير

١٦.حسين فؤاد علي اليهودية واليهودية المسيحية

١٧.طعيمة صابر عبد الرحمن اليهود بين الدين والتاريخ

١٨.جرجس صابر	التراث اليهودي الصهيوني والفكـــــر الفرويدي
١٩.طنطاوي سيد محمد	بنو إسرائيل في القرآن والسنة
٢٠.لوبون غوستاف	اليهود في تاريخ الحضارات الأولى
٢١.عبد المجيد همو	جذور اليهود أمام النقد التاريخي
٢٢.محلا محمد	الخرافة التوراتية
٢٣.القمني السيد	قصة الخلق
٢٤.مقار شفيق	الجنس في التوراة والعهد القديم
٢٥.كنعان جورجي	وثيقة الصهيونية

كتب صدرت للمؤلف

الفكر اليهودي:

١. بلقيس بين الحقيقة والأسطورة.

٢. هاجر بين الحرية والعبودية.

٣. بابل ولصوص اليهود.

٤. التوراة تحريف وتزوير:

- التاريخ.
- حقيقة إسرائيل.

٥. القدس في التاريخ.

٦. أنبياء القرآن.

النوع الأدبي:

١.ديوان شعر البراعم

٢.تحقيق ديوان الإمام الشافعي رضي الله عنه

٣.تحقيق ديوان الإمام علي رضي الله عنه.

٤.تحقيق شرح الشيباني للمعلقات التسع.

النوع الفلسفي:

فصل المقال فيما بين الحقيقة والحكمة من الاتصال.

كتب تحت الطبع

١. ديوان عنترة دراسة.

٢.صرخات عربية.

٣.نفي الطغيان رد على محمد شحرور.

٤.إحياء علوم الدين للإمام الغزالي تحقيق ودراسة

٥.ديوان صرخة عربية.

٦.التوراة تحريف وتزوير:

التاريخ جزء ٣ وجزء ٤

الجغرافيا جزء ١ وجزء ٢

الدين جزء ١ وجزء ٢

٧.مصادر التوراة:

١. التوراة من كتبها

٢. بابل وتحريف التوراة

٣. الكنعانيون والتوراة المحرفة

٤. الديانة الفرعونية وأثرها في التوراة

٥. الأثر الفارسي في التوراة

٦. التوراة وفلسطين

٧. هل الديانة اليهودية سماوية

الفهارس

سلسلة مصادر التوراة

(٢)

بابل
وتحريف التوراة

عبد المجيد همو

الإهداء

إلى بختنصر محرر القدس

إلى حمورابي صاحب الشريعة الأولى
في تاريخ البشرية

إلى عمر بن الخطاب فاتح القدس

إلى صلاح الدين محرر القدس ثانية

أقدم هذا الكتاب متواضعاً أمام عظَمتهم

عبد المجيد همو

كفر تخاريم

مقدمة:

تطرقت سابقاً في كتابي بابل ولصوص اليهود إلى ما سرقه اليـهود حينما سجلوا توراتهم فيها وتحت ظلال كتب البابليين وما سرقوه مـــن عادات وتقاليد ولغة.

واليوم أعود من جديد لأبين هذا الأثر في التوراة فقط وكيـــف حرف كتبة اليهود التوراة وكتبوا عنها عوضاً من تراث بابل وأســـاطيره وشرائعه.

ولاسيما أسطورة التكوين والطوفان وآدم وكيف ادخلوا ذلك في كتابهم المقدس.

فقد دخل الفكر البابلي في كتاب التوراة وكان عاملاً من عوامـل التحريف اليهودي لكتاب التوراة لأنهم رأوا في بابل حضـــارة شـــامخة لا يمكنهم أن يصلوا إليها في توراتهم فأخذوا من هذه الحضارة وأدخلوهـــا في كتابهم التوراتي بعد أن فقد هذا الكتاب منذ ألف سنة تقريباً ولم يعد منها إلا ظلال باهتة، فأخذوا الفكر البابلي وأدخلوه التوراة زاعمين أنها التـوراة الأصلية.

التكوين

جمع العهد القديم بعد أن ضاعت الكتب التي كتبها الأخبار في عهد الملوك كما فقدت التوراة في عهد طالوت وقد ناقشنا هذا سابقاً وجلس الكتبة يقودهم عزرا فسجلوا ما يسمى بالتوراة في ذلك العهد وبعد سقوط بابل وكانت كنوز بابل موجودة أمامهم فاغترفوا منها ما اغترفوا وضموه إلى تراثهم، ولقد رأينا الشريعة التي اغترفوها من شريعة حمورابي في كتابي بابل ولصوص اليهود.

اعترف أكثر الباحثين في هذا الأثر ويمكن البحث في العديد من النقاط التي وردت في التوراة لنتعرف إلى موطنها الأصلي بابل وفي هذا يقول الدكتور عدنان البني ((المرويات التوراتية هي أصلاً مأخوذة من التقاليد الكنعانية والبابلية والمصرية ومن البدهي أن يظهر الاقتباس في المرويات المتأخرة فالحصان يكون أمام العربة لا وراءها مع ملاحظة الفرق الشاسع بين عهد إيبلا وتاريخ ظهور التوراة إذ المعروف أن بداية كتابة التوراة من قبل أحبار اليهود في عام ٥٣٧ ق.م في بابل أيام السبي والنفي))[١].

وأول ما يشد الانتباه في الفكر التوراتي المأخوذ عن بلاد سومر وبابل (مابين النهرين) فكرة خلق الله الإنسان على صورة الإله وأن له معبداً وبلاداً[٢].

---

(١).الدقاق د عمر: إيبلا منعطف التاريخ ص ٧٧.

(٢). عبد المسيح جورج متري: فكرنا الديني بين التحريف والتعريف ص ٣٠.

وردت هذه الفكرة في العديد من الأماكن التوراتية ((وقال الله نعمل على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته، الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا وأملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض))[1].

ولقد قدمت في كتابي بابل ولصوص اليهود دراسة مفصلة عن أثر البابليين في التوراة والشريعة فيها وسأقف هنا عند عدة نقاط شارحا أثر ذلك:

١. التشابه بين الطريقة السومرية وطريقة التوراة في تقدير الأعمار مما يؤيد اقتباس مدوني التوراة الطريقة السومرية ذاتها فقد ورد ذكر أشخاص في التوراة قيل عنهم إنهم عاشوا ثمانمائة أو تسعمائة سنة وهذه الطريقة نفسها اتبعها السومريون الأوائل في تدوين مدد حكم ملوكهم.

فمن جملة مدوناتهم أن ثمانية من ملوكهم حكموا قبل الطوفان مدة /٢٤١٢٠٠ سنة/ وفي جدول آخر يرتفع هذا الرقم إلى/ ٤٥٦٠٠٠/ سنة وهذه الأرقام الخيالية في تدوين عمر الأشخاص مازالت لغزا لم يتوصل علماء الآثار إلى حله حتى الآن.

---

(١). العهد القديم سفر التكوين ص١/٢٦-٢٨/.

وأرى أن هذه الأرقام التي وضعوها ليست إلا تعبيرا عن قدم الإنسان على هذه الأرض وأنه أقدم مما تصورته التوراة بأن من آدم وحتى ميلاد المسيح لا تتجاوز مدة أربعة آلاف سنة على وجه التقريب إلا قليلا وهذه أسماء الأشخاص وأعمارهم قبل نوح في التوراة:

آدم ٩٣٠ سنة.	شيث ٩١٢ سنة
آلزشر ٩٠٥ سنة	قينان ٩١٠ سنة
مهللئينل ٨٩٥ سنة	يارد ٩٦٢ سنة
أخنوخ ٣٦٥ سنة	متوشالح ٩٩٩ سنة
لامك ٧٧٧ سنة	نوح ٩٠٠ سنة

وأكدت الكتب المقدسة الزمن الذي مر في تكوين الخلق.

٢. من البدهي لم يكن هنالك زمان ما يعرف لأن الزمن لم يعرف إلا بعد الخلق ودوران الأرض حول الشمس والذي قدر بيوم واحد.

٣. إن الكون يختلف من كوكب لآخر بطوله حسب بعد الكوكب عن الشمس وسرعته حولها.

٤.أعطانا القرآن الكريم بعدا زمنيا عن يوم التكوين حينما أشار إلى أن يوما عند الله يقدر بخمسين ألف عام مما نعد نحن ولهذا يمكننا بكل هدوء أن نقول إن تشكل هذا الكون قارب حتى ما يعادل /٣٠٠٠٠٠/ ثلاثمائة ألف سنة حتى تم تفصيل كل هذا الكون بشكل مجموعته الشمسية.

٥. لم يبين أي كتاب مقدس أية إشارة حول تشكل هذا الكـــون الكبير والمجموعات الشمسية الأخرى ولا حتى المجرات الأخرى.

والتشابه بين قصة الخليقة البابلية السومرية وما بين قصة الخليقـــة في التوراة واضح وكبير.

((في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربـــة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه، وقـلل الله ليكن نور فكان نور ورأى الله أنه حسن وفصل الله بين النور والظلمـــة ودعا الله النورا نهارا والظلمة دعاها ليلا وكان مساء وكان صباح يومـــا واحدا، وقال الله ليكن جلد وسط المياه وليكن فاصلا بين ميـــاه وميـاه فعمل الله الجلد سماء وكان مساء وكان صباح يومـــا ثانيـا، وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة وكان كذلك ودعا الله اليابسة أرضا ومجتمع المياه دعاه بحارا ورأى الله ذلك أنـه حسن))[1].

فإذا ما علمنا أن هذا النص كهنوتي وضع بعد أسر بابل علمنا مـا بعد نوح:

١.سام ٦٠٠ سنة	٢.أرفكشاد ٤٣٨ سنة
٣.شالح ٤٣٣ سنة	٤.عابر٤٦٤ سنة
٥.فالج ٢٣٩ سنة	٦.رغو ٢٣٩ سنة
٧.سروج ٢٣٠ سنة	٨.ناحور ١٤٨ سنة

(١). الكتاب المقدس سفر التكوين ص١/١-١١/.

٩.إبراهيم ١٧٥ سنة

هذه الأعمار التي سجلتها التوراة تبقى لغزا لا يحل إلا إذا قلنا إنهم حاولوا أن يملأوا الفراغ من آدم وحتى عصرهم.

ولي على هذه الأعمار الملاحظات التالية:

أعمار الناس حتى نوح فوق التسعمائة ما عدا أخنوخ.

جميع الذين بعد نوح أقل من ستمائة سنة.

تتناقص الأعمار كلما اقترب الزمن منا حتى إذا ما وصلنا إلى ناحور ١٤٨ سنة وإبراهيم ١٧٥ سنة.

وهذه السن قليلة جدا إذا ما قيست بأعمار ما قبل نوح.

قصة التكوين عند البابليين وكيف أخذها اليهود

لقد اختلفت الآراء والنظريات بين الأساطير الخيالية والأفكار العلمية الحديثة فالكتب المقدسة تقول بخلق السموات والأرض في ستة أيام والفرضيات العلمية تقدر عمر الكون بمليارات السنين، وما أكثر الأساطير التي قيلت في هذا المجال مدعمة بأفكار خيالية ربما تكون قريبة من العقل لما تعتمد عليه من نظريات وضعت لتفسير وتعليل مسألة التكوين هذه وكشف حقيقة البدايات الكونية.

ومهما يكن من أمر فأساطير الأولين تراجعت أمام حقائق العلم الحديث[1].

وتعليقي على هذا النص:

---

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة ص ١٩.

١. لم تنشر النظريات العلمية إلى الزمن الذي استغرق تشكل الكون ولكنها أشارت على عمر الكون وأغفلت الكتب المقدسة عمر الكون.

مدى تأثير بابل في هذه القصة ولتفصيل ذلك ننقل الجدول التالي من كتاب موريس بوكاي دراسة الكتب المقدسة فهو خير دليل على ما كتبه جماعة الكهنوت:

من الإصحاح	الآية	إلى الإصحاح	الآية	المصدر
١	١	٢	٤	كهنوتي
٢	٤	٤	٢٦	يهوي
٥	١	٥	٣	كهنوتي
٦	١	٦	٨	يهوي
٦	٩	٦	٢	كهنوتي
٧	١	٧	٥	يهوي
٧	٧	٧	١٠	يهوي معدل
٧	١١			كهنوتي
٧	١٢			يهوي
٧	١٣	٧	١٦أ	كهنوتي
٧	١٦ب	٧	١٧	يهوي
٧	١٨	٧	٢١	كهنوتي
٧	٢٢	٧	٢٣	يهوي

٧	٢٤	٨	٢ أ	كهنوتي
٨	٢ب			يهوي
٨	٣	٨	٥	كهنوتي
٨	٦	٨	١٢	يهوي
٨	١٣أ			كهنوتي
٨	١٣ب			يهوي
٨	١٤	٨	١٩	كهنوتي
٨	٢٠	٨	٢٢	يهوي
٩	١	٩	١٧	كهنوتي
٩	١٨	٩	٢٧	يهوي
٩	٢٨	١٠	٧	كهنوتي
١٠	٨	١٠	١٩	يهوي
١٠	٢٠	١٠	٢٣	كهنوتي
١٠	٢٤	١٠	٣٠	يهوي
١٠	٣١	١٠	٣٢	كهنوتي
١١	١	١١	٩	يهوي
١١	١٠	١١	٣٢	كهنوتي

فإذا ما علمنا أن الإصحاح الذي فيه الخليقة إنما هو مزيج من الكهنوتي واليهوي وأن الكهنوتي هو الذي بدأ سفر التكوين وقصة الخليقة

وعلمنا أن رجال الكهنوت لم يبدأوا كتابتهم إلا بعد الأسر البابلي، قررنا أثر الفكر البابلي في قصة الخليقة في الكتاب المقدس.

ويقول موريس بوكاي بعد أن يقدم الجدول في سفر التكوين توجد أكثر المتناقضات وضوحا مع العلم الحديث وتخص هذه التناقضات:

خلق العالم ومراحله.

تاريخ خلق العالم وظهور الإنسان على الأرض.

رواية الطوفان[1].

ويناقش موريس بوكاي أسطورة الخليقة أمام العلم الحديث ولا يهمنا الآن هذه المناقشة إنما يهمنا المصدر الذي اعتمدته التوراة في نقلها هذه الأسطورة.

وقد أشار فوزي محمد حميد إلى هذه الأسطورة عند السومريين ويعلق عليها بقوله: إن هذا التسلسل الأسطوري من الوجهة العلمية عند السومريين يعني عدة ملاحظات وقواعد جديرة بالاهتمام:

١. لم يكن في البدء موجودا سوى المياه الأولى التي صدر عنها كل شيء وكل حياة.

٢. ظهور كتلة يابسة على شكل جبل قمته السماء وقاعدته الأرض ومن لقاء القبة بالقاعدة ظهر الهواء وهو العنصر المادي الثالث بعد المياه والتراب.

٣. من صفات الهواء التمدد وبتمدد أبعد السماء عن الأرض.

---

(١). بوكاي موريس: دراسة في الكتب المقدسة ص ٤٠.

٤. عد القمر ابنا للهواء وربما يكون من العنصر الهوائي نفسه.
٥. عدت الشمس ابنة للقمر وقد فاقت أباها قوة وخلفته على عرش السماء فيما بعد.
٦. بدأت الحياة بالظهور بعد أن انفصلت السماء عن الأرض وغمرت الشمس وجه الكون بأشعتها الدافئة فظهرت النباتات ثم الحيوانات ثم ظهر الإنسان[1].

وإلى هذا أشار جورجي كنعان في قوله ((فالبداية حالة عماء سبقت التكوين والخليقة هي نوع من المياه الأولى أو البحر البدائي و لم يرد فيما وصلنا عنهم من نصوص ميثولوجية أي حديث أو تساؤل عن مصدرها وربما كانوا يعتقدون بوجودها الأزلي، ومن حضن هذه المياه البدئية انبثقت الكتلة الكونية المؤلفة من السماء والأرض عمل أنليل السيد العالي (الله) بمفهومنا على فصلهما ومن ثم أغنى السماء بالكواكب والنجوم، وأغنى الأرض بالمخلوقات.

النص السومري:

السيد الذي خلق كل شيء نافع
السيد الذي لا راد لقضائه
أنليل الذي أنبت الحب والمرعى
رفع السماء وأبعدها عن الأرض

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة ص٢١.

فالإله الذي خلق كل شيء نافع أبعد السماء عن الأرض لكي يتسنى للحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية أن تظهر على هذه الأرض(١).

ويتابع حديثه: لقد لخص لنا الكاهن البابلي برعوشا مفهوم البابليين في تكوين الخليقة بقوله:

((في البدء كان الظلام والماء، وظهرت مخلوقات غريبة التكوين على رأسها امرأة تدعى تعامت في الكلدانية التي تعني في اليونانية البحر، جاء البعل السيد بمفهومنا الله فشطر المرأة إلى نصفين شكل من الشطر الأول الأرض ومن الثاني السماء، ثم قضى على المخلوقات العجيبة وأحل النظام في الكون))(٢).

وتعد ملحمة الأينوما إبليش وثيقة هامة عن معتقدات البابليين وأفكارهم الدينية ونشأة آلهتهم وقد وجدت موزعة على سبعة ألواح فخارية مع حفريات قصر الملك آشور بانيبال.

تقول اللحمة: إنه لم يكن في البدء شيء سوى محيط مائي شاسع ممثل في الإله أبسو، وهو الماء العذب والآلهة تعامت زوجته وهي الماء المالح، والإله ممو وهو الأمواج الناشئة عن المياه الأولى، أو الضباب المنتشر في تلك المياه، والناشئ عنها، وهذه الكتلة المائية التي تملأ الكون هي العماء الأول الذي انبعثت عنه فيما بعد بقية الآلهة وكل الموجودات الكونية.

---

(١). كنعان جورجي: تاريخ الله ص ١٧٤.

(٢). كنعان جورجي: تاريخ الله ص١٧٥.

وعندما كانت الآلهة الثلاثة أبسو وتعامت وممو يمزجون أمواههم معا لم يكن هناك زمان ولا مكان، وتكونت السماء والأرض من جسد الآلهة تعامت التي شطرها الإله مردوخ في شطرين نتيجة صراع مرير بينهما، وخلق الإنسان من دم الإله كنجو وأعطى الحياة ليكدح على الأرض ويقدم للآلهة طعامها، ثم بنت الآلهة مدينة بابل بيت الإله تكريما لزعيمهم مردوخ كبير الآلهة وخالق الكون.

وجاء في الملحمة الأسطورية:

((وتقدما للقاء تعامت ومردوخ، أحكما الآلهة وتدانيا للقتال، واقتربا للصراع، فرمى الرب شبكته وطوقها بها وأطلق في وجهها ريح الأذى التي كانت تتبعه ولما فغرت تعامت فاها لتفترسه أطلق ريح الأذى لئلا تستطيع إطباق شفتيها، وملأت الرياح الهائجة بطنها فانتفخ جسمها وفتحت فاها وأطلق سهما فمزق بطنها وهتك أحشاءها وشق فؤادها))[1].

بعد أن هزم مردوخ تعامت المسخاء وإلهة الماء شق جسدها بسيفه شقين صنع من أحدهما قبة السماء ومن الآخر الأرض وبذلك وضع النجوم في السماوات العلي ثم بدأ بخلق النباتات ثم الحيوانات ثم أخذ التراب ومزجه بدم الإله كنجو وصنع الإنسان على أن يكون خادما للآلهة.

---

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان ص٢٢.

وكنجو هذا إله وهو زوج تهامة بعد مقتل الإله إبسو حرضها على الثورة، قتله مردوخ بعد مصرع تعامت عقابا له على التحريض، لقد كان الصراع الجسدي يدور بين إله وآخر فينتصر واحد وينهزم واحد ويحتفل باقي الآلهة بالإله المنتصر على أنه أكبرهم وأعظمهم.

إن الصراع بين الآلهة إنما هو صراع بين البشر، والقوي هو الذي يسود.

إن ملحمة الخلق والتكوين هذه عند أهل بابل تعد درة الأدب والفكر البابلي ولها تأثير عميق في تفكيرهم وتفكير اليهود أيضا وخاصة في مسائل الخلق والتكوين وبعض الأفكار الدينية من حيث اعتقادهم بشمولية الإله مردوخ وألقابه الخمسة التي تظهر إلها واحدا لا شريك له بالرغم من وجود بقية الآلهة الثانوية، ويمكن القول: إن هذا التسلسل في مسألة التكوين في النص البابلي ألواح التكوين السبعة مشابهة تقريبا لما ورد في سفر التكوين التوراتي في أيام التكوين السبعة وهذه الموازنة بينهما للاطلاع على تسلسل الخلق ومراحله في كلا النصفين

الأينوما إبليش البابلية		سفر التكوين
١.العماء الأول تعامت الماء المالح وزوجها الماء العذب يحيط بهما الظلام.		لظلام يغلف المياه الأولى
٢.النور يشع ويتولد من الآلهة		لمق النور
٣.خلق السماء		لمق السماء

٤.خلق الأرض		لق الأرض
٥.خلق الأجرام السماوية		لق الأجرام السماوية
٦.خلق الإنسان		لق الإنسان
٧.الإله مردوخ ينتهي من الخلـــق والآلهة تحتفل به		لإله يهوه ينتهي من الخلـــق ويستريح[١]

وإلى هذا أشار الدكتور فوزي في قوله: ((إن كتاب التوراة قـــد نشأ وتطور من أرضية ثقافة سورية وبابلية ومصرية خاصة عندما حصـــل السبي البابلي عام ٥٨٦ ق.م الذي قدم لليهود فرصة مناسبة للإطـــلاع على آداب بلاد الرافدين وديانتها وأساطيرها وثقافتها وخاصـــة ملحمـــة التكوين والخلق البابلي))[٢].

ويلخص الدكتور كنعان العقيدة البابلية في التكوين والخليقـــة في النقاط التالية:

إن الحالة التي سبقت التكوين والخليقة هي حالة من العماء الغمـــر المطلق مياه أوله.

المياه الأولى مشبعة عبيد الحياة، والملاحظ أن هذا المفهوم كـــان معروفا لدى الكنعانيين في سورية الغربية فقد كانوا يعتقدون أو يقولـــون بأن الماء مصدر كل شيء حي، وقد عبر سنخونياتن الكنعاني عن نظرهـــم الفلسفية إلى أصل الأشياء (إن غمرا كان في البدء).

---

(١). المصدر السابق ص ٢٣.

(٢). المصدر السابق ص ٢٥.

إن الكون انبثق من لجة العماء وأنه أبدي وحيوي.

في السماء قوة نظمت الفوضى فتحدد شكل الكـــون وتمـــيزت أشياؤه لكنهم لم يذكروا أن القوة العالية كانت قبل الفوضى أم بعدها.

المياه الأولى كانت مضطربة وغير منظمة وعملية الخلق وتنظيـــم الكون لم يتم بشكل هادئ وإنما صحبها صراع.

البابلي القديم كان ينفعل في بعض الحوادث الطبيعية وكان يعقـــل في غيرها[1].

ويرى جماعة الكهنوت أن الحالة البدئية السابقة للخلق حالة عماء مائي وظلمة سرمدية ومن هذه المياه تم التكوين حيث قام يهوه بتقســـيم المياه إلى قسمين رفع الأول إلى السماء وترك الثاني في الأسفل فصار بحـلرا ومنها برزت اليابسة ومن هذه اليابسة تابع يهوه أفعاله في الخلق فـــأخرج النبت والمرعى والشجر والثمر خلق الحيوان وفي السماء خلق الشـــمس والقمر والنجوم، وفي البحر خلق الحيوانات المائية وفي الجو خلق الطـــير وأخيرا خلق الإنسان.

في هذا التسلسل المرحلي للتكوين التوراتي يظهر تناقض واضح في الأحداث، ففي البدء خلق السموات والأرض ثم يخلقها مرة ثانية بفصـــل المياه عن بعضها، ومرة يخلق البشر دفعة واحدة وفي المرة الأخرى يخلـــق الرب الإنسان بدءا من زوجين أوليـــين متـــأثرا بالأســـطورة البابليـــة

---

(١). كنعان جورجي: تاريخ الله ص ١٧٧.

والسومرية، وهذا ناتج عن تعدد المصادر التي اعتمدت عليها التوراة كالمصدر اليهوي والإيلوهيمي والتثنية والكهنوتي... وغيرها[1].

ويعلق الدكتور فوزي على نصوص التوراة بقوله:

((من دراسة النصوص التوراتية المتقدمة يتبين لنا وجود تناقضات واضحة فهي تارة مطابقة للواقع العلمي وتارة غير مقبولة علميا، هذا عن التقديم والتأخير في المراحل التكوينية ومما لا شك فيه أن الظلمات كانت سائدة في الكون قبل خلق الأرض أما المياه المذكورة في النص فهي صورة رمزية صرفة، والأصح القول بوجود كتلة سديمية غازية في المرحلة الأولى لتكوين الكون، لقد خلق الله النجوم والكواكب في اليوم الرابع فكيف يكون الليل والنهار قبل وجود الأرض لتدور حول الشمس؟

وأما صورة انقسام المياه إلى كتلتين بهذا الشكل غير مقبولة علميا))[2].

ويعقب على ذلك بقوله: إن تعاقب الأحداث في النص الكوني يناقض المعلومات العلمية الحقيقية، وهكذا تبدو لنا الرواية الكهنوتية للخلق كبناء خيالي أسطوري لا يهدف إلى التعريف بالحقيقة.

وقد أدرك هذا النقل كثير من الباحثين فقال أسد أشقر:

وثالث ما يلفت النظر والفكر والتأمل هو أن نظرية نشوء الحياة والكون التي ادعاها العبرانيون لنفوسهم غير مفكرين بما سيأتي به علم

---

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان ص ٢٧.

(٢). محمد حميد فوزي: عالم الأديان ص ٢٨.

الآثار من تكذيب لادعاءاتهم في جميع جذورها الرئيسية سومرية بابلية بدون أقل شك.

هذه النظرية تعني العالم منبثقا من عدم بدئي سائل مكون من عنصرين الأول الذكر أبسو وهو أساس الحياة إذن الخير، والثاني أنثى تعامت وهي مادة كونت منها المخلوقات، وأصل الأشياء المخلوقة.

وبالنتيجة المحددة إذن مصدر الشر إن اتحاد العنصرين يخلق العالم الذي رمزه الإله السماء أن شار والإلهة الأرض كي شار ويرتكز هذا العالم المولود من هذه النظرية التي تقدم العناصر على الآلهة ترتكز على فكرة تطورية سابقة العصر العلمي، بعد أن خلق أنو السماء والسماء الأرض والأرض الأنهار والأنهار الحفر والحفر الوحول والوحول الدود.

إذ ذاك ظهرت الحياة على الأرض(١).

وأجمل وصف لخلق الكون جاء في ملحمة أينوما أيليش وكيف قسم مردوخ الإلهة تعامت، إن هذه القصيدة تشكل ملحمة جلجامش الابداع الأكثر أهمية لدين الأكادي وهي لا مثيل لها في العظمة وفي التوتر المأساوي.

إن إينوما إيليش تروي بتفاصيل أصول العالم لكي تمجد مردوك ورغم إعادة تفسيرها فإن الترجمات لها قديمة بدئيا.

إن الصورة الأولى لشمولية مائية غير مميزة وفيها يميز أول زوجين أبسو وتعامت، ومصادر أخرى تحدد بدقة أن تعامت تمثل البحر وأبسو

---

(١). أشقر أسد: الخطوط الكبرى في تاريخ سورية القسم الأول/جـ١ص٨٠/.

الكتلة المائية الحلوة التي تطفوا الأرض عليها، وكما هو الشأن لآلهة أصلية أخرى فإن تعامت تحمل بذات الوقت كإمرأة مزدوجة الجنس، ومن خلط المياه الحلوة والمياه المالحة تولدت أزواج أخرى إلهية ويجهل تقريبا كل شيء عن الزوجين الثانيين لاكهمو ولاكهامو حسب أحد التقاليد قد ضحى بهما من أجل خلق الإنسان أما بالنسبة لثالث زوجين أنشار وكيشار فإن اسميهما يعني بالسومرية مجموعة العناصر العليا ومجموعة العناصر السفلي(١).

ويرى مرسيا إلياد هناك ثنائية في خلق الكون فهنالك طبيعة مزدوجة وإبداعية حضور وحكمة إلهية من جهة أخرى.

ويرى أن هذه الصفة الأكثر تعقيدا والتي توصل إليها الفكر في بلاد ما بين النهرين قد جمعا في تركيب جرى كل مقومات المجتمع الإلهي والتي غدا بعضها غير مفهوم وغير قابل للإفادة منه(٢).

إن الأحداث المقررة في الفصول الأولى من سفر التكوين تستمر في تغذية الخيال والتفكير الديني، وهو في الواقع يهكس المفاهيم الأكثر قدما من قصة إبراهيم، إن سفر التكوين يفتتح في البدء خلق الرب إيلوهيم السماء والأرض وكانت الأرض خالية وخاوية والظلمات تغطي الغمر وروح الله ترفرف على المياه.

---

(١).إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص ٩٣/.

(٢). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص ٩٧/.

إن الصورة للمحيط الأولى الذي يرفرف فوقه إله خـــالق هــي صورة قديمة جدا ومع ذلك فإن فكرة الطائر الإله فوق الغمر لم تتـأكد في ديانة ما بين النهرين مع العلم أن الأسطورة المروية في الإينومـــا إبليــش كانت على الأغلب مألوفة لدى الكاتب التوراتي.

وفي الواقع إن المحيط الأولي يشار إليه بالعبرية تهوم وهــو تعبـير موفق من الكلمة البابلية تهامت (تعامت) وإن الخلق بمعنى الكلمـــة يعــني تنظيم العماء فد حصل بقدرة الإله، لقد قال ليكن نــور وكــان نــور، والمراحل المتتابعة من الخلق تمت دائما بكلمة إلهية، فإن العماء المائي ليــس إلا مشخصا ربة تعامت (تهامت) وبالنتيجة فإنــه لم يغلــب في معركــة أسطورية كما في إينوما إيليش.

هذه القصة التوراتية تمثل بنيانا متميزا عن القصة اليهوية القديمـــة /٢٠-٥/ وتختلف عنها بشكل كامل.

ففي القصة اليهوية لا يوجد هنالك مســألة في خلــق الســماء والأرض وإنما عن صحراء حولها الرب يهوه لأرض خصبة بمياه ارتفعــت من الثرى.

ويقول مرسيا إلياد إن القصة اليهوية ببساطة أكثر تقــاوم ليــس العماء المائي لعالم الأشكال وإنما الصحراء والجفاف للحياة والغبات ويبدو من المعقول إذن أن هذه الأسطورة حول الأصل قد تولـــدت في أقليــم صحراوي[1].

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص ٢٠٦/.

ويؤكد على الأثر السومري كثير من الكتاب ونخص منهم بالذكر الباحث جفري بارندز فيقول: ((لقد طور السومريون خلال الألف الثالثة قبل الميلاد وجهات نظر كان لها تأثير هائل لا على معاصريهم من السومريين الأول فحسب، بل على خلفائهم أيضا من البابليين والآشوريين والحثيين والعيلاميين، وسكان فلسطين من الشعوب المجاورة الذين اعتنقوا معتقداهم الأساسية وكان تصورهم الرئيسي في جوهره هو أن الكون يتسم بالنظام،وأن كل ما يدركه العقل فهو انعكاس لتجلي العقل الإلهي ولنشاط خارق للطبيعة والعناصر الرئيسية التي يتألف منها الكون عند السومريين هي السماء آن والأرض كي، وتبدو الآلهة الأخيرة أشبه بقرص الغلاف الجوي الروح.

وهم يعتقدون أن البحر الذي كان في البدء هو السبب الأول الذي انبثق عنه الكون المخلوق وتشكلت فيه الشمس والقمر والكواكب والنجوم، وكل يتحرك في طرقه الإلهي المرسوم وما يحدث في السماء يحدث في الأرض ثم ظهرت النباتات والحيوانات والحياة البشرية[1].

(١). بارندز جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص١٢.

خلق الإنسان

كيف تم خلق الإنسان؟

سؤال لا بد منه إذا أردنا بحث خل الإنسان وكيف وجد على سطح هذه المعمورة وحينها نبحث في العهد القديم وفي تراث بابل (ما بين النهرين) سنرى الثر البابلي واضح في ذلك تمام الوضوح.

وقبل أن نقرر النص البابلي الذي استقت التوراة منه هذا الشكل فإننا نلحظ أن ثمت نصين في العهد القديم مختلفان تمام الاختلاف وسبب ذلك المصدر الذي كتب فالمصدر الكهنوتي يختلف تمام الاختلاف عن المصدر اليهوي، فالمصدر الكهنوتي يقرر: ((وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض فخلق الله الإنسان على صورته الله خلقه، ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض وقال لهم الله إني قد أعطيتكم كل بقل يبزر بزرا على وجه الأرض وكل شجر فيه ثمر يبزر بزرا لكم يكون طعاما))[١].

هذه الرواية الكهنوتية تختلف تمام الاختلاف عن الرواية اليهوية التي تقول: ((وجعل الرب الإله آدم ترابا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة

---

(١). العهد القديم التكوين ص١/٢٦-٣٠/.

الحياة فصار آدم نفسا حية، وغرس الرب الإله جنة عدن شرقا ووضع هناك آدم الذي جبله))[1].

وتقودنا المقارنة بين النصين إلى ما يلي:

١. الإنسان في الحالة الأولى إنسان خنثى وكأن الجنس مزدوج.

٢. الإنسان في الحالة الأولى على صورة الإله وكأن الإله خلق الإنسان نموذجا له وضعه على الأرض.

٣. الإنسان في الحالة الأولى متسلط على الأرض وهو مستمد قدرته من الله فهو إله على الأرض متسلط على الحيوان والطير والسمك والنبات.

٤. الإنسان في الحالة الثانية منفصل الجنس فآدم ذكر وليس ذكرا وأنثى.

٥. الإنسان في الجنة وليس في الأرض.

٦. الإنسان مصنوع من تراب الأرض.

فأية صورة من هاتين الصورتين كانت بابلية الأصل؟

أم ترى أن الصورتين معا استمدتا من النص البابلي السومري؟

لنستقرئ النصوص البابلية ونرى مصداقية ذلك.

تقول الأساطير السومرية المتعلقة بخلق الإنسان: إن الإنسان خلق من طين وكان تصويره على شكل صورة الآلهة وتقول إن الإنسان ما

---

(١). العهد القديم التكوين ص٢/٧-٨/.

خلق إلا ليكون عبدا للآلهة يقدم لها طعامها وشرابها ويزرع أرضها ويرعى قطعانها كما خلق ليحمل عبء العمل ويرفعه عن كاهل الآلهة.

ولنستمع إلى خطاب نمو إله المياه البدئية التي أنجبت الجيل الأول من الآلهة توجهه إلى ابنها الحكيم أنكي: أي بني انهض من مضجعك واصنع أمرا حكيما اجعل للآلهة خدما يضعون لهم معاشهم.

فتأمل أنكي الأمر ثم دعا الصناع الإلهيين المهرة ورد على أمه نمو قائلا: إن الكائنات التي ارتأيت خلقها ستظهر للوجود ولسوف نعلق عليها صورة للآلهة.

امزجي حفنة من طين من فوق مياه الأعماق، وسيقوم الصناع الإلهيون المهرة بتكثيف الطين ثم كوني له أعضاءه وستعمل معك ننماخ يدا بيد وتقف إلى جانبك عند التكوين ربات الولادة ولسوف تقدرين للمولود الجديد مصيره يا أماه.

وتعلق ننماخ عليه صورة الآلهة في هيئة الإنسان.

فالآلهة السومرية تتعاون لتخلق الإنسان من حفنة من طين، ليكون البشر خدما للآلهة يقدمون لها حاجاتهم ويسهرون على راحتهم[١].

فالصورتان المختلفتان مأخوذتان من الأصل البابلي السومري معا ومع الخلاف في الصورتين فإنهما قد أخذت كل واحدة وجها من وجوه

---

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة ص٤٨.

النص البابلي، فالأولى أخذت صورة الإله للبشر والثانية أخذت الطين مادة لهذا الإنسان وزادت الكهنوتية صورة الإله الخنثى والمخلوق الخنثى.

ولكنني أثناء بحثي رأيت أن هذه النقطة موجودة وناقشها مرسيا إلياد حيث ناقش خنثوية المخلوق والألوهية كما ورد في التوراة في سفر التكوين الرواية الكهنوتية، لاحظنا في معرض أسطورة سومرية أن الإنسان بشكله وحياته يشاطر بنوع ما شرط الخالق ولا ينتمي إلى المادة سوى جسده وإن خلق المرأة من ضلع استل من آدم يمكن تفسيره كدليل على خنثوية الرجل الأول. إن المفاهيم المماثلة تأكد في تقاليد أخرى بما في ذلك تلك التقاليد المنقولة من قبل بعض المدراشيم وإن أسطورة الخنثى تبرز معتقدا منتشرا جدا.. .ولنؤكد بدقة أن الخنثى البشرية لها كمثال الثنائية الجنسية الإلهية وهو مفهوم تتقاسمه ثقافات عديدة[1].

وهنالك أربع قصص على الأقل تفسر أساس الإنسان وأنها مختلفة مما يوجب افتراق التعددية في التقاليد، فثمة أسطورة تقص أن الكائنات البشرية الأولى نبتت من الأرض مثل الأعشاب، وتبعا لترجمة أخرى فإن الإنسان قد وضع من الطين من قبل بعض الصناع الآلهة ثم إن الربة نمو صنعت له القلب وأنكي أعطاه الحياة.

وتعين نصوص أخرى الربة أورو الخالقة للكائنات البشرية، وأخيرا وحسب الترجمة الرابعة إن الإنسان قد صنع من إلهين مذبوحين

(١). مرسيا إلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص٢٠٦/.

لهذه الغاية هما تعامت وكنجو وهذه الترجمة الأخرى موجودة في إينوما إيليش.

ووجه مردوخ إلى السماء جوابا من قصر أبسو وثبت مسيرة النجوم واللوح الخامس من الملحمة يقرر تنظيم العالم النجومي وتحديد الوقت وتشكيل الأرض بدءا من أعضاء تعامت:

من عينها سالت دجلة والفرات، ومن خصلة ذنبها خلق الرابط بين السماء والأرض، وسلط القمر على الليل وجعله زينة في الليل به يعرف الناس موعد الأيام في بدء الشهر يطل القمر.

وأخيرا قرر مردوخ خلق الإنسان لكي يخدم الآلهة، لقد انتظرت الآلهة المقيدة دوما العقاب واقترح أيا

الإله الذي أذنب

الإله الذي ثار

اسفك دمه ومن دمه تخلق الإنسان.

وبسؤالهم من منكم أوغر صدر تعامت؟

وأثار الحرب وحرضها على العصيان؟

أشاروا جميعا لاسم واحد كنجو ـــ كنجو هو الذي ثار

فقطعت شرايينه وسال الدم، ومن الدم خلق أيا الإنسان خلقه ليعبد الآلهة ويخدمها وهكذا حرر مردوخ الآلهة من العبودية[1].

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص٩٦.

وبهذا وجدت عناصر الخير والشر في الإنسان وصارت طبيعته من مادتين متناقضتين فهناك شكل شيطاني وشكل إلهي وصار كنجو الشيطان العتيق رئيس قطيع الغيلان والشياطين التي خلفتها تعامت، فالإنسان مشكل من مادة شيطانية من دم كنجو ومن مادة إلهية قامت بها الإلهة إيا.

إن الخلاف مع النصوص السومرية هي ذي دلالة، ويمكن التكلم عن تشاؤمية مأساوية لأن الإنسان قد أدين مسبقا بأصل تكوينه الخاص.

فالمادة الأولى مشكلة من المادة والجوهر لأولهية أولية ساقطة ومشيطنة ومتعرضة للموت.

هذه النظرة التشاؤمية أخذها التوراة وعبرت عنها بشكل لا يقبل الجدل فقد ندم يهوه مرات عديدة على خلقه الإنسان وخير مثال نقدمه على ذلك هو طوفان نوح حيث أباد البشرية كما تقول التوراة ماعدا نوح وأبنائه ((ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم، فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم، وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب))[1].

ويؤكد مرسيا إلياد أصل الإنسان في الأساطير وظهرت الإجابة عن السؤال حول أصل العالم في أساطير مختلفة اشتركت فيها الآلهة فقد

(١). العهد القديم سفر التكوين ص٦/٥-٨/.

كان مولد القمر مثلاً موضوع الإينوما إيليش (عندما في الأعالي) تغزو خلق السموات والأرض إلى البطل مردوخ الذي حارب تعامت تنين البحر ومعناها الحرفي اليم أفعى الظلام، وقتلها ثم شقها نصفين فانفتحت كالصدفة فصنع السماء من نصفها الأول والأرض من نصفها الثاني، وهناك ملحمة أخرى تصف تكوين الأرض بطريقة أكثر واقعية فالإله يربط قصبات بعضها إلى بعض ويبسط الأرض فوقها على طريقة تكوين القرى في المستنقعات الجنوبية في بلاد ما بين النهرين.

وفي رواية أخرى نجد أن أيا وأورو يخلقان الإنسان الطين بقوة الكلمة الإلهية، وتصف الملحمة البابلية القديمة أتراحسيس ميلاد الموجودات البشرية في شيء من التفصيل عندما جعل الإله أنليل الآلهة الصغرى تحفر القنوات وتعمل من أجل ازدهار الزراعة التي يعتمد عليها غذاء الآلهة أنفسهم فقاموا بالإضراب والامتناع عن هذا العمل الشاق ووصلت شكواهم إلى آنو إله السماء وبقية الآلهة فخلقوا البشر من طين ودم بفعل من أفعال الميلاد مستخدمين الآلهة الأم(١).

وتناولت الإينوما إيليش هذا الموضوع ذاته عندما ذهبت إلى أن خلق البشر عمل يخدم الآلهة ولقد قام بهذا الخلق مردوخ بعد انتصاره على تعامت.

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ٣ ص ٢١/.

إله واحد؟ أم مجمع آلهة

هذا السؤال أطرحه لمن يعتقد أن الديانة اليهودية ديانة توحيدية سماوية وخير ما نبدأ بهذا النص التوراتي للدلالة على أن الدين اليهودي ديانة ليست توحيدية ولا يمكن أن يكون الكتاب المقدس كتابا إلهيا لما فيه من مطبات موضوعة وفخاخ منصوبة وألغام مبثوثة في ثناياه ((وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر)) (١).

إن كلمة كواحد منا تدل دلالة واضحة على أن هناك آلهة عديدة لا نعرف عددها ولا أسماؤها وإنما دلت دلالة واضحة على وجود آلهة عديدة فيما يسمى بالكتاب المقدس.

وبعد أن نستعرض الاعتراف بالآلهة العديدة ضمن الكتاب المقدس نعود إلى ربط هذا الشرك والتعددية في النصوص البابلية.

ففي المزمور الخمسين يعترف هذا المزمور بالآلهة الكثيرة ولكنه يعتبر يهوه إله الآلهة فهو كبير الآلهة إذا صح التعبير.

((إله الآلهة الرب تكلم ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها)) (٢).

وهذا القول له ما يماثله في النصوص البابلية وعبادتها ((فمردوخ السيد الفعلي لجميع الآلهة وأعلاهم شأنا فهو الذي تصدى لتعامت أم جميع الآلهة وشتت شملها ثم شقها نصفين فخلق بذلك السماء والأرض

---

(١). العهد القديم سفر التكوين ص٣/٣٣/.

(٢). المزمور الخمسون مزمور لآساف /١/.

وتابع عمليات الخلق الأخرى فخرج الكون من بين يديه كما نراه اليوم وصارع قوى الشر وقام بأعمال الخلق كلها التي استحق بها سلطاناً أبدياً على الآلهة والبشر والأكوان وكان له خمسون اسماً تدل على مفاهيم توحيدية وكأن الآلهة اجتمعت في إله واحد وتجسدت في شخصه الإلهي))[1].

وعلى هذا يمكننا القول إن يهوه ليس الله واليهود لا يؤمنون بوحدانية الله فاليهودي معجب جداً بربه من بين الآلهة المتعددة وفي هذا يردد المزمور:

من مثلك بين الآلهة يا رب؟

وتردد أمثال هذه العبارات في المزامير بصورة كثيرة:

أي إله عظيم مثل يهوه؟ أنت الإله الصانع العجائب، مزمور ٧٧/١٣/.

اسمع يا شعبي فأحذرك يا إسرائيل إن سمعت لي لا يكن فيك إله غريب ولا تسجد لإله أجنبي، مزمور ٨١/٨-٩/.

لأن الرب عظيم وحميد جداً مهوب هو على كل الآلهة لأن كل آلهة الشعوب أصنام، مزمور ٩٦/٤-٥/.

أحمدك من كل قلبي قدام الآلهة أرنم لك مزمور ١٣٨/١/.

---

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان ص ١٢٠.

هذه الجمل التي نقلتها المزامير تدل دلالة أكيدة على اعتراف بآلهة عديدة وهذه المزامير منها ما نسب إلى داود في عهد الملكية مع العلم أنهم لم يقولا بأن داود مشرك بل قالوا إنه كان رجل دماء.

فداود عبد يهوه حسب ادعائهم و لم يمل قلبه وراء آلهة أخرى كما فعل سليمان فالمزمور ٧٧ نسب إلى آساف وهو في زمن داود.

أما المزمور ٨٦ فمنسوب إلى داود و لم ينسبوا المزمور ٩٦ لأحد وكذلك فعلوا في المزمور ١٣٦ وقد ورد بعد زمن داود، أما المزمور ١٣٨ فقد نسبوه إلى داود.

أما نسبة الأبناء ليهوه فقد وردت في أماكن كثيرة من التوراة ففي المزمور ٨٢ اسمع وتأمل وقل سبحان الله:

((الله قائم في مجمع الله، وفي وسط الآلهة يقضي، حتى متى تقضون جوراً وترفعون وجوه الأشرار...أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم لكن مثل الناس تموتون))(١).

فالله في مجمع الله وقد ترجموه في هذا الشكل حتى لا يقولوا فالله في مجمع الآلهة وفي وسط الآلهة يقضي.

واسمع هذه الترجمة الثانية لهذا المزمور:

الله قائم في جماعة الله يقضي على بواطن الآلهة...قد قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم.

---

(١). الكتاب المقدس مزمور ٨٢.

والترجمتان تعترفان بوجود مجمع للآلهة والله بينهم يقضي، ولهذا قضى يهوه أن يموت هؤلاء الآلهة مثل البشر وسيسقطون كالرؤساء، أما المزمور ٨٩ يعترف بأن ليهوه أبناء لكنهم لا يعدلون بيهوه قوة لأنه من في السماء يعادل الرب، من يشبه الرب بين أبناء الله.

فأبناء الرب (يهوه) يسكنون في السماء مثل يهوه وهم أبناؤه وإن كانوا أقل قوة منه.

إن الإينوما إيليش تبرز بوضوح في هذا المجال النقاط التالية:

١. سلسلة من الأجيال الآلهة فهناك أبسو وتعامت، ثم بعد هذا الجيل مردوخ وتوابعه.
٢. معركة بين الآلهة الشباب والآلهة المسنين والصراع بين مردوخ وتعامت وكنجو.
٣. انتصار مردوخ واضح في الإينوما إيليش.
٤. مردوخ في السماء.

وهذه الأفكار عينها التي وردت في العهد القديم فهناك مجمع الآلهة أبناء يهوه، ويهوه المنتصر.

إن تجسيم يهوه له مظهر مزدوج فمن جهة يظهر مزايا وعيوب بشرية خاصة شفقة حقد سرور حزن، تسامح انتقام ومع ذلك لا يظهر عيوب ضعف الآلهة البابلية ولا يقبل أن يكون هزأة كبعض آلهة الألمب.

ويهوه كبقية آلهة البابليين فله عائلة وأبناء ومجمع وله بلاط سماوي يجتمع في هذا البلاط الآلهة وأبناء يهوه ويبدو يهوه طاغية جباراً

لا رحمة عنده وفي كثير من الحالات يوصف بأنه رب النقمات رب الجنود رب الدماء.

وكان آلهة سومر كيهوه آلهة مدن أو قرى، أما يهوه فكان إله قبيلة والعادة كان آلهة المدن يجتمعون كأسرة واحدة حول إله قوي والإله في السومرية دينجر، وفي الساحل إيل ولكل إله أو آلهة خاصية مميزة ومناطق محددة رغم أن كثيراً منها آلهة ثانوية لكنهم يجمعونها في أسرة تلتف حول إله قوي بوصفها زوجات أو أبناء، أو موظفين أو خدماً والحاكم الأسمى آن وآنو إله السماء في الأصل وهو الحاكم الاسمي والآلهة الرئيسي في مجمع الآلهة السومرية وكان في البداية مهتماً بشؤن الحكم ويرمز له بغطاء الرأس ذي قرون علامة على آلوهيته وكان معبده في أوروك الوركاء، ولكن عندما هزمت مدينة نيبور المجاورة لمدينة أوروك أصبح إلهها أنليل سيد الغلاف الجوي والرياح وأصبح معبده الرئيسي في أور موضع توقير علا، وإنليل هو المحسن والجد الأول الذي يعزى إليه خلق الشمس والقمر والنباتات وأدوات الضرورية التي يسيطر بواسطتها على الأرض وتقول بعض النصوص الدينية إن أنليل ابن آنو، رغم أنه في نصوص أخرى من نسل أول زوجين إلهيين وهما أنكي ونينكي سيد الأرض وسيدتها[1].

وأنليل هو إله الهواء والعاصفة عند السوريين واسمه في اللغة السومرية سيد النسيم وهو يأتي في المرتبة الثانية بعد آنو إله السماء

---

(١). إلياد مرسيا: المعتقدات الدينية /جـ١ ص ٦٣/.

ورئيس مجمع الآلهة إلا أن قيام أنليل بتنظيم الكون، وإخراجه من لجة العماء أعطاه أهمية كبيرة في مجمع الآلهة فحاز لنفسه ما كان لآنو من هيبة وكذلك بعد أن قام بفص السماء عن الأرض بعد أن كانتا ملتصقتين واستمر أنليل فيما بعد عضواً في مجمع الآلهة البابلي ولكنه في مركز ثانوي لأن مردوخ استولى على مركز الكون في ذلك المجمع.

وعلى الرغم من أن أنليل يرتبط بمدينة نيبور فإنه بعد الإله الأسمى لكل سومر وهو يمسك بالألواح التي سيطرت فيها أقدار البشر.

وكذلك فإن يهوه هو رئيس مجمع الآلهة سواء كان الآلهة أبناءه.

واسمع إلى يهوه في إحدى جلساته في مجمع الآلهة لديه:

((وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم فقال الرب للشيطان من أين جئت؟ فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها، فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب لأنه ليس مثله في الأرض))(١)

نستشف من هذا النص النقاط التالية:

١. هنالك مجمع للآلهة وقد تأكد هذا في المزامير.

٢. يحضر الشيطان هذا المجمع وكأن الشيطان واحد في هذا المجمع.

٣. يبدو يهوه أنه جاهل بما يقوم به هذا الشيطان حتى يسأله.

---

(١). سفر أيوب ص١/٦-٨/ وص٢/١-٣/.

٤. تتتابع الجلسات بين يهوه وأبنائه والشيطان ويستمر النقاش حتى ينتصر في النهاية أيوب ويهوه على الشيطان.

والآلهة عند الأمم الأخرى تحتاج للطعام والشراب وهكذا فعل كتبة العهد القديم ولهذا قدموا الأضاحي والمحرقات و لم يكن يهوه يغتبط بشيء اغتباطه للدم ولرائحة اللحم المشوي.

((وتحتاج الآلهة كالبشر إلى مؤن منتظمة من الطعام والشراب توضع أمامها على الموائد في الصباح وفي المساء واللحوم المفضلة عندها لحوم القرابين، ولا بد من أن يصب الدم أولاً في فناجين ثم تختار الأجزاء الممتازة كالرئتين والكبد لمعرفة الطالع))[1].

وكان أكثر ما تقدم هذه القرابين والأضاحي في الأعياد ولو راجعت سفر اللاويين لرأيت الآلف المؤلفة من الأضاحي والقرابين تقدم من أجل يهوه وهنالك التسميات العديدة للأضاحي كما أن هناك قربان من الدقيق والزيت وأنواع القرابين كثيرة منها:

١. ذبيحة سلامة للرب ولها طقوسها الخاصة اللاويين ص٣.

٢. قربان خطية وله طقوسه الخاصة لاويون ص٤.

٣. قربان الإثم وله طقوسه الخاصة لاويون ص ٥.

٤. قربان الخطأ وله طقوسه الخاصة لاويون ص ٦.

ويختار ليهوه من الذبيحة شحم الرئة والشحم الذي يغشي الأحشاء والكليتين والشحم الذي عليهما الذي على الخاصرتين، وزيادة

---

(١). إلياد مرسيا: المعتقدات الدينية /جـ٢ ص ٣٣/.

الكَبد والكليتين ينزعهما ويوقدهن الكاهن على المذبح وقوداً ويرش دمها على المذبح، وقد تشبه يهوه بآلهة ما بين النهرين، فأينانا مثلاً كانت لها إحدى وظائف نسبت إلى يهوه، ومن وظائف إينانا الإلهية التي ورثتها عن الآلهة الأم البدئية نامو كانت وظيفة الإمساك بألواح الشريعة التي فيها أخذت فكرة لوحي الشريعة اللذين قالت حكايات التوراة إن يهوه كتبهما بإصبعه لموسى وهشمهما موسى ثم عاد فنقشهما من جديد واللذين قيل إنهما شكلا المحتوى الرئيس لتابوت يهوه، في حين أن التابوت عندما هدم البابليون الهيكل واستولوا عليه ففتحوه فلم يجدوا فيه إلا نحتاً من حجر أحمر لقضيب مختن منتصب ممدود بين شفري فرج.

وقد كانت حيازة ألواح الشريعة تلك في الأسطورة السومرية أو ألواح القدر في الأسطورة البابلية بمثابة حيازة شارة السلطة العليا على الكون والخليقة[(١)].

ولو رجعت إلى سفر الخروج الإصحاح ٢٣ لوجدت: فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هناك كانا مكتوبين واللوحان هما صفة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين...فحمي غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرهما في أسفل الجبل[(٢)].

---

(١). مقار شفيق: الجنس في العهد القديم ص ٢٢٠.

(٢). العهد القديم سفر الخروج ص٢٣/١٥-١٩/.

وإليك صورة عن أمجاد يهوه		وصورة عن أمجاد عشتار البابلية
يهوه قائم في مجمع الآلهة بين الآلهة يقضي مزمور ١/٨٢.		عشتار الملكة في مجمع الآلهة المقيمة العدل في السموات الحاكمة كل الآلهة تسأل مشورتها.
إله الآلهة يهوه يتكلم مزمور ١/٥٠		سيدة الآلهة عشتار ملكة السكوات أعطت قولاً.
من مثلك بين الآلهة يا يهوه خروج ١٥/١١/.		من من الآلهة عظيم مثلها.
علوت جداً على كل الآلهة يا يهوه مزمور ٩٧/٩/.		المجد لعشتار المعلى قدرها فوق كل الآلهة.
يهوه قد ملك فلتبتهج الأرض مزمور٩٧/١/.		لتفرح الأرض بعشتار الملكة على كل الأرض.
لك السموات ولك الأرض مزمور٨٩/١١/.		ملكة السموات المتوجة وسيدة الأرض.
اللابس النور كثوب مزمور١٠٤/٢.		عشتار الكاسية نورا.
اسجدوا له يا كل الالهة مزمور٩٧/٩.		عشتار الذي يسجد لها كل الآلهة.
أنا الإله القادر على كل شيء خروج٦/٣/.		المجد لعشتار القوية المجد للقادرة على كل شيء.

أنت المهوب جدا فمن يقف قدامك حال غضبك؟ مزمور٧٦/٧/.		عشتار المهوبة أبدا التي لا يصمد في وجهها عدو أو ترد لها كلمة.
يا يهوه يا رب الجنود أي رب قوي مثلك بذراع قوتك تبدد أعداءك مزمور٨٩/٨/.		ربة المعارك القوية القادرة التي بذراعها تبدد كل أعدائها.
من السماء أسمعت حكما، الأرض فزعت وسكنت مزمور٧٦/٨/.		من السموات يترل حكمها تأتي كلمتها فتسمع الأرض وتطأطئ.
الناظر إلى الأرض فترتعد مزمور ١٠٤/٣٢/.		التي تجثم الأرض أمامها مرتعشة وتمحق الجبال.
ذابت الجبال مثل الشمع قدام يهوه مزمور٩٧/٥/.		التي يجتاح كل ما في طريقها وتزلزل الجبال.
آه يا سيف يهوه حتى متى لا تستريح انضم إلى غمدك واهدأ أرميا ٤٧/٦/.		التي لا يهدأ سيفها في السماء ولا يؤب إلى غمده حتى يرتوي من دم أعدائها.
لأنه قد روي في السموات سيفي من الدم أشعيا ٣٤/٥/.		

تصيب يدك جميع أعدائك تصيب كل مبغضيك تجعلهم مثل تنور نار في زمن حضورك يهوه يسحقه يبتلعهم وتأكلهم النار تبيد بزرهم من الأرض وذريتهم من بني آدم مزمور ٢١/٨-١٠/.		يدها القادرة تمحق العدو وتحرقه وتنثره رمادا سيدة المعارك تجتث جذوره من الأرض وتمحوه من بني البشر.
يهوه الجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقول على أعدائه أشعيا٤٣/١٣/.		عشتار القادرة قائدة جند السماء كجبارة إلى الوغى تخرج.

والذي لا يجب أن يغيب عن ذهننا فيما يتعلق بهذه الحقيقة التاريخية ما يلي:

١. إن النصوص البابلية التي توافرت لمن انخرطوا في عملية وضع أسطورة يهوه في الشكل الذي استقرت عندهم وأهمهم الكاتب عزرا، كانت كنزا حقيقيا من عيون التراث الأسطوري السومري الأصلي ونسخته الأكادية السامية البابلية، وبين الأصل والنسخة لم تكن إلا تباينات وتنويعات

تعلقت بأسماء الآلهة والمواقع مع بعض التفاصيل في حين ظلت المعتقدات الأساسية واحدة.

٢. إن عزرا ومن تعاون معه من كهنة يهوين سرقوا من مصادر لا تحصى وأدخل في صب سبيكة المعبود يهوه من آلهة الشرق الأدنى القديم واصطنع منه تاريخ للشعب فقصر جهدهم لا عجزا بل اضطرارا حتى لا ينهار البناء الملفق.

٣. كانت الأساطير والملاحم باللغة الآكادية معروفة على نطاق واسع في العالم القديم ولم تكن قاصرة على اللغة الآكادية، فمن المؤكد أن منها ما كان قد عرف طريقه إلى لغات أخرى وكان ذلك راجعا إلى أن اللغة الآكادية كانت لغة الدبلوماسية في أرجاء الشرق الأدنى القديم من منتصف الألف الثامنة إلى منتصف الألف الأولى قبل الميلاد، بل وصلت إلى مصر والأناضول وإيران وصلت إلى من كانوا يتتلمذون ليحترفوا حرفة الكتبة حتى في تلك البلدان البعيدة كانوا يتدربون باستخدام النصوص الأدبية باللغة الآكادية.

وهكذا فإن الحكايات الأسطورية والملاحم المروية باللغة الآكادية ذات أرضية مشتركة مع الإلياذة والأوديسة وأعمال هزيور،ويقول شفيق مقار في وصفه ليهوه: ((لم يكن في يهوه ما يجعل من الممكن إسباغ صبغة روحانية عليه ولم يكن إلها أقام أي وزن لوضع تقنين أخلاقي أبدا، أو إلها يمكن تقويمه أخلاقيا فالمفهوم الأخلاقي لم

يبزغ في ديانته إلا متأخرا، وبشكل تدريجي للتوجه العقلاني فهو قد تصرف، دائما لملك ومن طبعه الحدة وسرعة الغضب العارم لأي إخلال بأي شرط من شروط التعاقد المبرم بينه وبين رعاياه))[1].

وهكذا ظل يهوه في النهاية نسخة أخرى مشوهة من إله الهلال الخصيب فهو يبتلع غيره من آلهة وإلهات ويستوعب صفاهم وخواصهم ووظائفهم ويغتصب ألقابهم، وقد اختلس من آلهة سومر ومن ملوك بابل وافتعلت له صورة الإله المشرع مانح القوانين وقد بينت هذا في كتابي بابل ولصوص بابل، وقد وصفت آلهة سومر الشرعية الكونية الأخلاقية الحاكمة للكون التي لا تتغير والملزمة لكل من في الكون، وقد دعيت التراتيل السومرية بالناموس الأعظم، وبعد الحفائر الآثارية التي كشفت عن كنوز سومر وبابل انكشف النبع الذي سرق منه عزرا وجماعته أثناء التحرير في بابل مفهوم الناموس، كما انكشف النبع الذي أخذ منه التقنين التوراتي وهو الملك البابلي حمورابي أشهر مشرع في الشرق الأدنى القديم ذلك التقنين الذي عزي إلى يهوه حتى لا يكون أقل مكانا من آلهة سومر الذين كان الناموس أعظم ما اعتزوا به من مقومات آلهتهم فنينجرسو مثلا يعلن في نصوص جوديا أن معبده سوف يعلو ناموسه على السماء والأرض أي سيحكم السماء والأرض وذلك ما نجده مرددا في سياق يهوي أرضي في قول أشعيا الأول ص٢/٣و٤/ وإليك بعد هذه الجولة مقارنة بين ترنيمة سومرية وبين العهد القديم:

(١). شفيق مقار: الجنس في العهد القديم ص٣٩٣.

الترنيمة السومرية		العهد القديم
١. أنا الرب وليس آخر		أنا الرب وليس غيري٤٣/١١/. أنا الرب وليس آخر ٤٥/٥/. أنا الرب وليس آخر ٤٥/٦/. أليس أنا الرب ولا إلـــه غـــيري ٤٥/٢١/.
٢. أنا من يأمر فلا يســـأل ولا يرد له أمر.		من اليوم أنا هو ولا منقذ من يدي أفعل ومن يرد٤٣/١٣/. لأني أنا الرب وليس آخــــر رأي يقوم وأفعل كل مســـرتي، وقــد تكلمـــت فـــأجر بـــه قضيـــت فأفعله٦٥/٩/.
٣.أنا من إذا مست قــــدم الأرض فاضت ينابيعها.		سفر المزامير تعهدت الأرض يا يهوه وجعلتـــها تفيض تغنيها جدا سواقي يـــهوه ملآنه ماء٦٥/٩/.
٤.وإذا مرت قدمه قـــرب مروجها تكدســـت فيـــها الغـــلال وكـــثرت فيـــها القطعان.		تبارك غلتها وآثار أقدامك تفطـــر رسما، تفطر مراعي البرية وتنطـــق الآجام بالبهجة وتكتسي المـــروج غنما٦٥/١٠-١٢/.

وإليك ترنيمة سومرية أخرى موازنة مع ما كتبه جماعة يهوه:

صفات وقدرات نسبت إلى يهوه		مصادرها في التسابيح السومرية الأنليل
يهوه جبل صهيون الذي لا يتزعزع مزمور١٢٥/١/.		أنليل العظيم الراسخ.
إن لم يحفظ يهوه المدينة فباطلا يسهر الحارس إن لم يبن البيت يهو فباطلا يتعب البناءون مزمور١٢٥/١/.		لولا أنليل لا المدينة كانت ولا البيت بني.
أعمال يديك يا يهوه الغنم والبقر وكل بهائم الحقل مزمور٨/٧/.		لولا أنليل لا بهيمة من بهائم الحقل ولا الحظائر ملئت.
يهوه إلهك يكثر نتاج بقرك وإناث غنمك تثنية٢٨/٤/.		لا الأبقار وضعت علوجها ولا النعاج ولدت الحملان.
بفضله جرت المياه وفاضت الأودية مزمور٢٨/٢٠/.		لا الأنهار علت ولا أعطت فيضها.
مطرا غزيرا نضجت يا يهوه مزمور٦٨/٩/.		لأنه من علاء يترل الفيض إلى الأرض
المسعف بالمياه علالية الساقي		جاعل الغيوم المثقلة بالمطر تفتح

الجبال ١٠٤/٣/.		أفواهها.
إذا أعطى قولا تكون كثرة مياه في السموات أرميا١٠/١٣/.		كلمته تمس السموات فتعطي فيضها، كلمتك با أنليل هي المطر الغزير.
أعطي مطركم في حين فتعطي الأرض غلتها لاويين٢٦/٤/.		كلمته تمس الأرض بفيض فتعطي الأرض غلتها فتنبت الأرض خضرة وبراعم خصب وتغيض بالحقول.
المنبت عشبا للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان مزمور١٠٤/١٤/.		والمروج بالوفرة وتكتسي السهول بالعشب والمرعى.
وأعطى البهائم عشبا تثنية١١/١٥/.		أنليل المانح الخبز للإنسان والكلأ للحيوان.
ما أعظم أعمالك يا يهوه كلها بحكمة صنعت ملآنة الأرض من غناك مزمور١٠٤/٢٤/.		حكمتك يا أنليل هي ال الوفير حكمتك هي الغلال حكمتك هي الخصب وحياة البلاد
برضاه تعطي أشجار الحقل ثمارها لاويون٢٦/٤/.		لولاك ما أزهر شجر الحقل وأثقل بالثمار.
هذا البحر الواسع الكبير		لولاك يا أنليل ما كان البحر امتلأ

كثر فيه يهوه السمك بـــلا عدد مزمور٤ ١٠/٣٥/.		أسماكا بلا عدد ولا كان البحـــر أعطى خيره الوفير.
وأمطر عليهم لحما وكرمـل البحر طيورا ذات أجنحـــة مزمور٧٨/٢٧/.		لولاك يا أنليل ما كـــانت طيـــور السماء نشرت أعشاشـــها فـــوق اتساع الأرض.
واجعل ســـلاما في الأرض فتنامون وليس من يزعجكـم لاويون٢٦/٦/.		لولاك يا أنليل العظيم ما كان بنـو البشر قد اضطجعوا في مضاجعـهم آمنين(١).

فإنعامات يهوه متعلقة بوفرة المياه وكـــثرة الأمطـــار وخصوبـة الأرض وكثرة الماشية والمحاصيل على عباده الذين جعله مؤلفوا أسـطورة وواضعوا ترانيمه يخاطبهم بقوله: أفغر فاك فأمله لك مزمور٨١/١٠/.

كانت فيما تفصح عنه هذه النصوص المتماثلة متى قورنت مـــ الموعي بأن التسابيح السومرية هي الأقدم بما زاد على ثلاثين قرنا تنـدر ضمن قائمة المسروقات التي حاول صناع الديانة أن يكسو بها عري ذلك المعبود المخلق أسطوريا.

إذن يهوه أحد الآلهة في مجمع الآلهة بل قل هو الكبير فيها وهـــ ما كان يفعله مردوخ، ((كان مردوخ بن أنكي هو الذي عـــهد إليـه برئاسة مجمع الآلهة كله عند البابليين عندما كانت مدينة بـــابل مركـز الدولة القوية التي سيطرت على نعظم بلاد ما بين النهرين وفي ذلك كـلن

(١). مقار شفيق: الجنس في العهد القديم ص٤٦٨.

الإله نابو بن مردوخ وهو راعي العلم ومعبده في مدينة بورسيبا، ويرجع صعود نجم الإله مردوخ إلى مدرسة دينية ألفت التراتيل والصلوات لتمجيده ثم أضاف الفصل الثاني عشر والأخير إلى ملحمة الخلق الكلاسيكية لكي تجمع له النعوت والألقاب التي توصف بها الآلهة الخمسون الرئيسيون جميعا))(1).

وهذا ما فعله كتبة التوراة في يهوه فقد حاولوا توحيده وجعله إلها عالميا بديلا من أن يكون إله الشعب المختار.

وهكذا اختلست الأسطورة السومرية ليهوه وككل شيء آخر اختلس في تلفيق أسطورته بطريقة معكوسة فبدلا من زيجة سومر المقدسة عكست الآية بهذه الطريقة:

١.أنزلت الآلهة الأسطورية من عرشها ليتربع يهوه عليه.

٢.ووريت الآلهة أسطوريا بدمجها في ابنة يهوه حبيبة نفس إسرائيل.

٣.بات يهوه في وضع أعلى والآلهة مطمورة في ابنة يهوه بأسفل.

٤.زوج يهوه من الآلهة فباتت أبويا تحته في شخص ابنته معشوقته إسرائيل.

٥.ركب أسطوريا يهوه على الآلهة فصارت هي تحت وهو الذي فوق بينما لم يكن يهوه له وجود إلا في أذهان كتبة التوراة.

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ٢ ص١٥/.

وأخيراً نسوق هذا المثال المقارن بين يهوه والإله عيرا البابلي ليرى الناس مدى السطو القائم من قبل كتبة التوراة على التراث الديني البابلي:

يهوه		عيرا
قم يا يهوه ارفع يـــدك لمـــاذا يـــــهينك الشـــــــرير مزمور١٠/١٢و١٣/.		قم يا عيرا انهض لسوف تهان من الرؤوس السود (وذوو الــرؤوس السود تسمية البشــــر في أرض الرافدين.
يا يهوه لماذا تقف بعيداً؟ لماذا تختفي في أزمنة الضيـــــق؟ مزمور١٠/١/.		يا عيرا يا رجل الحـــرب لمـــاذا تتباعد وتلوذ بالصمت؟
استيقظ يا يهوه لمـــاذا تتغـــافى انتبه؟ مزمور٢٤/٢٣/.		لماذا تتغافى في المدينـــة كرجـــل هرم؟
قم يا يهوه أقم دعواك لا تنسى أصوات أضـــداداك، ضجيـــج مقـــاوميك الصـــاعد دائمـــاً مزمور٧٤/٢٢و٢٣/.		قم يا عيرا واجلب الدمار قم يــا عيرا خذ بحقك وأخرس أصـوات خصومك، اسكت ضجيج البشر الصاعد دائماً لـــيزعج الآلهـــة العظام.
فاستيقظ يهوه كنـــائم جبـــار معيط من الخمر فضرب أعداءه إلى الوراء مزمور٧٨/٦٥/.		فقام عيرا رجل الحرب كبطـــل يصحو من نومه ودحر أعداءه.

وإذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلاً ما وحي يهوه فقل لهم أي وحي؟ إني رافضكم هو قول يهوه أرميا٢٣/٣٣/.		أنا لن أعطي قولاً أنا لن أقيم عدلاً أنا لن أسمع صوتاً لأني رافض كل البشر.
أنا أحاربكم بيد مملوءة وذراع شديدة وبحمو غيظ وغضب عظيم واضرب سكان هذه المدينة الناس والبهائم معاً بوباء عظيم يموتون ثم بعد ذلك ارفع صدقياً ملك يهوذا وعبيده والشعب الباقين في هذه المدينة من الوباء والسيف والجوع إلى السبي أرميا٢٦/٥-٧/.		إني أجازيكم ومن لم يمت بالسيف يموت بالوباء ومن لا يموت بالوباء يسببه العدو ومن يفلت يجرفه حدود الطوفان ومن ينجو يحرقه شمس بنيرانه لأن كل من في الأرض قد أصبحوا كغنم وأنا إلههم تحولت إلى ذابحهم.
لأني قد جعلت وجهي عليهم أرميا ٢١/٤٠/.		لأني قد قررت أن أجلب عليهم الدمار
لأنهم من صغيرهم إلى كبيرهم كل واحد منهم مولع بالربح ومن النبي إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب.		لأنهم قد حادوا عن الصدق وتركوا العدل وفعلوا كل ما هو سيء لأنهم تركوا طريق الصلاح

أين هو الطريق الصالح، وسيروا فيه لكنـــهم قــالوا لا نســير أرمياه١/١٠/١٥.		وساروا في طريق الشر.
ويل لي يا أمي لأنك ولدتـــني أرمياه١/١٠/١٥/.		من الزيل يقول حاكم المدينـــة لأمه ليت رحمك كان قد أغلـــق يوم ولدتني ليتني أنت وأنا متنـــا قبل أن تلديني.
ويخزي القمر وتخزى الشـــمس لأن يهوه رب الجنود قد ملــك في جبـــل صـــــهيون أشعياء٢٤/٢٣/.		ولسوف أطفئ ضياء الشـــمس وأحجب وجه القمر في الليل(١).

وبعد هذه العجالة في السمات التي اتخذها اليهود ليهوه من آلهـــة بابل وبلاد الرافدين أحب أن أشير في النهاية إلى سمة لم ينتبه إليها كثـــير من الباحثين هذه السمة أخذها كتبة التوراة وأضفوها إلى يهوه وهي سمـة من سمات الآلهة في بلاد بابل فقد عبد الآشوريين الثور المجنح، ولم يستطع كتبة التوراة أن يفلتوا من عبادة هذا الإله أو تصنيف إلههم مع الإله الثـور وأخذوا من سماته ولكنهم لم يريدوا أن يكشفوا عن هذا الإله جهرا ولهذا استعملوا كلمة الإيل والفغر (ذكر الغـــزال) رمـــزا للإلـــه الثـــور ذي القرنين،وإليك بعض الجمل الدالة على ذلك من نشيد الإنشاد:

---

١). شفيق مقار: الجنس في التوراة ص ٥٢٨.

احلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وأيائل الحقل ألا يتقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء ص٣/٥/.

حبيبي نزل إلى جنته إلى خمائل الطيب ليرعى في الجنات ويجمع السوسن٦/٢/.

اهرب يا حبيبي وكن كالظبي أو كغفر الأيائل على جبال الأطياب٨/١٤/.

والمقصود من الثور أو ذكر الأيائل الفحل عارم الشهوة ونشيد الإنشاد إحدى المشكلات في التوراة والتي اختلفت المسيحية مع اليهودية في تفسيره فقد أخذته المسيحية على الرمز وأخذته اليهودية على أنه غزل عادي شهواني، وسأناقش هذه السمة المقارنة بين آشور الإله وبين يهوه الذي لم يكن عند اليهود إلا صفة تغلب على يهوه قد أخذها من آشور هذا.

إن سمة الثور هذه قد وردت في أماكن كثيرة من التوراة حتى إن سمة القرنين قد وضعت لموسى في التوراة وقد صور تمثاله مايكل أنجلو وجعل له قرنين صغيرين للدلالة على الإله ثور، وقد ناقش هذه السمة شفيق مقار في كتابه الجنس في التوراة يقول في هذا الصدد معلقا:

١.إن طريق المراجعة الجذرية والتحرير والحذف والإضافة والشطب والقص واللصق أبان العملية التي اضطلع بها عزرا.

٢.طريق الترجمة إلى اللغات الحية المعاصرة لا يقف في وجه تقواها عائق من أمانة أو حقيقة عبر أكثر من خمسين ترجمة

أنجـــزت حـــتى الآن، وبخاصـــة في ترنيمـــة المصـــــاعد مزمور١٣٢/١-٢/، يقول داود اذكر يارب داود كل ذلـــة كيف خلق كيف نذر إلى بعل ثور يعقوب، ترجم هذا النـص إلى عزيز يعقوب.

وفي أشعيا ٤٩/٢٦/ وأطعم ظالميك لحم أنفســـهم، ويســكرون بدمهم كما من سلاف فيعلم كل بشير أني أنا الرب مخلصك وفـــاديك ثور يعقوب وقد ترجم عزيز يعقوب.

وفي أشعيا٦٠/١٦/ وترضعين لبن الأمم وترضعين ثدي ملـــوك وتعرفين أني أنا الرب مخلصك وبعلك ثور يعقوب،وقد ترجـــم ووليـــك عزيز يعقوب بدل الثور.

عند ترجمة هذه النصوص يبدو أن المترجمين الأتقياء اســـــتفظعوا ذلك أو وجدوه كاشفا بأكثر مما ينبغي عما اتجه الزخم كله في التحريـــر أو الترجمة إلى طمسه أو إزالته تنقية للنصوص، وتنظيفا للمعبود فسلوعوا بصرف النظر عن الأمانة في التوصيل بل وعن حكاية أن النصوص كـلام الله الذي لا يناقض ولا يحرف منه حرف، وأزالوا بعل، ثـــور يعقـــوب الفاضحة هذه ووضعوا مكانها في الترجمة العربية عزيز يعقوب.

وفي ترجمة الملك جيمس واحد يعقوب القوي وبطبيعـــة الحـــال اقتضى ذلك إمعان النظر جيدا في نصوص التوراة بحثا عما يكون أفلـــت فيها من رقابة المحرر من كلام تعلق بالثور المتعب أنذاك.

وإذا فعل المترجمون ذلك توقفوا عند نص كاشف آخر في سـفر العدد ورد في نهاية كلام بلعام بن بعور المسكين (الذي ذبح بعد ذلـك بقليل) قال ذلك الحبر فيه:

يهوه أخرجه (يعقوب) من مصـر بقـوة قـرني ثـور بـري عدد ٢٤/٨/.

وبغير إمهال رفع ذلك القول المزعج من النص ووضع مكانه ولـه فعل سرعة الريم في الترجمة العربية وفي الترجمة الإنكليزية(الملك جيمـس) غير أن يهوه أخرجه من مصر بقوة كأنها قوة الحصان وحيد القرن

he has as is were the streng the of an umi carn.

باعتبار أن قرناً واحداً أفضل من قرنين.

وفي سفر الملوك الأول نص يقول أصلاً: إن صدقيا بن كنعنة قـلل إن يهوه الثور سوف ينطح أعداء يهوذا بقرنيه الحديد حتى يفنوا.

لكن النص غير في الترجمة إلى: وعمل صدقيا لنفسه قرني حديـد وقال وهكذا قال يهوه بهذه تنطح الآراميين حـتى يفنـوا ملـوك أول ١٢/١١/.

إلا أن صورة يهوه بعل ثور يعقوب ترسخت في صلب الديانـة فيما بدا إلى درجة جعلت من هذه التسابيح الكاشفة تفلت مـن سـفر المزامير.

أنت هو ملكي يا يهوه فأمر بخلاص يعقوب بك ننطح مضايقنا مزمور٤٤/٥،٤/[1].

هذه العبارات أوردها شفيق مقار لتدل على مدى تأثر كتبة يهوه بالإله ثور الذي كان معبوداً.

ولعل عبادة العجل بعد خروجهم من مصر العجل الذهبي لهو دليل على أن عبادة العجل (الثور) كانت متأصلة في نفس بني إسرائيل في عبادتهم للثور من بعد ذلك.

إن هذا الإله الذي رسمت ملامحه وأبرزت صفاته في أيام الأسر في بابل وفي دولة الأخمينيين يمكن أن نقول برز هناك اتجاهان كهنوتيان:

١. طفرة عارمة من الشراسة التي كانت قوية في شخصية يهوه فصور روائياً في أسفار التوراة ولهذا بدا يهوه عنيفاً مدمراً.
٢. طمس الآلهة المنافسة التي خاف منها رجال الكهنوت على مصالحهم.

والواقع أن عملية مراجعة نصوص التوراة وتحريرها وإعادة صياغتها بل وتأليف إصحاحات بأكملها وإضافتها إلى الأسفار كما في حالة النص الكهنوتي الذي أضيف إلى مستهل سفر التكوين ووضع المادة التثنوية التي أعطت النصوص نواتها الإيمانية.

في زمن السبي ضاع الملك وحوصر وكان من الطبيعي أن تضخم صورته صور الإله الشرس المفترس للحياة.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في العهد القديم ص٣٦١.

وفي تمتين الكهنة التثنويين لتلك الصورة كان عيرانرجال إلى الوباء والموت السومري البابلي قد غزا السامرة وصار هدفاً مشروعاً ومواتياً للغاية من أجل السطو عليه واحتلال يهوه كله بل إن أشعيا وسفره دليل واضح على هذا في قوله:

((ويكون أن الهارب من صوت الرعب يسقط في الحفرة والصاعد من وسط الحفرة يؤخذ بالفخ لأن ميازيب من العلاء انفتحت وأسس الأرض تزلزلت انسحقت الأرض انسحاقاً، تشققت الأرض تشققاً، تزعزعت الأرض تزعزعاً ترنحت الأرض ترنحاً كالسكران وتدلولت كالعرزال وثقل عليها ذنبها فسقطت ولا تعود تقوم))[(١)].

هذا النص مسروق من جلجامش حيث يقول: ((وفي الليل أنزل الموكل بالعاصفة مطراً مهلكاً ولما ظهرت أضواء السحر علت من الأفق البعيد غمامة مظلمة ومن قلب الغمامة أرعد الإله حدد وزلزلت رعود الإله حدد السماء وتحطمت الأرض كما تتهشم الجرة))[(٢)].

ويرى شفيق مقار أن الأرض التي تحطمت في نص أشعيا ليست الأرض التي نعيش عليها بل الأرض الإلهية الأم ويدلنا على ذلك لو تابعنا قراءة النص، وفي ذلك اليوم أن يهوه يعاقب حشد الآلهة العليين في علاهم ويعاقب ملوك الأرض على الأرض فيجمعهم كلهم معاً في الهاوية ويسجنون ويغلق عليهم في حبس، ثم بعد أيام كثيرة يتعهدون ويخجل

(١). أشعياء ص٢٤/١٨-٢٠/.

(٢). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ٥١٠.

القمر وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون وفي أورشليم وقدام شيخه مجدٌ ٢٤/٢١-٢٣/ والنص ملغز وهو يبدأ بيد أشعيا أو بيد محرريه أو باليدين معاً معالج بتدخلات المترجمين فلنحاول فك طلاسمه جزءاً جزءاً.

ما الذنب الذي سيعاقب يهوه من أجله؟

من سيقع عليهم العقاب؟

يبدو أنه ذنب منافسته على العرش الذي رآه أشعيا وقد تربع عليه ممجداً أمام قدميه أي عرش ملك الآلهة فالذين سيعاقبهم يهوه غير ملوك الأرض هم الآلهة العليون في علاهم.

وقد تدخل المترجمون إلى العربية متبرعين بتمويه النص لأسباب غير مفهومة فحولوا الآلهة العليين في علاهم إلى جند العلاء في علاهم وغيروا يعاقب فجعلوها يطالب في حين ظل النص في ترجمة الملك جيمس:

shall panish the bast of the high onces that are on gigh.

وإذ أدخل أشعيا الآلهة العيليين بعد أن أنزلهم من علاهم إلى الأرض ثم أنزلهم إلى الهاوية مع ملوك الأرض الأمميين خصوم الشعب في سجن يهوه استدار فسجل انتصار يهوه أسطورياً على الوجه التالي:

١.خجل القمر الإله ملكة السموات.

٢..كان تربعه على العرش على قمة جبل صهيون وسط قدميه مجمع الآلهة.

٣.خزي الشمس.

٤. تربع يهوه الإله المحارب ملكاً على كل الآلهة التي قهرها وأسرها وسجنها[1].

وبهذا ضخمت صورة يهوه وأعلنوا عن شراستهم واعتبروه رب الجنود حتى يربطوا أملهم بالانتصار في المستقبل طالما ربهم يهوه هذا الإله الشرس الذي انتصر على الآلهة الأخرى فعليهم أن ينتصروا على الأقوام الأخرى، لكل هذا حاولوا أن يأخذوا ليهوه صفات عامة سرقت من الآلهة كلها من هنا وهناك.

لكنه بقي إلهاً قبلياً صاغه اليهود كما شاؤوه أن يكون فكان شبيههم وكانوا الشبيهين به ولو في أحلام اليقظة.

((أحمدك من كل قلبي قدام الآلهة أرغم لك أسجد في هيكل قدسك وأحمد اسمك على رحمتك وحقك لأنك قد عظمت كلمتك على كل اسمك في يوم دعوتك أجبتني، شجعتني قوة في نفسي))[2].

وهذه النغمة تتكرر كثيراً في كتابهم المقدس سواء كان ذلك في المزامير أم في أماكن أخرى ارجع إلى المزمور١٣٦/١-٣/ و ١٠٥/٢٤-٢٦/، بل إنهم ادعوا أنهم أبناء يهوه وأحباؤه وقد ردّ الله سبحانه وتعالى هذه الدعوة فقال في القرآن الكريم: ﴿**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**﴾[المائدة:١٨].

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ٥١٠-٥١١.

(٢). العهد القديم المزمور ١٣٨/١-٣/.

الثواب والعقاب

لم يؤمن اليهود بالوجود الأخروي وخلت ديانتهم من أي إشارة للبعث أو الحساب في الآخرة ولا يوجد فيها إلا البعد الدنيوي الأرضي وبهذا خالفت دعوهم الديانة المصرية التي تؤمن بالروح والآخرة وخالفت الدعوة الموسوية التي قامت حسب ادعاءات بعض الكتابات على الأصل المصري.

ولو ناقشنا التوراة كلها لما لاحظنا اهتماماً مهما بدا قليلاً في الجانب الآخروي والسبب في ذلك كما يقول البروفسور كلاين: ليست اليهودية من الأديان التي ترغب الناس باعتناقها لقد أغفل اليهود التوراة المنزلة وعملوا بالتوراة المكتوبة على هواهم(١).

ويؤكد هذا القول الدكتور فوزي محمد حميد بقوله: إن التوراة اليهودية المكتوبة والتلمود المنطوق لا يوجد فيهما ذكر للحياة الآخرة ويوم البعث أو يوم الحساب، ولا يذكران عن الروح شيئاً بخلاف التوراة المنزلة.

فالدين اليهودي بعيد عن الروحانيات لأن حياهم تقوم على المادة وحب التملك.

ورد في التلمود: إن الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهودياً آخر لا يدخلون الجنة، وإنما تدخل أرواحهم في الحيوانات والنباتات ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب عذاباً أليماً مدة اثني عشر شهراً ثم تعود ثانية.

---

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأساطير ص٣٤٥.

السمة هي سمة القوة والبطش إله الحرب كان أول الآلهة عند الآشوريين وأقدمهم آشور الذي منح اسمه الأول عاصمته لهم كما منحه لتاريخهم في كافة المراحل وكان أقدم الآلهة وسيدهم جميعاً له مظهر عسكري مميز فهو إله الحرب الذي يخضع له الجميع وكان يمثل دائماً وهو يحمل قوساً في وسطه سهم كدليل على قوته وجبروته(1).

أما يهوه فقد صوره كتبة التوراة على أنه رب الجنود واسمع هذا المزمور لترى هذه الصفة صفة آشور في يهوه وقد اختلسها له كهنة يهوه:

يا راعي إسرائيل اصنع يا قائد يوسف كالضأن يا جالساً على الكروبيم أشرق يا رب يا إله الجنود إلى متى تدخن على صلاة شعبك.

يا إله الجنود أرجعنا وأنر بوجهك فنخلص.

يا إله الجنود أرجعن اطلع من السماء.

يا رب يا إله الجنود أرجعنا أنر وجهك فنخلص مزمور٨١.

ما أحلى مساكنك يا رب الجنود ٨٤/١/.

يا رب إله الجنود اسمع صلاتي ٨٤/٨/.

يا رب الجنود ملكي وإلهي ٨٤/٣/.

يا رب يا إله الجنود من مثلك قوي رب وحقك من حولك ٨٩/٨/.

يا رب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك ٨٤/١٢/.

---

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة ص١١٥.

يا إله النقمات يا رب يا إله النقمات أشرق ١/٩٤/.

سبحوا الرب من السموات سبحوه في الأعالي سبحوه يا جميع الملائكة سبحوه يا كل الجنود، مزمور١٤٨/١-٢/.

هذا الإله الذي صاغه كتبة التوراة وكهنة اليهود كما أرادوا فكان لهم ما أرادوا لم يوحدوه في يوم من الأيام وإنما اعتبروه إلهاً في مجمع الآلهة وإنه خاص بهم وهم خاصون به، وإنه إلههم وهم شعبه ولن ترى عبارة توحيدية للإله ليشمل العالم كله حتى في أيام الأنبياء المتأخرين وإنما يبقى يهوه إلههم الخاص بهم.

لتدخل في الجمادات ثم في الحيوانات ثم في الوثنيين ثم ترجع إلى جسد يهودي بعد تطهيرها فهم يعتقدون بمبدأ تناسخ الأرواح والتقمص...وذكر الجنة والنار في التلمود أقرب إلى الخرافة والأساطير[1].

ولو رجعنا إلى الوصايا العشر التي كرسها كتبة التوراة لرأينا أنها تقول: ((أكرم أباك وأمك كي تطول أيامك على الأرض))

وقد ذكرت أساطير كثيرة عما وراء القبر وتحرك الأرواح ولم يكن إبراز فكرة الثواب والعقاب عند البابليين واضحة فقد كانوا يعتقدون أن روح الإنسان بعد الموت تنقذ من القبر وتترل إلى العالم السفلي أرولو وهي مدينة كبيرة مهجورة يلفها الظلام، يعيش فيها الموتى

---

(١). المصدر السابق ص ٣٤٧.

حياة حزينة يأكلون التراب ويشربون المياه القذرة ولا يمكن التخفيف من هذا البلاء إلا بالقرابين التي يقدمها أصدقاء الميت وأقرباؤه الأحياء.

أما الأخيار من البشر فتصعد أرواحهم إلى السماء لتلاقي الآلهة فمصيرهم الاستقرار والخلود الذي تهبهم الآلهة وتباركهم[1].

والفكر البابلي في هذا المجال يشكل خطوة متقدمة بالنسبة للفكر اليهودي وإن اتفقا في تقسيم الناس بعد الموت إلى فئتين إلا أنهم اختلفوا في مكانيهما بعد الموت.

١.اليهود الفاسدون والناس العاديون فإن موتاهم يذهبون إلى الهاوية وقد يعوضون عن كلمة الهاوية بالجب.

لأنك لن تترك نفسي في الهاوية، مزمور ١٦/١٠/.

فالناس أخيار وأشرار ومن البدهي أن يكون لكل طريقه واسمع هذا المزمور وهو المزمور الأول من المزامير:

((طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس، لكن في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج ليلاً ونهاراً كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل، وكل ما يضعه يبهج، ليس كذلك الأشرار لكنهم كالعصافة التي تذريها الريح لذلك لا تقوم الأشرار في الدين ولا الخطاة في جماعة الأبرار لأن الرب يعلم طريق الأبرار أما طريق الأشرار فتهلك))

---

(١). المصدر السابق ص ١١٧.

إذن هناك طريقان للناس طريق الأشرار إلى الهاوية إلى الجب، وطريق الصالحين فالصالحون تطول أيامهم على الأرض ثم يدفنون بشيبه صالحة.

الأشرار يرجعون إلى الهاوية كل الأمم الناسين الله.

واسمع هذا المزمور ما يقول في هذا الصدد: ((إليك يا ربي أصوخ يا صخرتي لا تتصامم من جهتي لئلا تسكت عني فأشبه الهابطين في الجب، استمع صوت تقريعي إذ أستغيث بك وأرفع يدي إلى محراب قدسك لا تجذبني مع الأشرار ومع فعلة الإثم المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر في قلبهم)) مزمور٢٨/١-٣/.

وقد تقترن اللفظتان الهاوية والجب مع بعضهما للدلالة على الترادف في المعنى: يا رب أصعدت من الهاوية نفسي أجبتني من بين الهابطين إلى الجب، مزمور٣٠/٣/.

واسمع إلى هذا التصريح بالثواب الأرضي والعقوبة الأرضية:

((كف عن الغضب واترك السخط ولا تغر لفعل الشر لأن عاملي الشر يُقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض بعد قليل لا يكون الشرير، تطلع في مكان فلا يكون، أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون في كثرة السلامة)) مزمور٣٧/٨-١١/.

الشريرون يموتون ويجزون بالهاوية وفي الجب أما الخيرون فإنهم باقون على الأرض وارثون لها، ويتكرر هذا اللفظ في كثير من الأماكن في التوراة والمزامير بشكل خاص ولن أتابع النقل من التوراة.

ونهاية العالم في الرؤى اليهودية معلنة بعدد من الكوارث الأرضية والظواهر الكونية الشاذة ستضيء الشمس أثناء الليل والقمر أثناء النهار، وسيجري الدم كالأنهار وتخرج النجوم من محاجرها، وسيقاتل الناس بعضهم بعضاً، وستكون معركة هر مجدون التي سيكون فيها سحق الأمم الأخرى ويبقى اليهود بمفردهم يرثون الأرض ومن عليها، في ذلك اليوم يدين يهوه كل أمم الأرض ويسحقها ولا يبقي إلا شعبه المختار هذا هو الحساب وهذه هي النهاية.

هذا القدر من الإيمان بيوم الدينونة وذهاب الأمم إلى الهاوية أو الجب إنما هو مأخوذ من الفكر البابلي وفي هذا يقول جفري بارندز:

((هناك قدر من الغموض في نظرة بلاد ما بين النهرين إلى الموت والحياة الأخرى فالجحيم المظلم أرالو أو الأرض الهائلة أو دار الأشباح توجد تحت الأرض وتبلغها أرواح المتوفين عندما تعبر بالقوارب نهر خيرة وينعكس هذا الاعتقاد على شكل القوارب التي عثر عليها في بعض القبور))(١).

كما أن اليهود أخذوا العذاب الجماعي الذي رأيناه سابقاً في بلاد ما بين النهرين وهو موضوع المرثيات والطقوس الدينية.

أما العذاب الفردي كما حصل عند أيوب في سفره قد وقع مثيله في بلاد ما بين النهرين في سفر بعنوان لا متدحن رب الحكمة وفيه رجل غني يفتقد أملاكه وعائلته وصحته وربما عقله لسبب مجهول وهو يحاول

---

(١). بارندز جفري: المعتقدات الدينية لدئ الشعوب ص ٢٦.

عبثاً الكشف عن السبب من خلال كهنة بالتعاويذ والرقي وغيرهم، ويتعرض لتوبيخ أصدقائه كما في سفر أيوب كلما ناجى نفسه ليعرف الأسباب الغامضة للشر ثم لا يجد حلاً للمشكلة إلا بالتوجه للإله مردوخ بالتسبيح والدعاء وهو ما فعله أيوب في سفره.

ولعل هذا السفر منحولاً برمته من السفر العراقي أيضاً ونسبه اليهود إلى أنفسهم فهم ليسوا إلا لصوصاً قد سطوا على كل الأمم.

وتعالج دراسة التدبير الإلهي البابلية الموضوع نفسه في صورة قصيدة من نوع خاص على شكل حوار بين المعذب وصديقه فعندما يعرض الأول وجهة نظره فإن الصديق يرد عليها بالحجة المعتادة وهي حجة ظاهرة التناقض تقول مادام الآلهة ينظمون الكون ويسيطرون عليه فإن أساليبهم لا يمكن التكهن بها غير أن التقوى مفيدة باستمرار في نهاية المطاف(١).

وهذا ما حصل في سفر أيوب

وقد تأثرت الرؤية اليهودية بالرؤية البابلية حول الموت والعدم فقد كان الاعتقاد السائد لدى بلاد الرافدين أن الموتى يتحولون بعد الموت إلى قوى خفية شريرة حاقدة على الأحياء تنتقم منهم لكونهم ظلوا أحياء، ومن يقرأ سفر صموئيل وكيف كانت الساحرة تستدعي الرواح وذهاب شاول إليها لعرف أن هذه النظرة أخذت من الميثولوجيا البابلية، ارجع إلى صموئيل٢٨/٩-١٨/.

---

(١). المصدر السابق ص ٣٥.

وكان البابليون يؤمنون بأن محاسبة الآلهة للبشر محاسبة أرضية صريحة، وبأنه نتيجة أرضية أيضاً.

الثواب النجاة من المرض والشرور وحيازة المكان والسطوة والثراء والانتصار على الازدهار الدنيوي عموماً.

والعقاب هو عكس ذلك وليس بمستغرب أن تتردد لفظة سلاه ثلاثاً وسبعين مرة في سفر المزامير إشارة إلى عالم الموت البابلي السومري الذي أخذت منه شيول.

وقد استمات الشراح والمفسرون استماتة غريبة في تفسير سلاه هذه بوقفة موسيقية وبفقرة تصعيد للنغم والصوت، والذي يصدح هنا الجهل والتجاهل إصراراً على التعامي عن المعنى الحقيقي للفظة التي وردت في السفر كمرادف للجب أو الحفرة العميقة أو الهاوية التي تشبث بها المترجمون إلى العربية(١).

يقول المزمور الثامن والثمانون: ((أفلعلك للأصوات تصنع عجائب أم الأخيلة تقوم بمجدك سلاه هل يحث في القبر برحمتك أو بحقك في الهلاك، هل تعرف في الظلمة عجائبك وبرك في أرض النسيان)) /١٠-١٢/.

واسمع إلى المزمور نفسه حينما يصف الموتى وما يحل بهم ((لأنه قد شبعت من المصائب نفسي وحياتي إلى الهاوية دنت حسبت مثل المنحدرين إلى الجب صرت كرجل لا قوة له بين الأموات فراشي، مثل

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٥٢.

القتلى المضطجعين في القبر الذين لا تذكرهم بعد وهم من يدك انقطعوا، وضعتني في الجب الأسفل في ظلمات في أعماق على استقر غضبك وبكل ثيارتك أذللتني سلاه)) /٤-٧/.

وتتكرر سلاه كثيراً ولا ترد إلا عند ذكر الأموات مما يدل على ارتباطها بالهاوية والجب وإذا ما علمنا أن سلاه هي الهاوية في البابلية عرفنا سر الارتباط، ويقول شفيق مقار في هذا الصدد:

((والذي حدث لليهودية أنها ملأت الفراغ الذي أوجده موسى فيها عن عمد في هذه الخصوصية الهامة عبادة بابلية كانت منهوبة هي الأخرى ككل شيء آخر، وحرفت هي الأخرى لإخفاء الأصل الذي نهبت منه، لكن الملامح الأساسية ظلت ناطقة بمنشئها ففي الميثولوجيا البابلية كان الموت هو الاندثار، والقبر هو الظلام الرهيب والحفرة العميقة التي لا صعود منها والمكان الكئيب الذي لا يعود من يذهب إليه والمكان الذي لا يخرج منه من دخله))(١).

والذي لا خلاف عليه أن اليهودية لم تبن كديانة على مفهوم بقاء الروح والإيمان بأن هناك عالماً آخر بعد الموت يحاسب البشر فيه بعد رحيلهم عن الدنيا على ما فعلوه في حياتهم الدنيوية ويثابون أو يعاقبون واسمع معي هذا المزمور: ((أنتم مباركون للرب الصانع السموات

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٥٠.

والأرض السموات سموات للرب أما الأرض فأعطاها لبني آدم وليس الأموات يسبحون الرب ولا من ينحدر إلى أرض السكوت))[1].

الانتصار على التنين

هل ورد التنين في أسطورة الخلق كما ورد في الأسطورة البابلية؟

أم أن المؤلف لسفر التكوين قد رمز إليه.

هذا السؤال لا بد منه لنعرف كيف نتعامل مع النص التوراتي.

ويجيب على هذا السؤال شفيق مقار في كتابه الجنس في التوراة:

في تأليف أسفار التوراة سبق المؤلفون وجود التنين على خلق العالم ذاته فعلى الرغم من أن لفظة التنانين لم ترد صراحة إلى قول فؤلف السفر أن خلق التنانين العظام كان في اليوم الخامس من أيام الخلق الستة مع ذوات النفس الحية الدبابة التي فاضت بها المياه كأجناسها وكل طائر ذي جناح كجنسه تكوين ١/٢١/. فإن السفر وضع التنين قبل ذلك اليوم الخامس بوقت طويل فسبَّق وجوده على وجود أي كائن بل على وجود السماء والأرض والنور وكل ذلك بقوله: إنه في البدء لم يكن إلا توهو ورهو وعلى وجه تهوم كان هوشخ، وكان روح يهوه يرف على وجه تهوم وهو القول الذي وصلنا ووصل عشرات الأجيال قبلنا محرراً على الوجه التالية في الترجمة العربية:

((وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه))تكوين ١/٢/.

(١). مزمور ١١٥/١٥-١٧/.

ويقول جريغرز وباتاي في تعليقهما على النص الأصلي قبل تغييره في الترجمة إن محرر سفر التكوين الموحد بيهوه لم يجد لديه استعداداً لأن يترك في النص الأصلي أي قول يعطي أي دور في عملية الخلق لأي ألوهية سوى يهوه، ولهذا فإنه حذف كل العناصر والكائنات ذات الصفة الإلهية ووضع بدلاً منها محررات مثل الفوضى الأولى تهو وبهو والغمر تهوم والظلمة هوشخ مطمئناً إلى أن مثل هذه المجردات ليس فيها ما يغوي أحداً بعبادتها بدلاً من يهوه وبذا حلت تلك المسميات محل ما كان هنلك من معبودات ثم يقولان إن معنى تهو وبهو مازال محل جدل وخلاف إلا أننا إذا أضفنا حرف الميم إلى كل من المسميات أصبح تهو تهوم، وبهو بهوم وبهوم كما هو بهموت الواد وذكره في سفر أيوب الحيوان البري الخرافي قرين لوياثان، ورهب وتنين ونحش أو أي مخلوق أسطوري آخر مشخص للمياه، وهكذا فإن الحكي الكامن تحت السطح في نص سفر التكوين ١/٢/ يمكن أن يكون على النحو التالي: إن العالم في حالة البدئية تألف من وحش مياه خرافي هو تهو ووحش بري خرافي هو بهو، وفي ذلك نجد تطابقاً لهوية تهو مع هوية تهوموت وهوية بهو مع هوية بهموت، وهذا تطابق رفيع مع النصوص لدواع متعلقة بالعقيدة بحيث تحول بهو وتهو إلى الفوضى والخراب أو الخراب والخواء مع جعل كل من تهموت وبهموت مخلوقين خلقهما يهوه، والهولة المائية البابلية القرينة لتهوموت التوراتية هي تهامت (تيامش تعامت)[1].

---

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة ص ٤١٥.

فما قصة همو وبهو هذه؟

لقد رأينا في قصة الخلق والتكوين أن هناك وحشاً خرافياً أو آلهة بابلية شريرة أسماها البابليون تعامت أو هامة أو تيامت حسب لغة المترجم، ووجود العين أو الهاء، وعرفنا كيف غلب الإله مردوخ هامة هذه وشقها إلى نصفين وكون منها الأرض والسماء.

ولا حاجة بنا إلى مناقشة هذا النص من جديد.

والشيء الذي أود أن أشير إليه أن كتبة التوراة لم يحسنوا إخفاء أصل هذا الحيوان ولا كيفية الصراع بينه وبين يهوه.

وأحب أن أشير إلى أن المصادر المختلفة التوراتية قد اختلفت في الاسم فهناك مصادر أوردت اسم رهب ومصادر أوردت اسم بهموت أو همموت ومصادر أوردت اسم لوياثان.

والمصادر كلها أجمعت على وجود صراع بين يهوه وهذا الحيوان وانتصار يهوه على هذا الحيوان كما انتصر مردوخ على همامت.

ولنورد كل حيوان بمفرده:

هموم: يقول شفيق مقار في هذا الصدد: ((فأرومة كل من حية يهوه المنحوية وبهوموت أرومة عريقة تعود إلى السومريين والبابليين والكنعانيين.

رب الجنود الزاجر البحر عندما تعج أمواجه كان قبل التحرير الزاجر هموم عندما يثور أرميا ٣١/٥/.

أفإياي لا تخشون يقول الرب؟ أولا ترتعدون من وجهي وأنا الذي وضعت الرمل تخوماً للبحر فريضة أبدية لا يتعداها فتتلاطم لجحه ولا تستطيع، وتعج أمواجه ولا تتجاوزها، أرميا ٥/٢٢/.

نص تفاخر فيه يهوه بإنجاز بعل ومردوخ وأنكي المتمثل في لجم الإلهة المتمثلة في المياه وإيقافها عند حدها أو وضعها في مكانها باستخدام كنية تعامت /تهامت/ البابلية في ذلك التعبير، وأنا الذي وضعت الرمل تخوماً لتهوم[1].

وقد مرت كلمة تهوم في المزامير ويرى شفيق مقار إن هذه النصوص كلها قد خضعت للتحرير والتغيير.

المزمور ٨٩/٨-١٠/ الأصل قبل التحرير يا يهوه يا رب الجنود من مثلك قوي؟ أنت المتسلط على كبرياء تهوم عند ارتفاع لجحها، أنت تسكنها أنت سحقت تهوم مثل القتيل بذراع قوتك بددت أعداءك، فصارت بعد التحرير: يا رب يا إله الجنود من مثلك قوي رب وحقك من حولك أنت متسلط على كبرياء البحر عند ارتفاع لجحه أنت تسكنها أنت سحقت رهب مثل القتيل بذراع قوتك بددت أعداءك.

المزمور الثالث والتسعون /٣-٤/ الأصل قبل التحرير: رفعت تهوم يا يهوه صوتها يعلو عجيجها يهوه في العلى أقوى من أصوات المياه الكثيرة من غمار أمواج تهوم.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في العهد القديم ص ٤٢٠.

النص بعد التحرير: رفعت الأنهار يا رب رفعت الأنهار صوتها يعلو عجيجها من أصوات مياه كثيرة من غمار أمواج البحر يهوه في العلى أقدر.

المزمور ١٠٤/٦-٨/ الأصل قبل التحرير: فوق الجبال تقف تهوم من انتهارك تهرب، من صوت رعدك تفر تصعد إلى الجبال تنزل إلى البقاع إلى الموضع الذي أسسته لها وضعت لها تخماً لا تتعداه ولا ترجع لتغطي الأرض.

النص بعد التحرير: كسوتها الغمر كثوب فوق الجبال تقف المياه، من انتهارك تهرب من صوت رعدك تفر تصعد إلى الجبال تنزل إلى البقاع إلى الموضع الي أسسته لها وضعت لها تخماً لا تتعداه لا ترجع لتغطي الأرض.

فلا غرو إن كان العهد القديم وبخاصة في سفر المزامير وأسفار النبيين يطالعنا مترعاً بالترانيم الممجدة لذلك الانتصار مزمور ٦٥/٦-٧/ ومزمور٧٤/١٢-١٣/ ومزمور/٨٩/٨-٩/ ومزمور١٠٤/٦-٩/ وأرمياه/٢٢/ وحتى لا تغمض الصورة كثيراً نذكر أنفسنا بأن الشعب الذي أقحم الأدب الديني المؤلف له بكل هذا الانشغال بسطوة المياه وخطورتها لم يكن شعباً بحرياً تطلب طريقة حياته ركوب البحر ومخاطره أو شعباً معرضاً للفيضانات كشعب الرافدين بل كان شعباً صحراوياً

شعب رعاة يبحث عن المياه كما يبحث عن الكتر طلبا لتـأمين حياتـه وقطعانه[١].

أما رهب فقد ورد في المزامير للدلالة على تهوم وأمـا لوياثـان فسنناقشه في المصدر الكنعاني وإن تقارب المصدر الكنعاني من المصـدر البابلي في بعض هذه الأساطير إلا أنني آثرت أن أفصل كل مصدر وأثـره لنفسه.

فالكنعانيون مثلاً يحتفلون كل عام بتجدد السنة وكذلك البابليون والسومريون ويرى الطرفان أن النظام الكوني يضطرب باستمرار بسـبب الأفعى الكبيرة le grand serpent البدئية رهب ـ لوياثان أو تهـوم ـ التي تهدد العالم بالعماء عن طريق الجراثيم والآثام وأخطاء البشر الذيـن ينشدون التكفير عنهم والتطهير بمساعدة الشعائر المتنوعة ولكن العـالم يتجدد دورياً، يخلق من جديد بواسطة عيد العام الجديد الاسم السـومري لهذا العيد / / akit-til الذي يعني قوة تعمل على إعادة إحياء العـالم و til تعني عاش وعاود الحياة وشفي فكل دورة للقـانون الخـالد رجـوع مطلوب[٢].

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٢٦٥.

(٢). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص٨٤/.

الحية

وردت الحية في العديد من الأماكن في التوراة فقد وردت أول مرة في سفر التكوين: ((وكانت الحية أصل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلان من شجر الجنة فقالت للحية من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلان منه ولا تمساه لئلا تموتا فقالت الحية للمرأة لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية المنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر، وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت فقال من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها؟ فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة الحية أغرتني فأكلت، فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك))[1].

---

(١). سفر التكوين الإصحاح الثالث /١-٤/.

هذه هي المرة الأولى التي مرت فيها الحية وقد جعلـــها الكـــاتب التوراتي عدوة للجنس البشري ولا أدري لم جعل لها هذا الدور أما المـــرة الثانية فقد وردت حينما عبدها بنو إسرائيل.

ولنناقش الحالة الأولى في وجود الحية في الجنة وقد عثر في بـــلاد العراق على أثر يشابه هذه القصة فهناك رجل وامرأة يقعان تحت شـجرة نخيل قد تدلى منها عذقها والحية تقف بجانب المرأة تغريها على الطعـــام منها مما يدل على أن القصة التوراتية استعملت نوعاً من التقاليد البابلية.

ومع ذلك فقد نجحت الحية في إغراء المرأة ويقول شفيق مقـــار: هذا المشهد الغامض أفسح المجال لتفسيرات لا حصر لهـــا وإن خلفيتـــه تذكر برمز أسطوري معروف جداً.

الربة العارية والشجرة العجيبة وحارسها الأفعى إلا أنه من جهـــة أخرى وبديلاً عن بطل ينتصر وينتزع رمزالحياة، فإن القصة التوراتية تمثل آدم ضحية ساذجة لخديعة أفعى وإجمالاً صله بتخليد مفقـــود كمـــا في جلجامش.

ولكي نعود للسيناريو المثار حالياً: الربة العارية والشجرة العجيبـة المحروسة من قبل تنين فإن الحية في التكوين قد نجحت جـــداً في نهايـــة المطاف في دورها كحارس وكرمز للحياة والفتوة، ولكن هذه الأسطورة القديمة قد صورت جذرياً من قبل كاتب القصص التوراتي، فالســـقوط المادي لآدم قد أعيد تفسيره كعقاب برز على نطاق واسع معصية خذلت

طموحه الشيطاني برغبته بالتشبه بإله، وقد كان هذا هو أكبر ذنب المخلوق ضد خالقه[1].

والحالة الثانية للحية فقد جاءت قرب أرض أدوم وكانت عقاباً لهم لأنهم تذمروا على موسى والله فأرسل عليهم الحيات فلدغت الشعب ومات فاستعمل تميمة بشكل الحية ورفعها راية والحية هنا مأخوذة من الأصل المصري ولهذا لن نناقش الآن هذه القصة.

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات ص ٢٠٧.

الطوفان

ورأى الرب أنَّ شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم فحزن الرب على أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته الإنسان مع البهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب(١).

هذه الكلمات القليلة لي عليها ما يلي:

١. إن الرب عند الكاتب مثل الإنسان يحزن وهذه الصفة من صفات عمل الكهنوت والأحبار اليهود.

٢. إن الرب عند الكاتب مثل الإنسان يندم ويتأسف ويخطئ وهذا اعتراف من كاتب التوراة فيهوه أخطأ في خلق الإنسان وكان عليه أن يتحمل خطأه، فلا يحاسب الآخرين على أخطائه ولا يحاسب نفسه فالكاتب التوراتي يسير في منطق التبرير للرب.

٣. لماذا يهلك الرب الدبابات والبهائم وطيور السماء مع العلم أنها لم تخطئ والإنسان الوحيد هو المخطئ فلماذا حوسبت هذه الحيوانات على أمور لم ترتكبها؟

(١). العهد القديم سفر التكوين ص٦/٥-٨/.

٤. استثنى كاتب التوراة نوحاً من هذا الغرق دون أن يبين سبب ذلك، أما القرآن فقد بين هذا الاستثناء لأنه نبي دعا قومه فلم يؤمنوا وكان كلما دعاهم أصروا واستكبروا استكباراً.

٥. لم يستثن النص التوراتي غير نوح وبنيه الثلاثة وكانوا حسب رأي التوراة في المائة سنة سام وهو البكر ولكن التوراة لم تشر إلى أحد أبناء نوح أنه هلك مع الهالكين.

٦. قال النص القرآني بوجود من آمن من قوم نوح وإن كانوا قلة وقد أوردت ذلك في مناقشتي إسرائيل ويعقوب.

لا أريد مناقشة مشكلة الطوفان الآن وأبرز ما فيها من تناقضات وإنما أريد أن أبين العلاقة مع المدونات السومرية البابلية.

لقد بحثت الطوفان السومري البابلي وأثره في كتابي بابل لصوص اليهود وقد أشار إلى ذلك الأثر شفيق مقار بقوله:

((ومن اللافت للنظر في شأن نوح وأسطورة الطوفان أن سفر التكوين حدد بدقة متناهية يوم بداية الطوفان تحديداً جديراً بالإعجاب في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من سنة ٦٠٠ من عمر نوح وأن أسطورة أتراحسيس تذكر أن الآلهة ضاقت مما أحدثه البشر من ضوضاء أقلقت راحة الآلهة في السماء في سنة ٦٠٠ بعد خلق البشر فقررت إبادتهم في الطوفان في تلك السنة وهو ما أخذه المؤلف التوراتي يجعله عمراً وسطاً لنوح الذي أكد السفر أنه عاش بعد الطوفان/ ٣٥٠/ سنة، فكانت أيام نوح تسعمائة وخمسين سنة مات، تكوين٩/٨/.

غير أنه وإن كانت حكاية الطوفان وما صاحبها من هذيان في سفر التكوين سرقت من بابل من أصول سومرية وبابلية فإن فكرة المحيط الذي في السماء ووجود طاقات في السماء ينسكب المطر كلما فتحت سمحت للمياه التي فوق الجلد بالانسكاب على الأرض كانت فكرة شائعة في عبادات الشرق الأدنى وكان بناء إيل بيته فوق تلك المياه التي فوق الجلد هناك في المكان القصي الذي تنبع منه الأنهار.

ومما يبين أن من اختلس حكاية الطوفان في بابل من أصولها السومرية وصياغتها البابلية فعل ذلك وفي ذهنه كنعان وإلهها ليتبين ما إذا كانت مياه الطوفان بدأت تنحسر عن الأرض أم لا، تعود إلى نوح وفي منقارها ورقة زيتون خضراء والزيتون لا ينمو في بلاد الرافدين ولا على قمة أراراط بل في كنعان والثابت الآن على آية حال أن الطوفان ذكر في نصوص أوغاريتية))(١).

الكارثة الطوفانية تعادل نهاية العالم وفي الأصول السومرية نجا كائن بشري واحد يدعى زيسودرا وفي النص الآكادي أو تنابشتيم وخلافا لنوح لم يسمح للبشر الذي نجا في المصدر البابلي السومري بالحياة على الأرض التي غمرت بالمياه على جانب قل أو كثر من الألوهية ولكنه تمتع بالخلود وسنجد ترجمة الطوفان في ملحمة جلجامش هذا العمل الشهير والذي حفظ بدرجة جيدة يوضح لنا أفضل المتشابهات مع القصة السومرية، ومن الراجح أن هذا يتصل بمصدر مشترك قديم.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ٣١٩.

وكما هو معلوم منذ تجميعات أندريه وهذا أوزبر وج.ج فريزر أن أسطورة الطوفان هي تقريبا منتشرة عالميا وقد تأكدت في كل القارات (مع كونها نادرة جدا في أفريقيا) وعلى مستويات مختلفة الثقافة، إن العديد من رواياتها المختلفة تبدو حصيلة الانتشار ونحن نختلف مع التوراة في تحديد زمن نوح إذ أن الطوفان وحسب تقدير العمر المطير للجزيرة العربية يعود إلى سنة ١٥٠٠٠ ق,م وفيها تم الطوفان.

ويؤكد هذا الحدث سرقة النص البابلي مرسيا إلياد حيث يقول: إن القصة التوراتية للطوفان تظهر العديد من العناصر المشتركة مع الطوفان المروي في ملحمة جلجامش ومن الممكن أن يكون الكاتب قد عرف نص ما بين النهرين أو أن ما يبدو أيضا أكثر رجحانا أنه استعمل مصدرا قديما محفوظا منذ أوقات لا يمكن تذكرها في الشرق الأوسط.

إن أساطير الطوفان منتشرة جدا وهي تتوازع أساسا المزية نفسها الضرورة للتدمير جذريا لعالم فاسد وبشرية فاسدة وذلك يهدف إعادة خلقها.

غير أن هذا العلم الكوني الدوري يبدو أنه أسبق أن تحور في النصوص السومرية والآكادية فمؤلف القصة التوراتية ويستعيد ويمدد إعارة تفسير لكارثة الطوفان إنها يرفعها إلى مصاف مشهد من التاريخ المقدس، إن يهوه يعاقب فساد الإنسان ولا يتألم لضحايا كارثة أرضية كما فعل الآلهة في النص البابلي(١).

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات الدينية /جـ١ ص ٢١١/.

لقد تعاطف مرسيا إلياد مع كتبة التـــوراة وأتنابشـــتيم بطـــل الطوفان في القصة البابلية، وزوراسادورا بطل ملحمـــة الطوفـــان عنـــد السومريين، ونوح بطل ملحمة الطوفان في التوراة اليهودية، كل منـــهم يحذره الإله من الطوفان، فأوتنابشتيم يحذره الإله بغياب الآلهة الآخـــرى فيرحل، وخير ما يصف لنا ذلك الدكتور أحمد سوسة: ((جاءت الروايتان متفقتين في المدونات السومرية والبابلية والتوراتية على أن طوفانا هـــائلا وقع في وادي الرافدين في أحد الفيضانات الخارقة العـــادة وكـــان هـــذا الطوفان من الاتساع وشدة الاندفاع بحيث غمر منطقة دلتـــا الرافديـــن كلها، وقضى على جميع معالم المدنية والعمران في هذه المنطقة الواسعة.

ولم ينج من السكان إلا زعيم ديني وأفراد أسرته والحيوانات التي حملها في الفلك التي أوصى إليه من قبل ببنائها، وممـــا لا يقبـــل الشـــك والجدل هو أن قصص الطوفان الواردة في الروايات الســـومرية والبابليـــة تتعلق تماما مع ما ورد في التوراة فيما يتعلق بأسباب الطوفان[1].

وأضاف الدكتور أحمد داود نقلا عن الدكتور إدوارد كيبـــيرا فقال: ((أما قصة الطوفان التي وردت في التوراة فهي كغيرها من مـــواد التوراة المأخوذة من الأدب البابلي والسومري معا يقول العـــالم الآثـــاري إدوارد كبيرا في كتابه كتبوا على الطين:

إن قصة الطوفان البابلية والآشورية نجد الفلك المطلـــي بالغـــار وهو نفسه الذي ورد ذكره في التوراة وكذلك ورد ذكر رجل معين مـــع

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـــ١ ص ٣٦٢/.

أسرته حذرته الآلهة بقرب حدوث فيضان وانهمار مطر غزير يغرق الأرض ويميت الناس ثم ترسو السفينة على جبل، ويرسل هذا الرجل ثلاثة طيور ثم يخرج الناجي من السفينة ويقدم القرابين))[١].

وتنتهي القصص الثلاثة بنهاية واحدة سأنقلها من التوراة فهي واحدة: ((وبنى نوح مذبحا للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على الذبائح فتنسم الرب رائحة رضا))[٢]، بهذه العبارة تنتهي القصة البابلية والسومرية وتكمل القصة التوراتية: ((وقال الرب في قلبه لا ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ولا أعود أميت كل حي كما فعلت مرة، كل الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال))[٣].

غير أن هذه القصة تتغير ملامحها فيما إذا أردنا مقارنتها بالقرآن الكريم في النقاط التالية:

١. المنطقة التي صار فيها الطوفان ـــ مكان نوح ـــ لا يمكن أن يكون جنوب العراق إطلاقا يدل قول أحد أبناء نوح والذي حذفته التوراة: ﴿**سآوي إلى جبل يعصمني من الماء**

(١). داود أحمد: تاريخ سورية العام ص ٢٠٦.

(٢). العهد القديم سفر التكوين ص٤/٢٠-٢١/.

(٣). العهد القديم سفر التكوين ص٤/٢٠-٢٢/.

قال لا عاصم اليوم من أمر ربي وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾[هود:٤٢].

٢.الأساطير الثلاثة لم تشر إلى غرق واحد من أسرة الرجل الناجي بينما قال القرآن ذلك.

٣. لم تقل الأساطير الثلاثة بنجاة أحد من الناس سوى الرجل وأسرته بينما أفادنا القرآن الكريم بوجود أناس آخرين آمنوا معه فنجوا: ﴿**قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم إلى حين ثم يمسهم منا عذاب أليم**﴾[هود:٤٨]، ويقول القرآن أيضا﴿**حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل**﴾[هود:٤٠].هذا القليل أهمله أصحاب الأساطير الثلاثة ولم يعرجوا عليه إطلاقا.

٤. لم تبين الأساطير الثلاثة نوع صلة هذا الرجل البار مع الآلهة حتى أنجته، أما القرآن الكريم فقد عد نوحا من الأنبياء يبشر قومه وينذرهم لكنهم لم يستجيبوا فكان الطوفان جزاء وفاقا.

ويقول الدكتور داود: ((صفوة القول إن فيضانا مدمرا هائلا جعل دجلة والفرات يغمران ما بينهما من شمال بابل إلى الخليج فاكتسح بذلك أراضي سومر المنبسطة في سهل شنعار وقسما من أراضي السريان الآراميين قرب بابل فشرد الكثير من أهلها وأهلك الكثير، ولما لم تأت

المدونات البابلية بتحديد دقيق لتاريخ حدوث هذا لفيضان فقد اتفق علماء الآثار على جعل الألف الثالثة قبل الميلاد حدا عرفيا فاصلا ما بين أحداث ما قبل الطوفان وما بعده، والألف الثالثة هذه التي تتفق وعهد أول فرعون من السلالة المصرية الأولى دلالة على انتقالية مهمة في تطوير تاريخ العراق القديم إذ أصبح هذا التاريخ في عرف علماء الآثار حدا فاصلا يرمز إلى الانتقال من مغارة العصور الحجرية إلى مدنية العصور التاريخية التي تبدأ بفجر السلالات السومرية))[1].

أما أنا فلا أقر ما جاء عند أحمد داود من أن الطوفان كان في الألف الثالثة قبل الميلاد للأسباب التالية:

١.لو كانت الأمور بهذا الوضوح لسجلوه بالتفصيل الدقيق ولاعتبروه تاريخا مهما، وأرخوا به منذ حدوثه ونحن نعلم أن التاريخ في القديم كانوا يعتبرونه حدثا مهما أو تولية ملك ويؤرخون به لكن السومريين لم يؤرخوا به.

٢.إن اتفاق المؤرخين هذا إنما أخذوه اتكاء على التوراة إذ اعتمدوا أن إبراهيم الخليل وجد في عام ٢٠٠٠ تقريبا ومن ثم قدروا ما بين الطوفان وإبراهيم بمئات من السنوات فصار الطوفان في الألف الثالثة.

٣.قدروا مكان الطوفان خطأ فجعلوه في العراق في سهل شنعار لما توافرت لديهم من معلومات توراتية والتي نقلت

---

(١). داود أحمد: تاريخ سورية العام ص ٢٠٦.

عن السومريين والبابليين ولكنهم لم يفحصوا الرواية القرآنية ولم يحاولوا أن يأخذوا منها المعلومات ولو فعلوا هذا لوجدوا:

١.مكان الطوفان مكان ليس فيه أنهار وأهل المنطقة بحاجة إلى مطر ولهذا وعدهم نوح بهطول المطر إن آمنوا بالله، فقد ورد النص القرآني في سورة نوح:

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ* أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِي* يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[نوح:١-١٤].

إننا أمام هذا النص نقف لنبدي بعض الملاحظات:

١.المنطقة ليست سهل شنعار لأن سهل شنعار لم يصبه الجفاف والقحط بدلالة قوله: ويجعل لكم جنات، وسهل شنعار كان ولازال جنة.

٢.المنطقة ليست سهل شنعار لأن نوحا قال ويجعل لكم أنهارا وسهل شنعار ليس بحاجة إلى أنهار زيادة.

٣.الآلهة التي وردت عند قوم نوح، ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر الواردة ذكرها في القرآن لم يعبدها الأقوام التي قطنت سهل شنعار.

٤.المنطقة ليست سهل شنعار لعدم وجود الجبال في هذه السهول وقد قال ابن نوح سآوي إلى جبل يعصمني من الماء.

٢.زمان الطوفان ليس كما قدره التوراتيين ومن سار في ركابهم لأن الزمان هو بدء تصحر الجزيرة العربية وانقلاب مناخها المطير إلى مناخ جاف وهذا يقدر بـ١٥٠٠٠سنة ق.م.

فزمان الطوفان ليس كما قدروا ومكانه ليس كما قدروا إن مكان الطوفان في الجزيرة العربية والزمان بدء التصحر والجفاف للأسباب التالية:

١.بدأ الجفاف ينتشر في الجزيرة العربية ولهذا فسكانها بحاجة إلى أمطار ليشربوا ولتسر أنهار الجزيرة العربية كوادي الدواس ووادي بيشة ليزرعوا ويأكلوا.

٢.أرض الجزيرة العربية هي الأرض المنبسطة التي تجاورها الجبال ولهذا فقول ابن نوح سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ينطبق على أية بقعة في الجزيرة.

٣.عرفت الجزيرة هذه الآلهة التي تحدث عنها القرآن الكريم وارجع إلى المفصل في تاريخ العرب، والأصنام لابن الكلبي وسترى شرحا مفصلا عن تلك الأصنام.

٤.إن كلمة الأرض فالألف واللام للعهد وليس للجنس، والدعوة على الكفار.

٥.عرفت الهجرات من الجزيرة العربية إلى الشمال وذلك بعد التصحر والجفاف.

٦.إن قوم عاد وجدوا في نهاية فصل التصحر في الجزيرة العربية وقد حفروا المصانع لتجميع المياه اللازمة.

لا نستطيع أن نحدد الزمان بشكل دقيق، حيث وقع الطوفان ولكني أرى على الأقل أنه حدث في الألف العاشرة قبل الميلاد أو ما قبلها وبعد ذلك تمت الهجرات المتتالية لاتساع الجفاف واستيلائه على الجزيرة يوما بعد يوم.

لهذا كله أرى أن التوقيت الذي وضعه العلماء للطوفان غير صحيح.

قصة آدم وحواء وجنة عدن

وجعل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ في أنفه نسمة الحياة فصار آدم نفسا حية، وغرس الرب الإله جنة عدن شرقا ووضع هناك آدم الذي جبله، وأنبت الرب الإله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع.

واسم الثاني نهر جيحون وهو المحيط بجميع كوش واسم الثالث حداقل وهو الجاري شرقي آشور، والنهر الرابع الفرات.

وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من شجر الجنة تأكل أكلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت، وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصنع له معيناً نظيره، وجبل الرب الإله من الأرض كل الحيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم بأسماء جميع البهائم، وطيور السماء وجميع حيوانات البرية وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره، فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت لذلك يترك الرجل أباه

وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً وكلاهما عرياناً آدم وامرأته وهما لا يخجلان[1].

ولي على هذا النص مايلي:

- جعلوا مكان الجنة على الأرض ولو قالوا كما قال السومريون بأنهم فقدوها نتيجة الخسف أو زلزال وصار مكانها بحراً لهانت المشكلة ولكنهم جعلوها على الأرض و لم يستطيعوا تحديد مكانها بل أعطونا مكاناً لا يمكن أن يوجد على ظهر الكرة الأرضية، فملتقى هذه الأنهار مستحيل، وقد ناقش هذه الفكرة الإمام أبو محمد بن حزم في كتابه الفصل في الملل والنحل ولسنا الآن في صدد مناقشته.

والذي جدَّ في الأمر أن الدكتور كمال صليبي أكد وجودها في الأرض وحددها في الجزيرة العربية ((قرية الجنينة هي منتهى العمران والنخيل في وادي بيشة وقد لا تعتبر هذه القرية جنة بمقاييس عصرنا الحاضر لكنها جنة بالنسبة إلى ما يليها من البراري القاحلة وقد زارها الرحالة البريطاني فليبي في مطلع الثلاثينيات من هذا القرن فوجد فيها سحراً خاصاً، فكانت في نظره الصورة المثالية للواحة خصوصاً عندما تتألق بونقها في ضوء القمر...فقد زار فليبي المكان ووصفه من دون أن يعرف أنه جنة عدن وكيف كان له أن يعرف ذلك والتقاليد ترمي ثقلها وراء جعل موقع هذه الجنة في مكان ما من جنوب العراق؟

(١). سفر التكوين ص ٢/٧-٢٥/.

ويمكن تلخيص المعلومات التي يقدمها هذا كله عن الموقع الجغرافي لعدن وجنتها كما يلي:

١. كان موقع عدن إلى الشرق من أرض إسرائيل ويهوذا حيث كان يعيش الكاتب التوراتي الراوي للقصة أي شرق السراة.

٢. إن جنة (جن) عدن تقع تحت عدن باعتبارها تسقى بجدول أو نهر يخرج من عدن هذا يعني أن الجنة لم تكن عدن بالذات بل مكان إلى الأسفل من عدن.

٣. كانت عدن وجنتها تقعان ضمن شبكة لصرف المياه تضم أربعة روافد رئيسية معروفة محددة بالاسم.

٤. إن الجنة كانت مترافقة بشجرتين لهما مغزى معين أحدهما هي شجرة الحياة حييم والأخرى هي شجرة المعرفة دعه.

٥. إن كيروبيم أو أكثر المصوتة تقليدية الجمع بالرغم من أنه يمكن قراءة أحرفها الساكنة أيضا على أنها مثنى كرب وقفوا شرق جنة عدن لحراسة طريق شجرة الحياة.

٦. شرق الجوار العام لعدن هناك أرض نسمى نود[1].

ولي على قول الدكتور الصليبي ما يلي:

١. تقول التوراة غرس الرب الإله جنة في عدن شرقا و لم يقل كاتب التوراة شرق عدن ولهذا نسبت الجنة إلى عدن

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص٢٧١-٢٧٣.

وكانت عدن شرق الجهة التي كان فيها الكاتب التوراتي كما توهم الصليبي.

٢. لا يمكن أن تكون الجنينة التي قال عنها إنها جنة بالنسبة لما يحيط بها فهو يرى الجنينة في وقتنا الحالي ناسيا أو متناسبا أن الجزيرة العربية كانت قبل /٢٠/ألف سنة منطقة أمطار وفيرة وكانت الجزيرة العربية كلها جنة وارفة الظلال كثيرة المياه وفيرة الأنهار.

٣. إن كاتب التوراة لم يكن في السراة كما يقول الكاتب الصليبي لأن التوراة كتبت وهم في الأسر فإذا ما كان الكاتب في العراق فعلى هذا تكون فارس هي الجنة.

٤. قال إن جنة تقع تحت عدن وهذا ليس له ما يؤيده.

٥. إذا كانت الجنة تقع تحت عدن فكيف تتفرع الأنهار بعد خروجها من الجنة لتسقي أرض حويلة وما أشارت لها التوراة.

٦. إذا كان في هذه الجنة شجرة المعرفة وشجرة الحياة فلا بد أنهما لازالتا في هذا الموقع فهل تسمح سيادته أن تدلنا عليهما.

٧. لو كان آدم قد طرد من هذه الجنة كما يدعي وترك حراسا ليحموها من آدم فكيف عاد من الشرق(أرض نود) وسكن بنو إسرائيل غرب الجنة، أفلم يسكن بنو إسرائيل هذه الجنة

وهي مكان خصيب والعسير بلاد جبلية ليست بالمنطقة الخصبة كل هذا يشير إلى أن هذه القرية لا يمكن أن تكون الجنة ولو تمهل الدكتور قليلا وتخلى عما يسوقه من أهداف وغايات لألفى تفسيره لهذا النص مغالطا لما يلي:

أ. جعل كاتب التوراة في الجنة شجرتين محرمتين نهى الرب عن أكل شجرة المعرفة و لم ينه عن الأكل من الشجرة الثانية شجرة الحياة لماذا؟ والمعرفة كما يفسرها كتبة التوراة هي القيام بالفعل الجنسي فهل هذه الشجرة تثير الشهوة الجنسية.

ب. خالفت الحقيقة في خلق المرأة والرجل فأنقصت الرجل ضلعا لتخلق منه حواء والواقع أن المرأة هي التي ينقصها ضلع ليتسع بطنها للحمل، ولو قالت التوراة إن الرجل خلق من ضلع المرأة لكان أصح لطبيعة المرأة.

ت. اضطربت التوراة في خلق آدم فهي مرة تصفه بأنه كان ذكرا وأنثى وتارة تصفه بأنه رجل ثم خلقت حواء من ضلعه.

ث. اضطربت التوراة في تفسير حواء فهي تارة امرأة لأنها أخذت من أمرئ، وهل يقول آدم عن نفسه إن امرؤ أم أنه يعني أنها أخذت من امرئ آخر؟

وتارة تقول إنها حواء لأنها أم كل حي وهذا الكلام مغلوط فحواء لم تلد بعد حتى يقال إنها أم كل حي وكل أنثى من الحيوانات تلد فهل كل أنثى من الكائنات الحية اسمها حواء.

ج. يهوه في نظر كاتب التوراة أناني محب لنفسه لا يريد الخير للناس الذين خلقهم ولهذا حجب عنهما شجرة معرفة الخير والشر وشجرة الحياة.

ح. يهوه في نظر كاتب التوراة جاهل لا يعرف ماذا يجري حوله فقد احتالت الحية وأطعمت الرجل والمرأة من الشجرة ولم يعلم يهوه بما حصل حتى ناداهما وعرف من آدم ما حصل.

خ. يهوه في نظر كاتب التوراة غير بصير ويمكن للإنسان أن يختبئ منه كما فعل آدم فالله يتمشى في الجنة وآدم وحواء مختبئان لا يعرف مكانهما ولا يراهما.

د. يهوه في نظر كاتب التوراة يحب الجنس ومناظره لهذا ترك آدم وحواء دون ثياب.

ذ. كيف عرف آدم أنه عار ولم ير ما حوله قد ارتدى ثيابا لو لم يكن قد لبس ثيابا سابقا وعرف العري والستر، وهذا ما يشكل مخالفة صريحة للعقل والمنطق بينما ورد في القرآن أن الطعام الذي أكلاه هو الذي نزع لباسهما وآراهما سوآتهما فقال في سورة الأعراف: ﴿**يابني آدم قد أنزلنا**

عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٢٦-٢٧].

ر. طُرد آدم من الجنة وأقام حارساً عليها لئلا تمتد يد الإنسان إلى شجرة الحياة فيأكل منها، وهذه الفقرة إنما هي مأخوذة من ملحمة جلجامش حينما ذهب يريد نبتة الخلود فسرقتها الحية وهكذا خلدت الحية وهي تسلخ جلدها في كل عام بينما لم يخلد الإنسان، والحية أيضاً مأخوذة من حية جلجامش التي وقفت ضد الإنسان وسرقت منه خلوده.

ز. الغاية من وضع آدم في الجنة ليعمل فيها ويحرسها فمن بقي في الجنة بعد طرد آدم ليعمل فيها ويحرسها.

بعد أن قدمنا هذه الملاحظات لنر أثر الأسطورة البابلية في صياغة هذه الأسطورة وكيف نقلت التوراة من الأسطورة البابلية.

إن جنة عدن مع نهرها الذي ينشطر إلى أربعة فروع وكان يحمل الحياة إلى أقاليم الأرض الأربعة مع أشجارها التي كان على آدم

حراستها واستثمارها تذكر بصورة ما بين النهرين، ومن الراجح في هذه الحالة أيضا أن القصة التوراتية تستعمل نوعا من التقليد البابلي[1].

وخير من قدم لهذه المشكلة ما بين جنة التوراة وجنة دلمون المفكر العراقي الدكتور أحمد سوسة في كتاب العرب واليهود في التاريخ وقد نقل عنه الدكتور أحمد داود في تاريخ سورية العام فقال:

((ويرجح الدكتور سوسة أن فكرة الفردوس الإلهي كان أول من ابتدعها الساميون العموريون الذين استقروا على ضفاف الفرات في جوار عانة وهبت لأن أكثر العلماء الآثاريين متفقون على أن الساميين كانوا قد نزحوا من الجزيرة العربية إلى ضفاف الفرات في حوالي الألف الرابعة قبل الميلاد، وبذلك يكونون قد سبوا السومريين في الاستيطان بحوالي ألف عام وهكذا فقد حددوا مواقع الجنة بالنسبة إلى مستقرهم على نهر الفرات في رأس دلتا في المكان الذي يتفرع فيه النهر إلى أربعة فروع، هي فيشون وجيحون وحداقل والفرات، والأرجح أن مدوني التوراة اقتبسوا هذه القصة من الساميين العموريين الأوائل وعن طريق البابليين فأدخلوها التوراة))[2].

وهنا يحق لنا أن نتساءل أين موقع الجنة عند اليهود والسومريين والبابليين؟ وما صفاتها؟

---

(١). إلياد مرسيا: المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص ٢٠٦/.

(٢). داود أحمد: تاريخ سورية العام ص١٢٤.

وسوسة أحمد: العرب واليهود /جـ١ ص٣٥٩/.

في هذه النقطة بالذات يختلف الثلاثة ولكل واحد منهم جنتـــه، فيقول د. سوسة: ((حدد الساميون موقع الجنة بالنســبة إلى مســتقرهم على نهر الفرات في رأس دلتا الفرات حيث تبدأ تفرعات النهر فوصفـت بكونها تقع على الفرات في المكان الذي يتفرع النهر فيه إلى أربعة فروع، فيمثل الأول منخفض الحبانية، وأبي دبس والثاني نهر الهنديـــة الحـالي، والثالث مجرى الصقلاوية القديم، أما الرابع فهو نهر الفرات المعروف بنهر كوثا))[1].

وهو يختلف في تحليله عن الدكتور داود إذ يرى أن حداقل هـو حداجل بالجيم المصرية وهو الدجلة، وبهذا يكون حرَّف الحاء إلى هـاء وجعلها أداة التعريف والقاف حولها إلى جيم مصرية والتحريف ظـاهر الخطأ والبطلان[2]، لأن الدجلة لا يلتقي مع الفرات إلا في شط العرب ثم لا يتفرع عن نهر الفرات كما تروي التوراة وهذا ليـس إلا تحمـلاً في الكلام وتقعراً به.

وقد وقع الصليبي في خطأ فادح حينما عرج على الجزيرة العربية وقال إن أنهار الجنة هي:

١. نهر فيشون وادي تباله أقصى روافد بيشة غرباً وهو غـير وادي شفان على التشابه بين الاسمين.

(١).سوسة أحمد: العرب واليهود /جـ١ ص٣٥٩/ .

(٢). داود أحمد: تاريخ سورية العام ص ٢٨٥.

٢.جيحون وهو المسرى الرئيسي لوادي بيشة ويمر من قرب خميس مشيط.

٣.حداقل ليس نهر دجلة ولو كان هدقل ربما كان تعريبه الدجلة وهو وادي تندجه وهو يمر بالقرب من قرية بني ثور.

٤.نهر الفرات من أهم روافد بيشه وربما كان اليوم وادي خارق ينبع من شمال أبها[1].

والرد على هذا الادعاء سهل رغم ما بذله من جهود لإثبات ذلك، فالنهر تجتمع روافده قبل الجنينة بينما هي في التوراة تتفرع بعد الجنينة وعلى هذا الأساس فجنة التوراة يمر فيها نهر واحد ثم يتفرع بينما هنا تلتقي الفروع قبل دخوله الجنة.

والنقطة الثانية: يضع كمال صليبي أسماء الأنهار الحالية وادي تبالة ويسميه فيشون، وادي بيشه جيحون، وادي تندحة لحداقل، ووادي بيشة للفرات، فكيف وفق بين الأسماء الحالية والأسماء التوراتية؟

ويختلف الدكتور داود مع الدكتور سوسة في موقع الجنة البابلية فيقول: ((وجنة عدن كما حددتها التوراة هي في المنطقة التي عمرها الماريون وتدعى سومر وتقع إلى الشمال من المنطقة التي وصفتها العربية المارية القديمة، لقد جاء وصفها في التوراة ومن الواضح أن التوراة نقلت فكرة الجنة عن البابليين ودونتها أبان الأسر البابلي لليهود وكانت منطقة

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٢٧٣-٢٧٦.

الخليج العربي بالطبع مغمورة بمياه البحر ولا يمكن لأولئك الوافدين الجدد إلى المنطقة تصور جنة مفقودة تحت المياه))[1].

أما الدكتور سوسة فيقول اكتفى السومريون بوصف فردوسهم الإلهي بالنسبة إلى منطقة الغمر أبسو التي تمثل منطقة الأهواز من غير أن يتطرقوا إلى تفرعات الأنهار لبعدهم عنها شمالاً واتخذ الساميون شجرة التفاح لتمثل شجرة الحياة بينما اتخذ السومريون النخلة لتمثل شجرة الحياة لوجودها في بيئتهم.

ويخالف كريمر الرأي القائل بأثر البابليين على اليهود في الفردوس إذ يرى أن اليهود تأثروا بالكنعانيين الذين أخذوا فكرة الفردوس الإلهي عن السومريين، وردنا على هذا أن الكنعانيين كانوا بعيدين كل البعد عن المنطقة السومرية فهو يقول في كتابه ألواح من سومر: لقد ترك الأدب الذي أوجده السومريون أثره العميق في العبرانيين[2].

ويثير الدكتور سوسة أموراً كثيرة مشتركة بين الأدب البابلي والسومري قد أخذه اليهود منها صفة الإنسان على صورة الإله.

وهناك تشابه بين المدونات السومرية والبابلية وبين مدونات التوراة في صفة كون الإنسان خلق على صورة الإله أو الآلهة.

---

(١). المصدر السابق داود ص ٢٨٥.

(٢). سوسة أحمد: العرب واليهود /جـ ص٣٥٩/.

فقد عزا السومريون والبابليون إلى آلهتهم صفات البشر، ويوجد تشابه بين قصة خلق الإنسان السومرية وبين رواية التــــوراة اليهوديـــة، فحسب القصة السومرية إن الإنسان صنع من الطين ونص التوراة مشـلبه تماماً لذلك حيث ورد في سفر التكوين(١).

أما السيد القمني في كتابه قصة الخلق منابع سفر التكوين فقـــد نقل عن فون كريمر قوله: إن المفكرين السومريين اعتقدوا اعتقادا جازمـا بأن الإنسان صنع من طين وأنه خلق من أجل غرض واحد هو أن يعبـــد الآلهة ويخدمها بتزويدها بالطعام والشراب والمسكن ليتوفر لهــــا وقـــت الفراغ لأعمالها الإلهية(٢).

ويضيف السيد القمني: ((وقد حاول بونيرو تعليل إصرار أهـــل سومر على فكرة خلق الإنسان من مادة الطين بالذات بقولـــه إن هـــذا التمثيل والصنع من الطين لأجسام البشر الأوائل يعتبر صورة طبيعية جـدا في بلد يلعب فيه الفخار دورا كبيرا حيث نجد صنع التماثيل من الطـــين الفخاري بشكل إنسان عملا منتشرا بصورة واسعة))(٣).

ويؤكد السومريون بناء الإنسان من طين كما نقلت التــــوراة اليهودية ولكننا نعود من جديد لنسأل أي تقع جنة السومريين؟

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود /جـــ١ ص ٣٤٨/.

(٢). القمني السيد: قصة الخلق ص ٣٩.

(٣). القمني السيد: قصة الخلق ص ٤١.

لقد حددها الدكتور سوسة بمنطقة الأهواز شمال الخليج العربي وتسمة منطقة دلمون، وهذه الجنة لا تتفق مع الوصف الذي قدمته التوراة، فجنة سومر هي أقرب إلى الوصف المثالي ويقول السيد القمني: ونتفرد نحن في بحثنا هذا بزعم يدعمه ما تحت أيدينا من وثائق هي أن دلمون كانت المكان الذي قامت فيه الآلهة بخلق أول بشر على الأرض فقد وصفت هذه المأثر دلمون بأنها الأرض، دلمون هي الوطن الطاهر.

الأرض دلمون هي المحل النظيف
الأرض دلمون هي الأرض المشرقة
هو ذلك الذي اضطجع فيه أنكي مع زوجته
في دلمون لا ينعق الغراب الأسود
ولا يصيح طائر الأندو(الحدأة) ولا يصرخ
ولا يفترس الأسد
والذئب ل يفترس الحمل
و لم يعرفوا الكلب المتوحش الذي يفترس الجداء
و لم يعرفوا (خرم في النص) الذي يفترس الغلة
و لم توجد الأرملة
والطير في الأعالي (خرم في النص)
والحمامة لا تحني رأسها
وما من أرمد يشتكي ويقول عيني مريضة
ولا مصدوع يقول في رأسي مرض الصداع

وامرأة دلمون العجوز لا تشكو من الشيخوخة

ورجل دلمون الشيخ لا يتبرم من كبر السن[1].

وكما أن ألواح سومر تشير إلى أسطورة الخطيئة ولكن الخطيئة هنا تختلف عن خطيئة الخلق التوراتية اليهودية.

الأسطورة تشير إلى أن الأم ننهورساج خلقت ثماني نباتات أخرى فأكلها أنكي وغضبت عليه ننهورساج غضبا شديدا حتى أنها قالت فصبت عليه اللعنات قائلة:

لن أنظر إليك بعين الحياة حتى تموت.

وهنا أخذ المرض يشتد بأنكي وبدأ يتدهور ويذبل.

ويعقب السيد القمني على هذه الأسطورة: لنقف الآن قليلا مع ما جاء في هذه الأسطورة التي أراها أول تسجيل حقيقي اكتشف حتى الآن لقصة الخطيئة الأولى.

فنتساءل لماذا غضبت ننهورساج كل هذا الغضب على أنكي لو لم تكن أنذرته سلفا وحرمت عليه هذه الثمار قبلا، وأعلمته بذلك إعلاما واضحا ومع ملاحظة أن النص به خروم وتشوهات كثيرة أدت لفقد كثير من الأبيات والمضامين، إذن من المنطقي أن يكون هناك علم مسبق أحيط به أنكي برغبة ننهورساج عدم المساس بالنباتات الثمانية وعندما عصي الأمر كان عقابه الموت: لن أنظر إليك بعين الحياة حتى تموت.

(١). القمني السيد: قصة الخلق ص ٤٥.

ويبقى التساؤل كيف يمكن لإله مفترض فيه الخلود أن يمرض ويموت؟ من هنا نعتبر أن الأسطورة اعتبرت أنكي الأب الأول وطبيعي أن يتصف بالألوهية بحسبان عبادة الأب الأول بخاصة بعدما جاء في بداية الأسطورة بعد تقريظ دلمون كأرض طهور نظيفة.

وفجأة وبدون مقدمات تقول هو ذلك الذي اضطجع وحده في دلمون، إنها صورة تلقي بنا في مرآة الزمان الآتي عند ظهور التوراة وما قالته عن أب للبشر يعيش وحيدا في مكان يسمى الجنة ثم تقول أسطورتنا عن دلمون:

إنها المحل الذي اضطجع فيه أنكي مع زوجته.

فمن كانت هذه الزوجة؟

هل قصدت هذه الأسطورة بالزوجة الإلهة ننهورساج؟

ربما لكن الأحداث التي تلت مرض أنكي تشير إلى منحى آخر رغم عدم النص عليه في نصنا المهترئ لأن مرض أنكي في واحد من أضلاعه واتفق أن شفاءه تم بنزع الضلع المريض ليصبح نن تي سيدة الضلع، فتحول أنكي إلى إله معرض للموت بسبب خطيئته وهو ما يتعارض مع صفة الخلود الإلهية إلى ذكر وأنثى معا فهو ذكر خلقت من ضلعه أنثي ليستبدل الخلود الفردي الذاتي بخلود للنوع، غير تناسل الذكر والأنثى وعليه تتضح عدة حقائق:

١. كان للآلهة دار طهارة وسلام للمقام في دلمون.

٢. في دلمون حدثت أو عملية خلق للنبات عن طريق تخصيب أنكي لننهورساج لتنجب آلهة النبات.

٣. ننهورساج تخلق بمفردها ثمانية نبات محرمة.

٤. يأكل أنكي النبات المحرم فتحيق به اللعنة الربانية فيمرض بضلعه ويحتضر لولا نزع هذا الضلع المريض منه وتخلق منه سيدة الضلع الأولى إناث البشرية.

٥. يفقد أنكي بذلك ألوهيته كسائل مخصب كوني ويتحول خلوده الإلهي إلى خلود عبر التناسل وهنا في رأيي تكمن العلاقة بين أنكي وبين أنسي فتحول أنكي إلى أنسي مهمته التخصيب المستمر لسيدة الضلع الأولى نن تي أو نن تو أو سيدة الولادة[1].

ولي على تحليل السيد القمني ما يلي:

١. أجاز لنفسه أن يكمل النقص في الأبيات كما شاء له هواه.

٢. الآلهة في سومر وبابل آلهة ذكورية وهي الحاكمة وليست أنثوية ولهذا لا يمكن لننهورساج أن تحول أنكي إلى أنسي فهي ليست الأقوى.

٣. إن وصف دلمون لا امرأة دلمون العجوز تشكو من الشيخوخة ولارجل دلمون الشيخ يتبرم من كبر السن دلالة أكيدة على أنه هنالك إنسان وإنسانة يتوالدان وهما ليسا

---

(١). القمني السيد: قصة الخلق منابع سفر التكوين ص ٤٧.

بحاجة إلى أنكي لكي يتحول إلى أنسي ليولد نن تي أو نن تو ويخصبها.

٤. إن ما يرد ادعاء السيد القمني هو الختم الأسطواني الذي أشار إليه السيد القمني ونشر صورته الدكتور أحمد سوسة لدلالة واضحة على فحوى الخطيئة غير ما تصورها السيد القمني.

ويرى الدكتور سوسة أن هذا الختم فيه قصة آدم وحواء التي وردت في التوراة، ((ومما يثير الدهشة والغرابة أن المكتشفات الأخيرة قد دلت على أن قصة آدم وحواء بما فيها قصة جنة عدن التي وردت في التوراة قصة قديمة ترجع جذورها إلى عهود ما قبل التوراة، فقصة آدم وحواء التي تشير إلى إغراء الحية لحواء وتناول حواء وآدم من ثمر شجرة معرفة الخير والشر بالرغم من منعهما الأكل منها، إن هذه القصة ذاتها نجدها منقوشة على ختم سومري يشاهد فيه رجل على رأسه قلنسوة ذات قرنين وامرأة حاسرة الرأس جالسين الواحد مقابل الآخر وقد نبتت شجرة بينهما تشبه شجرة النخيل تدلى منها عذقان من التمر من طرفها، ويشاهد الرجل مادا يده اليمنى نحو العذق أمامه ليقطف من ثمره كما تشاهد المرأة وهي مادة يدها اليسرى نحو العذق الذي أمامها لتقطف من ثمره، ثم تشاهد الحية وهي منتصبة على ذيلها خلف المرأة تغريها على الأكل من الثمرة المحرم عليهما أكله))[1].

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص ٣٥٧/.

هذه رواية الدكتور سوسة واسمع إلى رواية السيد القمني عن هذا الخاتم:

((ولكن أغرب ما في علاقة الفكر الديني السومري بالفكر الديني السامي ولعله ليس أغرب إنما أقرب إلى طبيعة الأمور هو ذلك الختم الأسطواني الذي كشف عنه مؤخراً ويصور ذكراً وأنثى بينهما نخلة وخلف الأنثى حية تدلت برأسها بجوار رأس الأنثى بينما تمد هذه الأنثى يدها في شكل دعوة للذكر الجالس قبالتها ليتناول من ثمار النخلة.

ولنتذكر الآن الارتباط اللغوي بين حيا الأنثى فرجها وبين الحية وما بين الحياة وبين التسمية حواء، ويبدو أن هذا الارتباط المتوارث كان ناتج تصور الأقدمين أن الحية دائمة التجدد دائمة الحياة))[1].

ويتابع القمني في هذا التفسير الجنسي وكأنه خريج من مدرسة فرويد فيحاول تعليل ذلك: ((ولا يبقى لكي تترتب المسألة بشكل واضح سوى أن تستكملها بالختم الأسطواني الذي صور ذكراً وأنثى يأكلان من ثمر نخلة بإيعاز من الحية والحية رمز جنسي لنسد به الثغرات الناقصة في النص ليصبح أكل الثمرة المحرمة هو رمز لممارسة الجنس مع أخرى غير ننهورساج مما أستوجب غضبها ولعنتها و لم تكن هذه الأخرى سوى نن تو أو نن تي الأنثى الأم الوالدة الأولى))[2].

إنني أستطيع أن أرد رأي السيد القمني حول الجنس بما يلي:

---

(١). القمني السيد: قصة الخلق ص ٤٤.

(٢). القمني السيد: قصة الخلق ص ٤٩.

١. إن الشجرة شجرة نخيل والعراق بلد النخيل فهي ابنة البيئة ولا يمكن أن يستعملها السومريون رمزاً للجنس.

٢. في الأسطورة تخلق ننهورساج ثماني نباتات فهل يستطيع السيد القمني بعد قفزه عن عبارة ثماني نباتات وتفسيرها ما معنى النباتات الثمانية؟

٣. إن كلمة حيا المرأة فرجها فالحيا ليس من الحياة وإنما د ر من الحياء أما الحياء الذي يقصد به الفرج فليس للمرأة وإنما هو حياء الناقة.

٤. إن نن تي سيدة الضلع لم تخلق إلا بعد مرض أنكي وبعد أكله النباتات فكيف تغار ننهورساج من امرأة لم تولد بعد وكيف يمارس الجنس أنكي مع امرأة لم تولد؟

ويرى الدكتور داود أن حديث التوراة عن الجنة مأخوذ عن السومريين، ولو أننا عدنا إلى المصادر العربية السومرية حيث تتوفر لنا أقدم المدونات العربية المكتوبة بعد اختراع الكتابة أي بعد بدء التاريخ وفتشنا عن الأرض الجنة في مدونات أولئك العرب السومريين لعثرنا على الحقيقة التالية: لقد عثر على لوحة نقشت عليه قصيدة سومرية فيها تشابه بين المدونات التوراتية والقصة السومرية وكان موضع الفردوس بموجب القصة السومرية في أرض دلمون التي رأى بعض الباحثين أنها كانت في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فارس الشاطئ الشرقي للخليج العربي، بينما رأى بعض الباحثين أنها كانت في الجهة الغربية من ساحل

الخليج العربي، وقد عين هؤلاء الباحثون المحققون مكانها في البحرين، وتذهب القصة السومرية إلى أن بلاد دلمون كانت جزيرة تتمتع بقدسية خاصة وكانت فيها آلهة تعبد لها أهل العراق، وقد وصفت بأنها أرض الخلود إلا أنه كان ينقصها الماء العذب اللازم لحياة الحيوان والنبات فأمر إله الماء السومري أنكي إله الشمس أن يملأها بالمياه العذبة التابعة من الأرض، وهكذا تحولت دلمون إلى حديقة إلهية غناء مملوءة بالأشجار والمروج والرياض ومما يثير الدهشة أن المكتشفات الأخيرة قد دلت على قصة آدم وحواء بما فيها من قصة جنة عدن قصة قديمة جداً تعود جذورها إلى ما قبل ظهور الكتابة بزمن طويل.

إن هذه القصة نجدها مصورة على نقش سومري يشاهد فيه رجل جالس على رأسه قلنسوة ذات قرنين...ومما يذكر أن هذا النص التاريخي يعود إلى زهاء ألفي عام قبل التوراة.

أفبعد هذا رد على السيد كمال الصليبي في جنة عدن عندواحة البيشة العسيرية أم لا؟

أدعية

حتى الأدعية الموجودة في المزامير وفي العهد القديم في أماكن متفرقة مسروقة من الأدعية السومرية والبابلية وإليك أمثلة منها:

ترنيمة لكاهن بابلي

أي بعل أيها الملك الرحيم يا رب البلاد أنت رب الملوك نور البشر مقرر الأقدار السماوات الرحيبة مسكنك

أيها الرب ما أمجد اسمك في كل الأرض جئت جعلت جلالك فوق السموات مزمور ٨/٤-٥/.

أي بعل بعينيك تحتضن العالم بإشارة منك تسن الشرائع بذراعيك تسحق الجبابرة

الرب في هيكل قدسه الرب في السماء كرسيه عيناه تنظران أجفانه تمتحن بني آدم مزمور١٧/٤-٥/.

وحين تراهم تأخذك الرأفة بهم تجعلهم يرون النور بقرون بقدرتك يارب البلاد نور الأعالي أنت الذي يمنح البركات

فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق شريعة إلهه في قلبه مزمور٣٧/٣٠-٣١/.

من الذي لا يناجيك من الذي لا يعترف بقدرتك من الذي لا يمجد ملكوتك يارب البلاد

يا جميع الأمم صفقوا بالأيادي اهتفوا لله بصوت الابتهاج مزمور٤٧/١-٢/

أنت تقيل العاثر من عثرتـــه ألا أحسن رضاك إلى صهيون مزمور
فلتغمر مدينتك بالرحمة ووحــد ٥١/٨/.
صرح الحريـــة لأبنـــاء بـــابل
وليكونا موضع رعايتك(١).

ترنيمة أخرى

أيها القدير يا سيد الأعــلي رب الرب في السماوات ثبت كرسيه
الأقاليم مردوخ الــذي يقــرر ومملكته علـــى الكــل تســود
الأقدار مزمور١٠٣/١٩/.
أيها المجد الرفيع الشـــأن أيـــها اهتفي ليهوه يا كل الأرض رنحوا
النور المضيء يا مردوخ الـــذي يمجد اسمه اجعلوا تسبيحه مجـــداً
يجوب أجواز الفضاء يحتضـــن مزمور٦٦.
الأرض أنتم تمنح الملك الـــذي اللهم أعط أحكـــامك للملـــك
يخشاك الصولجـــان المقــدس وبرك لابن الملك بدين شـــعبك
تلطف بمدينتك بـــابل هـــب بالعدل ومساكنك بالحق المزمــور
الرحمة لمعبدك بكلمتك المجيــدة ٧٢/١-٢/.
يا سيد الأعالي لتنشر نـــورك
على أبناء بابل(٢).

(١). كنعان جورجي: تاريخ الله ص ٢٩١.

(٢). كنعان جورجي: تاريخ الله ص ٢٩١.

ترنيمة بابلية وسنراها مبثوثة في المزامير

يا راعي البلاد الذي حمى كافة
الشعوب مهما بعدت أيها
الحاكم المطلق لكافة أماكن
العبادة يا مردوخ أيها السيد
العظيم يا من اسمك على لسان
البشر بالمديح والخير اجعلني
انطق بالحق
اجعل الخير يسكن قلبي[(١)].

ولو فتشنا المزامير لوجدنا الأدعية نفسها مع فارق أن مردوخ إله عالمي أما يهوه فهو إله قبلي محلي وإليك بعض الأمثلة من المزامير:

((للرب الأرض وملؤها المسكونة وكل الساكنين فيها لأنه على البحار أسسها وعلى الأنهار ثبتها)) مزمور ٢٤/١-٢/.

((علمني يا رب طريقك واهدني في سبيل مستقيم))مزمور٢٧/١١/.

ويقول جون أ هامرتن: ((وكان الدين البابلي سلوكاً أكثر منه عقيدة وكان المجتمع البشري، وما نسميه بالطبيعة شيئين لم يكن يستطاع التفريق بينهما تفريقاً واضحاً ولذلك كان الإجرام الخلقي بحق الناس والتفريط في الطقوس والشعائر الدينية في الآلهة والقوى الروحية ذات

(١). هامرتن جون أ: تاريخ العالم ص ٦٨٢.

السلطان متساويين في الخطورة وجلب العقاب وكانت بـــابل وغيرهـــا تعتقد أن كل الأمراض الجسمانية والمصائب التي تحل ببني الإنسان مـــن عمل الآلهة أو الشياطين.

ونجد بين الرقي والأدعية بياناً بالذنوب التي ربما ارتكبـــها مـــن حلت به هذه الأمراض والمصائب وهذا البيان وارد في صورة مجموعة من الأسئلة:

هل فرق بين أعضاء الأسرة؟

هل أهمل والديه وأهان أختاً كبرى؟

هل امتنع من إطلاق أسير؟

هل أجاب بنعم مكان لا وبلا محل نعم؟

وتشتمل القائمة على الغش في الميزان ونقل الحدود واغتصـــاب بنت الجار وسفك دمه وسرقة ردائه، وفي قائمة الأسئلة ذكر للخطايـــا المتعلقة بالطقوس))[1].

ونستطيع أن نورد شاهداً على ذلك ترجمة نسخة آشورية مـــن القرن السابع لوثيقة تظن أنها نص بابلي قديم:

لا تغتب أحداً وكن عف اللسان

لا تنطق بالشر، تلطف في كلامك

إن من يغتب وينطق بالشر

يصب شمس إله العدالة عقابه فوق رأسه

---

(١). هامرتن جون أ: تاريخ العالم ص ٦٨٢.

إياك والإسراع في الكلام حين تكون مغضباً
إذا تكلمت في أثناء غضبك ندمت فيما بعد
وأحزنت عقلك بالسكوت
تقدم إلى إلهك كل يوم بالهبات
والصلاة فهي خير أنواع البخور
أقبل على إلهك بقلب طاهر
لأن هذا يليق به
عليك بالصلاة والاستغفار
والسجود في الصباح الباكر
وتعلم بحكمتك من اللوح
إن مخافة الإله تجلب الرضا
والقربان يعني الحياة
والصلاة تؤدي إلى غفران الذنوب.

ولو رجعنا إلى العهد القديم لألفينا مثل هذا الترتيل مبثوث فيه وبشكل متفرق:

١.الأمراض أسباب إغضاب الله:

((إذا ولدتم أولاداً وأولاد أولاد وأطلتم الزمان في الأرض وفسدتم وصنعتم تمثالاً منحوتاً صورة شيء ما وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته، أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعاً عن

الأرض...لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لا محالة)) تثنية ص٤/٢٥-٢٦/.

ويقول في مكان آخر: ((ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله حتى تهلك وتفنى سريعا من أجل سوء أفعالك إذا تركتني يلصق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخل لها لتملكها يضربك الرب بالسل والحمى والبرداء والإلتهاب والجفاف والفلج والذبول فتتعبك حتى تفنيك)) تثنية٢٨/١٥و٢٠-٢٢/.

٢.العقوبات على جرائم أخرى كإضرارك بالناس من غيبة وما يليها:

((لا تضطهد الغريب ولا تضايقه لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر، لا تسيء إلى أرملة أو يتيم وإن أسأت إليه فإني إن صرخ إلي أسمع صراخه فيحمى غضبي وأقتلكم بالسيف فتصير نساؤكم أرامل وأولادكم يتامى)) خروج٢٢/٢١-٢٤/.

((لا تقبل خبرا كاذبا ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم، ولا تتبع الكثيرين إلى أفعال الشر ولا تجب في دعوى مائلا وراء الكثيرين للتحريف ولا تحاب مع المسكين في دعواه)) خروج٢٣/١-٣/.

٣.الغش:

نهت اليهودية عن الغش لكنها فسرت الغش بين اليهودي واليهودي أما البابليون فكانوا أرحب صدرا ((وأنت يا الله تحدرهم إلى

جب الهلاك رجال الدماء والغش لا ينصفون أباهم أما أنا فأتكل عليك)) مزمور٥٥/٢٣/.

((إنما باطل بنو آدم كذب بنو البشر في الموازين هم إلى فوق هم من باطل أجمعون)) مزمور ٦٢/٩/.

وأخيراً إليك هذه الترنيمة السومرية مع ما يقابلها من أسفار ولتكن مسك الختام:

الترنيمة السومرية	العهد القديم سفر أشعيا
١.أنا الرب وليس آخر	أنا الرب وليس غيري٤٣/١١/ أنا الرب وليس آخر ٤٥/٥/. أنا الرب وليس آخر٤٥/٦/. أليس أنا الرب ولا إله غيري ٤٥/٢١/.
٢.أنا من يأمر فلا يسأل ولا يرد له أمر.	من اليوم أنا هو ولا منقذ من يدي أفعل ومن يرد ٤٣/١٣. لأني أنا الرب وليس آخر رأي يقوم، وأفعل كل مسرتي قد تكلمت فأجريه، قضيت فأفعله ٦٥/٩/.
	المزامير
٣.أنا من إذا مست قدميه الأرض فاضت ينابيعها.	تعدت الأرض يا يهوه وجعلتها تفيض تغنيها جداً سواقي يهوه ملآنة ماء٦٥/٩/.

٤ . وإذا مرت قدمه قـــرب تبارك غلتها وآثارك تقطر دسماً تقطـــو مروجها تكدست فيـــــها مراعي البرية وتنطلق الآجام بالبهجـــة الغلال وكـــــثرت فيـــها وتكتسي المروج غنماً ٦٥/١٠ ٣٠/. القطعان[1].

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة ص ٣٩٠.

لغة التوراة

عُرفت التوراة بأنها كتاب سماوي أنزل على موسى عليه السلام لكن هذا الكتاب ضاع وكتب غيره وتوالى الضياع والتحريف وهذا ما ناقشته في كتاب التوراة تحريف وتزوير، أما الآن فإن هذه الكلمة التي قال اليهود عنها إنها كلمة مختصة بهم نلح أنها ليست من لغتهم على الإطلاق وإنما التوراة كلمة آرامية خالصة.

((التوراة كلمة مشتقة من الآرامية وتعني الهداية والإرشاد))(1).

وحار الباحثون هل نزلت التوراة في اللغة الهيروغليفية أم في أية لغة، وهو بحث يطول بنا لو أردنا بحثه وإنما أردت أن أتطرق إلى معناها حتى أصل إلى نتيجة واحدة هي أن العبرية ليست إلا لهجة من لهجات الآرامية وكل ادعاء يدعي بقدمها باطل.

وفي هذا يقول شفيق مقار: ((يقول سفر التكوين إن الأرض كلها كانت لساناً واحداً ولغة واحدة و لم تكن اللغة الواحدة بطبيعة الحال لاشون هكدوش اللسان المقدس أي اللغة العبرية، والعبرية كلسان سواء كان مقدساً أم غير مقدس لم تظهر إلا متأخراً.

فقد كانت لغتهم الآرامية وهي أقدم بقرون من العبرية المربعة التي استولدها الكهنة إبان السبي البابلي، وحرروا بها التوراة من التراث المتناقل شفاهاً، وحقائق التاريخ شيء والواقع شيء واختلاق الساطير شيء آخر ولهذا وبالرغم من ظهور العبرية متأخراً وعدم بقائها طويلاً

(1). محمد حميد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة ص٣٦٠.

كلغة حية ظل الإدعاء الكهنوتي مصرا على أن العبرية كانت اللسان الأصلي لكل بني البشر))[1].

إن اللغة العربية بخطها المربع الحالي ما هي إلا لغة آرامية بخط آرامي ليس إلا واللغة العبرية الآن إن هي إلا سرقة واضحة للغة الآرامية.

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص ٤٥٩. وانظر كتابي التوراة تحريف وتزوير اللغة.

قابيل وهابيل

وعرف آدم وحواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت اقتنيت رجلا من عند الرب ثم عادت فولدت أخاه هابيل وكان هابيل راعيا للغنم وكان قايين عاملا في الأرض، وحدث بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر فاغتاظ قايين دجا وسقط وجهه فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك إن أحسنت أفلا رفع وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها[1].

ويقتل قايين هابيل والصراع يدور كما يقول الدكتور سوسة بين الرعاة الاستقرار، وقبل أن أناقش سرقة هذه النقطة أحب أن أناقش النص التوراتي:

١. إن اسم قايين من قنا وهو خطأ ولو كان من قنا لكان الاسم قاني ولما كان آدم من جماعة إيل لكان الاسم قانيل أما قايين فلنا في تفسيره أمران:

- النون بديل من اللام كما في جبرين بدل من جبريل وهي لهجة من اللهجات العربية القديمة وحينها يصبح الاسم قاي + إيل وتجر الكلمة عن المعنى الذي أراده كتبة التوراة.

---

(١). العهد القديم سفر التكوين ص٤/١-٧.

- قايين من قان قين والقين الصانع وليس الزارع كما توهموه والصراع آنذاك بين الصناعة والرعي وهو معنى لا يوافق الزمان ذلك فلم تكن الصناعة أطلت.

٢. طالما يهوه إله مفترس يحب رائحة اللحم المشوي وشرب الدماء من البدهي ألا يعجبه قربان قايين.

وقد أشار إلى وجود الأخوين اللذين يقتل أحدهما الآخر في التراث الرافدي الدكتور أحمد سوسة في كتابه العرب واليهود في التلويخ كما بين أن كتبة التوراة قد نقلوا هذه القصة من التراث الرافدي.

واتضح من الأساطير السومرية التي عثر عليها أن قصة قابيل وهابيل الواردة في التوراة والتي تمثل التراع بين الفلاح والراعي ترجع جذورها إلى عصر موغل في القدم أيضا فمن الأساطير السومرية قصة تدعى إيميش وإينتين وهي شبيهة بقصة قابيل وهابيل في التوراة وتتلخص الأسطورة بما يأتي:

أراد إله الهواء أنليل أن تنمو الأشجار والحبوب وأن تحل في البلاد الوفرة والرخاء فخلق لهذه الغاية مخلوقين أخوين هما إيميش وإينتين ليعنيا بشؤون الزراعة والفلاحة وتربية الحيوان، ويبدو من سياق القصة أن نزاعا شب بين الاثنين أفضى بهما إلى التحكيم ولكن أنليل اختار أنيتين وجعله فلاح الآلهة وتتألف القصة من ثلاثمائة سطر أكثر من نصفها كامل لا إبهام فيه.

وهناك أسطورة لاهار إله الماشية وأخته الإلهة إنشان إلهة الحبوب وهذه القصة تدور مثل القصة الأولى حول أصل التراع بين قابيل وهابيل وخلاصتها أن لهار وأنشان نزلا من السماء وخصص الإلهان أنليل إله الهواء وأنكي إله الماشية إلها وعينا له الخضار والعشب وبنيا لأنشان بيتا وقدما لها النير والمحراث وهكذا يبدو الصفاء بين الأخ الراعي والأخت الفلاحة ويمضيان دون حدث ما يكدر تعاونهما وعيشهما وبعد حين تظهر فكرة الرواية وهي العداء المستحكم بين الراعي والفلاح وذلك عندما شربا الخمرة وثملا فبدأ الشجار والخصام بينهما في المزارع والحقول ودار التراع فيما بينهما بأن أخذ كل منهما يمتدح ويعظم أعماله ونتاجه ويزهد في أعمال الآخر فاضطر الإلهان أنليل وأنكي إلى أن يتدخلا بين الأخت والراعي أما نتيجة هذه القرار فمفقود[1].

ويرى مرسيا إلياد أن قايين تعني حداد وليس مزارعا.

((هابيل وقايين في هذا المشهد قراءة التعارض بين مزارعين ورعاة ضمنا لتمجيد هؤلاء الأخيرين مع ذلك إذا كان اسم هابيل يعني راع فإن قايين يعني حداد وإن نزاعهما يعكس الحالة المتناقضة للحداد في بعض المجتمعات الرعوية حيث كان إما مزدرى به وإما محترما ولكنه مرهوب الجانب دوما...وفي كل الأحوال إن التعديل المحفوظ في القصة التوراتية يعكس تصور الوجود البسيط والطاهر للرعاة الرحل والمقاومة ذد الاستقرار للمزارعين وسكان المدن، إن قايين أصبح بانيا لمدينة...فأول

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص ٣٦١/.

قتل إنسان إذن تم من قبل من يجسد بنوع ما رمز التكنولوجيا والحضـارة الحديثة وضمنيا كل التقنيات متهمة بالسحر))[١].

ولكني أختلف في الرأي عن مرسيا إلياد وأرى أن هابيل لا يمثله بنو إسرائيل ولا هو بالراعي الذي قال عنه إن هابيل بمعنى راعي.

فلقد أكدت التوراة مثوبة قايين بعد قتله لهابيل: ((فقال قايين للرب ذنبي أعظم من أن يحتمل إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفي وأكون تائها وهاربا في الأرض فيكون كل من وجدني يقتلني، فقال له الرب لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه، وجعل الرب لقايين علامة لكي لا يقتله من وجده فخرج قايين من لدن الرب وسكن في أرض نود شرقي عدن))[٢].

ولي على هذا النص مايلي:

١. تكريم القاتل وهي سمة من سمات اليهود خاصة إذا كان القتيل من غير اليهود.

٢. قايين هو الجد الأصلي لبني إسرائيل ولهذا بعد أن أورد الله سبحانه وتعالى قصة ابني آدم وقتل أحدهما الآخر: ﴿لذلك كتبنا على بني إسرائيل النفس بالنفس﴾.

٣. الصراع ليس كما صورته التوراة بين الفلاحة والرعي وإنما صراع بين الخير والشر وانتصر الشر على الخير لهذا عادت

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص ٢٠٨/.

(٢). العهد القديم سفر التكوين ص٤/١٣-١٥/.

الجريمة مرة ثانية على يد لامك حينما قال: ((وقال لامك لامرأتيه عادة وصلة أسمعا قولي يا امرأتي لامك وأصغيا لكلامي فإني قتلت رجلا لجرحي وفتى لشدخي، إنه ينتقم لقايين سبعة أضعاف وأما للامك فسبعة وسبعين))[1].

هذا الصراع وهذا التكريم للقاتل لانتصار الشر على الخير سمة من سمات اليهودية.

---

(١). العهد القديم سفر التكوين ص٤/٢٣-١٤/.

العربة النارية

وضع اليهود صورة ليهوه نارية وكأن النار صفة ملازمة له منذ أن تعرف موسى عليه وحتى النهاية وقد مرت النار ملازمة ليهوه في الأماكن التالية من العهد القديم سفر الخروج ٢٤/١٧/ و ٣٢/١٠/ وتثنية ٤/١١-١٢/ وتثنية٤/٣٥-٣٦/ وتثنية٥/٢٢-٢٦/ وإليك النص الأخير:

((هذه الكلمات كلم بها الرب كل جماعتكم في الجبل من وسط **النار** والسحاب والضباب وصوت عظيم لم يزد وكتبها على لوحين من حجر وأعطاني إياها فلما سمعتم الصوت من وسط الظلام والجبل يشتعل **بالنار** تقدمتم إلي جميع رؤساء أسباطكم وشيوخكم وقلتم هو ذا الرب إلهنا قد أرانا مجده وعظمته وسمعنا صوته من وسط **النار**، هذا اليوم قد رأينا أن يهوه يكلم الإنسان ويحيا وأما الآن فلماذا نموت الآن هذه **النار** العظيمة تأكلنا إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا أيضا نموت لأنه هو من جميع البشر الذي سمع صوت الله الحي يتكلم من وسط **النار** مثلنا وعاش))[(١)].

وبهذا تكون النار قد وردت خمس مرات في هذا النص القصير.

فالمؤلف التثنوي صاغ حكاية كما لو كان تلخيصا لخبرات الشعب مع موسى ويهوه وظل متمسكا بذكرى النار التي بدأت في سفر الخروج بظهور موسى للمرة الأولى مرة بقرب مضارب المديانيين في

---

(١). العهد القديم سفر التثنية ص٥/٢٢-٢٦/.

العليقة المشتعلة في النار و لم يكتف اليهود بهذه النار بل إنهم أضافوا إليها المحرقات والمحرقات منتشرة انتشارا كبيرا في أسفار العهد القديم وقلما يخلو سفر منها والمحرقات عبارة عن قرابين تحرق بالنار تقربا ليهوه.

فمن أين أتاهم هذا؟

لقد استقوا ذلك من تراث بابل الفكري ومن ثم رأينا في مناقشة الطوفان أن أوتنابشتيم بعد أن نزل إلى الأرض قدم القرابين وأحرقها بالنار فشم الآلهة رائحة اللحم المشوي كما في العهد القديم في نهاية الطوفان.

ويقول شفيق مقار: ((إن الصفة الإلهية النارية مناقضة للوباء وقد ظل دفاع الإنسان القديم ضد الأوبئة بإشعال النار في الأماكن تطهيرا لها، فمن أين تسللت الهوية الوبائية لصورة يهوه كقوة مضافة إلى قدراته، تعودنا النصوص السومرية إلى الإله عيرا نرجال إلى الموت والسيول والفيضانات المدمرة فكان الساعد الأيمن لهدد إلى العواصف والرعد والمطر في تنفيذ حكم الإعدام الذي أصدره أنليل على البشر وكل الأحياء في نكبة الطوفان وفي أواخر الألف الثانية عرف نرجال عند البابليين باسم عيرا وأقيمت له الشعائر استرضاء واكتفاء لشره بوصفه إله الوباء الشرس وأعطى كاهنا يساعده اسمه شؤم كمحارب ضار وصور كالناجح يهدئ ثورة غضب نيرا فهو موسى كما صورته التوراة)).

هذه الهوية النارية التي ظهر بها يهوه إنما هي صورة مسروقة عن عيرا نرجال كما لاحظنا وإن ظن بعض الباحثين أن هذه الصورة أخذت عن إله مدين إله البراكين.

وهذا الإله المعاقب الذي يبدو صورته في التوراة واضحة وجلية دور الإله عيرا ففي سفر صموئيل الثاني الإصحاح الرابع والعشرين نجد حكاية أمضى وأحصى إسرائيل ويهوذا فقال داود ليوآب رئيس الجيش طف في بني إسرائيل من دان شمالا إلى بئر السبع فاعلم عدد الشعب وحاول يوآب إثناء داود عن ذلك لكن داود أصر فأجرى التعداد.

لكن يهوه لم يدع الأمر يمر هكذا بغير تأديب فخير داود بين ثلاثة أنواع:

١. سبع سنين من الجوع في المملكة أخذا من حكاية البابليين في قصصهم في أسطورة الطوفان.
٢. إما ثلاثة أشهر من الانكسار أمام العدو.
٣. وإما ثلاثة أيام من الوباء في أراضي المملكة أخذا عن حكاية السومريين والبابليين في قصصهم الديني عن نرجال عيرا الوباء الذي ابتلي به العباد عندما حل مؤقتا محل مردوخ في مملكته.

واختار داود الوباء فجعل يهوه وباء في إسرائيل من الصباح إلى المساء فمات من الشعب من دان إلى بئر السبع سبعون ألف رجل.

وأتساءل هل النساء لم يعتبرن من البشر فتغاضى عن موتاهن وعددهن أم أن الإله لم يختر غير الرجال؟

وقام داود بدور أشوم في أسطورة عيرا نرجال إذ قال ليهوه أنا الذي أخطأت وأنا الذي أذنبت وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا؟

وإذ قال داود ذلك الكلام المسوق من آشوم المتقمص عيرا ندم يهوه عن الشر وإذ رأى الملاك باسطا يده على أورشليم ليهلكها قال للملاك المهلك كف الآن يدك.

وهي حكاية تكررت في أخبار الأيام الأول بحرفيتها.

فالوباء أخذ من بابل وجعل سلاحا بيد يهوه وإذ سامح يهوه بذلك السلاح بعد استلت منه كل أسلحته الآخرى ويهدد من جديد في سفر أرميا بالوباء، ((لذلك ها أيام تأتي يقول الرب وأعاقب منحوتاتها ويتنهد الجرحى في كل أرضها))[1].

---

(١). العهد القديم أرميا ص ٥١/٥١/.

برج بابل والصعود إلى السماء

دخل بنو إسرائيل أسرى إلى بابل فرأوا عظمة بابل وحضارتها ورأوا برج بابل الذي بناها بختنصر شامخا كالجبل الأشم ورأوا جنائنها المعلقة وقوتها الساحقة فتخيلوا أن بداية الحضارة كانت هنا، ومن أرض بابل انطلقت الأقوام إلى جميع الدنيا، بابل العظيمة والتي تمتد ستين كيلومترا شرقا وغربا وستين كيلومترا جنوبا وشمالا المدينة التي لم يكن مثلها في زمانها.

((وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ولغة واحدة وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك وقال بعضهم لبعض نضع لبنا ونشويه شيا فكان لهم اللبن ومكان الحجر وكان لهم الحجر مكان الطين وقالوا هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء، ونضع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل، والآن لا يمتنع عليهم طل ما ينوون أن يعملوه، هلم ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبدءهم الرب هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة لذلك دعي اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض ومن هناك بددهم الرب على كل وجه الأرض)) (١).

لي على هذا النص ما يلي:

---

(١). العهد القديم سفر التكوين ص١١/١-٩/.

١. إن البشرية كانت في بابل وهو خطأ فالبشـــرية كـــانت في الجزيرة العربية ومن هناك حينما حل الجفاف بدأت الهجـرات إلى أرض العراق والشام ومصر.

٢. مدينة بابل أقدم مدينة على وجه الأرض حسب تعبير التـــوراة وقد كذبت الآثار هذه الفكرة.

٣. تفسير بابل تفسير خاطئ وكلمة بابل تعني باب الله باب إيل.

٤. عظمة البرج والمدينة كانت مثار تحد ليهوه لأنهم ســيعجزونه فيما إذا ظلوا بهذه القوة والمنعة.

٥. يهوه إله حاسد لا يحب البشر لهذا بددهم حينما علم قوتهم.

يقول مرسيا إلياد: ((برج بابل ففي هذه الحالة نجد الصلة بنـــص أسطوري قديم أعيد تفسيره من المنظور اليهوي إنه يتعلق بدائيا بـــالتقليد القديم الذي تبعا له ارتفعت بعض الكائنات المتمتعة بامتيازات ارتفعـــت إلى السماء بواسطة شجرة أو رمح أو جبل أو بسلسلة من الأسهم ولكن الصعود إلى السماء قد انقطع بنهاية العصر الأسطوري الأول، فبعـــض الأساطير تقدر سقوط المشاريع اللاحقة للتسلق إلى الســـماء بمســاعدة مختلف الصقالات ومن المستحيل معرفة ما إذا كان محرر القصة التوراتيـــة يعرف هذه العقائد العريقة في نفسها وفي كل الأحوال كانت مألوفة مـــع الزيقورات البابلية التي كانت تحتمل رمزا مشابها.

وفي الواقع أن الزيقورة كانت معتبرة وكان قاعدتهـــا في ســـرة الأرض ورأسها في السماء وكان الملك أو الكـــاهن بتســـلقه لطوابـــق

زيقورية منها يصل شعائريا للسماء وعليه وبالنسبة لمحرر القصة التوراتية فإن هذه العقيدة التي فهمها بدقة كانت في آن واحد بغاية التبسيط والأرجاس إنها كانت إذن جذريا محددة التفسير وبدقة أكثر متروعة القداسة والأسطورة))[١].

وقد استغل كتبة التوراة هذه الأسطورة والصعود إلى السماء في قصة أخنوخ فقد ادعت التوراة أن الله رفعه إليه كما أن السلم المنصوب من السماء إلى الأرض في سفر يعقوب وهربه أمام أخيه ((فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران وصادف مكانا وبات هناك لأن الشمس كانت قد غابت وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه فاضطجع في ذلك المكان ورأى حلما وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهو ذا الرب واقفا عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق))[٢].

فالصعود إلى السماء بسلك كما نرى أخذه كتبة التوراة من التراث البابلي ووضعوه في توراهم.

---

(١). إلياد مرسيا: قصة المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص ٢١٢/.

(٢). العهد القديم سفر التكوين ص ٢٨/١٠-١٣/.

الكروبيم

الكروبيم جمع كروب من مادة كرب وقد عرفت هذه المادة في اللغة اليمانية حيث جاء معد يكرب اسم علم والمكاربة ملوك اليمن معروفون.

ومكرب بمعنى مقرب والملائكة الكروبيون الملائكة المقربون عند الله وقد وردت هذه الكلمة كثيرا في الكتاب المقدس واختلفت وظائفهم من نص لآخر.

في سفر التكوين أعطي الكروب سيفا ليحمي الجنة من آدم حتى لا يعود إليها ((فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة))[1].

وفي هذا النص لم يعطنا أي إيضاح عن هذا الكروب لا من قريب ولا من بعيد حتى إذا انتقلنا إلى عهد سليمان عليه السلام رأينا منظرا آخر للكروب وشرحا مفصلا عن صورته، ((وعمل في المحراب كروبيين من خشب الزيتون علو الواحد عشرة أذرع وخمسة أذرع جناح الكروب الواحد وخمسة أذرع جناح الكروب الآخر، قياس واحد وشكل واحد للكروبيين علو الكروب الواحد عشرة أذرع وكذا الكروب الآخر، وجعل الكروبين في وسط البيت الداخلي وبسطوا أجنحة الكروبين خمس جناح الواحد الحائط وجناح الكروب الآخر مس

---

(١). العهد القديم ص٣/٢٤/.

الحائط الآخر، وكانت أجنحتهما في وسط البيت يمس أحدهما الآخر وغشى الكروبين بذهب))[1].

غير أن الوصف في الملوك الأول وأخبار الأيام الثاني لم يعطنا وصفا مفصلا لوجه الكروب ما هو فقد أعطانا وصفا عاما دون تفصيل وإليك التفصيل من سفر آخر هو سفر حزقيال:

((كان في سنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من السهر وأنا بين المسبيين عند نهر خابور أن السموات انفتحت فرأيت رؤى الله في الخامس من الشهر وهي السنة الخامسة من سبي يوياكين الملك صار كلام الرب إلى حزقيال الكاهن أن بوزي في أرض الكلدانيين عند نهر خابور، وكانت عليه هناك يد الرب فنظرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال سحبة عظيمة، ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار، ومن وسطها شبه أربعة حيوانلت وهذا منظرها لها شبه إنسان ولك واحد أربعة أوجه ولكل واحد أربعة أجنحة وأرجلها أرجل قائمة وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل وبارقة كمنظر النحاس المصقول، وأيدي إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة ووجوهها وأجنحتها لجوانبها الأربعة، وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه لم ندر عند سيرها، كل واحد يسير إلى جهة وجهه، أما شبه وجوهها فوجه إنسان ووجه أسد لليمين لأربعتها ووجه ثور من الشمال لربعتها ووجه نسر لأربعتها فهذه أوجهها، أما شبه الحيوانات فمنظرها

(١). الكتاب المقدس ملوك أول ص ٦/٢٣-٢٨/.

كجمرة نار متقدة كمنظر مصابيح هي سالكة بين الحيوانات وللنار لمعان ومن النار كان يخرج برق الحيوانات راكضة وراجعة كمنظر البرق))[1].

هذه الكروبيم أخذت عن التراث الرافدي فوجه الثور المجنـــح إن هو إلا تراث بابلي عريق وكذلك النسر المجنح.

وبهذا يكونون قد أخذوا الكروبيم عن التراث البابلي الرافـــــدي وخير من أشار إلى فكرة الكروبيم وبابل الدكتور سوسة.

---

(١). حزقيال ص ١/١-١٤/.

الأضاحي

لا أعتقد أن موضوعا ما ذكر كما ذكرت الأضاحي في العهد القديم فهي مبثوثة هنا وهناك ولعل أول أضحية تقدم بها الكتاب المقدس كانت أضحية نوح حينما نجا من الطوفان:

((وبنى نوح مذبحا للرب وأخذ من كلا البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقان على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا وقال في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته))[1].

هذا العمل بالذات ذكر في ملحمة جلجامش حينما نجا أوتنابشيم من الطوفان أيضا وقد ناقشنا هذا فلا حاجة بنا للعودة إليه من جديد والأضاحي كثيرة في العهد القديم لكنني أحب أن أضيف هذه الأضاحي:

١. الأضاحي الحيوانية وهي كثيرة منها ضحية الإثم والخطيئة وقد ناقشنا هذا سابقا، لهذا تبنى المذابح بجانب المعابد وبشكل ملازم ومستمر.

٢. الأضاحي البشرية: وقد رأينا من هذه الأضاحي كيف حلول إبراهيم تقديم ابنه على المذبح ثم فداء الإله له بكبش.

---

(١). العهد القديم سفر التكوين ص٨/ ٢٠-٢١/.

هذه الأضاحي كما يقول عنها مرسيا إلياد: ((موجودة في كل العالم فخلق العالم إذن نتيجة أضحية دموية هي فكرة دينية قديمة منتشرة بشكل واسع وهي تذكر بأساطير تيامت (تهامت)...))[1].

وقد وجدنا في الأدعية البابلية التأكيد على القرابين والأضاحي ووازنتها آنذاك مع النصوص التوراتية ولهذا نقول إن اليهود أخذوا الأضاحي والقرابين عن بابل والتراث الفكري الرافدي.

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ٣ ص ١٧٠/.

بناء المعابد

لقد وصفت المعابد في بلاد الرافدين من قبل مكتشفي الآثار ولقد تأثر الكنعانيون فيها تأثراً واضحاً ثم تأثر اليهود في طريقة بناء معـــابدهم بذلك ونحن أمام أحد الأمرين:

١. إن كان اليهود قد بنوا هيكلهم بعد السبي فإنهم تأثروا بشكل واضح في البناء الآشوري البابلي إلا أ،هم قد بنوا هيكلـــهم ببساطة فهم لم يبنوا طوابق عديدة كالزكورات البابليـــة ذات الطوابق العديدة وارجع إلى وصف الهيكل ما دعـــي بهيكـــل سليمان لتراه في الوقت الذي يحاولون فيه تعظيم ما فعلوه من بناء إن هو إلا طريقة بسيطة على الطريقة الآشورية.

٢. أما إذا كان سليمان قد بنى هيكله فيما يدعون فهو قد بـــنى على الطريقة الكنعانية التي تأثرت بالتراث الرافدي.

وفي هذا يقول جعرتي برندز: ((ونسألهم أين الحضارة اليهوديـــة عبر التاريخ؟

ليس لهم اللهم إلا ما سرقوه من الآخرين وهم تمازج حضـــاري ساهمت بوجوده حضارات رفيعة عالمية وكان دورهم الســـرقة والنقـــل والتقليد وليس لهم المقدرة على الخلق والإبداع، إن بناء معبد ســـليمان أقيم على الطراز الآشوري.

يقول هتلر في كتابه كفاحي: إن ذكاء اليهودي متجه دوما إلى الهدم والتخريب فهو وإن فعل خيرا أحيانا فعن غير قصد لأنه يعتقد فيه الشر فيفعله إن العالم لم يعرف شيئا يدعى حضارة يهودية))[1].

وسنناقش المعابد عند الكنعانيين في القسم الخاص بالتقليد الكنعاني.

والمعبد عند البابليين هو بناء على شكل مستطيل في حائه كوة يوضع فيها تمثال صغير للإله أوسفار مقدس وأما مها منضدة للقربان ويقوم البناء على نموذج أقدم طراز للهياكل من أعواد القصب ثم أعقبته مبان أرحب وأضخم ويرفع الإله فوق منبر أو قاعدة في محراب داخلي مظلم ويوضع أمامه المذبح أو المنضدة وتوجد مغسلة أو بئر ماء في الساحة الرئيسية للمعبد بعد مدخله الرئيسي كما يضم المبنى أماكن جانبية للعبادة وغرف التخزين وفي بعض الأحيان يقوم المدخل الرئيسي للمعبد على زوايا قائمة بالنسبة للمحراب الداخلي كيما تصفى مزيدا من الخصوصية، وأوسع المعابد وأشهرها معبد الإله مردوخ في بابل المسمى الإيزاكيل (المعبد الذي تناطح ذروته السحاب) هاهنا يقف تمثال مردوخ وأريكته التي تزن خمسين وزن من الذهب وبداخل المعبد قاعة ذات أعمدة تغطي جدرانها بالألواح الخشبية وكل منها داخل بروار خاص كما توجد خمسة وخمسون حجرة صغيرة للعبادة منخفضة الارتفاع مخصصة لبقية الآلهة.

---

(١). جفري بارندز: المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص ٤٠٤.

الصلاة

الصلاة في كل الديانات التي مرت تعني صلة الإنسان بالله سبحانه وتعالى أو قل هي صلة الإنسان بربه.

ولكل ديانة مهما كانت عددا من الصلوات يختلف عن ديانة أخرى أو يتفق معها، ففي صلوات السومريين مثلا ارجع العنف الإلهي الذي يعانيه البشر ممثلا فيما يحل بهم من بلايا وخراب وأذى في سياق رواية أشبه من نواحي كثيرة بالرؤية التي أفصحت عنها الميثولوجيا اليونانية بعد السومريين بقرون عديدة إلى عداء الآلهة للبشر ونفورهم من تلك المخلوقات الضعيفة الفانية وعدم اكتراثهم بها نتيجة لأفعالهم وضيقهم بضجيج تلك المخلوقات الهزيلة التي خلقت من طين وكثرة مطالبها وشكاواها التي لا تنتهي.

وقد كانت أسطورة الطوفان التي أبدعت سومريا وطورت بابليا وسرقت يهوديا أوضح ما عبر عن تلك الرواية لمنطق علاقة الآلهة بالبشر، أما في أسفار التوراة وسائر العهد القديم فكانت الآية معكوسة تماما ككل شيء آخر في تلك الديانة التي بنيت على مقدمة غريبة بحق في تاريخ العبادات قلبت الوضع فيما يخص العلاقة بين الألوهية والبشر ذنبا إلى رأس إذ جعلت المعبود هو الساعي إلى عبادة البشر له، المناقضة الكاملة والتضاد التام للنمط الذي يوقفنا عليه تاريخ الديانات.

وتبعا لذلك أرجعت الأسفار المقدسة بلا استثناء كل أشكال العنف الإلهي التي مارسها يهوه أو هدد بها إلى أن الشعب ظل يخيب

مسعى يهوه الذي تمثل في جعل ذلك الشعب وحده دون شعوب الأرض يعبده هو وحده دون آلهة شعوب الأرض(1).

فالصلوات لدى السومريين خمس صلوات في النهار وكذلك اليهودية فقد وضعت صلاة صباحية وصلاة مسائية وهناك صلوات لبزوغ القمر هلالا وصلوات أخرى حسب المقام.

والصلاة بالإضافة إلى الركوع والسجود هناك رفع اليدين معا أعلى وقد وردت الصلوات في الكتاب المقدس بمعنى دعاء ويعتبر اليهود الصلاة ركنا من أركان عبادهم وقد جاءت في أماكن كثيرة من العهد القديم نورد بعضها:

١. أصغ يا الله إلى صلاتي ولا تتغاضى عن تضرعي مزمور٥٥/١/.

٢. استمع صلاتي يا رب وأصغ إلى صراخي مزمور ٣٩/١٣/.

٣. أما أنا تلك صلاتي يا رب في وقت رخي يا الله بكثرة رحمتك استجب لي بحق خلاصك مزمور٦٩/١٣.

٤. ولكن قد سمع الله أصغي إلى صوت صلاتي مبارك الله الذي لم يبعد صلاتي ولا رحمته عني مزمور٦٦/١٩-٢٠/.

وفي نهاية المزمور الثاني والسبعين كتب تمت صلوات دواود بن يس.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٤٧٢.

وقد وردت الصلاة في مواقع كثيرة عند أهل الرافدين وإليـــــك هذا النص من الأدعية عند البابليين يذكر فيها الصلاة:

أعبد إلهك كل يوم

وقدم له القاربين والصلوات

التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخور

سوف تثاب على ما تفعل

عندئذ سيكون بينك وبين الله اتصال كامل

إن التبجيل يولد الحظوة

والقربان يطيل الحياة

والصلاة تكفير عن الذنب(١).

والصلاة كما قلنا بالإضافة إلى الركوع والسجود رفع اليديـن إلى أعلى فصلاة السومريين تشبه الصلاة الإسلامية ولا ندري أكثر من ذلـك من تفاصيلها.

(١). جفري بارندز المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص ٣٠.

أور

ذكرت هذه المدينة في التوراة وقد ركز عليها كتبة التوراة كثيرا واعتبروها أصلا لهم فقد خرج منها إبراهيم حسب ادعائهم إلى حران ((وأخذ تارح ابنه ولوطا بن هاران ابنه وساراي كنته امرأة إبرام ابنه فخرجوا معا من أور الكلدانية ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى حاران وأقاموا هناك ومات تارح في حاران))[1].

وسار المؤلفون على هذا المنوال.

فأين تقع أور؟

ولماذا اختارها اليهود؟

سؤالان لا بد منهما لكل دارس للفكر اليهودي الناقد بعين بصيرة وغير المستسلم لكل ما يقال:

١. تقع أور في الجزء الجنوبي من العراق جنوبي بابل وهي مدينة ضاربة في القدم عرفت منذ العهد السومري وهي ومدينة أرك عرفتهما النصوص السومرية وعرفت بهما.

٢. لماذا أختارها اليهود؟

نحن نعلم أن الدعوة اليهودية بدأت على يد أحبار بني إسرائيل في الأسر وقد هذبها ونمقها عزرا ونحميا وأطلقاها ديانة كاملة ولما بدأوا في البحث عن عناصر تؤيدهم ضد الدولة البابلية ما كان منهم إلا أن أرادوا إيغار الصدور وإثارة الأحقاد والدفينة بين المدينتين، أور وبابل وتآمروا

---

(١). العهد القديم سفر التكوين ص ١١/٣١-٣٢/.

ضد بنونابيد آخر ملك بابلي وتحالفوا مع الفرس الحاقدة، فقتل نـــابونبد وفتحت الأبواب أمام كورش ليعبر مدينة بابل دون قتال بعــد أن فــنى العناصر الحاقدة على الحكم في بابل وخاصة نبونابيد وبعــد أن لجــأ إلى تيماء في الجزيرة العربية حينما أحس بالخطر الجاثم على صدر بابل لكـــن عاد بعد أن شعر أن وجوده في بابل ربما هدأ الأمور فقتل وفتحت أبواب المدينة، وحتى لا يشعر الناس بأن هؤلاء الناقمين أعداء لهذا الوطن فانتموا إلى أور وانتسبوا إلى إبراهيم الخليل.

ويرى كثير من المفكرين والباحثين في التوراة أن الانتســـاب إلى أور يجب أن يعاد فيه النظر وهذا شفيق مقار يرى الخطأ الذي وقع فيـــه مؤلف الجزء الخاص بالهجرة من سومر في سلسلة حكاية الآب إبرام وربما محررها الذي عالجها أو أعاد كتابتها في بابل إبـــان الســـبي معتمـــدا في معالجته لها على مصادر بابلية عندما دعى أور (في نص مقدس يفـرض أن الذي أملاه عارف بالتاريخ) بأور الكلدانية.

فأور عندما هاجر منها إبرام في منتصف القرن العشـــرين قبـــل الميلاد لم تكن قد أصبحت كلدانية إلا بعد عام ٦١٢ ق.م[1].

ولهذا أرى أن هذه القصة لفقت عن عمد وســـكبت في قـــالب بحيث لا يبدون في أثواب التآمر ضد وطن لا يعرفون منه إلا ذل السبي.

وبعد الكشف عن مدينة أور التي دعتها التوراة بأور الكلدانيـــة تحت ركام تل القار كتب وولي كلاما آثار فيه ثائرة كثيرين أكد فيه أنــه

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٤٦.

بات متعينا على ضوء ذلك الكشف تعديل الرؤية التقليدية للآب إبراهيم تعديلا جذريا بعد أن كشفت الحفائر عن نوعية البيئة بالغة التحضير والتي قضى فيها صدر حياته، فقد عاش الرجل فيما بينت الحفائر في رحاب مدينة عظيمة.

وكان وارثا هو وقومه لتراث حضارة عميقة ذات تنظيم رفيع اكتشفنا الآن نسخا من ترانيمها الدينية التي كانت ترتل في معابدها كما وجدنا تواريخ تلك المعابد(١).

وإنني إذا ورد هذا النص أقف أمامه قليلا لأضع بعد النقاط:

١. لا يمكن لإنسان أن يهاجر من مدينة عريقة إلى ريف إذا صح التعبير بهذه البساطة فابن المدينة لا يستطيع الحياة في الريف.

٢. لم يكن في منتصف القرن العشرين قبل الميلاد فوضى سياسية تترك المرء يغادر وطنه.

٣. لم يكن الآراميون معروفين في تلك الفترة ولا سمع الناس عنهم شيئا فكيف لإبراهيم أن يكون آراميا تائها كما تدعي التوراة.

٤. لم تكن حاران الآرامية موجودة ولهذا أنفي رحلته إلى حاران إطلاقا.

٥. لم تبين التوراة نبوة إبراهيم ولا السبب الذي هاجر من أجله ولا دعوته ضد الأصنام.

---

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٥٤.

لهذا كله أرى أن المسألة ليست مسألة حقيقة أو تاريخ بل مسألة صياغة حربائية لا تكف عن تغيير جلدها ولونها ومحتواها، بصرف النظر عن آية حقيقة أو أي تاريخ اعتبارا، لأن البرهنة تأخذ أولوية تعلو هنا على أي اعتبار ولهذا لا أرى أية مصداقية في هذه الرحلة لا من أور إلى حاران ولا من حاران إلى كنعان، وعلينا أن ألا نعتمد عفة نصوص التوراة ولا مصداقيتها، ويؤكد كلامي الباحث أولبرايت وهو أستاذ جامعي كبير بجامعة جونز هوبكنز الأمريكية يؤكد لنا بمنتهى الوقار الأكاديمي أن الرحلة السابقة من أور الكلدانية إلى حاران ليس لها أي أساس من علم الآثار، فالبروفسور الأمريكي هنا علمي للغاية وتجريبي حتى أطراف أنامله ولا يصدق إلا ما يكشف عنه علم الآثار[1].

كما يؤكد ذلك السير فرنزكلر في كتابه المشهور الكتاب المقدس كتاريخ: ((بقدر غريب من السذاجة أو ادعاء السذاجة وبشكل قد يكون منشؤه الورع وقد يكون قناعا للانصياع أنه تبين بعد اكتشاف مدينة أور وظهورها من خلال الحفائر كعاصمة متحضرة كبرى من عواصم الممالك التي ازدهرت في العالم القديم بآلهتها ومعابدها يكون من المؤكد أنه لم يكن من الممكن أبدا أن يكون الأب إبراهام قد عاش هنالك لماذا؟

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ١١٩.

يقول الهر كلر لأنه ذلك من شأنه أن يناقض تماماً الصورة التي صور بها العهد القديم نوعية الحياة التي عاشها ذلك الأب فإبراهام كما صورته التوراة كان ساكن خيام وكان ينتقل بقطعانه من مرعى إلى مرعى ومن بئر إلى بئر ولم يكن حضرياً ساكن مدن بل صور في التوراة بدوياً رحالاً إلى هذا الحد من إبطال العقل يمكن أن تعود التبعية أفضل العقول))[1].

إنني أرفض النتيجة التي توصل إليها السير كلر من أن إبراهيم سافر مباشرة من أور إلى كنعان ملغياً الرحلة إلى حران لأن إبراهيم ظل حسب تصوير التوراة في كنعان بدوياً رحالاً ولهذا نحن أمام حالتين:

١. أن ننتهي أن إبراهيم كان من أور أصلاً وكل ما كتب في ذلك إنما هو من باب الخداع اليهودي.

٢. أن نلغي حياة الرعي لإبراهيم وفي هذا تناقض التوراة ولم تثبت لنا الآثار أن إبراهيم بنى أثراً في فلسطين.

وأنا أميل إلى نفي الجهتين فهو ليس من أور وإنما هو ادعاء يهودي لأن إبراهيم الخلي لم يكن في يوم من الأيام أباً لهؤلاء وقد نفى القرآن الكريم أي صلة بين إبراهيم واليهود من بني إسرائيل.

كما إنني ألغي حياة الرعي والتنقل فهو رسول كريم أرسل إلى قوم ليهديهم وقد كان القوم من العرب بدلالة إسماعيل عليه السلام وبنائهما البيت الذي لازال يحج إليه ملايين الناس في كل عام.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ١١٩.

إن جعل إبراهيم راعياً رحالاً ليبقوه منغلقاً على نفسه فلا يعاشر الآخرين ولا يعاشرونه ليبقوه بعيداً عن الاختلاط ولتبقى صفة الانعزال المنسوبة إليهم صفة لإنسان حاولوا الانتماء إليه.

((لا بد أنهم تعرضوا لآثار احتكاك ثقافي مستمر ومؤثر بتلك البيئة ومعابدها وعباداتها وآلهتها وإلاهاتها وبأسطورياتها الدينية.

وذلك من شأنه أن يضع موضع الشك أيضاً التصوير اللحوح الذي عني مؤلفو التوراة بترسيخه للقوم كجماعة منغلقة على ذاتها من بدو رحل عارفين بالإله يهوه وموحدين له منذ تلك العصور السحيقة رغم تأكيدات يهوه ذاته أنهم لم يعرفوه إلا في زمن موسى))[1].

هذا الإله الذي لم يكن في أور في يوم من الأيام ولو كان أبوهم من أور لعبدوا الإله الموجود في أور لا يهوه الذي لم تعرف أصوله حتى الآن وهو القائل عن نفسه أكون من أكون أهيه أشر أهيه.

إيمانهم بهذا الإله الغريب المفترس الذي يريد أن يبتلع كل شيء في جوفه صورة عن اليهود الذين يريدون أن يدمروا العالم كله إن هو إلا إله من نسج خيال اليهود لا عرفه موسى ولا إبراهيم ولا إسحاق ولا يعقوب بل لم تعرفه أمم الأرض قاطبة إلا من اختار نفسه شعباً لهذا الإله.

إن أسطورة يهوه لم تحبك ولم تتكامل إلا بعد موسى بقرون عديدة، وذلك الحبك والتكامل كانا في بابل في زمن السبي وما بعده، في سياق عملية بالغة التعقيد والتصميم، ولم يعد هناك من ينكرها أو يجد

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ١٢١.

بوسعه أن يماري فيها، فالدولة الفارسية انتصرت على يد كورش وهم قد هيأوا بتآمرهم معه هذا النصر فأطلق يدهم حسب ادعائهم في قتل من يناوئهم واغتيال من يقف في طريقهم وصار بوسع الكاتب اليهودي أن يكتب ما يرد ولا معارض له، فالرقابة الفارسية موجودة لغير اليهودي ومحاكمة غير اليهودي لأي جر نسب إليه ممكنة، وحسبك أن تطلع إلى سفر أستير لتجد مصداق ذلك ففي عيد الفوريم قتل الألوف من معارضي اليهود بإشارة من عاهرتهم أستير.

ورحم الله الشاعر حينما قال:

وإذا ماخلا الجبان بأرض … طلب الطعن وحده والنزالا

وقام اليهود بإعادة تسجيل كتابهم من تراث الأمم فسرقوا ما سرقوا وشوهوا ما شوهوا ونسبوا إليهم ما نسبوا، وأهل البلاد لا يستطيعون إبداء ملاحظة لما يجري حولهم.

ولما بدا اليهود في التحول إلى فلسطين آلمهم ذلك وأمضهم لكنهم تنفسوا الصعداء إذ تخلص سكان تلك المدن من هذه الحفنة التي نهبت كل شيء المال والعلم والثقافة والدين.

وباتوا ينسجون حول أنفسهم شرنقة يتميزون بها عن غيرهم فاختاروا إلهاً لهم على هواهم وصاغوه كما يحبون واعتبروا أنفسهم أبناءه وهكذا ساهم الفكر البابلي في تحريف التوراة عن مسارها الإلهي لأنها لم تكن موجودة وقد ضاعت منذ زمن طويل.

أما أثر الشريعة البابلية شريعة حمورابي والعادات والتقاليد فقـــد ناقشتها في كتابي بابل ولصوص اليهود.

وبهذا يكون مع بابل ولصوص اليهود قد بينا بشكل واضح الأثـــر البابلي في تشكيل التوراة.

مصادر الكتاب

١.القرآن الكريم.

٢.الدقاق عمر : إيبلا منعطف التاريخ.

٣.عبد المسيح جورج متري: فكرنا الديني بين التحريف والتعريف.

٤.العهد القديم.

٥.محمد حميد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة.

٦.بوكاي موريس: دراسة في الكتب المقدسة.

٧.كنعان جورجي: تاريخ الله.

٨.أشقر أسد: الخطوط الكبرى في تاريخ سورية.

٩.إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية.

١٠. بارندز جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب.

١١. مقار شفيق : الجنس في العهد القديم.

١٢. مقار شفيق: السحر في التوراة.

١٣. داود أحمد: تاريخ سورية العام.

١٤. الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب.

١٥. سوسة أحمد العرب واليهود في التاريخ.

١٦. القمني السيد: قصة الخلق.

١٧. هامرتن جون: تاريخ العالم.

١٨. همو : التوراة تحريف وتزوير اللغة.

١٩. همو عبد المجيد: بابل ولصوص اليهود.

كتب صدرت للمؤلف

الفكر اليهودي:

١. بلقيس بين الحقيقة والأسطورة.

٢. هاجر بين الحرية والعبودية.

٣. بابل ولصوص اليهود.

٤. التوراة تحريف وتزوير:

- التاريخ.
- حقيقة إسرائيل.

٥. القدس في التاريخ.

٦. أنبياء القرآن.

النوع الأدبي:

١. ديوان شعر البراعم

٢. تحقيق ديوان الإمام الشافعي رضي الله عنه

٣. تحقيق ديوان الإمام علي رضي الله عنه.

٤. تحقيق شرح الشيباني للمعلقات التسع.

النوع الفلسفي:

فصل المقال فيما بين الحقيقة والحكمة من الاتصال.

كتب تحت الطبع

١. ديوان عنترة دراسة.

٢.صرخات عربية.

٣.نفي الطغيان رد على محمد شحرور.

٤.إحياء علوم الدين للإمام الغزالي تحقيق ودراسة

٥.ديوان صرخة عربية.

٦.التوراة تحريف وتزوير:

التاريخ جزء ٣ وجزء ٤

الجغرافيا جزء ١ وجزء ٢

الدين جزء ١ وجزء ٢

٧.مصادر التوراة:

١. التوراة من كتبها
٢. بابل وتحريف التوراة
٣. الكنعانيون والتوراة المحرفة
٤. الديانة الفرعونية وأثرها في التوراة
٥. الأثر الفارسي في التوراة
٦. التوراة وفلسطين
٧. هل الديانة اليهودية سماوية

الفهارس

سلسلة مصادر التوراة

(٣)

الكنعانيون والتوراة المحرفة

عبد المجيد همو

دار غسار
حراء
دمشق - سوريا هاتف : ٢٢١٩٠٤٧

طبع بموجب موافقة وزارة الإعلام رقم /٤٦٥٨٨/ تاريخ ٢٩ / ١٢ / ١٩٩٩

توزيع :
دار الهيثم - هاتف : ٤٤٤٥٦٦٥
دار الألباب - هاتف : ٢٢٣٩٨٢٠

الإهداء

إلى أرض فلسطين أرض كنعان التي سـلبت قديمـاً
وحديثاً واختلسها اليهود وجعلوها أرض الميعاد
إلى أبناء كنعان الذين جاسوا
أوربا على يد هانيبال
وحاولوا فتح روما
إلى من أعطى للعالم أول أبجدية وفتحوا أعين النـاس
إلى النور ولولاهم لظل العالم يتخبط في
بحر الأمية والجهالة أقدم هذا الكتاب

عبد المجيد همو

كفر تخاريم

مقدمة:

لا شك أن اليهود قد أخذوا الكثير عن بني كنعان الذين يقطنـــون فلسطين قبل مجيء اليهود بآلاف السنين ومما لاشك أن النازح إلى بلد مـــا سيتأثر بعاداته وتقاليده وسيأخذ بالكثير من معتقداته إذا لم يكن يحمـــل معتقداً أصيلاً ثابتاً في نفسه الإنسانية، ومن هنا انطلق كثير من المؤرخـــين إلى القول بتأثير الكنعانيين في حياة هؤلاء.

يقول الدكتور عدنان البني: ((المرويات التوراتية هي أصلاً مـأخوذة من التقاليد الكنعانية والبابلية والمصرية ومن البدهي أن يظهر الاقتبـــاس في المرويات المتأخرة، فالحصان يكون أمام العربة لا وراءها مـــع ملاحظـــة الفارق الشاسع بين عهد إيبلا وتاريخ ظهور التوراة إذ المعروف أن بدايـــة كتابة التوراة من قبل أحبار اليهود كانت في عام ٥٣٧ ق.م في بابل أيـــام السبي والنفي وعهد إيبلا /٢٤٠٠ –١٧٥٠ق.م/))[(١)] .

وحضارة إيبلا ليست إلا حضارة كنعانية طالما يمتد عهدها منـــذ القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد حتى القرن الثامن عشر وهي الفترة الـــتي ظهر فيها إبراهيم الخليل، و لم يكن لبني إسرائيل وجـــود في الأرض إلا إذا اعتبرنا قابيل هو إسرائيل أو الجد الأعلى لهم حسب قول الكاتب محمـــد غنيم.

---

(١). دقاق عمر: إيبلا منعطف التاريخ ص٧٧.

ومما ذكر في رقيمات إيبلا أحد ملوكها واسمه عابر وهو الذي سرقته التوراة فسجلته جداً من أجداد إبراهيم الخليل عليه السلام، وربما كان للتشابه آثار كبيرة فالتوراة لم تشر إلى إيبلا وإلى تملك عابر فيها إطلاقاً.

إن جذور الألفاظ الإيبلوبة هي جذور كنعانية والكنعانيون هم خالقو الحضارة في هذه المنطقة وفي جملتهم اليهود، وهكذا تتضمن التوراة ألفاظاً كنعانية الأصل مثل إسماعيل أي يسمع الله، حتى إن اسم إسرائيل غير عبري ومأخوذ من الكنعانيين أي يؤازر الله.

وهل يعني ورود اسم عابر في نصوص إيبلا أو حتى كلمة إسرائيل أن إسرائيل هذه الكلمة كانت في أرضنا قبل وجودهم بما يزيد على ألفي عام[1].

أما جورج عبد المسيح فقد أعلن منذ البداية أن العبرية بحد ذاتها ليست إلا لهجة كنعانية، ولا يمكن القول إن اليهود من أسلاف الكنعانيين وإنما أخذوها عن أبناء كنعان: ((إذا كانت العبرية لهجة كنعانية تكلمها اليهود فلا يمكن اعتبار اللغة أساساً ومقياساً فهم كقبائل أخذوا بها وهذا لا يعني أنهم من أصل سوري ومن المحتمل كما يقول DUSSOUD إن اليهود لم يكونوا يتكلمون العبرية التي تعد لهجة كنعانية قبل إقامتهم في

(١). المصدر السابق ص ٧٨.

شرق الأردن ويظن DELMEDIG بأن اليهود غير ساميين وأنهم منحدرون من شعوب هند أوربية))[1].

فاللغة التي يتكلمون بها ليست إلا لهجة من اللهجات الكنعانية في البداية ثم انتقلوا إلى الآرامية التي كتبوها بالخط المربع، ثم سمو اللهجة الكنعانية باللغة المقدسة، ثم سموها حينما نقلوها إلى الآرامية باللغة العبريـة وبهذا نقلوها من أهلها وسرقوها وسموها بها وأسموها بهم.

إن اليهود لم يكونوا أكثر من سرقة أفكار كما كانوا سرقة أرض وسرقة لغة فقد سرقوا كل ما اطلعوا عليه وشوهوه ومسخوه وادعوه.

وحينما يناقش الغرب هذه السرقات يحاول أن يزينها بدلاً من أن يعيدها إلى أصحابها ويفضح اللصوص: ((عندما مر اليهود في بلادنا كانوا قبائل بدوية لا تعرف حضارة فهل صحيح ما يقوله أدمون جاكوب: إن إسرائيل استعارت الخوابي من الكنعانيين وسكبت فيها خمراً جديداً، لقد أخذ اليهود اللغة، وانتحلوا قصة موسى ومسخوا شريعة حمورابي ونسبوها لموسى ونقلوا عبارة يهوه عن مدين وقلدوا السوريين في الطقوس والمراسيم))[2].

ويعالج الدكتور جورج عبد المسيح في كتابه الدين المسروق الذي ادعته اليهودية وجعلته في كتبها، ويحاول حصر كتابه في كنعان وما أخذته اليهودية عن كنعان: ((وسنغفل ما أخذ اليهود حضارياً من سورية

---

(١). عبد المسيح جورج متري: فكرنا الديني بين التحريف والتعريف ص٥١.

(٢). عبد المسيح جورج متري: فكرنا الديني بين التحريف والتعريف ص٥٣.

لنحصر الأخذ في المجال الديني حيث سطوا على ملاحم التكوين والخلق والطوفان، وأنيس فريحة يقيم مقارنات بين الحكم والأمثال الاحيقارية وتلك الواردة في التوراة مدللاً على تأثر اليهودية بل أخذهم عنها، فهم سرقوا سفر طوبيا ومن الطريف أن اليهود يرفضونه اليوم بينما الكنيسة تضعه في عداد أسفار التوراة، وكذلك أسفار دينال وسبراخ والجامعة والأمثال والمزامير المعزو لداود كلها من أحيقار، ويهوه نفسه سطا على الكثير من صلاحيات الآلهة السورية.

هذا قليل من كثير فماذا يبقى لهم إلا تزويرهم؟

هم سطوا على حضارة عريقة بعقلية همجية فلم ينسخوا بل مسخوا وإليك مثال: يقول أحيقار: يا بني اسكب خمرك على قبور الصالحين فإن هذا أفضل من أن تشربه مع الأثمة.

يقول طوبيا اسكب خبزك على مدافن الأتقياء ولكن لا تعط شيئاً من الأثمة.

ورغم هذا فإن إسرائيل ولفنسون في كتابه تاريخ اللغات السامية حاول أن يقلب الأمور ويعكسها، حاول أن يجعل من الربيب أصلاً ومن المربي فرعاً أو أخاً، إن التعاطف قد يعمي الباحث العلمي عن الحقيقة ويغدو الباحث لا علمياً في حين يدعي أنه يبحث بعلمية ومنهجية ولكن عين الرضا هي التي لا يبصرون بها إلا محاسن اليهود))[1].

---

(١). عبد المسيح جورج متري فكرنا الديني بين التعريف والتحريف ص ٤٧.

يقول ولفنسون: ((كيف يعقل أن تكون الكنعانية أصلاً والعبرية فرعاً في حين أن الكنعانيين والعبريين والآراميين إنما هم فروع لأصل واحد مشترك بينهم جميعاً ولا يمكن أن يقال: إن هذه اللغة متفرعة عن الأخرى استناداً إلى قوة الشبه بينها إلا إذا ثبت بأدلة أخرى أن العبرانيين قد اقتبسوا لغتهم العبرية من اللغة الكنعانية، وأما شدة القرب بين اللغتين فلا يمكن أن تدل إلا على شيء واحد هو أن اللغتين في الواقع لغة واحدة))(١).

إن هذا الكلام يمكن الرد عليه ضمن النقاط التالية:

١. ورد في التوراة اسم اللغة لسان كنعان، مما يدل على أن كنعان الأصل.

٢. حينما جاء إبراهيم إلى فلسطين كان الكنعانيون موجودين ولغتهم موجودة، ومن البدهي أن تؤثر المجموعة في الواحد إذا قبلنا أنَّ إبراهيم جدهم.

٣. حينما عاش إسحاق في فلسطين كان الكنعانيون يملؤون رحاب فلسطين.

٤. حينما جاء بنو إسرائيل ـ حسب ادعاء التوراة ـ إلى فلسطين اصطدموا بالكنعانيين ولغتهم هي السائدة.

٥. حول اليهود لغة كنعان في التوراة إلى اللغة المقدسة مما يدل على أنهم سجلوا كتبهم بهذه اللغة.

---

(١). ولفنسون إسرائيل: تاريخ اللغات السامية ص٥٤.

٦. إن سكنى بني إسرائيل في مصر ـــ حسب ادعاء التوراة ـــ مدة ٤١٥ سنة كافية لجعل بني إسرائيل ينسون لغتهم إن كانت قريبة من لغة كنعان.

٧. كثير من مؤرخي اليهود ومن تبعهم منهم يوسيفوس وفرويد قالوا بمصرية موسى ولغته هي اللغة المصرية ولا يعقل أن يتكلم بلغة كنعانية.

٨. لم يسم الكتاب المقدس لغة بني إسرائيل باللغة العبرية، وهذا دليل واضح على أن لغة بني إسرائيل كانت لغة كنعان.

٩. إن النصوص التي كشفت كنص تابوت إحيرام ونقش ميشع ملك موآب واشمنعيزر دلائل واضحة لأنها كانت في اللغة الكنعانية.

كل هذا كاف أن يرد على إسرائيل ولفنسون والرأي الذي نطق به أخيراً هو الحكم الصحيح حينما قال: إن اللغة العبرية كنعانية مع بعض الذي أصابها من خلال تأثرهم باللغات الثانية كاللغة البابلية والفارسية والرومانية، وخير من يرد على صهيونية إسرائيل ولفنسون والرأي الذي نطق به الدكتور أحمد سوسة في قوله: ((ومن الثابت أن سكان فلسطين الأصليين القدماء قد كانوا كلهم عرباً هاجروا من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها، فعاشوا في وطنهم كنعان أكثر من ألفي عام قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الحوادث، وقد أخذ الموسويون بعد ظهورهم في أرض كنعان بلغة الكنعانيين وثقافتهم وحضارتهم وتقاليدهم

هذه حقيقة تاريخية ثابتة أيدها المكتشفات الآثارية الأخيرة وأخذها العلماء بالإجماع تقريباً))(١)

ويتابع الدكتور سوسة آراءه في هذا المجال ويبرهن بشكل واضح أن الكنعانيين أقدم بكثير ممن ادعوا أنهم بنو إسرائيل بآلاف السنين، والحضارة الكنعانية تمتد بجذورها في فلسطين قبل أن يكون لبني إسرائيل، أي وجود في العالم، وترجع الحضارة الكنعانية إلى عصور موغلة في القدم فمنذ العصر الحجري الحديث (٧٠٠٠_٥٠٠٠) ق.م بدأت هذه الحضارة تنمو وتتقدم في مجال التمدن، فكان الكنعانيون أول من اكتشف النحاس الطري ثم اهتدوا إلى الجمع بين النحاس والقصدير، ويرى الدكتور سوسة الأثر الديني الكنعاني في الدين اليهودي كبيراً حتى أن اسم الإله إيل الذي ورد في التوراة بشكل كبير ليس إلا تسمية للإله الله سبحانه وتعالى، وقد أخذه بنو إسرائيل فوضعوا اسمه في التوراة: ((أما الديانة الكنعانية الفينيقية فعلى الرغم من تأثير الثقافة المصرية والبابلية فقد احتفظت بطابعها البدوي السامي وبالتقاليد السائدة في شبه جزيرة العرب، فكان أكبر آلهة الكنعانيين وأعلاها مقاماً الأيل، إيل الذي لقب بالإله العلي أو الإله العظيم وهو نفس الإله أيل الوارد في التوراة وقد دعاه يعقوب الله.

ويرى العلامة شافر أن ما يسبغه الكنعانيون من نعوت التعظيم والتفوق لإله واحد فوق الجميع يدل دلالة واضحة على ميل الكنعانيين

---

(١). سوسة أحمد العرب واليهود في التاريخ جـ١ ص ٩.

لتقبل التوحيد وانطلاقاً من هذا المفهوم (العقيدة) نطق الملك الكنعاني ملكي صادق ملك أورشليم باسمه الله العلي، وبهذا المفهوم كان الله العلي مالك السموات والأرض يتجلى واضحاً في العقل الكنعاني))[١].

ويؤكد الدكتور سوسة من جديد أن التوراة مقتبسة من أصول شتى منها الكنعانية والمصرية والبابلية في الدرجة الأولى بالإضافة إلى أصول أخرى ثانوية: ((يتفق الباحثون عموماً على أن التوراة التي تمثل الديانة اليهودية مقتبسة من أصول قديمة وهي تعتمد على ثقافة الكنعانيين والمصريين والبابليين بالدرجة الأولى، ومع أنها تركز على تاريخ اليهود فهي تنقل من خلال عرضها للحوادث معلومات جغرافية وتاريخية هامة عدا أسماء المدن والأماكن والشخصيات الكنعانية القديمة في فلسطين))[٢].

وهو لا يفتأ يذكر الأصول الكنعانية للتوراة في كل مجال في كتابه وفي العديد من صفحاته، وفي كل مرة يؤكد الأصل الكنعاني ومدى تأثير الكنعانية في التوراة فيعدد النقاط التالية:

١. توصل الخبراء إلى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى اصل قديم وجد مثله أو ما يشابهه في المدونات السومرية والأكادية والبابلية والكنعانية والآشورية والمصرية.

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ جـ١ ص ٤٨.

(٢). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ جـ ١ ص ٢٥٩.

٢. توصل الخبراء إلى أن معظم شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي كان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل، وقد اقتبسها اليهود منهم ثم مارسوها وأدخلوها كتبهم المقدسة.

٣. ثبوت كون اليهود غرباء دخلاء على فلسطين، وأن كل ما يملكون من المقومات الثقافية ومن ضمنها اللغة وكتابهم المقدس مقتبس من الثقافة الكنعانية والآرامية وأنها من أصل عربي.

٤. ثبوت عجز اليهود في أي دور من أدوار التاريخ عن إنشاء دولة مدنية زمن في فلسطين وإن دولتي داود وسليمان كانتا قائمتين في القرن العاشر قبل الميلاد على تراث كنعاني قبل نشوء العبرية اليهودية بعدة قرون[١].

بعد هذه المقدمة نناقش النقاط التي سرقها اليهود من الفكر الكنعاني:

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة ص ٢٢

١الخلق والتكوين

تشابهت قصة التكوين عند الكنعانيين مع قصة التكوين عند البابليين، وتقول فرضية التكوين عند الكنعانيين:

((إنه في البدء لم يكن هناك سوى ريح عاصفة وخواء مظلم، ثم إن هذه الريح وقعت في حب مبادئها وتمازجت فنشأ عن ذلك التمازج كتلة مائية اتخذت شكل البيضة وكانت الرغبة، وهي مبدأ خلق جميع الأشياء.

و لم تكن للريح معرفة بما فعلت، فنتج عن تمازج الرياح الإله مون والذي كان في الأصل عبارة عن كتلة من الطين أو مجموعة من العناصر المائية المتخمرة، وكان بذرة الخلق وله شكل البيضة، وانشقت البيضة قسمين فظهرت السماء والأرض والشمس والقمر والمجموعات الشمسية الكبرى ثم التهب الهواء بتأثير التهاب اليابسة والبحر، وتشكل الهواء والسحاب وهطل المطر على الأرض ماءاً مدراراً، وبتأثير حرارة الشمس انفصلت الأشياء وتطايرت لتلتقي وتتصادم فنشأ البرق والرعد، وعلى أصواته أفاقت الحيوانات مذعورة وراحت تتجول على سطح الأرض فوق اليابسة، وتحت الماء ذكوراً وإناثاً))[١].

ويمكننا أن نلم بالعناصر التي أخذها أسطورة الخلق اليهودية من الأسطورة الكنعانية كما يلي:

١.الخواء المظلم وقد ذكر في العهد القديم في سفر التكوين ص١/١-٢/.

---

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة ص ٢٢

٢. جهل الخالق بما يحدث فالريح لا معرفة لها بما يجري ويهوه رأى الخلق حسنا بعد خلقه، و لم يكن يعرف قبل ذلك أنه حسن.

٣. انشقت البيضة قسمين فظهرت الأرض والسماء وهـذا مـا أكدته الأساطير لخلق الكون، فمردوخ شق تعامت إلى السماء والأرض ويهوه فصل ما بين السماء والأرض.

٤. هطول المطر: في الأسطورة اليهودية هطل المطر وكذلك في الأسطورة الكنعانية.

٥. الإله مون نتج عن كتلة من الطين وكذلك آدم عند يهوه كتلة من الطين، وأضافت الأسطورة الكنعانية شيئا جديدا اعتمدته النظريات الأخرى عناصر مائية مخمرة فكانت بذرة الخلق، بينما الأسطورة اليهودية كانت روح الله ترف على وجه الماء فاشتركت الأسطورتان في وجود الماء.

هذه أهم النقاط التي سرقها اليهود من نظرية التكوين الكنعانية أضافوها إلى عناصر الأسطورة البابلية ليكونوا أسطورتهم المسروقة من هنا وهناك.

ولعل هذه الأسطورة لم تشر إلى خالق على الإطلاق فهناك ريح، أما أسطورة الخلق الأوغاريتية والتي عثر عليها في رأس شمرا فإنها تختلف عما أوردناه، يقول شفيق مقار: ((في الأسطورة الكنعانية كما وردت في نصوص رأس شمرا يستهل إيل عملية الخلق بعمل إلهين اثنين فوق النار عند مياه البحر وبعد أن يخلق هاتين الإلهتين من ذاته يأخذهما إلى بيته عند منابع

الأنهار وهو موزع بين رغبتين: رغبة إبقائهما عذراوين عاقرتين وبين مضاجعتهما والإنجاب منهما، وفي النهاية يضاجعهما وينجب ابنيه الأولين منهما شاليم (الفجر) وشحر(الغسق)، من مضاجعة إيل لابنتيه عشيرة ورحماية اللتين باتتا زوجتيه وإنجابه منهما نبعت ثيمة مضاجعة المحارم التي طفت بقوة في تصوير التوراة لخلق البشر وفي قصص الآباء نضحت بقوة وغزارة من نسيج أسفار التوراة وسائر أسفار العهد القديم ابتداء من الإله العاشق يهوه في حب ابنته حبية نفسه إسرائيل، فيهوه يخاطب تلك الابنة الحبيبة المتعبة اللعوب قائلا: ((وأنا قلت كيف أضعك بين البشين وأعطيك أرضا شهية ميراث مجد أمجاد الأمم، وقلت تدعينني يا أبي ومن ورائي لا ترجعين حقا كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل يقول الرب))[1].

وفي أسطورة الخلق الكنعانية لم يكن مجال لمثل تلك النظرية التي سار عليها كتبة التوراة والواقع أن نجاة الديانة الكنعانية من ذلك الوسواس الغريب ظلت المنفذ الذي نفذ منه الأنبياء إلى التستر على عملية توفيق العبادات فرفعوا أصواتهم بالإدانة لتسيب الممارسات الكنعانية الدينية في معرض تخندقهم زوروا عن مبدأ يهوه وحدهم وطمروا في رمال تلك الوحدانية المزيفة قائمة طويلة وحافلة من المسروقات الدينية.

وتتجلى هذه العملية في قائمة زنى بني إسرائيل في المحارم رغم أنهم في المجال التطهيري حرموها ووضعوا لها العقوبات المناسبة:

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٣٢٨.

١.لوط زنى بابنتيه كما ضاجع إيل ابنتيه وكما ولـــدت عشـــيرة غلاما ذكرا ورحماية ولدا ذكرا هما شاليم وشـــحر فكذلـــك ولدت ابنتا لوط ولدين ذكرين لكل واحد منهما ولد ذكـــر أحدهما موآب والثاني بن عمي، تكوين ١٩/٣١-٣٨/.

٢.تزوج عمرام من عمته يوخابد فولدت موسى، خـروج ٢/١-٤/.

٣.زنى يهوذا بكنته ثامـــار فأولدهـــا فـــارص وزارح تكويـــن ٣٨/١٤-٣٠/.

٤.زنى أمنون بن داود بأخته ثامار وقتله أخوها أبشالوم، صموئيل الثاني ١٣/١-٢٣/. وتعترف التوراة بأنه لو تزوجها لقبل منـــه ذلك ولما لم يتزوجها قتله أبشالوم أخوها من أمها وأبيها.

٥.زنى أبشالوم بسراري داود وزوجاته أمام بني إسرائيل و لم ينكر عليه أحد صموئيل الثاني ١٦/٢٠-٢٣/.

٦.زنى رأوبين بكر يعقوب بسرية والده، تكوين ٣٥/٢١-٢٢/.

هذه بعض زنى المحارم التي اعترفت بها التوراة و لم تنكر فعلتهم هذه مما يدل على أنهم قبلوا في الزنى مع المحارم نقلا عـــن أســـطورة الخلـــق الأوغاريتية، ولن أتابع هذه السلسلة فهي طويلة.

٢ مجمع الآلهة

لقد أشرنا إلى وجود مجمع آلهة عند اليهود في نقاشنا لمجمع الآلهة عند البابليين ورأينا أن كبير الآلهة عندهم مردوخ بعد أن قتل تعامت وشقها إلى نصفين وخلق منها الأرض والسماء ثم خلق الإنسان من دم الإله كنجو والطين، ولهذا لن أورد نصوص التوراة التي تدل على مجمع الآلهة فقد أوردناها عند نقاشنا للفكر البابلي وأثره في الفكر اليهودي وإنما سأورد ما يدل على هذه الفكرة أيضا عند الكنعانيين.

رأينا في مناقشتنا لقصة الخلق عند الكنعانيين أن إيل يستهل عملية الخلق بخلق آلهتين هما عشيرا ورحماية وتزوجهما فأنجبا إله الصبح وإله الغسق، فإيل كبير الآلهة عند الكنعانيين وهو رئيس مجمع الآلهة عندهم.

ويفهم من كلام أوغاريت أن مجمع الآلهة ليس إلا صفات وتجليات للإله إيل الإله العلي والذي لا يجب أن يغيب عن الذهن أن كل بعل منهم تجل من تجليات العليون الإله العلي الذي كان كاهنه ملكي صادق والذي بارك إبرام وإيل كبير مجمع الآلهة الكنعاني[1].

ويقول مارك سميث إن التقليد الكنعاني الذي استنسخه بنو إسرائيل في مجمع الآلهة إذ استنسخ بصبغة البلاط الملكي وطور باستمرار تبعا لأوضاع البلاط التي سادت في عهد كل ملك بدءا من شاول.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٣٧٩.

ويقول برتلر إن تأثير العصر الملكي في إسرائيل كان قويا في تشكيل ملامح المجلس السماوي[1].

ولقد زاد المؤلف التوراتي رئيس جند يهوه كمنصب على المجمع الإله، ارجع إلى يشوع١٥/١٣-١٥/ ويقارن برتلر ذلك المنصب المقدس رئيس جند يهوه بأبنير رئيس جند شاول، صموئيل الأول١٧/٥٥/ ويوآب رئيس جند داود، ملوك أول ١/١٩/ فالبلاط السماوي كما نرى صار صورة معلاة لبلاط الملك شاول ثم داود.

والآلهة عند الكنعانيين إيل كبير الآلهة ورب السماء يعتلي العرش في السماء السابعة وقد شاعت عبادته عند جميع الشعوب الآرامية والفينيقية والتدمرية وعبده اليهود في مطلع تاريخهم وقد ورد اسمه في التوراة وهو أصل اسم إيلوهيم كما ذكرت زوجته عشيرا.

بعل: أبرز الآلهة الكنعانية ورب المطر والسحاب والعاصفة وسيد الدورة الزراعية وله علاقة مباشرة مع الناس وحياتهم ورزقهم وهو الذي ينظم الكون ويدبر أمره بعد أن تغلب على المياه الأولى الممثلة الإله على المحيط البدئي والهيولي والعماء.

عشيرة زوجة إيل الأم الكبرى وكانت تسمى إيلات نسبة إلى إيل ومن ألقابها سيدة البحر ومازال اسمها يطلق على إيلات في البحر الأحمر وقد حولها العرب إلى كلمة اللات، وعبدت في زمن الجاهلية وكانت مع العزى ومناة ثالوثا نسائيا من الآلهة.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص٣٣٤.

بل إن عبارات كشف العورة والزنا زنى إسرائيل بغير يهوه تملأ الكتاب المقدس: ((جعلتك ربوة كنبات الحقل فربوت وكبرت وبلغت زينة الأزيان، نهد ثدياك ونبت شعرك، وكنت عريانة وعارية فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب فبسطت ذيلي عليك وسترت عورتك وحلفت لك ودخلت معك في عهد يقول السيد الرب يهوه فصرت لي فحممتك بالماء، وغسلت عنك دماءك ومسحتك بالزيت وألبستك مطرزة ونعلتك بالنحس وأزرتك بالكتان وكسوتك بزا فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك وسكبت زناك على كل عابر فكان له وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها في كل رجاساتك وزناك لم تذكري أيام صباك إذا كنت عريانة وعارية وكنت مدوس رجلك...في رأس كل طريق بنيت مرتفعا لك ورجست جمالك وفرجت رجليك لكل عابر وأكثرت زناك، وزنيت مع جيرانك بني مصر الغلاظ اللحم، وزدت في زناك لإغاظتي...وزنيت مع بني آشور إذ كنت لم تشبعي فزنيت بهم ولم تشبعي، ما أمرض قلبك يقول السيد الرب إذا فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة ببنائك قبتك في رأس كل طريق وضعت مرتفعك في كل شارع ولم تكوني كزانية بل محتقرة الأجرة.

أيتها الزوجة الفاسقة تأخذ أجنبيين مكان زوجها كل الزواني يعطون هدية أما أنت فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك وصار فيك عكس عادة النساء في زناك إذ لم يزن وراءك بل أنت تعطين أجرة ولا أجرة تعطى لك فصرت بالعكس.

فلذلك يا زانية اسمعي كلام الرب هكذا يقول السيد الرب من أجل أنه قد انفق نحاسك وانكشفت عورتك بزناك عجيبك وبكل أصنام رجاساتك والدماء بنيك الذين بذلتهم لها لذلك هاأنذا أجمع جميع محبيك الذين لذذت لهم وكل الذين أحببتهم مع كل الذين أبغضتهم فأجمعهم عليك من حولك وأكشف عورتك لهم لينظروا كل عورتك وأحكم عليك أحكام الفاسقات السافكات الدم وأجعلك دم السخط والغيرة وأسلمك ليدهم فيهدمون قبتك ويهدمون مرتفعاتك وينزعون عليك جماعة ويرجمونك بالحجارة ويقطعونك بسيوفهم ويحرقون بيوتك بالنار وأكفك عن الزنا وأيضا لا تعطين أجرة بعد))[1].

ويتابع الإصحاح كله على هذا الشكل ولي على هذا النص ما يلي:

١. الزانية في شرع اليهود ترجم والإصحاح يعتبر إسرائيل كسدوم وعمورة فإذا ما دمر الله سدوم وعمورة فإسرائيل ويهوذا وحسب تدميرهما ولا حق لهما في الحياة فهما كسدوم وعمورة.
٢. مر في هذا النص القصير كلمة الزنى تسعة عشر مرة ويهوه يذكر زوجته إسرائيل بزناها.
٣. قبل يهوه بتسليمها إلى محبيها والزناة بها ليحكموا فيها حكم يهوه.

---

(١). العهد القديم حزقيال ١٦/٧–٤٤/.

٤. حكم يهوه رجمها، تقطيعها بالسيوف بعد تجريدها من ثيابها، وحرق بيوتها بالنار.

٥. الزانية إسرائيل تختلف عن باقي الزانيات فهي تدفع أجرا للزنلة ولو أنها أخذت أجرا لسكت يهوه عن زناها وغضبه على ما يبدو أنها تعطي أجرا للزناة بها.

واسمع تعليق الباحث شفيق مقار حول هذا النص:

وفي ترجمة النص إلى العربية أو الإنكليزية وجد المترجمون أنفسهم في مأزق حرج حيال هذا القول فالتلاعب بنص لحزقيال أصعب بكثير من التلاعب بنص من سفر المزامير مثلا، ولهذا فإنهم تركوا النص على ما هو عليه مع تغيير ذكي طفيف تمثل في تغيير نبت لك شعر حيث كنت عارية وعريانة إلى ونبت شعرك وقد كنت عارية وعريانة على أمل أن ينصرف الذهن بفعل هذه الصياغة إلى شعر الرأس، غير أن المحاولة كانت بنصف قلب، وكما قدر المترجمون فعلا لم تكن المحاولة مجدية إلا إذا غير النص كله، فرفعت منه ربوة وربوت وعريانة وعارية التي وردت في نص الملك جمس واضحة المعنى في سياق القول:

and thime gair grourn whereas than naked and lare.

وقد كان ذلك أقصى جهد المترجمين إلى الإنكليزية سترا لعرى النص لكن whereas ظلت مع ذلك كاشفة وزادها كشفا لفظة lare بمعنى جرداء أو بغير شعر، وهو ما تعنيه أيضا عارية (عارية من الشعر) في الترجمة العربية لأنه لو كان المقصود باللفظة العري من الثياب لبانت عارية تزيدا لا معنى له بعد عريانة، ولو كان الشعر الذي تحدث عنه

يهوه عن نموه شعر الرأس لاستخدمت لفظة حليقة أو صلعاء، ولو كان المقصود عرى الرأس (عارية) لكان الأصوب القول مكشوفة الرأس وحتى إذا أمكن الدوران حول عري العانة من الشعر وحول التجرد من الثياب ما الحيلة في ربوت وربوة ونهد ثدياك؟

التصوير الجنسي لجسد أنثوي دخل مرحلة النضج بامتلاء الثديين ونمو شعر العانة، وقد عامل يهوه إسرائيل معاملة الزوج إذا خانته زوجه اللعوب وهو لا يقدر على فراقها، فصوره تارة هاجرا لها وتارة يراضيها، طورا تعابثه وتزني مع غيره وطورا تعود إليه من جديد خاضعة صاغرة.

واسمع هذا النص من أشعيا: ((أما أنتم فتقدموا هنا يا بني الساحرة ونسل الفاسقة والزانية بمن تسخرون وعلى من تفغرون الفم وتدلعون اللسان أما أنتم أولاد المعصية نسل الكاذب المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء القاتلون الأولاد في الأودية تحت شقوق المعاقيل في حجارة الوادي الملس نصيبك تلك هي قرعتك لتلك سكبت سكيبا وأصعدت تقدمه أعن هذه أتعزى على جبل عال ومرتفع وضعت مضجعك وإلى هناك صعدت لتذبحي ذبيحة وراء القائمة والباب وضعت تذكارك لأنك لغيري كشفت وصعدت أوسعت مضجعك وقطعت عهدا معهم أحببت مضجعهم نظرت فرصة، وسرت إلى الملك بالدهن وأكثرت أطيابك وأرسلت رسلك إلى بعد ونزلت حتى إلى الهاوية بطول أسفارك عييت و لم تقولي يبست شهوتك وجدبت ولهذا لم تضعفي،

وممن خشيت وخفت حتى خنت وإياي لم تذكري ولا وضعت في قلبك أما أنا ساكت وذلك منذ القديم فإياي لم تخافي))[١].

واسمع أيضا إلى هذا النص: ((وقال لي الرب في أيام يوشيا الملك: هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل، انطلقت إلى كل جبل عال وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك فقلت بعدما فعلت كل هذه ارجعي إلي فلم ترجع، فرأت أختها يهوذا الخائنة فرأيت أنه لأجل كل الأسباب إذ زنت العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها لم تخف الخائنة يهوذا أختها بل مضت وزنت وهي أيضا وكان من هوانها أنها نجست الأرض وزنت مع الحجر ومع الشجر وفي كل هذا أيضا لم ترجع إلي أختها الخائنة يهوذا بكل قلبها بل الكذب يقول الرب، فقال الرب لي تدبرت نفسها العاصية إسرائيل أكثر من الخائنة يهوذا، اذهب وناد بهذه الكلمات نحو الشمال وقل ارجعي أيتها العاصية إسرائيل يقول الرب لا أوقع بكم غضبي لأني رؤف يقول الرب))[٢].

وبعد أن أوردت هذين النصين أحب أن أعلق عليهما ضمن النقاط التالية:

١. إن إسرائيل ويهوذا ليسا إلا مثالين مسروقين من عشيرا ورحماية فهما زوجتا يهوه لكنهما زانيتان وليستا كعشيرا ورحماية طاهرتين.

(١). العهد القديم أشعيا ص٥٧/٣-١١/.

(٢). العهد القديم أرميا ص٣/٦-١٢/.

٢. لا يمكن أن يكون يهوه إلها سماويا عاليا وإنما هو أسطورة من الأساطير، فالعبارات التي ينادي بها يهوه إسرائيل ليست إلا عبارات جنسية مكشوفة لا تستقيم مع إله واحد لا جنسي ولا يتصور إطلاقا أن أفكار الإله يمكن أن تتداعى بشكل شهواني حسي في العشق والزنى والشهوة والمضجع والذي يبدو لنا أن إسرائيل ويهوذا لم يكونا سوى أسطورتين لإلهتين أو امرأتين داعرتين تخونان زوجهما يهوه مع كل عابر سبيل، ارجع إلى أرميا ٣/٢٠/، وارجع إلى هوشع ٢/١-٧/، قولوا لإخوتكم عمي ولإخواتكم رحامة حاكموا أمكم لأنها ليست امرأتي وأنا ليس رجلها، لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها لئلا أجردها عريانة وأوقفها كيوم ولادتها وأجعلها كقفر واصيرها كأرض يابسة أمتها بالعطش، ولا أرحم أولادها لأنهم أولاد زنى، لأن أمهم قد زنت التي حبلت بهم صنعت خزيا لأنها قالت اذهب وراء محبي الذين يعطون خبزي ومائي وصوفي وكتاني وزينتي وأشربتي لذلك هاأنذا أسيج طريقك بالشوك وأبني حائطها حتى لا تجد مسالكها، فتتبع محبيها ولا تدركهم وتفتش عليهم ولا تجدهم فتقول اذهب وارجع إلى رجلي الأول لأنه حينئذ كان خير لي من الآن.

٣.هل يهوه إله عال متسام طاهر، والرجل العادي منا لا يقبل ما قبله يهوه من إسرائيل تزني مع غيره ولا يتركها ويعود ليلاطفها لتعود إليه من جديد ولكنها تصد عنه وتنأى.

٤.أشار إلى زواج يهوه من إسرائيل الباحث شفيق مقار بقوله: ((ومثلما تزوج بعل بناته تزوج يهوه من ابنته وحبيبته ومعشوقته إسرائيل ليكون الإله الملك العاشق بعل ثور يعقوب، وفي سفر أشعيا نص قاطع بذلك حتى بعد المعالجة التحريرية المكشوفة فالنص بعد أن يؤكد لإسرائيل أن أرضها ستصبح بعل يخبرها أنه كما يتزوج الشاب عذراء يتزوجك يهوه، وكفرح العروس بعروسه يفرح بك بعلك حول بعلك إلى إله ناقص ذلك التمويه المسكين[1].

٥.ونمو شعر العانة وامتلاء الردفين وعلو هضبة ربوة العانة في الترجمة الإنكليزية wascem great ناطق في النص يعززه قول يهوه فيما يليه مباشرة: فمررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب فبسطت ذيلي عليك وسترت عورتك، فيهوه يتحدث هنا عن فرج معشوقته الذي تقببت عانته واكتست شعرا علامة على البلوغ.

فهل كان حزقيال ذلك النبي الجليل مجنونا؟

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة والعهد القديم ص٣٩٩.

هل كان قد فقد صوابه فأجرى مثل هـــذا الوصـــف الجنســي المكشوف المشبوب على لسان إله صور منذ بدايات حكاياته في ســـفر التكوين متعالياً على الحسيات متنصلاً من الجسديات[1].

ويرى الباحث أن إسرائيل ليست إلا ابنة يهوه وزوجته وحبيبتـــه وبوصفها زوجته فهي أم الشعب وبكونها أم الشعب هي التي اندفـــق في رحمها مني القضيب المقدس يهوه المني المقدس فأنجبت النسل المقدس ابـــن يهوه البكر شعبه الأخص الذي اجتهد عزراً في درء التنجس عنه.

ويدلل مقار متابعاً النصوص التوراتية التي تدل على هـــذه الزيجـــة المقدسة في التوراة مورداً إياها نصاً نصاً.

من هنا أتت النسبة إلى شعب إسرائيل أنهم أبناء يهوه لأن أمـــهم هي زوجته ويقول في النهاية معلقاً نتعامل مع هذه النصوص:

١. بوصفها إبداعياً أدبياً أي تأليفاً من صنع البشر.

٢. بوصفها كلاماً إلهياً.

بوصفها إبداعياً أدبياً تصورات الزيجة والطلاق والزنى هي الصيـــغ التصويرية التي أنجبتها مخيلة المؤلف أو ذاك تعبيراً عن رأي كاتبه، غـــير أن هذا النظر إلى المسألة غير ممكن إطلاقاً بالنظر إلى تأكيد مؤلفي النصـــوص أنها كلام إلهي أنزل على أنبياء سجلوه كما تلقوه.

في هذه الحالة تنقضي إمكانية التحايل على النص من زاوية المجازيـــة المنقذة، فالإله نفسه ما لم يتهم أولئك الأنبياء بالافتراء عليه ونسبة أقـــوال

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص٤٨٦ — ٤٨٧.

لم يقلها يقرر في منتهى الوضوح أنه أنجب ابنه البكر شعبه الأخص من أم حبلت به وولدته ولكنها فسدت فزنت بأن فرجت رجليها لكل عـــابر، وأكثرت من الزنى فطلقها وأعطاها كتاب طلاقها وســــرحها ورفـــض أولاده منها فباتوا لقطاء أولاد زنى، هوشع ٢/٤-٥/.

لكن المشكلة ماثلة في أن هؤلاء الأنبياء لم يتجنوا على يـــهوه و لم يقولا ما قالوا عنه وعن عروسه وعن زواجه منها ووطئه إياها وحملها منه وتطليقها بعد أن زاغت عن المحجة افتراءاً عليه وفجوراً منها كل مـــا في الأمر أنهم كانوا أبناء عصرهم وثقافتهم وأنهم عندما عالجوا الصراع الذي كان دائراً بين معبودات تنافست على ولاء البشر.

كانت الديانات الآخرى وجدت واستقرت فقد وجد المعبــود أولاً ثم نسجت حوله الأساطير التي استمدت كل خطوطها ومكوناتها مـــن الاعتقاد الأصلي بوجود المعبود والتصور البدئي لهويته وقدراته.

أما اليهود فلم تكن ديانتهم قد استقرت وكانت في طور التقليـــد وجمع ما استطاعوا جمعه في عملية تجميع تلفيقي لاختصاصــــات إلهيــة وقدراتها وهي أقدم وأعرق من يهوه وظل هذا الإله يلتقـــم المعبــودات الأخرى ويلتهمها مضيفاً إلى نفسه قدراتها ومهاراتها.

هذا التجميع هو الذي جعل يهوه ذا صفات وقدرات متناقضة فهو خنثى تارة وذكر تارة أخرى، وهو خالق تارة وهو مدمر تارة، وعلـــى الأخص حينما كان اليهود في الأسر في بابل فملكهم قد ضاع وهويتـــهم تمزقت وهيكلهم هدم وتابوتهم لم يبق منه أثر وانكشف ما كان فيه.

ولهذا فقد أخذوا هذه الصفة زواج إلههم يهوه من إسرائيل ابنتــه لم يكن إلا سطواً على إيل الإله الكنعاني.

وكذلك سطوا على بعل وزواجه من ابنته لعانات فهو أب وبعـــل معاً لعانات وبدا التأثر من أسطورة أوغاريت ومن صورة بعـــل، وبـــدا التأثر اليهودي المسروق من عانات شديد الوضوح فيما يتعلق بمكوناتـــه الجرمية الحربية البطولية من صوت يهوه رجل الحرب ورب الجنود وهـــو مالا ينبغي أن يكون فيه ما يدعو إلى استغراب أو إنكار فالبرديـــات في اللغة الآرامية من مستعمرة الشعب الدينية بجزيرة الفيلة قرب أسوان تقطع بأن من هجروا إلى مصر كان من المفروض أن يظلوا تحـــت يـــهوه في كنعان هرباً من عواقب خراب المملكتين و لم تفلح في جعلهم يعودون إلى أرض اللبن والعسل، عبدوا جنباً إلى جنب مع معبودات مصـــر الآلهـــة الكنعانية بوصفها أصلاً له فرع اسمه يهوه باسم ياهوعانات(١).

لو عدنا إلى قراءة التوراة لرأينا في سفر الخروج الإصحاح الرابـــع عشر أنهم نزلوا أمام بعل صفون وبعل صفون هذا حسبما تشـــير إليـــه التوراة يقع على شاطئ البحر وقد رأى بنو إسرائيل هذا الإله وبعـــد أن نجوا من فرعون عادت لهم ذكرياتهم فطلبوا من هارون أن يعمل لهم إلـــه كما للقوم الذين مروا بهم آلهة.

ولهذا شكل بعل صفون وهو إله كنعاني أول خطر على عبادة بـــني إسرائيل، ولما أراد الكهنة أن يبتلع يهوه كافة الآلهة الســـابقة كـــان ولا

(١). شفيق مقار الجنس في العهد القديم ص٢١٣.

شك بعل صفون هو أحد الآلهة التي سطا عليها كتبة يهوه، فتعرض لما تعرض له غيره من الآلهة الغريبة والدخيلة، وسرقت قدراته كإله عواصف ومطر وخصب وغيب في جوف يهوه، ولما كان بعل صفون الذي ابتلعه يهوه بعلاً لعانات في أسطورة أوغاريت فإنه لم يكن من المستعصي أسطورياً على الشعب وقد خلط يهوه ببعل صفون فغيب هذا في هوية ذاك أن يرى في عانات زوجة لبعل يهوه، ولكن مع إعلاء عانات على يهوه حتى دخل هيكله سجد أمام الآلهة وأدار له القفا حصل ذلك البعل فرعاً لها.

وحينما لاذ بمصر كان من الطبيعي أن يزداد ارتماء في حضن ملكة السموات وهو في مصر مارس العبادة في رحاب الإلهة الأم العظمى التي من عبادها استمدت عبادات تجلياها الكنعانية(١).

ويقول مارك سميث عن المزمور العشرين هامش ١٩ أثار الكشف عن تحريف المترجمين لأصله جوراً لم ينقطع ظلت الغاية منها التنصل عما كشفت عنه الآيات /٢-٦/ من أصله الآرامي من وجود ضارب بجذوره لإيل والبعليم في هوية يهوه التي دخلت في تركيبها عناصر كثيرة أخذت من أولئك الآلهة المنافسين وظلت الغاية الأخرى من الجدل والمراوغة للتغطية على الدور الذي لعبته وتلعبه الترجمة في تزوير النصوص الكاشفة التي من هذا النوع المزعج (كما في حالة تلقيب يهوه ببعل ثور يعقوب التي زورت الترجمة إلى عزيز يعقوب) بدافع من تقوى زائغة مشكوك في

---

(١). شفيق مقار: قراءة سياسية للتوراة ص ٢٥٠.

عفافها من حيث أن المترجم الذي يقوم على مثل هذا التزوير لنصوص مدعى أنها مقدسة تاركا للباحثين المعتذرين المهرة التغطية على أنشطته التزويرية إما أن يكون مرتزقا وضعيف الإيمان وإما أن يكون إيمانه طراز فريد بحق[1].

فالمجمع الإلهي الكنعاني يمكن وصفه على النحو التالي:

إيل الأب الإله وزوجاته عشيرة ورحماية وأولاده الفجر والغسق وبعل ويم وعانات ابنة بعل وزوجته، وهناك آلهة ثانوية ستمر أثناء المناقشة.

(١). سميث مارك: التاريخ المبكر لله ص٤٣.

يهوه وآلهة كنعان التي ابتلعها

من أين أتى يهوه؟ وما صفاته؟

هذا السؤال لابد من طرحه لكل من يريد أن يبحث في اليهودية وأحب أن أسير مع التوراة رويدا رويدا وببطء شديدين حتى أصل إلى الحقيقة التي ينشدها كل باحث.

ربي موسى في مصر عند فرعون كما تقول التوراة وكان بنو إسرائيل في إحدى حالتين: إما أنهم وثنيون لا يعرفون إلها أبدا، وإما أنهم تابعوا عبادة من سبقهم من أجدادهم كما يزعمون.

ولم يعرف بنو إسرائيل إلها غير إله إبراهيم حسب تعبير التوراة وهو إله إسحاق ويعقوب والإله الذي عرفوه لم يكن إلا إيل الذي كما تزعم التوراة أنه سمى يعقوب بإسرائيل، وإسرائيل تتألف من قسمين: إسرا + إيل وإيل هو الإله الذي عبدوه سواء كان الله العلي أو إيل شداي الإله القوي القادر، ويهرب موسى من مصر بعد أن قتل مصريا يعتدي على رجل من بني إسرائيل، وتقول التوراة إنه حينما هرب كان فوق الأربعين من العمر فقد عاد إلى مصر وعمره ثمانون عاما وظل في تيهه أربعين عاما وتوفي وهو في المائة والعشرين، عاد موسى من مدين وعمره ثمانون عاما وهو لا يعرف يهوه ولا سمعه، ولو كان يهوه إلها مدينيا لعرفه ولما لجأ إلى هذه الفكرة النار المتقدة في العليقة دون أن تحترق، وجاء إلى جبل الله حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة فنظر وإذا العليقة تتقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق، فقال موسى أميل الآن لأنظر

هذا المنظر العظيم لماذا لا تحترق العليقة؟ فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى فقال هأنذا فقال لا تقترب إلى ههنا اخلع حذاءك من رجليتك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة.

ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله فقال الرب إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم إني قد علمت أوجاعهم فترلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة إلى أرض تفيض لبنا وعسلا...

فقال موسى لله من أنا حتى أذهب إلى فرعون وحتى أخرج بني إسرائيل من مصر فقال إني أكون معك وهذه تكون لك العلامة أني أرسلتك حينما تخرج الشعب من مصر تعبدون الله على هذا الجبل، فقال موسى لله هاأنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم؟

فقال الله لموسى أهيه أشر أهيه، وقال هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم.

وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد))(١).

هذا النص يكذب بعضه بعضا وإليك النقاط المتناقضة فيه:

(١). العهد القديم سفر الخروج ص٣/١-١٥/.

١.إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب هو إيل بدلالة تسمية إسـرائيل وإسماعيل.

٢.موسى يعرف إله إبراهيم أنه إيل إذا كان من نسل إبراهيم ولا حاجة به إلى سؤال عن اسمه.

٣.السؤال عن اسم الإله يوحي لنا أن موسى كان وثنيا غير موحد.

٤.إن الجواب أهيه أشر أهيه تعريبها أكون من أكون وقد ترجمها كثيرون بصيغ مختلفة منها إلى الفرنسية، وترجمتها إلى العربية أنا أكون من أكون، وترجمها بعض الناس الكائن أرسلني إليكم.

وقال شفيق مقار أكون أشيرا أو عشيرا وهو أحد آلهة الكنعانيين.

٥.إن موسى كان في مدين وأهل مدين يدينون بعبادة الله الواحد أيل كما أنبأنا القرآن الكريم.

٦.بعد أن أوردت التوراة عبارة أهيه أشر أهيه قالت: تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم.

وأهيه هي الفعل المضارع من هيا (كان) للمتكلم المفرد ومعناها أكون وحتى هذه التسمية ليست اسم علم لله، إذا صح يهوه هو الله ولكني لا أراه.

٧.أراد محرر التوراة أن يتلافى الثغرة في هذه الرواية فإيل إله عرفته بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية من اليمن وحتى بلاد الحثيين شمالا وعرفته الحضارة الكنعانية والبابلية بابل باب + إيل ووصل

اسمه مع الرحالة المغامرين والفرسان المقاتلين إلى أسبانيا وفرنسا ومنها اسم مرسليا مرسى+إيليا المرفأ الإلهي، وأراد اليهود أن يتميزوا عن بقية الناس الذين يحيطون بهم في بابل فتفتقت لهم عبقريتهم عن اسم لم يكن معروفا على الإطلاق إن هو إلا فعل مضارع لفعل كان الناقص للغائب فأصبح يهوه اسم إله كما نحن نسمي يزيد ويشكر ويحصب وتغلب هذا الاسم كما أرى لا علاقة له بموسى و لم يعرفه ولا جرى ذكره على لسان موسى ولا هارون ولو كان موسى مصريا لأورد الاسم الإله مصري أما يهوه فهو غريب عن العرب غريب عن بيئة الشرق الأوسط بشكله الكامل، اللهم إلا ما جاء في أذهان بعض الباحثين الذين يريدون أن يؤكدوا التوراة ويصدقوها ونسبوه مرة إلى مدين ومرة إلى عانات فجعلوه لها بعلا وقد مر معنا هذا.

وقد حار مرسيا إلياد في تفسير هذا الاسم ويقول: ((ولقد جرى نقاش كثير حول هذا الاسم وإن جواب الرب غامض لدرجة كبيرة، لقد جرى تورية لكينونته دائما بدون أن يكشف شخصيته وكل ما يمكن قوله إن الاسم الإلهي يوحي قد يكون أعلن أنه رب إبراهيم والآباء الآخرين.

هذه الهوية قبلت من كل أولئك الذين ادعوا الإرث الإبراهيمي، غير أن للفوارق أدلتها ففي حين كان رب الأب مغفلا فإن يهوه اسم

علم أوضح سره وعظمته، إن العلاقات بين الإله والمؤمنين به قد تغيرت فلم يعد الكلام مطلقا عن رب الأب وإنما عن شعب يهوه))[1].

ولكني لا أرى في هذا النص إلا تسليما وقناعة دون أن يعطي رأيه كباحث ولو سمح لنفسه أن يفكر قليلا لرأى:

١.إن إله إبراهيم لم يكن مغفلا كما ادعى فاسم إسماعيل وإسرائيل اسمان إيليان وليسا اسمين لإله مغفل.

٢.إن الإغفال في فعل مضارع لكان الناقصة وجعله اسم علم ليبقى مجهولا ضمن هذه الجموع الزاخرة التي تؤمن بإيل ولا تعرف يهوه.

٣.إن كاتب التوراة شعر بالارتباك حينما وضع اسم يهوه اسم علم لإله لا يعرفه أحد فقال يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله موسى وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دور فدور.

وكأن الكاتب يتنصل من تبعية ذلك الاسم الغريب الذي تفرد به عن تلك المنطقة التي تزخر بعبادة إيل، وبعصا سحرية حول الناس من عبادة إيل إلى يهوه الذي لا يعرفه أحد.

٨.لو كان يهوه إله إبراهيم وهو الذي أمره بالهجرة من أور حسب ادعاء التوراة إلى حران ومنها إلى فلسطين لعرفه موسى وبنو إسرائيل.

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية جـ١ ص٢٢١.

من كل هذا أرى أن يهوه ليس إلا اسما اخترعه كتبة التوراة وانفردوا به ليكون إلههم الخاص كما هم سيكونون شعبه ولكن لا وجود لهذا الإله.

إن الإله الذي عرفه إبراهيم إيل وهو الذي عرفه ملكي صادق ملك أورشليم الكاهن لله العلي أو إيل عليون وقد لا حظنا الأسماء الأيلية الواردة في هذا الصدد حتى في الأسماء التي أوردها الصليبي فهي أسماء إيلية ولا علاقة لها بيهوه لا من قريب ولا من بعيد.

إن أسطورة يهوه لم تحبك و لم تتكامل إلا بعد موسى بعدة قرون وذلك الحبك والتكامل كانا هناك في بابل في زمن السبي في سياق عملية بالغة التصميم و لم يعد هناك من ينكرها، أو يجد بوسعه أن يماري فيها من إعادة التأليف اقتباسا وسطوا واستنساخا والتحرير والتحوير والقص واللصق انتجت من خلالها مختلف أشكال النهب الديني والثقافي من مصر وكنعان وبابل وسومر نتاجها النهائي كان في ذلك الكتاب العجيب الآسر الممتلئ بالتناقضات والسرقات وضروب التلفيق والإتاهة والتلغيز إخفاء المصادر المسروقات(١).

فالمادة التي تألفت منها أسفار التوراة الخمسة وأسفار يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول والثاني بكل ما جمع فيها وعولج المرة تلو المرة من أساطير وحكايات فولكلورية استعيرت من ثقافات شعوب الشرق الأدنى القديم وتشريعات إلهية استنسخت من الديانة المصرية ومن

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص١٨٣.

شريعة حمورابي لم تتخذ شكلها الحال الذي وصلتنا به إلا في آخر القرن الخامس قبل الميلاد بعد أن عملت فيها بنشاط أقلام عدة محررين أشهرهم الكاتب عزرا.

وفي تقييم تلك المادة نجد أنه لا يكاد هناك من بات بوشك أن يدعي أية قيمة تاريخية للحكي عن خلق العالم في سفر التكوين وما أشبه ذلك من حكايات وفيما يخص الآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب مازال هناك من المؤمنين المتصفين بالتصميم من يجد بمكنه الدفاع عن حقيقتهم التاريخية والجوهرية إلا أن هناك من الأدلة ما هو أقوى على أن حكي التوراة عن أولئك الآباء إن هم إلا مجموعة من الحكايا الدينية الأسطورية عن شخصيات دينية فلسطينية المؤمنين اتخذها بنو إسرائيل بعد غزو فلسطين أسلافا لهم، وفي حبك القصة كان لا بد أن يساق أبناء يعقوب بفعل الجوع إلى مصر حتى يمكن الادعاء بأن من خرجوا من مصر وغزوا فلسطين بعد ٤٧٠ سنة كانوا سلالة يعقوب، وذلك على الرغم من أن يعقوب وأبناءه لم يكد يستقر بهم المقام في مصر حتى فقد العهد القديم كل اتصال بهم أو علم بإقامتهم، وهو ما يشير بوضوح إلى أنه لا وجود لتقليد متصل يربط ما بين زمن الآباء المدعى حوالي عام ١٧٠٠ ق.م وبين الخروج الذي تعين تبعا للتسلسل الزمني للتاريخ التوراتي أن يوضع تاريخه في النصف الأول من القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

وسائر التفاصيل بعد ذلك خرافية، فالعهد الذي قطع في سيناء قد يكون اخترع اختراعا عملا على ادعاء أصول موسوية لطقوس وشعائر

كنعانية، والعهد يعني الالتزام بإطاعة القانون المقول إنه شريعة يهوه رغم أن يهوه قد طمست هويته الأصلية واجتهد المحررون والمؤلفون في تمكين يهوه من استيعاب وابتلاع هويات آلهة الشرق الأدنى القديم التي اختلست من مبدأ الأمر تشكيلا لهويته عملا على التخلص من تلك الآلهة المنافسة التي وصفت في العهد القديم بالدخيلة والغريبة[1].

ورغم هذا التصحيح والحذف والتشويه فقد أفلتت جمل لم يستطع مقص الرقابة اليهودية حذفها مما يدل على تعدد الآلهة في يهوه.

فيهوه حسب ادعاء التوراة إلها ذكرا وأنثى معا كآدم الذي خلقه ذكرا وأنثى ثم فصل آدم عن حواء كذلك يهوه ذكرا وأنثى ثم استعمل المقص الإلهي الذي استعمله يهوه في فصل آدم عن حواء ففصل الإله الذكر وخنقت الأنثى وأميتت ولكن بعض الجمل التي وردت دلت على مثل هذا الجهود المضنية وعدم نجاحها في هذا القص النهائي، ومع ذلك كما قلنا أفلتت الألوهية المؤنثة من ذلك الحصار الكهنوتي وظلت تطل بمفاتنها الأنثوية من وراء الأستار الكثيفة التي أسدلت عليها رغم اجتهادات الكهنة وجلهم.

ففي سفر التكوين مثلا والأب يعقوب على فراش الموت آخذ في مباركة يوسف تباغتنا الإلهة الأم بشكل غير متوقع إطلاقا في قول يعقوب ص٤٩/٢٥/ بركات الثديين والرحم؟

(١). شفيق مقار: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٣٥.

ليس ليهوه بكل تأكيد اللهم إلا إذا جنحنا إلى الأخذ بمفهوم الإله الخنثى فهل كان يعقوب يعي ما قاله السفر لكلام قاله يعقوب فعلا وهو على فراش الموت يسبغ على رأس يوسف بركات ثديي يهوه ورحم يهوه؟

أم كان يستمد من التراث الديني القديم الذي ملأ به قوله مخلاتهم الثقافية في غمار تيههم الطويل بأراضي الشعوب صاحبة الثقافات الدينية في الشرق الأدنى القديم؟

وهكذا أضحى يهوه بجهود كهنته أبا للآباء وأما للأمهات بعد أن أوجدوا له رحم الإلهة بجعله خنثى في محاولة طم فروج الآلهة الأخرى كما تطم البئر، ففي حالة السطوة اليهودية التي لم تبدعها مخيلة جمعية عبر تطور ثقافي استغرق آلاف السنين كما في حالات عبادات سومر ومصر وكنعان بل اغتصبت تلفيقا من الأسطوريات التي وقع السطو عليها فإننا نجد أنه كما تطم البئر بالأحجار والرمال جرت محاولة لطم فرج الآلهة في طوفان من الكلمات مدعية القداسة متصفة التطهرية التي كان أول عرض سطر الحوار الذي أجري على لسان يهوه يقول فيه إنه لم يعد راغبا في أن يدين روحه في الإنسان إلى الأبد لأن الإنسان من لحم، تكوين ٦/٣، وهو قول فطن إليه المترجمون العرب إلى أنه كاشف عما وراء فحذفوا لأنه من لحم ووضعوا بدلا منها لزيغانه(١).

يقول اليجرد في كتابه الهام الشعب المختار تهشيم الأسطورة:

---

(١). المصدر السابق ص٢٣٦.

كانت المدرسة الفكرية التي انجبت مجموعة الكتابات التاريخية التي يدعوها بالتثنوية من العهد القديم أسطورة تبرير جيدة لمفهوم العبادة الموحدة المركزية التي سعت إلى تحقيقه وبغية إحكام رباط ما كان قد تبقى من الشعب ببعضه بعضا في وجه المخاطر القادمة من بلاد الرافدين، بات إسباغ صفة التاريخ على الأسطورات الصحراوية القديمة أمرا اتصف بالضرورة والالحاحة العاجلة لأنه متى أمكن القول بأن كل إسرائيل انحدرت من صلب إبراهام بات من الممكن حتى للمجموعة المتنافرة من البشر التي كانت قد تبقت في يهوذا أن تلقي ببصرها وراء في المحنة إلى ما قبل أي تجمع كونفدرالي سائب من اثني عشر سبطاً عوداً إلى سلف واحد يتيح الانتساب إليه الشعور بالتمتع ببقاء عرقي لا قرين له في كل فلسطين، والشعور بأن القوم كلهم أسرة واحدة اختارها إلهها الخاص بها وهي مازالت تائهة في القفر وجمع شملهم في الأرض الموعودة، وفوق كل شيء كان ذلك يتيح للقوم الشعور بأنهم مختلفون عن جيرانهم الفلسطينيين، فإلههم ليس بعل، أما كل تلك المكونات لديانتهم التقليدية من قبيل البقاء المقدس والسجود أمام التماثيل القضيبية وصور العشيرة وعبادة الأم الآلهة وتكريسه المني بقذفه استناداً شعائرياً في فوهة الفرج المفضي لرحم الأرض في وادي قدرون بجوار القدس، فبات من الضروري التخلص منها مهما كان ذلك صعباً أو على مضض لأنه بات من المتعين التنكر للتراث المختلط سعياً إلى تعزيز الوضع المزعوم سياسياً،

حتى وإن كان ذلك على أساس سلف متخيل ومن خلال ديانة حصرية[1].

وفي تلك الضرورة ضرورة التخلص من مكونات الديانة التقليدية للقوم ونجاحه من أوجهها الأهم والأشد تأصلاً التي من قبيل البقاء المقدس والسجود أمام التماثيل القضيبية وصور العشيرة وعبادة الآلهة الأم، تلاحمت الدواعي الإيديولوجية بوجهها اللاهوتية ووجهها الإجتماعي فأأمحت الدعاوي التطهيرية.

فلاهوتياً اعتبرت المرأة نجسة بل والنبع الذي لا نبع مثله لكل ما هو نجس تشهد بذلك ضروب التابو المتعلقة بالأنوثة ووظائفها الطبيعية حتى الولادة، وسفر اللاويين مشرع بالأمثلة اللاهوتية على ذلك الإيمان الراسخ بنجاسة المرأة تلك النجاسة التي فسرها القباليون في سياق تفسيرهم للإصحاحين /٢ و ٣/ من سفر التكوين بقولهم: إنه بخلق آدم من تراب الأرض باتت السيادة للمادة وإنه من الجانب المظلم والسلبي للمادة المتمثل في الشهوات الحسية، اللحم الذي تبرأ منه يهوه بتنصله من أية علاقة بالإنسان لأنه من لحم وإلى التراب يعود حتى إذا طال عمره إلى مائة وعشرين سنة، وفي التكوين ٣/٦ خلقت المرأة وتبعاً لذلك ولأنها سبب أكل شجرة المعرفة فهي أصل الخطيئة لذلك وجه اللوم لها أكثر مما وجه لآدم وتبعاً لذلك بات من الممكن للتلموديين وللقباليين على السواء

---

(١). اليجرد جور: الشعب المختار تهشيم الأسطورة ص٣١-٣٢.

الحكي عن مضاجعة المرأة الأولى حواء للحيوانات وبـــالذات الثعـــابين والشياطين.

فيهوه حسب التصوير التوراتي معبود دموي وصفه أدوارد ماير بأنه شيطاني من شياطين البراكين سرق له من إيل بين الكثير الذي سرق لـــه من ذلك الإله الكنعاني لبوس الرحمة والعطف والحنو فإيل عبد كإله خـــير لطيف المعشر رفيق بعباده يستجيب الدعوات من المؤمنين به ويخدمونــــه ويلوذون برحمته، ومن ألقابه التي اســـتخدمت في نصـــوص أوغـــاريت الرحيم والعطوف والشفوق وفي سفر التكوين ذاته إشارة إلى طبع أيـــل ذلك في قول السفر أن أبرام آمن بالإله العلي فحسب له براً ص١٥/٦.

أضافوا سمات إيل الخيرة الرحيمة على يهوه وذلك الاجتهاد كمـــا هو متوقع أوضح في المزامير المكون الكنعاني الذي لا شك في كنعانيتـــه من مكونات العهد القديم منه في الأسفار الأخرى، ولو أن سفر المزامـــير لم يخل بطبيعة الحال و لم يكن يستقيم منه أن ترفع منه رقابيا بشكل كامل صورة يهوه الشرس المدمر، مزمور ٩٤/١ يا إله النقمات يايهوه يا إلـــه النقمات أشرق.

ذلك الاجتهاد بلغ ذروته في كتابات النبيم التي حـــاول مجـــددو شباب الديانة اليهودية منها تنظيف صورة المعبود من الذبائح الوحشـــية القديمة وتقديم الأبكار من سن ثمانية أيام ذبائح تحرق على مذبحـــه بعـــد التختين مباشرة ومن بدائية مسألة الانتقام من الأبناء حتى الجيل الرابـــع جزاء لما ارتكبه الآباء من معاص، وفي سفر المزامير نجد عملـــه تنظيـــف

الصورة صادحة مرنمة، أما هو فرعوف يغفر الإثم ولا يهلك وكثيراً ما رد غضبه ولم يشعل كل سخطه، مزمور ٧٨/٣٨-٣٩/.

ونتساءل كما يتساءل الآخرون هل وفد يهوه إلى كنعان من فراغ؟

وللجواب على هذا السؤال: إن يهوه وضع في أيام السبي وأمام الكتبة الأساطير الشرقية المتوسطة ودياناهم فانتقوا منها ما يلائم دعوهم لهذا الإله المغمور سارقين كل ما للآلهة من صفات، وفي الحقيقة كما وصف يهوه في الأسفار الخمسة (كان منذ البداية فقيراً أسطورياً ولاهوتياً اقتصرت قدرته على السطو والسلب والنهب والتدمير وقذف النيران ولم يكن يمنح البركة المتمثلة في:

١. كف أذاه عن عباده المؤابيين والمديانيين.

٢. الإنعام عليهم بالخصوبة الجنسية للبشر والماشية إلا بطقوس جنسية غاية في الفجاجة كإجلاس العذراء على وثن تقدمة لبكاراهن إليه وكشف العورة والعجز أمامه)[1].

ويعلق الباحث شفيق مقار في هامش رقم /١/ ومن هنا كان اسم يهوه الأصلي بعل فغور أي الذي يجعل الرحم يفغر وينفتح ورغم كل المراجعات وعمليات الرقابة من جانب المحررين والمترجمين ظلت الأدلة على تأصيل ذلك في حكاية يهوه متنافرة في الأسفار المقدسة فهو دعي باسم فاتح الرحم كما ذكر يهوه راحيل وسمع لها وفتح رحمها، تكوين

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص٤٥٢.

٣٠/٢٢/، وكما وصف بمانح الخصوبة بعد العقم كما في حالة سارة امرأة إبراهام، تكوين ٢١/١/ ورفقة امرأة إسحاق، تكوين٢٥/٢١/ وغيرهما كما يوقفنا سفر التثنية على أن يهوه حتى في التاريخ المتأخر لتأليف ذلك السفر ظل شديد الاهتمام ببكارة العذراء إلى حد قتل من تفرط في بكارتها قبل طقوس الزواج رجما بالحجارة، تثنية ٢٢/٢٠/ أما كشف العورة كما رأينا في كثير من الاستشهادات من فوران غضب يهوه لزيغ معشوقته إسرائيل فظل شاغرا بالغ الأهمية لدى يهوه بعد كل محاولات تخليصه من بعل فغور، وأما عن تعرية العجز أمام ذلك الوثن ففي سفر الخروج ٢٣/١٨/ نص ملغز تلغيزا كثيفا، يقول فيه يهوه لموسى عندما يطلب من هذا الأخير أن يريه وجهه: ((لا تقدر أن ترى وجهي...إني أضعك في نقرة من الصخرة وأسترك بيدي حتى اجتاز ثم ارفع فتنظر ورائي وترى مؤخرتي، وقد اكتفى المترجمون إلى العربية فتنظر ورائي إلا أن ترجمة الملك جمس أوردت وترى مؤخرتي))[1].

يمكن بعد هذا أن نبحث الموروثات الكنعانية التي تحدث عنها ملرك سميث في يهوه:

١.القدرة على إحداث ظواهر جوية ألوهية العواصف.

٢.القدرة على منح الخصوبة الجنسية والخصب.

٣.الفتوة الحربية الكونية التي صورت أسطوريا بالانتصار على المياه وعلى التنين وعبدت بوصفها رجل حرب.

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ٤٥٣.

٤. أضيف إليها الآلهة الأنثى فقد أخذ بركات الثديين والرحم.

٥. الزواج من إسرائيل ابنته ومحبوبته وزوجته.

٦. نسب إليه أسطوريا خلق الكون.

الإله إيل

إله عبده العرب منذ بداية معرفتهم وقد شملت عبادته كما قلت سابقا من اليمن حتى بلاد الأناضول ومن أقصى العراقين حتى قلب أوربا، وخلف أسماء ملحقة باسمه حتى في أوربا ففي اليونان عرف اسم آخيل، وفي الرومان عرف باسم هرقيل هرق+إيل وفي فرنسا عرفته مدينة مرسيليا وإيل بمعنى جزيرة وإيليت الصفوة وفي إل هو.

وفي بلاد الحثيين عرف باسم الملك حاتوشيل، أما في العراق فقد عرف إيل معرفة واسعة النطاق وعبده الناس.

وإنني إذ أورد إيل إلها أعلى مالك السموات والأرض وهو الاسم الذي عرف في العربية الله لفظ الجلالة، وفي بلاد اليمن أسماء كثيرة ألحق بها اسم إيل، بثع إيل، شرحبيل، وفي لغة القرآن الكريم عرف جبريل وميكائيل.

أما في التوراة فقد اعترف به كتبة التوراة إلها مالك السموات والأرض، دعوه مرة بإيل شداي ومرة بإيل عليون، ونسبوا إليه كثيرا من الاسماء ففي سفر التكوين مرت الأسماء التالية: هابيل: هاب + إيل، مهللئيل، أمرافل، إيليعان، وسمى إبراهيم ابنه إسماعيل: اسمع +إيل سامع الله، وبتوئيل، وسمى يعقوب المكان الذي رأى فيه الرؤيا بيت إيل ومكانا

آخر فينوئيل، ثم دعت التوراة يعقوب باسم إسرائيل وزوجة يعقوب كما ادعت التوراة راحيل، ورعموئيل بن العيسو واليفاز، ولن أتابع الأسماء فهي أكثر من أن تحصى في هذا المجال وسادت هذه الأسماء حتى زمن داود والملوك في يهوذا وإسرائيل، فالقاضي صموئيل وإيليا النبي، واليشاماع وهو يقابل إسماعيل، واليشع وفي المزامير إيلي إيلي لم شبقتني (إلهي إلهي لماذا تركتني) وقد أعاد الجملة يسوع حسب ادعاء من قال بصلبه، وظل الاسم الإيلي حتى يومنا الحالي، ولم تظهر التسميات اليهودية في العهد القديم إلا في وقت متأخر وأغلب الظن أن الأسماء اليهوية قد ركبت في سياق النص دون أن يكون لها أي ذكر.

كان إيل كما علمنا هو إله إبراهيم الخليل الذي دعا إليه برسالة وآمن بوحدانيته ولهذا سمي ابنه إسماعيل ولو كان إلهه يهوه لسماه يهو شاماع ولكن لما كان اسم إلهه إيل سمى ابنه التسمية الإيلية وكذلك كان إله الكنعانيين وقد استغله ملكي صادق ملك أورشالم وهو كاهن إيل عليون الإله العالي ولم تتنازل التوراة عن هذا الإله حتى يومنا هذا إذ لازالت التسمية الإيلية بجانب التسمية اليهودية.

كان إيل كبير آلهة الكنعانيين ورئيس المحفل الإلهي الذي يتألف من ابنتيه رحماية وأشيرا وأبنائه شالم وشمر وبعل وحفيدته وزوجة بعل.

كما عرفنا أن عشيرا سميت بإيلات نسبة إلى إيل حتى عام ١٩٢٩ م كانت المعلومات حول الدين الكنعاني واردة عن طريق العهد القديم، ومن قبل بعض المؤلفين الإغريق بصورة خاصة فيلون من بنت جبيل في

القرن الأول والثاني قبل الميلاد، وبواسطة بعض التسجيلات الفينيقية وكذلك عن طريق لوسيان الساموزي في القرن الثاني قبل الميلاد وتومار البانوبالوس من القرن الخامس الميلادي.

والعهد القديم يعكس الجدال ضد الوثنيين والمصادر الأخرى إما مجتزأة جدا وإما متأخرة، وقد كشفت عدد كبير من النصوص الميثولوجية عن طريق حفريات رأس شمرا أوغاريت القديمة والمدينة المرفأ على الشاطئ الشمالي لسورية إنها تتعلق بنصوص محررة في القرون (١٢ — ١٤) ق.م وهي تتضمن مفاهيم أسطورية دينية أكثر قدما.

إن الوثائق التي حلت رموزها والتي ترجمت حتى الآن غير كافية لكي نعطي نظرة مفهومة للدين والميثولوجيا الأوغاريتية، إن فراغات سيئة تقطع الروايات فبدايات ونهايات الأعمدة قد تكسرت وحتى إنه لم يتفق على ترتيب المشاهد الميثولوجية، ورغم هذه الحالة المبعثرة فإن الأدب الأوغاريتي ذو قيمة كبرى، مع ذلك يجب الأخذ في الحسبان واقع أن الدين الأوغاريتي لم يكن مطلقا هو دين كل الكنعانيين.

إن فائدة هذه الوثائق الأوغارتية تتحصل بصورة خاصة من واقع أنها تبرز مظاهر مروق بعض الأيدلوجيا الدينية إلى أيدلوجيا أخرى.

إيل هو رئيس مجمع الآلهة وإن اسمه يعني إله في السامية، ولكنه عند الساميين الغربيين إله شخصي وهو يسمى القوي أبو الآلهة والبشر ملك السموات إنه مقدس رحيم حكيم جدا.

وقد مثل على ساحة القرن الرابع عشر جالسا على العرش معظما ملتحيا مرتديا ثوبا طويلا مع التاج المحاط بقرون وحتى الآن لم يوجد أي نص يتعلق بنشأة الكون عند أوغاريت ومع ذلك فإن خلق النجوم بالزيجات المشتركة يمكن تفسيره كعاكس للمفاهيم النشكونية الكنعانية(١).

أوردت هذا النص لمرسيا إلياد ولي عليه النقطة التالية:

إن كلمة إيل إله شخصي أخطأ فيها فإيل هو كبير الآلهة وله تجليات كثيرة وصفات كثيرة وتوضع عادة صفة منه بجانب إيل، إيل شداي إيل عليون...

إيل هو بمفهومنا الله مالك السموات والأرض وخالق الناس والكون وهو بمفهوم إبراهيم لقوله في التوراة: ((فقال إبرام لملك سدوم رفعت يدي إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض لا آخذن لا خيطا ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك فلا تقول أنا أعطيت إبرام ليس لي غير الذي أكله الغلمان))(٢).

فهو لو كان يؤمن بيهوه لأورد اسمه في هذا القسم وفي اسم ابنه أما إضافة الرب يهوه هنا فهي من قبل محرري التوراة الذين آمنوا بيهوه فأدخلوه على النص.

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية جـ١ ص١٨٩.

(٢). العهد القديم تكوين ص١٤/٢٣-٢٤/.

فإيل هو الله الواحد الذي لا شريك له أنـزل التـوراة والإنجيـل والقرآن على أنبيائه ورسله بوحي من عنده هذا هو الله رب العالمين وأما يهوه إله اليهود فهو من نسيج الخيال، وما سيرة التوراة إلا سـيرة هـذا الإله الغاضب الحقود الذي يسفك الدماء ولا يرتوي، يقيـم الحـروب وينصر فئة على فئة، ويتخذ شعبا دون آخر بسر رائحة المحروقات يكـره الشعوب ويسحق كل من يعارضه، اقترن اسمه بإبليس واليـهود عبـدو إبليس من خلال إلههم يهوه إله الشر والغضب... وهو إله باطل قضـى على المبادئ الجميلة التي كانت تنادي بالله الحق كالكنعانيين واعتـبروه كاذبا وثبتوا إلههم لنشر ديانتهم المراوغة والكاذبة ومن هنا جاء توحيدهم الذي لا يشير إلى معرفة الله الواحد الأحد بل يعني الانفراد والتخصـص بالإله يهوه الذي لا يشركون الأمم في عبادتهم فهو إلههم وحدهم ومنهنا كان التوحيد اليهودي[1].

ومع العلم أن الديانة اليهودية تصر على يهوه وإن كانت التـوراة تورد إيل من جهة ويهوه من جهة أخرى، وإن كانت التقاليد التوراتيـة تقول بالتقليد الإيلي والتقليد اليهوي فإنني أقول:

إن ديانة موسى عليه السلام كانت ديانة إيلية خالصة و لم يكـن يعرف يهوه على الإطلاق ولهذا حينما وضع اليهود كتبهم لم يسـتطيعوا أن ينفوا إيل فحافظوا عليه زاعمين أن التقليد الإيلي إن هـو إلا تقليـد سامري إسرائيلي، أما يهوه فهو إله يهوذا.

---

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان ص٣٩١.

في أوغاريت كان إله الجو يعرف باسم إيل بينما الآلهة الأم كـانت تسمى عشيرة وكان إيل الإله الأعلى للعالم الكنعاني والعبراني الذي كـان يدين بديانة موسى، وبعده يأتي عليان الذي أصبح كبعل له مكان معـين واعتبر حاميا لإحدى المدن.

ويدفع فيليب حتي الأسماء التي يتباهى بها اليهود إلى أصول كنعانية، فأورشالم وسليمان كنعانية الأصل، وأورشالم أصل الاسم من الكنعانيـة يأورشالم بمعنى دع شالم يؤسس، وكان شالم إله السلام عند الكنعـانيين ويظهر في اسم أب شالوم وسليمان في أسماء فينيقية وهو مذكور في لـوح من أوغاريت، أما مرسيا إلياد فقد سار على خطا التوراة في عبادة يـهوه ورأى أن إيل لو يعرفوه إلا بعد دخول بني إسـرائيل إلى أرض كنعـان وإنني أورد رأيه وإن كنت على خلاف معه وقد نوهت إلى ذلك:

((وبدخولهم في أرض كنعان جوبهوا بعبادة الإله أيل، وإن الـرب الأب انتهى بالتماهي به، إن هذا التمثيل يترك مجالا للافتراض بأنه كـان يوجد بعض التشابه البنيوي بين الآلهة ، وعلى كل حال مـا إن توجـد بابل حتى حصل رب الأب على البعد الكوني الذي لم يستطيع الحصـول عليه بصفته إلى أسرة وقبيلة.

إن العديد من الفقرات تصف باختصار الممارسات الدينية للآبـاء فبعض هذه الفقرات غالبا ما يعكس حالة متأخرة، ومـن الملائـم إذن

مقارنة الملف التوراتي مع الممارسات المميزة للثقافات الرعوية القديمة وفي الدرجة الأولى تلك العائدة للعرب قبل الإسلام))[1].

ولي على هذا النص ما يلي:

١. كيف دخلت عبادة الإله إيل في صلب التوراة مع العلم أن الأمم تقلد عادة الأمم المنتصرة لا الأمم المهزومة وحسب ادعاء التوراة أن الكنعانيين قد هزموا أو أبيدوا.

٢. إذا كانت عبادة الإله الأم هي عبادة مرحلية فمتى حدثت هذه المرحلة هل هي ما قبل التاريخ أم أنها بعد التاريخ؟

٣. إن وجود بعض الأصنام للدلالة على الإله الأم في مشتل حيوك وأشباهها لا يدل على انفراد الأم بالعبادة فقد كان إيل يعبد ثم دخلت عشيرا معه في العبادة وقد كان لها تمثال أنثى.

٤. إن عبادة آلهة أنثى عند العرب في الجاهلية كاللات والعزى ومناة ونائلة لم تكن هذه العبادة إلا في حالة شرك ولم يكن هناك عبادة مفردة باسم هذه الإناث فقد كان هبل هو الإله الأكبر في الجاهلية وهذه الآلهة كلها ليست إلا واسطة لله سبحانه وتعالى.

إن إيراد إيلوهيم في التوراة بدلا من إيل قد استخدمت بصيغة الجمع ابتداءا لاسم الإله إيل المعبود الكنعاني بنفس الأستاذية التي ابتلع بها الاسم بتحويل بيت إيل، إلا أننا في سير الآباء نلتقي باسم ذلك الإله

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية جـ٢ ص٢١٤.

الذي ابتلع إيل واضحا بغير طمس، والأهم من ذلك أننا نلتقي به وهو مشار إليه بصفة إيلوه إله إسرائيل مع تحويل لقبه الكنعاني العليون إلى الإله العلي، التكوين ١٤/١٩-٢٢/ فاسم كبير آلهة الكنعانيين حول إلى مسمى عام من إيل إلى إيلوه أي إله وبات بوسع مؤلف سفر يشوع مثلا أن يتحدث عن معبود اسمه إيل إيلوهيم يهوه أي إله الآلهة يهوه.

ومن الظواهر اللافتة للنظر في شأن إيل كما يلاحظ مارك سميث أنه ظل الإله الغريب الوحيد الذي لم يتعرض لما تعرض له غيره من هجوم وهو ما يفسره ذلك الباحث بقوله إن التقليد الإسرائيلي أدمج إيل في وقت مبكر في يهوه أو افترض وجود تعادل بين الاثنين وذلك واضح في النصوص الدينية العبرية نادراً ما تميز بين يهوه وإيل.

أما فريد مان فتناول الأمر بقدر من الوضوح والشجاعة أكبر فيقول: إنه حين دعي يهوه باسمه ذاك في الوثيقة اليهودية من مبدئها إلى نهايتها دعي في الوثيقة الإيلوهيمية بإيلوهيم حتى لحظة ظهور موسى في النص ومصارحة يهوه إياه بأن اسمه يهوه ولو أن الآباء لم يعرفوه بذلك الاسم.

وتساءل فريدمان لم فعل مؤلف الوثيقة ذلك؟

ثم يجيب على تساؤله بقوله: إن الأمر مثير للجدل.

وهو كذلك فعلاً، فبعضهم يرى أن هذه الحكاية انعكاس للنظام الديني في المملكة الشمالية الذي اعتبر فيه أن اسم إيل ويهوه اسمان لإله واحد، وهو ما يرى فريدمان أنه الدافع الذي جعل يربعام يختار ثورين

ذهبيين ليكونا قاعدة للعرش إدماجاً في كبير الآلهة الكنعانية إيل الذي رمز بالثور، ملوك أول ١٢/١٥/. وملوك ثان ١٨/٣٣-٢٠/.

ولكني لا أرى ما رآه فريدمان هنا للأسباب التالية:

١. كيف سلم جماعة يهوه بالإله إيل مع العلم أن جماعة الشمال والجنوب لا يمكنهما أن يلتقيا على الإطلاق فكيف يمكن أن يقبلوا بمعبود الشماليين.
٢. اتهم أهل يهوذا حسب التوراة أهل السامرة بأنهم انشقوا وأنهم عبدوا غير يهوه فكيف يعبد يهوذا غير يهوه؟
٣. إن العجلين اللذين اتهم بهما يربعام ليسا إلا كروبين قدمهما ليجلس عليه الإله سواء كان يهوه أو إيل ولن ننسى أنه لم يحدث بدعة فقد سبقه سليمان في عمل الكروب في هيكله حسب ادعاء كتبة التوراة.
٤. إن تسمية بعض الأنبياء في الشمال والجنوب إن هي إلا تسمية إيلية فكيف يدعو إنسان اسمه إيليا أو أليشع إلى عبادة يهوه.
٥. لقد حورب بعل وعبادته على يدي إيليا حرباً لا هوادة فيها، فقد ذبح إيليا من أنبياء بعل أربعمائة وخمسين نبياً في يوم واحد، ملوك أول ص١٨ كله.
٦. لقد اعتمد يربعام إذا صحت أقوال التوراة في عمل العجلين على عادة سبقت حينما صنعوا عجلاً من ذهب وهم في التيه،

خروج ص٣٢ كله مما أخطر موسى أن يقطع زيارته للرب ويعود.

٧. لم يستطع كتبة التوراة أن يدمجوا إيل بيهوه فقد بقي كل إله له صفاته الخاصة به وهذا ما قلته في جذور اليهود أمام النقد التاريخي بأن الديانة اليهودية ديانة غير موحدة.

٨. إن الكذب الذي عهدناه في كتبة اليهود وعدم حفظهم لما يسمونه المقدس يؤكد لنا أن يهوه أدخل وأقحم على النص التوراتي إقحاماً ولعل الباحث لو أمعن النظر في الكتاب المقدس العهد القديم لوجد أنه أمام دينين منفصلين تميز كل واحد منهما على الآخر:

- الدين الإيلي والذي يدعو إلى عبادة الإله إيل.
- الدين اليهوي والذي يدعو إلى عبادة الإله يهوه.

أما التثنية والتقليد الكهنوتي فهما تابعان للاتجاه اليهوي.

وكل ما هنالك أن عزرا ومعاونيه عملوا على تحرير التوراة وسائر الأسفار التي كانت في زمنهم مما سبق تأليفه من وثائق يتناقلها جيل إلى جيل اجتهدوا في تصوير المسألة من ذيلها كما فعلوا في مواضع كثيرة من تحريرهم ومن خلال توضيبهم للنصوص وتلوينها باستخدام طريقة القص واللصق والحذف والإضافة عملاً على تصوير تاريخ لشعب كتاريخ ضارب في القدم بادئ في الآباء ومتصل عمداً إلى الوراء من خلال سام ابن نوح ومن خلاله إلى الأب الأول آدم.

وقد فعل المحرر ومعاونوه ذلك في زمن السبي بتأليف وثيقة أخرى غير الوثيقتين اليهوية والإيلية وتأليف سفر خامس هو سفر التثنية عزوه إلى موسى وتأليف الوثيقة الكهنوتية والوثيقة التثنوية وتحرير أسفار النتيجة صور تاريخ يهوه وشعبه(١).

١. عبد شعب يهوه من بدء الخليقة إله باسم إيل وليس باسم يهوه.
٢. أدخل اسم يهوه وأقحم إقحاماً بعد عودة موسى من مدين.
٣. قاوم الشعب الإسرائيلي موسى في القفر.
٤. فسدت عبادة الشعب ليهوه في أرض كنعان.
٥. هنالك أنبياء دعوا لإيل وتسميتهم إيلية ولهذا فهم إيليون وليسوا يهوبين.

هذه الأمور جعلت الباحث اليهودي فريد مان أن يسلم بمنتهى الموضوعية بأن إيل الإله الكنعاني كان هو فعلاً الإله الذي عبده بنو إسرائيل في كنعان قبل موسى بوقت طويل من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

ويضيف فريدمان قائلاً إنه مما يؤكد ذلك أنه لم ير رأي ذكر ليهوه في تقاليد بني إسرائيل المستقرين في كنعان قبل وصول اللاوبين إلى أرض كنعان.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص٢٩٨.

٦. إن عزرا ومعاونيه قد وجدوا في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد وبداية القرن الرابع قبل الميلاد بينما حصل الأسر في بداية القرن السادس قبل الميلاد، يجعل كتابتهم غير موثوقة.

٧. إن لفظة اليهودية كدين لم ترد إلا في عهد عزرا ونحميا ولم ترد قبل ذلك على الإطلاق.

٨. إن قاعدة زواج اليهودي من غير اليهودي واعتباره باطلاً لهي قاعدة تخالف العرف التوراتي قبله بشكل كامل.

هذه الأمور كلها تدفعنا إلى أن نقول ما قاله الباحث شفيق مقار: ((وبالنظر إلى ما هو مسلم به الآن من أن هذا الكلام الذي أجري على لسان موسى أُلف بعد ذلك التاريخ بثمانمائة عام لم يعد من الممكن للأسف أخذ القول على علته واعتبار المكان الذي قيل فيه موقعاً في الصحراء على بعد واحد وعشرين يوماً من جبل حوريب الذي لا وجود له فإذا لم تعين حتى أتيتم إلى هذا المكان ذلك القول المدعي فأي مكان تعني؟

نعني مكاناً من اثنين:

١. بابل حيث ألف السفر وإذا كان المكان بابل يصبح المعنى أن الشعب لم تنته مقاومته ليهوه إلا بعد أن جاء إلى بابل وذاق مرارة السبي.

٢. كنعان وإذ ذاك يصبح المعنى أن المقاومة لم تنته إلا بعد الاستقرار ونستطيع أن نوضح الأمر أكثر ضمن النقاط التالية:

١.عبد بنو إسرائيل الإله الكنعاني إيل وعندما أوجد عزرا يـــهوه ورفعه إلى السموات العلا بدا واضحا أهـــم اعتمـــدوا يـــهوه بشكل كاف تاركين الإله إيل إرضاء لبعض عبـــاده الذيـــن سيحولوهم عما قريب إلى عبادة يهوه ولو محوا إيـــل لحصـــل انقسام مباشرة كما حصل بين السامريين واليهود بعد مجيئـــهم إلى فلسطين.

٢. لم يعرف الشعب يهوه إلا بعد عزرا ونحميا وكتابتهما ســـفر التثنية والتقليد الكهنوتي واليهوي وإدماج التقليدين مع بقايا مـا بقي من كتاب موسى التقليد الإيلي.

٣.أقحم يهوه على النص إقحاما ولو قرأ التوراة بإمعان أي باحث لبدا له أن الرب الإله قد أقحم فيه الرب بصورة مستفظعة ولـو حذفت هذه الكلمة لما نقص المعنى.

٤.إن صفات إيل تختلف جذرا ونوعا عن صفات الإله يهوه فـإذا كان يهوه رب الجنود إله النقمات فإن إيل إله المحبة والسلام.

٥.لو عرفنا أن موسى (أو كاتب التوراة) وصف حالـــة راهنـــة حينما كتب التوراة فكتب العبارة في ســـفر التثنيـــة ٩/٢٤/ والذي جعل موسى يقول إنكم مذ عرفتكم تعصون يهوه وهـو قول يستجلب التساؤل، فإذا ما كان يهوه أخرجهم من مصـر يعصونه ثم هناك تساؤل آخر لقد عرف موسى بني إســـرائيل

قبل أن يتعرف على يهوه فهل يعني كاتب النص أنهم عصـــوا يهوه قبل أن يعرفوه.

للجواب على هذا السؤال أقول:

إن طرح اسم يهوه بعد السبي كان جديدا على أسمـــاع المتقبلـــين للدعوة منهم لأنهم عرفوا إيل و لم يعرفوا يهوه، ولهذا كان عصيانهم ليهوه أمرا طبيعيا ومعقولا.

أما أن يفسر أن موسى عرف الشعب بدعوته من مدين فهذا أمـــر لا يقبله عقل ولا يسلم فيه ذو منطق.

لقد سار الكهنة في كتابتهم على إعلاء يهوه فوق كل الآلهة ولما لم يكونوا موحدين ولما لم يكن يهوه إلها قبل ذلك قبلوا بـــه إلهـــا خاصـــا فصاغوه على ما يريدون وكيف يريدون ضاربين بقيم إيـــــل المتشـــامخة العالية عرض الحائط وأرادوا من يهوه أن يبتلع كافة الآلهة كما ابتلعـــت عصا موسى عصي السحرة وحبالهم.

ورفع يهوه بوصفه إلها فوق الجلد ثم جاء الأنبياء الآخـــرون ورأوا مكانة إيل العالمية فحاولوا أن ينزعوا هذه السمة العالمية من إيل إلى يـــهوه ولكنه بقي إلها قبليا لا إلها عالميا.

وحول إيل من اسم علم إلى لفظة استخدمت بإلحاح بوصفها تعـني إلها وبهذه التسمية البسيطة أزيل اسم إيل من السجل وفسر وجـــوده في الأسماء التي كإسرائيل وميخائيل وهي لا تكاد تحصى باعتباره علما باسـم الله ولما كان الله عندهم هو يهوه ولا أحد غيره فإن إيل إيلـــوه بـــاتت

تستخدم بلا عائق كلقب ليهوه وباستخدامها ذاك توارى إيل صاحب الاسم تماما في جوف يهوه.

وامتد هذا التحايل على الاسم إلى صيغة الجمع للاسم العام إيلوهيم الذي موه به اسم إيل فإيلوهيم صيغة الجمع آلهة جعلت لقبا ليهوه بصرف النظر عن النصوص التي أفلتت فيها اللفظة من مقصات الرقباء بمعنى الله كما في صموئيل الأول الإصحاح الثامن والعشرون الذي يحكي عن زيارة شاول لامرأة صاحبه جان في عين دور تستحضر أرواح الموتى ليقف على الغيب ليسألها بعد أن سأل يهوه فلم يجبه وطلب منها أن تستحضر روح صموئيل، قال لها أحضري صموئيل، فلما رأت المرأة صموئيل صاعدا من بين الأموات صرخت بصوت عظيم فقال لها شاول لا تخافي ماذا رأيت فقالت المرأة لشاول: رايت آلهة صاعدين من الأرض/٦-١٣/.

وقد كان ذلك التلفيق سببا في أخطاء بالغة السخف في النصوص المترجمة كما في ترجمة المزمور ٨٢/١/ الله قائم في مجمع الآلهة، وترجم النص في مجمع الله كما ترجمت كلمة إيلوهيم بالآلهة في قوله بين الآلهة تقضي، وقد فطن مترجمو نص الملك جيمس إلى هذا المأزق فراغوا منه بأن ترجموا إيلوهيم في مجمع إيلوهيم بمجمع الأقوياء[1].

والسؤال الذي يطرح هل كان يهوه إلها معروفا عند الكنعانيين؟

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص٣٠٥.

من الغريب في الأمر أن الباحثين يبحثون بعلمية صارمة طالما لا يمس الأمر معتقداتهم وأفكارهم أما إذا ما أحسوا بالخطر من البحث العلمي انقلبوا إلى شعراء رومانسيين همهم ذر الرماد على العيون وإثارة العاطفة في نفوس القراء كما فعل ول ديورانت في هذا البحث في كتابه قصة الحضارة، ففي الجزء الثاني من المجلد الأول أقر بأن يهوه إله كنعاني، والواقع أن كنعان لم تكن تعرف إلها بهذا الاسم و لم يكن أهلوها يعبدونه، و لم يكن له مزارات في كنعان أو أماكن عبادة، ودليلي على ذلك أن إبراهيم عندما حل بأرض كنعان لم يتشاجر معهم و لم يحاول هدايتهم إلى إلهه يهوه إن كان له هذا الإله، بل على العكس فقد رأيناه يقبل الهدية من كاهن الله العلي ملك أورشليم و لم يقل لأحد لا تعبدوا إلهكم إيل بل اعبدوا يهوه، بل تقول التوراة إنه نصب خيمته هناك وأقام مذبحا للإله إيل العلي ودعا باسمه، وهو ما يؤكده التوراة من قول يهوه لموسى إن إبراهام وبنيه لم يعرفوه باسمه يهوه، خروج ٦/٣/.

بينما عرف إبراهيم الإله إيل لأنه سمى ابنه إسماعيل سامع الله.

بعد هذا نتوقف عند عدد من النقاط قبل أن نتابع مسيرتنا في النقاش إيل ويهوه:

١. دعت هاجر البئر الذي رأت عنده ملاك الرب أنت إيل رئي لأنها قالت أههنا أيضا رأيت بعد رؤية ولو رأت يهوه لقالت أنت يهوه رئي ولكنها لا تعرف يهوه ولا سمعت به.

٢. لما ظهر الله لإبراهيم قدم نفسه إلى إبرام وكأنه لم يعرفه أو يعبده وهو مناقض للنصوص الواردة عن إبراهيم ثم قدم نفسه باسم إيل.

٣. حينما قدم يهوه الوعد لإبراهيم هل هو غير الإله الذي عرفه سابقا أم أنه نفس الإله؟ فإذا كان إلها ثانيا فإن إبراهيم غدا مشركا وهو بهذا لا يعتبر رجلا يستحق الوعد.

٤. إذا كان الإله جديدا فهل يبني الإنسان مذبحا لغير إلهه؟

٥. كان الكنعانيون حينئذ في الأرض وهو قول أقض مضجع كثيرين، منهم ابن عزرا وتوقف سبينوزا عند حكاية تسمية إبراهيم للمكان الذي أوشك أن يذبح فيه ابنه يهوه يراه فقال إن تسمية المكان لم تطلق عليه إلا بعد زمن بعيد أي بعد إقامتهم في فلسطين بعد السبي.

٦. تناقض النصوص التي تفيد إبادة يهوه للشعوب، إذ وردت في التكوين عشرة شعوب في الخروج ٣/٨/ ستة شعوب، والخروج١٣/٥/ خمسة شعوب والتثنية سبع شعوب٧/١-٢/.

ولعلنا نتساءل بعد هذا أي الإلهين يفضل اليهود يهوه أم إيل؟

اتفق الجانبان بموافقة من كهنة موسى واللاويين بدلا من التشاجر كما يقول فريدمان على أي الإله أفضل يهوه أم إيل؟

اتفق الجانبان على دمج الإلهين في واحد وبهذا وضع حد لرفض الشعب المتواصل ليهوه، واستطعنا بفضل اكتشاف نصوص رأس شمرا

وترجمتها ودراستها ومقارنتها بنصوص التوراة والعهد القديم باتت مكونات يهوه المختلسة من إيل كبير آلهة الكنعانيين واضحة كما أن التناقض ظل واضحا في وصف يهوه الإله المشرع هذه الصفة التي أخذها عن مصر وبابل وفي الوقت نفسه المعبود الصحراوي الذي كان تخصصه السلب والنهب والافتراس والاكتساء بالدم دم الضحايا البشرية الأطفال الرضع المختتنين في اليوم الثامن بعد مولدهم ودماء الضحايا الحيوانية ودماء بكارة العذارى.

ومن الواضح الذي ليس في حاجة إلى إيضاح أو برهنة أن تقسيم البشرية إلى شعوب تبعا لعدد بني إسرائيل كلام من قبيل الهذيان عديم المعنى، ومن الواضح أن عدد بني إسرائيل أقحمت على الرغم من لا معقوليتها لإخفاء بني إيلوهيم أي بني إيل من عشيرة ورحماية فذلك بدا للمترجمين أقطع من أن يترجموا فيذهبوا إلى جهنم بسببه ولهذا فإنهم أنقذوا أرواحهم الخالدة بوضع بني إسرائيل مكان بني إيلوهيم وتخلصوا من المأزق وهم في منتهى الطمأنينة إلى أن بني إسرائيل هذه مقدسة مبطلة للعقل والأدهى من خطر التنجس بذكر بني إيلوهيم أن النص قبل التغيير أعطى مكان بعل من أبناء إيل الذين وزع عليهم الشعوب، فكل بنو إسرائيل من نصيب يهوه(١).

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص١١٦.

والشيء الذي أريد أن أقف عنده إذا كان يهوه خالق هذه الأمم وهو مالك السموات والأرض إله العالم اختص بإسرائيل فلمن ترك بقية الشعوب أهنالك آلهة أخرى اعترف بها جماعة يهوه؟

إذا كان الأمر كذلك فأي مكان للتوحيد في هذه الديانة؟

ومن الصفات التي اتخذوها من إيل وأسبغوها على يهوه باسط السموات ومالكها، فوصف بأنه المثبت كرسيه في السموات، مزمور١٠٧/٩/ وثبت في السموات حقه فله السموات، مزمور٢٩/٢-١١/ وهذا ما ورد لإيل في نصوص أوغاريت.

((في نصوص رأس شمرا وصف إيل بأنه حين رفع السماء وبسطها فوق الأرض أقام بيته وسط المياه وتلك المياه السماوية التي أقام فيها إيل بيته هي التي قال عنها سفر التكوين في أن يهوه قال ليكن جلد، وفي اليوم الثاني من أيام الخلق جعل ذلك الجلد في وسط المياه ليكون فاصلاً بين مياه ومياه، تكوين١/٦-٥/[1].

أما صاحب أسطورة كرت ملك صيدون فيقول:

((إن كثيراً من العلماء ترجموا وشرحوا نصوص رأس شمرا وقالوا منها أتت الأساليب والمصادر والمواضع التوراتية وكذلك عقيدة العبريين، واعتبار يهوه إلهاً خالصاً لهم بين آلهة سائر الأمم وإن بين هذه الآلهة إله يدعى يهوه كان معبوداً عند شعوب أخرى.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص٣١٩.

وأضاف شايفر قائلاً بعد أن أورد مطابقة نصوص توراتية لنصوص نقوش رأس شمرا وبعد أن فسر التوراة بنصوص رأس شمرا وبعد أن بسط العقيدة التوحيدية للكنعانيين كما ظهرت في رأس شمرا من النصوص التي تصف الإله الأعلى إيل، وبعد أن ذكر أسطورة كرت بطل الصيدونيين وقيادته لجيش عظيم يحتوي على مقاتلين من أشر المذكور أيضاً في نصوص من عصر سيتي الأول ورعمسيس الثاني وسمى هؤلاء المقاتلين جيش النقب (الجنوب) (١).

إن ورود اسم آشر ليس إلا عشيرا لأنه إذا ورد اسم هذا السبط في عصر سيتي ورعمسيس الثاني ولم يكن بنو إسرائيل قد خرجوا بعد فكيف وجد هذا السبط في أرض كنعان وحارب مع كرت مع الصيدونيين؟

إن اسم آشر من الأسماء التي سرقها اليهود واعتبروه أباً من آبائهم وأحد الأسباط الذين ساروا مع موسى وخرجوا معه من مصر، إن هذا الكلام ليكذبه التوراة بالذات ومن ثم فإن آشر بعيد جداً عن أن يكون من بني إسرائيل إنما هو كنعاني ولا علاقة له من قريب أو من بعيد ببني إسرائيل.

ويرى الخازن في الأسفار المنشورة في التوراة وألواح أوغاريت كثيراً من التشابه ومنها:

---

(١). الخازن وهيب نسيب: أوغاريت ص٨٠-٨١.

١.ظهور الإله عند الكنعانيين في الحلم ولا يكون في اليقظة، أما في التوراة فيهوه يظهر بشكل إنسان يتحدث ويأكل ويصارع وإيلوهيم يظهر في الحلم ومع ذلك فقد ندد أرميا بهذه الأحلام ثم عادت إلى الظهور في دانيال وزكريا علماً أن كتاب دانيال كتب في القرن الثاني قبل الميلاد أي بعد حياة دانيال بعدة قرون.

٢.غلام إيل أو خادمه ((إن كان منكم نبي للرب فبالرؤيا استعلن له في الحلم أكلمه وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل بيتي فما إلى فم عياناً أتكلم معه لا بالألغاز، وشبه الرب يعاين فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدي موسى))[١].

٣. الثور رمز القوة والملك والألوهة سفر العدد ٢٣/٢٢/ في توراة أورشليم: إيل أخرجه من مصر وهو إيل له كقرني ثور أما في طبعة اليسوعيين: الله أخرجه من مصر وله سرعة الريم، وفي طبعة الشرق: لما أخرجهم الله من مصر كان له مثل قرون الجاموس.

هذه بعض من تعليقات الخازن وهي كثيرة مبثوثة في صفحات كتابه وسأتناول مفصلاً النصوص للمقارنة في مكان آخر من هذه الدراسة التي أكتبها.

---

(١). العهد القديم العدد ص١٢/٦-٨/.

أما صاحب قصة الحضارة فهو يرى أن الإله يهوه ليس إلا إلهاً كنعانياً وقد أشرنا إلى ذلك مسبقاً، هذا الإله أخذه اليهود عن الحضارة الكنعانية واختصوا به وجعلوه إلههم الخاص ففي حاشية ص٣٤٠ من الجزء الثاني من المجلد الأول من قصة الحضارة يقول: من بين الآثار التي وجدت في كنعان عام ١٩٣١ قطع من الخزف من بقايا عصر البرونز ٣٠٠٠ ق.م عليها اسم إله كنعاني يسمى ياه أو ياهو.

هذا الإله حرفه اليهود إلى يهوه ولا ندري ما مصدر ياه أو ياهو، إذن عبد إيل في الديانة الكنعانية بوصفه الإله الأقدم من كل الآلهة والآلهات الأب الذي أنجب الألهتين عشيرة ورحماية اللتين أنجب منهما سائر بنيه وبناته.

وقد رأينا أن إيل سكن بين المياه هذه الخصوصية بإيل سرقها كتبة يهوه وألصقوها به فأخذ يهوه هذه الخاصية وصار بديل إيل الباني بيته على المياه البدئية عند منابع الأنهار، وصف يهوه بأنه باسط السموات كستار المسقف علاليه بالمياه مزمور ١٠٤/٢-٣/ وقيل إنه من بيت يهوه يخرج ينبوع ماء يسقي وادي السنط يوئيل ٣/١٨/، وجعل خروج المياه من بيت يهوه علامة على ملكيته، ويكون في ذلك اليوم أن مياهاً حية تخرج من أورشليم... ويصبح يهوه ملكاً على الأرض، زكريا ١٤/٨/، وقد وصف يهوه في أرميا بأنه ينبوع المياه الحية١٧/١٣/.

وقد سجل لاهوتياً كل ذلك فهو الراكب على السموات القديمة ((للراكب على سماء السموات القديمة))مزمور٦٨/٣٣/ أي الراكب

على سماء أعلى راكبة على سموات إيل القديمة، ويوضح المزمور ٧٦/٢/ كانت في مساليم مظلته ومسكنه في صهيون وساليم (شاليم) هو مركز عبادة الإله إيل العلي الذي كان الرجل البار ملكي صادق بارك إبرام باسم الإله العلي كبير كهنته، وكانت تسميتها شاليم وشلايم تبركاً باسم ابن إيل شاليم الغسق الذي أنجبه وابنه الآخر الفجر شحرا أي سحر العربية آخر الليل قبل طلوع الفجر.

أما صهيون فهي كما تعرف تلة في القدس أو جبلاً لبعل صفون وقد جعل اليهود صهيون في أرض كنعان والموقع الذي أعده يهوه ليحكم بقية شعوب الأمم وليسود على الخليقة.

وقد لاحظ الباحث شفيق مقار أن بعلاً لم يكن إلا إحدى تجليات إيل فقال: فبعل أياً كان اسمه الكنعاني فهو أحد تجليات إيل كان أيضاً وبشكل أساسي وجهاً من وجهي الألوهية المؤنثة فكما لا حظ لاريا كان بعل (سواء دعي بعل صفون أو بعل شميم أو بأي اسم آخر) وبلتيس (أي بعلة سواء دعيت عشيرة أو عانات أو عشتار أو عشتروت) معبوداً وحيداً قبل أن تفصل الآلهة المذكرة فيه عن الألوهة المؤنثة، وفي ذلك الشأن يقول أوزيورن في مبحثه عن ديانات العالم إننا يمكن أن نفترض بشكل يقبله العقل أن الكنعانيين سيراً على خطا المصريين اقتبسوا عادة شق معبوداهم شقين أحدهما مذكر والآخر مؤنث، وفي سياق ذلك يمكننا أن نتبين كيف أن أشير هو الوجه المذكر لأشيرا[1]،

---

(١). شفيق مقار: الجنس في التوراة ص٣٣٩.

وبهذا سار إيل في التوراة جنباً إلى جنب مع يهوه حتى تم ابتلاعه من قبل يهوه، فحل محل إيل ومات عباده و لم تبق في اليهودية إلا يهوه الذي ابتلع كافة الآلهة السابقة.

٥.الآلهة:

ورد في التوراة العديد من الآلهة و لم يكن يهوه إلا إلهاً من هذه المجموعة فهو تارة إله واحد كما في أسفار الأنبياء الأخيرة وتارة أخرى من مثله بين الآلهة، وهو تارة إله مختص بإسرائيل وحبيبته وزوجته وابنته، وهو تارة سيد الآلهة جميعاً فهو إله العالم.

لنر الآلهة التي تطرقت إليها التوراة، وقد مرَّ معنا إيل كبير الآلهة عند الكنعانيين وبعل ابنه وشاليم، وشحر،ورحماية وعشيرة وعانات هذه الآلهة كلها مرت في التوراة، وسنقف عند بعض الآلهة لنر موقف كتبة اليهود منها:

بعل حارب كتبة التوراة بعلاً حرباً لا هوادة فيها واعتبرته الإله الخصم اللدود ليهوه، وحتى إن إيليا ذبح في يوم واحد/ ٤٥٠/ نبياً من أنبياء البعل، ومن يطالع صفحات التوراة لا يجد فرقاً كبيراً بين عبادة بعل وعبادة يهوه، وقد أشارت التوراة إلى أن بعل إله الصيدونيين، ولما رأى أخاب إيليا قال له آخاب أأنت هو مكدر إسرائيل؟ فقال لم أكدر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وبسيركم وراء البعليم، فالآن أرسل واجمع إلى كل إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء بعل أربع مائة وخمسين وأنبياء السواري أربع مائة الذين يأكلون على مائدة إيزابل

فأرسل آخاب إلى جميع بني إسرائيل وجميع الأنبياء إلى جبل الكرمل فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال: حتى متى تعرجون بين الفرقتين، إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه، فلم يجبه الشعب بكلمة ثم قال إيليا للشعب أنا بقيت نبياً للرب وحدي وأنبياء البعل أربع مائة وخمسون رجلاً فليعطونا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثوراً واحداً ويقطعوه ويضعوه على الحطب، ولكن لا يضعوا ناراً وأنا أقرب الثور الآخر وأجعله على الحطب ولكن لا أضع ناراً، ثم تدعون اسم آلهتكم وأنا ادعوا باسم الرب والإله الذي يجيب بنار فهو الله فأجاب جميع الشعب وقالوا الكلام حسن.

فقال إيليا لأنبياء البعل اختاروا لأنفسكم ثوراً واحداً وقربوا أنتم أولاً لأنكم أنتم الأكثر وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا ناراً فأخذوا الثور الذي أعطي لهم وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين يابعل أجبنا فلم يكن صوت ولا مجيب، فكانوا يرقصون حول المذبح الذي عمل وعند الظهر سخر بهم إيليا وقال ادعوا بصوت عال لأنه إله لعله مستغرق أو في خلوة أو في سفر أو لعله نائم فينتبه، فصرخوا بصوت عال لأنه وتقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم.

ولما جاز الظهر وتنبأوا إلى حين إصعاد التقدمة و لم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ، قال إيليا لجميع الشعب تقدموا إليّ فتقدموا إليه فرمم مذبح الرب المهدم ثم أخذ إيليا أثني عشر حجراً بعد أسباط بني يعقوب

الذي كان كلام الرب إليه قائلاً: إسرائيل يكون اسمك وبني الحجارة مذبحاً باسم الرب، وعمل قناة حول المذبح تسع كيلتين من البزر ثم رتب الحطب وقطع الثور ووضعه على الحطب وقال املأوا أربع جرات ماءً وصبوا على المحرقة وعلى الحطب ثم قال ثنوا فثنوا وقال ثلثوا فثلثوا، فجرى الماء حول المذبح وامتلأت القناة أيضاً ماءً، وكان عند إصعاد التقدمة أن إيليا النبي تقدم وقال أيها الرب إله إبراهيم وإسحاق وإسرائيل ليعلمن اليوم أنك أنت الله في إسرائيل وأني أنا عبدك وبأمرك قد فعلت هذه الأمور، استجبني يارب استجبني، ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله وأنك قد حولت قلوبهم جوعاً فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التي في القناة.

فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا الرب هو الله الرب هو الله، فقال لهم إيليا أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل فأمسكوهم فترل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك[1].

نقلت هذا النص على طوله لأبدي بعض الملاحظات حوله:

١. تفشي عبادة بعل بين بني إسرائيل وهذا ما نص عليه نص التوراة إذ أن وجود ٤٥٠ نبي من أنبياء البعل دلالة واضحة على ذلك.

٢. كلا الإلهين بعل ويهوه له مذبح ويتقبل القرابين ويلتهمها بواسطة النار.

---

(١). العهد القديم الملوك الأول ص١٨/١٨-٤٠/.

٣.أنبياء بعل كأنبياء يهوه يرقصون أمام آلهتهم ليستجيبوا لهم وقد رأينا أن داود رقص أمام تابوت الرب فاحتقرته زوجته.

٤.أنبياء الإلهين بعل ويهوه يدعون لإلههم ليستجيب لهـــــم، ولا أرى من فارق بين الإلهين من حيث العبادة كما روت التـــوراة والذي يدلنا على انتشار عبادة بعل بين صفوف بني إســـرائيل ما يلي:

- منذ خروج بني إسرائيل من مصر رأوا صنماً لبعل في بلدة بعل صفون وتأثروا به وبعبادته حتى أنهم طلبوا من هارون أن يصنـــع لهم صنماً لإلههم فصاغ لهم عجلاً من ذهب في غيبة موسى.
- انتشار الأسماء البعلية بين بني إسرائيل يدل دلالة واضحة علـــى انتشار عبادته بينهم، من هذه الأسماء ومنذ القديم يربعل، وهـــــو أحد القضاة الذين حققوا نصراً لبني إسرائيل على أبناء فلســـطين ارجع قضاة٦/١١-٢٦/ وكان والد يربعل يعبد البعل.

اشبعل بن داود وكان العادة أن يسمي بني إسرائيل الابـــــن الأول باسم إيلي والثاني بعلي ومن هذه الأسماء بعل حانان بن عكبور، وبعــــل معون، وهناك أسماء بعلية كثيرة، ارجع إلى الأيام الأول ص١/٩٠/.

حورب البعل من قبل كتبة التوراة حرباً لا هوادة فيها واعتبر الإلـــه الأشد خطراً على يهوه ورغم ذلك ظلت عبادته مستمرة حـــتى الأســـر البابلي، ويقول شفيق مقار: ظل هناك ستار كثيـــف مســـدل لقـــرون

بأكملها وقد خلت هذه الأصنام مرافقة يهوه حتى أيام هوشع و لم تكن مسألة الأصنام هذه مسألة هامشية على الإطلاق.

وعليه أنها ظلت جزءاً حيوياً من العبادة ومن طريقة حياة الشعب ويدل على ذلك قول هوشع: إن بني إسرائيل سوف يقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس ولا ذبيحة ولا تمثال ولا أفود ولا ترانيم ٣/٤/، وهذه الترانيم تقابل الملك والرئيس والذبيحة فهي ركن مهم من أركان العبادة اليهودية ورغم أنه بعد ذلك يندد بعبادة الأصنام في السفر نفسه سفر هوشع في الإصحاح الثامن.

ومن هنا نستدل على أن هوشع وضع الترافيم والأفود في سلسلة واحدة واعتبر الحرمان منه مصيبة كبرى.

فهل الترانيم أصنام لأله إناث؟ هذا ما يشير إليه الباحث شفيق مقار بأن الأفود والترانيم رمز للأنوثة الإلهية.

و لم تنقطع هذه الترافيم عن بني إسرائيل في فترة من الفترات وها هي ذي فترة القضاة يردد فيها الترافيم: ((فرد الفضة لأمه فأخذت أمه مئتي شاقل فضة وأعطتها للصائغ فعملها تمثالاً منحوتاً وتمثالاً مسبوكاً وكانا في بيت ميخا وكان للرجل ميخا بيت للآلهة فعمل أفود وترافيم وملأ يد واحد من بنيه فصار له كاهناً، وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينه)) قضاة١٧/٣،٦/.

وهذه الترافيم في السفر هذا أثارت ضجة كبرى في إسرائيل فقد سرقها منه بنو دان كما سرقوا الكاهن اللاوي وهكذا سطا بعض بني إسرائيل على بعض فميخا من أفرايم من نسل يوسف.

والمسألة أن الأفود والترافيم كانت جزءاً من العدة الشعائرية في عبادات الآلهة الأم والأفود هي أجراس كثمار الرمان استعيرت لعبادة يهوه ووجدها الشراح والمفسرون الأتقياء فاضحة لأنها تمثل بظر الأنثى التي تمثل الإلهة عشيرة.

لقد حذر سفر التثنية: ((لا يكن لك آلهة أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً صورة مما في السماء من فوق وما في الأرض من أسفل وما في الماء من تحت الأرض)) ٥/٧/.

وحذر سفر الخروج: ((لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة))١٧/٣٤/.

فإلهة لابان الآرامي خال يعقوب ليست إلا أصناماً أي تماثيل حجرية أو ذهبية والأصح أنها ذهبية لأنها تغري بسرقتها أكثر وهي صغيرة الحجم يمكن تخبئتها في حداجة الجمل كما أشارت التوراة، فتماثيل أية معبودات؟ يتساءل شفيق مقار، و لم انزعج لابان كل ذلك الانزعاج عندما اكتشف أنها سرقت منه ولماذا سرقتها راحيل؟

ويقرر عزرا أن راحيل سرقتها حتى لا يتمكن لابان من الوقوف عن طريق سحر تلك الترافيم على خط سير يعقوب في هربه من مضارب لابان وهو ما يعني أن تلك التماثيل كانت أوثان عرّافة كاشفة للغيب وهو ما يعززه قول لابان ليعقوب قبل ذلك أنه تبين عن طريق

العرافة أن الإله إيل قد باركه بسبب حلول يعقوب بمضاربه وهو القـــول الذي أخذه المترجمون إلى العربية على عواتقهم تحت تأثير الورع طمســه بتغييره إلى قد تفاءلت فيباركني الرب بسبب وأخذ مترجمو نص الملـــك جمس على عواتقهم أيضا مهمة تغيير من:

I HAVE LEARNED PERIENG

إلى learend theoug avqurg.

هذه الآلهة لم تكن قصتها إلا زيفا فإذا كان يعقوب ممن يعبـــدون إيل الله وهو رسول كريم فإن القصة كلها من مخيلة كتبة التوراة.

عشيرة كما علمنا أن عشيرة هي ابنة الإله إيل ومن عشيرة أخـذوا اسم أشير أو أشيرا ومنه أشير وهو أحد أبناء يعقوب كما ادعت التـوراة وقد أشارت التوراة إليها كثيرا كما أشارت التوراة إلى عبادة بني إسرائيل آلهة غريبة كثيرة أخرى يوشع ٢٤/١٤-١٥/ و/٢٠/. وقضــاة ١٠/٦-١٦/ والنص يدل دلالة واضحة على أن بني إسرائيل عبدوا آلهة أخـــرى البعليم عشتاروت وآلهة أرام وآلهة حيدون وآلهة على الكنعانيين وآلهتـهم وإلاهاتهم ومعتقداتهم وشرائعهم وهو ستار خطت عليه أصابع المؤلفـــين والمحررين التوارتيين بكل ثقة واطمئنان لفظتي عشـــتاروت وبعليـــم و لم يأخذ ذلك الستار في الارتفاع ببطء وبشكل مرتج متقطع قد تكون منبئا عن وجود مقاومة قوية جعلت رفعه عسيرا ومتعثرا لوقت طويل ريثمـــا يعاد توضيب النصوص التوراتية من خلال إعادة الترجمة التي لم تتوقـــف على الرغم من صدور أكثر من خمسين إعادة ترجمة حتى الآن إلا منــــذ ١٩٢٨ على أثر اكتشاف عدد كبير من الألواح الطينية الـــتي وجـدت

مجموعة كبيرة منها مكتوبة بأبجدية مسمارية من ٢٨ حرفاً ساكناً وفي موقع على بعد /١٥/ ميلاً شمال اللاذقية عرفت قديماً باسم أوغاريت، وكان بعل إله العواصف والمطر والصراع الذي قام به مع الإله يام أقرب إلى صراع مردوخ مع تعامت ومن أسماء بعل التي وردت في التوراة بعل زبوب إله الذباب، وسنعود إلى مناقشة الإله بعل في خوضه الصراع مع بام أو لوياثان.

الترافيم

لقد مرت الترافيم في التوراة في قصة يعقوب دون أن تثير انتباه الباحثين في التوراة على أنها أوثان وشرك والترافيم هذه ليست إلا أصناماً للآلهة الكنعانية، ولعل أول ورود لها عندما سرقت راحيل ترافيم أبيها لابان: ((فأجاب يعقوب وقال للابان إني خفت لأني قلت لعلك تغتصب ابنتك مني الذي اتخذ ألهتك معك لا يعيش قدام أخوتنا انظر ما معي وخذه لنفسك و لم يكن يعلم يعقوب أن راحيل سرقتها))

وكانت راحيل قد أخذت الأصنام ووضعتها في حداجة الجمل وجلست عليها فجس لابان كل الخباء و لم يجد وقالت لأبيها لا يغتظ سيدي إني لا أستطيع أن أقوم أمامك لأن علي عادة النساء ففتش و لم يجد الأصنام))[1].

وظلت الأصنام مع راحيل ولما كان اسم راحيل إيلي فمن باب أولى أن تكون الأصنام هذه لإيل وعائلته و لم ينكر يعقوب هذه الآلهة التي جلبتها راحيل من بيت أبيها.

موآب وآلهة عمون وآلهة الفلسطينيين،وتركوا الرب و لم يعبدوه وأشار سفر الملوك الأول ص١١/٥-٨/ إلى ميل سليمان لعبادة عشتروت إلاهة الصيدونيين وملكولم رجس العمونيين.

(١). العهد القديم سفر التكوين ص٣١/٣١-٣٥/.

ويرى باتاي أنه كان مما لا مهرب منه أن تخترق عبادة الآلهة الأم العظمى الكنعانية عشيرة التي قدست في الكثير من أنحاء الشرق الأدنى القديم الآخرى غير الكنعانية الديانة العبرانية أيضاً.

ويضيف قائلاً إن الوقت لم يطل بعد الغزو خلال فترة الاستيطان المتختلط الإسرائيلي الكنعاني قبل أن يقع ذلك الاختراق جنباً إلى جنب مع التزاوج بيم بني إسرائيل والكنعانيين[1].

ومن هنا انطلقت عبادة عشيرة فاتخذت مكاناً لها في قلوب اليهود قبل أن يحتل يهوه مكان الصدارة في عبادهم ولكننا لو عدنا إلى القبالة لرأينا أن الآلهة الأم لا زالت تلعب دور الصدارة، وفي البدء إذن عندما أخذ الكهنة يحولون يهوه إلى معبود غيبي كانت الشكية مفهوماً غائماً تجريبياً غير محدد المعالم عن سكنى ذلك المعبود.

ولكنه فاح بعبق أنثوي حميم وغلاب من ناحية القبالة تحت شعار التصوف فملأوا صدورهم النشوانة به واكتشفوا من خلاله درباً دائرية عادت بهم إلى الآلهة الأم العظمى عندما جعلوا الشكينة أماً لإسرائيل ثم انتهوا بأن جعلوها معشوقة يهوه وزوجة له.

فإذا ما عدنا إلى الترنيمة القبالية فإننا نرى أن الإيمان القبالي يعلن أن الملكة أنجبت كل العالمين بالكلمة كن فيكون لتيجانها السبعين،وجدنا الترتيل متصلاً بضراعة إلى ملكة السموات المتوجة أن تغدق من فيض بركاتها بركات الثديين والرحم التي بارك بها يعقوب ابنه يوسف.

---

(١). مقار شفيق الجنس: في التوراة والعهد القديم ص٤٣.

وهذه الملكة هي المحتوية لكل موجود بسره المختوم، وهي المشعة بالنور من داخل قديم الأيام، وهي التي تنجب من رحمها الخصب نفوساً جديدة نفوساً عديدة، وهي الملاذ السماوي الذي تتحلقه قدراتها فتحرسه، وتعد عنه كل عدد وكل شرير وكل الأبالسة الذين كبلتهم بالأغلال(١).

ولما مررت بسفر حزقيال ألفيت الجملة التالية: فرفعت عيني نحو طريق الشمال فإذا عن شمال باب المذبح تمثال الغيرة في المدخل وقال لي يا ابن آدم هل رأيت ما هم عاملون، الرجاسات العظيمة التي ببيت إسرائيل عاملها هنا لإبعادي عن مقدسي(٢).

وقد اعترفت التوراة بوجود المأبونين الكهنة الكلاب كما عبرت عنهم وهم ليسوا إلا البغايا الذكور اللواطيين ولا بد إذن من الاعتراف بوجود كاهنات إناث للآلهة حتى وإن اضطرهم النص الأصلي إلى القول بعد ذكر بيوت المأنونين التي عند بيت يهوه حيث كانت النساء ينسجن بيوتاً للسارية كما هو واضح البيوت لا تنسج والظاهر أن الأمر اختلط هنا تماماً على المترجمين من فرط ارتباك فقرأوا باريم أي أردية من كتان باعتبارها باتيم أي بيوت،والأردية شعائرية من كتان لتمثال الآلهة

---

(١). مقار شفيق: الجنس في العهد القديم والتوراة ص ١٠٨.

(٢). العهد القديم حزقيال ص٨/٥-٦/.

الموضوع داخل الهيكل وهو يكشف عن أن التمثال لم يكن سارية بل كان تمثال أنثى[1].

وهذا ما أكده تمثال الغيرة الوارد في سفر حزقيال.

ويفسر مقار تمثال الغيرة هذا بقوله: ((تمثال الغيرة المهيج لغيرة يهوه هو تمثال الآلهة الأم في تجسدها الكنعاني عشيرة وقد ظل مقاما حيث رآه حزقيال طوال /٢٣٦/ سنة من مجموع /٣٧٠/ سنة هي عمر معبد سليمان)).

ويسلم الأستاذ باتاي بأن عبادة عشيرة أدمجت في الديانة الرسمية فباتت جزءا لم يتجزأ منها ويقول إن ذلك كان بموافقة عامة من الملوك والكهنة باستثناءات محددة للغاية تمثلت في أصوات حفنة صغيرة من النبيين على فترات متباعدة نسبيا، ورأى كهنة يهوه فيها الزوجة المجدة الوفية لبعلها يهوه وعبدوها بوصفها الآلهة الأم مانحة الخصب الذي يبدو من الواضح أنهم اعتبروه أعظم النعم طرا[2].

من عشيرا ننتقل إلى السواري لأنها في الإنكليزية مترجمة إلى أشير فما السارية؟

السارية نصب من حجر أو خشب لإنسان معين وقد نقلها أليوت فردمان إلى أنها كلمة عشيرة أينما وقعت ولكني لا أراها كذلك.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص٢٧٣.

(٢). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص١١٠.

وقد وردت السواري بصورة كثيرة في أيام الملوك ولم يطل المقام في يهوه حتى نصب بجانبه السواري ففي زمان رحبعام بنيت السواري والمرتفعات والأنصاب على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء، ملوك أول ١٤/٢٣/ وملوك أول ١٥/١١-١٢/ وملوك ثاني ٢٣/٤-٧/ وسأنقل النص الأخير من هذه النصوص ولي وقفة لأناقشها:

((وأمر الملك حلقيا الكاهن العظيم وكهنة الفرقة الثانية وحراس الباب أن يخرجوا من هيكل الرب جميع الآنية المصنوعة للبعل وللسارية ولكل أجناد السماء وأحرقها خارج أورشليم في حقول قدرون وحمل رمادها إلى بيت إيل ولاشى كهنة الأصنام الذين جعلهم ملوك يهوذا ليوقدوا على المرتفعات في مدن يهوذا وما يحيط بأورشليم والذين يوقدون للبعل للشمس وللقمر والمنازل ولكل أجناد السماء، وأخرج السارية من بيت الرب خارج أورشليم إلى وادي قدرون وأحرقها في وادي قدرون ودقها إلى أن صارت غبارا وذرى الغبار على قبور عامة الشعب وهدم بيوت المأبونين التي عند الرب حيث كانت النساء ينسجن بيوتا للسارية)).

أستطيع أن أقف عند كلمة سارية التي وردت مرتين في النص:

١. اقترنت كلمة البعل والسارية معا مما يدل على أن السارية هنا المقصود بها تمثال عشيرة وهي زوجة بعل.

٢. إن النساء لا يمكن أن ينسجن بيوتا للسارية في المرة الثانية وإنما هو تمثال العشيرة وهن ينسجن لها أثوابا لتستر عريها.

ومن هنا أقول إن كثيرا من الباحثين قد رأوا في كلمة سارية مرادفا لعشيرة وأقول أخيرا إن المزمور الثامن والأربعين قد صيغت بدايته من وصف بعل لجبل قدسه، وهو قطعة من رسالته إلى عانات:

على قمة جبل قدسي جبل صفون
الموضوع ذي القداسة مكان
الفرح الإلهي الجبل الذي هو
لي المكان البهي جبل انتصاري
عظيم هو الرب وحميد جدا في
مدينة إلهنا جبل قدسه
جميل الارتفاع فرح كل الأرض
جبل صفون فرح أقاصي الشمال
مدينة الملك العظيم في قصورها يعرف ملجأ.

وإليك الوصف التام والرسالة لعانات أو عشيرة وهو يصف قصره في أقاصي الشمال في رسالة بعث بها إليها:

((أميلي إلي سمعك لأن لك عندي كلمة أخبرك بها رسالة سوف أكاشفك بها كلمة حفيف الشجر وهمس الحجر، تعالي إلي لأخبرك بها، الكلمة التي بما أستجيب فتستجيب السموات والأرض، وتستجيب أعماق المياه للنجوم، لأني أعرف الكلمة التي لا تعرفها السموات، الكلمة التي لا يعرفها بنو البشر ولا تعرفها الأرض ذاتها، تعالي إلي وسوف أكاشفك بها على قمة جبل قدسي جبل صفون الموضوع ذي القداسة

مكان الفرح إلهي الجبل الذي هو لي المكان البهي جبل انتصاري)).وقد وصف هذا النص بأنه عهد السلام الذي قطعه بعل مع الأرض والبشر في رسالة إلى عانات وفي الكلام الذي أجراه هوشع على لسان يهوه أخذ ذلك المتنبئ كلام بعل إلى عانات وجعله رسالة من يهوه إلى إسرائيل قال فيه يهوه: ((وأقطع لهم عهدا في ذلك اليوم مع حيوان البرية وطيور السماء ودبابات الأرض وأكسر السيف والقوس والحرب من الأرض وأجعلهم يضطجعون آمنين وأخطبك لنفسي إلى الأبد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمراحم، أخطبك لنفسي بالأمانة فتعرفين الرب ويكون في ذلك اليوم أني أستجيب يقول الرب تستجيب السموات وهي تستجيب الأرض)) هوشع٢/١٨-٢١/.

فالثيمة التي أنزلت من السماء سرقت إلى السياق القبلي ككل ما سرق لديانة يهوه من ديانات شعوب الحضارات العليا[١].

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٣٤٨.

تموز

أحد الآلهة التي دخلت التوراة وتكلمت عنه وعن آثره في اليهود، وقد كانت نسوة يهوذا يندبن على تموز في أيام السبي: ((وقال لي بعد تعود تنظر رجاسات أعظم هم عاملوها فجاء بي إلى مدخل باب الرب الذي من جهة الشمال وإذا هناك نسوة جالسات يبكين على تموز فقال لي أرأيت هذا يا بن آدم بعد تعود تنظر رجاسات أعظم من هذه، فجاء بي إلى دار بيت الرب الداخلية وإذا عند باب الهيكل الرب بين الرواق والمذبح نحو خمسة وعشرين رجلا ظهورهم نحو هيكل الرب ووجوههم نحو الشرق وهم ساجدون للشمس نحو المشرق، وقال لي أرأيت يا بن آدم))[1].

هذا الإله صار له حصة في العبادات اليهودية، وتموز ما هو إلا صورة من تجليات بعل ليس غير، فعبادة تموز امتدت قريبا وعمت مساحة الشرق الأدنى بلاد الشام والعراق وفي القرن السادس قبل الميلاد رأى حزقيال فتيات يهوذا ونساء أورشليم يندبن على أبواب معبد القدس تموز المنتهي باعتلاء الوجه المأساوي والرثائي للآلهة الشباب الذين يموتون ويبعثون سنويا، ومازال اليهود إلى اليوم يقيمون شعائر البكاء في الرابع عشر من شهر تموز وهي نفس الشعائر التي تضرر يهوه عن إقامتها على تموز دون أدونيس إلا أنهم في اجتهاد التمويه والتعمية عن الأصول الكنعانية ومغزى ترسيخها في عبادة يهوه بعد سرقتها يرقبون ذلك البكاء

(١). العهد القديم حزقيال ص٨/١٣-١٧.

(البوكيم) إلى الحزن اليهودي على خراب الهيكل، غير أن هذا الادعاء المتلفح بعباءة الورع المعهودة غير مجدي في طمس الآلهة الأم ومعشوقها الإله تموز في أسطورة يهوه ومعشوقته إسرائيل ومن بكاء أينانا على تموز.

((يا زوجي أنا أينانا سوف أحرس لك بيت الحياة بيتك موطن الآيات العظيمة المشع نوره في كل أرجاء البلاد البيت المقدس الذي تكتب فيه أقدار كل الأرض، المكان المقدس الذي يعمل فيه البشر كل الأحياء تبعا لناموس أنا أينانا النقة سوف أحرس لك بيت الحياة بيتك، فكأنها شكينة يهوه التي استظهرها القباليون من سراديب العهد القديم في القرن الثالث عشر الميلادي بعد أينانا بأكثر من ثلاثين قرنا متعهدة لزوجها يهوه بالمحافظة له على مسكنه قدس أقداسه تابوته وخيمته))(1).

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ٢١٨.

الحجارة

من المعبودات التي عبدها اليهود وقدسوها الحجارة وقد اختلفوا في أصل هذه العبادة فهل كانت هذه العبادة كنعانية أم هي مصرية، ولن أناقش الآن مصرية العبادة وإنما سأبقيه إلى المصدر المصري وأناقش الآن الأثر الكنعاني.

لم أر في التوراة ما يدل على عبادة إبراهيم للحجارة وعبثا فتشت عن ذلك و لم أجد في حياة إسحاق أيضا ما يدل على مثل هذه العبادة ولكن رأيت في حياة يعقوب في التوراة ما يشير إلى عبادة الحجر وتقديسه، فهل ترى تغير يعقوب عن أبيه وجده أم أن التوراة هي التي شوهت صورة هذا الرجل؟

لقد جعلت التوراة من يعقوب إسرائيل وجعلت الجد الذي انتمت إليه وبه افتخرت، فهل كانت عبادة الحجارة من صلب الديانة اليهودية؟

هذه أسئلة لا بد منها، وأحب أن أضيف هل عبدت الحجارة فقط لأنها حجارة من نوع معين كحجارة براكين أم أية حجارة كانت أم لأنها تشبه القضيب الذكري؟

إذا كانت لأنها تشبه القضيب الذكري فإن عبادة يعقوب تعد انتكاسة في الفكر التوحيدي بعد أن علمنا أن إبراهيم كان موحدا وإذا ما كان يعقوب قد انتكس في ديانته فكيف قبل به اليهود واعتبروه الجد الأساسي لهم؟

هذه أسئلة تضاف إلى الأسئلة السابقة

((فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقا إن الرب في هذا المكان وأنا لم أعلم وخاف وقال ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلا بيت الله وهـــذا باب السماء، وبكر يعقوب في الصباح وأخذ الحجر الذي وضعه تحـت رأسه وأقامه عمودا وصب زيتا على رأسه ودعا اسم ذلك المكان بيـت إيل))[1].

إذن تريد التوراة أن تقنعنا أن يعقوب لم يعبد الحجر بحد ذاته وإنما أقام هذا الحجر نصبا لله تعالى في هذا المكان، ولكن لماذا؟

ألا يستطيع أن يضع أية إشارة أخرى للدلالة على هذا المكان أنـه أتاه الله في حلمه؟

وتكررت هذه الحادثة مع يعقوب فوضع رجمـة وفيـها عمـود، تكوين ٣١/٤٥-٥٢/. وهي لتكون شاهد سلام بينه وبين خاله لابان ثم تأتي الحادثة الثالثة حينما ماتت راحيل فوضـع علـى قبرهـا عمـود، تكوين٣٥/١٦-٢٠/، ولازلنا حتى الآن نضع علـى قبورنـا أعمـدة ونسميها شاهدة نضع عليها اسم موتانا وتاريخ موهم.

يقول في هذا الصدد مرسيا الياد: فحسب سفر التكوين إن الآبـاء كانوا يقدمون الأضاحي ويرفعون المذابح وينصبون الحجارة ويمسـحوها بالزيت،ومن المرجح تطبيقهم للذبيحة الدموية حصرا من نوع فصحـي وبدون كهنة وبدون مذبح، فكل ناذر كان يذبح ضحيته المتخذة مـن القطيع بذاته و لم تكن تحرق، وإنما كانت تؤكل من قبلـهم مجتمعـين،

---

(١). العهد القديم سفر التكوين ص ٢٨/١٦-١٨/.

المضحي وأسرته، وفي الجزيرة العربية الوسطى كانت الضحية تذبح على حجر منصوب رمز الحضور الإلهي، وكان الدم يراق على الحجر وينثر في حفرة محفورة على قدم هذا الحجر ومثل هذه الضحايا كانت تقدم على الأخص في الأعياد التي كان العرب الرحل يحتفلون بها في الشهر الأول من الربيع لضمان الخصب ونمو القطيع،ومن الراجح أن أجداد بني إسرائيل الرعاة نصف الرحل كانوا يحتفلون فيما سلف بعيد مشابه، ولا يستطيع إلياد أن يحدد المعنى الأصلي للحجارة المنصوبة لأن نصوصها الدينية تختلف، فالحجر يمكن أن يشهد على اتفاق مبرم، تكوين٣٠/٤٥،٥١،٥٢/ ويستخدم كشاهد قبر ٣/٢٠/ أو يدل على تجلي كما في مشهد يعقوب لله، ومع استيقاظه نصب يعقوب الحجر الذي نام عليه وعاه مكان لبيت إيل، تكوين ٢٨/١٠-٢٢/،ولذلك يكون من الواضح أنها كانت موزعة بالتساوي من قبل أجداد الإسرائيليين[(١)].

أما الباحث جريفرز فقد رأى أن الحجر ليس إلا صنما إذا مر الرجل بحجر أملس من تلك الحجارة المقامة في مفترق الطرق صب عليه الزيت من قنينة و لم يواصل السير في طريقه إلا بعد أن يركع له ويحني رأسه إلى الأرض.

وقد استمرت هذه العبادة موجودة في التوراة فأوردها عند يشوع حينما أخذ العهد من بني إسرائيل على ألا يعبدوا إلا يهوه ((وكتب

(١). الياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص ٢١٥/.

يشوع هذا الكلام في سفر شريعة الله وأخذ حجرا كبيرا ونصبه هناك تحت البلوط التي عند مقدس الرب، ثم قال يشوع لجميع الشعب إن هذا الحجر يكون شاهدا علينا لأنه قد سمع كل كلام الرب الذي كلمنا به فيكون شاهدا عليكم لئلا تجحدوا إلهكم، ثم صرف يشوع الشعب كل واحد إلى ملكه))[1].

هذه العبادة لا ندري إلى متى استمرت فيشوع قطعه في عهد يهوه مع الشعب أقام وثنا من حجارة باعتبار أن كائنا ساكنا فيه قد سمع بنفسه تعهد الشعب ألا يعبدوا إلها آخر غير يهوه.

لكن عادة الأنصاب ظلت مستمرة وحتى نهاية كتابة التوراة.

التنين ولوياثان والصراع الإلهي

لم يرد في سفر التكوين صراع بين رهب ولوياثان من جهة وبين الإله يهوه، وإنما ورد ذلك في أسفار عديدة وقد ورد اسمان مختلفان أحدهما لوياثان وثانيهما رهب، فهل تأثر كتابة التوراة في مصر برهب وفي كنعان بلوياثا[illegible] هما [illegible] على وحش واحد أم هما وحشان مختلفان؟

أسئلة تبقى على مر الزمان ليعطينا من حفرياته وآثار الأمم السابقة حتى نصل إلى جواب صحيح، أم أن رهب ولوياثان هما تهامة البابلية وقد أخذوا الصراع عن بلاد الرافدين.

(١). العهد القديم سفر يشو[illegible] ٢[illegible]/٢٦-٢٨/.

ولنستقرئ ما كتب في العهد القديم ولنأخذ هذه المصادر كلا على حدة، رهب:

١.مزمور ٨٩/٨-١١/ يا رب إله الجنود من مثلك قـــوي رب وحقك من حولك، أنت متسلط على كبرياء البحـــــر عنـــد ارتفاع لجحه أنت تسكنها، أنت سحقت رهب مثل القتيـــــل بذراع قوتك بددت أعدائك.

٢.مزمور٨٧/٤-٥/ اذكر رهب وبابل عارفتي هــوذا فلســـطين وصور مع كوش هذا ولد هناك.

٣.أيوب ص٢٦/٥-١٤/ الأخيلة ترتعد من تحت المياه وســـكانها الهاوية عريانة قدامه والهلاك ليس له غطاء يمد الشمال علـــــى الخلاء ويعلق الأرض على المياه، يصر المياه في سحبه فلا يتمزق الغيم تحتها، يحجب وجه كرسيه باسطا عليه سحابة رسم حـدا على وجه المياه عند اتصال النور بالظلمة، أعمدة الســـموات ترتعد وترتاع من زجره بقوته يزعج البحر ويفهمه، يســـحق رهب بنفخته السموات مسفرة ويداه أبادتا الحية الهاربة، هـــا هي ذي أطرافه وما أخفض الكلام الذي نسمعه منه، وأما رعد جبروته فمن يفهم.

لوياثان والتنانين:

مزمور ٧٤/١٠-١٧/ حتى متى يا الله يعير المقاوم ويـــهين العــدو اسمك إلى الغاية، لماذا ترد يدك ويمينك أخرجها من وسط حضنـــك، والله

ملكي منذ القدم فاعل الخلاص في وسط الأرض أنت شـــققت البحــر بقوتك، كسرت رؤوس التنانين على المياه أنت رضضت رؤوس لوياثــلن، جعلته طعاماً للشعب.

وقد وردت في الميثولوجيا الكنعانية مثل عماء البدء بالحية المتلويـــة ذات الرؤوس السبعة، لوياثان والحية الملتوية الهاربة قتلها البعل السيد قبــل القيام بعملية التكوين وتنظيم الوجود البعل يسحق لوياثان الحية المتلويـــة العاتية ذات الرؤوس السبعة.

وقد اقتبس كتبة التوراة هذه الحية الملتوية، ومرَّ معنا في النصـــوص أن يهوه سحق لوياثان الحية المتحوية.

والصراع في أساطير كنعان بين بعل ويام إله البحر كما في الصراع في أساطير بابل بين مردوخ وتهامة التي شقها إلى الأرض والسماء، يام إلــه البحر فهو المياه البدئية الأولى التي تمثل تهامة، وبعل إله المطر والخصب، إن يام يمثل في آن واحد كإله وشيطان إنه الابن المدلل لإيل وباعتباره إلهاً فهو يتقبل الأضحيات كبقية مجمع الآلهة، ومن جهة أخرى فهو غول مـــائي تنين بسبعة رؤوس أمير البحر المبدأ والتجلي للمياه تحت الأرض.

إن انتصار بعل يدل على انتصارات المطر ضد البحر، وإن الإيقــاع المطري الممثل للمعنى الكوني يعوض لا نهاية العمـــاء وجــدب البحــر والفيضانات المدمرة فبانتصار بعل تنتصر الثقة في النظـــام وفي اســتقرار

الفصول ومن جهة أخرى فإن المعركة ضد التنين المائي تبرز تتوج إلهاً شاباً باعتباره بطلاً، ومن ثم سيداً جديداً لمجمع الآلهة[1].

وقد جاء وصف محرري التوراة لتنين العماء لوياثان بتعابير تشبه إلى حد بعيد التعابير التي وردت في معارك بعل والتنين المائي، ومن الراجح أن الأسطورة التي تروي المعركة بين بعل ويام كانت تتلى أثناء العام الجديد ونزاع بعل وموت بمناسبة المحاصيل ولكن أي نص معلوم حتى الآن لم يذكر هذه الوقائع بشكل تام ومفصل.

وبعد أن انتصر بعل على يام توج سيداً للآلهة كما توج مردوخ وكما رفع يهوه، فصار سيد السموات ومالك الأرض، فقد شاد بعل معبداً قصراً بعد انتصاره على التنين وأعلن إيل ترقي بعل إلى الصف الأول من الآلهة، فالآلهة تشيد المعبد القصر على شرف الإله المنتصر بعد أن قتل يام.

((يهدف الاحتفال بالنصر ضد التنين تولم على شرف بعل، وبعدئذ تغلق الربة أبواب القصر وبثورة جنونية تتملكها لقتل البشر تشرع بقتل الحرس والجنود والشيوخ وفي الدم الذي وصل للركب تتوشح بأيدي الضحايا ورؤوسها))[2].

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية / جـ١ ص ١٩٣/.

(٢). المصدر السابق ص١٩٣.

إن هذا المشهد بالغ الدلالة وله موازياته في التوراة فقد بدا عنف يهوه وسفكه للدماء وصار يخوض بحاراً نم دماء البشرية ولا يرضيه إلا الدماء من ضحاياه، وعانات ليست إلا عشيرة التي بحثناها في فقرة سابقة.

إذن في كنعان خاصة لإله بعل معركة ضارية مع التنين لوياثان وانتصر عليه فكان انتصاره أعلاناً لإعلاء مكانته ليصبح الإله التنفيذي في مجمع الآلهة الأوغاريتي تحت إشراف الإله الأب إيل وهو ما أشار إليه نصر تحرير أشعيا: ((في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية الهاربة لوياثان الحية المنحوية ويقتل التنين الذي في البحر))[1].

والصراع في أشعيا صراع أرضي لا سماوي، صراع خاضه كهنة عرافون ظلوا المستفيدين الرئيسيين من إفراد يهوه ثم توحيده معبوداً للشعب، وبأهم المدافعين الأشداء عن يهوه وحده وكان خوضهم لهذا الصراع ضد كهنة عرافين منافسين أوشكت شعائرهم وممارساتهم أن تستوعب الشعب تماماً فيسيروا وراء آلهة أخرى.

وإذا ما علمنا أن سفر أشعيا هو تنبؤ للمستقبل وليس قصصاً عن الماضي وهو هنا يختلف عن سفر أيوب أو المزامير اللذين يتكلمان عن الماضي: ((هلم يا شعبي ادخل مخادعك وأغلق أبوابك خلفك واختبئ نحو لحظة حتى يعبر الغضب لأنه هو ذا الرب يخرج من مكان ليعاقب إثم سكان الأرض فيهم فتكثف الأرض دماءها ولا تغطي قتلاها، في ذلك

(١). العهد القديم أشعياء ٢٧/١-٢/.

اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحيـــة الهاربـــة لوياثان الحية المتحوية ويقتل التنين الذي في البحر، في ذلك اليـــوم غنـــوا للكرامة المشتهاة))[1].

ويتابع النص تنبؤاته للمستقبل ويقول في المستقبل يتأصل يعقـــوب يزهر ويفرع إسرائيل ويملاؤن وجه المسكونة ثماراً.

بعد هذا النص نتساءل هل قتل يهوه رهـــب؟ هـــل رض رءوس التنين؟ هل قتل لوياثان؟

أم أنه لم يفعل شيئاً من هذا وسيفعله بالمستقبل؟

إنه تناقض آخر من تناقضات التوراة.

ها هنا نقف قليلاً لنبحث الأمر في نشيد الإنشاد ٣/١١/ نجد يهوه قائماً بدور الراقص الرئيس بتتويجه ملكاً فهو كالعريس في يوم عرسه وفي يوم فرح قلبه والعروس في غمرة فرحه يرقص للمدعوين مثلما رقص بعـل في الوليمة الأصلية التي أولمها احتفالاً بانتصاره وبناء قصره، وأخذ أختـــه عانات عروساً له، وفي الزوهار عندما يسأل الرباني اليعازر عن حقيقـــة الأمر في شأن هذه الوليمة الكبرى التي سيعيد يهوه فيها الموائـــد بيـــده ويصب الخمر للمدعوين في أقداح من الذهب مرصعة بالجواهر واللآلـــئ ويطعمهم كل ما في حديقة قصره من أطعمة مترفة واضعاً في خدمة كـــل منهم ثلاثاً من ملائكته ويرقص لهم رقصاً متقناً لا عيب فيه يقوم وهـــو

---

(١). ارجع إلى المزمور ٧٣/١٢-١٥/ وأيوب اص١/٤١-٣٦/.

يؤديه بدور الراقص الرئيس بين فرقة الأتقياء الصالحين ويسير معهم ويجاذبهم أطراف الحديث مصفقاً بيديه جذلاً، انظر خروج ٢٤/١١/.

كل ذلك الحكي مسروقاً من بعل ومأدبته التي حضرها أبناء عشيرة السبعين على قمة جبل صفون واستمتعوا بلحوم الهولات التي قاتلها مضيفهم وبلجم التنين لوياثان فاستعير أبناء عشيرة السبعون إلى أشراف إسرائيل وإصعادهم إلى قمة الجبل ليأكلوا ويشربوا في حضرة يهوه رغم قول يهوه في موضع آخر من سفر الخروج أن كل من رأى وجهه يموت كما تردد في تأكيد أشعيا الفريد بحق أن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذته رجال يهوذا.

فنحن بين رأيين:

١. أن يهوه قتل رهب لوياثان في الماضي يوم خلق الخليقة.

٢. سيقتل يهوه رهب يوم الدينونة و لم يستطع كتبة التوراة أن يفصلوا في هذا الأمر، فهل أراد أشعيا أن يرمز بالتنين إلى دولة بابل؟

يبقى الأمر غامضاً وعلى أية حال فإن الفكرة سواء كانت للماضي أو للمستقبل مأخوذة من الفكر الكنعاني.

ورد في سفر أيوب ٤٠/٢٠-٢٨/ النص التالي:

((اتصطاد لوياثان بشص أو تضغط لسانه بحبل، أتضع أسلحة في خطمه أم تثقب فكه بخزامة، أيكثر التضرعات عبداً مؤبداً أتلعب معه كالعصفور أو تربطه لأجل فتياتك هل تحفر جماعة الصيادين لأجله حفوة

أو يقسمونه بين الكنعانيين، أتملأ جلده حراباً ورأسه بالدل السمك ضع يدك عليه لا تعد تذكر القتال هو ذا الرجاء به كاذب، ألا يكن أيضاً برؤيته، ليس من شجاع يوقظه فمن يقف إذن بوجهي من تقدمني فأوفيه ما تحت كل السموات فهو لي، لا أسكت عن أعضائه وخبر قوته وبهجة عدته من يكشف وجه لبسه ومن يدنو من متني لجمته، من يفتح مصراعي فمه دائرة أسنانه مرعبة منخره مجان لامعة محكمة مضغوطة بخاتم الواحد يمس الآخر فالريح لا تدخل بينهما كل منها ملتصق بصاحبه متماسكة لا تنفصل عطاسه يبعث نوراً وعيناه كهدب الصبح من فيه تخرج مصابيح شرار نار تتطاير منه من منخريه يخرج دخان كأنه من قدر منفوخ أو من مرجل، حطاوي لحمه متلاصقة مسبوكة عليه لا تتحرك قلبه صلب كالحجر وقاس الرحى عند نهوضه تفزع الأقوياء من المخاوف يتيهون، سيف الذي يلحقه لا يقوم ولا رمح ولا مزراق ولا درع يحسب الحديد كالتبن والنحاس كالعود النخر لا يستفزه نبل القوس، حجارة المقلاع ترجع عنه كالقش يحسب المقمعة كقش ويضحك على اهتزاز الرمح رغته قطعة خزف حادة يمدد نورجاً على الطين، يجعل العمق كالقدر ويجعل البحر كقدر عطارة، يضيء السبيل فيحسب اللج شعراً أشيب ليس له في الأرض نظير صنع لعدم الخوف، يشرف على كل متعال هو ملك على كل بني الكبرياء)).

هذا هو لوياثان أيوب ويختلف تماماً عن رهب المزامير لأنه لم تصفه المزامير بهذا الخوف وهذه الرهبة وهو أشبه بتعامت البابلية التي شق منها

مردوخ السماء والأرض لكن لا ذكر للسماء والأرض هنا وإنما هنا صراع بين بعل ويام صراع مع الحية المنحوية التي تحاول أن تخرب الدنيا رأساً على عقب.

وهو كما نرى من وصف يهوه له حيوان خرافي الحجم خرافي القوة أشبه بديناصور عصور ما قبل التاريخ ولا بد أن لحمه شهي أو أن مطبخ يهوه في السماء أو على قمة جبل لديه وصفة خاصة جيدة لطهيه لأنه سيقدم لحمه مع أطباق شهية من لحم لوياثان لضيوفه صفوة العالم وشيوخ إسرائيل في المأدبة الكبرى التي وردت في سفر الخروج ٢٤/١١/ ومزمور ٥٠/٥/ هذا الحيوان لا يمكن أن يمثل ديناصور فهو أقرب إلى تعامت من حيث المنظر والحجم والقوة غير أن النص التوراتي سلب منه الألوهية وأبقاه وحشاً خرافياً، بل إن هذا الوحش يرقى في الزمن إلى أنه صنع مع آدم لقول السفر: ((هو ذا بهيموت الذي صنعته معك يأكل العشب مثل البقرة، ها هي ذي قوته في متنيه وشدته في عضل بطنه يخفض ذنبه كارزه عروق فخذيه مضفورة عضامه أنابيب نحاس جرمها حديد ممطول، هو أول أعمال الله الذي صنع أعطاه سيفه لأن الجبال تخرج له مرعى))[1].

هذا الحيوان أول خلق يهوه فهو لآدم حسب هذا القول ولو عدنا إلى الصراع بين تعامت ومردوخ ويم وبعل لرأينا هذا الوصف يشابهه، ولكني رأيت في هذا النص شيئاً جديداً لم أره في سفر التكوين فقد خلق

---

(١). العهد القديم سفر أيوب ص٤٠/١٥-٢٠/.

يهوه السموات والأرض في سفر التكوين ولم يتكلم عن هذا البهموت هل هو فصيلة من فصائل التنانين العظام أم هو ماذا؟ هل هو الكروب الذي أعطاه سيفاً لحراسة الجنة؟

وانظر: هو أول أعمال الله الذي صنعه أعطاه سيفه، فما المقصود بهذا وضد من أعطاه سيفه؟

تبقى أسئلة واسعة في هذا المجال لا يتسنى لأحد الإجابة إلا إذا كان هذا النص مسروقاً من مكان ما وموضوعاً في هذا المكان ولا فائدة منه سوى إعطاء مزيد قوة ليهوه.

ويؤكد هذه الوليمة التلمود البابلي ففيه يخبرنا الرباني يوحانان أن يهوه:

١. في الأيام الآتية آخر الزمان في رؤيا يوحنا اللاهوتي، سوف يولم وليمة لمفديه ويطعمهم فيها لحم لوياثان ويأخذونه معهم ويبيعونه في أسواق أورشليم.
٢. في تلك الأيام الآتية بعد أن يسلخ جلد التنين مشعاً فإن إشعاعه سيجعل بهاء أسوار أورشليم يصل من أقصى الأرض إلى أقصاها.

وفي المدراشين اللذين وضعا في القرن الثاني عشر ميلادي تفسيراً لسفر العدد من أسفار التوراة نجد أن يهوه في اليام الآتية سوف يقيم مآدبة كبرى يولم فيها وليمة لمفدييه في جنة عدن التي طرد منها آدم وحواء لأنهما اكتشفا الجنس وأن المفديين بني إسرائيل سيجدون يهوه

متباعداً متباعداً كما قال بعد طرد آدم وحواء من الجنة، واكتشافه أن بني الآلهة كانوا يضاجعون بنات البشر، لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيغانه وهو بشر(١).

وفي الزوهار عندما سأل الرباني العازر عن حقيقة الأمر في شأن هذه الوليمة التي سيعد يهوه فيها الموائد بيده ويصب الخمر لمدعويه في أقداح من الذهب مرصعة بالجواهر واللآلئ ويطعمهم كل ما في حديقة قصره من أطعمة مترفة واضعاً في خدمة كل واحد منهم ثلاثاً من ملائكته، يرقص لهم رقصاً متقناً لا عيب فيه يقوم وهو يؤديه بدور الراقص الرئيس بين فرقة من الأتقياء الصالحين ويسير معهم ويجاذبهم أطراف الحديث مصفقاً بين يديه جذلاً.

أليس هذا الاحتفال أشبه باحتفال بعل حينما بنى قصره بعد انتصاره على يم وزواجه من عناة.

ويقول شفيق مقار في هذا الصدد: ((من أخص حيل المراوغة والإتاهة المتكررة الممعنة في البراعة التي استخدمت في رتق أي خرق كاشف عن أي خيط أو بصيص ضوء يمكن أن يقود إلى الحقيقة في نصوص الأسفار المقدسة حيلة التواثب بعبارة الصلاح والتقوى والطيبة والورع، ولنأخذ وليمة يهوه المسيحانية في مدراش هنعيلام بالزوهار أو التوراة القبالية.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص٤٣٤.

لجأ القباليون إلى تلك الحيلة في سياق حوار خفيف الظل بين الربانيين الرباني يهودا بن شالوم: علمنا أن الواحد القدوس تبارك سوف يقيم في آخر الأيام وليمة للصالحين فكيف ستكون هذه الوليمة؟

الرباني حيَّار: ما أدراني أنا كيف ستكون؟

أنا لم أقف مع الملائكة المباركين بعد لأسألهم.

الرباني اليعازر: ستكون كما هو مكتوب في التوراة بسفر الخروج سيقعدون ويرون يهوه يأكلون ويشربون في حضرته ولا يلحقهم ضرر، هذا ما علمناه وهذا هو ما سوف يكون.

وعلمنا في موضع آخر أنهم أطعموا فما الفرق بين أمتعوا وأطعموا؟

الفرق هو هذا، الصالحون الذين لا يتفوقون على من عداهم بصلاح عظيم سوف يمتعون بمعاينة السناء ولكنهم لن يبلغوه تماماً أو يفهموه تماماً في حين أن الصالحين الذي يتصفون بالمرتبة القصوى من الصلاح سوف يطعمون إلى أن يبلغوا مستوى الفهم، وهكذا فإن الأكل والشرب المذكورين لا يعنيان أي شيء خلا ذلك فتلك هي الوليمة وذلك هو الأكل والشرب فيها وكيف نعرف ذلك؟

نعرفه من خلال موسى لأنه مكتوب أن موسى دخل في وسط السحاب وصعد إلى الجبل وكان في الجبل أربعين يوماً ولم يأكل ولم يشرب فما معنى أنه لم يأكل ولم يشرب؟

معناه أنه أطعم طعاماً آخر وسقي شراباً آخر، أطعم السناء الذي فوق وهو ما سوف يكون في الوليمة التي ستقام في آخر الأيام.

الرباني يوشه: أما النبيذ المعتق في كرمه منذ أيام الخلق الستة الـــذي سيسقى للصالحين في الوليمة فهو كلمات الحكمة القديمة التي لم تكشـــف لإنسان منذ خلق العالم والتي ستكشف للصالحين في آخر الأيام.

الرباني يهودا: إذن فما هو لوياثان وما هو الثور بهمـــوت الـــذي سيؤكل مع لوياثان في الوليمة؟

الرباني موشى: إنها مجرد كناية عن الأمم عن ممالك الأغيار الـــتي سيدمرها يهوه.

الرباني يوشع: إن هذا الاعتقاد الذي عبر عنه الحاخامات موجه إلى السواد الأعظم من شعب الرب وهو أنهم سيدعون ليأكلوا لحم لوياثـــان والثور بهموت وهو قول الرب في سفر اللاويين٢٦/٥/ فتأكلون خـــبزكم حتى الشبع لأن الرباني زيرع قال: إن الواحد القدوس تبارك استخدم كـل أنواع المغريات ليجعل بني إسرائيل يعودون إلى طريق الصواب، وكان من أعظم مغرياته ذلك قوله لهم فتأكلون خبزكم حتى الشبع إذا ما اتبعتمـوني وحفظتم وصاياي وعملتم بها، وبالمثل عند رأي الحاخامات أن السبي كان قد طال وقالوا للشعب معتمدين على آيات التوراة إن إســرائيل ســوف يأكل ويمرح في الوليمة الكبرى التي سيولمها لهم الواحد القدوس تبارك.

غير أنه في نهاية الحوار الدرامي يرتفع صوت الرباني يوحانان محـذر من التمادي في هذه التفسيرات الغيبية معترضاً على هذا التحريف بقولـه:

لا تدعوننا ندمر ما نؤمن به كلنا، بل يجب أن نتمسك بـــه لأن التـــوراة شهدت به، وهكذا ظلت الوليمة أكلاً وشرباً وقصفاً في حضرة يهوه[1].

وهنا لا بد من السؤال هل قتل يهوه لوياثان وبهمـــــوت في بـــدء الخليقة؟ أم أنه سيقتله يوم ينتصر فيه إسرائيل على الأمم الأخرى؟

هل لوياثان تنين فعلاً وبهموت حيوان ثور؟ أم أنهما رمـــز للأمـــم الأغيار؟

تتناقض هنا النصوص التوراتية مع نصوص التلمود وتختلف نصوص الزوهار عن نصوص المدراش ويخرج القارئ بحيرة من كل هـــذا دون أن نصل إلى نتيجة، لهذا قال الرباني يوحانان محذر: لا تدعونا ندمر ما نؤمـــن به كلنا، ويبقى فهمنا لنصوص التوراة أن لوياثان هو التنين الذي صارعـــه يهوه نقلاً عن النصوص الكنعانية والبابلية، ومن لوثان الكنعاني وتعـــامت البابلية ركب خصم يهوه لوياثان واسبغت هوية رهب علـــى التمســـاح فرعون وعلى مصر، والتماسيح كما يقول النص كان في بلاد كنعـــان في سورية وكان الكنعانيون يصطادونها بتلك الطرق التي أوقعنا عليها يـــهوه في نص التوراة في سفر أيوب وبالشطر الذي قال في موضع آخـــر أنـــه يغرسه في فك لوياثان أو في حرشفه ويوزعون لحمه فيما بينهم.

ولعله من إدماج هوية الحية المتحوية وهوية يهوه ومن الحكـــي في نصوص الحكمة الخفية القاصرة على أضيق فئات الكهنوت اليهودي عـــن الحية والتنين لوياثان: أي ما وصف بالسر العظيم لحية الغمـــر العظيـــم

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ٤٣٩.

المتحوية والذي يمثل ازدواج هوية المعبود في تجسيدها للخير والشر نشـأت في اليهودية طائفة عرفت باسم عبدة الحية، ظلت متمسكة حتى العصـــور المسيحية الأولى بعبادة الحية رافضة عبادة يهوه باعتباره في تصوير كهنة ما بعد السبي له مجرد شيطان اغتصب مملكة الحية الحكيمة الممسوحة بدهـــن الزيت وفي المنارة المقدسة ذي الأفرع السبعة يرمز الفرع الرابع عندهـــــم الذي يتوسط الشمعدان للحية الحكيمة نبو، ولذلك استخدم عبدة الحيـــة في شعائرهم مما دعى إلى صنع شمعدان الشانوكا أو الحانوكا عيد الأضـواء بثمانية أفرع حتى لا يجد عبدة الحية فرعاً أوسط يصفـــون بـــه حيتـــهم المقدسة.

المعابد

لم يستطع كتبة التوراة أن يحددوا سكنى يهوه وأين كانت عبادته إلا في فترة أخيرة من حياهم وبعد الأسر، ويظهر مما قبل السر النقاط التالية:

١.يظهر لهم إيل في أماكن متفرقة في بيت إيل فيبنى مذبح ويقام له نصب، ومرة عند بلوط مرة وتارة أخرى عند بئر لحي رئي.

٢.يظهر لهم باسم يهوه وهذا مقحم في النص على لسان إبراهيم في مكان يسميه يهوه يرأى.

٣.يظهر لهم يهوه محتاجاً لرجل يبلغ دعوته ورأى موسى وهو عائد من مدين ويظهر في العليقة المتقدة والتي لم تكن تحترق.

٤.ظهر أمام بني إسرائيل في تيههم عمود دخان في النهار وعموداً من نار في الليل. فيهوه في هذه الحالة منذ أن خلقت الخليقة وحتى ظهور موسى لا يعرف له مستقر وهو يشكو لموسى أنه بلا سكن فهو غير مستقر ولا مكان محدود له، ينتقل من مكان إلى آخر حسب الحاجة.

٥.أسكنه جماعة التكوين فوق غمر المياه.

٦.أسكنه جماعة الخروج جبلاً سموه جبل الرب وهو جبل حوريب.

٧.أسكنه جماعة يشوع جبل باشان فقالوا عنه جبل الله.

٨.وفجأة ودون مقدمات يأمر يهوه ببناء خيمة وتابوت العهد والمذبح وذلك في سفر الخروج بدءاً من الإصحاح الخامس والعشرين حتى السابع والعشرين.

والإصحاحات الثلاثة وصف دقيق للمذبح والتابوت والمسكن وتستمر الإصحاحات التالية في وصف دقيق لثياب الكهنة في هذا التيه والذي استمر مدة أربعين سنة وسيتساءل الناس ألم يعبد بنو إسرائيل يهوه في هذه الفترة كلها؟

أهو إله ليعبده بنو إسرائيل فقط؟ وهل يغضب إذا عبده الأغيار أم لا؟

أهو إله يخدمه بنو إسرائيل وهو إلههم أم أنهم خلقوه ليخدم مصالحهم ثم هو يتمردون عليه؟

إذا كان الإله مسخراً لخدمة بني إسرائيل فهو ليس الزوج الآخر الناهي على زوجته الزانية إسرائيل، وإنما هو ديوث قرنان يرى امرأته تزني ويجلب لها الزبائن ويرضى بذلك.

إذا كان الإله مسخراً لخدمة بني إسرائيل فهل هم خلقوه أم هو الذي خلقهم وهم مسخرون لخدمته؟

من يقرأ سفر الخروج لا يرى أثراً لعبادة بني إسرائيل ليهوه فهو أنقذهم من فرعون وسار أمامهم في عمود من الدخان نهاراً وعمود من النار ليلاً ويعبدونه في غيبة موسى.

فلماذا فطنَ في النهاية كاتبو سفر الخروج إلى عبادة يهوه.

كل رسالة أو تشريع لا بد من طقوس للعبادات ولكننا لا نلحظ مثل هذه العبادات وجدت في شريعة موسى في الخروج ولا نرى أي أثر من هذا إلا نفياً لعبادة الآلهة الأخرى في الوصايا العشر ودون أي ذكر لصلاة أو صوم أو ما شابه ذلك في هذه الوصايا.

فهل كانت شريعة موسى خالية من العبادات أتمها بعد ذلك الأنبياء المتأخرون؟

هذا ما ينفيه أي مشرع لرسالة حتى ولو كان الإله وضعياً فلا بدَّ من طقوس تؤدى في معبد في ساحة في مكان ما لهذا الإله المزعوم ويحمل بنو إسرائيل خيمة الشهادة على أكتافهم ينتقلون بها من مكان إلى مكان بجانب تابوت العهد والمذبح.

ولا أرى في هذه الديانة التي أنزلها يهوه إلا ذبحاً لضحايا على مذبح كان أحد الأركان الثلاثة التي طالب بها يهوه موسى خيمة الشهادة وتابوت العهد والمذبح.

وإنني أتساءل ما فائدة المذبح في أمة لا تجد ما تأكله في هذه الصحراء الواسعة التي ظلوا فيها أربعين سنة ولا مواشي لديهم.

لأنه خلافاً لما قاله الكتبة لو كانت لديهم المواشي لما احتاجوا إلى المن والسلوى ولذبحوا من مواشيهم وأكلوا دون استصراخ ذلك الإله المزعوم.

إذن بدأت المعابد عند بني إسرائيل بخيمة صحراوية ينقلها أصحابها معهم في حلهم وترحالهم.

يرى مرسيا إلياد أن اليهودية قد تطورت وتغيرت ويلاحظ بدئياً ردة ضد القيم الممجدة من قبل كل المجتمعات الرعوية فقانون الضيافة قانون مقدس عند كل البدو الرحل ولكنه انتهك بخيانة من راعيل التي دعت لخيمتها الرئيس الكنعاني الذي هرب بعد فشله وقتله أثناء نومه.

والمعبد المتنقل من عهد موسى سقط بعدم الاستعمال ومورست الآن العبادة في المعابد والمستقرات المقدمة.

إن المواجهة بصورة خاصة مع الدين الكنعاني سيكون لها نتائج بارزة ومن جهة أخرى فإن هذه المواجهة تتمدد حتى القرن السابع يوبيل الميلاد على أثر الاتحاد بين يهوه وإيل فإن المعابد قبل اليهوية عائدة لعبادة إيل كذلك فإن عدداً من المعابد الكنعانية أوقفت ليهوه وأكثر إثارة للدهشة ذلك الخلط الذي حصل في عصر القضاة بين يهوه وبعل فيصادف أسماء مؤلفة مع بعل حتى في العائلات المشهورة بعقيدتها اليهوية فجدعون الشهير يسمى أيضاً يربعل، قضاة ٦/٣٢/وإن هذا يدعو للافتراض بأن الكلمة بعل سيد كانت مفهومة كنعت أو كصفة ليهوه أو أن بعل كان ممجداً إلى جانب يهوه في البدء، يمكن أن يكون بعل قد قبل مجاله كإله مزارع اختصاصي ممتاز للخصب و لم يمض وقت طويل حتى مورست عبادته وأصبح الدليل المثالي للردة[1].

أوردت هذا النص بطوله لأن لي عليه ملاحظات عديدة:

---

(١). مرسيا إلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص٢٢٥/.

١.إن المعبد المتنقل لم يبق له ذكر طيلة عهد القضاة وعهد يشوع و لم يعد يذكر إلا التابوت فقط و لم نعلم ما مصير هذه المعبد.

٢.إن بعل كان مسيطراً بدلالة سفر القضاة فقد كان والد جدعون له معبده الخاص بالبعل وقد هدمه جدعون.

٣.إن عبادة البعل ظلت مستمرة حتى بعد القضاة بزمن طويل.

٤.إن كتبة الغرب دائماً متعاطفون مع الفكر اليهودي والحظ معي هذه الجمل وإن هذا يدعو للافتراض بأن الكلمة بعل سيد كانت مفهومة كنعت أو كصفة ليهوه، وكتبة التوراة يقولون إن والد جدعون يعبد البعل في معبد خاص له وهدمه جدعون، فكيف لمرسيا أن يقول ما قاله لولا تعاطفه المسبق وخلفيته التي ساقته إلى هذا التعاطف سامحه الله.

إن أسماء بعل لا تعني إطلاقاً أنها ليهوه ولكن لنقل إن يهوه سطا على بعل وأضاف إليه سماته الأصلية وبذلك غاب بعل في ثنايا يهوه.

لن أناقش بناء الخيمة واتساعها وهل عبد يهوه فيها أم لا فهذا ليس من اختصاصي الآن،وكل الذي عرفناه أن الرب سكن في خيمة الاجتماع وكان يناجي موسى ويكلمه، ومن الخيمة هذه فرضت القوانين، اللاويين الإصحاح/١-٩/ وهذه الإصحاحات كلها تنصب على القرابين ثم يبين لهم الحلال والحرام في المأكل /١٠-١١/ والنجس والطهارة في /١٢-١٦/ أما الإصحاح السابع عودة إلى الذبائح ووصايا عامة حتى بقية السفر، ولا نجد في هذه الإصحاحات كلها صلاة تقام في هذه

الخيمة،ولهذا نستطيع أن نقول إن الخيمة التي أقيمت ليست معبداً وإنما هي مسكن ليهوه فقط وبهذا أنزلوا إيل من السماء فوضعوا يهوه في الأرض في خيمة الاجتماع يدخل إليها موسى وهارون وبنوه ولهذا نستطيع أن نقول إن هذه الخيمة لم تكن إلا مركزاً للقيادة فقط ولا علاقة لها بالإله لا من قريب ولا من بعيد.

أما المعابد التي بنيت بعد ذلك وباعتراف التوراة فهي:

١. لم نسمع طيلة عهد القضاة حتى عهد داود بأي ذكر لخيمة الاجتماع هذه و لم نعد نسمع إلا عن تابوت العهد وحية النحاس التي صنعها موسى لتقيهم من لسع الحيات التي هاجمتهم.

٢.اعتبرت شيلوه في عهد القضاة مركزاً مقدساً و لم يشر هذا العهد إلى قدسية أورشليم صموئيل الأول ص١ و لم تشر التوراة إلى بناء خاص لمعبد كان بنو إسرائيل يأتون إليه وكأنهم طيلة أيام القضاة لم يكونوا يعبدون يهوه ولا عرفوه إلا في ساعات الشدة.

٣.حتى إذا وصلنا إلى الإصحاح الرابع من صموئيل نرى أنهم قد أتوا بتابوت العهد من شيلوه ليشاركهم في الحروب فخسروا المعركة وهزموا وسلب منهم تابوت العهد و لم يشر إطلاقاً إلى خيمة الاجتماع.

٤.أشار العهد القديم إلى عودة التابوت بعد عدة حوادث وعدة أشهر وضرب أهل بيت شمس حسب ادعاء التوراة لأنهم كشفوا التابوت ورأوا ما فيه صموئيل ١٩/٧-٢١/.

٥.ذكر الصوم والصلاة لأول مرة في صموئيل٧/٥-٧/ بعد أن نزع بنو إسرائيل البعليم والعشتاروت وعبدوا الرب وحده. ولكن كيف عبدوه؟ لم تشر التوراة إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد.وأطلت على يد صموئيل عبادة الحجارة فقد نصب عموداً بين المصفاة والسن ودعا اسمه حجر المعونة وقال إلى هنا أعاننا الرب.

٦. لم يجد شيء في عهد شاول وداود وحتى سنواته الأخيرة وفي هذه المدة لم نعرف شيئاً عن عبادة يهوه ولا أين كان يعبد وكل ما عرفناه أنه اشترى بيدر ارونان اليبوسي لإقامة مذبح لا لإقامة معبد، وقد تمسك بقرون المذبح أدونيا أخو سليمان مستجيراً فقبلت إجارة المذبح.

٧.استلم سليمان الملك وفي السنة الرابعة من ملكه بدأ ببناء البيت حسبما تقول التوراة على الطراز الذي وصفته ملوك أول /ص٦و٨/.

٨.بعد انقسام المملكة بين رحبعام ويربعام أقام يربعام عجلي ذهب ووضع أحدهما في بيت إيل والثاني في دان،و هذا يفيد أنه بنى بيتاً للعبادة في بيت إيل والثاني في دان.

هذا كل ما عرفناه من شؤون المعابد في العهد القديم فكيف بنيت هذه المعابد؟

إن المعابد بنيت طبقاً للنماذج الكنعانية فهي تحتوي على مذبح(مصفاة) حجارة منصوبة وعلى عشيرة (آنية من الخشب ترمز للرة الكنعانية بذات الاسم) وآنية للإراقة وبين الأشياء الطقوسية إشارة إلى أكثرها أهمية الترافيم والأفود وحول المعابد التي تقوم عليها حراسة بتنظيم التشخيص الشعائري وهو بالدرجة الأولى يتعلق بالكهنة واللاويين فهم يقومون بالأضاحي ويسيرون إرادة يهوه بالترانيم والأفود.

أما معبد سليمان فقد كان يتألف من الأماكن التالية:

١.قدس الأقداس أو المحراب وفيه الكروبان اللذان يجلس عليهما الرب يهوه وهو داخل الهيكل.

٢.غرف للكهنة الذين يخدمون يهوه.

٣.البحرة التي ملئت ماء للتطهير.

٤.ساحة الهيكل للمصليين.

هذه الأقسام لم تكن أقساماً جديدة على المعابد الكنعانية أو الآشورية ولهذا لا جديد في هذه المعابد بالإضافة إلى المذابح التي كانت تقام بشكل عام في أماكن كثيرة منها واحد بالقرب من الهيكل.

الكروبيون

الكروب مأخوذة من كلمة كرب (قرب) وهم الملائكة المقربون وقد مرت هذه الكلمة كثيراً في العهد القديم ومرت في أثناء ذلك بوصفين مختلفين تمام الاختلاف.

في بناء الهيكل وجد كروبان في المحراب لم تشر التوراة كيف شكلهما ولكنها أشارت إلى أنهما مجنحان طول جناح الواحد منهما عشرة أذرع خمسة أذرع للجنح الواحد لم تتطرق إلى صورة جسم الكروب ولا إلى وجهه، ملوك أول ص٦/٢٣-٢٨/.

وأضيف إلى ذلك كروبات أخرى على الأبواب وغشيت بالذهب وكذلك على الأتراس وضعت صور للكروبات دون أن تشرح لنا ولو مرة واحدة وصف هذا الكروب جسمه ووجهه، وقد تكرر هذا في أخبار الأيام الثاني ص٣/١٠-١٣/ دون أي تحديد للملامح.

أما إذا وصلنا إلى حزقيال فإننا نرى وصفاً واضحاً لهذا الكروب:

((فنظرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولها لمعان ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار ومن وسطها شبه أربعة حيوانات وهذا منظرها لها شبه إنسان لكل واحد أربعة أوجه،ولكل واحد أربعة أجنحة وأرجلها أرجل قائمة وأقدام أرجلها كأقدام العجل وبارقة كمنظر النحاس المصقول وأيدي إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة ووجوهها وأجنحتها لجوانبها الأربعة، وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه لم تدر عند سيرها كل واحد يسير على

جهة وجهه أما شبه وجوهها فوجه إنسان ووجه أسد لليمين لأربعتها ووجه ثور من الشمال لأربعتها ووجه نسر لأربعتها فهذه أوجهها، أما أجنحتها فمبسوطة من فوق لكل واحد اثنان متصلان أحدهما بأخيه واثنان يغطيان أجسامها، ولكل واحد كان يسير إلى جهة وجهه إلى حيث تكون الروح لتسير تسير لو تدر عند سيرها أما شبه الحيوانات فمنظرها كجمر نار متقدة كمنظر مصابيح هي سالكة بين الحيوانات وللنار لمعان ومن اللمعان كان يخرج برق، الحيوانات راكضة وراجعة كمنظر البرق))[1].

إذن فالكروبيم حسب تعبير حزقيال صورة لحيوانات غريبة لها أربعة أوجه وجه إنسان ووجه ثور ووجه أسد ووجه نسر، ونحن نعلم أن الكروب الآشوري كان يمثل الثور المجنح كما أن الكروب الكنعاني كان يمثل أشكال ثيران، وحاول حزقيال طمس هويتها الكنعانية فردها إلى أصول سومرية[2].

ولا أرى ما يراه شفيق مقار لأن حزقيال حاول أن يخلق من أفكاره حيواناً لا أصل له فلم تقل السومرية بهذه الوجوه الأربعة المختلفة وإنما كان ثور آشور مجنح الجسم جسم ثور له جناحان ورأس إنسان، أما الكروب هنا فهو مزيج معقد أربعة أجنحة بأربعة رؤس تسير حسب وجوهها وحسب البكرات التي شدت إليها وفي البكرات روحها.

---

(١). العهد القديم سفر حزقيال ص١/٤-١٤/.

(٢). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص٣٣٤.

أما مرسيا إلياد فقد أشار إلى أصلها الكنعاني وقال: ((من الممكن أن تكون تماثيل بأشكال ثيران قد استخدمت كمقعد للإله غير المنظور وأنه يتعلق على الأكثر بتأثير كنعاني الذي انتهك منع الصور، وهذا التجديد الملامس للردة عمق عدم الوفاق بين العرشين))[1].

ويقصد بالعرشين عرش الشمال والجنوب السامرة والقدس وأنا أخالفه الرأي في هذا.

فقد اخترق الجنوب منع الصور وجعل كروبين في قدس الأقداس في المحراب ووضعوا تابوت العهد عليها وقد وصفها الكتاب المقدس وجعل كل جناح خمسة أذرع كما صور البحرة تقوم على اثني عشر حيواناً على شكل ثيران ثلاثة لكل جهة.

والغريب أن مرسيا لم ير في هيكل الجنوب أنتهاكاً لمنع الصور ورأى في الشمال هذا الانتهاك، إنها عين الرضا!!

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ٢ ص٤١٤/.

الكهنة

لا أعتقد أن ديانة ما لعبت فيها الكهنوت بقدر ما لعب الكهنوت في الديانة اليهودية وإنه منذ سفر الخروج حينما خصص اللاويين للكهانة وحتى نهاية العهد القديم سترى أثر الكهانة بارزاً، فقد خصص سفر واحد بشكله الكامل للكهنة فسمي اللاويين أو الأحبار.

وقد خصص للكهنة امتازت كثيرة ولعب الكهان دوراً كبيراً في إرساء الديانة اليهودية وإذا ما عرفنا أن عزرا كاتب شريعة السماء كما يسمونه أحد الكهنة عرفنا أثر الكهنوت.

إذا ما عرفنا أن كتاب العهد القديم وخاصة الأسفار الخمسة الأولى التكوين الخروج، والعدد واللاويين والتثنية غالباً من عمل الكهنوت عرفنا قوة الكهنة في الديانة اليهودية.

ومما ثبت لنا أن سفر التثنية من صياغة الكهنوت وسفر اللاويين من عملهم أيضاً.

بقي لدينا ثلاثة كتب شارك فيها الكهنوت مشاركة كبيرة في صياغتها والكتب الثلاثة فيها:

١. التقليد الإيلي.
٢. التقليد اليهوي.
٣. التقليد الكهنوتي.

هذه التقاليد امتزج بعضها ببعض حتى إنه ليصعب على ذي عين بصيرة أن يميز بينها والغالب فيها هو التقليد الكهنوتي ويمكن أن نعطي الصفات الرئيسية لهذه التقاليد.

التقليد الإيلي:

١. فنه أقل حيوية من فن اليهوي.
٢. يختلف الله عن الإنسان فهو يجتنب التشبيه أي الكلام على الله كأنه إنسان، هو الإله يتجلى بواسطة الأحلام.
٣. لا يمكن تصور الإله.
٤. الإيلوهي كثير الاهتمام بالمسائل الأخلاقية[١].

التقليد اليهوي:

١. إنه قصاص رائع رواياته شديدة الحيوية والواقعية وكثيرة الصور وكثيراً ما يصور الله بصورة إنسان (التشبيه) فهو في رواية خلق العالم بستاني ثم فخاري ثم طبيب جراح ثم خياط.
٢. الإله إنساني يتنَزه بصحبة آدم وكأنه بصحبة صديق له.
٣. الإله سفاح دماء يسر برائحة الدم واللحم.
٤. الإله يختلف عن الإنسان فهو السيد الآمر الناهي[٢].

---

(١). شربنتية اصطفان: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص٥٠.

(٢). المصدر السابق ص٣٩.

التقليد الكهنوتي:

١. الإنسان ناشف فللكهنوتي ليس براوية إنه يحب الأرقام والإحصاء وكثيراً ما يكرر الأمور نفسها: قال الله صنع الله.
٢. المفردات فنية وطقسية في أغلب الأحيان.
٣. الأنساب كثيرة وهي مهمة في نظر شعب مجلو مغترب.
٤. العبادات أساسية عند الكهنوتي(١).

ولو فحصنا الأسفار الأربعة ما عدا سفر التثنية لرأينا أن نصيب التقليد الكهنوتي فيها الأوفر، فكل ما وصف بدقة وفيها حرص على إعطاء التفصيلات إنما هو من عمل الكهنوت ولهذا وضعوا للكهنة النصيب الأوفى من الامتيازات.

١. تختلف ثياب الكهنة عن ثياب الناس الآخرين.
٢. لهم امتيازات في القرابين خاص بهم وفي الأموال.
٣. لهم في كل سبط مدن خاصة بهم.
٤. الحل والربط في المعضلات الكبيرة لهم لهذا كان رأيهم في غالب الأحيان أعلى من رأي الملك ولاسيما إذا كان متديناً.
٥. لا يجوز الاعتداء عليهم وإلا حل بهم ما حل بقورح وجماعته فقد خسفت بهم الأرض لسبب بسيط هو أنهم حاولوا التمرد على موسى وهارون، وبينه عدد الإصحاح السادس عشر كله.

---

(١). المصدر السابق ص٧٠.

ولا أدري ماذا كان اللاويون يفعلون خلال فترة القضاة حين لا مسكن ليهوه ولا خيمة اجتماع ولا مسكن له، وقد وصفتهم الأسفار سواء كان القضاة أم سفر صموئيل الأول والثاني بالجشع وحب النساء والتهالك على المادة وكثير منهم لم يكن همه إلا العيش الرغد.

والسؤال الذي يطرح الآن من أين أتت الكهانة هذه؟ هل هي أوامر وحي أم تقليد للأمم المجاورة؟

ومما لاشك فيه أن الأمم التي كانت تحيط بكتبة التوراة كلها كان فيها كهانة وسدنة الآلهة ولهذا لا نبعد القول إن كتبة التوراة قد استنفدوا كهانة الأمم كلها آنذاك وانتقوا أفضل الامتيازات فشرعوها لأنفسهم وكان في اليهود كهنة ذكور وكهنة إناث ((وقد كان للكهنوت ذات الاسم في اللغة الأوغاريتية كوهن وإلى جانب الكهنة كان يوجد الكاهنات والقديسون من الأشخاص وفي التوراة يدل هذا المصطلح على العهد المقدس ولكن النصوص الأوغاريتية لا تدل على شيء مشابه وأخيراً يشار إلى الكهنة أو الأنبياء والعرافين.

إن المعابد الأوغاريتية كانت مزودة بمذابح ومزينة بصور الآلهة والرموز الدينية وخارج الأضحيات التي سيحرص الأنبياء على الغضب فيما بعد، ولكنه لا يجب أن ننسى أن الفراغات الوثائقية تسمح لنا بتقدير تقريبي للحياة الدينية الكنعانية))[1].

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ص١٩٨.

ولهذا تشابهت الكهانة عند بني إسرائيل في الكهانة عند الكنعانيين وأخذ بنو إسرائيل الشيء الكثير في هذا المجال من سكان الأرض السابقين ويؤكد مرسيا إلياد هذا التأثير في مواقع كثيرة من كتابه تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية.

وفيما سبق القرون الأولى من الغزو الاستعماري يلاحظ تأثير كنعاني هو في آن واحد عميق ومتعدد الأشكال.

وفي الواقع لقد أخذ عن الكنعانيين النظام الشعائري والمزارات المقدسة والمعابد وإن الطبقة الكهنوتية تنظمت طبقاً للنماذج الكنعانية.

وأخيراً فإن الأنبياء والذين لم يتأخروا عن معاداة الكهان والعمل ضد سيادة الكهنة وضد التوفيقية مع طقوس الخصب هم أنفسهم حصيلة التأثير الكنعاني ومع ذلك فإن الأنبياء يظهرون بأنهم اليهويون الأكثر نقاءً وكان لديهم حق من بعض وجهات النظر، ولكن اليهوية التي أعلنوها كانت قد تمثلت العناصر الأكثر إبداعاً للدين والثقافة الكنعانية اللتين مورستا بفظاظة من قبل الأنبياء(١).

بقيت نقطة أخيرة أقولها في هذا المجال إن طبقة الكهانة كثيراً ما كانت تضغط على الملك وعلى النبي وتتدخل في سياسة الدولة ولهذا نرى النبي أرميا يضربه أحد الكهان وهو فشحور بن أمير الكاهن وهو ناظر أول في بيت الرب يضرب أرميا يتنبأ بهذه الكلمات فضرب فشحور أرميا

---

(١). إلياد مرسيا: المصدر السابق /جـ١ ص٢٢٧/.

النبي وجعله في المقطرة التي في باب بنيامين الأعلى الـــذي عنـــد بيـــت الرب[1].

وضرب أرميا وسجن وألقي به في غيابات الجب والوحل وحـــول من سجن إلى سجن حتى دخل بختنصر القدس فأخرج أرميا من السجن.

بل إن الكهنة هم الذين تآمروا على اليسوع عليه السلام حتى ألقوا به كما يدعون على خشبة الصليب وتحملوا كما يقولـــون دمـــه هـــم وأبناؤهم.

ولازال أحبار اليهود وكهاهم يوردون اليهود مورد التلف وما قيام إسرائيل في القطر العربي الفلسطيني من جديد إلا تدبيراً من تدابير كهنـــة اليهود وأحبارهم.

---

(١). العهد القديم أرميا ص٢٣/١-٢/.

الأضاحي

تقسم الأضاحي عند اليهود إلى قسمين:

١.ضحايا بشرية.

٢.ضحايا حيوانية.

وسنناقش كل نوع على حدة

١.الضحايا البشرية

لعل أول ضحية بشرية أوردها التوراة هي محاولة تقديم إسحاق من قبل والده إبراهيم وقد فداه الرب بكبش كما تقول التوراة، ورغم اعتراض المسلمين على إسحاق ويقولون إن الذبيح إسماعيل يعضد هذا القول ما قاله الرسول محمد ﷺ: ((أنا ابن الذبيحين)) لكني أقول: إن هذه الطريقة التي عرض بها وهي طريقة المحرقة هي طريقة تأثر بها كتبة التوراة من مصادر أخرى غير المصدر الموسوي.

لقد رأينا أن أوتنا بشتيم حينما ضحى لآلهته كانت الطريقة المحرقة التي أوردها التوراة كما أوردها مع نوح أيضاً.

وفي سفر التكوين أضحية وحيدة وصفت بالتفصيل هي أضحية إسحاق ٢٢/١-١٦/. طلب الرب إليه أن يقدم ابنه محرقة وهيأ إبراهيم ابنه للتضحية عندها تم إبدال إسحاق بكبش.

إن هذا المشهد قد أفسح مجالاً لمعارضات لا حصر لها فقد لوحظ بين ملاحظات أخرى إن محرقة ردت ست مرات وعليه فإن هذا النموذج

من التضحية يبدو أنه مستعار من الكنعانيين بعـــد الاســـتقرار النـــهائي للقبائل.

وقد جرى الحديث عن التوصيف لمثالية الماضي ومع ذلك لا يسوغ أن ننسى أن سفر التكوين يشتمل على العديد مـــن التواريـــخ القـــذرة والمقززة والتي يظهر أن المؤلفين كانوا مهتمين بإعطائهم القيم المثلى ومهما يكن من أمر أصله فإن المشهد يوضح بقوة لا مثيل لها في العـــهد القـــديم المعنى العميق في الدين.

إن إبراهيم لم يتهيأ للتضحية بابنه بهدف لنتيجة محددة كما فعـــل منحيا ملك المؤابيين بتضحية ابنـــه البكـــر لتقويـــة الانتصـــار، ملـــوك ثاني٣/٢٣/. أو يفتاح الذي التزم اتجاه يهوه بأن يقدم له محرقة الشـــخص الأول الذي يصادفه أولاً بعد عودته منتصراً دون أن يتصـــــور أن هـــذا سيكون ابنته الوحيدة، قضاة ص١١/كله/ إنه لا يتعلق بالتضحية بـــالابن البكر الشعيرة التي لم تعرف إلا بعد فترة متأخرة جداً والتي لم تصبح أبـــداً شائعة لدى الإسرائيليين[١].

ولي بعض الملاحظات على هذا النص:

١. إن مرسيا إلياد ينسب هذه التضحية البشرية إلى كنعان فالمحرقة هي من صنع الكنعانيين ولما كانت أكثر الأضاحي قد احترقت فالأضاحي كلها جاءت دخيلة على نظام موسى وإنما هي قـــد

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـــ١ ص٢١٦/.

ذبحت على الطريقة الكنعانية بما فيها ذبيحة إيليا التي ناقشناها سابقاً.

٢. يتعاطف مرسيا إلياد دائماً مع الفكر اليهودي شأنه في ذلك شأن أي باحث أوربي فهو تدفعه خلفية فكرية مسبقة وانظر إلى كلمة النقل الأمين كيف أتى بها.

٣. ينسب هذه التضحيات أيضاً إلى ميخا ملك المؤابيين والواقع هو ميشع صاحب النقش المشهور الذي أورده إسرائيل ولفنسون في كتابه بعد أن ترجمه ترجمة خاطئة، وقد أخطأ مرسيا في قراءة النص التوراتي أو أن لديه نص غير النصوص التي بين أيدينا فالنص الذي بين يدينا يقول: ((فلما رأى ملك مؤآب أن الحرب قد اشتدت عليه أخذ معه سبع مائة رجل مستل السيف لكي يشقوا إلى ملك آدوم فلم يقدروا فأخذه ابنه البكر الذي كان ملك عوضاً عنه وأصعده محرقة على السور فكان غيظ عظيم على إسرائيل فانصرفوا عنه ورجعوا إلى أراضيهم))[1].

٤. حبذا لو اطلع مرسيا على نص ميشع لألفى فيه غير ما نقل في التوراة وعلى الباحث أن ينقب لا أن يأخذ النص على علاته.

٥. يحاول أن ينفي التضحية بالابن البكر الشعيرة التي طالبت بها التوراة حتى و لم يشر إلى السفر والإصحاح الذي يطالب بذلك

---

(١). ملوك ثان ص٣/٢٦-٢٧/.

وإليك النص الذي يقول بذلك ((وكلم الرب موسى قائلا قدس لي كل بكر فاتح رحم من بني إسرائيل من الناس ومن البهائم إنه لي))[1].

وضع هذا النص في سفر الخروج والسفر يتحدث عن خروج بني إسرائيل، بل في يوم الخروج بالضبط فكيف كانت متأخرة وكيف لم تكن شائعة عند بني إسرائيل إنها عين الرضا.

وأخطأ في قصة يفتاح الجلعادي فوضعها في الملوك الثاني ١١/٣٠/ بينما هو في القضاة ١١/كله/.

واسمع إلى هذه الكلمات من النص: ((وكان عند نهاية الشهر أنها رجعت إلى أبيها ففعل بها نذره (أحرقها) الذي نذر وهي لم تعرف رجلا فصارت عادة بني إسرائيل)) فهل يجد مرسيا وسيلة للدفاع عن هذه الجريمة وكيف صارت عادة؟ هل التضحية للبنات اللواتي لا يعرفن رجلا فقط أم يتناول الموضوع الشباب والفتيان؟

ضحية ابنة يفتاح الجلعادي وقد ناقشنا ذلك.

كل بكر من بني إسرائيل بعمر الثمانية أيام بعد أن يختتن يقدم ضحية ليهوه.

وحسب سفر التكوين كان الآباء يقدمون أبناءهم من عمر ثمانية أيام ضحية ليهوه المتوحش الذي لا تشبعه دماء البشرية.

---

(١). العهد القديم سفر الخروج ص١٣/١-٢/.

٢.الأضاحي الحيوانية

ما أكثرها ولو رجعت إلى سفر التثنية أو سفر اللاويين للاحظت أنواع الأضاحي المطلوبة بالإضافة إلى أن ليهوه فاتح كل بكر حتى من البهائم ولو رجعت إلى العهد القديم لرأيت شروط الأضحية

١.الضحية على الطريقة الموسوية وفيها يأكل المضحي وأسرته الضحية دون أن يحرقها والعادة يجتمع الناس في عيد الفصح حينها يذبح صاحب البيت ويضحي بما يريد وتكون الأسرة مجتمعة فيأكلون هذه الضحية والأصل في الضحية هذه الطريقة.

٢.الضحية على طرق الشعوب الأخرى وكانت تحرق وقد رأيت الكثير من الضحايا التي تحرق ومن أمثلتها أضاحي نوح بعد الطوفان ابنه يفتاح الجلعادي.

ويقول مرسيا إلياد ((حسب سفر التكوين إن الآباء كانوا يقدمون الأضاحي ويرفعون المذابح وينصبون الحجارة ويمسحونها بالزيت ومن المرجح تطبيقهم للذبيحة الدموية حصراً من نموذج فصحي وبدون كهنة وبدون مذبح، فكل ناذر يذبح ضحيته المتخذة من القطيع بذاته و لم تكن تحرق وإنما كانت تؤكل من قبلهم مجتمعين المضحي وأسرته))(١).

وظل هذا النوع من الضحايا مع تدخل الكهنة فكان النصيب الأوفر للكهنة وأبقوا منها شيئاً قليلاً كشحم الكليتين والأمعاء، فقد كانوا

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص٢١٥/.

يحرقونها، ثم ذبح الثور والكبش ذبيحة السلام للشعب وناوله بنو هارون الدم فرشه على المذبح مستديراً والشحم من الثور ومن الكبش الإله، وما يغشى الكليتين وزيادة الكبد ووضعوا الشحم على الصدرين فأوقد الشحم على المذبح، وأما الصدارية والساق اليمنى فرددها هارون ترديداً أمام الرب كما أمر موسى(١).

وكانت الذبيحة تشق نصفين طولياً ويمشون بين الشقتين لتسجيل التعاقد سحرياً شعائر سومرية بابلية آشورية كنعانية وشعائر عربية قديمة وكل ما فعله المؤلف التوراتي وهو آخذ في تلفيق بداية يهوية من زمن إبراهيم وأكد هذه الشعائر أرميا حيث يقول ((العجل الذي قطعوه إلى اثنين وجازوا بين قطعتيه))(٢).

وقد كانت الضحية والقربان هي الركن الأساسي في العبادة اليهودية إلا أن الأنبياء المتأخرون رأوا سلب الكهنة نادوا بعدم التضحية ولم يعد يطلب هذه الأضاحي والقرابين لأنها ذبحت لغير يهوه ولم يقصد لها هو إنما قصدوا بها وجوه الآلهة الأخرى كبعل وغيره من الآلهة.

يقول عاموس: ((بغضت كرهت أعيادكم وليت ألتذ بها باعتكافاتكم إني إذا قدمتم لي محروقاتكم وذبائحكم وتقدماتكم لا أرتضي وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها أبعد عني ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع، وليجر الحق كالمياه والبئر كنهر دائم، هل قدمتم لي

---

(١). العهد القيد سفر اللاويين ص٩/١٨-٢١/.

(٢). العهد القديم أرميا ص٣٤/١٨/.

ذبائح وتقدمات في البرية أربعين سنة يا بيت إسرائيل بل حملتم خيمة ملوككم وتمثال أصنامكم نجمة إلهكم الذي صنعتم لنفوسكم فأسبيكم إلى ما وراء دمشق قال الرب إله الجنود واسمه))[1].

ويقول مرسيا إلياد إن العبادة بالدرجة الأولى الأضاحي الدموية كانت أيضاً قد انتقدت فلم تكن مغشوشة بالعناصر الكنعانية ولكن الكهنة والشعب اعتبروا النشاط الشعائري وكأنه في معابدهم فالرب يحتقر الأضاحي والأعياد والحفلات، إن الأنبياء ما قبل النفي لم يحددوا بدقة مطلقاً ماذا يجب أن يكون النشاط الطقوسي للمؤمن؟

فالمسألة لم تصرح حتى ولا بعد الزمن الطويل الذي لم يعد فيه الشعب ليهوه إن الأنبياء لم يتبعوا التعديل في العقيدة وإنما تحول البشر وليس إلا بعد سقوط أورشليم حيث أخذ حزقيال بعض مهمة إلهية معدلة.

---

(١). العهد القديم سفر عاموس ص٥/٢٥-٢٧/.

اللغة

لعل أهم اختلاس سرقه اليهود من بلاد كنعان اللغة التي اختلسوها وقالوا إنها لغتهم ومن يطالع العهد القديم يلحظ أنهم قالوا عن لغة الكتاب المقدس إنها لغة كنعان شفة كنعان ثم تحولوا بعد ذلك إلى فقالوا إنها للغة المقدسة ومن ثم قالوا إن لغتهم عبرية وحينما كنت طالباً في الجامعة قرأت نادرة (طرفة) في اللغة العبرية مفادها أن رجلاً يركب حصاناً مرَّ على رجل يهودي عاجز فأردفه خلفه وبعد أن جرى الحصان بهما قال يا هذا ما أسرع حصانك وبعد برهة أخرى قال يا هذا ما أسرع حصاننا، قال صاحب الحصان بعد أن أوقفه: أنزل يا هذا قال اليهودي و لم قال ستقول بعد قليل ما أجمل حصاني وتدعي أن الحصان ملكك.

وهذا ما فعله اليهود في اللغة فسرقوا اللغة الكنعانية وكتبوها بخط آرامي وادعوها ملكاً لهم بعد أن مروا بالمراحل التي قالت عنها الطرفة السابقة.

يقول ربحي كمال صاحب كتاب اللغة العبرية ومدرسها في جامعة دمشق ((لما هاجر العبريون إلى أرض كنعان حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد كانوا يتكلمون آنئذ لهجة تقرب من إحدى اللهجات الآرامية القديمة ثم راحوا يستعملون لغة البلاد التي هاجروا إليها وأخذوا ينسون لغتهم الأصلية تدريجياً و لم يأت القرن الحادي عشر قبل الميلاد حتى

أضحت اللغة الكنعانية هي اللغة المستعملة وتعد اللغة العبرية أهم اللهجات الكنعانية))[1].

ويعني هذا النص ما يلي:

١. إذا كان بنو إسرائيل قد عاشوا في مصر أربع مائة سنة على حد تعبير التوراة فكيف احتفظوا بلغتهم التي هي إحدى اللهجات الآرامية و لم ينسوها ويتعلموا المصرية فكيف نسوا لغتهم الأصلية في فلسطين في القرن الحادي عشر قبل الميلاد و لم يمض عليهم إلا زمن بسيط؟

٢. ما دلالة الدكتور على أهم كانوا يتكلمون الآرامية أو إحدى لهجاتها، واللغة الآرامية لم تظهر كتاباتها المدونة إلا في القرن التاسع قبل الميلاد.

٣. الثابت أننا لا نعرف شيئا عن لغة بني إسرائيل قبل لغة كنعان و لم يثبت أي أثر لنا ذلك.

٤. يرى الدكتور ربحي كمال أن الطور الأول للغة العبرية كانت خالية من عوارض العجمة وكانت ألفاظها تقريبا من أصل عبري خالص ويرى مؤرخو الأدب العبري أن هذا الطور يمتد حتى القرن العاشر قبل الميلاد حتى سقوط مملكة يهوذا ٥٨٦ ق.م.

---

(١). كمال ربحي: اللغة العبرية ص٣٧.

وفي هذا الطور بلغت اللغة العبرية ذرا مجدها ووصلت إلى غاية ما استطاعت الوصول إليه من النحو والتهذيب واتساع النفوذ وفي الفترة الأخيرة من هذه المرحلة تم تدوين أسفار العهد القديم(١).

ولا أرى ذلك فاللغة التي كانوا يستعملونها هي شفة كنعان وفي تلك الأيام لم تسجل نصوص أثرية في اللغة العبرية وإنما سجلت في اللغة الكنعانية انظر نقش ميشع ملك موآب الذي سرقه ولفنسون وادعى عبريته ارجع إلى كتابي تحريف اللغة.

واللغة الآرامية هي التي سادت في تلك الفترة على البلاد الشامية كلها من فلسطين وسورية والعراق وقد رأينا آثارا آرامية صرفة منذ عام ٨٥٠ ق.م حتى ما بعد كورش الفارسي في عام ٥٣٨ ق.م ولم نر أثرا واحدا يحمل الطابع العبري الذي تلكموا عنه.

ولا أرى اللغة العبرية في الوقت الحالي إلا لهجة آرامية خالصة أخذوا هذه اللهجة التي ادعوا أنها عبرية وسموها باسمهم، ارجع إلى كتابي جذور اليهود أمام النقد التاريخي.

أما أسد أشقر صاحب الخطوط الكبرى في تاريخ سورية فيرى ((أما اليهود فقد سرقوا الدين واللغة عن المديانيين والكنعانيين والبابليين والمصريين وشوهوا ما سرقوه حسب نفسية إلههم يهوه شاذين عن النفسية السورية المتطورة الخلاقة المعطاء فقد كان لهم دين وكان لهم إله ولكن دينهم كان لهم وحدهم، وكان لهم إله ولكنه إله يخصهم وحدهم

---

(١). كمال ربحي: اللغة العبر[illegible]

ويقودهم إلى الفتح والتدمير والمذابـــح وإفنـــاء مضيفيـــهم الكنعـــانيين والآموريين))[1].

ويرى الباحث حسن حدة اللغة الآرامية التي كتبت بها التوراة والتي أطلق عليها العبرية لو تكن موجودة و لم تظهر إلا في القرن السادس قبـــل الميلاد و لم يكن لها وجود في زمن داود وسليمان في القرن العاشر خلافـــاً لما ارتآه الدكتور ربحي.

إن اللغة الآرامية التي كتبت بها التوراة والتي أطلق عليها العبريـــة لم تكن موجودة و لم تظهر إلا في القرن السادس قبل الميلاد و لم يكـــن لهـــا وجود في زمن داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد.

إن الديانة اليهودية المقتبسة من الشرائع البابلية والمصرية والكنعانيـــة لم تكتسب الصفة العملية إلا بعد زمن متأخر أي بعد كتابة التوراة البابلية لأول مرة وبعد الأسر في القرن السادس قبل الميلاد.

وهكذا كان العصر الذي يمثل البداية الأولى للديانة اليهوديـــة لأن اللغة الآرامية التي لقبت بالعبرانية لم تكن موجودة أو لم تكن قد دونـــت إلا قبل تدوين التوراة.

إن اللغة الكنعانية هي اللغة السائدة في القرن العاشر قبل الميـــلاد في فلسطين وإن كافة المراسلات الخارجية كانت بهذه اللغة أيضاً ولدينا أكـــبر الوثائق وأدقها وهي رسائل تل العمارنة المرسلة إلى مصر باللغة الكنعانيـــة

---

(١). أشقر أسد: الخطوط الكبرى في تاريخ سورية قسم ثان /جـــ١ص ٢٥/.

والخط المسماري هذه الرسائل كانت تعاصر الموسويين في أرض كنعان))[1].

واختلف مع الدكتور حسن حدة في الفقرة الأخيرة فالعبريون الذين شكا منهم عبد خيبا والي المصريين في فلسطين ليسوا العبريين لأن الرسائل في زمن أخناتون على قول بعض المؤرخين (يوسيفوس، فرويد) ولم يكن موسى إلا قائداً إلى أخناتون فكيف يشكو عبد خيبا من قائد عند أخناتون وهو عند ذلك في فتحه للحبشة ولم يكن قد خرج من مصر لأن الخروج بعد زمن أخناتون بالاتفاق، وإن اختلفوا في ترتيبهم الزمني بعد ذلك وفي فرعون الخروج.

كما أن الوثائق كانت في الحروف المسمارية وهذا دليل على أنه حتى القرن الرابع عشر قبل الميلاد لم تكن الحروف التي كانت تكتبها القبائل الآرامية معروفة حتى ذلك الوقت وأول ما ظهرت الحروف كما نعلم في رأس شمرة أوغاريت وقد حلت هذه الحروف لوجود ما يقابلها في الأحرف المسمارية.

فكيف ينسبون الخط القديم إلى زمن لم يكن فيه موجوداً؟

والآن نتساءل متى ظهر الخط القديم ومتى ظهر الخط المربع؟

والخط الذي تكتب فيه العبرية الحالية هو خط مربع وليس الخط القديم، لقد كشفت آثار من الخط القديم نقش ميشع في حوالي القرن

(١). حدة حسن: موسى والتوراة ص٨٦-٨٧.

السابع قبل الميلاد تقريباً وهو مكتوب بخط قديم والنقش موجود ومصور وكل الكتب التي تبحث في اللغة العبرية صورته واتخذته وثيقة.

غير أن هؤلاء اعتمدوا الأثر على أساس أنه خط قديم عبري ناسين أو متناسين أنه خط كنعاني لا يمت إلى العبرية بصلة، فهل ميشع ملك مؤاب كان يتكلم العبرية ويسجل انتصاره على جماعة إسرائيل كما ترجموه في لغتهم؟

ولقد ناقشت هذا في كتابي التوراة تحريف وتزوير اللغة بشكل واسع فمن أراد الاتساع في هذه الفكرة فليعد إليه.

ولو رجعنا إلى أقوال اليهود لرأينا أنها تخالف الحقيقة مخالفة صريحة وواضحة فهم يعيدون وجود لغتهم إلى زمن ما قبل البشر، وهذا ما قرره الزوهار والزوهار كتاب لفرقة القبالة ومعناه في الآرامية النور أو الضياء والتسمية مأخوذة من التوراة، وتتصل أسرار الزوهار بالتوراة وكل كلمة أو حرف من حروفها يحمل باعتقاد من أساطير الزوهار أن الاثنين والعشرين حرفاً من الأبجدية العبرية المشتقة من الآرامية نزلت من السماء قبل الخليقة بستة وعشرين جيلاً وأنها نقشت بنار ملتهبة[1].

---

(١). حميد محمد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة ص٣٧٥.

موازنات ومقارنات

بعد أن قدمت ما قدمت أحب أن أنهي المصدر الكنعاني بمقارنات من الكتابات الكنعانية وكيف سرقت إلى التوراة وأرجو أن أوفق في ذلك.

كشفت المدونات الكنعانية في أوغاريت بكل جلاء أن أكثر ما دونه اليهود في التوراة من القطع الأدبية من المزامير والأشعار والتراتيل ترجع إلى أصل كنعاني لا لبس فيه ولا غموض.

١. بعل راكب السحاب يهوه راكب القفار

بل إن سفر الملوك يقول إن يهوه يسكن الضباب.

ويقول الدكتور سوسة: ((وقد جاء المزمور التاسع والعشرون بأجمعه مطابقاً لما ورد في المدونات الأوغاريتية في ترتيلة كنعانية للإله بعل كما أن تسمية لوياثان بالحية المنحوية وردت هي نفسها في الكتابات الكنعانية ومقدار التراتيل الكنعانية التي عثر عليها في أوغاريت تساوي نصف حجم كتاب المزامير في التوراة))(١).

والدكتور سوسة لا يقارن بين المزمور التاسع والعشرين وبين النص الأوغاريتي وإنما يبدي هذه الملاحظة دون أن يدعمها بدليل.

أما الذي قام بالمقارنة والموازنة فهو نسيب الخازن في كتابه أوغاريت كما قام كتاب آخرون بنقل بعض النصوص ومقارنتها.

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص٣٩٩/.

٢. الأسماء التي نقلها نسيب الخازن فهي كما يلي وهي مـــأخوذة من سفر التكوين الإصحاح /١٤-١٥/ وهي بلا شـــك ســـابقة لعـــهد الإسرائيليين ويكفي أن نلقي نظرة لنجد ثلاثة أرباع المسميات كنعانيـــة الأصل:

كنعانية		توراتية
بيت إيل		بيت إيل
عليون		العالي العلي
الأبدي		عولام
الذي يراني		رئي
ليسمع إيل		يشمع إيل
إيلي جبل		إيلي طور
شديد		شداي
أيلي آب		إلهي أبي
موطني إيل		عمي إيل معي إيل
أخي الإله		أخي عازر
ليحم إيل		يعقوب إيل
يضحك إيل		يصحق إيل[1]

(١). الخازن نسيب وهبة: أوغاريت ص٤٢.

٣.مزمور آساف ٨٢/٦-٧/

جلس الله في المجلس الإلهي بين الآلهة ليحكم بالعدل وناداهم بهذه الكلمات: كنت أقول لكم إنكم آلهة وإنكم جميعاً أبناء عليون ولكن لا فكالإنسان تموتون وتسقطون كما يسقط أمير.

هذا يثبت الاطلاع الدقيق على الميثولوجيا الفونية إذ أن عليون وحدة كيانية فونية يقول عنه فيلون إنه جد آلهة الفونيين، ثم إن فكرة موت بعض الآلهة الفونيين وقيامهم معروفة وهي رمز الموت للطبيعة في الشتاء وعودها إلى الحياة في الربيع[1].

ولما رجعت إلى الترجمة التوراتية وجدت الترجمة الآتية في النسخة العبرية الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة يقضي: أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم، لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون وقد حاول المترجمون تغطية النص في كلمة مجمع الله والأصل في مجمع الله ولم يستطيعوا أن يحذفوا التعدية في وسط الآلهة.

٤.وإليك نص أشعيا المأخوذ من النص الأوغاريتي:

ص ٦٤/١٢-١٥/		نص ترجمة دي فو للنص
كيف هويت من السماء		كيف هويت من السماء
أيها اللامع ابن الفجر		يا هلال بن سحر
قلت في نفسك		قلت في نفسك
سأصعد إلى السماء		سأصعد إلى السماء

(١). الخازن نسيب وهبة: أوغاريت ص٤٨.

فوق نجوم الله		فوق نجوم إيل
سأكون مساويا للعلي		سأكون مساويا لعليون(1)

هلال وسحر إلهان أوغارتيان فالسحر مر معنا أنه ابن الإلـه إيـل شالم كما نلحظ كلمة عليون صفة لإيل.

ولما رجعت إلى النص المترجم لدينا في النسخة العبرية وجدت:

كيف سقطت من السماء

يا زهرة بنت الصبح

كيف قطعت إلى الأرض

يا قاهر الأمم

وأتت لك في قلبك

أصعد إلى السموات أرفع كرسي

فوق كواكب الله

وأجلس على جبل الاجتماع

في أقاصي الشمال

أصعد فوق مرتفعات السحاب

أصير مثل العلي....

فإذا كانت الترجمة لنص واحد تختلف كل هذا الاختلاف فمـن يعطينا المعنى الدقيق هل المخاطب اللامع ابن الفجر وهو غير معـروف؟ أم الهلال في وقت السحر؟ أم زهرة بنت الصبح النجم المعروفة؟

(١). الخازن نسيب وهبة: أوغاريت ص٤٣.

٥.يقرر نسيب الخازن أن إيل الأوغـارتيين هـو بـالذات إيـل الإسرائيليين في عهد الآباء الأول.

٦.ويقول ديسو وهكذا يبدو أن واضعي الإصحاح الأول من سفر التكوين وجدوا الوثائق الكنعانية مجموعة من المواد التي استعملوها لتحرير هذا الفصل[1].

ويمضي الخازن في مقارنته بين نسخ التوراة وترجماها وكيف نقلـوا النص الكنعاني ثم صوروه بعد ذلك فيقول في سفر التثنية ص٣٢/٨-٩/.

لما قسم عليون بين الأمم حدد تخوم الشعب حسب عدد أبناء إيـل وكان نصيب يهوه وشعبه يعقوب وميراثه إسرائيل.

أما توراة أورشليم فقد ترجمته:

لما أعطى العلي للأمم ميراثها لما قسم أبناء الإنسان وحدد تخومـهم حسب عدد أبناء الآلهة ولكن حصة يهوه شعبه ويعقـوب نصيبـه مـن الميراث.

وترجم علماء التوراة الثريا بالنص:

لما كان العالي يقسم بين الأمم لما كان ينثر أبناء آدم وضع حـدودا للشعوب حسب عدد أبناء إسرائيل ذلك لأن حصة يهوه كانت شـعبه ويعقوب نصيبه من الميراث.

ولما رجعت إلى التوراة العبرية رأيت النص على النحو التالي:

---

(١). المصدر السابق ص ٥١.

حين قسم العلي للأمم حين فرق بني آدم نصب تخوما لشـــعوب حسب عدد بني إسرائيل إن قسمة الرب هو شعبه يعقوب جبل نصيبه.

فتأمل الفارق بين ترجمة هذه النصوص.

٧.حتى إن يهوه قد أخذ إله المديانيين والقينيين قد جاء من استنتاج العلماء الذين استندوا إلى الظهور الإلهي والمصاهرة بين يثرون وموســـى ولكن وجود أسماء إلهية قريبة أو مشابهة لهذا الاسم خارج التوراة في العهد السابق للخروج أمرا ليس محققا[(١)].

وأضيف لو كان يهوه إله مدين لما وضع موسى السؤال ليهوه عـــن اسمه والذي أحققه أن إله مدين هو إيل لتسمية موسى رعوئيل فهو مؤلف من رعو + إيل.

٨.اعترف العبريون من حضارة كنعان إذ كانوا قبـــل الفتـــح في نصف بداوة ثم احتكوا بسكان بلاد متقدمة في الثقافة، إن نصـــوص رأس شمرا أقدم من نصوص تل العمارنة التي اكتشفت في مصـــر قبـــل ذلـــك لتوضح لنا وتفسر نصوصا توراتية:

١.من حيث اللغة التوراتية.

٢.أساليب التوراة وآدابها.

٣.التقاليد الدينية والمعتقدات والطقوس.

٤.التقاليد التاريخية والجغرافية المبعثرة في نصوص التوراة[(٢)].

---

(١). المصدر السابق ص ٥٤.

(٢). المصدر السابق ص ٨٦.

نصوص أوغِاريتية		نصوص توراتية ملوك ثان ١٥/٥/
يمكث في مدينة شارون في حي سعت وفي أجران جفشت. ولهذا فترجمة بيت المرض خطأ		فضرب يهوه صباوت الملك فكان أبرص إلى يوم وفاته وأقام في بيت المرض

ما يقابلها في أوغاريت		صور وردت في التوراة
كقلب الظبية لرشئها		كلب أره لعجله
كقلب الشاة لحملها هكذا قلب عناة.		كم لبثت عنت كلب شاة لمرة
		من المزامير
السموات سمنا تمطر عسلا الينابيع تسيل.		يسيل الحليب والعسل، وفي ذلك اليوم تقطر الجبال سلافا وتفيض الأكام لبنا، مزمور٦/٧/
راكب السحاب هو بعل.		يهوه راكب السحاب، تثنية٢٣/٢٦/.
إن أعداءك يا بعل إن أعداءك ستضربهم.		إن أعداءك يا يهوه إن أعداءك يبادون، مزمور ٩٢

تنكتين أدمعه كم لتلم أرضه إني لأعلم آن فادي حي، أيوب ٢٠/٢٥-٢٧/.		تجري دموعه كالمثاقيل اعلم أن السيد العلي حي وأنه موجود مخلص الأرض سأجلس أنا وأرقد. والنفس سترقد في قلبي لأن السيد العلي حي. وإن مخلص الأرض موجود.
إني لأجل معاصي الثلاث والأربع ستة يكرهها يهوه والسابع رجس عنده، أمثال٦/١٦/.		هناك ذبيحتان يكرههما بعل وثلاث يكرهها راكب السحاب.
في ذلك اليوم يفتقد الرب سيفه. لوياثان الحية المتحوية لوياثان الحية المتلوية، أشعيا٢٧/١.		لضرب لوثان الثعبان الهارب وتجهز على الثعبان المتلوي القدير ذي السبعة رؤوس.
قل لرئيس صور... ها أنت أحكم من دانيال وما دونك ستر مستور، حزقيال٢٨/٣-٦/.		دانيال وأقهات القاضي اللامع بحكمه العادل في رد حقوق الأرامل والأطفال.

١٣. بعد هذه الموازنة نعود إلى وجوه التشابه بين ملحمة كـــرت الأوغاريتية وبين التوراة:

١. البيت واجب لقيام الحكم الملكي أو الحكم الإلهي وهذا أيضـا ملموس في التوراة حيث يقول يهوه لم أسكن بيتـا منـذ أن أخرجت بني إسرائيل نم مصر إلى اليوم.

٢. القدرة التناسلية لا بد منها أيضا لقيام الحكم الملكـي وهـذا ملموس في التوراة حيث يتخذ داود أبيشع زوجة له لا لقصـد تدفئته فحسب بل قبل كل شيء لإثبات قدرته، ولذلك فلمـا لم يعرفها ثبت أنه بات عنينا فقام أدونيا في وجهه ولكـن داود أمر كبير الأحبار صادوق بمسح سليمان فحكم سـليمان في حياة أبيه وإن كرت يصب يلعب دور أدوينا.

٣. استعاد كرت قواه وأنذر ابنه يصب بقصاص إلهي وفي التـوراة ينحي أدوينا وينصب سليمان.

٤. تكريس الكاهن بالدم قابل هذا بتكريس هارون سفر الخـروج ٢٩/٢٠-٢١/ خذ الكبش الآخر واذبحه وخذ من دمه واجعل على شحمه إذن هارون.

٥. علاقة الملوك بالآلهة عند كرت وذلـك موجـود في التـوراة باختيار الإله الملك ومسحه من قبل الكاهن(١).

---

(١). الخازن نسيب وهبيه: أوغاريت ص ٩٧.

ويضيف فيليب حتي في تاريخه أن الفكرة الأساسية في بناء الهيكل تزويد الإله بمسكن فكرة كنعانية بحيث يتمكن الكائن البشري من تأسيس علاقات شخصية مع الكائن الإلهي وأقدم الهياكل الكنعانية المكتشفة ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد في أريحا ومجدد، ويصبح البناء كاملا أكثر بعد منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وأهم صفات مثل هذا الهيكل المذبح الصخري والنصب المقدس والعمود المقدس والغرف تحت الأرض وكان المذبح الذي تقوم عليه الذبيحة أهو هؤلاء بدون شك[١].

والذي نلاحظه أن التوراة ذكرت أن يهوه لم يسكن بيتا منذ أن خرج بنو إسرائيل من مصر، والسؤال الذي يطرحه القارئ: وأين كان يسكن يهوه قبل خروج بني إسرائيل من مصر؟

منذ بدء الخليقة حتى عهد موسى وخيمة الاجتماع وهيكل سليمان؟

فهل كان طريدا بلا مأوى؟ أم كان له مأوى في مكان آخر؟

وإذا ما كان في مأوى آخر فلماذا ينزل من علياء سمائه ويحبس نفسه في خيمة الاجتماع أو في هيكل سليمان فوق كروبيين، أم أن هذه الفكرة مجرد دعوة وثنية؟

وقد رأينا أنها بنت كنعان والتوراة، هل حاربت كنعان لتسلبه أرضه وتسلبه فكره وتدعي لنفسها كل شيء؟

---

(١). الخازن نسيب وهيبة: أوغاريت ص ٨١.

١١.ويرى الخازن أن كتاب دانيال الوارد في العهد القديم مأخوذ من دانيال الوارد في الملحمة المسماة باسمه في رأس شمرا (دانيال وأقهات).

وكتاب دانيال على رأي العلماء كتب في القرن الثاني قبل الميلاد ١٦٣-١٦٤ ق.م لا في القرن السادس قبل الميلاد أي في أيام السبي كما كان يظن(١).

وقد وردت قصة دانيال وأقهات الملحمة عند الدكتور علي أبي عساف وعند الخازن دانيال الحزين أقام وليمة للآلهة ليشكو لهم همومه وأحزانه وقلبه محترق لا يعرف طعم النوم ولا لذة الطعام والشراب على مدى سبعة أيام فاقترب منه الإله بعل حينما سمع بكاءه.

تعلق قلب عشتر بقوس أقهات القوي وتعرض عليه كمية من الذهب والفضة مقابل قوسه فيجيبها أقهات القوي أنا بحاجة إلى القوس لأصطاد عقبان لبنان وصغار الآرام والوعول والثور الوحشي أما أنت فأقصدي الإله ليصنع لك قوسا مثل قوسي.

في اليوم التالي الإله دانيال حزين
بقي الإله دانيال حزينا
كان الإله دانيال...أكل الإله حزينا
بعدئذ دانيال رحل(٢).

---

(١). الخازن نسيب وهيبة: أوغاريت ص٨١.

(٢). أبو عساف علي: نصوص أوغاريت ص ١٢١-١٢٣.

ويشرح تشابه دانيال البطل مع التوراة فيقول دانيال بطل جبار مثل جبابرة سفر التكوين ص٦/٤/ وكان على الأرض جبابرة في تلك الأيـــام وأيضا بعد أن دخل بنو الله على بنات البشر وولدن لهم أولادا أولئك هــم الجبابرة المذكورون منذ الدهر، وفي التثنية ص١/٢/ إن الآموريين أكثر منا وأرفع قامة وأيضا بني الجبابرة رأيناهم هنـــاك، وفي ص٢/١٠/ الأيميـــون شعب كثير طويل القامات كالعناقيين،و في ص٣/١١/ وعـــوج ملـــك باشان الذي خرج على العبريين في أذرع بقي وحده من الجبابرة وســريره سرير من حديد وهو لم يزل في ربه بني عمون طوله تسعة أذرع وعرضــه أربعة أذرع بذراع رجل.

وقد سمى العبريون جبابرة مؤاب وعمون بالرفائيين وهـــو اللقـــب الذي يطلق على دانيال في الملحمة، وفي ملحمة دانيال كمـــا في التـــوراة قانون يوجب تزوج الأرملة بأخي زوجها المتوفى وهو موجود في التثنيـــة ص٢٥/٥/ إذا قام أخوان معا ثم مات أحدهما وليس له عقب فلا تصـــير زوجة الميت إلى خارج لرجل أجنبي بل أخوه يدخل عليـــها ويتخذهـــا زوجة له ويقيم عقبا لأخيه.

كما أن مراسم الحزن والحداد واللباس الخاص به والباكيات ســبعة أيام هي في التوراة ودانيال معروف عند العبريين ومعـــدود عندهـــم بمنزلة نوح وأيوب وقصته ونزوله إلى العالم الأسفل ثم عوده لينسل مـــن زوجته تقارب ما ذكره أشعيا ص٢٦/١٣-١٩/[1].

---

(١). الخازن نسيب وهيبة: أوغاريت ص ١٦٣.

١٢.الأسماء التي وضعت أسماء أسباط وهي كنعانية:

١.لاوي أصله أولوت.

٢.دان مأخوذ من دان قضى ومنه دانييل أو دانيال.

٣.أستير مأخوذة من ملحمة كرت الأوغاريتية عشير أو عشتار.

٤.قهات بن لاوي جد موسى والد عمرام ونسبت إليه عشيرة القهانيين ومنهم قورح بن يصهار بن قهات ومنهم آساف صاحب المزامير، ويقول الخازن دانيل: دان + إيل قضى إيل، رفائي: أحد أجداد الكنعانيين أنصاف الإله، قهات معناه في العربية الجنوبية قاد أو أمر وقد تكون الكلمة مأخوذة من قحط ومنه قحطان.

واسم أخت قهات فحهات وهي مأخوذة من فوحة فاحت الزهور، وبالعبرية فوعة أما عنت اسمها الزمان والمقدر وفي العامة هي أخت بعل ولغويا التعب وهي التعبه[1].

٥.يصادفنا في نصوص ماري قبيلة تدعى بنو يمين أبناء الجنوب التي لم تحمل فقد بالصدفة نفس الاسم الذي يطلق أيضا على تلك القبيلة في عصور أحدث وهي قبيلة بنيامين بالقرب من القدس.

---

(١). الخازن نسيب وهيبة: أوغاريت ص ١٦٤.

فبنو يمين رعوا قطعانهم إلى الجنوب من حران وهذا ما يمكن أن يتفق جداً وتلك الأساطير التي تحدثنا أن الموطن الأصلي لإبراهيم هو حران[1].

لو بحثنا كلمة رفائيم ج رفاء أو رفائي لرأينا أنها وردت في التوراة وتدل على شعب من الشعوب التي سكنت في شرق الأردن ونهاهم يهوه عن محاربتهم لأنهم من بني عمون وهم قبل أبناء لوط وقد أعطاهم الله أرض الأردن ميراثاً ولا يجوز أن يحاربوهم، فمتى قربت إلى اتجاه بني عمون لا تعادوهم ولا تهجموا عليهم لأني لا أعطيك من أرض بني عمون ميراثاً لأني لبني لوط أعطيتها ميراثاً هي أيضاً تحسب أرض رفائيين سكن الرفائيون فيها قلبلاً لكن العمونيين يدعونهم زمزميين شعب كبير وكثير وطويل كالعناقيين أبادهم الرب من قدامهم فسكنوا الأرض مكانهم.

فقال الرب لا تعاد موآب ولا تثر عليهم حرباً لأني لا أعطيك من أرضهم ميراثاً لأني لبني لوط قد أعطيت عار ميراثاً الأيميون سكنوا فيها قبلاً شعب كبير وكثير وطويل كالعناقيين هم أيضاً يحسبون رفائيين كالعناقيين لكن المؤابيين يدعونهم أيميين.

هؤلاء الرفائيون لم يكونوا إلا كنعانيين ورد ذكرهم في دانيال الأوغاريتي.

١٣.الأرواح والتوراة

أحببت أن أناقش الأثر الكنعاني هذا في التوراة:

---

(١). مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم ص ٢٧٢.

إيل يدعو أرواح الأقدمين إلى قصره لمسح بعل ملكاً على عرش اكتسبه بأعمال بطولية أتاها بمعاونة أخته عنت والبطل رفا بعل سيد الأموات يدعو إيل فيمن يدعو القاضي العادل دانيال.

يقول درايفر: هذا التقابل الأساسي هو مثل من الأمثلة الصارخة على بقاء العقائد الوثنية في التوراة بدلالة ورودها في نصوص أوغاريت التي تسبق نصوص التوراة بقرون عدة.

ويضرب الخازن بضع أمثلة على الأرواح في التوراة:

١. أشعيا ١٤/٦-١١/ توراة أورشليم شيول تحت الأرض، يضطرب لخبر وصولك وتكريمك، يوقظ الأخيلة جميع أسياد الأرض يقيمهم من عروشهم، وجميعهم يتكلمون ليقولوا لك أنت أيضاً أفنيت مثلنا، أهبطت إلى شيول وتحتك فراش السوس والدود غطاؤك.

٢. أشعيا ٤٦/١٤/ توراة أورشليم، الأموات لن يعودوا إلى الحياة، الأخيلة لن تبعث لأنك ضربتها وأفنيتها يايهوه إلهنا.

٣. أشعيا ٢٦/١٩/ توراة أورشليم: أمواتك يعودون إلى الحياة جثثهم ستبعث وبلاد الظلام سيلد.

٤. الأمثال ٢١/٦/ من يبتعد عن طريق الحذر يرقد مع جماعة الأخيلة.

٥. الأمثال ٩/١٨/ الإنسان ينسى أن هناك أشباحاً وأن مدعوين ذاهبون إلى وادي شيول، توراة أورشليم.

٦.أيوب ٢٦/٥-٦/ توراة كمبردج: الأخيلة ترتعد من تحت المياه وسكانها الهاوية عريانة قدامه.

إذن لا اعتراف بالآخرة ولا قيام للأموات هذا ما سجلته التـــوراة نقلاً عن أوغاريت.

١٤.أخيراً مسح الملوك مرَّ معنا في الفقرة السابقة أن إيـــل يدعـــو أرواح الأقدمين إلى قصره لمسح بعل ملكاً على عرش اكتسبه هذا المســح من سمات الكنعانيين وعنهم أخذ اليهود عادة مسح ملوكهم وقد مرت في أماكن كثيرة من التوراة العهد القديم، ففي صموئيل الأول ١٠/١/ فـأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه وقبله وقال أليس الآن الرب قـــد مسحك على ميراثه رئيساً، صموئيـــل الأول ١٦/١-٢/ فقـــال الـــرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملـــك علـــى إسرائيل أملأ قرنك دهناً وتعال أرسلك إلى يسي البيتئيلي لأني قد رأيـــت في بنيه ملكاً فقال صموئيل كيف أذهب إن سمع شاول يقتلني.

صموئيل الأول ١٦/١١-١٣/: وقال صموئيل ليسي هل كمـــل الغلمان؟ فقال قد بقي الصغير وهو ذا يرعى الغنم فقال صموئيل ليســـي أرسل وأت به لأننا لا نجلس حتى يأتي إلى هنا فأرسل وائت بـــه وكـــان أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر فقال الرب قم وامسحه لأن هـــذا هو فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط أخوته وحل روح الـــرب على داود منذ ذلك اليوم فصاعداً ثم قام صموئيل وذهب إلى الراحة.

وكذلك ورد مسح الملوك في إيبلا وإلى هذا أشار الدكتور الدقاق في كتابه: ((لجأ ملوك إيبلا إلى دهن أنفسهم بالزيت تبركاً وطلباً للقداسة وأن هذا ما كان يفعله أيضاً بعدهم بمئات السنين ملوك إسرائيل مثل سليمان وداود اللذين كانا يعمدان إلى دهن أنفسهما بالزيت أثناء القداس بمناسبة تحويلهما))(١).

ومن الآثار التي دخلت من الديانة الكنعانية إلى الديانة اليهودية تقديس الأشجار والمرتفعات والأعضاء التناسلية، ثم أخذت الديانة الكنعانية تؤثر الإسرائيلية حتى المعتقدات في كل مكان مقدس يجب أن يقع على جبل أو تحت شجرة دائمة الخضرة أو عند منابع المياه وكذلك حيث الأحجار والكهوف وإن كان معظمها يقع في الأماكن المرتفعة كما تدل التسمية باماه أي جبل أو تل وقد نجد في الأماكن المقدسة الأعمدة المعروفة باسم المصبيم (المصفاة) وقد تعني عضو التناسل للرجل، في هذا المعنى لم يرد له ذكر في العهد القديم وإن كان قد ورد في أرميا ما معناه: قائلين للعمود أنت أبي وللحجر أنت ولدتني أرميا ص ٢/٢٧/ أما المصبيم فقد نشأ عن تطور وتقديس الأحجار التر ترمز إلى مقعد المعبود(٢).

نصوص رأس شمرا		نصوص العهد القديم
عانات وحدها تقاتل.		فرأى يهوه أنه لا نصير فخلصت ذراعه لنفسه، أشعيا٥٩/١٦/.

---

(١). الدقاق عمر: إيبلا منعطف التاريخ ص ٧٣.

(٢). حسنين فؤاد: اليهودية واليهودية المسيحية ص ٥٥.

عانات مشتعلة بالغضب.		فحمي غضب يهوه عدد ٢٢/٢٢/ ولبس ثياب الانتقام ليجازي مبغضيه سخطا وأعداه عقابا، أشعيا٥٩/١٧-١٨/.
عانات تمحق سكان الغروب وتطأ الشرق.		لأن يهوه سخطا على كل الأمم وحموا على كل جيشهم، أشعيا٣٤/٢/. فيخافون من المغرب اسم يهوه ويخافون من مشرق الشمس مجده، أشعيا ٢٩/١٩.
عانات تملأ الأرض جثثا.		ملأ جثثا أرضا واسعة، مزمور١١٠/٥/. قتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها، أشعيا٧٤/٧/. وقد امتلأت الأرض دما وامتلأت المدينة جيفا، حزقيال ٩/٩/.
عانات تحتها الرؤوس تتدحرج كالكرات.		حول قدمي رءوس قواد العدو، تثنية٣٢/٤٢/. سحق رءوسهم، مزمور١١٠/٦/.
عانات حاصدة الرؤوس		أرسلوا المنجل لأن الحصاد قد

عانات تنتفخ أعطافها زهــوا بانتصارها وهي تحصد.		نضج، يوئيل ٣/١٣/. ثم نظرت وإذا سحابة بيضاء وعلـى السحابة جالس شبه إنسان له علـى رأسه أكليل من ذهـــب وفي يــده منجل حاد وخرج آخر من الهيكــل يصرخ بصوت عظيم إلى الجـــالس على الســـحابة أرســل منجلــك واحصد لأنه قد جــاءت الســاعة للحصــاد، يوحنــا اللاهــــوتي ١٤/١٤،١٥/.
عانات تخوض حتى الركبتين في الــدم ســـــابحة في دم خصومها الصرعـــى وقــد تختر.		يــهوه يغســل خطواتــه بـــدم الأشرار،مزمور /٥٨/١١/. لكي تصبغ رجلـــك بـــالدم يـــا يهوه،مزمور ٦٨/٢٣/.
عانات خائضة في الدم حـتى الركبتين حتى العنق في دمـاء خصومها.		أسكر سهامي من الدم دم القتلـــى والسبايا، تثنية ٣٢/٤٢. لأنه قد روي في السموات ســيفي من الدم، ليهوه سيف قد امتلأ دمــا لأن الكرب ذبيحة وذبحا عظيمـــا، أشعيا ٣٤/٥،٦/.

		أنا أدعو السيف على كل سكان الأرض، أرميا ٢٥/٢٩/. ويرتوي سيف يهوه من دمهم لأن ليهوه ذبيحة عند نهر الفرات، أرميا٤٦/١٠/.
عانات تأكل لحومهم حتى الشبع.		ويأكل سيفي لحما، تثنية٣٢/٤٢/. فيأكل السيف ويشبع، أرميا٤٦/١٠/. وكما الإله كذلك شعبه رب الجنود يحامي عنهم فيأكلون لحوم الأسرى ويشربون من دمهم كما من الخمر ويمتلئون كالمتضح وكزوايا المذبح، زكريا ٩/١٥/. فالشعب كإله يفترس أعداءه يأكل لحمهم ويشرب دمهم مصداقا لوصف التوراة في سفر العدد٢٣/٢٤/ حيث يقول كشعب لا ينام حتى يأكل فريسته ويشرب دم قتلى.

عانات يتدحرج بطنها بالضحك.		الساكن في السموات يضحك، مزمور٢/٤/. فأنا أيضا أضحك عند بليتكم، أمثال١/٢٦/[1].
سكبت عانات الماء لتغتسل عانات اغتسلت بندى السماء من فوق ودسم الأرض قطر من يديها وهي تغتسل بمطر راكب السحاب.		وقال هوذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك وبلا ندى السحاب من فوق، تكوين٢٨/٣٨-٣٩/[2].

وأحب أن أضيف في النهاية إلى أن صورة يهوه هذا الإله السفاح قد سرق من إلهتين هي سخمت المصرية وعانات الكنعانية وفي هذا يقول شفيق مقار: ((أشعيا ص٦٣/١-٣ و٦/ فرش دماؤهم وأجريت على الأرض دماؤهم وهذا دينيا وأخلاقيا وإنسانيا مبهر خاطف للأنفاس بغير شك)).

(١).مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٢١١-٢١٢.

(٢).مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٣٦٨.

الإله الأب

كما رأينا الإله إيل هو أبو الآلهة كلها بما فيهم بعل ورحماية وعشيرة والغسق وسحرويم كذلك كان يهوه الإله الأب الذي له أولاد كثر وسنأخذ بعض النصوص التوراتية للاستدلال على ذلك.

((وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد لزيفانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة كان في الأرض طغاة في تلك الأيام وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم)) تكوين ٦/١-٤/.

لم يتزوج أبناء الناس بنات يهوه وإنما على العكس فقد تزوج أبناء يهوه من بنات الناس ورغم أنهم المغتصبون وكان على يهوه أن يعاقب أبناءه لفعلتهم هذه لكنه عاقب الضعفاء الأغيار فأبادهم في طوفان نوح.

وكما عاقب بنو يعقوب شكيم وحمور وأهل مدينتهم لاعتداء حمور على دينه وهكذا يعاقب في الحالتين الأغيار سواء كانوا جانين أو مجني عليهم.

وهذا الأب الذي يدلل أبناءه فيفعلون ما يشاءون دون رادع كان يجتمع بهم في مجمع الآلهة ليقرروا مصير هذا الكون.

وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضا في وسطهم فقال الرب للشيطان من أين جئت فأجاب الشيطان

الرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها، أيـــوب ١/٦-٧/ و٢/١-٢/.

وهنا يكمن السؤال الخطير جاء الشيطان مع أبناء يهوه فهل كـــان منهم لأن الرؤية جاء في وسطهم والوسط دائما يكون لب الشيء وأصله؟

والملاحظ أن صفة الأبوة لم تؤخذ ليهوه إلا في عصور متأخرة عــن زمن موسى بوقت طويل وحتى ذلك الوقت قصرت تلك الأبوة في حالتــه يهوه على الشعب ففي النصوص التوراتية المبكرة لم يرد ذكر الأبوة إلا في القول الذي أجري على لســـان يـــهوه بـــأن إســـرائيل ابنـــه البكـــر خروج٤/٢٢/، وهو قول على الأرجح أقحم على النص الأصلي إبـــان عملية تحرير النصوص فهو لا يتردد إلا في سفر التثنية أنتم يا بني إســـرائيل أولاد إلهكم يهوه ١٤/١/ وفي أسفار النبييـــــم يايـــهوه أنـــت أبونـــان أشعيا٦٤/٨/ وأيها البنون العصاة أرجعوا إلى ابيكم يهوه أرميـــــا٣/١٤/ وكما أخذت صفة الأب ليهوه من إيل أخذ له لقب مقتني البشر فلقـــب تقبلنا التعامل مع إله كما لو كان سفاحا بشريا يكترى بالأجر للتخلـــص من الخصوم ودليل لا يدحض على أنه يحسن بكل من سولت له نفســـه عدم الاستسلام للشعب أن يحاذر لنفسه من اكتراء ذلك السفاح الإلهـــي ليدوسه بغضبه حتى في هذا المشهد القصير السابق الشرس بين إله كان قد أصعد لتوه إلى ما فوق الجلد ونظف أو جرت محاولة لتنظيفه من معظـــم ملامحه الوحشية القديمة وبين نبي عمد بلا حرج ولا تورع إلى السطو على إلهتين اثنتين أولاهما من مصر سخمت دحت حور والثانية من كنعان هـــي

عانات رحماية، فصورة يهوه العائد من المذبحة في ذلك المشهد وثيابه غارقة في الدم تكرار الأسطورة المصرية للآلهة التي كلفها رع بإفناء البشر فنزلت من السماء وسبحت في دمائهم كما صور أشعيا بالتمني إله رب الجنود يهوه سابحاً في دماء الأودجيين.

وفي الوقت ذاته نجد أن الصورة تكرار لتصور الديانة الكنعانية للآلهة عناة التدميرية كما يوقفنا هذا النص من نصوص أوغاريت:

عانات تقاتل بين المدينيين، عانات مشتعلة بالغضب عانات تمحق سكان الغر وتطأ سكان الشرق فتملأ الأرض جثثاً تحتها حول قدميها وهي تقابل وحدها فتتدحرج الرؤوس كالكرات.

عانات حاصدة الرؤوس حولها كالجداجد كالجراد أكوام أيد مبتورة عانات غائصة في الدم حتى الركبتين، متمنطقة بالجماجم والبدي المقطوعة، عانات سابحة في دم خصومها الصرعى تدير البصر حولها فيتدحرج باطنها بالضحك ويفيض قلبها بالبهجة، عانات الصبية البكر تنتفخ أعطافها زهواً بانتصارها وهي تحصد، وهي تخوض في الدم حتى الركبتين، آكلة لحوم خصومها حتى الشبع وهي سابحة في دماء خصومها حتى العنق.

ويقول سفر أرميا ٤٩/١٦-٢١/ هوذا يصعد كأسد من كبرياء الأردن، هو ذا كنسر يرتفع ويطير يبسط جناحيه على بصره فيكون قلب جبابرة أدوم كقلب امرأة ماخض.

وهكذا بدا لنا يهوه المسروق من عانات.

إن إيل في نصوص شمرا مقتني البشر أطلق على يهوه في سفر التثنية أليس يهوه أباك ومقتنيك يا شعبه ٦/٣٢/ وتكوين ٤/١/، وعلى صعيد آخر أخذت سمة تمرد ابن يهوه البكر على أبيه من بنوة بعل المتعصبة لأبيه إيل ففي نصوص أوغاريت صور إيل محباً لمخلوقاته الفانية ولأبنائه وبناته من آلهة وإلهات بغير محاباة، إلا أن غيرة بعل مما تصور أنه تفضيل من جانب إيل لأخيه المتحكم في المياه يم دفعته إلى التمرد على أبيه.

خاتمة

ونتساءل مع الباحث شفيق مقار من أين جاء أبناء الله الأشـــقياء الذين أغواهم جمال بنات البشر فضاجعوهن وأنجبوا منهن العمالقة الذيـن كانوا منذ الدهر ذوي اسم؟

والسؤال الذي يطرحه شفيق مقار والحكي التوراتي هـــل تلـك الفضيحة التي تسبب فيها ولع أبناء الله بالترول إلى الأرض لقضاء وقـت طيب مع بنات البشر كانت من السباب التي دفعت يهوه إلى اتخاذ قـراره بإفناء الإنسان ومحو الحياة عن وجه الأرض بالطوفان، كيف تأتى وديّـان العالم والأرض يعلم أن بنات البشر لم يكن بوسعهن التمنع مع أبناء الله؟

ومن الواضح متى وصلنا إلى سفر أيوب أن أبنـــاء الله أولئـك لم يسمهم سوء بل كانوا في خير حال في بلاط أبيهم، ويبدو أن يهوه كـان معتاداً أن يجد الشيطان داخلاً إليه في بلاطه أمام أبنائه لأنه في هذا السـفر لم يطرد إبليس من حضرته.

وإن شئنا الحق فلا يلومن مؤلفو أسفار التوراة إلا أنفسهم في شـأن هذا المأزق الإلهي الذي بات محرجاً للغاية عندما أخذت الديانة اليهوديـة تتشح بمحاولة التوحيد وتضع على رأسها تـاج الوحدانيـة ولا يلومـن المؤلفون إلا أنفسهم لأنهم سرقوا بلا تورع من الديانة الكنعانية فأبنـاء الله المتعبون ليسوا إلا كيدوشيم إيل أي مجلس الآلهة أو مجمع القديسيين الذين صوروا بعلاً جالساً أمام أفراد الآلهة على عرشه الأبوي الملكي الذي سرق ليهوه بشكل لم تتوقف محاولات طمسه والتمويه عنه بمختلف الحيـل إلى

أن انتابت الحمى ونوبة من الحماس الديني الكاهن اليهودي الذي دعـــي باسم يوحنا اللاهوتي فأعلن أنه صعد إلى السماء بروحه وهذيانه فكشـف عن هوية أبناء الله الذين كان عددهم سبعين.

لقد تردد في المزامير في فقرات عديدة تدل على وجود أبنـــاء الله منها ٨٢/١/ الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة يقضي.

٨٢/٧/ أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم.

٨٩/٦/ من يشبه الرب من بين أبناء الله.

٩٥/٣/لأن الرب إله عظيم ملك كبير على الآلهة.

فالآلهة كثر في التوراة ٩٧/٩/ و ١٣٨/١/ ولن أتابع في هذا المجـلل هذا الآيات مما يدل على الأثر الواضح لكنعان في الديانة اليهودية.

المصادر

١.عبد المسيح جورج متري: فكرنا الديني بين التحريف والتعريف.

٢. ولفنستون إسرائيل: تاريخ اللغات السامية.

٣. سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ.

٤. محمد جميد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأسطورة.

٥. مقار شفيق: الجنس في التوراة.

٦. مقار شفيق: قراءة سياسية في التوراة.

٧. سميث مارك: التاريخ المبكر لله.

٨. العهد القديم.

٩. إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية.

١٠. اليجرو جور: الشعب المختار تهشيم الأسطورة.

١١. الخازن وهيب نسيب: أوغاريت.

١٢. شربنتية أصطفان: الدليل إلى قراءة الكتب المقدسة.

١٣. ربحي كمال: دروس في اللغة العبرية.

١٤. أسد أشقر: الخطوط الكبرى في تاريخ سورية..

١٥. حدة حسن: موسى والتوراة.

١٦. أبو عساف علي: نصوص من أوغاريت.

١٧. مورتكات: تاريخ الشرق الأدنى القديم.

١٨. حسنين فؤاد محمد علي: اليهودية واليهودية المسيحية.

كتب صدرت للمؤلف

الفكر اليهودي:

١. بلقيس بين الحقيقة والأسطورة.

٢. هاجر بين الحرية والعبودية.

٣. بابل ولصوص اليهود.

٤. التوراة تحريف وتزوير:

- التاريخ.
- حقيقة إسرائيل.

٥. القدس في التاريخ.

٦. أنبياء القرآن.

النوع الأدبي:

١. ديوان شعر البراعم

٢. تحقيق ديوان الإمام الشافعي رضي الله عنه

٣. تحقيق ديوان الإمام علي رضي الله عنه.

٤. تحقيق شرح الشيباني للمعلقات التسع.

النوع الفلسفي:

فصل المقال فيما بين الحقيقة والحكمة من الاتصال.

كتب تحت الطبع

١. ديوان عنترة دراسة.

٢.صرخات عربية.

٣. نفي الطغيان رد على محمد شحرور.

٤.إحياء علوم الدين للإمام الغزالي تحقيق ودراسة

٥.ديوان صرخة عربية.

٦. التوراة تحريف وتزوير:

التاريخ جزء ٣ وجزء ٤

الجغرافيا جزء ١ وجزء ٢

الدين جزء ١ وجزء ٢

٧. مصادر التوراة:

١. التوراة من كتبها

٢. بابل وتحريف التوراة

٣. الكنعانيون والتوراة المحرفة

٤. الديانة الفرعونية وأثرها في التوراة

٥. الأثر الفارسي في التوراة

٦. التوراة وفلسطين

٧. هل الديانة اليهودية سماوية

الفهارس

سلسلة مصادر التوراة

(٤)

ديانة الفراعنة والتوراة

عبد المجيد همو

الإهداء

إلى كل حاكم حاول أن ينصف العالم
من رجس اليهود وخبثهم وطغيانهم
إلى كل عالم طمست معالمه ليبتلعها اليهود
فيضمونها إلى تراثهم الفكري

عبد المجيد همو
كفر تخاريم

المصدر المصري

المقدمة

لا أعتقد أن اتفاقاً عُقد بين الدارسين للتوراة مثل اتفاقهم على الأثر المصري في التوراة وفي الديانة اليهودية لكنهم اختلفوا بعد ذلك في قوة هذا الأثر وضعفه ونقاطه واتساعها وشمولها.

يعترف مانلي هول في كتابه المعنون حكاية العهد القديم وهو من الباحثين التوراتيين المدلهين مع لمسة من التصوف بالتأثير المصري البالغ القوة في شأن خيمة يهوه كما يعترف فرويد في خصوصية بالغة الأهمية في الوقوف على مدى أهمية المنابع المصرية للديانة اليهودية وما اختلسه كتبة التوراة من ديانة مصر وعلى هدي ما استبصره من طباع الشعب ونفسيته وميوله اجتهد موسى في لوي عنق وتحرير ما استعاره من الديانة المصرية ليجعله ما أمكن ليتقبله ذاك الشعب ويؤمن به.

الأثر المصري أثر كبير واضح وسأناقش نقاطه الواحدة تلو الأخرى:

١ . التكوين والخلق

رأينا أثر الديانتين الرافدية والكنعانية في نظرية التكوين والخلـق في الديانة اليهودية وسنرى هنا أن الديانة المصرية لعبت دوراً كبيراً في نظريـة التكوين اليهودية وسيتساءل الكثير وهل للديانة المصرية نظرية في تكويـن الكون وما هي؟

تقول الأسطورة المصرية في نشأة الكون إن الإله رع كان أول إلـه يخرج من المياه الأولى وهو الذي أنجب بقية الآلهة و لم تشر الأسطورة هـذه إلى خنوثة الإله رع هل كان ذكراً أم أنثى؟ هل كان ذكراً وأنثى معاً؟

فإذا عُلم نشأة الكون المصري كما هو الشأن في تقاليد أخرى يبدأ مع الانبثاق كتلة أو أكمة في المياه الأولى، فظهور هذا المكان الأول فـوق المساحة المائية الشاسعة الأبعاد يعني انبثاق الأرض ولكن ينبثق معها النـور والحياة والشعور.

وتختلف النظرة الكونية المصرية من إله لإله ومن عبـادة لعبـادة فعقيدة هليوبوليس تتعلق بالقوى الخلاقة للإله الأول آتوم فلا بد لجميـع القصص التي تدور حول نشأة الكون من أن تواجه مشكلة عويصة هـي كيف نشأ الخلق إذا لم يكن هناك سوى خالق واحد ثم كيف خلق نفسه؟

ذهب المصريون إلى أن آتوم الذي يعني اسمه الواحد الكامل ظـهر إلى الوجود بأن أوجد ذاته فهو إذن قد أنجب نفسه لكن كيف أصبح أبـاً للإله شو وللإلهة تعنت؟

تم ذلك عن طريق الاستمناء أو عن طريق السعال أو البصاق.

وفي سياق آخر يصف الإله نفسه بأنه ثنائي الجسد ((إنني أنا الذي أنجبت شو إنني أنا هو وهي))[1].

أما في أسطورة الإله رع فإنه خلق إلهين وقد يكون إنجابه عن طريق الفيض هذان الإلهان هما جيب إله الأرض المذكر، ونوت إلهة السماء المؤنثة اتحدا وتزوجا بعضهما سراً دون إذن الإله رع.

فلما علم كبير الآلهة بذلك أرسل إله الهواء شو الذي أبعدهما عن بعضهما عنوة ومنذ ذلك الحين والإله شو يطأ بقدميه جيب الصريع ويرفع بذراعيه القويتين السماء نوت[2].

إن اشتراك واتحاد الآلهة عمليات معروفة للفكر الديني المصري منذ العصور القديمة جداً الأمر الذي يشكل الأصولية للاهوت الإمبراطورية الجديدة.

وهذا هو من جهة الموضوعية لفعلة مزدوجة جعل أوزيريس رع، وتشميس أوزيريس، ومن جهة أخرى الاعتقاد الراسخ بأن هذه الفعلة المزدوجة تكشف المعنى السري للوجود البشري.

والذي أعتقده أن الإله أتون الذي بدا لنا أنه إله خنثوي هو إله أخناتون ولما قال كثير من العلماء إن اليهودية تأثرت بالفكر الأخناتوني لهو أولى أن نقول إن الإله يهوه قد أخذ هذه الصفة الخنثوية ذكراً وأنثى

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص ٤٦/.

(٢). حميد محمد فوزي عالم الأديان ص ٤٤.

فخلق آدم على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم الله[1].

ثم إن كلمة آتون تعني الواحد الكامل وقد أطلق اسم أدون على الإله تموز، أفليست اللفظتان قريبتين من بعضهما وربما تأثر أحدهما بالآخر وقد استعمل اليهود كلمة آدون بمعنى السيد واستعملوها بمعنى الإله وبذلك حولوها من اسم علم إلى صفة كما فعلوا بإيل مسبقاً.

أما عقيدة منفيس وهي العقيدة المخالفة لعقيدة أخناتون والعقيدة هذه تقول بآلهة ثنائية الجنسية بتاح الإله وهو الإله الخالق لمدينة منف الذي سمي معاً الأب والأم في لاهوت منفيس الذي هو وثيقة رائعة ترجع برمتها إلى الدولة القديمة.

وتقول الوثيقة إن خلق العالم خطط له عقل الإله وكانت وسيلة التنفيذ كلمة نطق بها الإله وهذا استباق مذهل لعقيدة الإغريقي التي ظهرت بعد ذلك بفترة طويلة حول اللوجوس أو الكلمة المقدسة.

وقد ورد في إنجيل القديس يوحنا في البدء كان الكلمة.

أما لاهوت الخلق في هرموبوليس فإنه كان وثيق الصلة بتعاليم هليوبوليس ومن هنا قيل إن الخلق بدأ مع ظهور التل الأولي من مياه العماء، ونحن نعلم أن التوراة قالت بوجود المياه العماء ومن هنا تكون الأسطورة اليهوية قد أخذت عن المصرية حتى الآن نقطتين:

١. الإله الذكر والأنثى معاً.

---

(١). العده القديم سفر التكوين ص ١/٢٦-٢٧.

٢.المياه العماء، ارجع إلى سفر التكوين.

وتتألف الأسطورة المصرية من مجمع إلهي كبقية الديانات في الشرق العربي، فهناك آلهة ثمانية تتألف من أزواج لا تمايز بينها الذكر والأنثى من الناحية النظرية، وربما كانت أربعة آلهة ثنائية الجنسين هي الأشكال الأصلية، وكان آمون هو رأس الثمانية واسمه يعني الوجود الخفي.

واللفظة المصرية آمون تعني الخفي وكان هذا الإله الخفي يتجلى في أشكال كثيرة[1].

وبعض العلماء يفسر هذه الآلهة الثمانية بأنها تجليات لآمون، لعبت هذه الآلهة الثمانية دوراً جوهرياً في إيجاد العالم ومولده وهي ثمانية من ذكر وأنثى وكان يطلق عليها نون ونونت المحيط الأول مياه العماء، وحح وحوحت الفراغ الذي لا نهاية له، وكو وكوكت الظلمات، وآمون وآمونت الذي لا يمكن تعريفه الالهة الثمانية في اللغة المصرية وهم الآلهة الأولى الذين تعاونوا في خلق العالم[2].

ولكني أرى خلافاً للباحث مرسيا إلياد: إن آمون هو الخالق لهذا الكون أما الأزواج الثلاثة فهي ليست إلا آلهة ثلاثة تمثل العناصر الثلاثة مياه العماء، والفراغ والظلمات،وهذه العناصر الأربعة الآلهه من المياه والظلمات والفراغ قد وجدت في التوراة بشكل واضح تكوين١/١-٣/

(١). إلياد مرسيا تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ٢ ص٤٧.

(٢). المصدر السابق.

في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة خالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه.

فالله الخالق موجود في النظريتين الكونيتين المصرية واليهودية بالإضافة إلى العناصر الثلاثة الغمر الماء العماء وخالية الفراغ والظلمة الظلمات،ولهذا فإنني أقول إن العناصر المسروقة في هذه النظرية اليهويه واضحة وليست بحاجة إلى شرح ما.

ويقول سفر التكوين المصري: ((في البدء لم تكن سماء ولم تكن أرض ولم يكن شيء إلا غمر المياه الهامد، وكنت فوق الغمر وحدي ولم يكن مكان أقف عليه، كنت وحدي ولم يكن معي آخر فتوحدت بظلي وفي أنجبت شو (الهواء والنور والدفء) وتفنوت البلولة والرطوبة، من واحد إذا أنجبت شو وتفنوت صرت ثالوثا ورفعت شو وتفنوت من الغمر نون وأنجبت شو وتفنوت جب إله الأرض ونوت إله السماء.

ولو رجعنا إلى سفر التكوين للاحظنا أنهما مشتركان في نقاط عديدة:

١.وجود الإله الخالق.

٢.وجود غمر المياه وقد وصفه السفر المصري بالهامد ووصفته السرقة التوراتية بالظلمة.

٣.لم يكن موجودا من قبل النور والدفء المصري والنور الأكبر والنور الأصغر في سفر التوراة.

٤. وجدت الشمس باسم شو الهواء والنور والدفء قد خصت بذكر خاص لها ظل ملازما في الديانة المصرية في قوله وبعثت عيني (الشمس) وراء شو وتفنوت إذ رفعتهما من الغمر نون، ثم يقول إن تلك العين الشمس حكمت الأرض وهو ما جعل التوراة تقول إن الشمس تحكم النهار.

٥. أغدق الإله على شمس من القدرة على إنبات الزرع وعلى كل ما يدب على سطح الأرض.

غير أننا نلاحظ في النص التوراتي ارتباكا في شأن مسألة النور يبدو أن المتسبب فيه أصلا التصميم على طمس المنابع المصرية التي استقى منها الحكي ففي حين يقول الناسخ التوراتي في مطلع سفر التكوين أن يهوه خلق النور وقال ليكن نور فكان نور ورأى النور أنه حسن، وفصل بين النور والظلمة، ودعا النور نهارا في اليوم الأول من أيام الخلق ثم يقول نفس الناسخ أن يهوه لم يعمل النورين العظيمين إلا في اليوم الرابع من أيام الخلق، تكوين ١/٣-٥/ و /١٥-١٦/.

وهذا مستحيل كما هو واضح لأنه كيف يكون هناك نور ويفصل النور عن الظلمة قبل ثلاثة أيام كاملة من خلق أنوار في جلد السماء لتنير على الأرض وعمل النورين الأعظمين وبالأخص الشمس[1].

إن كلمة التوراة وقال الله ليكن...وكان كذلك تتردد كثيرا في سفر التكوين في الإصحاح الأول ٣،٦،٩،١١،١٤،٢٠،٢٤،٢٩، فالله في

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة والعهد القديم ص ١٢٩.

سفر التكوين خلق بكلمة و لم يخلق بفيض حسب رأي اليهودي أفلوطين وهذا الخلق سبق إليه التكوين المصري بقرون عديدة نطق الإله بكل السماء فتحولت كل كلمة خرجت من فمه إلى موجود فكان أن أوجد الإله بفكر قلبه وكلمة لسانه كل البشر وكل بهائم الأرض وكل الزواحف.

يقول مقار شفيق في هذه الفكرة: ((لم تكن فكرة الكلمة هي الوحيدة التي منحها موسى وكهنته للديانة اليهودية وعن طريق الأخذ المباشر من الديانة المصرية فتلك كانت البداية فقط وكانت بقية القصة كما وردت في الإصحاح الأول الذي حرر من الوثيقة الكهنوتية والإصحاح الثاني الذي حرر من الوثيقة اليهودية من سفر التكوين قصة مستنسخة بحرفيتها من اللاهوتيات المصرية ومنها لاهوتية منفيس التي أعطت إله منفيس المحلي بتاح دور الإله الشمس رع في خلق العالم وكانت تلك ممارسة دينية مألوفة وشائعة من تاريخ الديانة المصرية نلتقي بها كلما اتجه إله إلى كسب بعض صفات رع وخواصه وبعض مجده عن طريقة ممارسة بعض وظائفه وإعلاء شأن بتاح الذي نشهد في لاهوتية منفيس إشارة واضحة إلى أن مركز عبادته الرئيسي منفيس كان قد بات ذا مكانة سياسية رفيعة نتيجة لانتصار رمينا مؤسس الأسرة الأولى الذي أنشأ تلك المدينة وجعلها عاصمة لملكه الموحد إلا أن تلك اللاهوتية وإن كانت قد عزت تلك الوظائف إلى بتاح ظل المصدر الأصلي لها بلا أدنى شك هيلوبوليس، فهي في واقع الأمر استنساخ لتلك اللاهوتية الضاربة في

القدم، قام بها كهنة بتاح في منفيس إعلاء لشأن معبودهم، أما أصلها الأقدم بكثير من بداية عصر الأسرات /٣٤٠٠ق.م الأقدم(١).

فلنقارن ما جاء في تلك الوثيقة المصرية الضاربة في القدم من آلهة الخلق بما استنسخه العهد القديم في الإصحاحين الأول والثاني من سفر التكوين وفي أواخر سفر أيوب:

اللاهوتية المصرية		العهد القديم
١.نطق الإله بكل الأسماء فتحولت كل كلمة خرجت من فمه إلى موجود.		وقال الله ليكن...فكان ذلك تكوين١/٣،٦،٩،١٤،٢٠،٢٤/
٢.فكان أن أوجد الإله بفكر قلبه وكلمة لسانه كل البشر وكل بهائم الأرض وكل الزواحف.		وقال الله لتخرج الأرض ذوات الأنفس حية كأجناسها بهائم ودبابات ووحوشا تكوين١/٣٤.
٣.وعندما خلق الإله البشر خلقهم على صورته وأخرجهم من ذاته.		وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ١/٢٦،٢٧/.
٤.ووفر الإله كل غذاء وطعام للبشر.		وقال الله إني أعطيتكم كل ما يكون لكم طعاما ١/٢٩/.
٥.وخلق لهم الأسماك والطيور		وقال لهم تسلطوا على سمك

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص ١٠٠.

وكل الحيوانات.		البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ١/٢٨/.
٦.وضع الإله النور للبشر.		وقال الله ليكن نور فكان نور١/٣/.
٧.هو الذي رفع السماء وفصلها عن الأرض التي صنعها.		عمل الرب الإله الأرض والسموات تكوين ٢/٤/.
٨.ولم يكن في الأرض ماء فروى ظمأهم إلى الماء من فيضه.		ولم يكن الرب الإله قد أمطر على الأرض بعد ٢/٥/.
٩.وقهر وحش المياه وأخضعه.		أتصطاد لوياثان بشعر أو تضغط لسانه بحبل؟ أم تضع أسلحة في خطمه أم تثقب فكه بخزاقة؟ أيكثر التضرعات إليك أم يتكلم معك باللين؟ هل يقطع معك عهدا فتتخذه عبدا مؤبدا، أيوب٤١/١-٤/.
١٠.خلق الإله الإنسان من طين الأرض وسواه على		وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض تكوين ٢/٧/.

عجلة الخراف.		
١١.ونفخ في أنفه نسمة الحياة ليحيا فصار حيا.		ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية تكوين ٢/٧/.
١٢.وأنبت للبشر النبات والأشجار من الأرض لتكون طعاما لهم.		وأنبت الرب الإله من كل الأرض كل شجرة شهية للنظر وحيدة للأكل ٢/٩/.
١٣.وخلق الإله شجرة الايشيد المقدسة الإله خالق شجرة الحياة وهو الذي قسمها إلى شجرتين.		وخلق شجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير من الشر تكوين٢/٩/.
١٤.وبعد أن أوجد الإله بفكره وكلمته المياه وأوجد السماء ورفعها وأوجد الأرض والأعماق وكل ما تحتها وأوجد كل ما على الأرض وكل ما هو كائن وما سوف يكون استراح من عمله[1].		فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع في جميع عمله الذي عمل تكوين٢/١،٢/.

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص ١٠٠.

وبهذا رأينا أن كتبة التوراة قد سرقوا آلية الخلق من التكوين المصري مع ما أضافوه من المصدر الكنعاني والبابلي.

وما أنقصه سفر التكوين أكمله سفر أيوب ولما رأوا أن الله استراح في اليوم السابع اتخذوا اليوم السابع أيضاً يوم استراحة وسموه السبت لأنه في رأيهم أن الله بدأ الخلق يوم الأحد وبهذا تكون الاستراحة حسب رأيهم يوم السبت.

ولن أعلق على هذا النص المقارن بأكثر من ذلك.

وأخيراً رأينا أن أول إنسان صنعه كما قص لنا سفر التكوين فخلق الإنسان مأخوذ من الديانة المصرية بقوة في:

١. كون يهوه جبل آدم تراباً من الأرض.

٢. كونه نفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية.

وكلا العمليتين من عمليات خلق آدم مصريتين لا مماراة فيهما:

١. ففي الديانة المصرية خلق خنوم الاسم الذي عرف به الإله في مركز عبادته بجزيرة الفيلة بأسوان أول رجل وأول امرأة آدم وحواء مصر من طين الأرض الذي جبله ذكراً وأنثى على عجلة الخزاف، ويهوه فعل الشيء نفسه ولكن بدون عجلة خزاف فجعل آدم من تراب الأرض ولا ينتهي شبه يهوه بخنوم عند هذا الحد، فيهوه كان مزدوج الجنس كما قلنا وكذلك خنوم إذا عرف المصريون باسم أبي الآباء وأم الأمهات وقد عدَّ خنوم في أسنا بوصفه تجسداً لكل العالم والإله الذي توحد فيه رع إله الشمس وشو إله الهواء وأوزيريس إلى العالم السفلي وجب إله الأرض.

٢.نفخ نسمة الحياة أي نفس الحياة من الجسد من طين الذي جبله خنوم....وبذلك كان هو الذي يضع الروح في اجسد وتذهب إليه الروح بعد الممات.

٢. مصرية موسى ومصرية الديانة

مما لا شك فيه أن موسى ولد في مصر وفيها ربي وحسب قول التوراة وهو قول مرفوض أنه عاش ثمانين سنة في مصر فقد قتل شخصاً وهرب إلى مدين فعاش فيها عشر سنوات عاد فيها متزوجاً وله أطفال يريد إخراج بني إسرائيل من مصر، وتقول التوراة إنه حينما خرج ببني إسرائيل إلى التيه كان عمره ثمانين عاماً وظل في التيه أربعين سنة حتى يكتمل عمره ١٢٠ سنة كما حدد يهوه عمر الإنسان في التوراة ولكن من غير المعقول أن يبقى ما يقارب من سبعين سنة عازباً في مصر ولا يتزوج وهو كما تقول التوراة من بني إسرائيل وتقول إنه ينتمي إلى إبراهيم وقد طلب إسحاق وإبراهيم من أبنائهما ألا يتزوجوا إلا من آرام فموسى حسب هذا الطلب تزوج امرأة من مدين وهي ليست آرامية، ويعود موسى إلى مصر مع غنمه وزوجته وولديه ويطلب من فرعون أن يخرج معه بني إسرائيل ((وقال الرب لموسى في مديان اذهب ارجع إلى مصر لأنه قد مات جميع الذين في مصر يطلبون نفسك فأخذ موسى

امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى مصر وأخذ موسى عصا الله في يده))[1].

والسؤال الآن الذي يطرح من أين موسى ولمن ينتمي؟

اختلف العلماء الباحثون في هذا المجال اختلافاً كبيراً فمنهم من قال بأنه من مصر مخالفاً رأي التوراة ومنهم من قال بأنه إسرائيلي متابعاً رأي التوراة.

١.لقد قال كل من فرويد بمصرية موسى في كتابه موسى والتوحيد،وأعقبه بعد ذلك الباحث العربي الكبير أحمد سوسة في كتابه العرب واليهود في التاريخ وجاء على أعقابهما الباحث حسن حدة في كتابه موسى والتوراة.

أما شفيق مقار فقد أكد ذلك في كتابه السحر في التوراة وسنقف عند هذا القدر ولن أناقش الآن هل موسى مصري أم موسى إسرائيلي؟ فهذا خارج بحثنا والذي يهمني هو معرفة الأصول المصرية في الدعوة اليهودية، وقد أشار إلى هذا شفيق مقار بقول:

((كل زاد حضاري أو روحي استخدمه موسى وكهنته في صنع ديانة حول شخصية يهوه كان زاداً مصرياً خالصاً سله موسى من الديانة التي تربى في رحابها فأخناتون هو الفرعون الذي أعلى شأن ديانة آتون وجعلها ديانة رسمية لمصر خلال السنوات القليلة التي حكم فيها نصف العالم المتمدين من عاصمته الجديدة تل العمارنة اخيتاتون وأخناتون كان

---

(١). العهد القديم خروج ٤/١٩-٢٠/.

الملك الذي تكهن موسى في ظله وارتقى إلى أعلى مراتب كهنوت عبادة آتون ثم مات ذلك وبدأ كهنة آمون انتقامهم الدموي الكاسح الذي قضوا به على كل من كانت له يد في ذلك الانقلاب الديني في ظل أخناتون، وهرب موسى إلى مدين حيث تعلم عبادة يهوه على يدي حميه يثرون))[1].

على الرغم من أني لا أقر الأستاذ شفيق ولا من سار معه إنه كان في زمن أخناتون لأن زمن الخروج قد اتفق عليه غالبية الباحثين بأنه كان في القرن الثالث عشر قبيل الميلاد، بينما كان أخناتون في القرن الخامس عشر قبل الميلاد فهل عاش ما يقارب مائتي عام هذا لم يقل به أحد وكل ما آمله أن ننقل ونناقش الأمور لا أن نقف كالآلات ننقل دون نقاش.

إن أخناتون قام بانقلابه الديني في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد و لم يبق سوى سنوات قليلة في الحكم والخروج إن صح من مصر سيكون في أيام رعمسيس وهذا حكم وانتهى حكمه في نهاية القرن الرابع عشر ليحكم بعده مرنفتاح في عام ١٢٩٥ ق.م فكيف نوفق بين هذين التاريخين؟

وكل ما أريده الآن هو الأثر المصري في الدعوة اليهودية ولا تهمني مصرية موسى أم إسرائيليته.

والشيء الذي أريد أن أوكده:

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص ٢٩٤.

١. قال بعض العلماء أن موسى مصري وأنا أقول إنه عـــاش في مصر فترة طويلة من عمره أقدرها بخمسين سنة وتقول التـوراة التثنية ٣٤/٧/ إنه عاش ١٢٠ سنة قضى منها أربعين ســنة في التيه وبذلك يكون قد عاش في ظل الحضارة المصرية ســبعين سنة وعشر سنوات في ظل حضارة مدين.

٢. إن بني إسرائيل عاشوا في مصر كما تقول التوراة مدة تزيــد عن الأربعمائة سنة وهنالك خلاف حول مصر التي كان فيــها بنو إسرائيل ومن فرعون الخروج.

٣. تقول التوراة إن موسى من بني لاوي وهو كما تقول ســبط من أسباط بني إسرائيل ولا نعرف عن سبط لاوي قبل مجــيء موسى شيئاً يميزه عن إخوته بقية الأسباط.

٤. قال فرويد وهو زعيم الاتجاه بأن موسى مصري إن هـــارون ينتمي إلى بني لاوي أما موسى فهو مصري صميمي لا علاقــة له بهارون.

٥. لا يمكن لأحد أن يقول إن الدعوة اليهودية لم تتأثر و لم تسـرق عن الديانة المصرية ولقد ناقشنا هذا في فقرة التكوين والخلق.

٦. إذا كان آباء الأسباط عاشوا في كنعان كما تقول التوراة وهم ينتمون إلى آرام فإنهم ظلوا يحملون عبادتهم الأساسية عبـــادة إيل الإله الذي عرفه العرب من يمنهم حتى شامهم ولكنه مـــن

غير المعقول ألا يتعرف على الديانة المصرية وألا يأخذوا من تعاليمها ومن كهنتها.

٧. لم يعرف بنو إسرائيل الإله يهوه لا في كنعان ولا في مصر وأقول حتى في مدين لم يعرف موسى يهوه بدعوة التوراة ذاتها حيث سمت حمى موسى تارة باسم رعوئيل وتارة باسم يثرون ولم تسمه بيهوه مضافاً إلى اسم الإله يهوه أي اسم آخر، ولو فتشنا في التوراة صفحة صفحة كلما ذكرت مدين لما ألفينا الاسماء اليهودية مما يدل على أن يهوه لم يكن موجوداً لا في مدين ولا في مصر ولا كنعان ولا بابل، وقد ناقشنا اسم يهوه سابقاً ولا حاجة بنا للعودة إليه من جديد.

٨. يرى فرويد وكافة الباحثين الذين ساروا معه إن فرض الإله يهوه والديانة المصرية التي هرب بنو إسرائيل من حكامها جعل بني إسرائيل يتذمرون من هذه الديانة المفروضة عليهم بشتى الأساليب من تهديد وترغيب وقطع العهود وإبداء المواثيق وجعل الكهنة اللاويون الذي اعتبروا أنفسهم صفوة بني إسرائيل يملون ما يشاءون من أوامر بحجة أنها ديانة يهوه وكان في النهاية مقتل هارون وموسى.

وفي هذا يقول الباحث شفيق مقار: ((وعلى هدي ما استبصره من طباع الشعب ونفسيته وميوله اجتهد موسى في لي عنق وتحرير ما استعاره من الديانة المصرية ليجعله مما يمكن أن يتقبله ذاك الشعب ويؤمن به فيتيح

لموسى وطبقة الكهنوتية البارعة صوغ المفاهيم والممارسات المصرية من أشكال ومضامين جديدة تكفل إقبال الشعب على العبادة التي قرر موسى أن ينشئها حول شخصية المعبود الصحراوي يهوه الذي عاد به من منفاه الاختياري في مضارب المديانيين وفاجأ شعباً لم يكن قد سمع به من قبل.

إذن هي حكاية ملتوية من بدايتها وعملية تلفيق شاسعة اضطلع بها موسى تحت دفع عديم الرحمة من طموح معذب أعزاه بالدخول في صراع غير متكافئ ظلت غايته توحيد الشرازم التي خرج بها من مصر في ظل هيكل يهوه وهو صراع فاجع كان من المجتمع أن ينتهي بموسى إلى قبر مجهول طمره قادة الشعب فيه بعد أربعين سنة من ابتداء مأساته بطمره مواطنه المصري الذي وجده يتشاجر مع إسرائيلي فقتله موسى))[1].

لم يكن بنو إسرائيل سمعوا بيهوه فإذا كان إسرائيل سمي إسرائيل باسم الإله إيل فإن يهوه لم يكن معروفاً عندهم وحاول اليهود أن ينسبوه إلى موسى وموسى بريء منه ومنهم ولهذا فإن يهوه أقحم على النص إقحاماً ودخل النص التوراتي بعد أن أسبغ عليه من مصر ما أسبغ وسرق له من مصر ما سرق ويقول العهد الجديد عن موسى إنه هذب بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً في الأقوال والأعمال، أعمال الرسل٧/٢٢/.وطيلة الطريق في الفقر على مدى السنوات الأربعين التي تقول الحكاية أن موسى تاه بالشعب خلالها في الصحراء وظل الشعب رافضاً عبادة الإله يهوه وظل يعود بمرونة وأثارت ثائرة موسى وحمى لها

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص ٣٤.

غضب يهوه المرة تلو المرة فهم أن يعني الشعب بولا وساطة موسى لعودة الشعب إلى آلهته القديمة:

((وعلى هدي ما استبصره الكهنة من طباع الشعب ونفسيته وميوله اجتهدوا في لي عنق ما استعاره وتحريره وصوغ المفاهيم والممارسات المصرية من أشكال ومضامين جديدة تكفل إقبال الشعب على العبادة التي قرر موسى أن ينشئها فهي حكاية ملتوية من بدايتها وعملية تلفيقية شاسعة اضطلع بها موسى تحت دفع طموح معذب أغراه في الدخول في صراع غير متكافئ غايته توحيد الشرازم التي خرج بها من مصر في ظل هيكل يهوه وهو صراع فاجع كان من المحتم أن ينتهي بموسى إلى قبر مجهول طمره قادة الشعب فيه بعد أربعين سنة في ابتداء مأساته بطمره المواطن المصري الذي وجده يتشاجر مع عبراني فقتله انتصاراً للعبراني خروج ٢/١١-١٢))[١].

وأما فرويد فقد أكد هذه المنابع المصرية والنص الكامل لما قاله فرويد في هذه الخصوصية بالغ الأهمية في الوقوف على أهمية هذه المنابع للديانة التي ركبت حول يهوه في ظل مختلس من الديانة المصرية:

((انصرف هم من وضعوا التقنين الكهنوتي بتركيز خاص إلى إرجاع تعاليم ومؤسسات زمانهم إلى أزمنة سابقة عملاً أن يوفر ذلك القدم القداسة والإلزام لما أرسوه من تعاليم ومؤسسات وقد فعلوا ذلك في زمن السبي وما بعده أساساً بأن أرجعوها إلى الشريعة الموسوية وعلى

---

(١). شفيق مقار السحر في التوراة ص ٣٥.

الرغم من أن ذلك الإرجاع إلى الوراء من تزييف لصورة الماضي لم يكن ما أقدم عليه الكهنة عارياً من المبرر النفسي فقد كان انعكاساً للحقيقة الماثلة في أنه بمرور الزمن الطويل فيما بين الخروج من مصر وتثبيت نص العهد القديم في ظل عزرا ونحميا أي بعد مرور ثمانين عام كانت عبادة يهوه قد غير لتصبح مطابقة للديانة المصرية بل وفيما يحتمل لتسبغ عليها هوية تلك الديانة وكانت هي النتيجة الجوهرية والمؤدي البالغ الأهمية لتاريخ اليهودية))[1].

ويعلق فرويد على هذا الكلام بقول في الكتاب نفسه صفة٢٧٢: لا وجود لمؤرخ يمكن أن يرى في الحكي عن موسى التوراتي والخروج أكثر من اختلاق روائي تقي من محض المخيلة أخذت عناصره القصصية من تقليد ضارب في القدم فأعيدت صياغته تحقيقاً للمرامي المغرضة لمن اختلقوه، ومع الأسف إن الصفة الأصلية لذلك التقليد ليست متاحة لنا ولهذا فإنه قد قطع علينا الطريق في أية محاولة للوقوف على الحقائق التاريخية كما حدثت فعلاً وبإزاء ذلك لا يبقى أمامنا إلا أن نحاول إعادة تركيب المنفذ إلى تلك الحقائق وهو مالا يدع مكاناً لعدد من المكونات الاستعراضية للحكاية التوراتية كمسألة الضربات العشر وحكاية عبور البحر وحكاية تلقي الشريعة على جبل سيناء، غير أن ذلك لا يقلقنا لأنه ما هو حري بأن يقلقنا حقاً أن نجد أنفسنا في وضع التضاد مع ما يفضي إليه البحث العلمي الجاد في هذا العصر.

---

(١). فرويد سيفموند: نشوء الدين اليهودي ص ٢٨٧.

فالمؤرخون المحدثون الذين يمكن أن نأخذ كمثل لهم إدوارد ماير/١٩٠٦/ يتفقون مع الحكي التوراتي في خصوصية حاسمة، فهم أيضاً يرون أن من أصبحوا فيما بعد شعب إسرائيل اعتنقوا ديانة جديدة في نقطة بعينها من الزمان إلا أن ذلك في رأيهم لم يحدث في مصر أمام شبه جزيرة سيناء كما يحكي سفر الخروج بل في منطقة أخرى تعرف باسم مريبة قادش وهي واحدة اشتهرت بكثرة عيونها وآبارها جنوب فلسطين بين المخرج الشرقي من شبه جزيرة سيناء والحدود الغربية لشبه الجزيرة العربية ففي ذلك الموقع أخذوا عبادة إله اسمه يهوه.

وكان أخذهم لتلك العبادة فيما هو محتمل من قبيلة المديانيين العرب المجاورة، ويحتمل أن عدداً من القبائل الأخرى في تلك المنطقة كانت من أتباع ذلك المعبود، والذي لا شك فيه أن يهوه كان معبوداً بركانياً ومصر ليست أرضاً بركانية ولم تكن شبه جزيرة سيناء بركانية في أي عصر من عصور تاريخها في حين أنه وجدت براكين قد تكون ظلت نشطة إلى أزمنة قريبة نسبياً على الحدود لشبه جزيرة العرب، وبالتالي لا بد أن مكمن يهوه الجبلي الذي تراوحت تسميته بين جبل سيناء وجبل حوريب كان أحد تلك البراكين.

والمشاهد أنه على الرغم من المراجعات الكثيرة المتعاقبة التي أخضعت لها الحكاية التوراتية ظلت الصورة الإلهية الشخصية المعبود صورة يمكن طبقاً لما يراه إدوارد ماير اجتلاؤها فإذا هي صورة شيطان مريد رهيب متعطش كان يمشي ليلاً ويتجنب ضوء النهار.

لي على هذا النص مايلي:

١.أشار فرويد إلى ضياع النص الأصلي للخروج وللضربات التي حلت بمصر وفرعونها ولو قرأ القرآن الكريم للاحظ النص الأصلي الذي صور هذا الخروج، لكن دون هذه التفصيلات المملة.

٢.إن الخصومات التي جرت ضد موسى وخاصة قصة قورح إن هي إلا اختلاق لا أساس لها من الصحة وإن قامت بعض الشكاوي من بني إسرائيل ضد هذه الحياة في هذا الفقر.

٣.اعيدت صياغة التقليد بعد أن ضاع التقليد بناء على ما ارتآه الكهنة لا بناء على ما نزل على موسى وماجرى معه.

٤.مريبة مكان غير قادش حسبما نصت التوراة.

٥.أكثر الباحثين في قضية موسى يقولون إن موسى المصري قد قتل في قادش برنيع وقام موسى المديني بديلاً منه وحرف الديانة الموسوية نذكر منهم فرويد ذاته.

٦.أن النتيجة العلمية للبحث الجاد وجود التناقض لأن الباحثين يضعون مسلمة أن هذا الكتاب قد صاغه موسى والواقع أن صياغة هذا الكتاب صارت بعد ثمانمائة عام من موسى.

٧.إن وصف يهوه إله جبلي بركاني عار عن الصحة فالإله خلق السموات والأرض لا يمكن أن يكون إله جبال فقط أو إله سهول فقط، وكل ما وضع في التوراة في وصف يهوه إن هو

إلا من عمل رجال الكهنوت اليهودي كعزرا ونحميا ومن أتى بعدهم.

٨. لم يستطع العلماء تحديد يهوه بمكان معين أما احتمال مدين فهو احتمال واه أخذوه من التوراة دون أن يدعمه الدليل، أما إله مدين الفعلي فهو إيل لتسمية رعوئيل اسماً إيلياً، وهو حمو موسى ولو كان يهوه إله مدين كانت التسمية يهوية.

٩. إن صورة يهوه بصورة شيطان مريد من عمل القبالة اليهودية ولهذا لا نرى ابتداعاً يأتي به الباحث اليهودي ماير.

وأخيراً في هذا المجال ليس لي ما أقوله إلا أن هذا الكم الهائل المختلس ليهوه لم يثبت كتابة إلا بعد موسى بقرون عديدة، بدأت الكتابة في أيام السبي وما بعدها ونشطت في أيام الحكم الفارسي ولم يقتصر الاختلاس على الديانة المصرية فقط بل امتد إلى أديان الشرق الأوسط بشكل عام، ولهذا بدأت القصة التوراتية بسرقة إبراهيم وضمه إلى تراثهم بالإضافة إلى أبنائه إسماعيل وإسحاق ويعقوب مختلقين الكذبة تلو الكذبة ليرقعوا بها ما تمزق من كتابهم وما لفقوه في مقدساتهم.

٣.التوحيد وأخناتون

يُصر العلماء في الديانة اليهودية على الأثر المصري وقد ناقشنا هذا في فقرات سابقة ويبرزون فكرة التوحيد كمثال واضح على هذا الأثـــر وقد قال الباحثون إن أخناتون أول من قال بالتوحيد، ولهذا فالأثر الـــذي يمكن مناقشته في الدين اليهودي نشيد أخناتون وأثره في الديانة اليهوديـة، ((ويرى علماء وباحثون علمانيون في مقدمتهم الطبيب والعالم النفســـي فرويد اليهودي أن موسى كان أميراً مصرياً وأنه تولى الحكـــم في هـــذه المنطقة (منطقة جاسان) من قبل الفرعون أخناتون أول من قال بالوحدانية في العالم القديم، وأنه بعد موته أراد موســـى أن يخـــرج بكـــل الغربـــاء والأجانب الذين لا يملكون شيئاً في مصر، وكذلك بكل المصريين الذيـــن انضموا إليه، وهدفه أن يجند في فلسطين شيئاً وأن يعود الهجوم على مصـر لنشر الوحدانية من جديد بعد أن كانت قد انهارت مع موت أخنـــاتون، ويرى هذا الباحث أن السبعين رجلاً الذين اختارهم موسى للسيطرة على هذه الجموع المغادرة لمصر وحكمها وتنظيمها في أثناء هجرتها سياســـياً وعسكرياً واجتماعياً كانوا من أعيان المصريين))(١).

ولقد ناقشنا أن زمن الخروج متأخر عن زمن أخناتون أكثر مـــن قرن ونصف ولهذا لا يمكن أن يكون موسى قائداً عند أخناتون.

والذي أحب أن أشير إليه هو الأثر الفرعوني الذي يمكن دخوله في الدين اليهودي، ويقول كثير من البـــاحثين إن تـــوراة موســـى باللغـــة

---

(١). ظاظا حسن الساميون ولغاتهم ص ٧٥.

الهيروغليفية على لوحين من حجر البازلت وإلى هذا أشار حسن حدة في كتابه موسى والتوراة: ((نزلت توراة موسى هذه باللغة المصرية والكتابة الهيروغليفية المصورة على صفحتين من البازلت لا يزيد عن عشر كلمات وهي لاءات موسى أو شريعة موسى أو توراة موسى كما يطلق عليها القرآن الكريم))[1].

ولكني لا أرى هذا القول لأن التوراة كما وصفها القرآن الكريم ليست اللاءات التي قالها حسن حدة أو ما تسمى بالوصايا العشر، قال الله في القرآن الكريم: ﴿**ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون**﴾[الأنعام:١٥٤]، ويقول الله تعالى أيضا: ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين**﴾[الأعراف:١٤٥].

ولهذا أقول إن التوراة ليست الوصايا العشر ولو كانت كذلك لحفظها الناس جميعا وهم لا يزالون يحفظون الوصايا فمن أين يأتي التحريف والتبديل؟

ويقول فرويد في هذا الصدد في وصف توحيدية أخناتون: ((وآلى أخناتون على نفسه أن يفرض على رعاياه ديانة جديدة تناقض تقاليدهم القديمة وكل ما اعتادوه وكانت ديانة توحيدية صارمة، وأول محاولة من نوعها في تاريخ العالم على قدر ما نعلم، وولد بالتبعية مع الإيمان بإله

---

(١). حدة حسن: موسى والتوراة ص ٦٢.

واحد التسامح الديني الذي كان غريبا على العالم القديم قبل هذه الديانة التوحيدية ولكن حكمه الذي دام سبع عشرة سنة توفي عام ١٣٥٨ق.م))[١].

ولي على هذا النص ما يلي:

١. لم يدم حكم أخناتون إلا ثمان سنين وتوفي عام ١٣٥٣ ق.م وبدأ حكمه ١٣٦١ ق.م أما إذا توفي عام ١٣٥٨ ق.م فحكمه لم يدم إلا ثلاث سنوات.

٢.قال فرويد ذلك انطلاقا من التوراة فهي لم تنشر ولا كلمة عن ديانة إبراهيم التوحيدية و لم تقل بنبوته ولا بنبوة نوح عليها السلام ولو قالت ذلك لتساءلنا ما دعوة نوح وإبراهيم؟ وما إله إبراهيم ونوح؟ ما إله مدين (شعيب) ولوط؟ أسئلة كثيرة بين لنا القرآن أنها سلسلة متصلة الحلقات ذرية بعضها من بعض كلهم يؤمن بالإله الواحد الله سبحانه وتعالى ولما عثر على الدعوة الأخناتونية وهو سابق للتوراة قالوا عن أخناتون إنها أول دعوة توحيدية.

ويقول الباحث فوزي محمد حميد: ((جاءت دعوته التوحيدية في عام ١٣٦٥ ق.م بعد إبراهيم عليه السلام بحوالي ٦٠٠عام فدعوته لم تكن هي الأولى لوحدانية الله ومع ذلك قال فؤاد شبل بأنه أول أبناء الجنس البشري إدراكا لوحدانية الإله وشموليته.

---

(١).فرويد سيجموند: موسى والتوحيد ص ٦٤.

يقوم دين أخناتون على الاعتقاد بأن الإله الواحد خلق كل شيء في الكون بكلمة منه وهو رب كل البشر.

وتعد ثورة أخناتون الدينية خطوة رائعة نحو توحيد الآلهة حيث شملت الإمبراطورية المصرية من شمالها إلى جنوبها وأثرت فيها منتهكة حرمة الآلهة القديمة فارضة إلهاً واحداً لا إله غيره هو الإله آتن.

ويعتقد أن عقيدة التوحيد الآتونية جاءت إلى مصر عن طريق الهكسوس العرب الذين حكموا مصر حوالي قرنين من الزمن (١٧٨٥-١٥٨٠) قبل عهد أخناتون مباشرة.

كما يعتقد أن أتباع موسى عليه السلام كانوا يدينون بدين اخناتون وأن موسى نفسه من أتباع هذه الديانة الجديدة ويدعم ذلك القول بوجود تشابه بين قصائد أخناتون في تسبيحة الإله الواحد وبين المزمور ١٠٤ الذي قامت عليه التوراة فيما بعد، فعقيدة أخناتون تستند إلى عبادة الإله الواحد في رحاب المحبة والسلام عن طريق نشر الإخاء العالمي بين الإنسان وأخيه الإنسان بينما تقوم التوراة على أساس عبادة يهوه الخاص باليهود وحدهم باعتبارهم الشعب المختار))[1].

٣.الدعوة الأخناتونية قال عنها فرويد دعوة صارمة لكي يبرر صرامة الدعوة اليهودية ولكني لا أرى هذا فالدعوة الأخناتونية دعوة متسامحة عامة شاملة بينما الدعوة اليهودية سفاحة داعية للدماء حاقدة على البشر خاصة بهم.

---

(١). حميد محمد فوزي : عالم الأديان ص ١٠١-١٠٢.

٤.شاب الدعوة اليهودية تعدد الآلهة وقد رأينا ذلك في فقـــرات سابقة وسنعود إليها في مناقشة الآلهة في مصـــر بينمـــا الدعـــوة الأخناتونية دعوة توحيدية ليست تعددية مشتركة.

٥.الدعوة اليهودية لم تسرق مكن دعوات توحيدية أخـــرى بـــل كانت أصيلة بينما الدعوة اليهودية قامت على الاختلاس والتلفيـق والتزوير.

٦.يشير الدكتور سوسة إلى أن ديانة موسى الأصلية تشابه ديانـــة أخناتون بذاها: ((إن الوقائع التي يستند إليها الباحثون في اعتبـــار النبي موسى مصرياً وأن ديانته التوحيدية المطلقة مشـــابهة لديانـــة أخناتون بل هي ديانة أخناتون بعينها وهي تختلف كلياً عن الديانـة اليهودية التي دونها الأحبـــار اليـــهود في الأســـر وعزوهـــا إلى موسى))[1].

هذه الوثائق التي بين أيدينا ليست كلمات موسى ولا ديانته بـــل هي ديانة الكهنة الذين أتوا في عهد السبي وألفوا ما يسمى باليهودية وقـد كتبوا الصحف التي بين أيدينا فقد نسبوا إلى موسى وقائع كثيرة تفـــوق الحد المعقول حيث تناولوا بالتنقيح والتعديل النصوص التوراتية التي هي في متناول أيدينا وبعض المؤسسات وبعض الشعائر الطقسية التي لا مـــراء في أنها تعود إلى زمن أكثر تأخراً صورت وكأنها شرائع سنها موسى.

---

(١).سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ٢ ص٤٧٠/.

هذا إنما يهدف بجلاء ووضوح إلى إحاطتها بمزيد من النفوذ والهيبة لرجال الكهنوت وهو حافز على الشك والريبة.

ويقول الدكتور أحمد شلبي معلقاً: ((إن اليهود بعد أن انحرفت معتقداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوه من طباع وخلق، وكتبوا سواها بما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومعتقدات ثم يضيف إلى ذلك قوله: وهكذا كتبت الأسفر باسم الله والله براء منها، إنها في الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم، وبهذا السبب وبسبب كثرة الكتاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم كثرت الأخطاء فيه))(١).

والإله الذي يدعو إليه موسى هو الإله الواحد خالق السموات والأرض، الإله الواحد لا إله غيره الذي كان يدعو إلى عبادته أخناتون فرعون مصر والذي تقوم عبادته على أساس مبدأ الإخاء العالمي بين الإنسان وأخيه الإنسان ولا صلة لموسى بالإله يهوه الخاص باليهود وحدهم باعتبارهم الشعب المختار وهو الإله الذي استعاره كتبة التوراة ونسبوا إليه صلته بموسى عليه السلام(٢).

ولي على هذا النص ملاحظة واحدة هو أن أخناتون دعا إلى عبادة إله واحد متمثل بنور الشمس، أما موسى فقد دعا إلى إله واحد هو إله العالمين دون أن يتمثل في شيء إنه إله إبراهيم ونوح وآدم وإله البشرية

---

(١).سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ٢ ص٤٧٩/.

(٢). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ٢ ص٤٨٠/.

كلها، ليس كمثله شيء، من هنا انطلق لأبحث أثر ديانة أخناتون في الديانة اليهودية لا في ديانة موسى فموسى بريء من اليهود براءة الذئب من دم يوسف.

إنني أختلف في الرأي مع القائلين إن نشيد أخناتون هو أول قصيدة توحيدية في العالم، ولو حدد العلماء بقولهم إنها أول أثر توحيدي وصلنا لكان ذلك صواباً إذ أن كثيراً من الأنبياء والرسل دعوا إلى توحيد الإله دون أن يرمزوا إله بالشمس والقمر، ودعوة إبراهيم الخليل وتبرؤه من الشمس والقمر حينما قال لا أحب الآفلين، دعوة صريحة وواضحة للإله المجرد الذي ليس كمثله شيء، قال الله تعالى في القرآن العظيم:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنْ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنْ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٤-٧٩].

فالله لا يمثله الشمس ولا القمر ولا أي مخلوق مجرد عن التشبيه ليس له مثيل،وعبادة أخناتون لم تكن إلا عبادة الله معتبراً نور الشمس تجلى الله، بعد هذا كله أتساءل ويتساءل معي القارئ من أخناتون هذا؟

إنه أمون حوتب الرابع من الأسرة الثامنة عشرة استلمت الحكم عام ١٥٨٠ ق.م وانتهت عام ١٣٥٣ ق.م وكان بدايتها أحمس أو أمون حوتب الأول وهو الذي هزم دولة الهكسوس والذين أخطأ فيهم بعض الباحثين فظنوهم جماعة موسى فإذا ما كان الهكسوس جماعة موسى فإن موسى بهذا يكون سابقا لأخناتون وقد تم الخروج على هذا النحو عام ١٥٨٠ ق.م وبهذا يكون موسى غير تابع لأخناتون ولا عرفه وإنما نقل الكهنة الكتبة عن دعوة أخناتون ما نقلوا.

استلم أمون حوتب الرابع الحكم والذي تسمى بأخناتون وقد اختلفوا في سني حكمه اختلافا كبيرا فمنهم من يؤرخ ١٣٧٥ ق.م وينهيه ١٣٥٨ ق.م وبهذا يكون فد ظل في حكمه سبع عشرة سنة، ومنهم من يرى أن حكمه دام سبع سنوات، ويرى كثير من المؤرخين أن عهده كلن عهد إصلاح ديني لكن عهده عهد ضعف في الإمبراطورية، ففي زمنه هاجم الأخلام أو الخبير وفلسطين ورسائل عبد خيبا في تل العمارنة وكذلك رسائل رب عدس تفوح بالشكوى من التمزق في جسم الإمبراطورية المصرية،و في عهده قام عبد عشيرتا وابنه عزير وبالهجوم الكاسح على شمال سورية وفلسطين واضطر أخناتون أن يشرك معه في الحكم زوج ابنته ساكرع ثم لم تمض فترة قصيرة حتى عزل ومات في

ظروف غامضة قد يكون قتل فيها غيلة بعد حكم اختلف في مدته، أما ساكرع لم يدم إلا شهور فقام توت عنخ آمون بإنقلابه وغير الحكم التوحيدي للإله آتون إلى حكم آمون الوثني من جديد وانتهى حكمه علم ١٣٥٣ ق.م استلم كبير الكهنة حورمحب ١٣٥٠ وامتد حكمه حتى ١٣١٥ ق.م ليؤسس حكم الرعامسة الملوك الأقوياء الذين حكموا مصر، وفي زمن رعمسيس الثاني قام ببناء رعمسيس المذكورة في التوراة وأن بني إسرائيل قد سخروا ببنائها، صح عند أمون حوتب الرابع (أخناتون) أن الآلهة المتعددة يجب أن تتوحد وأن هذا التوحيد يجب أن يقوم على العقل وأن يبرأ من الخرافة ومن سلطة الكهنوت معا، و لم يكن ذلك يسيرا لأن العقيدة الدينية كانت قوام الحياة جميعا وكان على فرعون إذا أراد أن يدعو إلى مذهبه الجديد في التوحيد أن يخوض معارك قاسية ومريرة أهون منها وقائع الحروب.

نصب أخناتون نفسه كاهنا أكبر للإله رع وأسماه آتون وسحق آمون وتسمى بأخناتون ومعناه مجد آتون بعد أن كان اسمه آمون حوتب.

واشتد الصراع بين الجديد والقديم،وصمم على أن يشيد مدينة أعظم من طيبة لم يرتفع فيها صوت بعبادة سابقة على عبادة آتون وتخير هذه المدينة في سفح الجبل وفي منتصف الصعيد موقعها الآن يعرف بتل العمارنة، وأطلق عليها اسم أخيتانون أي سماء آتون، ووصف أحد الزوار هذه المدينة الجديدة بقوله أخيتانون سيدة المدن حتى ليخيل لناظرها أنها الجنة إذا أشرق عليها آتون أغدق عليها أشعته محتضنا بها المدينة على ابنه

المحبوب سليل آتون واقف الأقاليم على الذي أجلسه على العرش ومرجع الأرض إلى خالقها.

تخلص أخناتون من سلطة الكهنة وحفظ لنا التاريخ ترنيمتين عرفتا بدعاء أخناتون والملكة نفرتيتي زوجته الجميلة المشهورة وليس من شك في أن هذا التوحيد ثمرة من ثمار الفكر الأخناتوني الخالص.

إن أخناتون آثر السير قدما مضحيا في الإمبراطورية وأجزائها ومفضلا مبادئه وتطبيقها مضحيا بالملك والسلطة في سبيل الدفاع عن مبادئه.

وهكذا كان إلا أن مبادئه سقطت في حينها وقامت الوثنية من جديد في ربوع مصر، وخلد اسمه في نشيده التوحيدي الذي أعلنه للملأ وقد كشف عليه مؤخرا في بلدة تل العمارنة وقد أثار كشفه العلماء.

إن الجوهري في لاهوت أخناتون يوجد في ترنمتين موجهتين إلى آتون وهما الشيء الوحيد الذي احتفظ به، إنها بالتأكيد تتعلق بواحدة من أكثر العبارات الدينية المصرية نبلا، الشمس هي بدء الحياة، أشعتها تعانق كل البلداون رغم كونها بعيدة جدا فإن أشعتها على الأرض مع كونها على وجوهه البشر فإن آثارها غير مرئية، إن آتون هو خالق النطفة في المرأة وهو الذي يحيي الجنين، ويسهر على الولادة وعلى نمو الولد، وكما أنه من جهة أخرى يعطي النفس إلى الفرخ الصغير ويحميه وبالتالي كم هي عديدة الممالك، إنها محجوبة عن البشر أيها الإله الأوحد ما عداك لا يوجد أبدا أخر.

إن آتون هو الذي خلق كل البلدان والرجال والنساء، ووضع كل واحد في مكانه الخاص، أخذ العناية بحاجاته (العالم يستمر بك..وكل واحد غذاؤه) لقد قورنت هذه الترنيمة حقا بترنيمة المزمور ١٠٤ وقد حصل كلام حول الخاصية التوحيدية لإصلاح أخناتون.

إن أصالة هذا الفرد الأول وأهميته في التاريخ كما وصفه بريستد هي متضادة أيضا إلا أنه لا شك في حميته الدينية فالصلاة التي وجدت في ناووسه تتضمن هذه السطور:

سأتنشق النفس الحلو من فمك، كل يوم سأتأمل جمالك
أعطني يديك المشحونتين بروحك، كي أتلقاك ولكي أعيش بها
ناد باسمي على طول الأزلية فهو لن يهمل نداءك مطلقا.

بعد ثلاثة وثلاثين قرنا مازالت هذه الصلاة محافظة على قوتها المميزة(١).

ورغم أن موسى قد جاء بعد أخناتون بما يقارب من عدة أجيال فإن ديانة موسى والتي كتبها الكتبة والكهنة لم تستطع أن تكون ديانة عالمية ولهذا أسقطت المحاولات التوفيقية الدينية بين ديانات مصر وديانة كنعان، وباتت مزيجا متناقضا لا رابط بينها، وما يقوله الأول يهدمه الآخر، لقد أعلن الكتبة أن إلها واحدا بعد أن استمدوا عناصر ألوهية من كافة الديانات الأخرى، لكنه صار إلها قبليا طباعه طباع الناس الذين اختاروه في الخسة والدناءة والانحطاط والاحتقار وهو الإله المجرد مرة

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص١٣٥/.

المشخص مرة العالي في السماء مرة والمسجون في تابوت العهد مرة أخرى، الثنائي الجنس تارة والعاشق الغيور لابنته وحبيبته إسرائيل والتي تزني بكافة أصنام الأرض، غير أنه يجب أن لا يغيب عن بالنا أن الذين ألفوا الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم ونسبوها إلى يهوه بوصفها تسجيلا بيده لوحين بأصبع يهوه، وقد حرروها بعد عدة قرون، قد وجدوا من الضروري إسقاط البعد الأخروي الذي لا غنى عنه لديانة توحيدية سماوية وحرموا ديانتهم منه اجتهادا منهم في إخفاء المنابع المصرية لتلك الديانة[1].

أخناتون إذن أول من ثبت آثاره أنه قال بالتوحيد رغم أن توحيده اقترن متجليا بنور الشمس إلا أن اليهود لم يستطيعوا أن يقفوا معه في هذه الذروة التوحيدية بل إنها كانوا مشركين فقد جاءوا بإيل الكنعاني إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومدين وهو كبير الآلهة عند الأوغارتيين ولم يستطع يهوه أن يكون صورة عن إيل ولا عن آتون فالإله إيل عالمي وكذلك آتون أما يهوه فهو إله قبلي خاص.

إن كلمة هألوهيم الإله وجدت في الكثير من النصوص التوراتية وهي تشير بوضوح إلى تعددية واضحة واشتراك ظاهر بالإضافة إلى النصوص التي نقلها الله في مجمع الآلهة، إن كلمة إيلوهيم ترجمت احتراما للتوحيد المزعوم بالله ولكنهم لم يستطيعوا الاستغناء عن هألوهيم الآلهة لأن الهاء للتعريف والياء والميم من علامات الجمع.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ١٢٤.

وقد وصف موسى بأنه رجل الآلهة القديم ومن الأسباب التي جعلتهم يترددون في هذه المهاوي الوثنية اختلاف أصولهم فلكل قبيلة آلهة خاصة، وحينما أرادوا إنشاء هذا الدين أدمجوا هذه الآلهة وصارت أحيانا كلمة الله وتارة يهوه وتارة هألوهيم.

ويبدو لقارئ التوراة أنه أما كتاب وثني مشرك ليس يهوه إلا واحدا من هذه الآلهة المتعددة وكأنه هبل بين أصنام الجاهلية فهو الكبير بينهم لكن الفأس غير معلقة برقبته وإنما كانت بيده يضعها على صدر الشعوب الضعيفة التي لا تجيد الدفاع عن نفسها، أما أوصاف الإله في الديانة المصرية فهي التي وصف المصريون بها آلهتهم، توقفنا على تلك الآلهة لم تكن إلا تجسدات للإله الشمس رع الذي كان نمطا ورمزا للإله الواحد المتعدد الأوصاف.

ومن الواضح في طبيعة تلك الأوصاف أنها لم تنسب إلى آلهة متعددة إلا لأن كل إله من تلك الآلهة اعتبر تجسدا لصفة أو خاصية ما من صفات الإله الشمس، وهذه التحولات مألوفة في الترانيم المصرية، وباستخدامها خارج سياقها الديني المصري أمكن لكثرة من الأتباع طمس حقيقة الإقتباس التوراتي من الديانة المصرية.

نعم إن تلك الصفات الإلهية في النصوص الدينية المصرية في كل العصور توقفنا على أن أفكار المصريين ومعتقداتهم التي جاءت فيما يتعلق بالله تطابقت معها أفكار اليهود ومعتقداتهم التي جاءت بعد المصريين بوقت طويل.

ومن تلك النصوص نتبين أن أساسه الفكري الديني المصري تمثل في الاعتقاد:

١.بأن الله واحد وحيد،و أنه لا وجود لإله آخر سواه وأنه الواحد الذي صنع كل الأشياء.

٢.بأن الله روح، روح خبئ كل الأرواح، روح المصريين الأعظم الروح الإلهي المقدس.

٣.إن الله موجود منذ الأزل موجود منذ البدء موجود منذ القدم، كان موجودا قبل أن يوجد شيء، كان موجودا عندما لم يكن وجود لأي شيء وهو الذي أوجد كل شيء فهو الأب الأول لكل البدايات.

٤.بأن الله باق إلى الأبد فهو الأبدي اللامتناهي الدائم أبدا، وقد ظل منذ الأزل وسيظل إلى الأبد.

٥.بأن الله محتجب لا يرى الإنسان شكله، و لم يستطع إنسان أن يستجلي طلعته فهو السر الأبدي بالنسبة لكل خليقة.

٦.وأنه ليس هناك من البشر من يعرف كيف يمكن أن يحدده، فحتى اسمه ظل وسيظل خبيئا وسرا، وسرا مستغلقا على أبنائه، وهم يعرفونه بأسماء معتددة لا يعرف إنسان كم يبلغ عددها لكن اسمه سيظل سرا، ويظل اسما واحدا[١].

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ١٠٨.

هذه السمات موجودة في يهوه في أسفار العهد القديم ولكنها تتناقض في بعض الحالات:

١. قالوا إن يهوه واحد وهو إله بين مجموع آلهة لكنه إلههم الخاص، وقالوا إنه صنع كل الأشياء لكنهم نسبوا خلقها إلى إيل مرة وإلى يهوه مرة أخرى وينعت بأنه خالق كل شيء.

٢. إله اليهود إله مادي فهو يرى في الحلم وفي اليقظة وإذا لم يستطع موسى رؤيته مرة فإنه رأى قفاه حسب الترجمة ومؤخرته حسب قول الباحث شفيق مقار.

٣. قالوا إنه موجود و لم يكن موجود سواه و كانت روحه ترفرف فوق غمر المياه.

٤. اعترفوا ببقائه إلى يوم الدينونة لكنهم لم ينقلونا إلى ما بعد ذلك فلم نعرف هل ينتهي يهوه يوم الدينونة بعد أن يدين أمر الأرض كلها أن ينتهي وتبقى إسرائيل تعيش على الأرض.

٥. الاحتجاب هناك تناقض واضح في هذه المسألة فهو مرة محتجب ومرة يترل بين البشر يتكلم معهم ويناقشهم، حادثة سدوم وعمورة رجال بني إسرائيل السبعيين...ومرة لا يمكن لأحد أن يراه ويبدي كل من نظر إليه في تابوت

العهد فقد ضرب أهل بيت شمس لمجرد أن رأوا تابوت العهد كما ضرب ابني هارون.

٦. لم يكن يهوه خبيئاً في يوم من الأيام فهو بركان ثائر تتوقد النيران عند حضوره وصوته أشبه بالرعد، يكلم موسى ويكلم بني إسرائيل كما يكلم القضاة وصموئيل وشاول وداود وسليمان...

٧. ترك اسمه خبيئاً أهيه أشير أهيه ولا أحد يعرف اسمه كما يقال وما يهوه إلا كلمة أطلقت من فعل هيا كان دون أن يفصح عن اسمه العلم الخاص به.

ومنذ أول في سفر التكوين ينطق بها النص بما أخذ من الديانة المصرية ففي الإصحاح الأول منه وهو المحرر في عصر السبي أخذ مادته من الوثيقة الكهنوتية بنسب إلى يهوه خلق العالم بالأسلوب الذي قالته الديانة المصرية قبل كتابة الوثيقة الكهنوتية بآلاف السنين إن الإله أوجد به كل ما هو موجود بقلبه ولسانه، وقلبه في ذلك الاستخدام المصري تعني فكره ولسانه أي بكلمته فيهوه في غمار الاستنساخ من الديانة المصرية جُعل في سفر التكوين حائزاً للقدرة أن يفكر في الشيء ثم يقول ليكون فيكون ذلك الشيء الذي فكر فيه، وقد وصل ذلك الاستنساخ من الديانة المصرية إلى العهد الجديد عن طريق فيلون المتفلسف اليهودي السكندري الذي عاش حوالي سنة ٥٠ ميلادية وحاول أن يوصل فكرة الخالق بالفكر والكلمة المصرية هذه التي استعيرت لديانته إلى العالم الهليني

فكتب عن الوغرس (الكلمة) وكان أن طور ذلك في العهد الجديد إلى في البدء كان الكلمة يوحنا ١/١/ فالفكرة التي أنبنت عليها آلية الخلق في العهد القديم والجديد أي فكرة إيجاد ما لم يكن موجوداً بمجرد أن يخطر بفكرة الإله فينطق الإله بالكلمة كن أي يمارس فعل التكوين فكرة مأخوذة جملة وتفصيلاً بحرفيتها من الديانة المصرية والأساس الفريد الذي بنى عليه ذلك المنسق الفكري افتراض جوهري بأن الذهن أو الفكر هو منبع الأشياء كلها لأن كل الأشياء وجدت في خلال ما جال بالقلب من فكر وما أمر به أي نطق به اللسان، فالمصريون اعتقدوا أن القلب هو منبع الفكر فاستخدموا القلب بمعنى الذهن أما الوسيلة التي يصبح الذهن عن طريقها قدرة خلاقة، فالكلمة المنطوقة التي تجسد الفكرة وتجعلها واقعاً هو المقصود فيها كن فيكون، وبتلك الطريقة تتواجد الفكرة كمحسوس في عالم الوجود الموضوعي وفي الديانة المصرية وجدت تلك الفكرة بتصور المصريين للإله ذاته الذهن الذي يفكر والكلمة التي توجد ما لم يكن موجوداً، فهل لنا أن نعترف هنا على الخليقة التاريخية لمفهوم اللوغوس في العهد الجديد.

((في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله)).

وهل لنا أن نسمع صدى الخبرة الدينية الضاربة في القدم على ضفاف النيل؟ وقد حاول كتبة التوراة اعلاء يهوه وجعله عالمياً.

١. ظل الإعلاء مغتصباً ومفروضاً من خارج الإله يهوه لمآرب لا علاقة لها بالسماوية ولها كل العلاقة بالأرض والثروة.

٢. استهدف الإعلاء الاختلاف السياسي الذي وسع في زمن السبي واصطدم بالاختلاف الجذري وهو اخلالاف الذي جعل العبادة مفتقدة البعد الآخروي وبالتالي مفتقدة المقومات الأساسية لأي إعلاء حقيقي، ويرى فرويد أن ديانة أخناتون كانت صارمة توحيدية في ظل الأسرة الثامنة عشرة وكانت أول ديانة توحيدية.

لكنها لم تكن ظاهرة طفرة أو قفزة نوعية كما يقال إنما منابع هذه الديانة التوحيدية موجودة في عبادة آمون، استطاع أخيتون أن يوجد الآلهة في ظل آتون وكان هناك قبله صراعات حول توحيد الآلهة في مصر وبمعنى أوضح إن اتساع رقعة الإمبراطورية في مصر والذي شمل عدة قوميات في عهد تحوتمس انعكس على ديانة توحيدية عالمية و لم يعد فرعون حاكماً لمصر بل شملت بلاد الشام وقسماً من بلاد الحجاز وليبيا ، هذا الاتساع أمال النظرة المصرية إلى العالمية والتوحيدية.

وبوقت طويل قبل أخناتون كانت هناك اتجاهات قوية ظلت فاعلة فعلها بين كهنة معبد الإله الشمس في عين الشمس (أون) دافقة لاهوتية صوب مفهوم الإله الواحد العالمي،وصوب التأكيد على الوجه الأخلاقي من طبيعته، وكان الوقت مواتياً لذلك، فأوضاع مصر السياسية كانت آخذة في ممارسة تأثير قوي ومستمر على الديانة المصرية والإله

الشمس قد تعدى إلى بلاد ليست له و لم تكن ضمن عبادة فكما ان الفرعون بات الحاكم الأوحد المطلق لكل العالم كما كان العالم بالنسبة للمصريين انسحب نفس الوضع على إله المصريين، وعليه فإن الإله لا يجب أن يكون للمصريين بل يجب أن يكون عالمياً ولهذا أقام أخناتون ديانته وتحلل الإله من قيوده الوطنية المحلية، وقد بلغ الفراعنة في وضعهم الإمبراطوري الجديد العامل الحاسم في ذلك البزوغ القوي لمفهوم التوحيد وحينما قرأ اليهود أنشودة أخناتون رأوا أنفسهم أنهم بحق النشيد والتوحيد فأدخلوه ضمن كتاباتهم قطعاً ممزقة حتى لا ينتبه القارئ أو المستمع ويعرف أنه نشيد أخناتون التوحيدي، هذا الكلام أكده كل من فرويد في نشوء الدين ص٢٥٨ وشفيق مقار في السحر في التوراة ص٤٠٠.

ويقارن فرويد وضع بني إسرائيل بوضع مصر فيرى فارقاً كبيراً معندما حاول بنو إسرائيل أن ينقلوا التوحيد لم يكونوا في وضع قوة عالمية بل كانوا كهنة في وضع سبي، وهكذا فإن جعلهم يهوه إلهاً محتجباً سماوياً عالمياً لم يكن كما في حالة مصر تبعاً لتحليل فرويد بلوغاً لذروة توحيدية فعلت فيه فعلها وضعاً لقوة عالمية، بل اغتصاباً لعالمية ظلت حصرية. ويقول ماكس فيبر: سارت عالمية يهوه معهاً يداً بيد رسالة عالمية وعلى الرغم من أن أشعيا الثاني لم يعن بتجديد تلك الرسالة تفصيلاً فإنه لم يكن من قبيل المصادفة أن مجمع سفر أشعيا كما هو وارد في العهد القديم الحقت فيه بكلام أشعيا الثاني مباشرة كتابات أشعيا الثالث وهو مجهول الاسم الذي كتب في زمن ما بعد السبي والذي كان من أنشط الممارسين

للدعاية الدينية العالمية حكم صهيون والذي يشير إليه ماكس فيبر هو القائل من أجل صهيون لا أسكت ومن أجل أورشليم لا أهدأ حتى يخرج برها كضياء وخلاصها كمصباح موقد فترى الأمم برك ويرى كل الملوك مجدك وتسمين باسم جديد يعينه يهوه وتكوني إكليل جمال بيد يهوه وتاجاً ملكياً بكفه، أشعيا ٦٢/١-٣/.

فهل هذه الأقوال ممارسة عالمية أم هي قومية ضيقة كان أشعيا الثالث في هذا الكلام يهوياً متعصباً وإنساناً متزمتاً وقومياً مغلقاً وهو ضد العالمية لا معها وإذا ما قصدنا بالعالمية خضوع العالم لأمة كان كما يقول فيبر عالمية الدعوة اليهودية، أما إذا كانت العالمية إله واحد للعالم يسوده الوئام والمحبة والسلام فاليهوية دعوة بعيدة كل البعد عن العالمية.

ولم يكن يهوه في الكتاب المقدس العهد القديم في يوم ما كآتون إله أخناتون ذلك الإله العالمي الذي ينظر إلى البشر نظرة واحدة لا فرق بين لون ولون وقومية وقومية بل ظل ذلك الإله السفاح المنتقم من كافة الشعوب ليرضى الذي اختاره إلهاً وصاغوه حسب منطقتهم رباً.

وبصرف النظر عما وضع في التوراة من حكي أسطوري وفولكلوري ظل يوشي إبراهيم وموسى ويجعله مختلطاً في آن معاً لا شك في أن أسفار التوراة الخمسة تطرح بشكل مقنع عملياتها الذهنية وأفكارها الدينية، ومما لا شك فيه أن موسى الذي كان أكثر تقدماً بما لا يقاس من إبراهيم على الصعيد الديني والفكري معاً كان بوسعه بفضل ما تمتع به من

قدرات عقلية عظيمة أن يتوصل بجهده الخاص إلى مفهوم الإله الواحد والعلة الأولى.

إلا أننا متى حكمنا بالطريقة التي تبدأ بها كل الأنسقة الفكرية الكبرى سنجد أن ذلك كان شبه مستحيل لأن موسى مع التسليم بعبقريته العظيمة لم يكن ليستطيع تكوين تلك الأفكار وسط خواء فكري، بمعنى أنه كان مما لا مهرب منه أن تكون هناك صلة بين فكره الأصيل وبين ما كان كائناً ومتداولاً من مفاهيم توحيدية متقدمة نسبياً منذ قرون عديدة في وطنه مصر وعلى سبيل المثال كان أخناتون قبل أن يمر موسى بخبرة تجلى الإله في العليقة المشتعلة بجبل حوريب قبل مائة وخمسين عاماً.

ولا يجب أن ننسى أن أخناتون لم يكون أول الموحدين المصريين فأفكاره كانت مجرد ذروة لأفكار وجهود صف طويل من الكهنة المصريين توجهوا منذ ٣٥٠٠ ق.م كما يقرر المؤرخون إلى التوصل لتصور يفصح عن وحدانية الإله وتوحده بالطبيعة، ومن الحقيقي أن توحيدية أخناتون اتصفت بقدر من الروحانية أعظم وكانت مشربة بوهج صوفية شعرية عذبة إلا أنها كادت تكون تجريدية تماماً وقليلة الصلة بحياة الإنسان العملية على الأرض.

وهكذا كان على موسى أن يشد مفهوم أخناتون المثالي عن الإله الواحد فيدخله عالم العيش والسعي الإنساني إلى حياة أفضل وأنبل ولا تبقى بعد ذلك إلا قيمة أكاديمية للتساؤل عما إذا كان موسى في حقيقة

الأمر مصريا كما افترض عالم النفس اليهودي العظيم فرويد أو من بني إسرائيل كما يتمسك به العهد القديم والتراث اليهوي.

وأيا كان أصل موسى العرقي كان لأفكاره فضل ترسيخ مفهوم الإله الواحد في الوعي اليهودي بطريقة لا تمحى[1].

أقف عند هذا النص لأضع بعض النقاط التي تضيء لنا الدرب:

١. لم تطل دعوة موسى سوى سني حكمه على الاختلاف في طولها.

٢. لم تطل دعوة موسى سوى مدة من الزمن وقد عرفنا انه قتل وطمر في قبر مجهول المكان وارتد عنه من ارتد.

٣.حفظ القبر تراث أخناتون لكن كتاب موسى لم يحفظ ولهذا فإن ما أمامنا إن هي إلا نصوص قد تعاورها التزوير والتحريف طيلة عشرات القرون من السنين.

٤.إن مصر تربة صالحة لنشوء الديانات وتطورها ونموها بينما الفكر اليهودي فكر قحط مجدب سرق من كافة الديانات ولم يخرج بديانة راقية بل خرج بكومة من التناقضات المحشوة بين دفتي الكتاب المقدس.

٥.ظل العمل والصقل في الديانة اليهودية بينما نسيت ديانة أخناتون.

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٦٩.

٦.إن ما سجل عن إبراهيم وموسى حسب أقوال أوزوبل ناتان ليس إلا من مخيلة كتبة ما بعد السبي ولا يمت إلى الحقيقة بصلة، ومن أراد الصورة الصحيحة لها فليرجع إلى القرآن الكريم ليرى صورتيهما الناصعتين المشرقتين فيه.

٧.ليست ديانة اليهود هي التي تسعى إلى حياة أفضل وأنقى ضمن التوحيد وإنما هي رسالة تنشد الأخبث والأغدر لكل بني البشر في ظل ديانة قبلية وتحت ظل إله غادر سفاح لا يقيم للعهود الدولية ميزانا.

٨.لا ينبغي إعلاء اليهودية كدين على الأسباب التي ذكرها أوزوبل بأنها أول ديانة توحيدية، والقول بأنها ديانة سابقة أخلاقيا.

فإنها ليست أول دعوة توحيدية ولقد سبقها رسالات كثيرة ودعوات للإله الواحد لكنها شوهت التوحيد وأفسدته وجعلت يهوه إلها بين مجموعة الآلهة لا يرضى من جماعته إلا بعبادته ولا شأن له ببقية النلس عبدوه أم لم يعبدوه.

كما أنها شوهت الأخلاق داعية إلى الفضائح الجنسية والترحيب بها فإبراهيم أعطى سارة لفرعون وكسب من ورائها، وإبراهيم أعطى سارة لأبيمالك وكسب من ورائها، وهناك من زنى بأخته وأمه وعمته وخالته ومنهم من اعتدى على كنته ومنهم من تزوج زانية كيشوع والأحبار ومنهن من زنين للكسب القومي أو المالي كيهوديت.

فالكتاب المقدس العهد القديم كتاب الأخلاق المرذولة والسفاسف والهذيان ودعوة مفتوحة لكل ما يسيء بالأخلاق.

ومما لم يعد مهرب من مواجهته و لم يعد يجدي الإنكار أن ذلك السبق والسمو اللذين أدعيا لليهودية طويلا في مجال التقنين الأخلاقي إن هو إلا استنساخ صريح من ثقافات البلدان المتحضرة المتقدمة ثقافيا وفكريا في العالم القديم.

ولا سبيل في ظل علم الأديان المقارن إلا أن نلاحظ موضوعيا أن هناك وجودا قويا لمؤثرات غير يهودية في وضع تلك الوصايا الدينية المقدسة للمصريين وكتابات البابليين والشعوب الأخرى المتقدمة ثقافيا والتي عاشت في منطقة الهلال الخصيب(١).

ولا نستطيع أن نقول أخيرا إلا إن كل زاد حضاري أو روحي كتبه اليهود وادعاه لكهنتهم في صنع الديانة حول يهوه مان زادا مصريا خالصا وكنعانيا وبابليا استطاع اليهود سرقته وادعاءه، وبهذا كانوا هجناء في دعواهم مزيفين حتى في ديانتهم سارقين حتى في فكرهم، وسامح الله من لا ينظر إلى الموضوع بنظرة موضوعية وعين ثاقبة ليميز الخبيث من الطيب.

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤١١.

٤.الآخرة والثواب والعقاب

إن كانت اليهودية دعوة سماوية فعليها أن يؤمن أتباعها بمبدئين أساسيين:

١.الإيمان باليوم الآخر ووجود حياة آخرة بعد هذه الحياة هي الحياة الأبدية.

٢.الحساب والثواب والعقاب لمن أساء في هذه الدنيا ولمن أحسن.

وسنطوف مع الدعوة اليهودية لنرى هل هي تدعوا إلى ذلك؟

لم يرد نص من النصوص في الكتاب المقدس يدعو إلى الإيمان باليوم الآخر أو إلى الحساب والثواب والعقاب بعد هذه الحياة وقد ناقشنا هذا بشكل موسع في المصدر البابلي ولن نعود إليه من جديد.

ولقد شعر الباحثون في اليهودية بشكل جدي بأن لا وجود للآخرة في العهد القديم وقال الباحث دل ديورانت إن اليهود قلما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد في دينهم شيء من الخلود وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا(١).

والعقوبات التي وردت والمثوبات التي وردت إنما وردت في الكتاب المقدس على هذه الأرض دون الانتظار إلى الحياة الآخرة.

---

(١). حميد محمد فوزي: عالم الأديان ص٣٤٨. وارجع إلى قصة الحضارة لدل ديورانت القسم الثاني من المجلد الأول.

وانقسم اليهود على أنفسهم لاختلاف عقيدهم ومصدر ديانتهم فمن تلقى مصدره من دين يؤمن بالآخرة نقل عنه ومن كان مصدره لا يؤمن بالآخرة نقل عنه، ولهذا قسم اليهود إلى فرقتين كبيرتين.

١. الفريسيون وهم الذين يعتقدون بالحياة بعد الموت للصالحين من البشر ليشتركوا مع المسيح القادم في إنقاذ الناس وإدخالهم في دين موسى. وهذه الدعوة ليست للآخرة كما يلاحظ وإنما هي للحياة الدنيا فالبعث دنيوي وإدخال النلس في الدين الموسوي دنيوي ثم لا ثواب ولا عقاب، ويقول الباحثون إن عيسى عليه السلام كان فريسياً ولا أرى ذلك فالدعوة النصرانية دعوة تؤمن بالآخرة ولا ترى الحساب آنياً كما فعل اليهود.

٢. الصدوقيون ينكرون القيامة والحساب ويؤمنون بالثواب والعقاب مباشرة في الحياة الدنيا وهو ما نص عليه الكتاب المقدس.

والتوراة اليهودية المكتوبة والتلمود المنطوق لا يوجد فيهما ذكر للحياة الآخرة ويوم البعث أو يوم الحساب ولا يذكران عن الأرواح شيئاً بخلاف التوراة المترلة.

فالدين اليهودي بعيد عن الروحانيات لأن حياهم تقوم على المادة وحب التملك، ومما رود في التلمود إن اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهودياً آخر لا يدخلون الجنة وإنما تدخل أرواحهم في

الحيوانات والنباتات ثم تذهب إلى الجحيم ثم تعذب عذاباً أليماً مدة اثـني عشر شهراً ثم تعود ثانية لتدخل في الجمادات ثم في الحيوانات ثم في الوثنين ثم ترجع على جسد يهودي بعد تطهيرها، فهم يعتقدون بتناسـخ الأرواح والتمقص كما يعتقد الهندوس في الهند، ووجه الشبه قريب بينهما فذكـر الجنة والنار في التلمود أقرب إلى الخرافة والأساطير[1].

بل إن الموت ذاته وهاويته الكئيبة المـأخوذة مـن الميثولوجيـا السومرية في بحيرة النار المأخوذة من عبادة أوزيريس في الديانة المصرية.

هذا هو العنصر الذي أخذوه عن الآخرة في الديانة المصرية أمـا ورود الحياة الآخرة فقدخالفوا فيها ما عرف عن مصر بإيمان بالعالم الآخر وبالحساب ويرى الباحث فوزي محمد حميد أن دوافع الاعتقاد في الحيـاة الآخرة مايلي:

١.الحياة الدنيا حلبة صراع بين المتناقضات وكثيراً ما ينتصـر الشر على الخير، وهذا مخالف لناموس الحياة ولهذا لا بد مـن حياة أخرى ينتصر فيها الخير على الشر.

٢.اعتقادهم أن النفس الإنسانية تنفصل عن الجسم وستعود إليه من جديد فيشعر بالحياة من جديد[2].

---

(١). حميد محمد فوزي: عالم الأديان ص٣٤٧.

(٢). المصدر السابق ص ٣٤٧.

وشُهر المصريون بإيمانهم بعالم الآخرة ولهذا بنو الأهرامات ووضعوا كتاب الموتى وسيمر في خلال مناقشاتنا بعض العبارات منه مع موازنتها بما قيل في العهد القديم.

أما الهاوية أو شيول التي ذكرت في التوراة فهي شبيه بعالم هاديس في الميثولوجيا اليونانية فمستقر الموتى في الديانة اليهودية وقد يعبر عنها في كلمة جب الهلاك ((ألق على الرب همك فهو يعولسك لا يدع الصديق يتزعزع إلى الأبد وأنت يالله تحدرهم إلى جب الهلاك رجال الدم والغش لا ينصفون أيامهم، أما أنا فأتكل عليك))(1).

واسمع هذا النص الذي لا يعترف بحياة إلا بالحياة الدنيا أما الآخرة لا وجود لها إطلاقاً ((حد عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد لأن الرب يحب الحق ولا يتخلى عن اتقيائه إلى الأبد يحفظون أما نفس الأشرار فينقطع الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد)).

وقد تكررت هذه الكلمة كثيراً من ناحية وراثة الأرض مزمور ٣٧/١١/، ومزمور ١/٣/، ومزمور ٥٢/٨-٩/، ومزمور٦١/٦-٧/.

وأما كلمة الهاوية فقد وردت في كثير من المزامير منها مزمور٩/١٧/، ومزمور ٣٠/٣/، ومزمور ٥٥/١٥/.

فالثواب والعقاب لدى اليهود يتجلى في النقاط التالية:

١.صحة ومرض سواء كان ذلك فردياً أو للجميع الوباء.

٢.عمر طويل وقصير.

---

(١). العهد القديم مزمور ٥٥/٢٢-٢٣/.

٣.حياة غنى أم حياة فقر.

٤.الأرض تعطي غلتها أم لا تعطي.

هذه هي النقاط الأربعة التي أعطتنا التوراة للثواب والعقاب وخير مثال أورده الوصية القائلة: أكرم أباك وأمك كي تطول أيامك على الأرض.

والبحيرة النارية نهب من مصر وهي البحيرة التي تعدم فيها أرواح الخطاة في الديانة المصرية، وقد تسربت إلى رؤيا اللاهوتي يوحنا من النهب اليهودي من الديانة المصرية فاستخدمها كمستودع لحرق نفايات الشرور المصاحبة للأرض القديمة والسماء القديمة ابتداءً من الموت والهاوية إلى إبليس والوحش والنبي الكذاب وكل من لم يوجد اسمه مكتوباً في سفر الحياة من بني البشر ((ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة على يده فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبليس والشيطان وقيده ألف سنة وجره في الهاوية وأغلق عليه وختم عليه لكي لا يضل الأمم فيما بعد حتى تتم الألف السنة وبعد ذلك لا بد أن يحل زماناً يسيراً...ثم تمت الألف السنة ويحل الشيطان من سجنه ويخرج ليضل الأمم الذين في أربع زوايا الأرض يأجوج ومأجوج ليجمعهم للحرب عدوهم مثل رمل البحر فصعدوا على عرض الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين والمدينة المحبوبة فنزلت نار من عند الله من السماء وأكلتهم

وإبليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار والكبريت حيث الوحش والنبي الكذاب وسيعذبون إلى أبد الأبدين))[1].

ومن البدهي أن يوحنا اللاهوتي المسيحي يختلف عن نظرة اليهود إلى الآخرة.

ويقول في هذا الصدد الباحث شفيق مقار تنفرد الديانة التي أنشأها كتبة اليهود بأنها الديانة التوحيدية التي أسقطت كتابتها المقدسة من حسابها تماماً عالم ما بعد الموت و لم يرد فيها أي معتقد عن خلود الروح أو مفهوم الانبعاث وقد حاول الأحبار في كتاباتهم تدارك ذلك بالتحدث عن الجنة وجهنم وبطبيعة الحال كان استبعاد ما شكّل لب المعتقدات الدينية المصرية وجوهرها أي الإيمان ببقاء الروح والبعث مما نهب من تلك الديانة لإنشاء عبادة حول يهوه ضرورة لم يكن مهرب منها حتى لا ينكشف النبع الأوزيريسي تماماً كما أن قيام كتبة اليهود بإبادة المدنيين الذين أخذ معبودهم يهوه قبيل موته كان ضرورة لا مهرب منها اخفاءاً لأصل ذلك المعبود الذي استجاب الأحبار في إعطائه عمقاً تاريخياً عن طريق الادعاء بأنه إله الآباء.

أما على المستوى الديني الأخلاقي فظل الشاغل الرئيسي للديانة اليهودية أرضياً بحتاً يبدأ بلحظة الميلاد وينتهي بلحظة الموت وظل الثواب

---

(١). العهد الجديد رؤيا يوحنا اللاهوتي ص٢٠/١-٣، ٧-١٠/.

والعقاب أرضيين تماماً متمثلين في رضى يهوه أو غضبه وما يترتب عليهما من عواقب دنيوية بحتة(١).

ويرى مقار أن فكرة اليهود عن العالم الآخر لم تتبلور إلا في عصور متأخرة ولا نجد في الأسفار الخمسة من العهد القديم إلا إشارات متفرقة وغامضة شديدة الإبهام في أفضل حالاتها بأن بقايا الإنسان تحفظ في شيول وشيول هذه ليست دار البقاء على كل حال.

استخدمت شيول في العهد القديم خمساً وستين مرة في ٣١ مرة منها استخدمت بمعنى القبر الذي يواري فيه الميت و ٣١ مرة بمعنى مستودع الموتى دون إشارة إلى الروح أو لقاء الروح و٣ مرات بمعنى الحفرة وفي الترجمة العربية للعهد القديم وجد المترجمون الأتقياء أنفسهم في ورطة حقيقية مع شيول هذه.

والمشكلة أن الذين ترجموا العهد القديم مسيحيون وترجموه في وقت متأخر للغاية وتحت تأثير الخلفية المسيحية التي تسربت إليها فكرة عالم الأخيلة هاديس من العالم الهلليني ووجد المترجمون الورعون وقد شعروا أنه لا يليق ترك اليهودية هكذا بغير عالم آخر حتى على الطراز الأسطوري اليوناني بل ومن المرغوب والملائم ترجمة شيول مستقر حشد الموتى اليهودي بمكان تسكنه الأخيلة.

إلا أن الخطأ الأول الذي ترددوا فيه عن غير قصد نتيجة لأن أحداً لم يكن قد أوقفهم على أن سفر الأمثال قد سلب من مصر وهو أيضاً

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٣٧.

جعل تلك العملية التلفيقية حسنة النية تتخذ طابعاً تضليلياً غير لائق إطلاقاً في كتابات مقدمة كهذه، ورد النص في سفر الأمثال ٢١/٦/ الرجل الضال عن طريق المعرفة يسكن بين جماعة الأخيلة والنص المصري بدون القلب يظل من فارق الحياة ميتاً في العالم السفلي[١].

كيف يظل المرء ميتاً وهو قد مات أصلاً؟

لأن العقيدة الدينية المصرية انبنت على أساس أخلاقي تمثل في أن وراء القبر حياة أخرى لكن من يفارق الدنيا لا يغنم بعد تلك الحياة الآخرى الباقية إلا بعد محاكمة عسيرة في العالم السفلي، وإذا ما أدين في تلك المحكمة بأنه لم يكن صالحاً في حياته الدنيا حرم من الحياة الباقية وأعدم فلم يعد له بقاء وهو المفهوم الذي اغترف في العهد القديم بين ما اغترف منه بغير فهم وبغير أساس أخلاقي يدعمه ويجعله يضيء من داخله فظل معتماً وغير أخلاقي.

والذي يجب أن نتذكره أولاً أن الديانة المصرية وعبادة أوزيريس بالذات تركزت جوهرياً في الإيمان بالحياة الأخرى والبعث، ولقد كان ذلك التركيز السبب في أن الكهنة استبعدوا من الديانة اليهودية كل ما له علاقة بالعالم الآخر والبعث طمساً للأصول الأوزيريسية التي نهبت الديانة اليهودية منها[٢].

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٤٢.

(٢). المصدر السابق ص ٢٢٩.

٥. الآلهة

يمكننا بحث الآلهة ما بين المصريين والتوراة ضمن النقاط الآتية:

١.مجمع الآلهة.

٢.الإلهة الأم.

٣.التوحيد ويهوه.

١.تعددت الآلهة في مصر ولم يكن عندهم إلها واحدا إلا في زمن أخناتون ولكن كان لديهم إله كبير يتحمل المسؤولية وهو رئيس المجمع الإلهي وهو الخالق ورافع السموات وباسط الأرض فالآلهة متعددة وهذا هو واقع الحال في مصر وفي هذا يقول مرسيا إلياد: ((إن اشتراك واتحاد الآلهة في عمليات مألوفة للفكر الديني المصري في العصور القديمة جدا الأمر الذي يشكل الأصولية للاهوت الإمبراطورية الجديدة هذا من جهة الموضوعية لفعلة مزودجة جعل أوزيريس رع وتشميس أوزيريس ومن جهة أخرى الاعتقاد الراسخ بأن هذه الفعلة المزدوجة تكشف المعنى السري للوجود البشري))(١).

والسؤال الآن من يتصدر مجمع الآلهة المصري ((إن الصدارة في أي مجمع للآلهة تكون في العادة للإله المسؤول عن الخلق، وليس مجمع الآلهة المصري استثناء من هذه القاعدة رغم وجود أساطير متعددة ومتنوعة عن الخلق ولا شك أن أسطورة هليوبوليس كانت أوسعها انتشارا، وتقول هذه الأسطورة إن الإله الخالق الأول أتوم، وأتوم تعني

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ١ ص ١٣٨/.

الإله الذي خلق نفسه أولا ثم خلق العالم الذي اتحد في هوية واحدة مع إله الشمس رع، وتقول الأسطورة إن آتوم خرج من عماء والمياه الذي يسمى نون ثم ظهر فوق تل وأنجب بغير زواج الإله شو الهواء والإلهة نوت وزوجها إله الأرض جب وبذلك فصل السماء عن الأرض وهنا تمثل المصريون الإنجاب الطبيعي))(١).

وقد ناقشنا مجمع الآلهة عند اليهود أثناء نقاشنا للآلهة عند بابل وكنعان ارجع إلى أيوب ١/٦-٧/، و٢/١-٢/ وكان الشيطان عضوا في هذا المجمع الإلهي ولن نعود إلى مناقشته من جديد.

أما المجمع الإلهي المصري فقد كان هناك مجمعان تعرفنا على الأول ويقوده آتوم والثاني يقوده آمون وهي عقيدة هرموبوليس، واللاهوت كان وثيق الصلة بتعاليم هليوبوليس ومن هنا قيل إن الخلق بدأ مع ظهور التل الأول من مياه العماء...والآلهة الثمانية تتألف من ازدواج لا تمايز بين الذكر والأنثى من الناحية النظرية وربما كانت أربعة آلهة ثنائية الجنسية هي الأشكال الأصلية وكان آمون هو رأس الثمانية واسمه يعني الوجود الخفي(٢).

والآلهة الثمانية هي آمون آمونت الذي يمكن تعريفه، ونون ونونت المحيط الأول (مياه العماء) وحح وحوحت الفراغ الذي لا نهاية له، وكك وكوكت الظلمات.

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقادات والأفكار الدينية /جـ٢ ص ٤٥.

(٢). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية /جـ٢ ص٤٧.

إن هذه الآلهة الثمانية هو الآلهة الأول الذين تعـــاونوا في خلــق العالم ونحن هنا أمام الفكرة التوراتية فالعناصر الأربعة التي جعلها المصريون آلهة موجودة في الفكر التوراتي:

١.إيل مقابل آمون وأمونت وهو ثنائي الجنسية ذكرا وأنثى.

٢.الغمر الذي يرفرف فوقه روح الله وهو الممثل لمياه العمـــاء وهو يقابل نون ونونت.

٣.الخلاء ويمثل الفراغ الكبير الذي يقابل حح وحوحت.

٤.وعلى وجه الغمر ظلمة والظلمة هذه تقابل كوك وكوكت.

كما أخذ كتبة اليهود ثنائية الجنس أيضا من هذا المجمع الإلهـــي فقالوا ((على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم تكوين))١/٢٧/.

هذا الاختلاس واسع المدى متعدد الطبقات فعلت فعلها في كهنة يهوه إذ أن هذا الاختلاس لم يثبت كتابته إلا بعد موسى بقرون وخاصـــة في زمن السبي البابلي وفي بابل بالذات، وبهذا لم يقتصر الاختلاس علـــى مصر كما رأينا بل تعدته إلى الديانات الأخرى، وقد ناقشنا ذلك في بـــابل وكنعان وبعد أن سلب كهنة اليهود آلهة مصر صفاتها ورموزها وأعمالهـــا وأسبغوها على يهوه عادوا باللائمة على آلهة مصـــر واعتبروهـــا أوثانـــا واعتبروها آلهة مذنبة شريرة قبيحة، فالضحية باستمرار هـــي المذنبـــة في عرف اليهود في كل ما يرتكب في حقها من تجاوزات وجرائم وما ينـــهب منها لسبب بسيط وواضح هو أن يهوه العادل هو الذي يأمر بذلك.

وبطبيعة الحال كان الوقوف على تلك العناصر أسهل بكثير في زمن الخروج الذي كان الشعب فيه حديث عهد بالعيش في مصر منه في زماننا الذي أكسب فيه يهوه وشعب يهوه قداسة ومكانة خاصة، ومرغت في تراب التلفيق والعمالة الفكرية والأكاديمية، حضارة مصر وديانتها العظيمة إلا أن هناك لحسن الحظ العديد من الوثائق الدينية المصرية الضاربة في القدم التي تعود محتوياتها إلى فجر التاريخ المصري، أي قبل أن تبدأ عمليات تأليف الوثائق اليهوية والإيلوهيمية والكهنوتية التي حرر منها العهد القديم بآلاف السنين وكل تلك الوثائق المحفوظة في مصر إما في متاحف العالم وإما على جدران المعابد والمقابر المصرية، العناصر التي استخدمت في تنصيب يهوه إلها للشعب فيما بعد وفي عملية تطوير صورته إلى إله لكل البشر في غمار عملية تحرير وتوضيب العهد القديم.

ولنصغ إلى أوصاف الإله في الديانة المصرية ونتفكر فيها، فالأوصاف التي وصف المصريون بها آلهتهم توقفنا على أن تلك الآلهة لم تكن إلا تجسدات للإله الشمس الذي كان نمطا ورمزا للإله الواحد متعدد الأوصاف.

ومن الواضح من طبيعة تلك الأوصاف أنها لم تنسب إلى آلهة متعددة إلا لأن كل إله من تلك الآلهة اعتبر تجسدا لصفة أو خاصية ما من صفات الإله الشمس، وهذه التحولات مألوفة في الترانيم المصرية باستخدامها خارج سياقها الديني المصري.

أمكن لكثرة من الأتباع طمس حقيقة الاقتباس التوراتي من الديانة المصرية رغم أن تلك الصفات الإلهية في النصوص الدينية المصرية في كل العصور توقفنا على أن أفكار المصريين ومعتقداتهم فيما يتعلق بالله تطابقت مع أفكار اليهود ومعتقداتهم التي جاءت بعد المصريين بوقت طويل، ومن تلك النصوص المصرية نتبين أن أساس الفكر الديني المصري يمثل في الاعتقاد:

١. بأن الله واحد وحيد وأنه لا وجود لإله آخر سواه وأنه صانع كل شيء.
٢. بأن الله روح خبيء روح كل الأرواح، روح المصريين الأعظم، الروح الإلهي المقدس.
٣. بأن الله موجود منذ الأزل موجود منذ البدء وكان موجودا قبل كل شيء، كان موجودا عندما لم يكن وجود لأي شيء وهو الذي أوجد الأشياء كلها فهو الأب الأول لكل البدايات.
٤. بأن الله خبيء لا يعرف إنسان شكله و لم يستطع إنسان أن يستجلي طلعته فهو السر الأبدي لكل خليقة.
٥. بأن الله باق إلى الأبد فهو الأبدي اللامتناهي الدائم أبدا.
٦. وأنه ليس أحد من البشر يعرف كيف يحدده.

هذه صفات الإله المصري رع وهي الصفات التي استخدمت ليهوه مع وجود لعض التناقضات فيها فيهوه مرة يرى ومرة لا يرى،

ويهوه مرة يعرف بأنه يهوه ومرة يقول أكون من أكون، وهلم جراً، وقد أخذ الحاخامات ضوء الشمس آتوم فاستغلوه في المنارة القدسية.

((يقول يوسف بن ماتياس في أحاديثه عن أعاجيب قدس القداس، المائدة والمنارة ومذبح البخور والسرج السبعة ترمز إلى الكواكب السبعة وهو ما يؤكده الزهار كتاب السناء بقوله إن السرج السبعة كالكواكب السبعة التي فوق تتلقى ضوءها من الشمس، وقد وحد الحاخامات ذلك التلقي للضوء من الشمس الإله آنون فاضحاً أكثر مما ينبغي فنفوا ذلك وقالوا إن السرج السبعة ترمز إلى أيام الخلق السبعة ثلاثة من هنا وثلاثة من هنا والسبت في النصف غير أن ذلك يناقض الترتيب الزمني لعمل الخلق في سفر التكوين الذي جعل السبت في منتصف المينورا أي جعل سرجها الرابع يغتصب مكان النور لأن يهوه في اليوم الرابع من أيام الخلق تكوين١/١٤-١٦/ وتبعاً لترتيب الخلق كان متعيناً أن يكون السرج الرابع الذي يتوسط المينورا سرج الأنوار وأن يكون السرج الأخير السابع سرج السبت، لكن الأحبار وجدوا ذلك التناقض هيناً متى قرنت باعتراف الزهار باستمداد نور المينورا كالكواكب السبعة من الشمس إي من الإله المصري آتون وهو ما يقطع بصحة أن المينورا كانت توضع في الهيكل باتجاه غرب جنوب أي كما يقول روبرت جريفز باتجاه أون هليوبوليس الموطن الأصل للإله الشمس الذي كان موسى من كهنته))(١) فما الآلهة المصرية وما اختلس منها؟

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٥٠٠.

هذا السؤال لا بد من طرحه على ساحة التوراة ولنناقش ذلك ونتعرف على أصول يهوه المصرية والآلهة التي أخذ منها يهوه صفاته ونحن نريد الآن الآلهة المذكرة وسنعالج الآلهة الأنثى بفقرة خاصة بمفردها.

١.يلاحظ الباحث اليهودي إريك نيومان أن الديانات والأسطوريات الأبوية عودتنا على تصور إله مذكر بوصفه الخالق الذي كخنوم في مصر أو كيهوه في العهد القديم صنع الإنسان من طين الأرض ويقول إنه لما كان الإنسان قد صنع من تراب فإن اسمه صار آدم ويشير إلى أن هذه الأسطورة لها ما يماثلها في عبادات اليونان والهند والصين(١).

فيهوه الخالق أخذ هذه السمة من خنوم المصري كما أعلمنا أريك نيومان.

٢.وتقول الأسطورة المصرية تنسب ثنائية الجنس من حين لأخر إلى الإله بتاح أيضاً وهو الإله الخالق لمدينة منف الذي يسمى معاً الأب والأم في لاهوت منفيس الذي هو وثيقة رائعة ترجع برمتها إلى الدولة القديمة(٢).

وبهذا يكون يهوه قد أخذ ثنائية الجنس من الإله بتاح الإله القديم في الديانة المصرية أو من الآلهة الثمانية آمون آمونت، ونو ونونت، وحوح وحوحت، وكوك وكوكت، وهما أربعة آلهة ثنائية الجنس.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٧٠.

(٢). بارندز جفري: المعتقدات الدينية ص ٤٧.

٣.آتون الإله الواحد إله أخناتون صاحب الترنيمات المشـــهورة والتي سنوازنها مع المزامير في مكان آخر، فآتون هو الخالق، خالق النطفـــة في رحم المرأة هو الذي يحيي الجنين ويسهر على الولادة وعلى نمو الولـــد، ويعطي النفس إلى الفرخ الصغير فآتون هو واهب الحياة وقد أخذ يـــهوه هذه السمة من آتون.

٤.أوزيريس إله الزراعة وها يقابل بعل في العبادة الكنعانية فـــهو إله المطر والخصب وقد أخذ يهوه هذه السمة وأوزيريس مرة يصبـــح رع إله الكون ومرة يصبح إله الشمس فهو الثائر كبعل الذي قتل يم وحـــاز رضى إيل واحتل محله وهو يقابل مردوخ الذي قتل تعامت واحتل رئاســة مجمع الآلهة عند البابليين وفي نص آخر أوزيريس هذا الإله إله القيامة ورمز الخلود ورب الموتى وديانهم وأملهم ظهر في عهد السلالة الثامنة فكان نـدا لرع ثم نسبت إليه صفات الله ثم صفات الآلهة جميعا وكانت تنسب إليـــه صفات خارقة وفي عهد السلالة الثانية عشرة حوالي ٢٢٠٠ ق.م أصبـــح إلها كونيا ثم إلها قوميا(١).

وعند أوزيريس أخذ يهوه الإله القومي ونســـبت إليـــه كافـــة الصفات الإلهية فابتلع جميع الآلهة في جوفه وسلخ صفاتها غير أنـــــه قـــد اختلف عن أوزيريس فقد تركزت عبادته في الإيمان بالحيـــاة الأخـــرى والخلود والبعث وقد كان من ذلك التركـــيز الســـبب في أن الكهنـــة

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص٨٦.

استبعدوا من الديانة اليهودية كل ما له علاقة بالعالم الأخر والبعث طمسا للأصول الأوزيريسية التي نهبت منها الديانة اليهودية.

٥. ست إله النور والظلام، الإله الضد المصري الذي لعبت أسطوريته دورا في تطوير هوية يهوه ربما عن عمد وربما تأثر بمفهوم الألوهية كان أقرب إلى البنية العقلية والنفسية لمن انحازوا إلى عبادته والأدلة على التأثير العميق بست كثيرة في سفر التكوين فاسمه أطلق على ثالث أبناء آدم مع تغيير التاء إلى ثاء على سبيل البراعة كيما يصبح الاسم ست وهو ما تعاون المترجمون إلى العربية على حبكه حبكا جيدا باستخدام النطق العبري للسين فجعلوا الاسم شيثا ليبعدوه قدر الإمكان عن أصله الحقيقي وهو ست وغير اسم شيث المبارك تشير لمكان الشعائرية العامة التي أعطيت للحمار والبقرة الحمراء وقد كان كل منهما حيوانا مقدسا في شعائر ست في تعليمات الإله يهوه إلى موسى، فالحمار الحيوان الوحيد الذي استثني بكره من القاعدة اليهوية الخاصة بذبح بكر الإنسان والحيوان متى كان ذكرا كتقدمة وحرقه لأحداث رائحة سرور ليهوه العدد١٩/١-١٠/ والخروج ٣٤/١٩-٢٠/ ولا غرو إن قال القباليون إن روح ست تقمصت موسى كما أخذت صفات الغدر والشطارة من ست إلى يعقوب[١].

فمن ست هذا؟ إنه الإله الذي قتل أخاه لأوزيريس ومزقه إربا إربا وقد أثر في الفكر اليهودي كثيرا وظهرت له تجليات في أكثر من

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ٥١٨ هامش ١.

موقع في أكثر من موقع فهو قابيل قاتل هابيل وهو عيسو الذي حاول قتل يعقوب وكذلك تجلى في يعقوب في الغدر والشطارة والمكر، وفي بداية الأمر عرف ست بطريقه إلى أسطوريات الآراميين التائهين بإسباغ هويته على عيسو أدوم خصم البطل القومي يعقوب وأخيه تماما كما كان ست خصما وأخا لأوزيريس وكان ذلك الضرب من الإدماج عن طريق إسباغ الهوية أسطوريا أمرا ميسرا بالنظر إلى التشابه بين ست وعيسو فست حسبما وصف في النصوص المصرية أنه أحمر الشعر وقد دعى عيسو أدوم لأنه كان كذلك وست كان إلها صحراويا وصيادا وجعل في الحكاية التوراتية كذلك إنسانا صيادا صحراويا وست ظل يحاول قتل أخيه أوزيريس وكذلك فعل عيسو في التوراة فظل يتعقب أخاه ليقتله(١).

والذي رددته الصلاة لأوزيريس أن غريمه القديم إله الجدب والشر ست جيء به ليشهد مجد انبعاث إله الخير والزرع الذي تصور أنه انتصر عليه وقتله عندما أوصد عليه تابوته المصنوع من خشب السنط وألقاه في النيل ثم عاد فمزقه إربا وبعثر أوصاله في أرجاء مصر، وأن انتصار الخير على الشر جسد سماويا بوضع ست تحت قدمي أوزيريس ليكون جلوسه على جسد ست المقوس تحته كمقعد له تتويجا لأوزيريس واعتلاء لعرش الحياة الباقية والخلود وتمجيدا لانتصار الحياة على الموت والخير على الشر تلك هي الأسطورية الدينية الرفيعة التي استعار منها موسى محط الرحمة أو كرسي الرحمة وهو الكرسي الذي عني بأن يجعل

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ١٧٤.

يهوه على تصميمه وكيفية صنعه عليه حتى يكون كأوزيريس الإله الذي صنع عرشه وجلس عليه ومد فوقه ألقى بتعليماته إلى بني إسرائيل[1].

٦.الإله رع أول إله مصري وسمي كثير من الفراعنة وكان نهاية الاسم رع نسبة إلى هذا الإله وهو الإله الخالق الذي خرج من المياه الأولى وأنجب بقية الآلهة في مصر وكانوا ينقشون اسمه مع أيزيس على البواب والقوائم وهو رئيس مجمع الآلهة المصري ورب الأرباب فهو كايل عند الكنعانيين وكأنليل عند البابليين وكزوس عند اليونان خالق كل شيء ورافع السموات وباسط الأرض وقد أخذت هذه الأوصاف من رع إلى يهوه.

٧.حورس ابن الإله أوزيريس وأمه الإلهة أيزيس أخذ عنه قصة موسى فقد خبأته أمه بيد عيدان البردي في مستنقعات الدلتا خوفا عليه من أذى ست قاتل أبيه وإذ عادت إليه ست وجدته بين الحياة والموت وقد نفذ السم إلى جسده فاستنجدت بالإله رع.

وقد أخذت قصة موسى ووضعه بين الحلفاء على طرف النهر في سفط من قصة حورس ابن الإله أوزيريس.

الآلهة الأنثى

١.أيزيس هي أم الآلهة وكبيرتهم ولديها الحل والتدبير فهي صانعة الملوك وقد أخذ مكانها يهوه فصار يهوه صانع الشعب وإسرائيل ابنه البكر ولهذا قال موسى في انفجاره في وجه يهوه لعلي حبلت بجميع هذا الشعب

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٢٤٨.

أو لعلي ولدته حتى تقول لي احمله من حضنك كما يحمل الرضيع إلى الأرض التي خلفت الآباء عدد١١/١١/ فالشعب هنا أعلى من قطيع من عبيد ورعاة فأعطي مكان الملك المخوف فرعون رجل الآلهة موسى بالمنطق المصري في شأن أست صانعة الملوك مكان الآلهة صنعة ذلك الشعب، الملك ولما لم يكن إعطاء موسى كل ذلك لنفسه دون أخيه فإنه أضاف قائلا وهارون أخوك يكون نبيك.

فهي أم حورس وزوجة أوزيريس وأخته وهي التي قامت بإحياء أوزيريس بعد أن قطعه الإله ست إلى قطع.

قالت أيزيس أنا هي الأم الطبيعية لكل موجود أنا هي سيدة العناصر وحاكمتها أنا هي منجبة العالمين القادرة على كل شيء ملكة ما تحت الأرض وسيدة كل ما في السماء المتجسدة في وحدي كل الآلهات والآلهة وأنا هي التي بمشيئتها تتحرك الأفلاك في السماء وتهب الرياح على بحار ويسود الصمت في العالم السفلي، أنا هي المعبود اسمها المقدمة آلوهيتها في كل أنحاء الأرض بطقوس عديدة وأسماء كثيرة وهذه كلها اختصاصات إليه أخذت من عبادة الآلهة الأم العظمى أيزيس وأعطيت للمعبود المذكور يهوه في سياق محاولة عديمة التورع لمآرب سياسية خاصة[1].

٢.سخمت إلهة مصرية ثانية مختصة بالنار والوباء معبودة مدمرة لا تعرف الرحمة وهي قادرة على إحداث الخير متى استرضت ((غير أن

---

(١). شفيق مقار: الجنس في العهد القديم ص ٣١.

سخمت لم تكن معبودة مدمرة بالنار التي تحرق الأشرار خصوم الإله فقط بل كانت أيضا محدثة الوباء وفي الوقت ذاته قـــادرة مـــتى استرضيت بالصلوات والشعائر ووسائطها كهنتها))[1].

وهذه الصفات سجلها كتبة التوراة وسرقها فوضعوها ليهوه فقد وقف موسى وهارون وفنحاص ودان بين يهوه والشعب على كف الوبـاء والتفضل بالشفاء وكان هذا الاختصاص الوبائي مسروقا من ســـخمت، إني أخرهم بالوباء وأبيدهم عدد١٤/١٢/، السخط خرج من عند يـــهوه قد ابتدأ الوباء وإذا ابتدأ الوباء فإن الشعب أخذ هارون البخور وكفر عن الشعب ووقف بين الموتى والأحياء فامتنع الوباء وكان الذين ماتوا بالوبـاء أربعة عشر ألف وسبعمائة عدا عدد١٦/٤٦-٤٩/.

فحمي غضب يهوه على إسرائيل وعلق موســـى كـــل رؤوس الشعب مقابل الشمس فارتد حمو غضب يهوه فامتنع الوباء عـــن بـــني إسرائيل والذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرون ألفا لتعلقهم ببعـــل فغـــور عدد٢٥/٣-٩/، وتعلقوا ببعل فغور...وأغاظوه بأعمالهم فاقتحمهم الوباء فوقف فينحاص ودان بينهم وبين يهوه فامتنع الوباء مزمـــور ١٠٦/٢٨-٨٠/. كما أن وجه يهوه التدميري واضح ارجع إلى التكوين قصة ســـدوم وعمورة والطوفان إنه صورة واضحة عن الآلهة المصرية سخمت الوجــــه التدميري الممعن في الشراب من وجهي الأنوثة المؤلهة والمتمثل في خاصيتي الإفناء بالنار والوباء.

---

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة والعهد القديم ص ١٧٧.

وفي هذا يقول الباحث اليهودي إريك نيومان في كتابه الهام إلـه الأم العظمى إن مصر التي كانت من أقدم العصور مـهد أول حضـارة متقدمة رفيعة كانت إلهاتها اللواتي ظلت تدمج هويتهن كل في الأخـرى أوجها في تجليات متعددة للهوية الطراز بدائية للأم العظمى(١).

٣.الإلهة نت إحدى تجليات إست (إيزيس) والممثلة لوجه إيزيس كإلهة حرب وهي إلهة بدئية أندروجينية (مخنثة) عبدت في عصر المملكـة الجديدة كمنجبة للإله الشمس رع، وعبدت أيضا مانحة الغذاء للروح بعد الموت، وقد سرق كتبة يهوه هذه الصفة منها صفاتها الحربية كما سـرق لها المكابيون في القرن الثاني قبل الميلاد عيدها الديني المسمى بعيد الأضـواء فجعلوه عيد الحانوكا وهو يستمر ثمانية أيام من الخامس والعشرين مـن شهر كسليف (ديسمبر) كانون الأول وقد حضره هـيرودت ووصفـه كشاهد عيان كان يقام سنويا في صان الحجر ومن وصف المؤرخين نقـف على أن المصريين كانوا يوقدون مصابيح في بيوتهم خلال ذلك العيد مـن بعد هبوط الظلام وإلى صباح اليوم التالي بعدد أهل البيت.

وكانوا يوقدون كل أنواع الشموع والفتائل الرفيعـة المكسـوة بالشمع وبمادة كانت تكفل ضوءا ساطعا حتى طلـوع النـهار، وتبعـا لوصف هيرودت لم يكن العيد المصري يقتصر على خان الحجر المدينة التي كانت مركزا لعبادة الآلهة بل كان يشمل كل الأقليم الذي كانت تلـك

---

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة والعهد القديم ص١٨١.

المدينة عاصمة له بغرب الدلتا والتي منها عرفت عبادة الآلهة طريقها إلى ليبيا[1].

٤.تقول الأسطورة المصرية إن زوسر ثالث ملوك الأسرة الثالثة وصاحب هرم سقارة المدرج أقلقه هزال أصاب النيل طول سبع سنين قل فيها ماؤه وضعف فيضانه ولذا فإنه استشار وزيره الحكيم أمحوتب فنصحه ذلك الوزير باستشارة الكاهنة ماترا عرافة الإلهة ساتحت في أسوان والنوبة وإذ بعث برسله إلى تلك العرافة سائلا إياها عن السبب في شح مياه النهر، أجابته ماترا بأن السبب هو جفاف ثديي الآلهة كهفي حزني الثديين اللذين تفيض منهما كل النعم نظرا لغضبها على مصر لإهمال المصريين معبدها المقام في جزيرة الفيلة ومن هنا سرق كتبة يهوه بركات يعقوب الثديين والرحم ويعقوب لا ثديين له ولا رحم.

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة والعهد القديم ص ١٧١.

٦ التوحيد

لا أريد أن أعرج على توحيد أخناتون فقد عرفنا عنه ما عرفنـــا ولكني أريد أن أعرج على الخطوات التوحيدية قبل أخنـــاتون ((يقـــول العلامة ماسيبرو في وصف الإله الواحد في مصر كان إله المصريين واحـــدا فردا كاملا عالما بصيرا لا يدرك بالحس قائما بنفسه حيا، لـــه الملـــك في السموات والأرض لا يحتويه شيء فهو أبو الآباء وأم الأمهات لا يفنى ولا يغيب، يملأ الدنيا ليس كمثله شيء ويوجد في كل مكان))[١].

وهذه الصفات سنجدها مسروقة ليهوه مبثوثة في المزامير والكتب الأخرى، أما عقيدة هليوبوليس تتعلق بالقوى الخلاقة للإله الأول آتوم ولا بد لجميع القصص التي تدور حول نشأة الكون أن تواجه مشكلة عويصـة هي كيف نشأ الخلق إذا لم يكن هناك سوى خالق واحد؟ ثم كيف خلـق نفسه؟ ذهب المصريون إلى أن آتوم الذي يعني اسمه الواحد الكامل ظـــهر إلى الوجود بأن أوجد ذاته فهو إذن قد أنجب نفسه.

هذا التوحيد لم يستطع كهنة اليهود أن يتوصلوا إليه لقد صـــاغوا يهوه وأرادوه أن يكون لهم إلها فكان كما أرادوه إلها واحدا من بين آلهـــة كثر خاصا لهم وبهم وإن حاولوا أن يرفعوه إلى العالمية لكنهم أخفقـــوا في ذلك حينما وضعوا بجانبه آلهة أخرى.

---

(١). حميد محمد فوزي عالم الأديان ص ٩٥.

ولهذا لا نستطيع أن نسمي يهوه إلهاً واحداً عالمياً إنما هو إله قبلي عبدته قبيلة بالإضافة إلى عبادتها آلهة أخرى لا يمكن أن ترقى إلى مستوى العالمية لا بأخلاقه ولا بتوراته.

٧. الملك والآلهة

ربط الملوك أنفسهم في الزمن الماضي بالآلهة وسموا أنفسهم أبناء الآلهة ولهذا كنت ترى في ملوك المصريين من يضع رع في نهاية الاسم ونبو عند البابليين، وإيل عند ملوك أوغاريت، والشرائع التي نسبها الملوك فقد كانوا ينسبونها إلى الآلهة، ولعل خير ما يمثل ذلك شريعة حمورابي حيث يتسلم حمورابي الشريعة من الإله شمس، وقد سرق اليهود هذه السمة فنسبها الكتبة إلى يهوه وصاروا يضعون يهوه أمام الاسم وسنناقش هذه النقاط.

ففي مصر الآلهة تصنع الملوك وكانت أست المسؤولة عن صناعة الملوك وقد رأينا أن جماعة يهوه سرقوا هذه السمة وأضافوها إلى يهوه وسمي موسى رجل الآلهة، والعلاقة حميمة إذن بين الملك والإله غير أن هذه العلاقة لم تكن في أولها على ما يبدو وجيدة بين الملك والكهنة ولهذا صور شاول تصويراً سيئاً واعتبروه خارجاً عن إرادة الله ومن ثم استقر الوضع فيما بعد في عهد داود ولكن العلاقة ظلت متأرجحة بين الملك والكهنة وباعتبار الكهنة هم ممثلو يهوه بينما الملوك لم يكونوا كذلك، أما العلاقة بين الحكام وبين الآلهة في مصر فكانت العلاقة وثيقة، وقد أخذت تلك الرواية المصرية للعلاقة الوثيقة بين الإله وبين من يحكم في مصر

واستطاع الكهنة أن ينقلوا هذه العلاقة الوثيقة بين الملوك والالهة إلى علاقة وثيقة بين الشعب المختار والإله يهوه.

وبديلاً من أن يكون الحاكم ابن الإله صار عند اليهود الشعب هو ابن يهوه ولهذا كانوا يقولون عن أنفسهم إنهم أبناء الله وأحباؤه، وحولت محاباة الإله لفرعون إلى محاباة يهوه للشعب الابن البكر، وفي سياق تلك المحاباة كفل يهوه للشعب الانتصار على كل أعدائه وكان الخطاب إلى الشعب، ولهذا سجلوا في أسفارهم خروج الملوك عن طاعة يهوه وهي ظاهرة فريدة في تاريخ الشعوب في تلك الفترة، ولعل تسبيحاتهم تاريخهم بعد السقوط وفي عهد السبي ولم يكن في عهد ملك من الملوك ساعدهم على التحرير من هذا القيد ولم يكن من ملوك يهوذا وإسرائيل إلا القليل ممن لم يتهم في دينه ودنياه.

فهذا داود رجل الدماء وسليمان قد أملن نساؤه قلبه إلى آلهتهن وهذا رحبعام لم يكن قلبه مع يهوه فقسم المملكة إلى مملكتين ولم يسلم من ملوك يهوذا وإسرائيل إلا فئة قليلة نذكر منهم:

١. آسا عمل كل ما هو مستقيم، ملك إحدى وأربعين سنة في أورشليم،وأما المرتفعات فلم تنزع إلا أن قلب آسا كان كاملا مع الرب ملوك١ ١٥/١٤.
٢. يهوث فاط بن آسا سار في طريق أبيه آسا وعمل المستقيم في عين الرب ملوك١ ٢٢/٤٢.

٣.ياهو من ملوك بني إسرائيل قام بانقلاب على بيت عمـــري وقال عنه سفر الملوك: لم يتحفظ للسوك في شريعة الرب إلـه إسرائيل من كل قلبه ملوك ثاني ١٠/٢٠-٢١/، وهو أفضـل ملك وصفته الأسفار في بني إسرائيل قتل أنبياء البعل وعــاد بالعبادة إلى يهوه رغم ذلك لم تمدح الكهنة والكتبة.

٤.يهو آش بن أخزيا عمل ما هو مستقيم في عيني الرب كــل أيامه التي فيها علمه يهوه داع الكاهن ررم البيـــت وقتـل يهوآش على يد يوزاكار بن شمعة ويهوزاباد ابــن شـومير وملك أمصيا ابنه عوضا عنه.

٥.أمصيا بن يهو آش ليس كداود وأبيه وكذلك ابــن عزريـا الذي لم يترع المرتفعات وقد ملك اثنين وخمسين سنة.

٦.حزقيال هو الوحيد الذي مدحته أسفار الملوك وقـالوا إنـه كداود وابنه وملك تسعا وعشرين سنة أما ابنه منسى فكـان أسوأ الحكام.

٧.يوشيا وصف بالصلاح وفي عهده عثر على سفر الشريعة و لم يقم بعد هذا الملك من وصف بالاستقامة.

فالصراع واضح بين الكهنة والملوك ولكن لم يتسن للكهنـــة أن يقوموا بانقلاب واحد ليستأثروا بالسلطة وقد حصل هذا في عهد دولـــة المكابيين فاجتمعت بيدهم السلطة الدينية والدنيوية.

ولهذا رأى الكهنة أن يربطوا بين الإله يهوه من جهة وبين الشعب المختار لكن على ما يبدو أن كتبة التوراة اعتبروا داود هو الرمز للعلاقة بين يهوه والحكام واعتبروه الحاكم المثالي وأذيعت مزاميره وكلها تؤكد على وجود هذه العلاقة وأن يهوه كان نصيرا لداود ولو رجعنا للمزامير لألفينا ذلك صريحا وواضحا بينما ((دعوت الرب وإلى إلهي صرخت، فسمع من هيكله صوتي وصراخي قدامه دخل أذنيه فارتجت الأرض وارتعشت، أسس الجبال ارتعدت وارتجت لأنه صعد دخان من أنفه ونار من فمه أكلت حجر منه اشتعلت، طأطأ السموات ونزل وضباب تحت رجليه)) مزمور ١٨/٦-٨/.

وبفضل ذاك النصير القوي يهوه استمر داود في حكمه ولو تابعت هذه المزامير المنسوبة لداود لرأيت الشيء الكثير من ذلك.

ومن يرجع إلى كتب الأسفار الخمسة لموسى نلاحظ أنهم اختاروا لموسى وللكهنة في الديانة اليهودية أنهم اتخذ داود دور نائب الإله ليس بمعنى ظل الإله على الأرض بل بمعنى نائب الإله حرفيا وهو ما أفلتت بعض عبارات العهد القديم فأفصحت عنه بشكل لا يقبل الجدل صموئيل الأول ٢٨/١٢-١٤/، فقال لها الملك لا تخافي فماذا رأيت قالت المرأة لشول رأيت آلهة يصعدون من الأرض فقال لها ما هي صورته فقالت رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة فعلم شاول أنه صموئيل فخر على وجهه إلى الأرض وسجد.

وهكذا سار كتاب التوراة في خطين خط الكهنة والكتبة وهــــم نواب الإله يمثلهم في هذا موسى وهارون وصموئيل وعزرا ونحميا، وخـط الملوك فإن خضعوا للكهنة الذين هم نواب الله كانوا صالحين وإلا فـــإنهم عملوا الشر و لم يعملوا ما هو مستقيم وبهذا سرقوا العلاقة بين الملك والإله في مصر فقد كان الفراعنة هم الذين يستمدون من الآلهة كل شــــيء في حياتهم من نصر وعمل وشريعة وعمر بينما سرقت هذه الصفة إلى يـــهوه ونوابه الكهنة وبهذا ظلت السرقة واضحة وإن حولت من.... إلى....

٨. عبادة الآلهة الأخرى

العجل:

لقد عبد المصريون العجل وكان أبيس اسمه وهو الذي قتله قمبيز وأكل من لحمه فأصابه الصرع كما تحدثنا مسرحية قمبيز للشاعر أحمد شوقي، وقد انتقلت هذه العبادة إلى اليهود فقد عبدوا العجل وصرحت التوراة بذلك في أمكنة كثيرة منها:

١. في سفر الخروج ((ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال هارون لهم انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال غدا عيد للرب)) ٣٢/١،٥/.

٢. في سفر الملوك الأول ((وبنى يربعام شكيم في جبل أفرايم وسكن بها ثم خرج من هناك وبنى فنوئيل وقال يربعام في قلبه

الآن ترجع المملكة إلى بيت داود إن صعد هـــذا الشــعب ليقربوا ذبائح في بيت الرب في أورشليم يرجع قلـــب هـــذا الشعب إلى سيدهم إلى رحبعام ملـــك يـــهوذا ويقتلـــوني ويرجعوا إلى رحبعام ملك يهوذا فاستشار الملـــك وعمـــل عجلي ذهب وقال لهم كثيرا عليكم أن تصعدوا إلى أورشليم هوذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك مـــن أرض مصـــر ووضـــع واحـــدا في بيـــت إيـــل وجعـــل الآخـــــر في دان))١٢/٢٥،٢٩/.

هذان المكانان صرحت فيهما التوراة بعبادة العجل ووجدت هذه العبادة في أماكن أخرى في التوراة لكنها لم تشر إلى عبادة الشـــعب لـــه بصورة واضحة، رجع إلى وصف الكروب فإنك ستجدها ثيران مجنحـــة وضعت في قدس الأقداس ليسجد لها بنو إسرائيل ولولا ذلك لمـــا ســـهل على يربعام هذا الإدعاء.

ويؤكد الباحث جورج كنعان أن عبادة العجل الذهبي وعبـــادة الأفعى ليسا إلا من عبادات المصريين الذين تأثر اليهود بهم.

عبادة الحية:

إله آخر عبده المصريون وقد نقل عبادته اليهود بصـــور مختلفـــة أحب أن أشير إلى تكاملها من خلال مناقشتي هذه:

١.الأفعى أو الحية ورد أول مرة ذكرها من الحيوانات الـــتي في الجنة وقد أبغضها كتبة اليهود واعتبروها هي السبب في إخراج آدم وحواء

ن الجنة ولنعد بذاكرتنا إلى هذه الحادثة تكوين ص٣/١-١٩/ واسمع إلى
نة يهوه الحية حينما أخرجها من الجنة فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه، هذه اللعنة لماذا؟

لا أرى لها مبررا إلا لأنهم أرادوا أن يبعدوا عنهم كل ما يحمله المصريون حتى لا يقال إنهم سرقوا عن الديانة المصرية شيئا.

إلا أن هذا لم يدم طويلا فقد انتقلوا بعد ذلك إلى عبادة الحية وقد أوردوا سببا مبررا لذلك في التوراة فقد لدغتهم الأفاعي وقتلت منهم الكثير وجعل موسى ينصب لهم نصبا راية للحية وأثرت في ذلك فكفت عنهم لدغ الأفاعي ((وارتحلوا من جبل هور في طريق بحر سوف ليدوروا بأرض آدوم فضاقت نفس الشعب في الطريق وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين لماذا أصعدتمانا من مصر لنموت في البرية لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف فأرسل الرب على الشعب الحياة المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل فأتى الشعب إلى موسى وقالوا قد أخطأنا إذ تكلمنا على الرب وعليك فصل إلى الرب ليرفع عنا الحيات، فصلى موسى لأجل الشعب فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها فيحيا، فصنع

موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنسان ونظر إلى حية النحاس يحيا))(١).

هذه الرحلة بالذات ذكر في مكان آخر والتذمر نفسه أتى في الوقت نفسه فكان أن أنزل لهم الله المن والسلوى و لم يترل لهم حيات تلدغهم انظر خروج ١٦/١-١٣/.

وأرى أن هذا الموقف قد أقحم إقحاما للأسباب التالية:

١.ليبرروا سبب عبادهم للحية.

٢.في كل ضيق يترل بهم يحصون من سقط منهم وهم في هذه الحادثة لم يحصوا من سقط قتيلا بواسطة الحيات القاتلة.

٣.بهذه العملية يكونون قد ألغوا الدور المصري للحية وكأنهم جاءوا بشيء جديد من خيالهم.

وعلى هذا الأساس بين الباحث مقار أن أصل الحية التي صاغها موسى مصرية وتلك الحية النحاس التي خلبت ألباب القوم حتى عهد حزقيال كانت أصلا تميمة مصرية شائعة من العاج ألف المصريون أن يضعوها حول أعناقهم وعليها رسم الحورس الطفل واقفا على ظهر تمساح ويده تهصر الحياة هصرا.

وتلك هي الصورة التي اختلسها اليونان بعد أن استنسخها موسى لحية النحاس بقرون فصوروا بطلهم النصف إله هرقل وهو طفل

---

(١). العهد القديم العدد ص٢١/٤-٩/.

يهصر أفعوانا بيده وفيما يخص المصريين كان استخدام التمائم العاجية من الحيات وغيرها من الزواحف السامة شائعا من أقدم العصور[1].

والسؤال الآن متى بدأت عبادة الأفعى؟

ويجيبنا الباحث مقار في هذا بدأت عبادة الحية في العالم القديم في أزمنة مبكرة للغاية والأغلب أنها بدأت في كنف عبادة الأسلاف، فالأسلاف يموتون ويوضعون في الأرض والحية تخرج منسابة ساحرة ومخيفة في آن واحد ومصحوبة بالموت دائما.

وجدت في اليهودية طائفة احتفظت بتلك العبادة الضاربة في القدم وعرفت باسم عبدة الحية، استخدمت في شعائرها الحيات وأقامت طقوسها في الكهوف أو في الأماكن الخربة أو في الأيكات والأماكن التي تكثر فيها الأشجار تحت ستار الظلمة.

وفي مصر عرفت عبادة الحية قبل عصر الأسرات بأزمان طويلة وأقيمت لها أضرح في أماكن مختلفة وظل بعضها قائما وشغالا لآماد طويلة في تل الفراعين وفي كتاب الموتى نلتقي بحية مهيبة تقول الروايات إنها عاشت على قمة الجبل الذي تشرق منه الشمس وتدعوها بالحية التي تعيش بنارها، وتلك حية كان موسى بغير شك قد عرف حكايتها من تمرسه بكل حكمة المصريين واستوعبها جيدا فنقل أسطوريتها إلى الإله الناري، ومثلما تحدت الحية أبيب مخطط رع للخليقة فعلت حية التوراة فخربت مخطط يهوه ومشروعاته لآدم الإنسان الأول.

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص ١٢٩.

غير أن المؤلفين وإن وزعوا الأدوار ذلك التوزيع المستنسخ من الأسطورية المصرية لم يستطيعوا فيما بعد التخلص بشكل كامل من مؤثرات التراث الفولكلوري والأسطوري عن الحية ومكانتها في ذلك التراث[1] .

ولي وقفة مع النص:

١. إن الحية اشتركت في كلاهما بالقيام ضد رغبات الإله رع أو يهوه متحدية إرادهما ومخربة لمشروعيهما.

٢. الحية في الكتابين صارت صنما تعبد وتميمة تعلق.

٣. اشتركت الحية في الأدب الرافدي في ملحمة جلجامش فسرقت له نبتة الخلود وحرمته منها.

٤. حاول كتبة التوراة إخفاء المنابع الأساسية لأسطورة الحية.

٥. إن اليهود رفعوا الحية إلى الملائكة وسموا باسمها النوع الثاني من الملائكة والمعروفين باسم السرافيم والنوع الأول الكروبيم وساراف في اللغة العبرية حية.

٦. ومن ادماج هوية الحية وهوية يهوه ومن الحكي في نصوص الحكمة الخفية القاصرة على أضيق فئات الكهنوت اليهودي عن الحية والتنين لوياثان، أي ما وصف بالسر العظيم لحية الغمر المتحوية والذي يمثل ازدواج هوية المعبود في تجسيدها للخير والشر نشأت في اليهودية طائفة عبدة الحية.

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص ١٦١.

٧. ظلت هذه الطائفة حتى العصور الأولى لنشأة المسيحية وانتشارها رافضة عبادة يهوه اعتباره في تصوير كهنة ما بعد السبي إله مجرد شيطان اغتصب مملكة الحية الحكيمة الممسوحة بدهن الممسحة.

٨. السراف بفتح السين تعني الحية المحرقة الأجنحة التي لدغت الشعب و لم تنقذه إلا راية النحاس التي صنعها موسى وظل القوم يعبدونها طوال قرون بعد موسى.

٩. إن الحية التي لجأ إليها الكهنة في تخليص يهوه من تلك الهوية الثعبانية المحرجة بعد أن شرعوا في تخليص صورته من ذلك التراث القديم الناطق بأصول العبادة وما فيها من مضامين السحر أنهم حوا السرافيم من حيات محرقة طائرة إلى ملائكة طائرة متوقدة.

نعم متوقدة بنور لابنار محرقة ولها هيئة بشرية، إلا أنه على الرغم من كل ذلك لم يتسن طمس البعد الناري للمعبود[1].

ففي رؤيا أشعيا ص٦/٢-٤/ ((السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه وباثنين رجليه وباثنين يطير وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض)).

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص ١٨٠.

وقد أكد جورجي كنعان أن عبادة الحية جاءت من مصر ودخلت اليهودية.

٩. الختان

يرى فرويد أن الختان قد أخذه بنو إسرائيل عن المصريين وليس من الممكن أن يجهل الإسرائيليون الذين خلقوا نص التوراة أن المصريين كانوا يمارسون عادة الختان.

فمتى أقرت التوراة الختان؟

• من يقرأ التوراة يلحظ أن الختان فرض على إبراهيم الخليل في عام التاسع والتسعين، وبعد مجيء إسماعيل ((ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له أنا الله القدير سر أمامي وكن كاملاً فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً فسقط إبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً: أما أنا فهو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً فأجعلك أمماً وملوك منك يخرجون وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض عزبتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم، وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدي الذي يحفظون بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر فتختتنون في لحم غرلتكم فيكون علامة

عهد بيني وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر وفي أجيالكم))[1].

إذن فرض الختان على إبراهيم وهذا ما وجد في التوراة، وإنني أتساءل هل عرف إبراهيم الخليل هذه العادة من مصر؟

١. لقد نفيت رحلة إبراهيم إلى مصر وكان إبراهيم يعرف الختان لأن أبناءه العرب كانوا يعرفون ذلك وهم من سلالة إسماعيل عليه السلام.

٢. هل كان العرب قبل إبراهيم الخليل يعرفون الختان؟

هذا السؤال أتركه للأيام القادمة علها تكشف بالآثار ما خفي عنا.

٣. ما علاقة اليهود بإبراهيم الخليل وقد نفيت علاقته ، نفاها الكثيرون معي أيضاً.

- عاش موسى أكثر أيام حياته في مصر ورغم ذلك لم تشر التوراة إلى أن موسى كان له علاقة بالختان لا من قريب ولا من بعيد.
- أشارت التوراة إلى أن صفورة المديانية تعرف الختان وقد ختنت أحد أبنائها ((وحدث في الطريق إلى المترل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله فأخذت صفورة صوانة وقطعت عزلة

(١). العهد القديم تكوين ١٧/١-١٤/.

ابنها ومست رجليه فقالت إنك عريس دم لي، فأنفك عنه حينئذ قالت عريس دم من أجل الختان)) خروج ٤/٢٤-٢٦/.

أمام هذا النص أقف لأبدي عدة ملاحظات:

١.إن الرب هو الذي طلب من موسى أن يترك مدين ويذهب لإنقاذ بني إسرائيل ولكنه أراد قتل موسى لماذا؟

٢.موسى يجهل الختان ولو كان يعرفه لختن أبناءه.

٣.صفورة المديانية تعرف الختان وقد ختنت ابنها.

أمام هذه النقاط الثلاث استنتج ما يلي:

١.محاولة كتبة التوراة طمس المنابع الأصلية للتوراة بما فيها عادة الختان.

٢.موسى ليس من نسل إبراهيم وإلا فقد كان لزاما عليه أن يعرف الختان ويطبقه ولما لم يطبقه ولا عرفه فإن التوراة تقطعه عن إبراهيم.

٣.إن معرفة صفورة الختان دليل على أن العرب يعرفون الختان وصفورة واحدة منهم.

٤.هل يهوه رجل مصارع لا عمل له إلا المصارعة وقد ظهر لنا من خلال التوراة أن يعقوب أقوى زندا من موسى فقد كاد يصرع يهوه في صراعه أما موسى فقد كاد الإله يقتله وافتدته زوجته بغرلة ابنها.

٥.ما معنى عريس دم من أجل الختان؟

وذكر الختان أيضا مرة ثالثة في سفر يشوع ص٥/٢-٥/ ((فصنع يشوع على سكاكين من صوان وختن بني إسرائيل في تل القلف وهذا هو سبب ختن يشوع إياهم أن جميع الشعب الخارجين من مصر الذكور جميع رجال الحرب ماتوا في البرية على الطريق بخروجهم من مصر لأن جميع الشعب الذين خرجوا كانوا مختونين وأما جميع الشعب الذين ولدوا في القفر على الطريق بخروجهم من مصر فلم يختتنوا)).

لي على هذا النص النقاط التالية:

١. خالف بنو إسرائيل العهد الذي قطعه إبراهيم كما ادعوا مع الإله فكيف لم يختتنوا طيلة هذه المدة؟

٢. تعللهم أنهم كانوا يسيرون في القفر فعرب الجاهلية كانت حياتهم كلها في القفر ومع ذلك كانوا يختتنون.

٣. إن موسى كان يحيى في مدين و لم يختن أبناءه فما تعليل ذلك.

٤. ذكرت التوراة في الختان حادثة يعقوب وأبنائه مع أهل شكيم تكوين ١٣/٣٤-٢٦/ وكانت النتيجة أن ابني يعقوب أبادا المدينة بكاملها فكيف جرؤ يوشع على ختن هؤلاء الرجال وحولهم العدو؟

إن هذه القصة ليست إلا من اختلاق كتبة التوراة.

إن كانت التوراة صحيحة فهذا يدل على جهلهم في الختان أصلا وإنما أخذوه بعد زيارتهم لمصر بعد الدولة الفارسية وعرفوه منهم.

ومن التقاليد التي مارسها القدماء وأخذها اليهود عنهم وأدخلوها في فرائضهم الختان فقد اكتشف العلماء أن المصريين كانوا يمارسون الختان منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد أي قبل ظهور أتباع موسى بألف وثلاثمائة عام.

ويرى الدكتور سوسة أن الفينيقيين نقلوا الختان عن المصريين وقد نقل ذلك هيرودتس أبو التاريخ وقد ثبت ذلك بالمومياء التي اكتشفوها والنقوش على جدران القبور المصرية وقد ورد في سفر هوشع ما يؤكد أن مصر موطنا لعادة الختان(١).

وقد ثبت أن عادة الختان كانت شائعة عند بعض القبائل في الجزيرة العربية منذ عصور غابرة وأنها لم تتسرب من اليهود إلى العرب كما يظن.

ويقول نولدكه إن الختان كان معمولا به بين العرب عموما إذ كانوا يعتبرونه جزءا من طقوسهم الدينية والعمل به إجباريا(٢).

وظل الختان مستعملا حتى الآن عند اليهود ومن شعائرهم التي يقيمونها حوله، وقد أخذوه عن مصر وجعلوه من علامات خصوصيتهم، يضعون مقعدا لا يجلس عليه أحد على أمل أن يجلس فيه إيليا فيحمي الصبي المختن.

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص ٣٩١/.

(٢). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ٢ ص ٤٦٧/.

١٠. الانتصار على التنين

ناقشنا هذه الفقرة في المصدر الكنعاني ولكني وجدت مقتل التنين أيضا في المصادر المصرية فأحببت أن أشير إلى ذلك.

لقد لاحظنا أن كلمتين وردتا في التوراة رهب ولوياثان وقد أعدنا كلمة لوياثان إلى الكنعانيين أما رهب فهي مأخوذة عن المصدر المصري وفي البحث عن حقيقة ذلك التنين وقع الدارسون على إشارات قادتهم إلى التمساح وهو ما يرجحه كون التمساح كائنا مقدسا للألهة نت التي نهب اليهود الكثير ليهوه.

قالت ترانيم المصريين إن الإله نخبت تسحق أعداء رع وبخاصة الحية المتحوية أبيب أبو فيس، وبعدها بقرون وصف يهوه بأنه سحق الحية المتحوية رهب (رمز مصر في لغة الأنبياء) ويرجح أن موسى سرق الحيات المحرقة السرافيم، وشسرق حية النحاس المشهورة التي عبدت لقرون عديدة من أسطورة هذه الآلهة فكان أن صنع موسى حية النحاس حية محرقة وضعها على رابية فوق راية عدد ٢١/٩/[١].

١١. الدم

لا أعتقد أن قوما أحبوا الدماء كحب اليهود وإلههم له، فقد استعمل الدم في مجالات كثيرة عندهم علما أن الدم محرم في الإسلام ولا يجوز استعماله، وحتى اعتبر الدم نجسا وينقض الوضوء في بعض المذاهب،

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ١٧٤.

إن الإله الذي يطلب الأضاحي الكثيرة والمحرقات لهو إله يحب الدماء وسفكها وشربها إذا صح التعبير عن ذلك.

١. وكان أول ذكر للدم في التوراة حينما قطعت صفورة غرلة ابنها وقالت عريس دم من أجل الختان خروج ٤/٢٤-٢٦/ وقد تساءلت عن معنى هذه الكلمة فلم أجد جوابا إلا أن يهوه لا يرضيه إلا سفك الدماء وكان ذلك الدم حتى ولو من قضيب ابن موسى فرضي عن ذلك بديلا من افتراس يهوه لموسى.

٢. الذكر الثاني للدم في المعجزات التي نسبت لموسى وهو تحويل المياه إلى الدم ارجع للخروج ٧/١٩-٢٣/ وتحولت مياه مصر إلى دم وكذلك فعل السحرة، وحضر المصريون إلى النهر ليشربوا لأن المياه تحولت إلى دماء، ولم يبد شره يهوه للدماء في هذا المقطع، ومعجزة موسى وهارون الدموية التي ادعى مؤلف تلك الجزئية من سلسلة حكايات موسى أن هارون تمكن من القيام بها تحت إشراف موسى من تحويل النيل إلى دم وإغراق أرض مصر في ذلك الدم سرقة هزيلة من الديانة المصرية[1].

٣. ارتبط الدم بالأضاحي في عيد الفصح اليهودي ودعاهم إلى أن يرشوا الدم بعرق الزدق على الأبواب والعتبات والقوائم

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة والعهد القديم ص ٧٥.

للبيوت التي يأكلون فيها، خروج ١٢/٦-١٣/ وهنا يبدو شره يهوه إلى الدم بقوله فأرى الدم وأعبر عنكم.

والمصريون كما يخبرنا ويلكنسون كانوا ينقشون على أبواب بيوهم وقوائمها وعتباها العليا نقوشا هيروغليفية توفر الحماية لتلك البيوت مما تضمنته النقوش من أسماء رع وإيزيس ومن المصريين أخذوا ذلك الاعتقاد.

والنص الذي بين أيدينا حينما طلب موسى من شيوخ الشعب أن يأخذوا باقة من الزوفا ويغمسوها في الدم ويمسوا العتبة العليا والقائمتين من كل باب من أبواب البيوت حتى يكفلوا الأبكار بني إسرائيل النجاة من المذبحة التي اتفق عليها من يهوه للقضاء على أبكار المصريين، ومن الترجمة اللاتينية المعتمدة لدى الكنيسة الكاثوليكية التي قدم لها القديس جيروم أن العلامة التي وضعت على قوائم الأبواب والعتبة العليا كانت نص علامة التاو والتاو هو الرمز المقدس للآلهة الأم العظمى إيزيس وقد أزيلت منه الحلقة العليا رحم الألهة فبات صليبا على شكل T.

ولو رجعنا إلى المتنبئ الناري حزقيال لرأينا أن ذلك الصليب الذي أمر موسى بترميز أبواب الشعب به بالدم بريشة من نبات الزوفا هو نفسه السمة التي أمر يهوه بأن توسم بها جباه المخلصين له حزقيال٩/١-٦/ .

ونستطيع أن نقول إن الدم في الفكر الديني المصري اعتبر بعدا ماديا لقدرة خلق الحياة الرسمي لذلك بدفق الإله استقراء لأسطورة قديمة قالت إن الحياة نشأت أصلا من قطرات دم رع تساقطت على الأرض، وإذ أخذ موسى بذلك المفهوم المتعلق بالدم بين ما أخذ لديانة يهوه من الديانة المصرية بات الدم من أهم أقانيم العبادة وقد برر ذلك تبريرا استمد من الاعتقاد المصري القائل بأن الدم تجسد لقدرة خلق الحياة، فقال سفر اللاويين لأن نفس الجسد الدم لكنه مالبث أن قال لاويين ١٧/١١/ وقد حرفوه فرشوا الدم خروج٢٤/٦-٨/، والتعليمات التي تحرم ممارسة طقوس العبادة إلا برش الدم على المذبح وتلطيخ كل شيء به حتى الكهنة أكثر من أن تحصى في العهد القديم وهي متناغمة تماما مع الأوصاف التي وصف بها هذا الكتاب الديني بقدر كبير من الاعتزاز بأنه لا ينام إلى فريسة أو شاربا دما فهو كتاب دين فريد في نوعه مما حصل به من مذابح تشكل جزءا رئيسيا هاما من التاريخ المقدس ليهوه وشعبه.

١٢. الأضاحي

ـ أن إلها يحب الدماء كما يحب يهوه الدماء ولهذا كثرت عنده الأضاحي وتنوعت تنوعا كبيرا فهي بدءا من الأضاحي الإنسانية إلى الأضاحي الحيوانية وقد ناقشنا الأضاحي عند الكنعانيين وقارناها بالأضاحي لدى اليهود والآن أناقش بين الأضاحي عند المصريين واليهود.

تبدأ العبادة بتطهير الكاهن في البيحرة المقدسة، ثم يتجه نحو تمثال الإله في المحراب الداخلي وبعد السجود والركوع وتقديم القرابين الواجبة يجرد تمثال الإله من ثيابه، ويطهره ويزينه بثياب وشارات مناسبة.

وترتبط بهذه القرابين فكرتان إذ ينظر إليهما كهدايا سارة تتحد مع حورس وفي أوقات أخرى لاسيما إذا كانت الضحايا مما يذبح[1].

وعند المصريين أيضا كبش الفداء وهو صورة من صور التطهر وهناك أساليب عديدة للتطهر وأبسط التضحية بختزير أو كلب أو ديك ثم الاغتسال بماء البحر.

ولما كان الختزير محرما في اليهودية والكلب نجسا فإن ضحيتهما لا تقبل وقد حددت الحيوانات الطاهرة فيها فارجع إليها.

كان المصريون يقدمون الضحايا الحيوانية ولكن ليس كطعام للإله وليس بتلطيخ هيكله بالدم وليس بحرقه ليحدث رائحة سرور كما في عبادة يهوه.

---

(١). بارندز جفري: المعتقدات الدينية ص ٥٤.

وكان ذبح الحيوان يجري خارج المعبد وكانت تلك التقدمات تقدم بوصفها تقدمات الملك لأن الفرعون كان من واجبه تبعاً لتقاليد ضاربة في القدم أن يقدم التضحيات إلى الإله وكانت التقدمة الحيوانية عادة من الثيران والوعول، وكان الحيوان يقاد إلى مكان الذبح خارج المعبد حيث يقوم بذبحه جزاران متخصصان ويقطعان أوصاله بالطريقة المتفق عليها منذ القدم في ذلك الشأن، يستخدمان في ذلك سكاكين من الصوان، وعندما يتمان عملهما يخرج كاهن المعبد بوصفه ممثلاً للكاهن الأعلى فرعون فيتفحص جسد الضحية بدقة ويتشمم دمها ليتأكد من نقائها، ومتى أعلن أنها صالحة للتقدمة كانت الأجزاء التي تؤخذ منها توضع على مائدة التقدمة ليأكلها في نهاية الشعائر الكهنة، وفي حالة الصلوات الجنائزية يشاركهم المعزون في أكلها.

ويقول شفيق مقار: ((ومن الواضح عندما استعار لعبادة يهوه شعائر التضحية من الديانة المصرية لم يستطع أن يفعل ذلك ويحافظ على النقاء والتعفف اللذين اتصفت بهما الشعائر المصرية، لأن ذلك كان حرياً أن يجعل شهائر التضحية غير مقبولة لدى الشعب أو مؤثر فيه، ولذلك كان الإغراق في الدم، وتقديم القرابين إلى الإله بوصفها طعامه وغذاءه)).

((وكلم الرب موسى قائلاً: أوص بني إسرائيل وقل لهم قرباني طعامي مع وقائدي رائحة سروري تحرصون أن تقربوه لي في وقته، وقل لهم هذا الوقود الذي تقربون للرب)) عدد ٢٨/١-٣/.

ويبدأ كاتب السفر بتعداد الأضاحي وأنواعها:

١. خروفان لكل يوم محرقة دائماً أحدهما صباحاً والآخر بين العشاءين وعشر الزيفة من دقيق ملتوت بربع الهين من زيت الرخر تقدمة محرقة دائمة.

٢. في يوم السبت خروفان حوليان صحيحان وعشران من دقيق ملتوت بزيت تقدمة مع سكيبة محرقة كل سبت فضلاً عن المحرقة الدائمة.

٣. في رأس كل شهر تقربون محرقة للرب ثورين ابني بقر وكبشاً واحداً وسبعة خراف حولية صحيحة وثلاثة أعشار من دقيق ملتوت بزيت تقدمة لكل ثور وعشرين من دقيق ملتوت بزيت تقدمة للكبش الواحد وعشراً واحداً من دقيق ملتوت بزيت تقدمة لكل خروف محرقة رائحة سرور وقوداً للرب وسكائبهن تكون نصف الهين للثور وثلث الهين للكبش وربع الهين للخروف من خمر.

٤. عيد الفصح من ١٤ من الشهر الأول وحتى ٢١ منه وتوزع تقدماته على النحو التالي: في اليوم الأول ١٥ من الشهر ثوري بقر وكبش واحد وسبعة خراف وتقدمتهن وسكائبهن وتيساً واحداً ذبيحة خطية مع المحرقة الدائمة وهكذا في الأيام السبعة الباقية وتكون ذبائح عيد الفصح ١٤ ثور بقراً، و ٤٩ خروفاً سبعة تيوس مع التقدمات والسكائب.

٥. في يوم الباكورة ثورا بقر وكبشاً واحداً وسبعة خراف حوله مع تقدمتهن من دقيق وزيت وتيس معزى للتكفير والسكائب.

٦. في الشهر السابع في الأول من الشهر ثور واحد وكبش واحد وسبعة خراف وتيس واحد للتكفير مع التقدمات والسكائب.

٧. في العاشر من الشهر السابع ثور واحد وكبش واحد وسبع خراف وتقدماتهن وسكائبهن.

٨. في اليوم الخامس عشر من الشهر السابع المحفل المقدس:

- ثلاثة عشر ثوراً وكبشان وأربعة عشر خروفاً وتيس ماعز مع التقدمات والسكائب هذا في اليوم الأول.
- في اليوم الثاني اثنا عشر ثوراً وكبشان وأربعة عشر خروفاً وتيس ماعز مع التقدمات والسكائب.
- في اليوم الثالث أحد عشر ثوراً وكبشان وأربعة عشر خروفاً وتيس ماعز مع التقدمات والسكائب.
- في اليوم الرابع عشرة ثيران وكبشان وأربعة عشر خروفاً وتيس ماعز مع التقدمات والسكائب.
- في اليوم الخامس تسعة ثيران وكبشان وأربعة عشر خروفاً وتيس ماعز مع التقدمات والسكائب.

• في اليوم السادس ثمانية ثيران وكبشان وأربعة عشر خروفاً وتيس ماعز مع التقدمات والسكائب.

• في اليوم السابع سبعة ثيران وكبشان وأربعة عشر خروفاً وتيس ماعز مع التقدمات والسكائب.

• في اليوم الثامن ثور وكبش وسبعة خراف وتيس ماعز مع التقدمات والسكائب عدد ٢٨ و ٢٩/كلهما.

وهذا الجدول المرفق يبين عدد الذبائح ليهوه على مدار العام:

المناسبة	خراف	كبش	تيس	ثور
السنة	٧٢٠	—	—	—
رأس الشهور	٤٨	١٢	١٢	٢٤
عيد الفصح	٤٩	٧	٧	١٤
الباكورة	٧	١	١	٢
أول الشهر٧	٧	١	١	٢
من ١٥-٢٢	١٠٥	١٥	٧	٧١
السبت	١٠٤	—	—	—
المجموع	١٠٧٦	٣٦	٢٨	١١٣
الطعام الدائم	ماعدا الهبات والنذور والمناسبات الأخرى			

هذا الإله المفترس يهوه يأكل من لحوم الأضاحي في العام الواحد هذه الكمية ونحمد الله أنه لم يكن لديهم آلهة كهذا الإله ولو كان لهم كذلك لالتهموا العالم.

القرابين الأخرى:

١. كل امرأة تلد مولوداً ذكراً أو أنثى خروف محرقة وفرخ حمام.

٢. كل رجل برئ من البرص يقدم في اليوم الثامن خروفين ونعجة.

٣. كل امرأة بعد دورها الشهرية تقدم فرخي حمام.

٤. كلما أراد الكاهن الدخول إلى القدس يجب أن يقدم ثور ذبيحة وخروف محرقة وتيس لعزازيل.

٥. كل إنسان من بيت إسرائيل يذبح بقراً أو غنماً أو معزى في المحلة أو خارج المحلة ولا يأتي إلى باب خيمة الاجتماع يكون قد سفك دماً فيقطع ذلك الإنسان من شعبه ويجب أن تذبح الذبائح أمام باب خيمة الاجتماع وتحرق الشحوم لرائحة سرور للرب.

٦. النذور كلها تذبح ليهوه وهي غير محدودة العمر من ثمانية أيام فما فوق.

٧. من أجل تدشين المذبح، وكانت الذبائح على النحو التالي:

المناسبة	خراف	ثيران	أكباش	تيوس
تدشين المذبح مع موسى	٧٢	١٢+٢ من اللاويين	٦٠	٧٢

٨.ذبيحة السهو كل من سها عن أوامر الرب يهوه يذبح ثورا وتيسا.

٩.ذبيحة الخطية كل من أخطأ يذبح عنزا حوليا.

١٠. كل أبكار الغنم والبقر والماعز تذبح للرب و لم تسلم من هذه الأبكار إلا الحمير ففديت.

١١. كل أبكار بني إسرائيل تذبح للرب ثم أبدلت بخروف عن كل واحد.

أما أبكار بني لاوي سبط موسى وهارون فقد تحولت التضحية بالأبكار بخفة اليد المعهودة إلى تكهين الأبكار ليهوه على الرغم من أنه واضح تماما من حكي سفر التكوين عن أمر يهوه إلى إبراهام بذبح ابنه إسحاق، مما يشير أن مسألة تقديم الابن البكر ضحية استرضاء للمعبود كانت جزءا من طريقة الحياة التي عاشها من ألفوا حكاية إبراهيم خروج ١٣/١/.

١٣. الأعياد

مرت معنا في الفقرات السابقة بعض الأعياد عند اليهود وقد تجمع لديهم أعياد بابل وكنعان ومصر فقد أخذت من أعياد كل أمة بطرف وسنذكر بعض الأعياد التي أخذها اليهود عن مصر.

١.عيد الحانوكا وهو يستمر ثمانية أيام من الخامس والعشرين من شهر كلسيف ديسمبر وهو كانون الأول وهذا يصادف الآن عيد ميلاد السيد المسيح وينتهي في بداية

السنة الميلادية و لم يكن هذا العيد في الأسفار الخمسة و لم نعرف ما الأضاحي التي تذبح من أجله، حضر هذا العيد في مصر المؤرخ هيرودت ووصفه كشاهد عيان وهو عيد الإله نت المسمى بعيد الأضواء كان يقام هذا العيد سنوياً في صان الحجر ومن وصف المؤرخ نقف على أن المصريين كانوا يوقدون المصابيح في بيوهم خلال ذلك العيد من بعد هبوط الظلام وإلى صباح اليوم التالي بعدد أهل البيت وكانوا يوقدون كل أنواع الشموع والفتائل الرفيعة المكسوة بالشمع وبمادة كانت تكفل ضوءاً ساطعاً حتى طلوع النهار، وتبعاً لوصف هيرودت لم يكن عيد الأضواء المصري يقتصر على صان الحجر المدينة التي كانت مركزاً لعبادة الآلهة بل كان يشمل كل الأقليم الذي كانت المدينة عاصمة له بغرب الدلتا.

٢. اليوبيل: واليوبيل هو العيد الفضي إذا صح التعبير وهو مؤلف من كلمتين يوب + إيل أي العيد الإلهي نسبة إلى إيل وقد وردت كلمة اليوبيل في أحكام الشريعة وسمت السنة سنة اليوبيل في ٥٠ سنة، أما في مصر فقد كانت هناك طقوس دينية متميزة تقام في أعياد فرعون أو أعياد الإله ففي عيد الملك اليوبيل المسمى يعاد الاحتفال الطقسي الذي تم فيه توحيد الوجهين في مصر البحري والقبلي على يد الملك مينا

ويصل الاحتفال إلى ذروته برقصة يؤديها الملك وهو يرتدي تنورة قصيرة يعلق بها من الخلف ذيل حيوان.

وقد رأينا داود يرقص أمام تابوت الرب وهو شبه عار حتى إنه أغضب زوجته ميكال بنت شاول.

١٤. لغة التوراة

ناقشنا فيما سبق لغة التوراة وموقف القباليين من الحروف التي سرقوها وادعوها عبرانية وقد أكد الباحثون أن لغة التوراة الأصلية هي المصرية وأنها كتبت باللغة الهيروغليفية و لم تشر التوراة أية إشارة تفيدنا من ناحية لغتها ((ويذكر الباحثون أن الشريعة التي كتبت على لوحي الحجر اختفت و لم يبق لها أثر،وقد كتبت باللغة الهيروغليفيبة التي كان يتقنها موسى بعد خروجه من مصر مع بني إسرائيل كما أنزلت التوراة على موسى التي تقوم على مبادئ أخناتون التوحيدية باللغة المصرية نفسها))[١].

ومن أراد تفصيل ذلك فليرجع إلى كتابي جذور اليهود بعنوان التوراة المحرفة والضائعة.

---

(١). حميد محمد فوزي: عالم الأديان ص ٣٧٤.

١٥. النار

قدس اليهود النار بشكل غريب ولا أستطيع تمييز إن كانوا أخذوا تقديسها من مصر أو من الفرس فكلتا الدولتين تقدس النار.

وقد بدأ تقديس النار عند اليهود ضمن النقاط التالية:

١.الحرق، فكانت الضحايا تحرق بعد ذبحها وقد وردت المحرقة عندما انتهى طوفان نوح تكوين ٨/٢٠/ و ٢٢/١-١٣/ في ذبح إسحاق وتوالت المحرقات وكانوا يعتقدون أن ما تأكله النار هو الذي يأكله الإله وأحب أن أنبه إلى أن هذه العادة مستمرة زمنا طويلا حتى إننا لنراها في عهد إيليا وتحديه لأنبياء البعل.

٢.ظهور يهوه على شكل نار فقد بدا لموسى في العليقة التي كان فيها نار لا تحترق خروج ٣/١-٥/ ومسيره معهم في الخروج بشكل عمود من سحاب في النهار وعمود من نار في الليل تثنية ١/٣٣/.

٣.ظهور النار مع يهوه فقد ظهرت النار مع يهوه في سيناء حينما انحدر موسى من الجبل إلى بني إسرائيل وطلب من شيوخهم ملاقاة يهوه خروج ١٩/١٦-١٩/.

٤.ظهور المركبات النارية للإله حزقيال ٤/١-١٤/ و ٨/١-٢/.

هذه الأمثلة الخمسة كلها دلالة أكيدة على تقديسهم النار ولهذا بات علي لزاما أن أعيد النار إلى مصدرها ولما فتشت في عبادات الأقدمين وجدت المصريين والفرس يقدسونها.

فكيف كان المصريون يقدسونها؟

كان المصريون يقدسون النار ولها مكانة هامة في ديانة المصريين التي تربى موسى في رحابها، لكنها اختلفت تماما عن البعد الآرامي الذي اتخذته في هوية يهوه، فقد ابتنى المغزى الديني للنار عند المصريين على أساس الخبرة الإنسانية بقدرتها المدمرة وقدرتها الخيرة معا في آن واحد[1].

٥.النار التي تحرق وتخيف أكلت ابني هرون لاويين١٠/٢/ وعدد١١/١/ وعدد١٦/٣٥/ حينما أكلت ٢٥٠ رجلا، ومزمور١٨/٨/ ومزمور١٠٦/١٨/ واشتعلت نار في جماعتهم، اللهيب أحرق الأشرار.

وقد اتخذ المصريون سخمت الآلهة لم تكن آلهة مدمرة بالنار التي تحرق الأشرار وخصوم الإله فقط، بل كانت أيضا محدثة للوباء وفي الوقت ذاته قادرة متى استرضيت بالصلوات والشعائر وسائط كهنتها كما وقف موسى وهارون ليهوه عدد١٤/١٢/ و ١٦/٤٦-٤٩/[2].

---

(١).مقار شفيق: الحسر في التوراة ص ١٥٦.

(٢). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ١٧٧.

وبهذا يكون يهوه قد سرق صفة سمخت النارية المدمرة والخيرة معا وبهذا تكون هذه النقاط قد أخذت عن العبادة المصرية.

١٦. المسح والتطهير

لعبت الطهارة عند اليهود دورا كبيرا في حياتهم وقد تناول التطهر نقاطا عديدة منها:

١. المسح بالزيت والدهن وقد ورد المسح في الكتاب المقدس قبل الطهارة بالماء فقد جاء في خروج ٢٨/٤٠،٤١/ في مسح هرون وبنيه، لاويين٨/١-٢/ وقد تكرر المسح كثيرا فمسح صموئيل شاول ثم مسح صموئيل داود وتوالى المسح من قبل الأنبياء للملوك.

٢. التطهر بالماء وقد ورد في التوراة بعد المسح فقد جاء في اللاويين ٨/١-١٠/ واسمع النص: وكلم الرب موسى قائلا: خذ هرون وبنيه معه والثياب ودهن المسحة وثور الخطية والكبشين وسل الفطير واجمع كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع، ففعل موسى كما أمره الرب فاجتمعت الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع، ثم قال موسى للجماعة هذا ما أمر الرب أن يفعل، فقدم موسى هرون وبنيه وغسلهم بماء وجعل عليه القميص ونقطه بالمنطقة وألبسه الجبة وجعل عليه الرداء ونطقه بزنار الرداء وشده بيده ووضع عليه الصدرة وجعل الصدرة الأدريم والتميم ووضع العمامة على رأسه

ووضع على العمامة إلى جهة وجهه صفيح الذهب الإكليل المقدس كما أمر الرب موسى ثم أخذ موسى دهن المسحة ومسح المسكن وكل ما فيه وقدسه.

٣.التطهر بذبح القربان وله ثلاثة أنواع:

- تيس الخطية ليطهر الإنسان من خطاياه أو الشعب من خطاياه.
- تطهير المرأة يتم بذبح خروف محرقة وفرخ حمامة.
- تطهير الأبرص عصفوران حيانان طاهران.
- ذبيحة الأثم ليطهر الإنسان من ذنوبه.
- وهناك ذبائح أخرى للتطهر ولا أريد التوسع في هذا المجال.

من المتطهر بالماء؟

١.صاحب السيل وفراشه ومن يمس فراشه ومن يمسه وهؤلاء يطلب منهم الاستحمام بالماء.

٢.الجنب وكل شيء يمسه الجنب والمرأة الجنب يستحمان بالماء.

٣.المرأة الطامث هي وفراشها وكل ما تجلس عليه من متاع ومن يمس ذلك المتاع يبقى بعد الاستحمام نجسا حتى المساء.

٤.المرأة النازفة وهي كالمرأة الطامث تظل سبعة أيام وفي الثامن تطهر بعد الاستحمام.

٥. كهنة خيمة الاجتماع يرخصون جسدهم عند دخولهم خيمة الاجتماع.

٦. القاتل: يشعر البدائي بأن روح القاتل تتعقبه وتحاول إيـــذاءه وبالتالي فإنها يمكن أن تؤذي من حوله فالإنسان القاتل يعتـــبر نجسا ويمكن أن ينقل نجاسته إلى الآخرين ما لم يقم بشـــعائر تطهر معينة، ولذا فإنه يجب عليه أن يقوم بعد المعركة بتطهير نفسه وأسلحته وهي عملية شعائرية معقدة تستغرق عدداً من الأيام تختتمها المنتصر بالاستحمام بالماء.

بعد أن عرفنا أنواع المطهرات عند اليهود نتـــاقش ذلـــك مـــع المصريين والمطهرات لديهم أيضا:

١. المسح: من أقدم عصور الديانة المصريـــة اســـتخدم المســـح بالزيوت المقدسة للطهر بعد الاغتسال بالماء وكانت كل أمتعـــة الهيكـــل والمذبح وأمتعته وآنيته ورموزه المقدسة تقدس بمسحها بـــالزيت المقـــدس المخلوط بالعطور كما قالت حكاية الخروج أن يهوه أمر موســـى بـــأن يفعل.

وفي إحدى الترانيم المصرية الضاربة في القدم للإله آمون يقـــول المصريون إن الزيت والشمع يخلطان بالمر والطيب ليضع منـــها الدهـــن المقدس لهيكلك كما استخدمت تلك الزيوت المعطرة أيضـــا اســـتخداما

واسعا لدى المصريين على أساس أن من يستخدمها يكتسب بعض فضل لدى الإله إذ يحاكي الطيب الذي يعبق به خير ذلك الإله[1].

٢.التطهر بالماء: من غير المعقول أن تفرض هذه الأوامر للتطهر بالماء في ظل ظروف الصحراء والتيه ولهذا أرى أن الكتبة هم الذين وضعوا هذا التطهر بالماء وقد أخذوه عن المصريين أيضا، فقد أبدى يهوه اهتماما بالغا في النظافة وجعل الاقتراب من خيمة الاجتماع يتطلب من المرء أن يستحم ومن لا يستحم باقترابه من المذبح أو الخيمة يعتبر آثما يعاقب مرتكبه بالموت، وأحرى به لو كان يهوه كما صوروه إلها بركانيا أن يكون التطهر لديه بالنار، ولا تنسى أن صورة يهوه كانت إلها صحراويا جبليا ناريا هذه الصفات الثلاثة تجعل منه إلها لا يهتم بالنظافة عن طريق الماء والتطهر بها فكيف أفرط فيها وبالغ.

إن هذا الأمر يدلنا دلالة بالغة على أنهم أخذوا هذه العادة عن المصريين فشعائر المعابد المصرية التي تربى عليها موسى كانت لا تبدأ إلا بذلك الاغتسال بالماء على سبيل التطهر وعلى معظم مداخل تلك المعابد كان يطل على الداخل نقش يقول: ليكن من يدخل هذا المعبد طاهرا، وأمام بوابات المعبد كانت تبنى مغاسل لاستخدامها في الاغتسال الشعائري الذي كان يتعين على الملوك والكهنة ممارسته بدقة وبشكل

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ١٠٨.

متكرر، وكان الماء في الديانة المصرية عنصراً عزيت إليه بقدرات سحرية فائقة إلى حد أنه دعي باسم ماء الحياة[1].

ولم يكن التمسك بالاغتسال به قبل دخول المعبد والقيام بمراسم العبادة من قبيل الحرص على النظافة الخارجية فقط بل واعتقاداً بمنح المغتسل به شعائرياً نعمة إلهية فالماء كان المادة الأولى التي خرجت منها كل الأشياء في أسطورة الخلق المصري.

وبهذا يظهر لنا أن موسى استعار لعبادة يهوه من الديانة المصرية التطهر بالاغتسال بالماء واستعار أيضاً المسح بالزيت أو الدهن المقدس ولفظه مسيح تعني أصلاً من مسح بالدهن المقدس وقد بات ذلك المسح من الممارسات الدينية بالغة الأهمية في اليهودية منذ أدخله موسى استنساخاً من الممارسات المصرية خروج ٣٠/٢٢-٣١/[2].

فكهنة يهوه مؤلفو العهد القديم لم يكونوا مجددين إطلاقاً في شأن مسألتي التطهر بالماء والمسح بالدهن المقدس هاتين بل كانوا مقتبسين بنشاط بالغ من الديانة المصرية.

والمرجح أن ممارسة المسح بالزيت هذه تسربت إلى سلسلة حكايات يعقوب أثناء التحرير من سلسلة حكايات موسى، فليس هناك

(١). المصدر السابق ص ١٠٦.

(٢).المصدر السابق ص ١٠٧.

تاريخياً ما يشير إلى أن الشعب مارس ذلك المسح الشعائري إلا بعد الخروج من مصر[1].

ولكني لا ارى هذا وإنما كتبوا المسح ليعقوب من خلال تأثرهم بمن سبقهم من بابل وإيبلا فقد وجد مسح الملوك في بابل وإيبلا وأوغاريت وكنعان وبهذا لم ينج كتاب التوراة من السطو والسرقة والاختلاس.

(١). مقار شفيق: المسيحية والتوراة ص ٣٠.

١٧ الصلوات

إذا كانت الصلاة هي الدعاء فقط فقد اختلطت أصول الصلاة اليهودية وجاءت من المصادر السابقة كلها فمن بابل أخذت قسماً ومن الفرس قسماً ومن كنعان قسماً ومن مصر قسماً وبقي قسم بسيط أخذته عن موسى عليه السلام، وقد أشرنا إلى الصلوات في نقاشاتنا السابقة وسنناقش الآن علاقة صلاة اليهود بصلاة المصريين.

١.في حين كانت الصلوات المصرية إعلانات إيمان تصدر عن المصريين على سبيل الصلاح حولت الأفكار التي استنسخت منها بالطريقة المألوفة في اليهودية، وبالنبرة الآمرة المتغطرسة التي لاحظها الباحث اليهوي إلى إملاء الإيمان بالطريقة الإرهابية ((لا تعبد آلهة أخرى معي لا تسجد لإلهات مما تحت الأرض أو تحت الماء أو مما فوق الجلد وإلا اقتصصت من أبنائك حتى الجيل الثالث والرابع لأني إله غيور لا أقبل أن يعبد إله آخر بجواري ولأني إله منتقم آخذ الأبناء بجريرة آبائهم وأنا في نفس الوقت أحسن إلى من يعبدني أنا وحدي فأعطيه أراضي الآخرين))خروج ٢٠/٢،٦/.

لي على هذا النص مايلي:

أ) ليست الصلاة فقط دعاءً كما حولها اليهود فقالوا عن المزامير صلوات داود بن يسي وإنما هنالك طقوس خاصة بالصلاة منها السجود والركوع كما ورد في القرآن الكريم.

ب) يأخذ يهوه الأبناء بجريرة الآباء وقد ورد عكس هذا في التثنية بمعنى ولا تزر وازرة وزر أخرى.

ت) حدد الإحسان بإعطاء أراضي الآخرين ولا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك لعدم إيمانهم بالآخرة.

ث) اعترف يهوه بوجود آلهة أخرى لكنه لا يريد أن يعبد معه أحد شريكاً وخاصة إذا كان العبدة بني إسرائيل.

ولو أردنا أن نقارن الصلوات المصرية بما جاء في المزامير لرأينا الشيء الكثير من سرقات كتبة اليهود وكهنتهم للعبادة المصرية والسطو عليها ولنأخذ على ذلك بعض الأمثلة:

بركة سفر العدد	الصلاة المصرية
١.يباركك الرب ويحرسك.	١.أيها الإله العظيم يا ملك السماء المتوج امنحني بركتك واحرسني من أذى عدوك الشيطان سبباً.
٢.يضيء الرب بوجهه عليك.	٢.يا إله الحياة كل البشر يحيون برحمتك إذ تضيء عليهم بطلعتك.
٣.يرفع الرب وجهه ويمنحك سلاماً.	٣.اغمرني أيها الإله العظيم بفيض مجدك واجعل قوتك درعاً حولي[1].

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٨٨.

أما في سفر أشعيا فإنه أخذ صورة ملك السماء المتوج الواردة في الترنيمة المصرية وغيرها من صلوات المصريين للملك، متجسدا كملك جالس على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ قاعة العرش، كان طبيعيا أيضا أن تتجسد الصورة المصرية للملك الجالس على العرش وأجنحة حورس التي نجدها على مداخل المعابد المصرية وراء عرش فرعون لتحميه وتمنحه القداسة لكنها في رؤيا أشعيا ضربت في ثلاثة فصارت ستة أجنحة، كما ضربت البركة في ثلاث مرات فصارت قدوس قدوس قدوس وإن شئنا تعمق رواية أشعيا أكثر وجدنا سرافيم وقد أخذت من حيطان معابد طيبة القديمة ووجدنا أنها كائنات مجنحة قدسها المصريون في أقدم شعائرهم الدينية باسم نف، وأحيوا تقديسها في المعبود المركب الذي أدخل المعابد في ظل بطليموس الأول تحت اسم سرابيس.

٢.الصلوات المصرية تقول:

الإله واحد وحيد لا وجود لآخر معه

الإله هو الواحد هو الواحد الذي صنع كل شيء

خبئ لم ير بشر شكله ولا يجتلي بشر طلعته

لا يمكن تصويره بالحجارة المنحوتة، ولا يمكن أن تصوره النقوش

ولا يمكن أن يلم بصورته قلب بشر.

وهذه هي أدعية المزامير وسنقف عندها في المقارنات وصفات يهوه في أحسن الأحوال لم تتعد هذه الأوصاف إطلاقا.

١٨. البخور وشجرة السنط

١. البخور:

ورد البخور كثيراً في التوراة وقلّ أن يخلو منه سفر من الأسفار بعد الخروج وخاصة أمام يهوه ولنذكر مثالاً على ذلك لاويين١٦/١٢،١٣/ ((ويأخذ ملء المجمرة جمر نار عن المذبح من أمام الرب وملء راحتيه بخوراً عطراً دقيقاً ويدخل بهما إلى داخل الحجاب، ويجعل البخور على النار أمام الرب فتغش سحابة البخور الغطاء الذي على الشهادة فلا يموت)).

وقد استعمل البخور في دفع الوباء في كثير من مواقع التوراة ولنتساءل من أين أتت هذه المادة في هذا الوضع؟

فالنص كما رأينا يشير إلى المجمرة، والمباخر والمجامر مصورة بما فيه الكفاية بالنحت البارز على جدران المعابد المصرية فلا حاجة للتدليل على أصلها المصري أما الذي يجب التوقف عنده فقوله إلى الشرق ((ثم يأخذ من دم الثور وينضح بإصبعه على وجه الغطاء إلى الشرق)).

فعند المصريين كانت هذه مرادفاً إلى الأرض المقدسة وهي الأرض التي اسمتها النصوص المصرية الدينية بذلك الاسم لأن الإله الشمس رع يشرق منها على العالم كل صباح.

ويعزز هذا النص رواية ميمونيدس (موسى بن ميمون) لفوائد البخور بإزاء ذلك الدم واللحوم الحيوانية داخل الهيكل يكشف عن الأصل

الذي استمد منه فكرة استخدام البخور كجزء جوهري من طقوس العبادة.

ويعلق على هذا السفر شفيق مقار فيقول ((فموسى هو المستعير ليهوه من الديانة المصرية مسألة البخور أفلتت منه إلى كهنته الذين لم ينتبهوا إلى تلك الزلة الكاشفة الإشارة إلى الشرق لأنه فيما يخص يهوه من العلاقة بأية أرض إلى الشرق، الأرض الوحيدة التي ظلت العلاقة قائمة معها إلى الغرب مصر وظلت المنارة المقدسة في الهيكل توضع بحيث تكون باتجاه ....بهليوبوليس))[1].

ومن النصوص المصرية نتبين أن البخور كان يستخدم في ممارسات السحر الأبيض أي في شفاء الأمراض وما إلى ذلك، وفي العهد القديم حكاية استخدام موسى البخور استخداماً مفيداً لسمعته ككاهن وشامان (ساحر القبيلة) في لحظة حرجة من ارتداد قسم من شعبه.

((وقال موسى لقورح كن أنت وكل جماعتك أمام الرب أنت وهم وهرون غداً وخذوا كل واحد مجمرته واجعلوا فيها بخوراً وقدموا أمام الرب كل واحد مجمرته مئتين وخمسين مجمرة، وأنت وهرون كل واحد مجمرته، فأخذ كل واحد مجمرته وجعلوا فيها ناراً ووضعوا عليها بخوراً ووقفوا لدى باب خيمة الاجتماع مع موسى وهرون وجميع عليهما قورح كل الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع فتراءى مجد الرب لكل الجماعة)) عدد١٦/١٦-١٩/.

---

(١). مقار شفيق: المسيحية والتوراة ص ١١٥.

فهرون يكف يهوه عن إبادة الشعب إبادة كاملة بالبخور العبلدة المسروقة من الشعائر المصرية وكان الكهنة في المعابد المصرية القديمة يتشفعون لدى الإله ليرفع عنهم الأذى[1].

٢.شجرة السنط:

لو رجعنا إلى سفر الخروج لألفينا أن شجرة السنط قد ذكرت للفائدة من خشبها فقد مرت في الإصحاح ٢٥/١٠-٢٤/ و٢٦/١٥،٢٦/ و٢٧/١/ لصنع التابوت والمائدة والمسكن والمذبح، والكتاب المقدس يرى أن شجرة السنط مفيدة لخشبها وخشبها مقدس ولهذا وضع نجارة التابوت والمائدة والمسكن للإله من هذه الشجرة.

والآن دعنا نتساءل ما هذه الشجرة؟

هل هي موجودة فعلاً بهذا الاسم أم أنهم سرقوها كما هي عادتهم في السرقات؟ أم بدلت عند اليهود باسم آخر لكن المترجمين أعادوها إلى الأصل؟

يقول كتاب الموتى: لقد جئت وسافرت طويلاً لأشاهد جمالك وأرفع يدي متعبداً لاسمك وهو الصواب والحقيقة لقد جئت وعبرت بالمكان المجدب الذي لا تنمو فيه شجرة السنط، والآن جئت وعبرت إلى هنا وقدمت تقدماتي وأحرقت البخور ووجهت خطاي صوب شجرة السنط الشجرة التي تتوافد عليها أرواح أطفال الآلهة.

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ١٧٨.

وعندما نهبت عبادة يهوه شجرة السنط من عبـــادة أوزيريـــس حرف اسمها فأدى إلى اختراع خشب لا وجود له فصارت شجرة الشيبتم مما دعا بعض الباحثين إلى القول بأنه رآه لا بد من ذلك الشيتيم خشـــب قبرصي استورد من قبرص، لكن الحالة صغيرة ومكشوفة سواء في كتابات الكهنة أو الأتباع، فالشجرة شجرة الشنتيت السنط المقدسة التي تؤمـــها بعد الموت أرواح الموتى في الديانة المصرية(١).

١٩. نوح وأوزيريس

استعارت الحكاية التوراتية لنوح وظيفتين أساسيتين هامتين مـــن وظائف أوزيريس:

١. وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما.

٢. وشرب من الخمر فيسكر وتعرى داخل الخباء.

هاتان الوظيفتان اختلستا من أوزيريس:

١. لأن أوزيريس حسب المجمع الإلهي المصري مختص بالزراعـــة وقد علمها للناس.

٢. إن أوزيريس هو أول من قطر خمرا وعلم الناس شربها.

لا أرى أن نوحا قد قام بهذا العمل وإنما اختلسوا هاتين الوظيفتين ليجدوا لأنفسهم مبررا من أجل إحلال اللعنة على حام وابنه كنعان.

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٢٣١.

٢٠.أدعية

هنالك كثير من الأدعية وردت في الآثار المصرية ووردت مسروقة في المزامير أو في أمكنة أخرى من الكتاب المقدس وإليك أمثلة منها:

ترنيمة لايزيس المصرية	مزمور ثامن
١.المجد لك، الفرح لك أيتها المعبودة الذهبية أيتها الحاكمة الوحيدة يا سر الوجود المكنون.	أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق السموات ٨/١/.
٢. يا من تلدين الكائنات المقدسة وتضلين دواب الأرض وتشكلينها كيفما شئت وتصنعين البشر.	الغنم والبقر جميعا وبهائم البر أيضا وطيور السماء وسمك البحر السالك في سبيل المياه ٧-٨.
٣. يا أماه يا منبع النور الذي تنحسر عنه الظلمة أمامه، يا من تغمرين كل بشر بنورك المجد لك.	إله الإله الرب تكلم ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها، كمال الجمال، الله أشرق ٥٠/١، ٢/.
٤. المجد لك أيتها العظيمة ذات الأسماء الكثيرة يا من أنجبت الآلهة والآلهات فكان اسمك آست مبارك اسمك يا آست العظيمة يا من تهبين أنفاس الحياة.	أرنم لك بين الأمم لأن رحمتك قد غطت إلى السموات، ارتفع اللهم على السموات ليرتفع على كل الأرض مجدك٥٧/٩-١١/.
٥.يا من تجليت لابسة تاجك	من صهيون كمال جمال الله أشرق

الأحمر في زورقك. يا قاهرة أعدائك، يا من تقهرين أعداءك. إنك أنت المعبودة الذهب.	نارا قدامه تأكل وحوله عاصف جدا ٥٠/٢-٣/. وأنت ياالله تحدرهم إلى جب الهلاك ٥٥/٢٢/.
٦.سيدة ما هو مسكر سيدة النغم سيدة الرقص سيدة البخور. أنت يا من يعبدها الإنسان لأنهم يحبونها في يوم بزوغ القمر في عيد سيدة الخلاص الذي تفرح فيه السماء وتتهلل الأرض وتمتلئ حصن حورس بالبهجة.	ارفعوا نغمة وهاتوا دفا عودا حلوا مع رباب انفخوا في راس الشهر بالبوق عند هلالنا ليوم عيدنا ٨١/١-٣/.
ترنيمة للإلهة نخبت وهي أيزيس سحقت أعداء رع، قتلت الحية المتحوية.	أنت شققت البحر بقوتك كسرت رؤوس التنانين على المياه أنت رضضت رؤوس لوياثان ٧٤/١٣،١٤/.
ترنيمة يقول الإله لفرعون إني أنصرك على كل الأمم وألقي الخوف منك في قلوب الشعب وأجعل كل ملوكها ونبلائها يأتون إليك كرجل واحد بظهور محنية	أخبر شعبه بقوة أعماله ليعطيهم ميراث الأمم ١١١/٦/. دفع فرعون وقوته في بحر سوف لأن إلى الأبد رحمته، الذي ضرب ملوكا عظماء لأن إلى الأبد

محملين كدواب حمل.	رحمته. وقتل ملوكاً أعزاء لأن إلى الأبـــد رحمته وأعطى أرضهم ميراثـــاً لأن إلى الأبد رحمته ١٣٦/١٥-٢٢/.
إني أضـــع مخـــافتك في القلـــوب وأجعل الشعوب تســـجد عنـــد قدميك أنت ابن الأثير لدي ومحبتي لك تجعلك السيد المطـــاع لكـــل الأرض.	قال لي أنت ابني اليوم أنا اليـــوم ولدتك اسألني فأعطيك الأمـــم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكـــاً لك ٢/٧-٨/.
إني أجعلـــك تغـــزو كـــل أرض وتخضع كل شعب وتمحق كـــل عدو وتسحق كـــل مـــن يعـــبر حدودك. وها أنذا أضع ســـيفي في يـــدك ليهوي على رقـــاب الشـــعوب ويضرب أعناق الآسيويين.	فالآن أيها الملوك تعقلوا تأدبوا يـــا قضاة الأرض قبلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا مـــن الطريق لأنه عـــن قريـــب يتقـــد غضبه٢/١٠-١٣/
إني أجعل قوتك بلا حدود وأخضـــع لك كل الشعوب ليروا كم هو عظيـــم مجد ابني الأثير لديَّ ويتقوا غضبه.	خذ كأس خمر هذا السخط من يـــدي وأسق جميع الشعوب الذين أرســـلك إليهم....من أجل السيف الذي أرسله أنا بينهم. أرميا٢٥/١٥-٦١٠/.

٢١.دور الإلهة في النصر

تشابه كلا الآلهين في هذه الوجهة وقد سرق الكهنة اليهود هـــذه السمة من الإله رع وأعطوها ليهوه وقد مر معنا في الأدعية شيء من هذا.

وقد أخذ تلك الرؤية المصرية للعلاقة الوثيقة التي آمن المصريـــون بقيامها بين الإله وبين من يحكم مصر فاستخدمت استخداما واســـعا في العهد القديم وأعطي دور الابن الأثير لدى يهوه أو ابنه البكـــر للشـــعب وحولت العلاقة بين الإله ومصر ممثلة في فرعونها إلى علاقة بـــين يـــهوه وشعبه المختار وحولت محاباة الإله فرعون إلى محاباة للشعب، وفي ســـياق تلك المحاباة كفل للشعب الانتصار على كل أعدائه وبث الرعب منـــه في قلوب الأمم تثنية٢/٢٥/ ويشوع ٢/٩/ وهوشع ١١/١/ وأشعيا١٧/١٢/ وأشعيا٤٣/١٦ و ٢٢/.

ولا يقول أبدا إن آمون رع قال هذا الكلام لفرعون قبله بزمـــان طويل وأشعيا يقول: ((هكذا قال السيد الرب ها إني أرفع إلى الأمم يـدي وإلى الشعوب أقيم رايتي فيأتون بأولادك في الأحضـــان وبنـــاتك علـــى الأكتاف يحملن ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يخزى منتظروه))٤٩/٢٢-٢٣/.

وهو عين ما قاله آمون إني أنصرك على كل الأمم.

٢٢. الكهنة والأنبياء

لا أعتقد أن شعبا من الشعوب اهتم اهتماما كبيرا بالكهنة والأنبياء قدر اليهود وهم يختلفون في طبيعتهم حسب النص التوراتي، فهم سبط لاوي ولا أدري لم أختاروا هذا السبط فجعلوه سبط الكهانة والأنبياء.

إن الأسباط كما يقولون اثنا عشر سبطا، اختار الكتبة سبط يهودا للحكم واختاروا اسمه فأطلقوه على عقيدتهم وكرموه لأنهم اعتبروا داود منهم فما الأسباب التي جعلتهم يختارون لاوي هذا؟

أترى لأنه مع أخيه شمعون قتلا أهل مدينة شكيم وأبادا سكانها؟

إذا كان الأمر هكذا فلماذا لم يشركوا شمعون في هذا الشرف الكبير الذي حازاه بالغدر والخيانة والمكر؟

عاش لاوي حسبما تقول التوراة حياة عادية و لم يظهر لنا حتى ظهور موسى أية ميزة على الإطلاق بما يرفعه عن أخوته ولاحظنا أن يعقوب فضل يوسف على أخوة يوسف أما لاوي فلم يرد له ذكر حتى في البركات فقد وصفه بقوله: شمعون ولاوي أخوان آلات ظلم سيوفهما، في مجلسهما لا تدخل نفسي، بمجمعهما لا تتحد كرامتي لأنهما في غضبي قتلا إنسانا وفي رضاهما عرقبا ثورا، ملعون غضبهما فإنه شديد وسخطهما فإنه قاس أقسمهما في يعقوب وأمزقهما في إسرائيل[(١)].

(١). العهد القديم تكوين اص٤٩/٥-٨/.

وكأنهما كوفئا لقتلهما شكيم وليس كما تقول التوراة قتلا مدينة كاملة فإن هذا من كذب كتبة التوراة لكن سبط شمعون لم يخرج منه أنبياء ولا كهنة وأخذ قسما في بني إسرائيل ولم يوزع فكيف تمت هذه البركة.

لا نعرف شيئا عن كهانة اللاويين قبل مجيء موسى من مدين فهل كان بنو إسرائيل لا يعبدون إلها معينا آنذاك وكانوا وثنيين؟

إن كان الأمر كذلك فإنهم لا ينتمون إلى يعوق إطلاقا ويعقوب وإسحاق وإبراهيم وإسماعيل يعبدون إلها واحدا هو إيل.

ومن يطالع الأسماء التي وضعوها للأسباط وأبنائهم لا نلاحظ فيها أسماء إيلية على الإطلاق إلا ما ورد يموئيل بن شمعون ويحلئيل بن زبولون، وإيلون بن شمعون وهذه الأسماء لو قيست بالأسماء الأخرى لرأيناها قليلة ونعود إلى سؤالنا من جديد لماذا فضل بنو لاوي؟

ولماذا عزت التوراة إليهم هذه المهمة؟

يبقى الجواب عسيرا وغير مقنع.

المعلومات التي بين أيدينا في التوراة ترى أن هرون وموسى ولدا من سفاح الأقارب فأحد بني لاوي تزوج عمته وأولدها هرون وموسى.

ولا نرى أي ذكر لهرون على الإطلاق في الأول ولم يذكر إلا بعد أن لاقى موسى يهوه حسب رواية التوراة.

ترى هل هو أكبر من موسى أم أصغر؟

هل خبأته أمه كما خبأت موسى؟

أين تربى هل في حضن والديه أم في حضن أناس آخرين؟

يبقى الأمر مجهولا وكل ما نعلمه من التوراة أنه صار موسى إلهـــا وصار هرون نبيا له تكوين٧/١/ فكيف يكون موسى إلها وكيف يكـــون هرون نبيا؟ هذا ما لا أعرفه و لم أعرفه.

وظل هذا الأمر بين موسى وهرون حتى إذا بنى خيمة الاجتماع أو مسكن الإله تقرر فرز بني لاوي لخدمة الإله، لماذا؟

أهي أوامر يهوه فعلا؟

لو كانت أوامر يهوه لما أخطأ قورح وجماعتـــه وخســفت بهـــم الأرض إن هذا الانتقاء لسبط لاوي قد لاقى أول نكسة على يدي رجـــال قورح مع رجال المئتين والخمسين عند موسى وهرون وقد لقـــي رجـــال قورح مصيرا أسود لا يتمناه الناس لأعدائهم.

ورغم ذلك فقد تقرر إبقاء فرع لاوي في الخدمة ثم لقي اختيـــار بني لاوي صدمة ثانية حينما غضب يهوه على ولدي هرون فأحرقـــهما بناره لأنهما دخلا بنار غريبة إلى مسكن الاجتماع.

وظل الاختيار على بني لاوي لماذا؟

يبقى الجواب سرا ولا أحد يعرفه حتى ولا الكتبة الذين اختـــاروا هذا الكلام فكتبوه.

وللكهانة زي منفرد عن باقي الأزياء وصفه كتبة التوراة ارجع إلى سفر الخروج٣٩/١-٣٠/.

كما خصص لهم امتيازات خاصة من طعام وشراب و لم يقسم لهم قسماً خاصاً في الأرض التي وعدوا بها على حد زعم التوراة بل وزعوا ضمن الأسباط ليكهنوا، وهنا يتبادر سؤال إلى ذهني:

لقد خصص قبيلة من قبائل لاوي بني مراي لحمل خيمة الاجتماع أثناء التنقل من مكان إلى مكان فما عملهم بعد أن استقروا؟

بعد أن قدمت هذه المقدمة لكهنة بني إسرائيل أحب أن أقول إن الكهنة انقسموا إلى قسمين الأنبياء والكهنة.

وكان الكاهن الأكبر يسمى النبي الأكبر كما هناك مدرسة للأنبياء حسب التعبير التوراتي وكان الذين يتخرجون منها يلقبون بالأنبياء وكان أبناؤهم يدعون أبناء الأنبياء.

وهذا عين ما كان يحدث في مصر ((كان الغلام في سن الخامسة حين أدخله أبوه المدرسة الملحقة في المعبد وفي السنة السابعة عشرة انتقل إلى رتبة طاهر، وفي السنة الحادية والعشرين أصبح أباً مقدساً وفي السنة الثانية والثلاثين وصل لمرتبة نبي ثالث وفي السنة الثامنة والأربعين وصل لمرتبة نبي ثان ولما بلغ الستين وصل لمرتبة نبي أول وظل في هذه المرتبة حتى وفاته وهو في السادسة والثمانين))[1].

فإذا كان هذا الترتيب في معبد من معابد مصر فمن باب أولى أن تكون مدرسة الأنبياء الوارد ذكرها في سفر الأيام أن تكون تقليداً لمدرسة الأنبياء في مصر.

---

(١).حميد محمد فوزي: عالم الأديان ص ١٠٨.

ولا عجب إن رأينا عدداً من الأنبياء بجانب داود كناثان وجاد إذا علمنا أن النبي الأول هو رئيس الكهنوت في الرجال، كان يرأس كهنوت الرجال كاهن أكبر فكان يسمى النبي الأول أو كبير الأنبياء وكان رئيس الكهنة يتمتع بسلطان ونفوذ لا يعلوه إلا سلطان فرعون، يتبع الكاهن الأكبر عدد من أصحاب المراتب الدينية كالقراء والأنبياء والآباء المقدسين[(١)].

وكان الكهنة المصريين في بداية الأمر يعنيهم الملك فرعون ثم لما قويت هذه الطبقة حافظوا على امتيازاتهم فجعلوه وراثية في أبنائهم وكثيراً ما تدخل الكهنة في شؤون الحكم في مصر وكم من مرة قاموا بانقلاب على الحاكم، خذ مثلاً أخناتون فقد قصوه عن الحكم ومات في ظروف غريبة وكذلك قام الكاهن حورمحب بانقلابه وشكل أسرة جديدة حكمت مصر لما يقارب القرن الكامل.

إذن كان الكهنة بصفة عامة يعينهم الملك في بداية الأمر لكن في الدولة الحديثة وما بعدها تطورت طبقة الكهانة وأصبحت الوظائف الهامة وراثية وهؤلاء الكهان يسمون خدام الآلهة.

أما الدور النسائي في الكهانة فهو دور ثانوي لأنه انحصر أساساً في إعداد الموسيقا والرقص وأما في طيبة فقد كانت الكاهنة الرئيسية لآمون تحمل لقب زوجة الآلهة[(٢)].

---

(١). المصدر السابق ص ١٠٧.

(٢). بارندز جفري: المعتقدات الدينية ص ٥٧.

وكان عمل الكاهن في مصر ينحصر في الأعمال التاليـــة حينمـــا يدخل الكاهن المعبد يبدأ بالاغتسال (التطهر) في البحيرة المقدسة القائمـــة بجوار المعبد وعندما يدخل المعبد يوقد ناراً ويعد مبخرة مـــزودة بـــالفحم والبخور ثم يتجه نحو تمثال الإله في المحراب الداخلـــي وبعـــد السـجود والركوع وتقديم القرابين الواجبة يجرد تمثال افله من ثيابه ويطهره ويزينـــه بثياب وشارات مناسبة...

وترتبط بهذه القرابين فكرتان إذ ينظر إليهما كهدايا سارة تتخـــذ مع حورس وفي أوقات أخرى ولاسيما إذا كانت الضحايا مما يذبـــح أي ينظر إليها على أنها فداء(١).

أما الكهانة في بني إسرائيل فقد جاءت منذ بدايتها مورثة لا يحـــق للملك أن يعين إلا منها كما حدث في عهد سليمان إذ خلع كبير الكهانة من منصبه وعين غيره ولكن التعيين من الكهنة بالذات ويرثه أبنـــاؤه في الكهانة وكان اختصاص بني لاوي.

ولو عدت إلى الكتاب المقدس لألفيت هذه الامتيازات التي امتـــاز بها كهنة مصر موجودة في بني لاوي وكهانتهم حتى الزي الـــذي كـــان يرتديه كهنة مصر ارتداه كهنة لاوي والسير جاردينر ويلكنسون يوقفنـــا على أن الرمز الذي كان كبير القضاة المصريين يضعه على قلبه وكما قـــال موسى إن يهوه أوصاه بأن يجعل هرون يضع الأوريمة والتميمة على قلبـــه معلقاً في سلسلة ذهبية حول عنقه كان تجسيداً للمفهوم المزدوج الـــذي

---

(١).المرجع نفسه ص ٥٤.

انبنت عليه عبادة معات وهما الحقيقة والعدل ويشير صراحة إلى أن ذلك الرمز هو ما أخذ منه موسى الأوريم والتميم على سبيل الاستنساخ للهوية المزدوجة لتلك الآلهة التي لم تنبن على عقيدها قداسة القضاء فقط بل ومشروعية النظام الملكي ذاته...

ويضيف ويلكنسون قائلاً: إنه مما تجدر ملاحظته أن كبار الكهنة اليهود إبان عهد القضاء شغلوا منصب كبار القضاة قبل عهد الملوك وكانوا لذلك الذين سمح لهم بارتداء شعائر المنصب القضائي أي الأوريم والتميم، ويشير إلى محاولات التمويه عن ذلك الأصل المصري ويقول إنها لم تفلح إلا في تأكيد الاستنساخ من ذلك الأصل، فأولئك الذين ادعوا أن أوريم وتميم لا تعني أكثر من الأنوار وضروب الكمال، وأولئك الذين قالوا إنها لا تعني أكثر من النور والحقيقة لم يطمسوا الأصل المصري بل أظهروه بتحديد أوضح عن طريق توجه الفكر إلى الشبه بين النور والحقيقو والأنوار والكمال وبين الرمز المصري الذي جمع على الصورة المصرية بين الإله الشمس رع (النور والأنوار) وبين الإلهة معات (الحقيقة والكمال).

وهو يعود بنا إلى صلاة موسى أو بالأحرى إلى استغاثته الأخيرة التي موهت ولغزت في سفر التثنية ويبرز التساؤل هل كانت تلك الصلاة التي انطلقت من صدر موسى كما لو كانت تكفيراً واعتذاراً لآلهته الأصلية عن كل ما فعل وما نهب[1].

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٣٦٥.

ومرَّ بنا أن صموئيل في أسفاره كان يحكم بني إسرائيل وحينما طلبوا منه أن يعين لهم ملكاً وقف ضد هذا التعيين وعارض بكل قواه، ولما صارت الملكة في يد شاول عارضه بكل قواه ثم مسح بعدئذ داود ملكاً ولو عاش حتى نهاية داود لعزله كما عزل شاول لكن المنية عاجلته وكان داود قد سيطر بشخصيته القوية، ورغم ذلك فقد حاول كبير الكهنة أن ينصب ابن داود أدوينا ثم قام سليمان بمحاولته مع كاهن آخر وتم له الملك واستولى عليه وعزل كبير الكهنة.

وبهذا إذا بحثنا عن الحقيقة فإننا لن نجد عند اليهود شيئاً لم يأخذوه من مصر ابتداءاً من نجمة داود إلى الضرائب مروراً بنظام الكهنة نفسه، وبالهيكل والمعبد وأردية الكاهن والتابوت وفيما يتعلق بمعتقدات معينة كالاعتقاد بقدرة العين البشرية على إلحاق الأذى بالآخرين عن طريق الحسد وبالتعاويذ والتمائم والأحجية[1].

أما جماعة القبالة فإنها تعكس الأمور وترى أن كهنة مصر قد أخذوا ذلك من إبراهيم فقالوا:

((تعاليم القبالة أسرار أعلى درجة من القدسية والخصوصية، علمها يهوه لجماعة منتقاة من الملائكة فعلمته بغير إذن يهوه لآدم بعد أن وقع في الخطية الأصلية وطرد من الجنة وعلمته على أمل أن يستخدمها شفقة به ورحمة، وعرفت تلك الأسرار طريقها إلى آدم الأب اليهودي الأول على أن يستعيد بعض ما كان قد فقده ومن آدم وصلت هذه

---

(١). شفيق مقار: السحر في التوراة ص ٣٢.

الأسرار إلى نوح الأب اليهودي الثاني ومن نوح عرفت طريقها إلى إبراهام وعندما زار إبراهام مصر وأقام فيها هرباً من الجوع أفلت لسانه فكشف عن بعض تلك الأسرار لكهنة مصر وكان ذلك هو السبب في أن ما انبنت عليه ظل شكلاً مجتزءاً ومنقوصاً من تلك الأسرار العليا التي أفلتت من لسان إبراهام، وحقيقة أن موسى تعلم تلك الحكم تعلمها ابتداءاً من الكهنة المصريين إلا أن ذلك كان من قبيل هذه بضاعتنا ردت إلينا، نظراً لأن أولئك الكهنة كانوا قد أخذوا تلك الحكمة أصلاً عن إبراهام الذي أخذها بدوره عن نوح الذي أخذها بدوره عن آدم الذي أخذها بدوره عن ملائكة كانت قد أخذتها من فم يهوه فالسلسلة اليهودية البادئة بيهوه الإله اليهودي انقطعت فقد بدخول الأغيار المصريين فيها لكنها ما لبثت أن اتصلت حلقاتها بحكمة إلهية بتعليم موسى لها واسترداده إياها من الأغيار المصريين، وإذا استعاد موسى تلك الأسرار العليا لليهود ظل يفكر فيها طوال سنوات التيه الأربعين فنضجت في راسه وأينعت بفضل ما ظل يتلقاه من دروس خصوصية كلفه بها من ملاك يهوه بذلك))[1].

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٧٢.

٢٣.المعجزات

حدثت عدة معجزات بعد عهد موسى أهمها:

١.توقيف الشمس في عهد يشوع ((حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين بين أيدي بني إسرائيل فقال على مشهد إسرائيل يا شمس قفي على جبعون ويا قمر اثبت على وادي إيلون فوقفت الشمس وثبت القمر إلى أن انتقم الشعب من أعدائهم وذلك مكتوب في سفر المستقيم، فوقفت الشمس في كبد السماء و لم تمل للمغيب مدة يوم كامل))يشوع١٠/١٢-١٤/ هذه المعجزة يكذبها أي إنسان مهما بلغت ضآلة معلوماته في الجغرافية فما بين إيلون وجبعون لا تتعدى درجات في خطوط الطول فكيف يثبت القمر والشمس (الليل والنهار) على مسافة لا تتعدى الكيلومترات.

وحتى لو سلمنا بحدوث معجزة فلو قال وقفت الشمس وتأخر النهار لقلنا إنها معجزة أما أن يقف الليل والنهار في مسافة لا تتعدى الكيلومترات فهذا ليس سوى كذب واختلاق، ولما راجعت حوادث مصر وأساطيرها وجدت أن توقيف الشمس هذه المعجزة قد مرت في الأساطير المصرية ففي قصة ميلاد حورس أن أمه أست تركته مخبأ بين عيدان البردي في مستنقعات الدلتا خوفا عليه من أذى ست قاتل أبيه وإذ عادت إليه أست وجدته

بين الحياة والموت وقد نفذ السم إلى جسده فاستنجدت بالإله رع وهو مبحر في المساء فهبط إليها وعندما حاذاها توقفت الشمس ونزل من قارب الإله رع تموت فنطق بكلمات القدرة وخلص حورس من السم الذي سرى في عروقه ورده إلى الحياة وإذ ذاك عاود قارب الشمس إبحاره صوب الغروب[1].

٢. وحكاية ابن المرأة صاحبة البيت من سلسلة حكايات اليشع وإيليا، إيليا الملوك الأول ((وكان بعد هذه الأمور أن ابن المرأة صاحبة البيت مرض وكان مرضه شديدا جدا حتى لم يبق فيه روح، فقالت المرأة لإيليا مالي ولك يا رجل الله وافيتني لتذكر بذنوبي وتمت ابني فقال لها أعطني ابنك وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التي كان مقيما بها وأضجعه على سريره وصرخ إلى الرب وقال أيها الرب إلهي أيضا الأرملة التي أنا نازل عندها قد أساءت بإماتتك ابنها، فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه، فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش فأخذ إيليا الولد ونزل به من العلية إلى البيت ودفعه لأمه وقال إيليا انظري ابنك حي فقالت المرأة لإيليا هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب في فمك حق))ملوك أول١٧/١٧-٢٤/.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ١٤٥.

أما الحادثة الثانية وهي كهذه معجزة لكنها حصلت مع تلميذ إيليا اليشع ((وكبر الولد وفي ذات يوم خرج إلى أبيه إلى الحصادين، وقال لأبيه رأسي رأسي فقال للغلام احمله إلى أمه فحمله وأتى به إلى أمه فجلس على ركبتها إلى الظهر ومات فصعدت وأضجعته على سرير رجل الله وأغلقت عليه وخرجت ونادت رجلها وقالت أرسل لي واحد من الغلمان وإحدى الأتن فأجري إلى رجل الله وأرجع فقال لماذا تذهبين إليه اليوم لا رأس شهر ولا سبت فقالت سلام وشدت على الأتان وقالت لغلامها سق وسر ولا تتعوق لأجلي في الركوب إن لم أقل لك، وانطلقت حتى جاءت إلى رجل الله إلى جبل الكرمل فلما رآها رجل الله من بعيد قال لجيجزي غلامه هو ذا تلك الشونمية اركض الآن للقائها وقل لها أسلام لك أسلام لزوجك أسلام للولد فقالت سلام فلما جاءت إلى رجل الله إلى الجبل أمسكت رجله فتقدم جيجزي لدفعها فقال رجل الله دعها لأن نفسها حرة فيها والرب كتم الأمر عني ولم يخبرني، فقالت هل طلبت ابنا من سيدي ألم أقل لا تخدعني فقلا لجيجزي اشدد حقويك وخذ عكازي بيدك وانطلق وإذا صادفت أحدا فلا تباركه وإن باركك أحد فلا تجبه وضع عكازي على وجه الصبي، فقالت أم الصبي حي هو الرب وحية هي نفسك إنني لا أتركك فقام وتبعها وجاز جيجزي قدامهما ووضع العكاز على وجه الصبي فلم يكن صوت ولا مضع فرجع

للقائه وأخبره قائلاً لم ينتبه الصبي ودخل اليشع البيت وإذا بـالصبي ميت ومضطجع على سريره فدخل وأغلق الباب على نفسـيهما كليهما وصلى إلى الرب ثم صعد واضطجع فوق الصبي ووضـع فمه على فمه وعينيه على عينيه ويديه على يديه فسـخن جسـد الولد ثم عاد وتمشى في البيت تارة إلى هنا وتارة إلى هناك وصعـد وتمدد عليه فعطس الصبي سبع مرات ثم فتح الصبي عينيه وعـاد جيجزي وقال ادع هذه الشونمية فدعاها فلما دخلت إليـه قـال احملي ابنك فأتت وسقطت على رجليه وسـجدت إلى الأرض ثم حملت ابنها وخرجت))ملوك ثان ٤/١٨-٢٧/.

لي على هاتين المعجزتين ما يلي:

١. كلا النبيين اتهم ربه فإيليا قال قد أسأت بإماتتك ابنها وإليشع والرب كتم عني.

٢. الحادثتين من وضع كتبة التوراة فإحياء الموتـى كـان مـن اختصاص عيسى عليه السلام وليس مـن اختصـاص إيليـا وإليشع.

٣. كلا النبيين إيلي وليس يهوي فكيف يكون الاسم إيلياً وهمـا يعبدان يهوه.

٤. كلا القصتين مسروقة من أسطورة آست وأصل الحكاية ((أنـا آست لما وصلت إلى مشارف مستنقعات البردي ذهبـت إلى بيت الحاكم وعندما رأتني السيدة العظيمة كبيرة النساء مقبلـة

أقفلت البواب في وجهي لكن امرأة فقيرة فتحت لي بابها وأدخلتني بيتها، ونقمت العقارب على السيدة العظيمة فبعثن واحدة منهن لدغت ابنها وأشعلت النار في بيتها ولم يكن ماءٌ لإطفاء النار إذ ذاك امتلأ قلب من لم تفتح لي الباب ودارت في المدينة تندب فلم يخف لنجدها أحد، رقّ قلبي من أجل الطفل وحزنت له ورغبت أن أحييه وهو الذي كان بلا ذنب فناديتها مرتين أن تعالي إليّ ففي فمي كلمة قدرة ترد الحياة، وتطرد الشر، ووضعت أنا آست العظيمة يدي على جسد الصبي لأحييه وأخلصه مما كان فيه، قد أقفل حلقه دون أنفاس الحياة وقلت أيها السم اخرج أنا آست الإلهة سيدة كلمات القدرة آمرك أن تخرج من جسم الصبي، آمرك ألا تسري أنا القوة القادرة صاحبة القول المقدس آمرك أنا آست الإلهة العظيمة رأس الآلهة آمرك))[1].

٣.المعجزة الثالثة حدثت مع إيليا وهي إنزال المطر وتوقيفه ((وقال إيليا التشبي من مستوطني جلعاد لآخاب حي هو الرب إله إسرائيل الذي وقفت أمامه إنه لا يكون هناك طل ولا مطر في هذه السنين إلا عند قولي))ملوك أول١٧/١/.

وهرب إيليا فاختبأ حتى لا يضطره الملك لإنزال مطر حتى قتل إيليا أنبياء البعل وعددهم ٤٥٠ نبياً ملوك١٨/٤١-٤٦/.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ١٤٥.

إن هذه الحادثة توقف هطول المطر بأمر من إيليا وإنزاله فيما بعد وبعد مرور سنين طويلة ((هذه قدرة سحرية عزيت باستمرار في البرديات والنقوش المصرية إلى كهنة مصر على النحو التالي أوضحه الاستشهاد، بل وجعل قوى الطبيعة ذاتها تتمثل لقدرته وتسخير الريح والمطر والعواصف والأعاصير والنهر والبحر بل والمرض والموت في إلحاق الشر والأذى بخصومه وأعداء مصر))(١).

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٣٧٠.

٢٤. السبت

اختلف العلماء حول السبت وعمن أخذه اليهود فقد ورد عند البابليين لكن المصريين لم يكونوا يؤكدون السبت وإنما كانوا يقولون إن إلههم خلق الأرض والسماء في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وكانوا في اليوم السابع لا يعملون شيئاً على الإطلاق ولا ندري إن كان ذلك اليوم هو يوم السبت أم غيره إلا أن فكرة الاستراحة وتعب الإله موجودة في الديانتين ولهذا نقول إن اليهود قد سرقوا هذه الفكرة في جملة ما سرقوه.

٢٥. الخيمة

ورد ذكر بناء خيمة الاجتماع في سفر الخروج الإصحاح السادس والثلاثون على يد بصلئيل وأهولياب واستمر الوصف في بناء الخيمة الإصحاح كله تقريباً وخصص من بني لاوي عشيرة مراري لحملها ونقلها، وإنني لأعجب من تمحل الغرب بباطلهم ومحاولتهم إثبات ذلك بأية وسيلة حتى ولو كان ذلك من باب الكذب وتزوير الحقائق.

فالخيمة التي صنعت لم تكن في يوم من الأيام مستقرة حتى تبقى آثارها وقد مرَّ على صنعها إن كانت مصنوعة بهذا الشكل ما يقارب /٣٥٠٠/سنة تقريباً فأي آثر لشيء متنقل في صحراء بعد مرور هذا الزمن المتطاول، واسمع معي هذه السخرية المرة ((زودتنا الكشوف الآثارية مؤخراً بتأييد لصحة واقعتين في حكي التوراة عن رحلة موسى ومن معه

في القفر وهو تأييد لم يكن أحد يتوقعه تمثل في اكتشاف عالم الآثار الإسرائيلي بنوروذنبرح لحية من نحاس وخيمة في منطقة تعدين النحلس في تمنة))[1].

ولي على هذا القول ما يلي:

١. إن الحية النحاسية سارت مع القوم حسب آراء التوراة وظلت عند ملوك يهوذا حتى حطمها حزقيا في القدس فما الذي جاء بها إلى تمنة، ولو قالت التوراة إن موسى تركها في القفر بعدما كفت لدغ الأفاعي قلنا قد يصدق الخبر.

٢. إن الخيمة لها وصف محدد وكانوا ينقلونها حسب رحلاتهم وقد خصص لها بنو لاوي يقيمون معها في حلها وترحالها فكيف وجدوا هذا الآثر في تمنة ومن البدهي أنها دخلت فلسطين إن كان لهذه الحكاية أصل.

٣. يقودنا من شعرائنا في الجاهلية أنه لا يبقى آثر بعد مدة من الزمن وحينها نقول درست الآثار فما الأثر الذي لا يندرس بعد /٣٥٠٠/ سنة تقريباً الأوتاد أم الحبال أم النؤي الذي يدور حولها؟

ولو قال ذلك الآن عربي في نجد أنه اكتشف خيمة من مضارب بني عبس لقلنا إنه استنفد عقله ووارحمتاه له.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ٤٤٧.

فكيف وقد مرَّ على تلك الخيمة من الزمن بمقدار ما مـــرَّ علـــى مضارب بني عبس أكثر من الضعفين فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ولو عدنا إلى الأصل الديانة المصرية وجدنا أن بصلئيل المبارك سبع بركات ذاك تمويد مسرحي لشخصية مسئول مصري ورع اسمـــه أنحـــير نفرت من بلاط الفرعون سنوسرت الثاني وقام أنحير نفرت ببناء هيكـــل لأوزيريس ووشاه بالذهب[1].

يعترف مانلي هول في كتابه المعنون حكاية العهد القديم وهو مـــن الباحثين التوراتيين المدلهين مع لمسة من التصوف، بالتأثير المصـــري بـــالغ القوة في شأن خيمة يهوه ((وقد كانت خيمة يهوه معبداً متنقلاً قســـم إلى ثلاثة أقسام وكانت عدته ورموزه مأخوذة من العدة والرموز الشـــعائرية المصرية كما هو مصور نقشاً على جدران معبد فيلة بأسوان...وفيما بعـد أدمجت الخواص المميزة لتلك الخيمة في هيكل سليمان وبحلول ذلك العصر كان التفسير الديني قد طمس بشكل كامل تقريبـــاً الأصـــل المصـــري للتصميم كله))[2].

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٢٦٧.

(٢). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٥٤.

٢٦.نجمة داود

حتى النجمة التي ادعوها أنها لداود لم تكن في يوم من الأيام رمـــزا وإنما هذا الرمز سرقوه من الديانة المصرية ونجمة داود أو مجـــن داود كما أسموه لم يكن معروفا عند اليهود إلا في القرون الوسطى وفي هــــذا يقول الباحث شفيق مقار: إلا أن الشعار القبلاني الذي اتخذ رمزا وطنيـــا لإسرائيل وعلما لها ليعبر عن كونه العلم الذي سيرفرف ذات يوم تبعا لمـــا تطمح إليه الصهيونية على العالم بأسره بتعبيره هندســـيا عـــن القطبـــين والمنطقة الإستوائية قد يغمض منشؤه علينا، غير أن ذلك المنشأ يكشـــف واضحا متى عدنا إلى كتاب تحوت وأمعنا النظر في الرمز المصري المعروف باسم شجرة الحياة الذي صور المصريون فيه رؤيتهم للفلك والمشكلة أنـــه وصل عالمنا المعاصر من خلال كتابات القباليين وهي أفضل حالات دائرية كثيرة الالتواءات والمنعطفات مغموسة في الغموض ثم أخذتـــه الحركـــة الصهيونية عن أولئك السحرة اليهود.

إن الحال لم تكن كذلك على الإطلاق في الأزمنـــة القديمـــة ولا وجود في أي موضع من الكتابات العبرية ما بعد التوراتيـــة أو حـــتى في التلمود البابلي أو تلمود القدس لأي ذكر أو وصف لشيء يدعى مجـــن داود.

والثابت بالأدلة أن مجن داود لم يصبح ملحوظا كرمز يـــهودي إلا عندما أدخلته طائفة القرائين واستخدمته القبالة بأوربا في أخريات العصـــر الوسيط ثم شاع استعماله بذلك الوصف على أيدي القباليين الأواخـــر ثم

جاءت الحركة الصهيونية منذ أواخر القرن الماضي فاتخذت من مجـن داود رمزا وطنيا يهوديا[1].

إنهم قوم لا شيء لا يهم إلا ما سرقوه من حضارات العالم من بابل وكنعان من مصر وفارس ولم يسرقوا من مصر فقط من شؤون الديانة بل سرقوا حتى مكونات تاريخهم الثقافي ما جعلوه رمزا لهويتهم ورمزا لدولتهم.

سرقوا هذا الرمز من مصر وبهذا تكون الحكمة اليهودية والمعرفة اليهودية والعبقرية اليهودية كلها مسروقة من مصر.

ويبقى للباحثين أن يكشفوا زيف هذه الفئة ولصوصيتها أما آن أن يرجع الحق إلى نصابه ويستعيد كل ذي شأن شأنه ألا يجب أن تنكشف أكبر عملية احتيال حضاري في تاريخ هذا العالم المنكوب بالصهيونية ونعرف الحقيقة.

ومن الممتع حقا أن يعثر المرء في كتابات اليهود على محاولات مستميتة في إعطاء شعبهم تاريخا ثقافيا على أدلة لا سبيل إلى التعامي عن برهنتها على أن هذا كله مسروق من الشعوب الأخرى.

وحتى التعاويذ والتمائم التي تعلق على صدورهم وصدور أطفالهم.

وبديلا من أن يعترف اليهود في سرقاتهم ويعيدوا الحق إلى نصابه تراهم يتكلمون بصيغة التعالي ويصرخون في أعلى صوتهم بأنهم أصحاب حضارة أبدعوها وأنهم أمة كباقي الأمم أسهموا في ميدان الحضارة حتى

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٢٩٨.

وإن وجد شيء في حضارتهم ما يشابه حضارات الآخرين ففي ذلك تشابه فقط يقول في هذا الشأن ناتال أوزوبل: إن اليهود شأنهم شأن المصريين والكنعانيين والبابليين وغيرهم آمنوا بأن قدرة الشر توجد في العين البشرية بشكل مركز[١].

واستنادا إلى أنه ذكر المصريين وغيرهم فقد أورد في ذيل كلامه عن الحسد صورا لما أسماه بتمائم ضد الحسد من الفترة الإسرائيلية القديمة وكلها استنساخ عن عين حورس الشهيرة في الديانة المصرية.

ومثلما سرقت عين حورس وسرق ما لا يحصى ولا يعد من كنوز الديانة والحضارة المصريتين، ونسبت هذه الكنوز إلى المعرفة اليهودية والحكمة اليهودية والصلاح اليهودي والعبقرية اليهودية.

سرق الرمز الذي لم تجد الحركة الصهيونية رمزا لغيره لدولتها وعلمها وتحت اسم مجن داود أو نجمة داود أو النجمة اليهودية[٢].

ولعنا لو رجعنا إلى معارف تحوت ومؤلفاته الاثنين والأربعين لرأينا أن أربع مؤلفات منها في الفلك والتنجيم وقد أخذ اليهود هذه النجمة استنساخا حرفيا من رسم تخطيطي أخذه اليونان ثم أخذه الرومان منهم فأطلقوا على الآلهة أسماء آلهتهم وعنهم أخذه القباليون فجعلوه في مبدأ الأمر تميمة سحرية لحماية الحوامل والمواليد من شر ليليت زوجة آدم

(١-٢). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٢٩٧. وأوزوبل ص ٢٦٦.

الأولى وللوقاية من السحر والأبالسة والعين ثم أخـــذه الصهاينـــة مـــن القباليين(١).

٢٧. التابوت

ورد في التوراة التابوت بصورة كثيرة وكان بنو إسرائيل يحملونـــه معهم في الحروب وقد خسروه في إحدى المعارك ثم عاد إليهم بعد مجـــيء طالوت إلى الحكم وقد ورد ذكره في القرآن الكريم أيضا.

وقـــد جـــاء لأول مـــرة شـــارحا كيـــف عملـــه بصلئيـــل خروج٢٥/١٠،٢٢/ وخروج ٣٧/١-٩/ معطيا أوصافا دقيقـــة ولكـــن الشيء الذي أريد أن أعلق عليه هو أنهم وضعوا على الغطـــاء كروبيـــين باسطين أجنحتهما وكان التابوت يستعمل لغرضين مهمين:

١. كرسي ليهوه.

٢. صندوق يضعون فيه كتاب التوراة.

ولما فقدوه في حروب بني إسرائيل مع بعضهم خسروا التوراة أيضا وراحت التوراة منذ ذلك الوقت أي قبل قيام الدولة الإسرائيلية على يـــد داود(٢).

ولعب التابوت كما قلت دورا مهما في أسفار التـــوراة ومـــن ثم حينما وضعه سليمان في الهيكل لم يعدله أي ذكر على الإطلاق حتى زمن السبي البابلي.

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٣٠٤.

(٢). ارجع إلى كتابي جذور اليهود من خلال النقد التاريخي جذر التوراة.

والتابوت صندوق من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف ومغشى بذهب نقي من داخل ومن خارج وله إكليل من ذهب حواليه...

فالتابوت المغشى بالذهب المصنوع من خشب السنط صنع ليكون مسكنا ليهوه ليسكن وسط الشعب فيه ولتوضع فيه الوثيقة الرئيسية للعبادة الشهادة التي أعطيك.

وفي هذا أيضا نجد أن موسى نقل نقلا صريحا عن الديانة المصرية[1].

وتحمل حكاية صندوق مغشى بالذهب من داخله وخارجه لتوضع فيه الشهادة اليهودية أوجه شبه عديدة لا تحجد تجمع بينها وبين أسطورة كتاب تحوت في صندوقه الذهبي.

وإليك أوجه التشابه والاختلاف بين تابوت يهوه والتابوت المصري ضمن النقاط التالية:

يتضح التماثل الكاشف عن استنساخ تابوت يهوه من توابيت الديانة المصرية في الأوجه السبع التالية:

١.الحرص البالغ على صنع التابوت وكل متعلقاته من خشب السنط المغشى بالذهب.

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٢٣٥.

٢. تماثل التابوت نفسه شكلا وبنية والشبه القوي بين الكروبين والأشكال الدينية المصرية والأجنحة الشائعة في تلك الأشكال.

٣. تماثل مفهوم محط أو مقعد أو كرسي أو عرش الرحمة فيما يخص تابوت يهوه مع مفهوم الكرسي أو العرش في تابوت أوزيريس.

٤. تماثل الظلة أو الخيمة أو ما يسميه سفر الخروج بالمسكن.

٥. تماثل وظائف الكهنة فيما يتعلق بخدمة التابوت أو حمله.

٦. تماثل وسيلة رفع وحمل الركيزة والتابوت باستخدام عصوين تحرران في حلقة معدنية على جانبي الركيزة والتابوت.

٧. تماثل أسلوب حمل الركيزة وراء التابوت أثناء نقله أو خلال المسيرات التي أستخدم فيها.

أما أوجه الاختلاف فكانت:

١. إغفال شكل القارب من التابوت اليهوي.

٢. إبقاء العصوين مكانهما على جانبي التابوت والركيزة في كل الأوقات.

٣. عدم وجود الاستخدام اليهودي للمذبح في الشعائر المصرية[١].

ويبدو ذلك الاستنساخ واضحا أيضا في كافة التفاصيل الأخرى المتعلقة بالتابوت وقاعدته أو مائدته كما يسمونها في سفر الخروج وظلته

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٢٣٧.

أو خيمته، أو المسكن كما يسميها سفر الخروج، وهي الخيمة التي طورها موسى من ظلة التابوت المصري ثم استبدلها سليمان بعد قرون بمعبد حاول أن يحاكي به المعابد المصرية كما يبتدئ التماثل أيضا في تقليد حمل التابوت على أكتاف الكهنة خدامه وطريقة حملهم إياه باستخدام العصوين اللتين تحرران في حلقات معدنية على جانبي التابوت ومائدته أو قاعدته وهي الطريقة التي اتبعها المصريون في حمل التماثيل وغيرها وأصر عليها يهوه.

غير أن التفصيل الكاشف بحق والذي لم يستطع موسى أو لم يسعه التخلص منه ظل الكرسي أو عرش الرحمة، ويقول المختصون في اللغة العبرية إن اللفظة التي تعبر عن العرش في تلك اللغة تستمد جذورها من مفهوم التغطية والغطاء وبذلك استخدمت بمعنى الكرسي المغطى أو المكسو أو العرش، وقد تضمنت أيضا معنى التقوس في منحنيات فاتخذت بذلك أيضا معنى الكرسي الذي تجلس عليه شخصية مهيبة، وقد استخدمت بذلك المعنى في سفر الملوك الأول ٢٢/١٠/ وإستير ٥/١/(١).

ومن ثم صنعت الخيمة ووضع تابوت العهد في الخيمة والذي يلمح إلى أن خيمة الاجتماع هي خيمة المسكن وقد وصفت وصفا دقيقا وصنعت الخيمة في الفترة التي صنع فيها التابوت ارجع إلى سفر الخروج والذي رددته الصلاة لإوزيريس أن غريمه القديم إله الجدب والشر ست جيء به ليشهد مجد انبعاث إله الخير والزرع الذي تصور أنه انتصر عليه

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٢٤٨.

وقتله عندما أوصد عليه تابوته المصنوع من خشب السنط وألقاه في النيل ثم عاد فمزقه إربا وبعثر أوصاله في أرجاء مصر، وإن انتصار الخير على الشر جسد سماويا بوضع ست تحت قدمي أوزيريس وإعلاء أوزيريس ليكون جلوسه على جسد ست المقوس، تلك هي الأسطورة الدينية الرفيعة التي استعار منها موسى محط الرحمة أو كرسي الرحمة وهو الكرسي الذي عني بأن يجعل يهوه يملي تصميمه وكيفية صنعه عليه حتى يكون يهوه كأوزيريس الإله الذي صنع عرشه وجلس عليه، ومن فوق الكرسي يلقي يهوه بتعليماته إلى بني إسرائيل.

ولقد حار الباحثون طويلا في محاولة استظهار غرض محدد لتابوت العهد الذي استنسخ من مصر وجعل رمزا أساسيا من رموز عبادة يهوه خروج ٢٥/٨/ و ٢٩/٤٢-٤٥/.

وليس في النص كما هو واضح ما يقول أين سكن يهوه بين بني إسرائيل في التابوت أم في خيمة الاجتماع التي وضع فيها التابوت، وأثر ذلك اخترع اختراعا متصف بالشطارة المعهودة دعي بالغموض المغلف بالقداسة المألوفة الشكية أي المسكن من الجذر شكن سكن.

وتراكمت كتابات الأحبار على ذلك المسكن وبالتدريج تحولت السكنى فيه من سكنى بالجسد إلى حلول بالروح، بالنور إلى حلول بالاسم، وفي النهاية جاء عزرا وبيده الحازمة حسم المسألة والله الذي أسمه هناك عزرا٦١/١٢/.

فيهوه كان يسكن السحاب ويترل به على رأس الجبـــل ويجتمـــع بموسى هناك خروج ٢٤/١٦-١٨/ ثم طلب منه أن يصنع مقدسا ليسكن وسطه بنفسه خروج٢٥/٨/ ثم أدخلت الخيمة فصار تلميح إلى أن السكنى فيها لا في التابوت، الخروج٢٩/٤٥/.

وإنني أتساءل أين سكن يهوه بعد أن هدم الهيكل وسلب التـــابوت وعرف ما فيه فهل ارتفع إلى السحاب من جديد؟

أم رأى أنبياء الأسر أن لا وجود لهذه الخرافة فرفعوه وجعلـــوه في السماء تشبها بإيل ورع إله السماء والأرض.

٢٨.العصاا سلا م

١.العصا:

العصا التي كان يحملها موسى لم تكن إلا عصا عادية عصا راع في يده يهش بها على غنمه ويتوكأ عليها وله فيها مآرب أخرى.

هذه العصا تحولت إلى معجزة فصارت أفعى تلقف مـــا يصنـــع السحرة المصريون وجعلتهم يلقون مسلمين.

ولكنها صارت عند اليهود مقدسة كل التقديس وصـــارت لهـــا خصائصها وميزاهما وصارت عصا الله حسب التعبير التوراتي.

إلى هذا التقديس للعصا قال شفيق مقار إنه استعار هـــذه العصـــا لتلك الديانة الجديدة فاتخذ العصا المقدسة من الديانة المصرية واستخدمت استخداما واسعا في تأليف الديانة بعض عسكري وبعض سحري.

فقد قامت العصا في أعمال كثيرة استخدمت في الحروب فكان النصر بجانب موسى واستعملها في شق البحر وشق الصخر لإخراج مياه الينابيع.

٢.السلم:

كان يعقوب هاربا من أخيه عيسو الذي كان طبقا للحكاية يبحث عنه ليقتله لأنه سرق منه حق البكورية في ميراث الأب وخدع أباه وكان يعقوب شخصا آبقا مشردا لا وطن له وصفته التوراة بالآرامي التائه فكان طبيعيا أن يشتهي ويتمنى لو كانت كل تلك الأرض ملكا له غربا وشرقا شمالا وجنوبا ولا أحد يعلمه لا أحد يمكنه أن يعلم بطبيعة الحال ما يمكن أن يرى الرجل الهارب من وجه أخيه في المنام أو لم يره...

لكن الحكاية التوراتية تؤكد أنه في ذلك المنام تلقى وعدا من إله رآه نازلا على سلم من السماء بإعطائه كل تلك الأرض ميراثا أبديا له ولنسله من بعده وبصرف النظر عن أن حكاية السلم النازل من السماء هذه مقتبسة كالكثير الذي لا حصر له من الديانة المصرية التي كان ذلك السلم التوراتي فيها لصعود أرواح الفراعنة إلى السماء لا لنزول الآلهة منها.

إن ذلك الحلم الذي حكت عنه حكاية حول إيماننا إلى كلمة الله وبات بذلك حقيقة كونية لا شك فيها، وأسست عليه قانونيا وأخلاقيا وإلهيا دعاوى لم يسبق أن ادعى بها شعب في التاريخ فهي دعاوى وسعت لتشمل الحق في تملك عالم بأسره.

إن هذه الحكاية ليست إلا من وهم كتبة التوراة ولا أصول لها فيعقوب ليس إسرائيل وقد أكد ذلك كثير من الباحثين ارجع إلى كتابي هاجر بين الحرية والعبودية.

٢٩.الشيطان

((ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع، ويلقي هرون على التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل، ويقرب هرون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة خطية، وأما التيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حيا أمام الرب ليكفر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية...ويضع هرون يديه على رأس التيس الحي ويقر عليه بكل ذنوب بني إسرائيل وكل سيآتهم مع كل خطاياهم ويجعلها على رأس التيس ويرسله بيد من يلاقيه إلى البرية ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة فيطلق التيس في البرية))(١).

لي على هذا النص مايلي:

١.جعلوا عزازيل شريكا ليهوه وهو يمثل الشر الذي فعله بنو إسرائيل إذ عملوا قرعة بين عزازيل ويهوه.

٢.هل يقبل بإرسال تيس يحمل ذنوب إسرائيل عقل منطقي أو ذو فكر عادي؟

---

(١). لاويين ١٦/٧-١٠ و ٢١-٢٢/.

٣.إن اسم عزازيل مؤلف من عزاز + إيل ويمكن تعريبها العزيز بالله فهل العزيز بالله يمثل الشيطان؟

أحدث هذا الاسم هياجا لا حدود له لدى المفسرين والشراح والمعتذرين الذين داسوا على بعضهم في محاولة مستيئسة لتفسير عزازيل بأنه أي شيء خلا ما هو شيطان أو الشيطان.

وقد ذهب المدافعون والمعتذرون في محاولة طمس هوية عزازيل إلى حد القول بأنه مكان في الصحراء أو جبل لا كائن.

لكن كتاب الزوهار كتاب السناء بوصفه رئيس الأيشيين السبعة أي الملائكة الساقطة وهي مذكورة في سفر أخنوخ أحد أسفار الأبوكريفا الأربعة عشر التي تكمل العهد القديم لكنها مستبعدة من طبعاته المتداولة لأسباب لا تخفى منها بالذات سفر أخنوخ إذ يكشف في مواضع منه بشكل لا سبيل إلى طمسه عن الأصل المصري لحكاية الكهنة[1].

وتطلق الباحثة هيلينا بتروفنا بلافاتسكي على عصبة عزازيل من الملائكة الساقطة اسم بني عليم وتصف أفرادها السبعة بالجمال، وتشير إلى أنهم من الملائكة الذين خالطوا البشر عند بدء الخليقة وربما كانوا من الملائكة التي علمت آدم بعض أسرار الحكمة الخفية في الأسطورة اليهودية.

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٩٨.

وقد اعتبرت عصبة عزازيل من الكائنات الترونية أي العرشية وهي كائنات ظلت معدودة حتى العصر الوسيط من كائنات المستوى السابع زحل أي التي على المشارف الخارجية للخلود.

وقيل إنها تظهر للبشر في صورة شبحية تعلمهم، واختصاص عزازيل ذاك الذي خصه سفر اللاويين بتيس ضحية على قدم المساواة مع يهوه وعندما يترل من السماء السابعة يظهر للبشر يعلمهم صنع السيوف والدروع وكل سلاح مسنون بالإضافة إلى استعمال المرايا السحرية، وعزازيل هذا مذكور عند العرب باعتباره شيطانا من الجن، وقد ورد ذكره في الكتاب الأول من الفردوس المفقود للشاعر الإنكليزي ملتون أخذا من المعتقدات المسيحية التي اعتبرته شيطانا[1].

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٩٩.

٣٠.تقديس الأشجار

عرفت التوراة تقديس الأشجار كثيراً وقلما نجد في إصحاح من إصحاحات الملوك على كثرتها لا يقدسون الأشجار والمرتفعات بدءاً من بلوط مورة وانتهاء ببلوط باشان وكثر ذكر الأيكات في العهد القديم والبساتين ومنابع المياه ووضع السواري عند هذه المرتفعات والأشجار.

((وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار)) تكوين١٨/١/.

وهذه الأشجار موزعة في التوراة في كل مكان وقد قدست أشجار معينة لارتباطها بأحداث هامة في التاريخ الديني المصري كما قدست تلك الأشجار أيضاً لاعتقاد المصريين أن بعض تجسدات الإله سكنتها وأنها لانتشارها على حدود الصحراء القاحلة بين دنيا الأحياء وعالم ما بعد الموت، وفي العهد القديم كثرت الإشارات إلى الأشجار وتكاثرت الأيكات والبساتين المقدسة.

ولو فتشنا عن بناء المذابح في التوراة لرأينا أنها تقام تحت الأيكات والأشجار.

٣١. الجدي وطبخه بلبن أمه

أما تحريم طهي الجدي بلبن أمه فتحريمه راجع إلى قداسة اللبن في الديانة المصرية فاللبن اعتبر في الشرائع المصرية سائلاً سحرياً مفعماً بالقدرات الإلهية، وقد صور فرعون في النقوش والرسوم المصرية وهو يرضع من ثدي إيزيس رمزاً إلى اعتبار الفرعون ابناً للآلهة وحائزاً لقدرات تفوق قدرات البشر.

((وفي معبد دندرة صور الفرعون وهو يرضع من ثدي هاتور ومن الشعائر الدائمة في معابد مصر وضع إناء بين شعائريين مليئين باللبن كل يوم كتقدمة للمعبود، كما استخدم اللبن في السكائب الشعائرية أثناء طقوس العبادة طلباً للتطهر، فنقاء اللبن ولونه الناصع اعتبرا رمزاً للطهارة كما اعتبرا للدفق الإلهي الواهب للحياة))[1].

ومن هذا النبع المصري عرف اللبن طريقه إلى عبادة يهوه ولكنه يالأسف نزل إلى مستوى لا تطبخ جدياً بلبن أمه.

فإيزيس وهاتور هنا حولتا إلى أورشليم وفرعون حول إلى الشعب المختار كما يقول كامبل تحققت بذلك النعمة الكبرى نعمة العودة إلى فردوس اللبن الذي لا ينفذ.

ويعلق مقار على هذا الكلام: ((وكل ما في المر من اختلاف هنا أن التجدد والانبعاث الذي دار حول الفكر الديني المصري انقلب إلى

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٢٦٤.

انبعاث صهيوني تجدد مجد الأمة المقدسة وعدم فساد الجسد الذي تطلع إليه الفكر المصري الديني إلى استنقاذه من ذلك الفساد ليصبح مسكناً باقياً للروح انقلب إلى عدم دمار صهيوني تحت وطأة ما أشعلته حولها من كراهية وتجددها انبعاثها لتسود الجميع كما هو حلم أشعيا وهو ما يوضحه النص الذي أخذ منه كامبل استشهاده))[1].

٣٢.التعاويذ

لقد ناقشنا الأفود والأوريم والعين التي تصيب وسنناقش بقايا التعاويذ والتمائم التي وردت مسروقة من الفكر الديني المصري ومنقولة إلى الفكر اليهودي:

١.الحية النحاس وقد وصفها موسى كما تقول التوراة لتقيهم من لدغ الحيات وقد ناقشناها سابقاً ولا حاجة بنا للعودة إليها من جديد، وقد رأينا أن الحية في اللغة العبرية لها لفظان ناحاش أو سراف ومن كلمة سراف نقلت إلى معنى الملائكة السرافيم.

٢.ناقشنا سرقة اليهود العين التي تصيب وقلنا إنها نقلت عن عين حورس كما ناقشنا التمائم ضد الحسد المسروقة عن عين حورس.

٣.ناقشنا نجمة داود وأنها كانت من نوع التعاويذ والتمائم.

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٢٦٥.

٤. ناقشنا التمائم السحرية لحماية الحوامل والمواليد من شر ليليت وتأثرهم بإله تحوت وكتبه ومعارفه.

٥. الأوريم والأفود والتميم ناقشناها سابقا.

٦. الأيقونات:

ما تعريف الأيقونة؟ استمدت من الصور المقدسة تحمل أو توضع في المنزل لحماية حاملها وقد انتشرت الأيقونات انتشارا واسعا في الديانة المسيحية ويورد روبرت جريفز نظرية جيدة بالنظر الجدي عن حكايات اليهود وأساطيرهم واشتقاقهم من رسوم الأيقونات، وفي شأن الحكاية البالغة السخف عن إليشع والصبيان الصغار فما قصة هذه القصة في التوراة:

((ثم صعد من هناك إلى بيت إيل وفيما هو صاعد في الطريق إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة وسخروا منه وقالوا له اصعد يا أقرع اصعد يا أقرع فالتفت إلى ورائه ونظر إليهم ولعنهم باسم الرب، فخرجت دبتان من الوعر وافترستا منهم اثنين وأربعين ولدا، وذهب من هناك إلى جبل الكرمل ومن هناك رجع إلى السامرة))[1].

إذن خرج الصغار يهللون وراءه كما يفعل الصغار أحيانا فحولت المسألة إلى ظاهرة دينية رهيبة تدخل فيها يهو ذاته، رغم أن أولئك الصغار كانوا فيما يبدون أبناء من الشعب مما يشير إلى عودة مجازية في الحكاية لمسألة الأبناء.

(١). العهد القديم: ملوك ثان ٢/٢٣-٢٥/.

يقول جريفز كان الاسم السري ليهوه معقداً كثير الحروف تراوح عددها بين ٤٢ و ٧٢ حرف ونلاحظ أن العدد ٤٢ كان عدد الصبيان الذين افترستهم دبتا إليشع (أي بمعدل صبي واحد لكل حرف) ويبدو أن هذه الأسطورة من النوع المجازي الأيقوني الذي تتحول فيه الأيقونة إلى أحداث تتولد عما تتصوره وأنها استمدت من صورة مقدسة مما استخدم في الشعائر الخاصة بأرتميس كاليستو إلهة القمر التي أعطيت بشكل ربة، وفي الأيقونة تصوير لطقس من طقوس تلك الإلهة كانت بنتان في ثياب صفراء تتظاهران بأنهما دبتان وتهاجمان الصبيان الذين يحضرون المهرجان الذي كان يقام على شرف تلك الآلهة وقد عبدها الليبيون والتراقيون وقد حولت صورة البنتين وهما تمثلان دور الدبتين وتهاجمان الصبيان إلى حكاية إليشع الدموية))[١].

٧.القيمة العددية:

ناقش الباحث شفيق مقار القوى السحرية في كتابه السحر في التوراة ((وأحد المفاتيح الموصلة إلى فك الشفرة للمزمور ١٤٧ الذي تقول: عظيم هو ربنا وعظيم القوة لفهمه لا إحصاء/٥/.

وقد استخدم ذلك القول في التوصل إلى إعطاء مقاييس الله طولاً وعرضاً فباستخدام القيم العددية للأحرف ومجموعها /٢٣٦/ وضرب تلك النتيجة في /١٠٠٠٠/ فرسخاً سماوياً استخلصت مقاسات رأس الإله وأطرافه، وأمكن الوقوف على أسماء الرأس والأطراف، وكلها من أسماء

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٣٨٣.

الله الخبيئة /أدبريرون، زافوديئيل، أختريئيل، تازاس، زهارايئيل/ وهي أسماء بالغة الأهمية بوصفها كلمات السر التي يجعل النطق الصائب بها حـــراس بوابات السماء يفتحونها، ويدخلون العارف بها.

٣٣. موازنات

سأقوم بموازنات لا أقول إنها تامة ولا قريبة من التامـــة ولكـــني سأوازن غالبية النصوص التي وقعت تحت يدي لأثبت نقل اليــهود عـــن المصادر المصرية وخير ما أبدأ تسجيله هو نشيد أخناتون العظيم

ترتيلة أخناتون أنشودة الخلق العالمي:

يا أيها الأوحد الذي لا يوجد بجانبه شأن لأحد
لقد خلقت الأرض حسب رغبتك
وحينما كنت وحيداً خلقت الناس
وجميع الماشية والغزلان
وجميع ما على الأرض مما يمشي على رجليه
وما في عليين مما يطير بأجنحة
أنت خالق الجرثومة في المرأة
أنت معطي النفس حتى تحفظ حياة كل إنسان.

يمكن موازنة هذا النص مع سفر التكوين وقد ناقشـــنا أســـطورة التكوين سابقاً كما يمكن لقارئ التوراة أن يرى هذا الكلام سواء كان في نشيد الإنشاد أو الأمثال أو المزامير.

جلال أخناتون:

بزوغك جليل يا آتون في أفق السماء يا حي يا مبدئ الحياة

إذا ما صعدت في السماء شرقاً أفضت على الأرض جمالك

ما ذلك إلا أنك جميل عظيم

منير في السموات العليا تسطع علـــى الأرض وعلـــى مخلوقـــاتك بأشعتك

أنت رع أنت الذي أسرهم وقيدهم بحبك

أنت بعيد عن الأرض لكنك على اتصال معها بأشعتك

أنت عليّ ولكن أشعتك واضحة في ضوء النهار

الليل:

إذا ما غربت في الأفق الغربي أظلمت الأرض فأصبحت كالميتة

فيقصد السكان النوم في حجراتهم

مغطين رؤوسهم هادلي الأنوف غير مبصرين

فتسرق أمتعتهم من تحت رؤوسهم دون أن يشعروا

أما الأسود فتخرج من أحجارها

وكذا الثعابين اللداغة

ويسود الظلام الكون وتسكن الأرض

وما ذاك إلا أن خالق هذه الأشياء كلها

ذهب ليستريح.

النهار والإنسان:

إذا ما ظهرت في الأفق وأشرقت في النهار

كآتون أضاءت الأرض

إذا ما بزغت أشعتك خفي الظلام

وشمل الفرح قطري مصر

كيف لا وقد أيقظتهم فيغتسلون ويكتسبون

ويبتهلون بأذرعتهم إليك

وقت شروقك ثم يشرع سكان العالم

يؤدون أعمالهم.

النهار والحيوان والنبات:

البهائم كلها مستريحة في مراعيها

والأشجار والنبات جميعاً يافعة

والعصافير تخفق فوق المياه

ناشرة أجنحتها ابتهاجاً إليك

والأغنام ترقص على أرجلها

والطيور تحلق في الجو تنتسم الحياة

إذا ما أشرقتَ عليها.

النهار والمياه:

تسير السفن مع التيار وعكسه

وكل طريق عمومي يصبح مسولكاً

لأنك ظهرت في الأفق

أما السمك فيقفر أمامك في النهر

هكذا تخترق أشعتك البحر الخضم.

خلق الإنسان:

أنت خالق الجنين في بطن أمه

أنت خالق نطفة الإنسان

أنت واهب الحياة للجنين في رحم أمه

وملطفه حتى لا يتكدر فيبكي

كيف لا وأنت المربي في الرحم

أنت معطي نفس الحياة في كل مخلوقاتك

أنت فاتح الجنين بالكلام

ومعطيه حاجاته يوم تلده أمه.

خلق الحيوان:

أنت الذي تهب الحياة للفرخ في البيضة فيصيح

فإذا أتممت خلقه ثقب البيضة

وخرج صائحاً جهده واثباً بقدميه.

الخلق:

ما أكثر مخلوقاتك التي نجهلها

أنت الإله الأحد

لا شريك لك في الملك

خلقت الأرض بإرادتك
ولما كنت وحيداً في هذا الكون خلق الإنسان
والحيوان الكبير والصغير والمخلوقات التي تدب على الأرض
أو تطير بأجنحتها
أنت الذي أحللت كل إنسان في سورية والنوبة ومصر في موضعه
فأنعمت عليه بحاجاته
فصار كلٍ منهم يأخذ نصيبه ويعيش أيامه المعدودة
لقد اختلفت ألسنتهم وأجسامهم وجلودهم
فسبحانك من مميز لخلقك

ري الأرض:

أنت خالق النيل في الدار الآخرة
أنت أوجدته برغبتك فيه
لتحافظ على حياة الأهالي
أنت سيد الجميع لأنهم ضعاف
أنت سيد كل أسرة لأنك تشرق لأجلها
أنت شمس النهار المهيب في الأرض السحيقة كلها
والواهب لها الحياة
خلقت لهم نيلاً في السماء ليسقط عليهم ماؤه
فيسيل على الجبال كالبحر الزاخر
يروي غيطانهم بين مدنهم

ما أبدع أعمالك أيها السيد الأزلي

فنيل السماء للغرباء وللدواب من كل البلاد

والنيل الذي يأتي مصر خاصة يأتيها من الدار الآخرة

أشعتك تغذي الحيتان

فإذا ما أشرقت أينعت وأنبتت بتأثيرك

الفصول:

جعلت الفصول لتخلق فيها جميع مخلوقاتك

فالشتاء يعطيهم البرودة

والصيف يهب لهم الحرارة

أنت رفعت السماء عاليا

لتنظر ما خلقت في وحدتك

شارقا حيا كآتون ساطعا متلألئا

ثم راجعا ثانية إلى حيث ابتدأت.

جمال الضوء:

أنت مبدع الجمال من نفسك

فالمدن والبلاد والقرى والطرق والأنهار

كلها عيون تبصرك أمامك

كيف لا وأنت آتون النهار فوق الأرض.

تضرعات الملك:

أنت في قلبي لا يعرفك سوى ابنك أخناتون

الذي جعلته عاملاً بآرائك وقوتك
العالم كله في قبضتك كما خلقته
إذا ما أشرقت عليه حيي وإذا أفلت مات
أنت الوجود وسبب الحياة للإنسان
أعين الخلق تبصر محاسنك كل يوم حتى تغرب
والعمل كله يبطل إذا ما أفلت في الغرب
فإذا ما أشرقت جعلت ذلك ينجو
أنت أفضت على القطرين حبك
وبرك يا صاحب الأمر
يا كريم يا موجود بنفسك
يا فاطر كل أرض وما عليها
بشراً وأنعاماً وسائمة
وجميع ما ينمو علة وجهها من أنواع الشجر
هؤلاء كافة يحيون حين تشرق عليهم
فأنت لمن ذرأتهم الأب والأم
وإذا غربت في الأفق الغربي من السماء انطرحوا أرضاً
وأسلموا جنوبهم إلى مراقدهم كالموتى الهامدين
رؤوسهم ملفوفة وخياشيمهم خافتة الأنفاس مسدودة
حتى يبزغ في اليوم التالي من المشرق
فترتفع أكفهم إليك

يسبحون لوجهك
إن كل قطر في عيد حين ترسل أشعتك
فالمنشدون والعازفون يرفعون العقائر
ويرسلون الأنغام طرباً في ساحة بيت بنين
وفي كل معبد في أخناتون هذا المكان الزكي
الذي رضيت عنه
والذي يقربون إليك فيه كل طيب وسمين.

وكان أمراء هذه الولايات يرسلون إليه الجزية تباعاً ولا يتأخرون ويؤكدون الطاعة وكأنما يعجمون عوده ليعرفوا قوته، وهم يدبرون للانتقاض عليه في اللحظة التي يقدرونها وسرى الخطر سريان النار في الحجرات وثارت الأقاليم حوله حتى اقترب من القصر الفرعوني فلم يزده ذلك إلا صلابة.

وبذلك انتهى أخناتون بشكل غامض وتولى بعده سمكـــارع ولم يبق في الحمن إلا أشهر ليتولى الحكم بعده آمون فيس الرابع، وليغير ديانـة أخناتون إلى الديانة الوثنية السابقة.

ولو أردت أن أوازن بين هذا النص ونصوص المزامير للاحظنا أنـه قد اشترك في عدة مزامير وسأورد بعض الفقرات المشابهة من هذه المزامير:

أنشودة أخناتون	المزمور المئة والرابع
منير في السموات تسطع على جميع مخلوقاتك بأشعتك بزوغك جليل يا آتون في أفق السماء	يا رب إلهي قد عظمت مجداً وجـــلالاً لبست اللابس المنور كثوب الباســـط السموات كشقة المسقف علاليه بالماء مزمور١٠٤/١-٣/.
العالم يقبع في الظلام كالأموات وخرج كل أسد مـــن عرينـــه ولدغت الأفاعي كلها، يســـود الظلام.	تجعل ظلمة فيصير فيه ليل فيه يـــدب كل حيوان من الوعر. الأشبال تزمجر لتخطف ولتلتمس مـــن الله طعامها /٢٠-٢١/.
عندما تشرق الشمس في الأفـق تطرد الظلام حينئـــذ يخـــرج الجميـــع في العـــالم كلـــه إلى أعمالهم.	تشرق الشمس فتجتمع وفي مآويـــها تربض. الإنسان يخرج إلى عمله وشـــغله إلى المساء /٢٢-٢٣/.
ازدهر الشجر والنبات وزقزقت الطيور في مناقعها.	تشيع أشجار الرب حيث تعيش هناك العصافير /١٦-١٧/.
رقصت كل الأغنام وهي واقفة على أرجلها.	الجبال العالية ملجأ الوعول /١٨/.
أقلعت السفائن صاعدة ونازلـة وإن السمك في النهر ليقفز أمـلمك وإن	هذا البحر الكبير الواسع الأطـــراف هناك تجري السفن /٢٥-٢٦/.

أشعتك لفي وسط البحر العظيم.	
ما أعظم أعمالك الكثيرة يا رب إنك خلقت الأرض بإرادتك والبشر والبهائم كل ما هو على الأرض خلقت لهم نيلاً في السماء ليسقط عليهم ماؤه فيسيل على الجبال يروي غيطانهم بين مدنهم فنيل السماء للغرباء وللدواب من كل البلاد	ما أعظم أعمالك يا رب كلها بحكمة صُنعت، ملأنة الأرض من غناك ٢٤. الساقي الجبال من علاليه من ثمر أعمالك تشبع الأرض. المنبت عشباً للبهائم وخضرة لخدمة الإنسان /١٣-١٤/.
أنت صنعت السماء البعيدة الأطراف لترتفع فيها عند بزوغ الفجر يمتد نورك في الأفق.	صنعت القمر للمواقيت والشمس تعرف مغربها /١٩/.
ثم تعود الدنيا بيدك لأنك خالقها عندما تستيقظ تعم الحياة وعندما ترقد يعم السكون، أنت تبعث الحياة في الإنسان.	كلها إياك تترجى لرزقها، قوتها في حينه تعطيها فتلتقط تفتح يدك فتشبع خيراً، تحجب وجهك فترتاع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود /٢٧-٢٩/.
أنت في قلبي لا يعرف سوى ابنك أخناتون الذي جعلته عاملاً بآرائك وقوتك العالم	أحمدك من كل قلبي قدام الآلهة أرنم لك أسجد في هيكل قدسك وأحمد اسمك على رحمتك.

كله في قبضتك كما خلقته.	يحمدك يا رب كل ملـوك الأرض إذا سمعوا كلمات فمك ويرنمون في طرق الـرب لأن مجـد الـرب عظيـم مزمور١٣٨/١،٢،٤/.
إن كل قطر في عيد حين ترسل أشعتك فالمنشدون والعـازفون يرفعون العقائر ويرسلون الأنغام طرباً.	وقد اختلس اليهود هـذه الظـاهرة فكانوا في المعـابد ينشـدون علـى الآلات الموسيقية والمزامير كلها تنشـد على الآلات.

وكثيراً ما نرى هذا المزمور لامام المغنين على ذوات الأوتار وهـذا المزمور على يدوثون وهذا على السوسن وهذا على الحبتة وكما أشـارت الترنيمة فقد كانت الموسيقا تعزف في المعابد المصرية.

واسمع معي أيها القارئ إلى هذا الدعاء الخالد في التوحيد:

أنت الإله الأحد

لا شريك لك في الملك

خلقت الأرض بإرادتك

أنت معطي نفس الحياة في كل مخلوقاتك

أنت فاتح فم الجنين بالكلام

ومعطيه حاجاته يوم تلده أمه.

إنك لتشعر أنه ينادي إلها رحيما للعالم كله وليس إله قبيلة، الإلـه العادل السمح الإله الواحد الذي لا شريك له، لا الإله الحقود إله الغضب

المنتقم إله إسرائيل فقط، واسمع من المزمور هذا الوصف الذي يجعل الإنسان يخاف ويكره لا يحب ويعبد:

الناظر إلى الأرض فترتعد
يمس الجبال فتدخن
لتبد الخطاة من الأشرار
لا يكونوا بعد /٣٢-٣٥/.

ولن أتابع هذه الموازنة بين النشيد الأخناتوني والمزامير لأن كلماته القليلة مبثوثة في المزامير ولكن المزامير لم تسم سمو النشيد بالإله الواحد الإله الذي لا شريك له.

بعد هذه الموازنة أنتقل إلى الموازنة بين حكم أينوب والمزامير أيضا وقد سرق كاتب المزامير من حكم آمون الشيء الكثير وفي هذا المضمار يقول صبري جرجس في كتابه التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي: فقبل عهد موسى بحوالي ألف سنة أوصى أحد الفراعنة غير المعروفين ابنه مريكير بقوله: إن فضيلة الرجل المستقيم لأحظى بالقبول من ثور رجل يقيم الظلم، أوليس المعنى الذي تتضمنه الوصية هو نفس ما ورد في التوراة بما يشبه التطابق في قولها:

((هو ذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من الكباش)) صموئيل الأول أص ١٥/٢٣/ ((ثم فعل الحق والعدل أفضل عند الرب من الذبيحة))أمثال أص ٢١/٣/، وليس في الشرق كله إلا دين واحد كان الآلهة يزنون قلب الإنسان هو دين مصر القديمة فهل لم تتبع

اليهودية مسار الفكر المصري بهذا الصدد وهي تقول ((ولكن الـرب وازن القلوب))أمثال أص ٢١/٢/.

والغالبية الكبرى مما أخذته اليهودية عن الأخلاقيات المصرية القديمة إنما أخذته من الحكيم المصري آمون أينوب الذي عاش في القرن العاشـــر قبل الميلاد وقد نقل برستد عن العالم الدانماركي لايخ وهو مـــن أكـــبر الثقات في حكم آمون أينوب قوله في تقييم الحكيم المصري:

إن الآراء الدينية لآمون أينوب أكثر عمقا ونفاذا إلى عالم الفكـــر من كل من سبقوه فقد كانت التقوى عند غيره من الحكماء فضيلة ولمـــا كانت فكرة الموت والخلود دافعا إلى السلوك الفاضل، والله هو مانح الغنى والثراء أما عند آمون أينوب فقد كان الشعور بالله هو العامل الحاســـم في فهمه للحياة وفي سلوكه كله، وفي كل ما نادى به الحكيم المصري كـــان الضمير المرهف والشعور القوي هما المحور الذي دارت حولـــه كلمتـــه، وحكمته، وهو إلى ذلك دون حكمته قبل أن يخط في العهد القديم حـــرف واحد ببضعة قرون ولكن اليهود ترجموا هذه الحكمة إلى العبرية وضمنوها العهد القديم إما بنصها أو ببعض الحذف أو الإضافة أو التعديل، وقد دون أينوب حكمه التي وجهها إلى ابنه في ثلاثين فصلا خص كل فصل منـــها بموضوع وتناولت وصاياه فيما تناولت تحذير ابنه من ألوان الإغراء الـــتي يتعرض لها ذوو السلطان استغلالا لسلطانهم في سبيل الكسب وحثه علـــى تجنب الخضوع لذلك الإغراء كما أكد أن النزاهة ينبغي أن تشمل المسائل الكبيرة والصغيرة وفي رأيه أن الفطنة في الحديث والاعتدال في السلوك من

ألزم الأمور للإنسان، أما التهديدات الصاخبة الفارغة فلا حساب لها عند الله فيما يدبر الناس.

وقد حذر من الانطلاق في الحديث بغير حيطة كما حذر مشددا من استراق السمع إذا دخل المرء بيتا غريبا ونبه إلى التواضع في تناول الطعام عند الكبراء.

وجاء هذا التنبيه أيضا ضمن وصايا الحكيم بتاح حوتب لأبنه قبل ذلك بثمانية عشر قرنا وقد نقلت اليهودية هذه الفطنة إزاء الرؤساء عن المصريين بعد أن كان المصريون عرفوها واحترفوها بألفي سنة[1].

حكم آمون أينوب	سفر الأمثال
١.أعطي أذنيك لتسمع ما يقال وأعطي قلبك ليفهمه جـ٣/٩،١٢/. لأنه.....أن تحفظه في قلبك وويل لمن يرفضه لترد جوابا بالذي أرسله جـ١/٦/.	أمل أذنيك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك إلى معرفتي لأنه حسن إن حفظتها في جوفك أن تثبت على شفتيك أص ٢٢/١٧-١٨/. لأعلمك قسط كلام الحق لترد جواب الحق للذين أرسلوك أص٢٢/٢١/.
٢.لا ترفع علامات الأرض ولا تطمع في ذراع منها ولا تدخل أرض الأرامل جـ٧/١٢،١٥/.	لا تنقل التخم القديم ولا تدخل حقول الأيتام أص ٢٣/١٠/.

(١). جرجس صبري: التراث اليهودي والفكر الفرويدي ص ٧٦.

٣.في التحذير من إغراء الثروة واقتنائها جاء: لا تتعب جريا وراء أكثر مما عندك إذا كان عندك ما يكفي حاجتك وإذا جاءتك الثروة عن طريق السرقة فلن تمكث معك ليلة واحدة لأنه حين يجيء الصباح لن يكون في بيتك شيء منها فإنها صنعت لنفسها أجنحة كالأوز وهي طارت في السماء جـ١٦/١٤/.	لا تتعب كي تصير غنيا كف عن فطنتك هل تطير عيناك نحوه، ليس هو لأنه إنما يضع لنفسه أجنحة كالنسر يطير نحو السماء ٢٣/٤،٥/.
وفي مثل هذا المعنى أورد أسترلي في الفصل الذي عقده عن مصر وإسرائيل في كتاب تراث مصر المشابهة الآتية: حذار من سلب الفقير أو من ظلم المكروب جـ١٠/٥/.	لا تسلب الفقير لكونه فقيرا ولا تسحق المسكين في الباب ٢٢/٢٢/.
٤.وقبل الميلاد قابل حكماء مصر بين الثروة والخلق، فآثروا الخلق على الثروة وأدركوا أنها لا قيمة	القليل مع مخافة الرب خير من كنز عظيم مع هم. أكلة من البقول حيث تكون المحبة

لها في العالم الآخر وإنه من الحماقة الاعتماد عليها، ويتضح من المقابلة التالية التي نذكرها كمجرد مثال كيف نقلت هذه الحكمة المصرية القديمة الفقر بين يدي الله خير من كنز مخبأ في مخزن وأكلة أرغفة بقلب مرح خير من ثروة مع الهم جـ٩/٥-٨/.	خير من ثور معلوف ومعه بغضة ١٥/١٦-١٧.
وثمة مثال آخر في المعنى نفسه: مديح يعبر عن حب الناس للمرء خير من ثروة في مخزن جـ١٦/١١-١٢/.	لقمة يابسة مع سلام خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام ١٧/١/.
ويتبع الناقل العبراني مسار الحكيم المصري في تحذيره الشباب من النزق أو مصاحبة أهله: لا تؤاخ غاضباً ولا تضغط عليه في حديث جـ١١/١٣-١٤/.	لا تصحب غضوباً ومع رجل ساخط لا تجيء ٢٢/٢٤/.
ويدين الحكيم المصري الغض الثائر والانتقام ويحذوا الناقل العبراني حذوه على النحو التالي:	

لا تقل إني وجدت حامياً فأستطيع الآن أن أهاجم من أبغض أتـــرك نفسك بين يدي الله حتى يهزمـــهم صمتك جـــ٢٢/١-٨/.	لا تقل إني وجدت الشر أنتظـــر الرب فيخلصك ٢٠/٢٢/.

أما عبارة انتظر الرب فيخلصك فيقابلها في النص المصـــري: الله يعرف كيف يأتي به جـــ٥/١٠-١٧/[1].

ويتابع الدكتور صبري جرجس ولما كان الإسرائيليون أهل بـــداوة وعهدهم بتقاليد الحياة الحضرية لم يبدأ إلا مع الملكية فقـــد وجـــدوا في قواعد المجاملة الرسمية المصرية القديم مجالاً كبيراً للنقل والاقتباس.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: ألم يتحضر هـــؤلاء النـــاس في سكناهم مصر هذه المدة ويستفيدوا من علومها وآدارها؟

ويعقب بريستد على ذلك بقوله إن الأمثلة المشابهة لا حصر لهـــا وهي جميعاً تشير إلى أن سفر الأمثال العبراني قد احتوى على جانب كبـــير من كتاب الحكمة المصري وقد تم الاقتباس دون الإشـــارة إلى المصـــدر كالمألوف في تلك العصور وإن كان السفر قد أشار على نحو لا شبهة فيـــه إلى كتاب آمون أينوب حتى وإن لم يذكر اسمه صراحة فقد جاء في مقدمة كلمات الحكيم هذه العبارة التي وردت في سفر التوراة: ألم أكتب لـــك أموراً شريفة من جهة مؤامرة العقل ومعرفة أمثال٢٢/٢٠ وقـــد كتـــب بريستد كلمة مؤامرة في الهامش cansult وهي مأخوذة مـــن الكلمـــة

(١). جرجس صبري: التراث اليهودي والفكر الصهيوني ص ٧٩.

الفرنسية cansulter استشار ولهذا لو ترجمت بدلا من مؤامرة كلمة مشورة لكانت أفضل من مؤامرة وهي كما يتضح أقرب إلى أداء المعنى المطلوب وقد كانت هذه الفقرة في النص العبراني القديم: ألم أكتب لك ثلاثين أمرا عن جهة مؤامرة ومعرفة، ولكن هذا التغيير التافه في النص يصبح ذا دلالة إذا ذكرنا أن كتاب أينوب كان يتكون من ثلاثين فصلا.

ثم يلخص بريستد إلى أن كاتب سفر الأمثال كانت لديه نسخة كاملة من الأصل المصري لكتاب أينوب وعلى الرغم من أنه لم يسترجم محتويات الكتاب كله فإنه ضمن ترجمته المختصرة ثلاثين مثالا بالضبط الأمثال ٢٢/١٧/ و ٢٤/٢٠/ كما أنه ترجم بتصرف على النحو الذي يجعلها أكثر ملاءمة للحياة في فلسطين ومن ذلك أن الكاتب المصري جعل أجنحة الأوز مثلا لأن وفرة الماء بمصر تتيح للأوز أن يعيش فيها بينما استبدله في فلسطين بأجنحة النسر وفي مصر كان الكاتب مثال رجل الأعمال الناجح بينما كان المرادف لهذا الشخص عند اليهود هو الرجل المجتهد في عمله أيا كان هذا المعمل وإليك بعض هذه التغييرات:

أينوب	أمثال
لا تتناول طعاما إذا جلست إلى عظيم ولا تكن شرها في حضرته وإذا أتخمت نفسك بطعام غير مباح ففمك هو الذي يستطيبه انظر فقط إلى الطبق الذي أمامك	إذا جلست تأكل مع متسلط فتأمل ما هو أمامك تأملا وضع سكينا على حنجرتك إن كنت شرها. لا تشته أطايبه لأنها خبزا كاذيب

وأشبع حاجتك منه جـ٢٣/١٣، ١٨/.	أص٢٣/١-٣/.
وفي مجال العمل أيضا ترى مثل هذا التقابل بين الحكمة المصرية القديمة والحكمة العبرانية المنقولة عنها: الطالب المجتهد في عمله سيجد نفسه خليقا بأن يكون في حاشية الملوك جـ٢٧/١٦-١٧/.	أرأيت رجلا مجتهدا في عمله؟ أمام الملوك يقف لا يقف أمام الرعاع أص ٢٢/٢٩/.

ويرى بريستد أن عنوان الكتاب الذي وصل إلى العبرانيين كان أقرب إلى عبارة ثلاثين فصلا في الحكمة فاختصر النص المبكر لهذه الفقرة من التوراة إلى كلمة واحدة ثلاثين

تأمل نفسك في هذه الثلاثين فصلا التي تنطوي على الرضى والتنصيف جـ٢٧/٧-٨/	ألم أكتب لك ثلاثين أمرا من جهة مؤامرة ومعرفة أص٢٢/٢٠/[1].

وينهي الدكتور صبري هذه النقول بقوله:

((وليس الأمر مقصورا فيما نقلت التوراة من حكمة مصر القديمة على سفر الأمثال بل إن كثيرا مما جاء في نشيد الإنشاد منقول عن شعر الحب المصري كما أن أسفار أيوب وصموئيل وأرميا والمزامير والتثنية

---

(١). المصدر السابق ص /٨١-٨٢/.

والشريعة اليهودية ذاتها فيما يرى بريستد كثيرا مما فيها من حكمة آمون أينوب التي تزودها بالأفكار والأشخاص والمستويات الخلقية ثم فوق هذا كله بروح الرحمة الإنسانية))[1].

فإذا اتجهنا إلى أينوب نفسه نجد أن مثله الأعلى فيما يقرر بريستد هو الرجل الذي يعتمد على الله والذي يتحمل الأذى في صمت وثقة بأن الله سيثأر له، ويتساءل بريستد أهي مجرد الصدفة أم وقع الحافر على الحافر كما يقول العرب أن نجد التراث المتأخر اليهودي وصفا لموسى يقول وأما الرجل موسى فكان حليما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض عدد١٢/٣/.

وهذه صورة تخالف الصورة التي عرفت عن موسى في التراث التوراتي اليهودي أول الأمر، ولكن بعد منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ظهرت صورة لموسى أخرى مناقضة للأولى تماما صورة موسى الوديع المتواضع الرقيق الحاشية الذي يأنف من المقننات، ثم وصلت هذه الصورة إلى مداها في وصفه الخادم المتألم الذي لا يضج ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته أشعيا ٤٢/٢/.

أما هو فتذلل و لم يفتح فاه كنعجة تساق إلى المذبح كنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه أشعيا ٥٣/٧/.

وكان آمون أينوب يرى مثله الأعلى في الرجل الصامت الذي يدع أموره لله يصرفها كيفما يشاء[1].

---

(١). المصدر السابق ص ٨٣.

أرميا	آمون أينوب
ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل النسر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه ويكون مثل الفرع في البادية ولا يرى إذا ما جاء الخير يسكن الحرة في البرية أيضا سبخة غير مسكونة. مبارك الرجل الذي يتكل على الرب وكان الرب متكله فإنه يكون كشجرة مغروسة على ميله وعلى نهر تمتد أصولها ولا تذوي إذا جاء الحر ويكون ورقها أخضر وفي سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الإثمار ١٧/٥-٧/.	الأحمق الذي يخدم في الهيكل مثل شجرة في البادية في لحظة تفقد فروعها وتجد نهايتها في مخزن الأخشاب وهو يبعد عن مكانه كثيرا وتكون النار مثواه. أما الرجل الذكي حقا الذي يعرف نفسه جيدا فمثله مثل شجرة في حديقة تزدهر وتثمر، ويظل في حضرة الله ثمره حلو وظله لطيف ويجد نهايته في الحديقة جـ٦/١-١٢/.

ومما يجذب الانتباه بصفة خاصة هو التشابه في طريقة الكلام وتوجيهه إلى آمون رع وإلى رب إسرائيل في كثير من فقرات المزامير:

مزامير٨٩/٦/	ترنيمة موجهة لآمون رع
لأنه من في السماء يعادل الرب من يشبه الرب بين أبناء الله.	أعظم من في السموات وأقدم من في الأرض وسيد كل ما في

---

(١). المصدر السابق ص ٨٣.

الوجود وكذا جاء في وصفه متفرد بين الآلهة وأنه سيد الآلهة وخالق الناس والحيوان وأنه خالق كل شيء وأنه هو الذي يركب متهللا خلف السحاب وأنه الإله العادل.	مزمور ٨٦/٨. لا مثل لك بين الآلهة يا رب ولا مثل لأعمالك. مزمور٩٦/٤. لأن الرب عظيم وحميد جدا مهوب هو على كل الآلهة. مزمور ٣١/٥/ فديتني يا رب إله الحق. مزمور ١٩/٦/ ومن أقصى السموات خروجها ومدارها إلى أقاصيها. مزمور٩٧/٢/ السحاب والضباب حوله، حول العدل والحق قاعدة الكرسي. مزمور ٩٥/٣-٤/ لأن الرب إله عظيم كبير على كل الآلهة بيده مقاصير الأرض وخزائن الجبال. مزمور ٩٣/١-٢/ الرب قد ملك، لبس الجلال لبس الرب القدرة، ائتزر بها أيضا تنبت المسكونة لا تتزعزع، كرسيك مثبتة منذ القدم، منذ الأزل أنت.

بالإضافة إلى ذلك يقرر بريستد أن اليهود كانوا يعزفون ترانيم أخناتون التي امتدت فيها سيادة العدالة من مجال خلقي قومي إلى مجال عالمي تحت أمرة الإله الأوحد والتي أنشدها قبل ظهور المزامير وبالأخص المزمور الرابع بعد المئة بزمن طويل، ورجح بريستد أنه كان لهذه الترانيم أثر كبير في الانبثاق التدريجي لمفهوم التوحيد عند اليهود في تطور فكرة يهود الإله القبلي المحلي إلى الإله الواحد.

وقد أورد بريستد بعض هذه الترانيم بالمقارنة إلى ما جاء مشابها بالمزامير وخاصة المزمور /١٠٤/[(١)].

وخلاصة الرأي عند بريستد بهذا الصدد أن الحضارة في البلاد المتاخمة لفلسطين سبقت حضارة اليهود بعدة ألوف من السنين وأن النمو الاجتماعي والخلقي وما يتضمنه من مثل اجتماعية تستند إلى مفاهيم أخلاقية رفيعة، هذا النمو للإنسان في وادي النيل كان قد بلغ مرحلة النضج والاستقرار قبل أن يصل اليهود إليها بثلاثة آلاف سنة، وإذا كان اليهود قد أخذوا الشريعة والأسطورة أساسا عن البابليين فقد كانت دعائم الدين والتفكير الاجتماعي لديهم مأخوذة أساس عن مصر[(٢)].

وأخالف في الرأي كلا من الدكتور صبري جرجس وبريستد في أن اليهود أخذوا الأخلاق والدين عن مصر بل أقول إنهم أخذوا الفكر من أي مكان وجدوه ونسبوه إلى أنفسهم.

---

(١). المصدر السابق ص ٨٤.

(٢). المصدر السابق ص ٨٦.

وقد مر معنا في المصدر البابلي بعض المقارنات التي تثبت ذلك وأحب أن أذكر بها فقط تذكيرا:

قالت إيزيس	
أنا هي الأم الطبيعية لكل موجود أنا هي سيادة كل العناصر وحاكمتها أنا هي منجية كل العالمين القادرة على كل شيء ملكة ما تحت الأرض وسيدة كل ما في السماء، المتجسدة في وحدي كل الآلهة والإلهات، وأنا هي التي بمشيئتها تتحرك الأفلاك في السماء، وتهب الرياح على البحار ويسود الصمت في العالم السفلي، أنا هي المعبود اسمها المقدسة ألوهتها في كل أنحاء الأرض بطقوس عديدة وأسماء كثيرة.	**مزمور ٥٠/١/** إله الآلهة تكلم ودعا الأرض من مشرق الشمس إلى مغربها. **مزمور٦٦** كل الأرض تسجد لك وترنم لك. **مزمور٨٢/١و٨/** الله قائم في مجمع الآلهة في وسط الآلهة يقضي. قم يا الله دن الأرض لأنك أنت تمتلك كل الأمم. **مزمور٨٦** لا مثيل لك بين الآلهة يا رب ولا مثيل لأعمالك، كل الأمم الذين صنعتهم يأتون ويسجدون لك يا رب ويمجدون اسمك لأنك عظيم أنت وصانع كل العجائب أنت الله وحدك.

	مزمور١٩/١/ السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه.
سفر التكوين المصري	**سفر التكوين التوراتي**
في البدء لم يكن سمـاء و لم تكـن أرض لم يكن شي إلا غمر الميـاه الهامد، وكنت فوق الغمر وحجي و لم يكن معي آخـر فتوحـدت بظلي وفي أنجبت شو الهواء والنـور والدفء.	في البدء خلق السـموات والأرض وكانت الأرض خربـة وخاليـة وعلى وجه الغمر ظلمـة وروح يهوه يرف على وجه المياه وقـال يهوه لتكن أنوار في جلد السـماء فعمل يهوه النورين العظيمين النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل[1].

آست إيزيس	**يهــــوه**
١.أقـدم القديمـات الواحدة القوية القادرة.	قديم الأيام دانيال والقبالة اسمع يا إسرائيل إلهنا إلـه وحيد، تثنية٦/٤/ يمينك يا يهوه معتزة بالقدرة خروج١٥/٦/. الإله القادر على كل شيء خروج٦/٣/. من مثلك إله قوي يا يـهوه لـك ذراع القـدرة مزمور٨٩/٨،١٣/.

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ١٢٨.

٢.الأم المقدسة.	يهوه قدوس إسرائيل أشعيا ٣٠/١٢/و ٤٨/١٧/. قدوس هو يهوه إلهنا قدوس مز ٩٩/٥،٩/. قدوس قدوس قدوس رب الجنود وملء الأرض أشعيا ٦/٣/.
٣.أعظم الآلهة وإلهة الإلاهات.	إله الآلهة هو مزمور ٥٠/١/ إله الآلهة رب الأرباب مزمور١٣٦/٢،٣/. لا قرين لك بين الآلهة مزمور ٨٦/٨/. من في السماء مثله؟ من يماثله بين الآلهة مزمور٨٩/٨/.
٤.ملكة السموات	قائم في مجتمع الآلهة وبينهم يقض مز٨٢/١/. اسجدوا له يا جميع الآلهة علوت جدا على كل الآلهة مزمور ٩٧/٧،٨/. إله عظيم ملك كبير على كل الآلهة مز٩٥/٣
٥.سيدة كل من في السماء	جعلت فوق السماء جلالك مزمور٨/١/. يملك إلى الدهر والأبد خروج ١٥/١٩/. إله مهوب جدا بين حشد الآلهة، ومخوف عند لك من حوله مزمور ٨٩/٧/.
٦.فاصلة السموات عن الأرض رافعة السماء	يداي أنا نشرت السموات كل جندها أمرت أشعيا ٤٥/١٣/.

السموات وكل من فيها تحدث بمجدها، واهبة النور والسماء	أما يهوه فقد صنع السموات مزمور ٩٦/٥/. سمواتك عمل أصابعك مزمور ٨/٣/. السموات تحدثت بمجد يهوه مزمور ١٩/١/. الصانع أنوار عظيمة في السموات مزمور١٣٦/٧/.
٧.القادرة المتحكمة في الريح	أهاج ريحاً شرقية في السماء وساقه بقوة جنونية مزمور٧٨/٢٦/. بعاصفتك أطردهم وبزوبعتك روعهم مز٨٣/١٥/.
٨.القوية المتحكمة في الرعد	إله المجد أرعد مزمور ٢٩/٣/.
٩.إلهة كلمات القدرة	قال ليكن فكان، تكوين ١.
١٠. الأم الطبيعية لكل شيء.	أنا هو الرب صانع كل شيء أشعيا٤٤/٢٢/.
١١. واهبة أنفاس الحياة	ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية تكوين ٢/٧/.
١٢.ربة شجرة الحياة مانحة الخلود.	والآن لعله آدم يميد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل فيحيا إلى الأبد تكوين٢/٧/.
١٣.أم كل حي.	ودعا آدم امرآته حواء لأنها أم كل حي تكوين٣/٢٠/.

١٤.إلهة العرش.	إن السموات كرسي والأرض موطئ قدمي أشعيا٦٦/١/. رأيت يهوه جالساً على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل أشعيا ٦/١/. في السماء ثبت كرسيه مزمور ٣-١/١٩/. كرسيك مثبتة في السماء منذ القدم مز٩٣/٢
١٥.ملكة كل الأرض.	يهوه ملكنا أشعيا ٣٣/٢٢/. يهوه ملك كبير على كل الأرض مز٤٧/٢/. أمجدك يا إلهي الملك مزمور ١٤٥/١/.
١٦.قاهرة الحية أبيب وهازمتها.	في ذلك اليوم يعاقب يهوه بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية الهاربة لوياثان الحية المحتوية أشعيا ٢٧/١/[1].
١٧.صانعة الملوك.	بقوتك يفرح الملك وبنعمتك لا يتزعزع مزمور٢١/١،٧/.
١٨.سيدة البيت الأعظم.	بيتك تليق به القداسة أبد الدهر مز ٩٣/٥/.
١٩.مانحة الخصب وربة المحاصيل الخضراء.	المنبت عشباً للبهائم المنبت خضرة للإنسان مزمور ١٠٤/١٤/.
٢٠.الواهبة الخبز والجعة	الواهب خمراً تفرح الإنسان « خبزاً يسند قلبه

(١). المصدر السابق ص/١٣٧-١٤٠/.

من السماء.	مزمور١٠٤/١٥/. هاك أمطر لكم خبزاً من السماء خروج١٦/٤/.
٢١.ربة الوفرة.	أفغر فاك فأملأه لك مزمور ٨١/١٠/.
٢٢.ربة الصلاح.	أحمدوه لأنه صالح مزمور ١٨/١/.
٢٣.ربة العدل.	العدل والحق قاعدة كرسيه مزمور٨٩/١٤/ و ٣٧/٣/.
٢٤.ربة الرحمة.	لأن رحمتك إلى السموات عظمت مزمور٥٧/١٠/
٢٥.مانحة الفرحة والبهجة.	لتفرح قلوب الذين يلتمسون يهوه مزمور١٠٥/٣/.
٢٦.الجميلة.	من صهيون كمال وجه يهوه يشرق مزمور ٥٠/٢/.

ترنيمة لإيزيس آست:

الفرح لك أيتها المعبودة الذهبية

أيتها الحاكمة الوحيدة

يا صولجان الرب الأعظم ذاته

يا سرَّ الوجود المكنون

يا من تلدين الكائنات المقدسة

وتصنعين دواب الأرض وتشـــكلينها
كيفما شئت وتصنعـــين البشـــر
يا أماه يا منبـــع النـــور الـــذي
تنحســـر الظلمـــــة أمامـــــه
يا من تغمريـــــن كـــل مخلـــوق
مـــــن البشـــــر بنــــــورك
المجـــد لـــك أيتـــها العظيمـــــة
ذات الأسمـــــــاء الكثـــــــيرة
يا من أنجبت الآلهـــة والآلهـــات
فكان اسمـــك آســـت مبـــارك
اسمـــك يـــا آســـت العظيمـــة
يا من تهبـــين أنفـــاس الحيـــاة
يـــــــانت الرهبـــــــــــة
يا من تحليت لابســـة تـــاجك
الأحمـــــــر في زورقـــــــك
فبات اسمك مت لابسة التـــاجين
أيتـــها الأم الجليلـــة يـــا مـــن
تقـــهرين عـــــدوك فكـــــان
اسمـــــك ســـــــــخهت
إنك أنـــت المعبـــودة الذهـــب

سيدة ما هـــو مســـكر ســـيدة
التغـــم، ســـــيدة الرقــــص
سيدة البخور أنـــت يـــا تـــاج
العذارى أنت يا مــــن يعبدهـــا
بنو الإنســـــان لأهـــم يحبونهـــا
إن ذهـــب الآلهـــة يندفــــق في
موسمك في شهر أبيب في يــــوم
بزوغ القمـــر في عيـــد ســيدة
الخلاص[1].

اللاهوتية المصرية	العهد القديم وأيوب
١.نطق الإله بكل الأسماء فتحولت كل كلمة خرجت من فمـــه إلى موجود.	وقال الله ليكن ... فكان كذلـك تكوين ١/٣،٦،٩،١٤،٢٠،٢٤/.
٢.فكان أن أوجد الإله بفكر قلبـه وكلمة لسانه كل البشر وبهـــائم الأرض وكل الزواحف.	وقال الله لتخـــرج الأرض ذوات نفس حيـــة كأجناســـها بهـــائم ودبابات ووحوشا تكوين ١/٣٤/
٣.وعندما خلق الإله البشر خلقهم على صورته وأخرجهم من ذاته.	وقال الله نعمل الإنســـــان علـــى صورتنا كشبهنا فخلق الله الإنسان

(١). المصدر السابق ص ١٧٢.

	على صورته صورة الله خلقه تكوين ١/٢٦-٢٧/.
٤.وفر الإله كل غذاء وطعام للبشر.	وقال الله إني أعطيتكم كل ما سيكون لكم طعاما تكوين ١/٢٩/.
٥.وخلق لهم الأسماك والطيور وكل الحيوانات.	وقال لهم تسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض تكوين١/٢٨/.
٦.وصنع الإله النور للبشر.	وقال الله ليكن نور فكان نور تكوين ١/٣/.
٧.هو الذي رفع السماء وفصلها عن الأرض التي صنعها.	عمل الإله الرب الأرض والسموات تكوين ٢/٤/.
٨.ولم يكن في الأرض ماء فروى ظمأهم إلى الماء من فيضه.	ولم يكن الرب الإله قد أمطر على الأرض بعد تكوين ٢/٥/.
٩.وقهر وحش المياه وأخضعه.	أتصطاد لوياثان بشص أو تضغط لسانه بحبل؟ أتضع أسله في خطمه أم تثقب فكه بخزامة؟ أيكثر التضرعات إليك أم يتكلم معك باللين؟ هل يقطع معك عهدا

	فتتخــذه عبــدا مؤبــد أيــوب ٤١/١،٤١/.
١٠.وخلق الإله الأنسن من طــين الأرض وســواه علــى عجلـــة الخراف.	وجبل الرب الإله آدم ترابا مـــن الأرض تكوين ٢/٧/.
١١.ونفخ في أنفه نسمة الحيـــاة ليحيا فصار حيا.	ونفخ في أنفه نسمة حياة فصـــار آدم نفسا حية تكوين ٢/٧/.
١٢.وأنبــت للبشــر النبـــات والأشجار مـــن الأرض لتكـــون طعاما لهم.	وأنبت الرب الإله من الأرض كـل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكــل تكوين ٢/٩/.
١٣.وخلق الإله شجرة الإيشيد	وخلق شجرة الحياة في وسط الجنة وشجرة معرفة الخير مـــن الشــر تكوين ٢/٩/.
١٤.وبع أن أوجد الإله بفكــــره وكلمته المياه وأوجـــد الســماء ورفعها وأوجد الأرض والأعمـاق وكل ما تحتها وأوجد كل ما علـى الأرض وكل ما هو كــائن ومــا سوف يكون استراح من عمله[١].	فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السادس من عمله فاستراح في اليوم السابع من جميع عملـــه الـــذي عمـل تكوين٢/١،٢/.

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة ص ١٠١.

والواقع أن العديد مما نقرؤه في كتاب الموتى يوقفنا بوضوح بالغ على الأصول التي استمد منها العهد القديم الكثير مما نسبه إلى موسى من أقوال وأفعال:

كتاب الموتى	
١.أنا أقف أمام فلك الإله أنا أبحر في فلك الإله وأسمع لما يقول وأتلو أوامره وأعلن كلماته، بردية نو فصل ٣٨/ب.	وكلم الرب موسى قل لبني إسرائيل خروج ١/٣٥/ و٣٥/٤/. وهذا ما تبدأ به كل فقرة تقريبا من فقرات التوراة فموسى بعد كل صعود إلى الجبل في مبدأ الأمر ثم بعد كل خلوه داخل خيمة الاجتماع ويهوه يخاطبه من فوق تابوت العهد (فلك الإله) ظل يترل إلى الشعب من فوق الجبل أو يخرج إليه من الخيمة.
٢.أنا من هو من فرض مخافته على قوى المطر والرعد فجعلها سيفا في يده كما هي في يد تحوت، نو فصل ٩٥.	ثم قال له الرب مد يدك نحو السماء ليكون برد في كل أرض مصر على الناس وعلى البهائم وعلى كل عشب الحقل في أرض موسى فمد موسى عصاه نحو السماء فأعطى الرب رعودا

	وبردا وجرت نار على الأرض وأمطر الرب بردا على أرض مصر خروج٩/٢٢-٢٣/.
٣.أنا هو من أسر الظلمة بقوته وحكمها بتعاويذه وقد أ.... بعد أن رفعت الظلمة وحولتها إلى نور نو فصل ٨[1].	ثم قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على أرض مصر حتى يلمس الظلام فمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس في كل أرض مصر ثلاثة أيام.

الصلاة المصرية	المزمور السابع
١.أيها العظيم يا ملك السماء المتوج امنحني بركتك واحرسني من أذى عدوك الشيطان سيباو.	يا رب إلهي عليك توكلت خلصني من كل الذين يطردونني ونجني لئلا يفترس كأسد نفسي هاشما إياها ولا منقذ.
٢.يا إله الحياة كل البشر يحيون برحمتك إذ تضيء عليهم بطلعتك.	يباركك الرب ويحرسك يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك.
٣.اغمرني أيها الإله العظيم بفيض مجدك واجعل قوتك درعا حولي[2].	يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاما.

(١). شفيق مقار : السحر في التوراة ص ١٢٩.

(٢). المصدر السابق ص ٤٨٨.

سأنقل إليكم بعض فقرات الاعتراف بالنفي وأترك للقارئ الموازنة مع أقوال التوراة:

النفي	التوراة
١.أنا لم أرتكب العنف لسلب أي إنسان.	يسمح لليهودي سلب الإنسان بأية طريقة يستطيع فيها سلب أمواله.
٢.أنا لم أتسبب في حياتي في جعل إنسان يبكي.	النقمة والقتل والتدمير سمة من سمات اليهود.
٣.أنا لم أسرق.	لا تسرق.
٤.أنا لم أقتل رجلاً أو امرأة.	لا تقتل.
٥.أنا لم أكذب.	لم ينه اليهود عن الكذب.
٦.أنا لم أغتصب أموال الناس.	وردت سابقاً
٧.أنا لم أطلق لساني بالباطل على أي إنسان أو أشهد عليه زوراً.	لا تشهد زوراً على قريبك.
٨.أنا لم أغتصب أرض إنسان.	لا تنقل تخمك.
٩.أنا لم أعتد على أرض محروثة.	لا تنقل تخمك.
١٠.أنا لم أطلع على دخائل إنسان لأسبب له الأذى.	
١١.أنا لم أنطق شراً.	لا تقل شراً.

١٢.أنا لم أزن و لم أرتكب اللواط	لا تزن.
١٣.أنا لم أضاجع امرأة رجل آخر	لا تشته امرأة قريبك.
١٤.أنا لم أرتكب في حياتي العنف أبداً، وقد مرت هذه السمة في رقم (١) وحددت بالسلب.	
١٥.أنا لم أنصب على إنسان و لم أتطلع إلى فعل الشر في حقه.	
١٦.و لم أزد ثروتي إلا بالأشياء التي كانت ملكاً لي لا لغيري.	مسموح لليهودي بأن يرابي ويغش ويسرق ويسلب فالمال يعتبره اليهودي وديعة في أيدي الأغيار وعليه استردادها.

قارنوا بين النصوص والخطوات في التشريع المصري وهبوط التشريع اليهودي.

تصورات متناقضة عن الإله في التوراة

الصورة	نقيض الصورة
أ) الإله القادر على كل شيء	
١.ظلت الدعامة الأساسية التي بنى عليها موسى صورة يهوه كونه قادراً على كل شيء لا يستعصي على قدرته شيء وهو ما لخصه العهد القديم بقوله: أنا الرب إله كل ذي جسد هل يعسر عليّ أمر ما أرميا ٢٢/٧/.	غير أن سفر القضاة ناقض تلك الصورة من أول إصحاح فيه بقوله: إن الرب كان مع يهوذا فملك الجبل لكنه لم يقدر على طرد الكنعانيين سكان الوادي لأن لهم مركبات حديدية فكان يهوه عجز وهو القادر على كل شيء أمام مركبات الحديد قضاة١/١٩/
٢.تكرر في أسفار التوراة أبتداء من سفر الخروج وعد قاطع بأن يهوه وقد نزل من السماء لينقذ شعبه ويفي بعهده للآباء بأن يخلص الشعب من ظلم المصرين سيمكنهم من الحلول محل الكنعانيين والحثيين والأمورين والفرزيين والحويين واليبوسيين خروج٣/٨/.	غير أن سفر القضاة تناقض ذلك الوعد المتكرر بإلحاح فيما سبقه من أسفار فأوقفنا على أن يهوه لم يف بذلك الوعد الذي قطعه على نفسه إذ يقرر ذلك السفر تاريخياً: أن بني إسرائيل سكنوا في وسط الكنعانيين والحثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين قضاة ٣/٥/.

ب) الإله ساكن الظلمة الذي لا تراه عين

١.وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش خروج٣٣/٢٠.	وكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه خروج٣٣/١١.
٢.حينئذ تكلم سليمان قال الرب إنه يسكن في الظلمة الحالكة ملوك أول ٨/١٢.	لأني رأيت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي تكوين ٣٢/٣٠.
٣.جعل الظلمة مكمنه وجعل ستره حوله المياه الداكنة وظلال القمام مزمور ١٨/١١.	في سنة وفا عزيا الملك أنا أيضاً رأيت الرب جالساً على كرسي عال ومرتفع أشعيا ٦/١.
٤.السحاب والظلمة حوله مزمور٩٧/٢.	وأنا اجتمع بك هناك وأتكلم معك من فوق التابوت خروج٣٥/٢٢.

الإله الذي لا يكل

أما عرفت؟ أم لم تسمع إله الدهر خالق أطراف الأرض لا يعيا ولا يكل ليس عن فهمه فحص، يعطي المعيي قدرة ولعديم القوة يكثر شدة الغلمان يعيون ويتعبون أشعيا ٤٠/٢٨-٣٠.	لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس خروج ٣١/١٧. وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل تكوين ٢/٢.

ت) الإله الذي لا يندم	
١.ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيدم عدد٢٣/١٩/.	لقد مللت من الندامة يقول الرب أرميا ١٥/٦/.
٢.لأني أنا الرب لا أتغير ملاخي ٣/٦/.	وندم الرب إنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه تكوين٦/٦/.
٣.أنا الرب تكلمت لا أطلق ولا أشفق ولا أندم حزقيال ٢٤/١٢/.	وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً: ندمت على أني جعلت شاول ملكاً فاغتاظ صموئيل وصرخ إلى الرب الليل كله صموئيل أول ١٥/١٠/.
٤.وأيضاً نصح إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنساناً ليندم صموئيل ١٥/٢٩/.	فندم الرب على الشر الذي أوشك أن يفعله خروج٣٢/١٤. لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك فلما رأى الله أنهم رجعوا عن طريقتهم الرديئة ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه يونان٣/٩/.
ث) الإله العادل في تعامله مع البشر	
١.هو الصخر الكامل صنيعه، إن جميع سلبه عدل إلى أمانة، لا جور عنده صديق وعادل هو تثنية٣٢/٤/.	إنا إله غيور افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع خروج ٢٠/٥/.

٢.ليخبروا بأن الرب مستقيم صخرتي هو ولا ظلم فيه مزمور٩٢/١٥/.	ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم تكوين ٩/٢٥-٢٦/.
٣.أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً تكوين ١٨/٢٥/.	لأنه كان من قبل الرب أن يشدد قلوبهم حتى يلاقوا إسرائيل للمحاربة فيحرموا فلا تكون عليهم رأفة بل يبادون كما أمر الرب موسى يشوع ١١/٢٠/.
ج) الإله الرحيم في تعامله مع كل البشر	
١.احمدوا الرب لأنه صالح لأنه إلى الأبد رحمته أخبار الأيام الأول١٦/٢٤/.	أنا لا أشفق ولا أترأف ولا أترحم بل أهلكهم أرميا ١٣/١٤/.
٢.الرب خير تجاه الكل ومراحمه فوق كل أعماله مزمور١٤٥/٩/.	وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك لا تشفق عيناك عليهم تثنية ٧/١٦/.

٣.لأني لا أسر بموت من يموت يقول السيد الرب حزقيال١٨/٣٢/.	فالآن اذهب واضرب عماليق هكذا يقول رب الجنود وحرموا كل ماله ولا تقف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة وطفلاً رضيعاً وغنماً وبقراً وجملاً وحماراً صموئيل الأول ١٥/٢-٣/. الرب رجل حرب خروج ١٥/٧/ رب الجنود داسمه أشعيا٥١/١٥/. الرب إلهك ناراً آكلة إله غيور تثنية ٤/٣٤/.
ح) الإله الخير الذي يكره الشر والخديعة	
١.كرسيك يا الله إلى دهر الدهور قضيت استقامة قضيب ملكك أحببت البر وأبغضت الإثم مزامير٤٥/٦-٧/.	هكذا قال الرب أنا مطلق عليكم شراً وقاصداً عليكم قصداً أرميا١٨/١١/.
٢.أتكل على الرب وأفعل الخير واسكن الأرض وارع الأمانة وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك مزمور ٣٧/١-٤/.	فتعطيهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها حزقيال٤٥/٧/. هل تحدث بلية في مدينة والرب ليس صانعها عاموس ٣/٦/.

٣.قم يا رب يا الله ارفع يـــدك لا تنسى المساكين لماذا أهان الشـــرير الله.	ثم خرج الروح ووقف أمام الرب فقال أنا أغويه وقال له الرب بماذا؟ فقـــال الروح: أخرج فأكون روح كـذب في أفواه جميع أبنائه فقال الرب إنك تغويه وتقتدر فأخرج وافعل هكذا والآن هو ذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أبنائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشر ملوك أول ٢٢/٢١-٢٣/.
خ) الإله السماوي الخبئ الذي لا تراه عين	
١.حقاً أنت إله محتجب يـــا إلـــه إسرائيل المخلص أشعياء٤٥/١٥/.	قلت لا أرى الرب بعـــد، الـــرب في أرض الأحياء لا أنظر أحداً بعد وأنـــا بـــين ســـكان الفانيـــة شـــيول أشعيا٣٨/١١/. هذا منظر شبه مجد الرب ولمـــا رأيتـــه خررت على وجهي حزقيال١/٢٨/. فنظرت وإذا شبه كمنظر نار من منظر حقويه إلى تحت نار ومن حقويـــه إلى فوق كمنظر لمعان كشـــبه النحـــاس اللامع ومد شبه يده وأخذني بناصيـــة رأسي ورفعني وإذا مجد إله إســـرائيل هناك مثل الرؤية التي رأيتها في البقعـــة حزقيال٨/٢-٤/.

	لأهم يقولون الرب لا يرانا الرب قد ترك الأرض حزقيال ٨/١٢/. وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار تكوين١٨/١/. دعا يعقوب اسم المكان فينئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي تكوين ٣٢/٣٠/. وقال الرب إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيئتهم عظمت جداً فقلت في نفسي أنزل وأرى هل فعلوا بالتملم وإلا فاعلم تكوين ١٨/٢٠-٢١/
د) إله العالمين	
١.للرب الأرض وملؤها المسكون وكل الساكنين فيها لأنه على البحار أسسها وعلى الأنهار ثبتها مزمور ٢٤/١-٢/.	طوبى للأمم التي الرب إلهها الشعب الذي اختاره ميراثاً لنفسه مزمور٣٣/١٢/.
٢.يا جميع الأمم صفقوا بالأيادي اهتفوا لله بصوت الابتهاج مزمور٤٧/١-٢/.	لأن الرب عليٌ مخوف كبير ملك على كل الأرض يخضع الشعوب تحتنا والأمم تحت أقدامنا يختار لنا نصيبنا فخر يعقوب الذي أحبه سلاه مزمور ٤٧/٣-٤/.

٣.اسمعوا هذا يا جميع الشعوب اصغوا يا جميع سكان الدنيا عال ودون أغنياء وفقراء مزمور٤٩/١،٢/.	إنما صالح الله لإسرائيل لأنقياء القلب مزمور٧٣/١/. اذكر جماعتك التي اقتنيتها منذ القدم وفديتها سبط ميراثك جبل صهيون هذا الذي سكنت فيه مزمور٧٤/٢/.
٤.اهتفي لله يا كل الأرض غنوا بمجد اسمه اجعلوا تسبيحه ممجداً قولوا لله ما أهيب أعمالك مزمور٦٦/١-٣/.	الله معروف في يهوذا اسمه عظيم في إسرائيل مزمور٧٦/١/.
ذ) الإله روح لا يأكل ولا يطلب ذبائح	
١.هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل ضموا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحماً لأني لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة أو ذبيحة أرميا ٧/٢١-٢٢/	وهذا ما تصنعه لتقديسهم وليكهنوا لي خذ ثوراً واحداً ابن بقر وكبشين وتقدم الثور إلى قدام خيمة الاجتماع فتذبح الثور أمام الرب وتقدم الثور خطية كل يوم للكفارة خروج ٢٩/١ و١٠ و٣٦

٢. إن جعت فلا أقول لك لأن لي المسكونة وملأها هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس مزمور ٥٠/١٢-١٣.	وكلم الرب موسى قائلا أوص بني إسرائيل وقل لهم قربان طعامي مع وقائدي رائحة سروري تحرصون أن تقربوه إلي في وقته وقل لهم هذا الوقود الذي تقربون للرب خروفان حوليان صحيحان لكل يوم محرقة دائمة وفي يوم السبت خروفان صوليان وفي رؤوس شهوركم تقربان للرب محرقة ثورين ابني بقر وكبشا واحدا وسبعة خراف حولية صحيحة عدد٢٨/١-٩،١١. وأما أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود ورائحة سرور للرب لاويين ١/٩.

ر) الإله ساكن السموات لا الصناديق والخيام

١.ومن يستطيع أن يبني له بيتاً لأن السموات وسماء السموات لا تسعه ومن أنا حتى ابني له بيتاً إلا للايقاد أمامه أخبار الأيام الثاني ٢/٦	فيضعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع أنيته هكذا تصنعون خروج٢٥/٨-٩/.
٢.يا إله الجنود أرجعني أطلع من السماء وانظر وتعهد هذه الكرمة مزمور٨٠/١٤/.	ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع وملأ بهاء الرب المسكن خروج٤٠/٣٤/.
٣.لك السموات لك الأرض أيضاً المسكونة وملؤها أنت اسعتها مزمور٨٩/١١/.	ومتى ارتفعت السحابة عن الخيمة كان بعد ذلك بنو إسرائيل يترلون وإذا تمادت السحابة على المسكن كان بنو إسرائيل يحرسون حراسة الرب ولا يرتحلون، وحتى ارتفعت السحابة يرحلون عدد٢/١٧-١٩/.

خاتمة

وهكذا رأينا أن الديانة الفرعونية أثرت كثيراً في الديانة اليهودية وكان ذلك الأثر واسعاً شمل حيزاً واسعاً من النقاط المشتركة وهي بهذا تكاد تتفوق على الأثر البابلي على الديانة اليهودية ولعلنا نتساءل لماذا هذا الأثر الكبير في التوراة من الفكر المصري؟

والجواب هو أن وجود اليهود بعد الأسر في مصر وخاصة في أيام البطالمة بصورة خاصة هو الذي دفع هذه الأفكار إلى التسرب إلى التوراة اليهودية.

المصادر:

١. القرآن الكريم

٢. مرسيا إلياد: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية

٣. حميد محمد فوزي: عالم الأديان بين السطورة والحقيقة

٤. سفر التكوين

٥. مقار شفيق: الجنس في التوراة

٦. مقار شفيق: السحر في التوراة

٧. سيغموند فرويد: نشوء الدين اليهودي

٨. ظاظا حسن: الساميون ولغاتهم

٩. حدة حسن: موسى والتوراة

١٠. فرويد سيغموند: موسى والتوحيد

١١. سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ

١٢. ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء الأول القسم الثاني

١٣. بارندز جفري: المعتقدات الدينية

١٤. مقار شفيق: المسيحية والتوراة

١٥. همو عبد المجيد: جذور اليهود من خلال النقد التاريخي

١٦. مجموعة مؤلفين: هداة الإنسانية إلى الشرق

١٧. جرجس صبري: التراث اليهودي الصهيونية والفكر الفرويدي

كتب صدرت للمؤلف

الفكر اليهودي:

١. بلقيس بين الحقيقة والأسطورة.

٢. هاجر بين الحرية والعبودية.

٣. بابل ولصوص اليهود.

٤. التوراة تحريف وتزوير:

- التاريخ.
- حقيقة إسرائيل.

٥. القدس في التاريخ.

٦. أنبياء القرآن.

النوع الأدبي:

١.ديوان شعر البراعم

٢.تحقيق ديوان الإمام الشافعي رضي الله عنه

٣.تحقيق ديوان الإمام علي رضي الله عنه.

٤.تحقيق شرح الشيباني للمعلقات التسع.

النوع الفلسفي:

فصل المقال فيما بين الحقيقة والحكمة من الاتصال.

كتب تحت الطبع

١. ديوان عنترة دراسة.

٢.صرخات عربية.

٣.نفي الطغيان رد على محمد شحرور.

٤.إحياء علوم الدين للإمام الغزالي تحقيق ودراسة

٥.ديوان صرخة عربية.

٦.التوراة تحريف وتزوير:

التاريخ جزء ٣ وجزء ٤

الجغرافيا جزء ١ وجزء ٢

الدين جزء ١ وجزء ٢

٧.مصادر التوراة:

١. التوراة من كتبها

٢. بابل وتحريف التوراة

٣. الكنعانيون والتوراة المحرفة

٤. الديانة الفرعونية وأثرها في التوراة

٥. الأثر الفارسي في التوراة

٦. التوراة وفلسطين

٧. هل الديانة اليهودية سماوية

الفهارس

سلسلة مصادر التوراة

(٥)

الأثر الفارسي الهندي في التوراة

عبد المجيد همو

دار غار حراء
دمشق - سوريا هاتف : ٢٢١٩٠٤٧

طبع بموجب موافقة وزارة الإعلام رقم /٤٦٥٨٦/ تاريخ ٢٩ / ١٢ / ١٩٩٩

توزيع :
دار الهيثم - هاتف : ٤٤٤٥٦٦٥
دار الألباب - هاتف : ٢٢٣٩٨٢٠

الإهداء

إلى الأمة العربية
التي كبت ثم نهضت
إلى من حمل راية الكفاح من هانيبال
ونبوخذ نصر . وخالد بن الوليد .
وعقبة وقتيبة
إلى أبنائنا في المستقبل

المؤلف عبد المجيد همو
كفر تخاريم

مقدمة الأثر الفارسي

لم يكن الأثر الفارسي في التوراة واسعاً كالأثر المصري أو البابلي أو الكنعاني، وذلك للأسباب التالية:

١. لم يكن الفرس إلا في بداياهم، فقد كانوا قبل ذلك تحت سيطرة الدولة البابلية والكلدانية، و لم يكن لهم ذلك المجد الباذخ والحضارة العريقة كما عرفنا عن بابل وكنعان ومصر، ولهذا فأثر دولة حديثة ليس لها أمجاد وحضارة سيكون بسيطاً في هذا المضمار.

٢. لم يعش اليهود مع الفرس فترة طويلة كافية لتأثرهم بها، فقد عاشوا فترة الأسر يتعاونون مع الفرس يحيكون المؤامرات ضد دولة بابل حتى تسنى لهم فتح أبواب بابل أمام كورش دون قتال، وفي الوقت نفسه سقط نابونيد نتيجة مؤامرة دنيئة ساهم فيها اليهود، وانتهت الدولة البابلية وسقطت بابل الدولة المجد، الدولة الرمز لحضارة الشرق العربي.

لقد قرأ الأحبار في تأليفهم الديانة اليهودية في تلك الفترة كتب الفرس وتأثروا بها ولو قليلاً.

٣.حاول بعض الباحثين أن يقلب الأثر فيرى أن زرادشت وماني كانا يهوديين في بداية الأمر ثم انقلبا على الديانة اليهودية، هذا الأمر لا يهم الباحث في حول هل كانا يهوديين أم لا وإنما سأخذ

النقاط التي دخلت الديانة اليهودية، والتي لا تمت إلى ديانة إبراهيم أو الديانة البابلية أو المصرية أو الكنعانية بصلة، وقد وجدت هـذه النقاط في الديانة الفارسية فنقول: إن هذه النقاط أخذها اليـهود عن الفرس.

٤. حاولت التوراة أن تجعل من كورش يهودياً يأتمر بأمر يهود، بل إن أشعيا دعاه بالمسيح:((هكذا يقول الرب لمسيحه كورش الـذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمماء وأحقاء ملوك أجل لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق، أنا أسير قدامك والهضـاب أمـهد أكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد أقصف وأعطيك ذخـائر الظلمة وكنوز المخابئ لكي تعرف أني أنا الرب الـذي يدعـو باسمك لقبتك وأنت لست تعرفني أنا الرب وليس آخر، مصـور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر أنا الرب صانع كل هذه، أقطري أيتها السماوات من فوق وليترل الجوبـرّاً لتتفتـح الأرض فيثمر الخلاص ولتنبت براً معاً أنا الرب قد خلقته))[(١)].

هذا النص هو نص رسمي توراتي كتبه الكهنة ولهذا اعتبروا كورش يهودياً، ولست الآن بصدد هذا الافتراء الذي افترته التوراة، فقـد عثر الباحثون في الآثار على ختم أسطواني لكورش يكـذب مـا أوردته التوراة، هذه الاسطوانة عبارة عن رقيم طيني عثر عليـه في بابل يعرض قورش تفسيره الأحداث: ((إنّ مردوخ سـيد بـابل

(١). العهد القديم أشعيا ٤٥/ ١ـ٨/.

وحارس أهلها نظر بسرور إلى أعمال قورش الصالحة وإلى قلبه المستقيم فأمره بالذهاب إلى مدينة بابل وسيره على طريق بابل، ومازال يمشي إلى جانبه كصديق ورفيق وأدخله إلى بابل بلا قتال ولا معركة))[1].

فهل نصدق ما كتبه الكهنة أم نصدق ما قاله كورش عن نفسه؟ هل كان كورش يهودياً كما تدعي التوراة أم أنه كان وثنياً كما يدعي الرقيم؟

والذين تأثروا بكتابة الكهنة أوردوا أن أستير اليهودية أم كورش.

وأنا أرد هذا للأسباب التالية:

١.إن الكهنة قالوا في سفر إستير أنها تزوجت أرتحشستا و لم يعينوا الأول أم الثاني أم الثالث، وإليك قائمة بأسماء ملوك فارس لتعرف متى حكم كل منهم:

١.كورش انتهى حكمه ٥٣٦ ق.م وهذا الذي قوض حكم بابل.

٢.قمبيز انتهى حكمه ٥٢٩ ق.م وهذا الذي دخل مصر.

٣.غوته انتهى حكمه ٥٢٢ ق.م.

٤.دارا الأول انتهى حكمه ٥١١ ق.م.

٥.عم احشويروش انتهى حكمه ٤٨٥ ق.م.

٦. إرتحشستا الأول انتهى حكمه ٤٦٥ ق.م.

٧.أحشويروش الثاني انتهى حكمه ٤٢٣ ق.م.

---

(١). شربنتية أصطفان دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ٦٧.

٨. سعديات انتهى حكمه ٤٢٣ ق.م.

٩.دارا الثاني انتهى حكمه ٤٢٣ ق.م.

١٠.ارتحششتا الثاني انتهى حكمه ٤٠٥ ق.م.

١١. ارتحششتا الثالث انتهى حكمه ٣٦٢ ق.م.

١٢.فارسيس انتهى حكمه ٣٣٨ ق.م.

١٣.دارا الثالث انتهى حكمه ٣٣٣ ق.م. قتله الاسكندر وزالت مملكة فارس وقامت دولة الإسكندر المكدوني التي اجتاحت حتى بلاد الهند.

٢.أمام هذه التواريخ والأثر الذي عثر عليه في بابل أقول إن الأثر أصح من كتب التوراة، لأن كورش لم يكن يهودياً ولا عرف اليهود، وإنما استطاع مؤلفو اليهودية وباثوا أفكارها أن يتآمروا مع الفرس ضد بابل ليسقطوا نظامها، واعتبر كورش محرراً لهم من أسرهم، وإذا ما صحَّ سفر إستير فإننا أمام الآراء التالية:

- لا يمكن أن تكون أستير من جيل السبي لأن ارتحششتا الأول توفي عام ٤٦٥ ق.م والأسر كان ٥٨٦ ق.م وبهذا يكون عمرها حينما استلم ارتحششتا الأول ما يزيد عن مائة عام، ولا يمكن أن يكون مردخاي الشخص الذي أسر، ولا يمكن أن يكون أحشويروس هو من تزوج إستير التي حضرت السبي لأنه استلم الحكم ٥١١ ق.م وتوفي عام ٤٨٥ ق.م ومعنى ذلك أن إستير

كانت في سنة تولي الحكم لإحشويروش بنت أكثر سبعين سنة، فياله من جمال صارخ ويالها من فتاة لم تعرف الرجال.

- إن مردخاي تسمية بابلية فقد أخذوها من مردوخ إله بابل.
- إن هامان وزير إرتحششتا ورد في القرآن الكريم أنه كان وزيراً لفرعون موسى.
- إن الانتقام الذي تصوره التوراة من الأمم لهو تعبير عن حقد اليهود على البشرية جمعاء.
- لا يمكن أن تكون إستير أماً لكورش على الإطلاق.

٣.يمكن لنا أن نناقش النقاط التالية التي أخذها كتبة التوراة من الفرس مايلي:

- التوحيد والثنائية فقد ادعى اليهود بأنهم موحدون، وقد ناقشنا فكرة التوحيد مع البابليين والكنعانيين والمصريين، وسنناقشها الآن مع الفرس.
- قصة النار والإحراق التي وردت لدانيال فهي قصة نعرفها نحن مع إبراهيم الخليل ولكنها وردت في حياة زرادشت وسنناقشها في حينها.
- قصة الشيطان التي وردت في سفر أيوب وعزازيل إنما هي فكرة مأخوذة عن البابليين والفرس و لم تكن معروفة عند اليهود.
- فكرة آدم فقد وردت عند الفرس أيضاً كما أننا رأينا مثيلها في الأدب البابلي.

الوصايا العشر التي وردت في التوراة إنما هي مأخوذة بالتسمية نفسها من وصايا زرادشت.

آمن الفرس بالحساب والبعث، ولكن اليهود آمنوا به أرضياً، ولم يؤمنوا به أخروياً، فالثواب في إطالة العمر ويقولون عنه إنه مات بشيبه صالحة، ودفن في مقابر آبائه، أما إذا كان شريراً فكانوا يقولون إنه ذهب إلى الهاوية.

الصلاة ناقشنا الصلاة عند اليهود في كتابنا التوراة تحريف وتزوير الدين الجزء الثاني، وسنرى أن الصلاة موجودة عند زرادشت وسنناقشها أيضاً بشكل مفصل عندها.

النار والنور لقد رأينا في نص أشعيا الكتابة التالية: ((مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام وخالق الشر)) ولما كانت النار مصدر النور في رأيهم فقد عبد الفرس النار كما أن اليهود تأثروا بهذه الفكرة فقدسوا النار وقدموا لها الضحايا.

المركبة النارية وردت في سفر حزقيال وورد لها وصف دقيق، وسنناقش هذا الأثر الفارسي في التوراة واليهودية.

الكهنة، قدس الكهنة اليهود واعتبروا مشرعين وفاق دورهم دور يهوه ذاته حتى قال التلمود إذا اختلف الأحبار مع يهوه في رأي فإن الأحبار على حق ويهوه على خطأ، وقد مرَّ بنا أن يهوه يخطئ ويندم، أما أحبارهم فلا يخطئون ولا يندمون، هذا التقديس للكهنة إنما هو أثر فارسي عجيب.

التنين ولوياثان وقد ناقشنا هذا سابقاً مع مصر والكنعانيين، وسنرى أن اليهود تأثروا أيضاً في الفرس في هذه النقطة وربما أخذ الفرس هذه النقطة أيضاً عن الكنعانيين.

المخلص: لم يعرف اليهود هذه الفكرة إطلاقاً حتى اتصالهم بالفرس وكان زرادشت يعتقد أن على رأس كل ألف سنة يخرج رجل من نسل زرادشت ليخلص الأمة الفارسية ويحررها من العبودية، وهذه الفكرة وضعت موضع التنفيذ في الفكر التوراتي ولازال لهم أمل بالخلاص على يد المخلص المسيح من نسل داود.

المرأة وزواج الأقارب كل ما وجد من زواج الأقارب من سفاح المحرمات فهو أثر فارسي، فنحن نعلم أن الفرس كانوا يبيحون الزواج من الأم والأخت ولا محرمات لديهم على الإطلاق، وإن كان الفراعنة يحصرون ذلك في النسل الملكي ليبقى النسل الملكي محافظاً على نقائه، أما عامة الشعب فلم تكن تبيح تلك الهرطقة، وأما الدعوات الفارسية كالمانوية والمزدكية وقد عرف عنهما هذا.

هذه النقاط الأكثر اشتراكاً بين الدعوة اليهودية والفارسية، وسنناقش هذه النقاط كل نقطة بمفردها فيما بعد.

سار كتبة اليهود على الخط السابق فجعلوا من رجالهم ونسائهم المشرفين على الدولة سواء كانت البابلية أم الفارسية، فدانيال لقي حظوة عند بختنصر والفرس واستطاع مردخاي أن يقضي على نفوذ هامان وزير أرتحشستا الفارسي، بل ويصب جام غضبه كله على الناس الأبرياء من

غير اليهود، لا لشيء إلا أنهم استطاعوا الوصول إلى قلب الملك أرتحششتا.

وقبل أن أناقش النقاط التي أشرت إليها أحب أن أنبه إلى بعض الأخطاء التاريخية التي سقط فيها كتبة التوراة في الحكم الفارسي والمدة التي حكم الفرس فيها.

لقد ناقشت في كتابي التوراة تحريف وتزوير التوراة قسم التاريخ ما زوره اليهود في التاريخ حتى سقوط دولة يهوذا والأسر البابلي وأحب أن أضع هنا الأخطاء التي وقع فيها كتبة التوراة تاريخياً في هذه الفترة وذلك من أجل إحقاق الحق وإثبات الصحيح.

أخطأ كتبة التوراة في وضع اسم بلتشصر بن نبوخذ نصر بين أسماء ملوك بابل والواقع أن العلم دحض هذا التشويه المتعمد فلم يقع العلماء على اسم بختنصر بين أسماء ملوك بابل إذ أن بختنصر توفي عام ٥٦٢ ق.م.

بعل مردوخ حكم عدة أشهر، قام بانقلاب عليه ابن عمه وصهره.

نبونابيد هو ابن أخ نبوخذ نصر الأصغر، وهو آخر الملوك البلبليين وهو ليس من دعي بلتشصر فكتاب دانيال يفيد أن بلتشصر هو ابن نبوخذ نصر، فكتبة سفر دانيال يفيد دون تأويل بأن بختنصر ابن نبوخزنصر هو الذي سقطت الدولة على يديه.

أسقطوا بابل على يد داريوس الأول، وبابل لم تسقط على يد داريوس بل سقطت على يد كورش عام ٥٣٨ ق.م، والحقيقة أن بابل

سقطت مرة ثانية على يد داريوس الأول بعد ٢٢ عام من السقوط على يد كورش.

حاول بعض اللاهوتيين أن ينفذ عبر هذا الباب ليؤكد على أن الملك البابلي كان في هذا العصر الثاني هو بختنصر التوراتي، بيد أن الخدعة لم تصمد أمام النقد التاريخي.

الأمراء الذين حكموا بابل تحت حكم الفرس لم يكن فيهم من سمي بهذا الاسم وإنما الذي أعلن استقلال بابل هو الأمير نبو أنيتوك وابنه بلساروسو فجهز داريوس الأول حملة واستولى عليها في عام ٥١٦ ق.م.

ولكن كيف يمكن التأكد من أن بلساروسو هو بلتشصر علماً بأن هذا الملك كان حاكماً لولاية فارسية تمرد، و لم يكن ابناً لنبوخذ نصر وبينه وبين هذا الملك تسعة ملوك حكموا بابل.

أردت الإفصاح عن هذه الحقيقة التي وقف فيها التوراة في خطأ فاضح وتشويه متعمد لأتابع بعد ذلك أخطاء التوراة في كورش ومن خلفه.

سقطت بابل على يد كورش واحتفل به اليهود وجعلوه المسيح المنتظر، ولكني أعتقد جازماً أنه لم يصنع هذا القرار إلا بعد فترة طويلة من سقوط بابل وقد أوردنا ما قاله سفر أشعيا بهذا الصدد، غير أن الزمن لم يطل به فقد مات كورش وحكم قمبيز.

تابع قمبيز سيرة أبيه في السيطرة على حوض الشرق للبحر المتوسط فوصل مصر وهناك تعرض للثور المقدس أبيس وأصيب قمبيز بالجنون.

وأحب قبل أن انتقل إلى داريوس وحياته أن أشير إلى نقطة أوردها التوراة حول كورش وهو سجوده لصنم يدعى بال (بعل) يأكل ليلاً ما يقدم له من الطعام نهاراً، وصدق كورش بهذه الواقعة لولا أن اليهود الأذكياء _ على حد تعبيرهم _ كشفوا له ذلك وبدا كورش أمامنا على تناقض صريح.

الإنسان الوثني الساذج البسيط الذي يمكن لأي إنسان أن يسخر منه فقد سخر منه كهنة بعل كما سخر منه كهنة اليهود.

ولهذا أصدر مرسوماً ملكياً بإعادتهم إلى فلسطين واعتبروه محرراً لهم، والواقع لم يكن هكذا، وإنما كان قرار صاغه اليهود في مخيلتهم و لم ينفذه أحد من أباطرة الفرس إلا حينما قبلوا لأنفسهم أن يكونوا عملاء للفرس في تمزيق البلاد العربية كما يفعلون الآن.

وهكذا صور لنا كتاب دانيال كورش ساذجاً وأورث دانيال الحكم لابن داريوس فمن داريوس هذا؟

لم يكن داريوس ملكاً وابن ملك كما تدعي التوراة بل كان ابن ملاّك فارسي اسمه هستاب و لم يكن ابن أحشويروش الذي تدعي التوراة وحدها بأنه كان ملكاً، والحقيقة أن التوراة هي التي خلقت هذه

الشخصيات وجعلت منه ملكاً على فارس وميديا ثم زواجه من اليهودية إستير.

لم يكن داريوس من العائلة الميدية التي ينتمي إليها كورش، فبعد وفاته وذهاب قمبيز إلى مصر وجنونه ورثه في الحكم عنوة وكان شخصية ضعيفة فاستغل الكهنة ذلك وأعلنوا التمرد والعصيان وحاولوا الاستيلاء على السلطة، وقد تم لهم ذلك ولكن قادة الفرس في الجيش أعلنوا العصيان بهدف إزاحة الميديين عن السلطة فقتلوا الكهنة وأنصارهم، وأعطوا السلطة والتاج لدارا بن هشتاب الفارسي الأصل.

وبهذا لم يكن داريوس (دارا) ملك بابل المستقلة في يوم من الأيام لقد تسلم العرش باعتباره الوريث الشرعي للدولة الفارسية لكورش وقمبيز وأصبح ملكا على فارس وميديه ومملكة الكلدان ومصر، وسميت بالإمبراطورية الفارسية.

قام داريوس بعد ذلك بحرب الإغريق وانتصر عليهم وبنى معبد ديانا الأفسوسي من ماله الخاص، غير أن التاريخ لم يعرف وزيرا من وزرائه اسم دانيال، بل إن كاتب سفر دانيال هذا لم يسمع بالمعركة التي هزم فيها الفرس أمام اليونان ودمروا، إنها معركة المارثون الشهيرة.

ويرى ليوتاكسيل أن معطيات سفر عزرا ونحميا يناقض أحدهما الأخر فعزرا يقول إن قورش أصدر مرسوما في أول عام له في الحكم يسمح بموجبه لبني إسرائيل بالعودة إلى الدولة اليهودية متى شاءوا، وأن يهوه أمره بأن يعيد بناء معبد أورشليم، وقد عاد اليهود إلى فلسطين تحت

قيادة زربابل إلا أن بناء المعبد توقف في عهد احشويروش وارتاكسيريس بسبب الضغط الذي مارسه السكان الذين استوطنوا المنطقة بعد سوق اليهود منها.

ولكن الأعمال العدائية توقفت بعد استيلاء داريوس على العرش وتم بناء المعبد في السنة السادسة من حكمه..

أما نحميا فيقول إن ارتحششتا هو الذي سمح لليهود بالعودة إلى أورشليم ورفع المدينة من الأنقاض، وكان زربابل على رأس العائدين.

أما الصعوبات التي واجهت العائدين فقد تمثلت في النشاطات المعادية التي قامت بها القبائل الأخرى التي حلت مكانهم أثناء غيابهم ولكنهم تجاوزوها بقواهم الذاتية إذ كانوا يعملون بيد والسيف باليد الأخرى ثم يروي لنا هذا المؤلف المقدس قصة الرحلة التي قام بها إلى بابل في الحقبة التي انتهى فيها بناء المعبد في العام الثاني من حكم ارتحششتا.

ولكن عزرا يؤكد على أن نحميا رافق زربابل في طريق العودة إلى اليهودية، وإن ذلك كان في عهد قورش، ويقول أيضاً: إن عودة ثانية حصلت في عهد ارتحششتا ولكن في السنة السابعة من حكمه وليس في العاشرة.

ويضيف أيضاً هو نفسه عزرا الذي قاد هذه الدفعة الثانية من أبناء قومه.

حاول يا سيدي أن تتبين الحقيقة في هذا الخلط الغريب.

ونستطيع لو اتسع المجال أن أعري كذب التوراة في هذه الفترة إلا أننا أمام نقاط نريد مناقشتها الآن.

هذه النقاط التي تأثر فيها اليهود بالفرس ضاربين بما أملاه كتبة التوراة من ادعاءات يهودية كاذبة لا أصل لها ولا حقيقة، ولا يدعمها سند ولا شاهد.

التوحيد الفارسي واليهودية

زرادشت هو النبي الذي عرفته الفارسية وسارت على هديه وقد أملى آراءه واتبعها الفرس لقرون عديدة، الديانة الزرادشتية ظلت حية حتى الإسلام وإن حُرفت وسنناقش نقاط التأثير الفارسي في اليهودية من خلال أفكار زرادشت.

آمن زرادشت بأن الإله واحد وسماه أهورامزدا وأبقى على مذابح النار، واعتبر سائر الآلهة أرواحاً للخير والشر دائمة الصراع والتناقض حتى تمَّ إعلان أهورامزدا وأنصاره على أرواح الشر جميعاً.

يعتقد زرادشت أن طريق الإيمان الكامل والسبيل الوحيد إلى الإله الواحد هو الاعتقاد الطيب والكلمة الطيبة والأعمال الطيبة، وقد انتقل بالدين إلى مرحلة التطبيق الأخلاقي.

وأوضح زرادشت أن ما يسمى بالآلهة المتعددة كالشمس والقمر والنار والنجوم والجبال وغيرها بأنها ليست آلهة زائفة فحسب بل قال إنها ليست آلهة على الإطلاق وهي جميعها من وضع الخلق(١) .

إذن تعتمد ديانة زرادشت على الإيمان بوحدانية الله أهورامزدا هذا الإله الواحد لا شريك له، واسمع إلى هذه الصلاة الزرداشتية:

هذا ما أسألك عنه فاصدقني الخبر يا أهورامزدا من رسم للكواكب وللشمس طريقها؟

إن لم يك بك فبمن يكمل القمر وينقص؟

---

(١). محمد حميد فوزي عالم الأديان ص٢٥٦.

من ثبت الأرض في الأدنى وأمسك السماء أن تقع؟

من أيها الحكيم خلق روح الخير؟

أي فنان أبدع النور والظلمات؟

من خلق الصباح والظهر والمساء ليعين اللبيب واجبه؟

إنه أنت يا واحد يا أحد، اكشف عن أسرار المعرفة كي تسعدني على نشر دينك، أيها الإله الواحد الحكيم يا أهورامزدا[1] .

هذه التوحيدية لم يصل إليها اليهود كما رأينا ويقول كثير من الباحثين أن أنبياء الأسر قد حاولوا تعميق التفكير التوحيدي، وأنا أرى هذا التعميق ليس إلا أثراً من آثار التفكير الفارسي في الفكر اليهودي، ولنعد بعض الكلمات: إنه أنت يا واحد يا أحد، أيها الإله الواحد الحكيم يا أهورامزدا.

إن أهورامزدا يختلف عن يهوه فليس له أبناء كما قالت التوراة وليس له شعباً مختاراً يد لله كما يفعل يهوه.

إن الصراع بين الخير والشر ليس صراع آلهة كما يفهم من الأدبيات في الأمم الأخرى دائماً هو صراع بين قوى معنوية روحية لا علاقة لها بالآلهة إطلاقاً هذا ما ارتأه زرادشت.

ويبقى أمامي سؤال يحيرني هو اسم أهورامزدا هل هو يهوه الذي حرفه اليهود من أهو مع حذف رامزدا وأهو أكون إذا صح التفسير بين صيغة الغائب والحاضر؟

---

(١). المصدر السابق ص٢٦٨.

يبقى هذا السؤال حتى نلقى الإجابة الصحيحة عنه.

ولن أناقش التوحيدية عند اليهود فقد ناقشته سابقاً.

إذن فالتوحيد فكر أصيل عند الفرس وكذلك فكر أصيل في دعوة موسى عليه السلام، لكن اليهودية حرفت التوحيد وغيرت منابعه إلى مياه آسنة فجعلت لله الواحد مجمع آلهة وصراع بين أبناء الله والناس ومن أبناء يهوه الشعب وهم من الشعب فهم أبناء يهوه ولن ندرس الآن قصة الصراع بين الخير والشر لنرى مفهوم الثنائية الآن.

قصة دانيال والنار

لقد وردت قصة الإحراق بالنار والخروج منها بالسلامة في القرآن الكريم لإبراهيم الخليل عليه السلام حينما رماه قومه فيها جزاءً على تكسير أصنامهم ورميه لها بأنها عاجزة لا تضر ولا تنفع، قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين.

ولكن القرآن يؤكد على خروج إبراهيم ونجاته منها بقوله: ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ نجا إبراهيم وهاجر مع لوط ليبشر بوحدانية الله أقواماً آخرين، أما التوراة وكتبتها فلم تكن تعرف إبراهيم ولا ما حدث معه لهذا لم تورد هذه الحادثة في حياته على الإطلاق وهي قصة جديرة أن تنقل، ينقلها كل من يعرف إبراهيم وحياته لأنها نقطة منيرة في حياة إبراهيم.

وقد أورد الفرس حادثة الرمي في النار لزرادشت وهو طفل تمكن الملك دوران سرون من إحضار الصبي بواسطة ثلاثة من سحرته ووضعه وسط النار على المذبح وتركه وانطلق من المعبد مع سحرته معتقداً أن هذه هي نهاية زرادشت الصبي ولما عادت إليه أمه من بيتها ولم تجده ذهبت إلى معبد النار لتصلي وتدعو الآلهة أن ترده إليها، وإذا بطفلها على المذبح يلعب وسط النار بابتهاج وسرور(١) .

أما ما رواه سفر دانيال فهو زيادة في النسخ والمسخ فلئن نجا زرادشت وهو نبي واحد ولا زال طفلاً فإن اليهود الأربعة دانيال وحنينا

---

(١). المصدر السابق ص٢٥٨.

وميشائيل وعزرا هؤلاء الأربعة يقول السفر عنهم إنهم من السبي ولا أرى ذلك لكنني سأروي القصة من خلال سفر دانيال.

١.سمى بختنصر دانيال بلطشاصر وأرفض هذه التسمية قيل هي اختصار لاسم بعل وإله بختنصر نبو وليس البعل.

٢.سمى بختنصر حنينا شدرخ ولا أرى أية علاقة بين الاسمين.

٣.ميشائيل ميشخ حذف إيل علماً أن اسم إيل موجود في العراق.

٤.سمى عزرا عبد نغو ولا أرى لم اختار لعزرا العبودية ولا ندري عبد نغو أي شيء ولو قال عبد نبو لهان الأمر لأننا نعرف نبو إله بابل وقد سمى العديد من الملك بهذا الاسم نبوخذ نصر، نبونابيد.

ولا يمكن أن يجتمع هؤلاء الأربعة من السبي، فعزرا وجد بعد قرنين من السبي إن كان المقصود به عزرا الكاتب.

أمر نبوخذ نصر بعمل تمثال من ذهب طوله ستون ذراعاً وعرضه ست أذرع ونصبه في بقعة دورا في ولاية بابل.

أين تقع دورا؟

يبقى تعيين الجواب على من كتب التوراة، ثم ما هذه العظمة الزائفة لهذا الصنم ستون ذراعاً بعرض ستة أذرع إنه من مفارقات التوراة؟

ويبقى أخيراً نجهل اسم هذا الصنم هل هو لإله عراقي أم إله شامي، لم تعطنا التوراة أي تفسير من هذا القبيل.

وأعلن بختنصر أن من لا يعبد هذا الصنم سيوقد له في أتون ويضعونه فيه، وجاء السعاة للملك معلنين ((يوجد رجال يهود الذين

وكلتهم على أعمال بابل هو شدرخ وميشخ وعبد نغو هؤلاء الرجال لم يجعلوا لك أيها الملك اعتباراً لآلهتك ألا يعبد وللتمثال الذهب الذي نصبت لا يسجدون...)).

ولا أدري لم حذف دانيال من هذه القائمة هل هو ليس أهلاً لأن ينجو من النار أم أنها شخصية أسطورية لا أكثر ولا أقل؟

ثم تقول القصة إنه رمى بهم في نار متقدة ولكن النار لم تحرق الثلاثة كما فعلت نار إبراهيم، وكذلك نار زرادشت ونجا الثلاثة وخر بختنصر ورجاله ساجدين لإله الثلاثة بمعنى أنهم تهودوا، وهكذا صارت الدولة البابلية حسب كتبة التوراة يهودية.

والغريب في الأمر أنهم تآمروا على بابل مع الفرس فإذا ما كان حكام بابل يهودا فكيف تأمر اليهود مع الفرس ضد دولة تدين بما يدينون.؟

إن هذا العمل ليس إلا سرقة واختلاسا إما من إبراهيم الخليل وإما من زرادشت وكيف نجا من النار.

وانظر هذا الوصف التوراتي للرجال الثلاثة ((حينئذ تحير نبوخذنصر الملك وقام مسرعا فأجاب وقال لمشيريه ألم نلق ثلاثة رجال موثقين في وسط النار؟ فأجابوا وقالوا للملك صحيح أيها الملك، أجاب وقال ها أنذا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشون في وسط النار وما بهم من ضرر ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة، ثم اقترب بنوخذ نصر إلى باب أتون النار المتقدة وأجاب فقال يا شدرخ ويا ميشخ وعبد نغو يا عباد الله العلي

اخرجوا وتعالوا، فخرج شدرخ وميشخ وعبد نغو من وسط النار فاجتمعت المرازبة والشحن والولاة ويشير الملك داريوس للرجال الذين لم تكن للنار قوة على أجسامهم وشعرة من رؤوسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأت عليهم، فأجاب نبوخذ نصر وقال تبارك إله شدرخ وميشخ وعبد نغو الذي أرسل ملاكه وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه لا على غيره، وغيروا كلمة الملك وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لإله غير إلههم، فمني قد صدر أمر بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون بالسوء على إله شدرخ وميشخ وعبد نغو فإنهم يصيرون إرباً إرباً وتجعل بيوتهم مزبلة إذ ليس إله آخر يستطيع أن ينجي هكذا))[1] .

---

(١). العهد القديم سفر دانيال ٣/٢٤ـ٣٦/

الشيطان والصراع

تأثر اليهود في الفرس بالصراع بين يهوه وبين الشيطان أو كما قال الفرس في الصراع بين الخير والشر، وإذا ما رأينا أن زرادشت قال بالإله أهورامزدا وأن الصراع بين الخير والشر ليس إلا صراع أرواح، أرواح خيرة وأرواح شريرة وهي فكرة تعدد الآلهة ثم تحولت هذه الفكرة إلى عبارة أرواح الشر اتقاءً لشرها ولهذا صار ما يدعى بإله الخير وإله الشر، إله النور وإله الظلام، وصار الصراع صراع آلهة، أو قل متمثلة بإلهين اثنين متناقضين، كان الفرس يعبدون إله الخير رغبة في خيره وإله الشر اتقاءً لشره، هذه العقيدة الثنائية نقلها اليهود إلى عبادتهم وسنناقش هذه الفكرة من خلال التوراة.

١. إله الخير: آمنوا بإله الخير إلهاً خاصاً لهم هو يهوه وقدموا له القرابين، ولو طالعت التوراة لوجدت القرابين قائمة على قدم وساق كما أنه قد خُصَّ لعزازيل الذي يمثل النقيض للإله بمعنى إله الشر.

وقبل أن أناقش من أين أتت فكرة الشيطان أحب أن أسوق شرحاً لعمل الشيطان، إن الفكرة العربية الإسلامية والمسيحية ترى في الشيطان مخلوقاً عاصياً أمره ربه أن يسجد لآدم فلم يسجد، ويعمل على غواية البشر، أما في اليهودية فلم يتطرقوا إلى هذه الحادثة تمرد إبليس عن السجود، وإغواء إبليس لآدم وحواء وإنما تطرقوا إلى الشيطان بصفة أخرى.

يقول إسرائيل شاحاك في هذه النقطة ((إن الديانة اليهودية هـي ـ وكانت دائماً ديانة التوحيد ـ كما يعرف في الوقت الراهن كثير من علماء التوراة، وكما تبين أية قراءة متأنية للعهد القديم بسهولة، فإن هذا الرأي اللاتاريخي خاطئ تماماً، هناك في كثير من أسفار العهد القديم إن لم نقل في كل أسفاره حضور وسلطة لأرباب آخرين معترف بهم بصراحة))

لكن يهوه رب الأرباب غيور جداً من منافسيه، ويحظر على شعبه عبادتهم ولا يظهر إلا في نهاية التوراة لدى بعض الأنبياء المتأخرين إنكار لوجود جميع الأرباب ما عدا يهوه، وما يعنينا هنا ليس اليهودية التوراتية بل اليهودية الكلاسيكية.

ومن الواضح تماماً رغم عدم إدراك هذا الأمر على نطاق واسع إن الثانية خلال بعض مئات من السنين الأخيرة كانت بمعظمها بعيدة تماماً عن التوحيد الخالص وهذا ينطبق أيضاً على الحقائق المهيمنة في الأرثوذكسية اليهودية في الوقت الراهن وهي استمرار مباشر لليهودية الكلاسيكية.

لقد جاء انحطاط التوحيد من خلال انتشار الصوفية اليهودية القبالة التي تطورت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وحققت في أواخر القرن السادس عشر انتصاراً كاملاً تقريباً في كل مراكز اليهودية كما اجتاحت حركة التنوير اليهودية التي نشأت بسبب أزمة اليهودية الكلاسيكية للنضال ضد هذه الصوفية وتأثيرها أكثر منْ النضال ضد أي شيء آخر، ورغم ذلك ظل نفوذ القباله في اليهودية الأرثوذكسية خاصة بين

الحاخامات مهيمناً، إن حركة غوش إيمونيم مثلاً تستلهم الأفكار القبالـــة إلى حد كبير.

لا يحكم الكون حسب القبالة من جانب إله واحد بل من جـانب أرباب عدة ذوي شخصيات وتأثيرات مختلفة تنبثق عن عدد أولي بعيـدة مبهمة، وإذا أقصينا الكثير من التفاصيل جانباً نستطيع تلخيص المنظومـة على النحو التالي: هناك أولاً إله يدعى الحكمة أو الآب، ثم إلهة تدعـى المعرفة أو الأم، وقد انبثقا أو ولداً من العلة الأولى انبثق عن زوج الاثنـين زوج من الآلهة الأصغر الابن يدعى أيضاً بأسماء كثيرة مثل الزوج الأصغـر أو المقدس والابنة تدعى أيضاً السيدة أو ماتروتيت وهي كلمة مشتقة مـن اللاتينية بمعنى الأم وشخينة أو الملكة.

ثمة ضرورة لتوحيد الابن والابنة إلا أن مكائد الشيطان تحـول دون ذلك وهو يمثل في هذه المنظومة شخصية هامة جداً ومستقلة، وقد تولـت الخلق العلة الأولى كي تتيح لهما التوحيد لكنهما أصبحا أكثر ابتعاداً مـن السابق بسبب السقوط أو الهبوط وتمكن الشيطان فعلاً من الاقتراب كثيراً من الابنة المقدسة وحتى من اغتصابها سواء بالرمز أو في الواقع وتختلف هنا الآراء.

وقد خلق الشعب اليهودي لسد هذه القطيعة الـتي أحدثـها آدم وحواء، وفي جبل سيناء تحقق هذا الأمر لفترة بسيطة الابن الذي تجسد في موسى توحد بالابنة شخينة ولكن لسوء الحظ تسببت خطيئـة العجـل

الذهبي بالانفصال مرة أخرى لكن توبة الشعب اليهودي رتقت الفتق نوعاً ما.

بنفس القدر يقترن كل حدث في التاريخ اليهودي التوراتي باتحاد أو انفصال الزوجين السماويين وكان الاجتياح لفلسطين كنعان وبناء الهيكل الأول والثاني ممكناً بسبب اتحادهما، كما أن دمار الهيكلين ونفيهم عن الأرض المقدسة هي علامات خارجية ليست لانفصالهما وحسب بل لفجور حقيقي، فجور على غرار الآلهة الغرباء حتى تكاد تسقط الابنة تحت سيطرة الشيطان وسيأخذ الابن شخصيات أنثوية شيطانية مختلفة إلى فراشه بدلاً من زوجته الأصلية.

إن واجب اليهود الأتقياء من خلال صلواتهم وأعمالهم الدينية إعادة الاتحاد السماوي كاملاً في شكل اتحاد جنسي بين الإلاهين الذكر والأنثى، لذا قبل معظم الأعمال الطقسية التي ينبغي أن يقوم بها كل يهودي ورع عدة مرات في اليوم ترتيل هذه الصيغة القبالية لأجل الاجتماع الجنسي المبارك المقدس وشخينة كما أن صلوات الصباح اليهودية مرتبة أيضاً لتعزيز هذا الاتحاد الجنسي ولو مؤقتاً فقط، وتنسجم أجزاء متتالية من الصلاة صوفياً بالمراحل المتتالية من التوحيد في لحظة معينة تقترب الإلهة مع وصيفاتها وفي لحظة أخرى يضع ذراعيه حول عنقها ويربت على نهديها وفي النهاية يفترض أن يحدث الاتصال الجنسي.

هناك صلوات أخرى أو أعمال دينية كما تفسرها القبالة مخصصة لتضليل الملائكة، يتصورون كآلهة دنيا ذات قدر من الاستقلالية أو

لاستعطاف الشيطان، وفي لحظة معينة من صلوات الصبح تنطـــق بعـــض الآيات بالآرامية وليس بالعبرية المألوفة أكثر ويفترض بها أن تكون وســيلة لخداع الملائكة الذين يشغلون الأبواب التي تعبرها الصلوات إلى الســـماء، وبمقدورهم منع صلوات الأتقياء، وتفهم الملائكة العبرية فقط وتثير الآيات الآرامية حيرتها ولأنها غبية نوعاً ما يفترض بأنها أقل مهارة من القبـــاليين تفتح الأبواب في لحظة حيرتها فتدخل كل الصلوات بما فيها التي بالعبريـــة من الأبواب، ولنأخذ مثلاً آخر: يغسل اليهودي الورع يديه قبل تنـــاول الطعام وبعده بطريقة طقسية متلفظاً بتبريكات خاصة لكنه يعبد في إحدى المرتين الإله بتعزيز الاتحاد السماوي للابن والابنة، وفي المرة الثانية يعبـــد الشيطان الذي يحب الصلوات اليهودية والأعمال الطقسية حباً جماً، حـــتى إنه عندما يحصل على القليل منها تشغله لفترة وتنســـيه مضايقـــة الابـــن السماوي كما يعتقد القباليون في الواقع أنه مع بعض الأضحية التي جـــرى إحراقها في الهيكل كانت تقدم للشيطان مثل تقديم سبعين ثوراً كأضحيـــة خلال سبعة أيام (الظلة) التي يفترض أنها قدمت للشيطان لإشغاله حـــتى لا يتدخل في اليوم الثامن عندما تقدم الأضحية للرب، ومن الممكن تقـــديم الأمثلة الكثيرة المشابهة في هذا[١] .

لي على هذا النص بعض الملاحظات:

١. لا يمكن وصف الديانة اليهودية بأنها توحيدية ولـــو كـــانت الكلاسيكية إلا إذا قبل الإنسان بأن كل الديانات القديمة مـــن

(١). الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود ص٢٥٠ ـــ ٢٥٢ إسرائيل شاحاك.

مصرية وهندية وبابلية ويونانية وفارسية وزرادشتية وصينية ديانات توحيدية.

٢. الشيطان له دور مهم في حياة اليهود ككل والقبالة بشكل خاص، فهم يعبدونه اتقاءاً لشره سواء كان إشغاله عن الآلهة الأم أو غير ذلك.

٣. تظهر الملائكة عند القباليين اليهود منهم بشكل خاص أنها مخلوقات غبية لا يمكنها فهم الصلوات واللغات.

٤. لهذه الدعوة الوثنية التعددية أصول موجودة في التوراة ولنرجع إلى أصولها في التوراة:

- إن يهوه حينما خلق آدم خلقه على صورته ذكراً وأنثى هذا القول فسره القباليون بالمبارك المقدس والشخينة.
- إن كلمة شخينة مأخوذة من الإله الآرامي الكنعاني اسخيما والزوجية الثنائية اسخيما وعانات.
- إن اتصال الشيطان بالابنة الصغرى والهاء المبارك المقدس يعطي الشيطان قدرة مطلقة وقوية حتى قدموا له الضحايا سبعة أيام ليخلو يهوه في ضحيته في اليوم الثامن.
- للآلهة دور ثانوي ودور الشيطان هو الدور الفعال.
- ورد في التوراة ما يقابل هذا الكلام ذبيحة الشيطان فقد جاء في سفر اللاويين ((ومن جماعة بني إسرائيل يأخذ بتيسين من المعزى لذبيحة خطية وكبشاً واحداً لمحرقة ويقرب هارون ثور

الخطية الذي له ويكفر عن نفسه وعن أهل بيته ويأخذ التيسين ويوقفهما أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع ويلقي هارون على التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل ويقرب هارون التيس الذي خرجت عليه القرعة للرب ويعمله ذبيحة خطية،وأما التيس الذي خرجت عليه القرعة لعزازيل فيوقف حيا أمام الرب ليكفر عنه ليرسله إلى عزازيل إلى البرية))(١) .

ويعلق ليوتاكسيل على خلق يهوه آدم على صورته بما يلي: ((ونقع في الإصحاح الأول من سفر التكوين على نقطة مبهمة يخيل إلينا أنها تجيز لنا أن نستنتج أن الله خلق الإنسان في البداية جنسين في آن واحد، و لم يعدل هذا الوضع إلا في وقت لاحق، فالمسألة المتعلقة في المرأة لم تظهر إلا في نهاية الإصحاح الثاني، أما الإصحاح الأول فيقول: فخلق الله الإنسان على صورته خلقه ذكرا وأنثى على صورة الله في خلقه.

هذه هي الترجمة الحرفية للنص العبري لهذا السطر الذي أعطى الواقع لانتشار خرافة الإلهة الثنائي الجنس))(٢)

ولا يظهر أي أثر للشيطان في الكتب الخمسة المنسوبة لموسى مع العلم أنها كتبت بما يشبه الإجماع فيما بعد السبي فكيف لم يدخل الكاتب الشيطان؟

---

(١). العهد القديم سفر التكوين ص١٦ /٥ – ١٠/.

(٢). ليوتاكسيل التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص١١.

والذي أراه أن الكتاب الأصلي ضاع و لم يبق منه شـــيء علـــى الإطلاق ولهذا لم يعرفوا ما قصة آدم وسجود إبليس ورفضه إلا أنهم لمـــا رأوا الأمم التي حولهم تؤمن بذلك فكتبوا مما حولهـــم، وأخـــذوا قصـــة الشيطان من الأسطورة البابلية، ولما عاشروا الفرس سمعوا بديانة مــــزدك وهي تقوم على وجود إلهين متناقضين متنازعين إله الخير وإله الشر، وبنـاء عليه فقد قسم زرادشت جميع الأشياء الموجودة في الكـــون إلى نوعـــين متضادين هما الخير والشر، وأطلق على إله الخير اسم أهورامزدا وعلى إلـــه الشر أهريمان.

إن التثنية اختصت بالمجوس حتى أثبتوا هذين الأصلـــين القديمـــين المدبرين واعتبروا النور خيراً والظلمة شراً وبما أن الشمس إلـــه وأعظـــم مصدر للنور فيمكن اعتبارها رمزاً لإلهة الخير[1] .

والذي أراه أن صورة الشيطان كانت معروفة في التوراة الأصليـــة وإغراؤه حواء وهي بدورها أغرت آدم ولكن حينما ضاعت التوراة ورأى الكتبة ما حولهم من تراث بابلي ووجود الحية أخذوا الحية وأدخلوهـــا في كتابهم المقدس، ولما عاشروا الفرس ورأوا ثنائيتهم اتبعوهـــم في الثنائيـــة والناس على دين ملوكهم، وقد أخذوا عـــن الفـــرس كـــل تصوراتهـــم ومعتقداتهم عن الجن والشياطين بمعالمها وأسمائها الفارسية والمجوســـية إلى جانب الثنوية في الخير والشر.

هذا ما أكده الكثير من العلماء في هذا المجال.

---

(١). محمد حميد فوزي عالم الأديان ص٢٥٥.

ولن نناقش وصف الحية التي أغرقت التوراة في تضخيمها وكيف أخذها اليهود عن بابل فقد ناقشنا ذلك سابقاً ولن نعود إليها مرة ثانية.

لقد أخذ القبالبون الآراء الفارسية وأدخلوها في تعلمياتهم، فالقبالة مجموعة باطنية من الحكم التي لها علاقة بأسرار الكون وبالآلهة والكائنات الأخرى ظهرت على يد عدد من الأحبار اليهود الذين تأثروا بالآراء الشرقية ودين زرادشت ونشأت عنهم حركة سميت الحكمة المستورة وصارت تعرف عند اليهود بالقبالة وهي كلمة آرامية تعني القبول والتصوف.

وقد وضع أسس القبالة موسى الليوني /١٢٥٠ ـــ ١٣٠٥م/ وهو من ألف كتاب مسمى بالزوهر وهي كلمة آرامية تعني النور والسناء أو الضياء التسمية مأخوذة من التوراة.

وهو من كتب التوعية عند اليهود وكتبه باللغة الكلدانية القديمة لكنه أنكر تأليفه وزعم أنه عثر عليه في إحدى خزائن الكنيس القديم، وقد ادعى أنه من أقدم الكتب الدينية التي يعود عهدها لزمن ظهور موسى عليه السلام لذلك أدخله اليهود ضمن مجموعة كتبهم المقدسة السرية، وبالرغم مما أخذته القبالة من الزرادشتية إلا أنها بقيت يهودية، ويدعي القباليون أن سفر التكوين عندهم مستمد من موسى وأن موسى استمده من إبراهيم إذا لم يكن من آدم أو ممن هو أقدم من آدم وأعلى مقاماً.

ويجمع الباحثون على أنه كتاب شيطاني يبحث في أمور مختلفة، وأمور قذرة بينما يدعي مؤلفه أنه التفسير الحقيقي للتوراة.

ويذكر المؤرخ جواد ايتلهان في كتابه الإسلام وبنو إسرائيل بأن القبالة تألف من جزءين:

١.سفر زوراح ويبحث عن الشياطين والجن والتنجيم والسحر والشعوذة.

٢.سفر باتريارخ ويبحث في الطقوس الدينية السرية وشؤونها مثل الخبز المعجون بدم أعداء اليهود، وأساليب القتل والتعذيب وعبادة العجل الذهبي وغير ذلك.

وتتصل أسرار الزوهر بالتوراة وكل كلمة أو حرف من حروفها يحمل باعتقاد القباليين معنى باطنياً والحياة في عرف الزوهر صراع بين الخير والشر.

ومن أساطير الزوهريين أن الاثنين والعشرين حرفاً من الأبجدية العبرية المشتقة من الآرامية نزلت من السماء قبل الخليقة بستة وعشرين جيلاً وأنها نقشت بنار ملتهبة[1].

ويؤكد جفري بارندز لقد تطورت صورة الشيطان على الأرجح تحت تأثير الثنائية الإيرانية وهو على كل حال يتعلق بثنائية ملطفة لأن الشيطان لا يوجد مقارناً منذ البدء مع الآلهة وليس بخالد ومن وجهة أخرى يجب أن يؤخذ في الحسبان تقليد أكثر قدماً ذلك الذي يدرك يهوه بصفته ككمال مطلق للحقيقة، أي أنه توفيق لمتعارضات كانت تتواجد فيه كل الأضداد وكذلك الشر، ونعيد إلى الذاكرة المثل الشهير لصموئيل:

---

(١). محمد حميد فوزي عالم الأديان ص٣٧٥.

روح يهوه انسحبت من شاول وروح شريرة آتية من الرب يـــهوه مما سبب له الرعب صموئيل الأول /١٦ و ١٤/ وفارق روح الرب شـــاول وزعجه روح شرير من لدن الرب[١] .

كما رأيت في الكتب الدينية الفارسية أن تاريخ العالم عندهم إنمـــا هو صراع بين الله والشيطان وينقسم هذا التاريخ إلى أربعة أقسام تمتد كل منها ثلاثة آلاف سنة، في الفترة الأولى والثانية كان الله والشبطان يجـهزان قواهما، أما في الفترة الثالثة فقد اشتبكا في الصراع وفي الفـــترة الأخـــيرة سوف ينهزم الشيطان في النهاية.

وفي بداية الخلق اخترق الشيطان استحكامات الســـماء وهـــاجم الإنسان الأول والحيوان الأول بالمرض والموت فهو لا يقدر على التعبير.

ولذلك فإن الزرادشتيين على خلاف اتباع الديانات الآخـــرى لا يعتقدون أن المادة شراً، إن العالم ينتمي إلى الله نفسه والواقع أن الشـــيطان لا الكائنات البشرية هو الذي يوجد في عالم مادي غريب وهو لا يستطيع أن يتخذ شكلاً مادياً وإنما يبقى في العالم متطفلاً محاولاً عبثاً تدمير أعمـــال الله[٢] .

وخير ما يمثل هذه النظرة إلى الشيطان ســـفر أيـــوب حيـــث إن الشيطان لا عمل له إلا تهديم أيوب لأنه وجد نعمة في عين الرب ولكـــن السفر يصور أن الشيطان عجز عن ذلك وانتصر الخير في سفر أيوب.

---

(١). بارندز جفري المعتقدات الدينية ص٢٩٦.

(٢). المصدر السابق ص١٢٠.

ولا يظهر أي تأثير للشيطان في الكتب الخمسة المنسوبة لموسى إلا ما سمي بعزازيل، أما وصف الحية فقد جاء بعيدا غير معقول، أما التصحيح المسيحي بدل ما عرضه سفر التكوين كليا وبشكل يتناقض تماما مع الرواية التوراتية، فحسب هذا التعديل الذي يتساوى مكره ونبله أن الشيطان هو الذي أخذ شكل الحية وأغرى زوجة آدم هكذا حرف اللاهوتيون الأمر وهكذا يعلمونه.

ولكن هذا التأويل ليس أكثر من تحريف صريح لكتاب التكوين أولا: ليس في النص كلمة واحدة تجيز مثل هذا التأويل.

ثانيا: بين مؤلفي أسفار العهد القديم ثمة اثنان فقط جاءا على ذكر الشيطان وهما صاحب كتاب أيوب الذي قال إن الشيطان قام في أحد الأيام ينازع الله في السماء، وصاحب كتاب طوبيا الذي تحث عن الشيطان زامادوس الذي عشق امرأة اسمها سارة فخنق أزواجها السبعة.

بيد أن هذين الكتابين لم يظهرا إلا في نهاية التوراة ولا نفع فيهما أو في أي سفر آخر من أسفارها على ذكر الشيطان لوسيفر وهو الشيطان الذي يطلب للكنسيين إظهاره في كل مرة يريدون إضافة مزيد من التوابل والتشويق للخرافات الدينية.

أما التوراة فلم تأتنا بأية قصة عن الشيطان الذي قام ضد الله فهزمه ميخائيل رئيس الملائكة، ولذلك فكل ما يخص الشيطان فيها اختلق في زمن لاحق على كتابة أسفار التوراة[1] .

---

(١). ليوتاكسل التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٢٢.

ويناقش لوتاكسيل مشكلة الحية والإغراء والجنة فيرى: أن الحية التوراتية لا تحتاج أن يسكنها الشيطان وهي أقل خبثا بكثير مما حاول أن يصفها سفر التكوين، تتميز قصة الحية بسذاجة مفرطة إضافة إلى أنها تعج بالمتناقضات، فعلى سبيل المثال ما الذي رمت إليه الحية حينما قالت لحواء ستكونان كالآلهة، إذن ثمة كثرة من الآلهة ، زد إلى هذا أن كلمة آلهة ترد في نصوص توراتية كثيرة وسنرى لاحقا أن الإله اليهودي يهوه لا يعتبر نفسه إلها وحيدا.

ولكن لنبق الآن مع هذا التعبير الذي وضع شارحي الإنجيل المسيحيين في حلقة مغلقة إذ يؤكد أن هذه الزاحفة قصدت بكلمة آلهة الملائكة فقال معارضوهم لم يكن باستطاعة الحية أن تعرف الملائكة، وهي لم تكن تستطيع أن تعرف الآلهة أيضا وللسبب نفسه تبقى السذاجة والتضليل سمتين دائمتين للتوراة[1] .

ولي هنا عدة أسئلة أحب أن أطرحها قبل أن أنتقل إلى فكرة آخرى:

١. لم اختار كتبة التوراة الحية؟

علما أن التوراة الأصلية فيها ذكر الشيطان وقد أكد على ذلك التصحيح المسيحي من جهة والتصحيح الإسلامي من جهة ثانية.

٢.من أين أتوا بالشيطان في مذهب القبالة؟

(١). ليوتاكسيل التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٢٤.

ويمكنني أن أجيب أنهم نقلوا صورة الشيطان عن الفرس أو عن بابل هذه الصورة ولهذا أستطيع أن أقول إن الديانة اليهودية لا ذكر فيها للشيطان إطلاقا وإنما الشيطان عندهم إله كبقية الإلهة التي أمرهم يهوه أن يبتعدوا عنها ولكن رغم تحذيراته الشديدة عادوا فعبدوا الشيطان عزازيل وتركوا له تيس المعزى ضحية الخطية.

٣.ما صفات الشيطان عند جماعة التوراة؟

يرد على هذا السؤال ليوتاكسل في التوراة اليهودية القديمة أي في أسفارها التي كتبت بعد السبي البابلي وبعد مضي آلف سنة على التاريخ الذي ينسب إليه موت موسى يجري الحديث عن الشيطان ويوصف فيه إبليس بأنه أكثر الشياطين أهمية، فالشياطين هي أرواح شريرة لكنها مثل يهوه والمقربين منه، ولا نقع فيها على إيضاح آخر فهم لا يصفون الشياطين بأنها كانت تاعسة مطرودة من الجنة السماوية ومقيدة إلى جدران جهنم المستعرة، ففي سفر أيوب نرى إبليس يتجول في السماء متبخترا، بل ويدخل في جدال مع يهوه نفسه، ولما رأى النقاد أن هذه الشياطين تعيش في التوراة عيشة مرحة ولا تعاني من عذابات جهنم أشاروا إلى أن هذه الحال تتوافق مع عقائد الكلدانيين والفرس الذين يعود تاريخ كتبهم المقدسة إلى زمن أكثر عمقا في التاريخ من كتاب اليهود وبناء عليه سجلوا الاستنتاج التالي:

((في فترة السبي البابلي أضاف اليهود إلى معتقداتهم بعض معتقدات الشعوب التي تأتى لهم العيش بين ظهرانيها أضف إلى هذا أن

الاسم الذي أطلقه اليهود على الشيطان الرئيس يحمل طابع الديانة الكلدانية أو البابلية ساتانا أي إبليس وليست كلمة يهودية بل كلدانية معناها الكره))[1] .

ولما رجعت إلى سفر أيوب وجدت ما يلي: ((وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضا في وسطهم فقال الرب للشيطان من أين جئت فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الآض ومن نعيش فيها))[2] .

أما سفر طوبيت فيعلق عليه لوتاكسيل ويؤكد النقاد أن هذا النص التوراتي الوحيد الذي يسجل فيه ذكر لكلمتي شيطان أو إبليس فالأرواح الشريرة عندهم فارسية المنشأ ومن المعروف أن الفرس آمنوا بوجود إلهين لهما القدرة نفسها أهورامزدا إله الخير وأهريمان إله الشر، وتحت إمرة كل منهما جيش فقد اقتبسوا ديانتهم عن جيرانهم ومستعبديهم، واقتبسوا معها الطقوس والخرافات الدينية، ويرغمنا كتاب طوبيت بأن الروح الشرير ازموراس كان مغرما بسارة ويغار عليها، وهذا يتوافق تماما مع التعاليم التوراتية عن الأرواح والملائكة والآلهة، وكنا رأينا في سفر التكوين أن الملائكة ضاجعوا بنات البشر وأنجبوا منهن العمالقة ثم أنشأ رجال الدين بعد ذلك خرافات كثيرة عن شياطين ضاجعوا نساء من البشر فولدن أولادا غير عاديين وشياطين أخرى سكنت أجساد شباب وفتيات بمختلف

(١). المصدر السبق ص٥٣.

(٢). العهد القديم سفر أيوب ٦/١ – ٧/ و ٢ /١ –٢/.

الطرق والوسائل وخرافات عن استدعاء الشياطين وطردها، ولقد كانت هناك كثرة من المعتقدات الخرافية الوحشية التي استخدمها رجال الدين وحتى الآن لاستغلال الغباء البشري[1] .

ويؤكد الدكتور صبري جرجس أن مفهوم الشيطان قد أخذ من الديانة الفارسية فيقول: ((واستمد أيوب مفهوم الشيطان من الديانة الفارسية فصوره واحدا من خدم الله لكنه ينزل إلى الأرض متجولا فيها لكي يرقب إذا كان أهلها ينفذون الوصايا الإلهية أو يهملونها، ثم يعود بعد ذلك مع أبناء الله الآخرين ليقدم تقريره إليه، وقد امتد هذا المفهوم إلى عهد الملك داريوس الفارسي فذكر زكريا النبي أن الشيطان كان يقوم بنفس المهمة أن يرقب الكاهن يشوع ليتحقق مما إذا كان نقي القلب وهو بحضرة يهوه))[2] .

يضيف الدكتور فؤاد حسنين رأيه في الشيطان عند اليهود وهو في رأيه يعتمد سفر زكريا الإصحاح الثالث: ((أما الشياطين فنجدهم في العقيدة اليهودية تلعب دورا خطيرا كما أن العهد القديم يفيض كثيرا بالحديث عنهم كما أن لفظ شيطان في العبرية يدل على كثير من المعاني البغيضة إلى النفس، فالشيطان هو العدو اللدود والدساس والخائن والذي يقود إلى التهلكة وقد ذكره سفر زكريا على أنه كائن غير بشري وهو

(١). ليوتاكسيل التوراة كتاب مقدس ص٤٦٤.

(٢). جرجس صبري التراث اليهودي والفكر الفرويدي ص٣٧.

كائن بغيض إلى النفس حتى أن كبير الكهنة يريد أن يشكوه إلى الله يوم الفصل إلا أن ملاك يهوه يحول دون تحقيق هذه الرغبة))[1] .

وفي سفر أيوب إص١ والثاني وأخبار الأيام الأولى ص٢ الشيطان فيه مرادف ليهوه حتى إن سفر أخبار الأيام الأول يذكر الشيطان، وفي سفر صموئيل الثاني يذكر يهوه، إن هذا الأمر يحدونا إلى أن نقول إن الشيطان في النصوص القديمة والعهد القديم ليس إلا صورة للمدعي وليس عدو الله.

وفي اليهودية المتأخرة والمسيحية نجد شخصية الشيطان تتطور وتتطور بعيداً فالشيطان له ملكوت وسلطان، وقد رأينا ذلك في القبالة وارجع إلى مرقس ٢١/٢٢ ولن أتابع في بحث الإلهين عند اليهود إله الخير وإله الشر أكثر من هذا.

---

(١). حسنين علي فؤاد اليهودية واليهودية المسيحية ص٩٩.

آدم

لم يعرف الفرس شخصاً باسم آدم قبل ماني ويعتبرون جيومرث أبا البشر ويقولون إنه هو آدم وإليه ينسبون.

حتى إذا جاء ماني سار في خط النسب كما أخذته التوراة واعتقد أن التوراة اعتمدت السلسلة النسبية التي اعتمدها ماني ونسبوا أنفسهم إلى إبراهيم الخليل، أما ماني فقد سار بالسلسلة منذ آدم حتى وصل إلى إبراهيم مروراً بإسحاق ويعقوب وإسماعيل ولكنه لم يعتبر إسرائيل ولا أعترف بنبوة موسى إطلاقاً.

يقول ماني: ((إن أول من بعث الله تعالى بالعلم والحكمة آدم أبو البشر ثم بعث شيثاً بعده ثم نوحاً ثم إبراهيم ومنه إلى بوذا حيث بعث الله في بلاد الهند زرادشت إلى أرض فارس.

والمسيح كلمة الله وروحه إلى أرض الروم والمغرب ثم بولس بعد المسيح ثم جاء خاتم الأنبياء ماني ورسول الله الحق إلى أرض بابل))[1] .

فهو لم يعترف بنبوة موسى عليه السلام فالديانة المانوية تختلط بأفكار بوذية ومسيحية وتحتوي كثيراً من معتقدات زرادشت الثانوية، ومع ذلك شكلت ديانة جديدة مستقلة تماماً.

وتدور العقيدة المانوية على الصراع الدائر بين النور والظلام.

---

(١). محمد حميد فوزي عالم الأديان ص٢٧٢.

فالنور عنده هو العظيم الأول وله خمسة أعضاء هي الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة، وله خمسة أخرى روحانية الحب والإيمان والوفاء والمروءة والحكمة، فهو لهذه الصفات أزلي خالد ومعه شيئان أزليان أيضاً هما الجو والأرض، وأما الكون فهو الظلمة وله خمسة أعضاء هي الضباب والسَّموم والسم والحريق والظلمة.

ويعتقد أن الشيطان جاء من هذا الكون المظلم وهو يصوره بشكل مناسب فله رأس أسد وجسم تنين وجناح طائر وذيل حوت وأرجل أربع كالدواب.

والآن نتساءل هل نقل اليهود قصة آدم عن ماني أم أن ماني نقل قصة آدم عن التوراة؟

والذي أراه أنهما نقلا ذلك عن مصدر آخر إذ لو نقل ماني عن التوراة لسار في الخط التوراتي نفسه ولأعترف بأنبياء بني إسرائيل وخاصة موسى، ولم ينقل اليهود عن ماني لأنه جاء متأخراً عنهم ولا يمكن أن ينقل السابق عن اللاحق.

الوصايا العشر

الوصايا العشر هي أهم ما ورد في التوراة، ويقف الباحثون عندها ويعتبرونها الركن الوحيد الباقي من عهد موسى ولكن كثيراً من العلماء شكوا في هذه الوصايا ولا يمكن أن تكون الوصايا إلا مصاغة من جديد على يد الكتبة ولا يمكن أن ترقى إلى موسى، وقد وجدت الوصايا في الكتاب المقدس على النحو التالي:

١.لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.

٢.لا تنطق باسمي باطلاً (باسم الرب إلهك).

٣.اذكر يوم السبت لتقدسه.

٤.أكرم أباك وأمك.

٥.لا تقتل.

٦.لا تزن.

٧.لا تسرق.

٨.لاتشته بيت قريبك.

٩.لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا آمته ولا ثوره ولا حماره.

١٠.لا تشهد على قريبك شهادة زور خروج ٢٠/١ – ١٧/ وتثنية ٥/١ –٢١/.

هذه الوصايا تعتبر شريعة اليهود ويقولون إنها الباقية من عهد موسى، ولكني أراها مأخوذة كما قلت من التراث المصري والفارسي وقد

ناقشت ذلك في الأدب المصري، والآن سأنقل لك هذه الوصايا من التراث الفارسي والهندي.

الوصايا العشر البوذية:

١. لاتقتل أحداً.

٢. لا تسرق ولا تغتصب ولا تأخذ ما لم تعط.

٣. لا تكذب ولم ترد هذه الوصية عند اليهود فقد سمح لهم بالكذب.

٤. لا تشرب خمراً، ولم ترد هذه الوصية عند اليهود فقد سمح لهم بالشراب مع العلم أنه ورد في التوراة ما يفيد تحريم الخمر.

٥. لا تزن ولا تخالف العفة.

٦. لا تأكل طعاماً نضج قبل أوانه، غير موجودة عند اليهود.

٧. لا تتخذ طبيباً ولا تكلل رأسك بالزهر، غير موجودة عند اليهود.

٨. لا ترقص ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء، وقد حضت اليهودية على الرقص والغناء حتى إن داود غنى ورقص والمزامير صورة عن الغناء.

٩. لا تقتن فراشاً وثيراً ولا أرائك فخمة ولا وسائد ولا حشايا وثيرة، لم ترد هذه الوصية عند اليهود.

١٠. لا تأخذ ذهباً ولا فضة، وهذه مخالفة صريحة لما جاء في التوراة.

أما وصايا ماني فهي:

١ .ترك عبادة الأصنام وهذه قريبة من وصية التوراة.

٢ .اجتناب الكذب، لم ترد عند اليهود.

٣.اجتناب البخل، لم ترد عند اليهود.

٤.لا تقتل، وردت في التوراة.

٥.لا تزن، وردت في التوراة.

٦.لا تسرق، وردت في التوراة.

٧.تعليم العلم، لم ترد في التوراة.

٨.تعليم السحر، وردت في التوراة خارج الوصايا العشر.

٩.لا تشك في الدين، وقد وردت في حياة بني إسرائيل شكوك كثيرة فقد قضوا حياقم في الشك في الإله ذاته.

١٠. عدم التقاعس في العمل، وردت في غير الوصايا العشر ما عدا يوم السبت فهو يوم راحة[1] .

(١). محمد حميد فوزي عالم الأديان ص٢٧٢.

الحساب

لم يؤمن اليهود بحساب آخروي و لم يأت في التوراة ما يفيد ذلك وكل ما ورد إنما هو حساب دنيوي واسمع لهذا الحساب:

١. ((أكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك)) تثنية ٥/١٦.

٢. ((واعمل الصالح والحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي حلف الرب لآبائك أن يغطي جميع أعدائك من أمامك كما تكلم الرب)) تثنية ٦/١٨.

٣. ((ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك، ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك قمحك وخمرك وزيتك ونتاج بقرك وإناث غنمك على الأرض التي أقسم لآبائك أنه يعطيك إياها)) تثنية ٧/١٢ — ١٣/.

والشواهد في هذا المجال كثيرة ولا ذكر لأي ثواب آخروي.

وقد ورد الحساب الآخروي في مصر وناقشناه سابقا كما ورد الحساب الآخروي عند الفرس (الحساب بعد الموت جاء في الأوفستا يبعث الموتى وتعود الحياة إلى الأجسام وتتردد فيها الأنفاس في العالم المادي كله إلى الأبد من الشيخوخة والموت والفساد والانحلال.

لقد آمن زرادشت بيوم الحساب والجزاء في الآخرة[1].

كما آمنت المانوية بيوم الحساب والثواب والعقاب لكل فرد حسب قوله وفعله، يقول ماني: هناك ثلاث طرق لحساب الناس أحدها إلى الجنان وهم الصديقون وثانيها الإنسان المحارب القابل للدين والبر الحافظ لهما من الصديقين، وثالثها الإنسان الأثيم المستعلي عليه الحرص والشهوة فيلقى به في جهنم.

وسبق لسفر أشعيا ٩/٢٦ أن أشار إلى البعث: ((أمواتك سيحيون وأشلاؤهم ستبعث)) غير أنه من الصعب تحديد تاريخ هذا، وأول مرجع لا جدال فيه يوجد في دانيال ١٣/١٢: ((ستبعث من جانبك في نهاية الأيام)) ومن الراجح جدا أن ذلك يتعلق بتأثير إيراني إلا أنه يجب أن يؤخذ في الحسبان أيضا مفاهيم العصور الحجرية الشرقية لآلهة الزراعة.

إن مذهب البعث سيكون معلنا باستمرار في الأدب الرؤوي يوشع ٥١/٦١ أو ٥٢، و ٦١/٦٢/ والرؤيا السريانية لباروخ ومن قبل الفريسيين وكان مقبولا منذ تبني المسيح بشكل عام باستثناء الصدوقيين أما بالنسبة للدنيوية الأخيرة فإن دانيال ٩/١٤ يصفها منطوية بحفور قديم.

وفي حلم هوشع اللاهوتي رأى الرب بوضوح جالسا على العرش ورأى الكتب المختومة وحضر محاكمة الملائكة المتساقطين والعصاة المذنبين بأن يقذف بها في مغارة متقدة ٩/٢٠.

---

(١). محمد حميد فوزي عالم الأديان ص٢٦٧.

وتعاود صورة العلي الأعلى ظهورها على عرش الدينونة دانيال إص٧/٣٣-٣٧/

إن مفهوم الدينونة الاخروية بالنار وهي كما أرجح من أصل إيراني جفري بارندز ص٢٩٤.

وعلى هذا الأساس حينما نقل اليهود توراهم من مصادر عديدة نقل إلى التوراة بعض الآراء التي يستشف منها الإيمان بالآخرة وخاصة الأنبياء المتأخرين، وانقسم اليهود على أنفسهم لاختلاف عقيدهم وإيماهم بيوم الحساب والآخرة:

١.الفريسيون وهم الكثرة الذين كانوا في زمن عيسى عليه السلام يعتقدون بالحياة بعد الموت للصالحين من البشر فقط ليشتركوا مع المسيح القادم في إنقاذ الناس وإدخالهم في دين موسى ثم يموتون والآخرة لهم بعد هذا.

٢.الصدوقيون ينكرون القيامة والحساب ويؤمنون بالحساب الدنيوي وهم الكثرة في الوقت الحالي ولم يرد ذكر لعذاب جهنم للأشرار على الإطلاق ولهذا أشار ويل ديورانت: ((إن اليهود قلما كانوا يشيرون إلى حياة أخرى بعد الموت ولم يرد في دينهم شيء من الخلود وكان ثواهم وعقاهم مقصورين على الحياة الدنيا))[1] .

أما مرسيا الياد فقد أشار إن الأدب الرؤوي لا يمثل مفهوما واحدا بالنسبة للآخرة وللثواب والعقاب والحساب.

---

(١). المصدر السابق ص٣٤٨.

أما جفري بارندز فله رأي جميل حول البعث في الزرادشتية أحببت أن أورده هنا لأبين الفارق الكبير بين من يؤمن بالبعث والثواب والعقاب وبين من لا يؤمن: ((عندما يزور الفرس النار يضعون على جباههم الرماد رمزا للتواضع والمساواة لمصدر القوة وغاية التاريخ عند زرادشت توزن أفعال الإنسان بعد الموت بميزان فمن رجحت حسناته ذهب إلى السماء ومن رجحت سيئاته ذهب إلى الجحيم حيث ينال العقاب المناسب للجريمة، ولكن ذلك لا يعني النهاية، فالجحيم الأبدي في نظر الزرادشتية هي التعاليم اللاأخلاقية والإله الطيب لن يسمح لعبده أن يعانوا إلى الأبد لأن الغرض من العقاب هو الإصلاح حتى إذا جاء يوم البعث أمكن أن يقوم الجميع بفعل المخلص لمواجهة الحساب الأخير عندئذ))[1] .

---

(١). بارندز جفري المعتقدات الدينية ص١٢٣.

ركن من أركان أي دين والصلاة ناقشناها مع التراث البابلي وسنناقشها مع التراث الفارسي، وقد عرفت الصلاة عند الفرس أنها ليست دعاءا كما يتوهم كثير من الناس بل إنها تضم الركوع والسجود ورفع اليدين إلى أعلى وهي لدى المسلمين نرفع اليدان عند التكبيرة بعد النية كما أن الركوع والسجود مرا معنا في التوراة بصورة كثيرة، وكان الفرس حينما يزورون النار يسجدون لها ويضعون جباههم على الرماد رمزا للتواضع والمساواة وكمصدر للقوة، وأما عدد الصلوات عند زرادشت فهي بعدد أقسام اليوم الخمسة وهي موزعة على النحو التالي: صلاة الصبح كاه هادن، وصلاة الظهر كاه رقون، وصلاة العصر كاه ازيرن، وصلاة الليل كاه عيادسريتر (المغرب) وصلاة الفجر كاه أشحص، وهي تقابل صلاة العشاء.

هذه صلوات مفروضة يوميا وهناك صلوات أخرى موزعة حسب المناسبات وهي خاصة، بالإضافة هناك أدعية في الصلاة لأهورامزدا عرفت عند زرادشت: ((هذا ما أسألك عنه فاصدقن الخبر يا أهورامزدا من رسم للكواكب وللشمس طريقها؟

إن لم يك بك فبمن يكمل القمر وينقص؟

من ثبت الأرض في الأدنى وأمسك السماء أن تقع؟

من أيها الحكيم خلق روح الخير؟

أي فنان أبدع النور والظلمات؟

من خلق الصباح والظهر والمساء ليعين اللبيب واجبه؟

إنه أنت يا واحد يا أحد، اكشف عن أسرار المعرفة كي تساعدني على نشر دينك، أيها الإله الواحد الحكيم يا أهورامزدا))[١] .

والملاحظ أن أوقات الصلاة عند زرادشت تقارب أوقات الصلاة عند المسلمين، وقد أخذ اليهود من هذه الصلوات الصلاة الصباحية والصلاة المسائية كما أنهم عرفوا الركوع والسجود.

النار

تلعب النار دورا شعائريا كبيرا وخاصة لدى العرق الهندي الأوربي ومن هذه الأمم كما يقولون الفرس وهي في الأساس هدية إلهية كما يقول اليونان قدمها بروميثوس للبشر ولها خصائص التطهير فهي في شيها للعجين تجعله خبزا طاهرا صالحا للأكل وكذلك اللحوم بعد شيها.

وقد لعبت النار في ديانة مزدك دورا مهما وبارزا فقد كانت ركنا مهما من أركان العبادة باعتبار النار مصدرا من مصادر النور وكثيرا من خصائص النار كانت مجهولة لدى عامة المزدكيين.

والعمل الديني الممتاز كان يقضي بإقامة نار مقدسة أي تشييد معبد ووقف مداخيل وواردات عليه وتسمية كهنة في هذا المعبد.

ومع أن زرادشت أدان بعض الأضاحي الدموية فليس مؤكدا أنه رفضها كلها وكانت النار شيئا مقدسا عند زرادشت لأنها مصدر النور[٢]

(١). محمد حميد فوزي عالم الأديان ص٢٦٨.

(٢). اليادمرسيا تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ص ٤٠١.

وكان لها كهنة خاصة والكهنة يدعون المجوس وقد شهروا بالسحر وارتبط هذا الاسم في اللاتينية بهم حتى إن كلمة ماجيك MAGIC ساحر مشتقة من المجوس، وكان المجوس هم الذين يعلمون الديانة الزرادشتية للناس حينما انتشرت هذه الديانة في إيران.

كما أن النار وصفت في أماكن كثيرة عند اليهود فهناك:

١. الصعود إلى السماء في مركبة نارية هذه السمة كانت شائعة في ديانات العالم وبخاصة في أسطورة ميترا التي شاعت بين الفرس واليونان والرومان فيما بين ١٤٠ ق.م و٤٠٠ق.م أي أنها سبقت صعود إيليا بستة قرون على الأقل وذاك المعبود الفارس الذي انتشرت عبادته بين اليونان والرومان صعد إلى السماء أيضا على مركبة نارية يجرها خيول من نار وهي أسطورة أخذها الرومان فنسبوها إلى بطلهم القومي رومولوس الذي أخذته الآلهة إلى السماء على مركبة مماثلة لينضم إليهم أمام الرومان بينما هو مستغرق في القيام بعمل ما من أجل الصالح العام في حقول مارس[1].

ولو رجعنا إلى سفر حزقيال لرأينا وصفا لهذه المركبة النارية ووصف العربة النارية استغرق الإصحاح الأول كله، سحابة عظيمة ونار مشتعلة وحولها لمعان وكروب بأجنحتها الأربعة ورءوسها الأربعة والعرش الذي يجلس عليه يهوه بمنظر حجر عقيق أزرق...[2].

---

(١). مقار شفيق السحر في التوراة ص٣٣٩.

(٢). حزقيال الإصحاح الأول وملوك ثان ص ١١/٢/.

٢.سمة إنزال النار من السماء وقد وردت في الملــوك الأول /١٨/ حينما بارز إيليا التشبي أبناء البعل وطلب منهم أن يضحوا بثور ثم ليدعـوا إلههم بعلا ليترل نارا فتحرق الأضحية وتقول التوراة إنهم عجزوا عن ذلك وكان عددهم/٤٥٠/ نبيا، ونجح إيليا في استرال النار وإحراق القربـــان وقتل الأنبياء أنبياء بعل ملوك أول /١٨/.

ويقول شفيق مقار: أما استنزال نار من السماء فثمة دينية متكـررة ومصاحبة للوجه السحري في ديانات بدائية لا تحصى ومنشؤها الانطبـاع المرعب الذي ولدته في ذهن الإنسان القديم ظواهر الـــبرق والصواعــق ولازالت قصة برومثيوس وسرقته للنار أسطورة معروفة(١) .

المركبة النارية

مرت المركبة النارية في التوراة في سفرين الملوك الثاني ص٢ حينمـا رفع إيليا إلى السماء وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيـل من نار ففصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء وكان إليشـــع يرى وهو يصرخ يا أبي يا أبي مركبة إسرائيل وفرسانها، ولم يـــره بعــد فأمسك ثيابه وقطعها قطعتين ورفع رداء إيليا الذي سقط عنـــه ورجــع ووقف على شاطئ الأردن ٢/١١ – ١٣/.

كما مرت بشكل مفصل أكبر في سفر حزقيال ¼ -٢٨/.

في هذا الموقع فصلت المركبة ووجوه الكروب والأجنحـــة وقــد نقلتها في غير هذا المقام ولا حاجة بنا للعودة إليها من جديد.

---

(١). شفيق مقار السحر في التوراة ص٣٨٠.

ويشير شفيق المقار إلى أن عدد الحيوانات الأربع التي مرت في سفر حزقيال يوجد لها عدد من السوابق بابلية إيرانية فينيقية ولهذا لا جديد في هذا السفر وإنما هو نسخ وسلخ.

وقد رأينا في مناقشتنا للنار أنه يتجه الصعود إلى السماء في عربة من نار كما حدث مع إيليا شائعة في ديانات العالم وبخاصة في الأساطير التي شاعت بين الفرس واليونان والرومان.

الكهنة

لعب كهنة اليهود دورا كبيرا في حياة اليهود وهم الذين أنشـــأوا لهم هذه الديانة، ولم ينس اليهود لهم هذه الفضيلة فوضعوا سفرا خاصـــا لهم سموه بسفر القضاة وكلهم من الكهنة كما خصصوا مـــن الأســـفار الخمسة الأولى سفرا خاصا سموه اللاويين أو الأحبار ولهـــذا صـــار لهـــم سفران من أسفار التوراة خاصان بهم كما أنهم أعطوا في التلمود مكانـــة كبرى فإذا اختلفوا مع يهوه فهم على صواب ويهوه على خطأ.

ومن البدهي أن تكون لهم هذه القيمة المثلى فهم صانعوا الديانـــة اليهودية فعزرا هو الذي أرسى قواعد اليهودية وختمها نحميا، أما الأنبيـــاء فهم أقل رتبة من الكهان بكثير لأننا نلاحظ أن النبي كان لا يؤبه له كمـــا في إيليا وإليشع أو ناثان النبي أو جاد في زمن داود وكان الكهنة هم الذين يصولون ويجولون.

وقد ناقشنا الكهنة اليهود عند نقاشنا للكنعانيين والمصريـــين ولم يقل كهنة الفرس أيضا عن هذا المستوى من الكهنة الآخرين.

والذي أثار انتباهي إلى أن بعض وظائف الكهنة اليهود وجـــدت عند الكهنة الفرس، أو قل إن اليهود نقلوا هذه الوظائف عـــن وظـــائف الكهنة الفرس.

١.الأضاحي: لقد رأينا في التوراة أن اللاويين خصصوا بالأشـــراف على الأضاحي وقد خصصت لهم من هذه الأضاحي الشيء الكثير وهـــو

غير ما كان عند الكهنة الفرس في الدولة الإخمينية وفي الأساس تظهر لنا المصادر المعاصرة:

- إن ميترا معبود في كل الإمبراطورية وهذا الإله له علاقات خاصة مع الملوك.
- إن المجوس يشكلون طبقة الكهنة المضحين الذين ينجزون على الأخص أضاحي دموية أبقار أو خيول[1]

٢.الوراثة: كان الكهنة الرسميون في اليهود ينتمون إلى سبط لاوي هذا ما قالته التوراة وهم يتوارثون بعضهم بعضا ولا يجوز أن يكون كاهنا من غير هذا السبط، وكذلك كان الكهنة الرسميون في إيران هم المجوس وهم طبقة مغلقة من الكهنة يتوارثون المناصب وغايتهم خدمة الدين وأيا ما كانت الطقوس التي تؤدى فهم الذين يقومون بها[2] .

هاتان السمتان مضافة إلى تعاليم الدين السمة الثالثة سرقها كهنة اليهود عن الكهنة المجوس ونسبوها لأنفسهم.

(١). مرسيا الياد تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ص٣٣٨.

(٢). بارندر جفري المعتقدات الدينية ص١٣١.

التنين

ناقشنا لوياثان ورهب في التراث الكنعاني والمصري، ولقد وجدنا الصراع مع التنين في المصادر الفارسية وقد وجد هذا القتال مع التنين في الدعوة المانوية، ومن التنين خلق الله هذا الكون الكبير عند ماني وفي خليقة ثانية يستدعي الأب الروح الحية التي بهبوطها نحو الظلمة تمسك يد الإنسان وترفعه صوب وطنه السماوي جنة الأنوار، وبقتلها للأرخونات الشيطانية تصنع النفس الحية السماوات من جلودها والجبال من عظامها والأرض من لحمها وبرازها.

نتصرف في هذه الأسطورة القديمة للخلق بالتضحية بجبار أو غول بدائي من نموذج نعامة.

وتكمل الروح الحية أول خلاص للنور بخلق الشمس والقمر والنجوم وجزئيات لم تعان كثيراً من الاحتكاك مع الظلمة[1] .

والذي أعتقده أن ماني نقل هذا عن الأساطير البابلية و لم يتعرف على التوراة ولا رأى أساطيرها، ولربما عرف اليهود هذه الأسطورة الفارسية فنقلوا قصة لوياثان والصراع مع يهوه.

---

(١). الياد مرسيا تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ص٤٢٢.

المخلص المسيح

هذه الفكرة لم يكن لها وجود قبل السبي، ولا أعتقد أن ما حل بهم في السبي أكثر هولاً مما كان يصنع بهم في مصر في عهد فرعون، إلا أنهم لم يكونوا يحلمون في يوم من الأيام بالخلاص أو برجل يأتي فينقذهم، لأنهم نشئوا على العبودية و لم يذوقوا طعم الحرية حتى يناضلوا من أجلها ولكنهم في الأسر البابلي فقد تذوق بنوا إسرائيل الحرية وعرفوا الحكم، وهم الذين أسسوا اليهودية فيما بعد، ولو تصفحنا الأسفار الخمسة كلها وخاصة التكوين والخروج لما وقعنا على أي أثر لمثل هذا الكلام، وقد تنبه الكاتبان الباحثان عباس محمود العقاد والدكتور أحمد شلبي إلى هذه الفكرة ورأيا أن مصدرها فارسي: ((قصة الخليقة في العقائد الإسرائيلية الأولى تشابه قصة الخليقة في ألواح بابل، وعقيدة المخلص موجودة في الديانة الفارسية والديانة اليهودية))(١)

أما جفري بارندز المتعاطف مع الصهيونية فأشار إلى ذلك دون أن يقطع برأيه حتى لا يلام على رأيه فقال: ((ربما كانت فكرة المخلص مدينة إلى حدٍ ما للأثر الإيراني لكن ربما كان التأثير الإيراني الأعظم قد حدث في تطوير الإيمان المسيحي اليهودي فقد اتفق الأحبار على نطاق واسع على أن التصورات اليهودية المتأخرة عن الشيطان والجحيم والحياة الآخرى والبعث وهاية العالم وصورة المخلص قد وصفتها الديانة

(١). أحمد شبلي اليهودية ص٢٣٧ وعباس محمود العقاد في كتابه (الله) ص١٣٧.

الزرادشتية بصفتها من الناحية الجغرافية جسراً بين الشرق والغرب وأسهمت في مجال الدين مساهمة هائلة))[1] .

أفرأيت أيها القارئ كلمة ربما هذه التي وضعها جفري بارندز؟

هذه العقيدة التي نقلوها عن الفرس أثرت فيهم تأثيراً بالغاً حتى أنه لم يخل قرن من القرون على مر الزمن دون أن تجد من يدعي أنه المسيح المنتظر المخلص لليهود من عذابهم وتشتيتهم، يجتمع حوله اليهود، يتجمهر حوله شبابهم، يرفضه شيوخهم لأنهم يرون أن عهده لازال بعيداً وهم في شتاتهم، ويسكت عنه الحكام ليظهروا أن لا مخلص لليهود وحينما يتعاظم خطره يقتله الحكام أو يستتيبونه فينقلب إلى ديانة أخرى، وهكذا يتبدد الحلم وتتلاشى الأماني وتخر عندهم الأمال.

هذه العقيدة لم توجد قبل السبي وانظر إلى ما وصف القرآن الكريم بني إسرائيل قبل الدعوة الموسوية وإنقاذ بني إسرائيل من فرعون: ﴿طسم * تلك آيات الكتاب المبين * نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾[2] .

وكما وصف القرآن الكريم حالة بني إسرائيل وصف التوراة حالتهم فقالت: ((ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف

---

(١). بارندز جفري المعتقدات الدينية ص١٣٤.

(٢). القرآن الكريم سورة القصص الآيات ١ – ٤.

فقال لشعبه هو ذا بنو إسرائيل أكثر منا وأعظم هلم نحتال لهم لئلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويصعدون من الأرض فجعلوا عليهم رؤساء تسخير لكي يذلوهم بأثقالهم فبنوا لفرعون مدينتي مخازن فيثوم ورعمسيس، ولكن بحسبما أذلوهم هكذا نموا وامتدوا في ختشوا مدن إسرائيل فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل، كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفاً، وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات اللتين اسم إحداهما شفرة والأخرى فوعه وقال حيثما تولدان العبرانيات وتنظر أنهن على الكراسي إن كان ابناً فاقتلاه وإن كان بنتاً فتحيا،... ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً كل ابن يولد تطرحونه في النهر لكن كل بنت تستحيونها))[1] .

لي على هذا النص مايلي:

١. نما شعب إسرائيل وكانت له قابلتان والقابلتان لا تستطيعان توليد قرية فيها بضعة آلاف فكيف بهذا الشعب الذي كان أكثر من شعب مصر.

٢. أوكل مهمة قتل الأطفال للقابلتين فلم تغفلا شيئاً من هذا والقاتل يجب أن يكون من شعب مصر.

٣. العمل العنيف والسخرة التي لقوها في مصر ليست من سبي بابل بل كانوا في السبي وحسبما وصفت التوراة أنهم لم

---

(١). العهد القديم سفر الخروج ص١/٨ –١٦ و ٢٢.

يكونوا يعملون في السخرة إنما أجلوا جلاءً فقط وينتقلون كما يشاءون.

٤. لم ترد فكرة المخلص في الخروج إطلاقاً مما يدل على أن هذه الفكرة ليست من صلب الديانة ولا أتى بها موسى في يوم من الأيام، ولو كانت لديهم أية فكرة لوردت في أحد الأسفار الخمسة، ولهذا قال الباحثون إن فكرة المخلص استقاها اليهود من الديانة الفارسية وقد أكد ذلك الباحث جورجي كنعان فقال: ((واعتقدوا أن المسيحيين أخذوا فكرة المخلص عن البابليين أو الفرس فقد كان البابليون يعتقدون أنه كلما استشرى الفساد في الأرض واستغرقت البشر حمأة الشرور والآثام عاد إليهم مردوخ ليطهرهم ويشيع الخير فيهم.

وتبشر الديانة الزرادشتية التي وضع مبادئها زرادشت/٦٦٠-٥٨٣ ق.م/ بظهور مخلص من بيت زرادشت مرة كل ألف عام لكي يناصر أهورامزدا إله الخير على أهريمان إله الشر أخيه كلما أمعن في الفساد في الأرض واستفحلت الشرور، فعجزهم في تشتتهم وقصورهم المادي كانا ينتهيان بآمالهم إلى مجرد الرجاء من إله داود أن يبعث إليهم من لدنه مخلصاً ينقذهم من هوان الأسر.

فكانت نبوة التجمع وفكرة مجيء مخلص دعوة سياسية آمنوا بها كباعث على التحرر من وطأة السبي واستعباد الشعوب لهم وكمنطلق ديني يجمع اليهود باسم الشريعة وطقوسها وذبائحها وأنظمتها))[1]

هذه الفكرة حاولوا أن ينفخوا فيها ويثيروا حماس اليهود في كل أزمانهم فلبثوا دهراً يتخيلون المسيح الموعود ملكاً صاحب عرش وتاج يفتح فلسطين بالسيف ويعيد بناء الدولة الوائلة لتقاد إليها ملوك الأمم ويلحسوا غبار رجليها.

ولما كان مجيء المسيح اليهودي يعتبر ديناً للعالم فلا بد أن يسبق وجوده عودة للفوضى ولعماء البدء ومن هنا كانت الآلام والمصاعب التي يظن اليهود أنهم كابدوها عبر تاريخهم تفسير أنها الآلام التي تسبق مجيء المسيح المنتظر.

ويقول الدكتور طيب التيزيني في هذا الصدد: ((وحينما طال انتظارهم في السبي البابلي للمسيح الملك وتعلقت آمالهم بعودة المملكة على يد بطل من أبطال الغيب و لم يكن هذا البطل مقصوراً عندهم على ذرية داود فقد رأوا في كورش الفارسي مسيحهم المنتظر))[2]

وقد ورد في سفر أشعيا عن كورش:

١.أنا الرب القائل عن أورشليم ستعمر ولمدن يهوذا ستبنين وخربها أقم، القائل للجب انشفي وأنهارك أجفف، القائل

(١). كنعان جورجي تاريخ يهوه ص١٤٠.

(٢). تيزيني طيب من يهوه إلى الله ص١٤٣.

عن كورش راعيَّ فكل مسرتي يتم ويقول عن أورشليم ستبنى وللهيكل ستؤسس.

٢. هكذا يقول الرب لمسيحه كورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه أمما وأحقاء ملوك أجل لأفتح أمامه المصراعين، والأبواب لا تغلق، أنا أسير قدامك والهضاب أمهد، أكسر مصراعي النحاس، ومغاليق الحديد أقصف، وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ لكي تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك إلى إسرائيل لأجل عبدي يعقوب وإسرائيل مختاري دعوتك باسمك لقبتك وأنت لا تعرفني أنا الرب وليس آخر لا إله سواي))[1] .

وأحب أن أتابع رأي الدكتور طيب التيزيني في هذا المجال ليظهر التعاطف القائم بين الفرس واليهود في ذلك الزمان، وعن كورش يقول: رب الجنود كما تنبأ أشعيا هو يبني مدينتي ويطلق سبي لا بثمن ولا بهدية كان قرار الإمبراطور الفارسي كورش بإطلاق السبي اليهودي وبناء مدينة أورشليم لأن أمه أستير اليهودية أرضعته لبان إسرائيل ومحبتها ، ولأن كورش كان يصبو منذ احتلال جيوش الفرس لبابل عام ٥٣٨ ق.م إلى الاستيلاء على الطريق التجارية والعسكرية الهامة فلسطين وكان يخشى أن تفاجئه مصر بزحف من جهتها قبل أن يضمن كسبه من المماليك.

---

(١). العهد القديم سفر أشعيا ٢٦/٤٤ –٢٨/ و٤٥/١ –٥/.

وبما أن فلسطين في منتصف الطريق بينه وبين مصر واعتقادا منه بأن اليهود لن يتعاونوا مع مصر رأى أن يرجع المسبيون منهم إلى أورشليم وأن يبنوا هناك حصونا قوية تسمح لليهود المسبيين بالعودة إلى فلسطين، وساعدهم أيضا بل أمرهم بالعودة.

وكان على اتصال بكورش يهودي ممن سبوا ونقلوا إلى تل أبيب اسمه أشعيا وأكثر الظن أن أشعيا كان عميلا وجاسوسا لكورش في بابل وهذا ليس بالمستغرب طالما أن اليهود كانوا ينظرون إلى بابل أسوأ النظر ويضمرون لها أشد الحقد والعداء...

ولذلك كان أشعيا يرى في كورش مخلصا اختاره الرب كي يخلص اليهود واعتز به أعظم الاعتزاز ورأى فيه المسيح المنتظر.

ولا بد أن كورش بن أستير اليهودية قد لمح لأشعيا بطريقة ما أنه سيصبح يهوديا إذا ما كتب له النصر وأنه يعمل على تحقيق كل ما كان يحلم به أشعيا وذلك تطمينا وحثا له كي يعمل كل ما في طاقته، وطاقة شعبه لطعن بابل في عقر دارها والوقوف في فلسطين بوجه المصريين إذا ما حاولوا أو قرروا مهاجمة كورش في بابل أو في فارس، وقد عمل أشعيا على إقناع المسبيين بخطة التعاون مع كورش وخيانة بابل كخطوة أولى باتجاه العودة[1] .

ولي على هذا النص مايلي:

---

(١). طيب تيزيني من يهوه إلى الله ص١٤٤.

١. كورش ليس ابن أستير فقد شرحت هذا فيما مضى فإستير زوجة أرتحششتا.

٢. الأسطوانة التي عثر عليها وقد عرضتها فيما مضى تكذب تهويد كورش.

٣. إن الأمر الذي أصدره كورش ليس له ما يدعمه من الآثار أو الوثائق سوى ما قاله اليهود.

٤. تضارب بين سفري عزرا ونحميا على العودة إلى فلسطين في زمن من هل هو في زمن كورش أم أرتحششتا؟

٥. أعتقد أن هذه العبارات أضيفت إلى السفر فيما بعد حينما نظر إلى الدولة الفارسية منقذة لهم من أسر بابل وسمحت لهم باللجوء إلى فلسطين.

إن هذا الأمر جعل عزرا ونحميا يتضاربان في آرائهما كما بينت سابقا ويؤكد الدكتور سوسه في كتابه العرب واليهود في التاريخ أن فكرة المسيح المخلص مأخوذة من الديانة الزاردشتية وفي هذا الصدد يقول: ((وعقيدة المسيح المنتظر يرى البعض أن هذه الفكرة برزت من الفكر اليهودي في وقت متأخر ولم تظهر إلا بعد سقوط دولة اليهود وأسرهم في بابل ثم خضوعهم للفرس وهذا ما دفع كثيرا من الباحثين إلى الاعتقاد بأن فكرة المنقذ المخلص مستعارة من الزرادشتية التي كان بها يدين الفرس، وتتحدث التوراة في بعض أسفارها عن المسيح المنتظر فتقول: يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه

عجيبا ويكون إلها قديرا وأبا أبديا رئيس السلام لنمو رئاسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكتها يثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد غيرة رب الجنود تفعل هذا))(١) .

ويضيف ويلز صاحب كتاب تاريخ معالم الإنسانية بأن نشوء فكرة المخلص جاءت على النحو التالي: ((وهناك فكرة في التوراة تدحضها التوراة ذاتها في تفصيلها وهذه الفكرة هي القول بأن الناس قاطبة هم أبناء نوح وثمة فكرة أخرى وعد قطعه يهوه لإبراهيم بأن يفضل الشعب اليهودي على جميع الناس وثمة فكرة ثالثة هي الاعتقاد بأن يهوه هو أعظم وأقوى آلهة القبائل طرا، فكانت هناك فكرة رابعة نشأت عن هذه الفكرات الثلاث هي الفكرة القائلة بأن هناك زعيما منتظرا أو مسيحيا منتظرا يحقق ما تراءى به الزمن من وعود ليهوه طال عليها الأمد))(٢) .

وأرى أن سفر أشعيا كله لم يكتب إلا بعد منتصف الدولة الفارسية وليس في زمن كورش ولهذا لم يكن أشعيا كما قال الدكتور تيزيني وإنما هناك يهود استطاعوا الاتصال بكورش وتأمروا معه ضد بابل فسقطت بابل في الليلة التي قتل فيها نابونيد ودخل كورش ولم تكن في تلك الفترة دخلت فكرة المخلص في الفكر اليهودي بشكلها الواضح.

---

(١). سوسة أحمد العرب واليهود في التاريخ جـ١ ص٣٠٤.

(٢). ويلز ج هـ تاريخ معالم الإنسانية جـ٤ ص٢٩١.

وينكر الدكتور حسن ظاظا وجود فكرة المسيح المخلص في التوراة ويبرهن على ذلك بقوله: فكرة المسيح المخلص تأتي فكرة انتظار المخلص أو المسيح مقترنة بفكرة تمديد عهد الرب أو فكرة العهد الجديد عندما تتجدد أمة الله لتصبح جديرة بالله. أشعيا ص٢٥/٦ —١٠/.

كما أن فكرة الآخرة لا تبدو كما قلنا من خلال أسفار التوراة الموسومة بحالتها المعروفة فإننا لا نكاد نرى شيئا يشعر بفكرة انتظار المسيح المخلص كذلك، ولكن الباحثين واليهود منهم بوجه خاص تأولوا ذلك من خلال آيتين في التوراة مع كثير من التعسف الآية الأولى تكوين٢٩/١٠ ((لايزول صولجان يهوذا ومشترع من سلالته حتى يأتي شيلوا وتطيعه الشعوب)).

ونحن نسأل مع الباحثين في نص العهد القديم عن شيلو؟ والواقع أنه لا يوجد لهذا السؤال جواب شاف فقد حرص على أن يذكره كما هو دون تعليق، واعتبره بعضهم تحريفا من الناسخ، وحاول أن يصحح التحريف برأيه، فمثلا يجد سعديا الفيومي من خلال ترجمته العربية يبدو أنه قرأ شلو وهي بالعبرية معناها الذي له، الذي ينتمي إليه، ولذلك يقول في ترجمة العربية: ولا يزول القضيب من يهوذا والراسم من تحت أمره حتى يجيء الذي هو له وإليه مجتمع الشعوب.

أما الفرنسي جينير يرى وجها آخر في تصحيح هذا التحريف فيقرأ موشلو بدل من شيلو ومعناها حاكمه والمسيطر عليه والترجمة الرسمية للحاخامية اليهودية بفرنسا تقرأ شاليوا ومعناها المسالم المتمسك

بالهدوء والسكون، وكلها كما ترى افتراضات حول نص غامض لا سبيل إلى الوصول لوجه الحق فيه، ومع ذلك فإنه بعد كل ما يمكن تصوره من تعديل أو تصحيح لا يمكن أن ينطبق على المخلص أو المسيح بحال من الأحوال، ويرى دريفر أن الإصحاح ٢٩ من سفر التكوين الذي يبارك فيه يعقوب الأسباط هو بطبيعة الحال مقحمة على يد كاتب من المدرسة اليهودية أخذه من مصدر مستقل، فالملابسات التاريخية والجغرافية التي تشع منه هي نفس الملابسات المعروفة في عهد القضاة وصموئيل وداود وهو العصر الذي أخذت فيه عادة بركة شيخ القبيلة شكلها الشعري الذي نراه، ويوافق هذا الرأي الألماني ولمان وكذلك العلامة السويسري لوسيان جوتيبه وغيره.

أما الآية الثانية التي وجدها بعض الباحثين في توراة موسى وتوهموا أنهم عثروا فيها على المخلص المسيح المنتظر فتقول العدد ١٧/٢٤: ((إنني أرى وليس حاضرا أبصره وليس قريبا يبرز كوكب من يعقوب ويقوم صولجان من إسرائيل فيحطم طرفي مؤاب ويخسف كل أبناء الغرور)).

الآية تنطوي على غموض لا يقل عن سابقتها والترجمة التي أثبتناها هي ما فهمته الحاخامية الفرنسية، أما الترجمة العربية الكاثوليكية فتثبت بدل المقطع الأخير، ويريح جميع بني شيث على حين أن الترجمة العربية البروتستنتية تقول: ويهلك كل بني الوغى، ويترجمها الفيومي: ويزلزل سائر بني شيث، ومهما يكن من شيء فإن هذا الوصف جبار

حرب منتقما شديد البطش بعيدا عما يقترن بفكرة المسيح المنتظر من الوئام والسلام[1] .

مما يثبت عقيدة المخلص المسيح أن اليهود قد أخذوها عن الفرس ما قاله ديوارنت صاحب قصة الحضارة جـ٢ من المجلد الأول ص٣٤٠:

ويذكر العلامة الباحث ول ديوارنت في كتابه قصة الحضارة رأيه في العهد القديم فيقول: ليس العهد القديم شريعة فحسب بل هو فوق ذلك تاريخ وشعر وفلسفة من الطراز الأول، وإذا ما أنقصنا من قيمة الكتاب بما فيه من أساطير بدائية ومن أغلاط تاريخية وأقررنا أن ما فيه من أسفار تاريخية لا تبلغ من الدقة أو من القدم ما كان أجدادنا السابقون يفترضونه فيها، ثم ذهب يشرح ذلك ويقول: إن قصة آدم والشجرة مأخوذة من ألواح بابل حيث كان البابليون يعتقدون بأن الإنسان تمرد على الموت وطمع في خلود دائم، فبحث عن ثمرة البقاء في السماء وهنالك خدعه إله ماكر عن بغيته فناوله بدلا منها ثمرة تشبهها في ظاهرها، ولكنها في الواقع ثمرة الفناء.

وعقيدة المشيح المسيا أو المسيح المنتظر موجودة أيضا في الديانة الفارسية ويبدو حسب رأيه أن اليهود استعاروها منهم في زمن النفي إلى بابل واستعاروا من البابليين أيضا قصة نوح والطوفان التي وردت عند البابليين باسم مغامرات جلجامش والطوفان الذي حصل في عهده، وأما

---

(١). ظاظا حسن الفكر الديني اليهودي ص٩٩.

قصة خلق العالم كما وردت في سفر التكوين فهي من البابليين حيث وردت عندهم قصة الإله مردوخ وكيفية خلقه للعالم، وأما قصة برج بابل التي وردت في سفر التكوين فهي مستعارة أيضا من قصة الأبراج الشامخة المذكورة في الأساطير البابلية.

وينتهي ول ديوارنت إلى القول بأن نصوص العهد القديم وأسفار موسى الخمسة ترجع في كثير من أصولها إلى تراث الأمم السابقة مثل البابليين والفينقيين والآشوريين والفراعنة كما أنه يلحظ تأثيرات اليونان وخاصة في سفر الجامعة وتأثيرات الفرس وغيرهم من الأمم ويذكر ول ديوارنت أن شريعة موسى لم يبق منها سوى القليل القليل(1).

---

(1). البار محمد علي المدخل إلى الدين اليهودي ص١٢٨. وارجع إلى ول ديوارنت قصة الحضارة جـ٢ ص٣٤٠ ـ ٣٤٢.

المرأة

يمكن مناقشة المرأة في الكتاب المقدس من ناحيتين:

- المرأة الخطيئة.
- المرأة والجنس.

احتلت المرأة عند اليهود دورا ثانويا واعتبرت أصلا للخطيئة فهي لم تخلق إلا بعد الرجل وآدم هو الذي صنعه يهوه من طين وبعد فترة لا ندري ما طولها أخذ ضلعا من أضلاع آدم فصاغه حواء.

((فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحما وبنى الرب الإله من الضلع الذي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم، فقال آدم هذه الآن عظمة من عظامي ولحم من لحمي هذه تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا))[1] .

وبهذا باتت المرأة عند اليهود تابعة للرجل فهي جزء من وليست الأصل، ولن أفند هذه الفكرة هل المرأة ظل للرجل وتابعة له في اليهودية وأناقشها وإنما عرضتها لأصل منها إلى المرأة الخطيئة.

عاش آدم وحواء في الجنة ما عاشا بعد أن شرط يهوه عليهما أن لا يذوقا من الشجرة المحرمة التي نهاهما الله عنها.

ولكنها المرأة أسباب الخطيئة وهي التي أوقعت آدم بحبالها فأكلت من الشجرة المحرمة وأطعمت زوجها منها فكان السقوط.

---

(١). تكوين ٢/٢١ –٢٤/.

((فقالت المرأة للحية من ثمر الجنة نأكل وأما الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا فقالت الحية للمرآة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان))[1].

وبعد أن علم يهوه بما فعلت حواء غضب على حواء وعقبها ولعن الأرض بسببها وبسبب خطيئتها، وهكذا كانت المرأة هي السبب في الخطيئة وحملت المرأة إثم السقوط واعتبرت أسباب بلية في الحياة.

ومن ثم لم يرد بعد ذلك ذكر المرأة إلا عرضا من خلال زواج الرجل بها ولم تمر المرأة في مكان إلا ذكرت بشكل لا يشرف فراحاب الزانية وثامار التي زنت بعمها أو زنى بها عمها، وراعوث المؤابية التي زنت بيوعز ونامت في فراشه قبل أن يتزوجها وهي جدة داود.

ولم يمر معنا دور مشرف للمرأة إلا في القضاة دبورة كانت قاضية وانتصرت على الآراميين في معركة دامية.

حتى إذا ما وصلنا إلى سفر التثنية والحلال والحرام رأينا المرأة في مكان منحط بحيث اعتبرت نجسة في أكثر أيام حياتها ومن نجاساتها التي عددتها التوراة:

---

(١). تكوين ٣/٢ –٧/.

١.إذا طلقت المرأة فلا يحل لمطلقها استرجاعها بعد زواجها لأنها صارت نجسة فزواجها من غير زوجها نجّسها وذلك رجس لدى الرب تثنية ١/٢٤ –٤/.

٢.إذا زنت امرأة رجل وخانته خيانة عدد ١٢/٥/.

٣.امرأة زانية أو مطلقة أو مدنسة لا يأخذها اللاويون لأنها نجسة لاويين ٨/٢١/.

٤.إذا كان في امرأة جان أو تابعة فإنها تقتل.لاويين ٢٧/٢٠/.

٥.المرأة الطامث نجسة. لاويين ١٩/١٨/. وقد حددت التوراة نجاسة المرأة الطامث طالما هي في نزيفها حتى الفراش الذي تضطجع عليه والمتاع الذي تجلس عليه وحتى من مسها يعتبر نجساً يومه بكامله.

٦.المرأة النازفة أيضاً تعتبر نجسة كالمرأة الطامث.

٧.المرأة الجنب نجسة طيلة نهارها لاويين ١٦/١٥ – ٢٢/.

وهكذا اعتبرت المرأة نجسة كل هذه الأيام أما الخطيئة فاعتبرت هي أسباب الخطيئة وباتت المرأة متاعاً تورث من رجل ميت إلى أخيه، لا يجوز لها أن تتزوج إذا لم تعرض نفسها على أخي زوجها وبكرها من الثاني يسمى باسم زوجها الأول، وهكذا صارت متاعاً واعتبرت بمترلة البهائم لا الإنسانة، وقد أخذ هذا التداخل لطمث الأنثى في الشر أخذه اليهود من تأثرهم بمعتقدات الفرس الدينية بعد انهيار الإمبراطورية البابلية وارتماء اليهود في أحضان مسيح الرب قورش وشعبه، ففي أسطورة

التكوين الفارسية التي أخذ اليهود منها شيمة إله النور وأبناء النور في مواجهة إله الظلام وأبناء الظلام والوحش في رؤيا اللاهوتي والأمم في رؤيا النبييم نعثر على تجسد الخوف اللامتعقل من سخرية طمث المرأة وهو كما نجده عند يهوه يتجاوز بكثير مجرد نفور أو نجاسة أو تأفف من قذارة فإله الظلام الذي أسمي في تطور عبارات الفرس بأهريمان الإله الضد كان قد اتفق مع أهورامزدا اتفاقاً يقضي بأن يخلي كل منهما العرش لأخيه مقدار ثلاثة آلاف سنة يخلد فيها إلى النوم الإله الذي يترل عن عرشه وبينما إله الظلام مستغرق في نومه تأتي الشيطانة الأنثى ياهي (تجسد الشر الكامن في دم الحيض) لتوقظه بعد أن انبجست من ظلمة الكهف، فتصرخ في أذنه بصوت ثاقب قم يا أبت يا أبانا جميعاً ولسوف أسير أنا أمامك وأضع في العالم من الشر ما يجلب الشقاء على قلب أهورامزدا إله النور وملائكته فأفسد كل بشر صالح وأضعف كل ثور قوي واسمم كل بئر جار وكل عين وأذبل النبات وألوث حتى النار وكل الخليقة، وإذ ذاك يستيقظ إله الظلام ويقبل ابنته ياهي على جبهتها ويذهب ليحتل العرش ويجلب الظلام على العالم ثلاثة آلاف سنة(١).

ولي على هذا النص مايلي:

١.إن ياهي إلهة الشر إذ صح التعبير أو الشيطان الأنثى عند الفرس أليس يهوه مأخوذاً منها.

(١). مقار شفيق الجنس في التوراة والعهد القديم ص٢٥٢.

٢.إن أهورامزدا إله الخير قد نبهت آنذاك إلى أن أهو قد أخذه اليهود فصاغوا منه يهوه.

نحن الآن في صياغة يهوه قد عرفنا سره فهو مصاغ من إله الخير أهو ومن الشيطان الأنثى ياهي، وتمت صياغة الإله الذي يريدون ولا ننسى أن الإله يهوه حسب الاعترافات في سفر التكوين أنه يمثل الأنثى والذكر معاً ارجع إلى التكوين الإصحاح الأول.

٣.إن نجاسة المرأة عند اليهود وخاصة في طمثها قد تجاوز حدود المعقول فهي في كل ما تمسه نجس سواء كان متاعاً أو فراشاً أو رجلاً وعليه أن يغسل بالماء حتى يتطهر ناهيك عن نجاستها، وعلى هذا الأسس اعتبرت المرأة في التوراة سبباً من أسباب الغواية وإفساد بني إسرائيل وسترى ذلك في مواقع كثيرة في التوراة.

١.ففي العدد ص٢٥ نجد أن نسوة مؤاب ومدين قد أغوين الشعب وزنى بهن فحمي غضب الرب على إسرائيل ومات بالوباء أربع وعشرون ألفاً.

٢.وسليمان قد أغوته نساؤه فمال قلبه إلى آلهتهن.

٣.داود زنى بامرأة أوريا وكان سبباً في مقتله.

٤.ثامار زنت بعمها يهوذا.

٥.ثامار ابنة داود زنت بأخيها أمنون وكانت سبباً في الصراع الملكي بين أمنون وأبشالوم وداود.

والأمور كثيرة في هذا المجال ولن أتابعها فهي مملة إلى القارئ وتكفي هذه الأمثلة، ولم يرد في النساء من ذكر بالشرف والاستقامة إلا دبورة النبية.

المرأة والجنس أو زواج المحرمات:

قبل أن نبدأ بتعداد الزواج بالحرمات أحب أن أنقل نصاً من نصوص التوراة فيها المحرمات التي وضعها كتبة التوراة وهو الأثر الوحيد المتبقي من موسى، وقد ورد نص التحريم في الإصحاح الثامن عشر سفر اللاويين:

((لا يقرب إنسان إلى قريب جسده ليكشف العورة)) لاويين/٦-١٨/.

والمحرمات في النص هن:

١.الأم. ٢.زوجة الأب. ٣.الأخت من الأم أو من الأب.

٤.الحفيدة. ٥.العمة. ٦. الخالة. ٧.الكنة. ٨.امرأة العم مؤقتة.

٩.امرأة الأخ حرمة مؤقتة. ١٠. أم الزوجة. ١١.بنت الزوجة.

١٢.حفيدة المرأة. ١٣.أخت الزوجة حرمة مؤقتة.

وقد ورد النهي عن كشف عوراتهن والعقوبة الملازمة لذلك في الإصحاح العشرين من اللاويين ولن ندخل في تفاصيل هذه العقوبات لكن العقوبة بشكل عام هو القتل والرجم والتحريق بالنار، وفي الإصحاح العشرين سقط من هذه المحرمات:

١.حفيدة المرأة. ٢.أخت المرأة. ٣.الحفيدة ابنة الابن أو بنت البنت. ٤.بنت المرأة.

ولم يحرم النصان معاً ابنة الأخ أو ابنة الأخت، أما في سفر التثنية فقد أشار إلى بعض المحرمات وكانت اللعنة عقوبة لمن يتناول هذه المحرمات، وفيها حرم الأخت والحماة وزوجة الأب وقل شدد عليهن لأن الكاتب شعر بأن بعض الرجال تناولوا هذه المحرمات.تثنية٢٧/ ٢٠،٢٢،٢٣/.

أما البقية فلم يتطرق النص إليهن لا من قريب ولا من بعيد، ونحن أمام هذا التضارب لانستطيع أن نقرر أي مصدر يتبعه اليهود هو الأصح.

لكننا سنرى كل هذه المحرمات قد انتهكت وعلى يد رجال تحدث عنهم كتبة التوراة وأشادت بهم، وكل هذه المحرمات المنتهكة كانت من تأثر اليهود في الديانة الفارسية، ولنأخذ أمثلة على ذلك لكل حرمة مثالاً:

١.زوجة الأب:

ارتكبت هذه الجريمة في موضعين من مواضع التوراة المرة الأولى راوبين أحد الأسباط كما تدعي التوراة، والثانية أبشالوم بن داود، ففي راوبين تقول التوراة: ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل كيف اضطجع معها رأوبين ولم يحرك إسرائيل ساكناً، وأما كيف غضب أبناء إسرائيل على شكيم بن حمور صاحب مدينة شكيم

لأنه فسق بدينة ابنة إسرائيل، فهذا أمر نتركه للقراء ليحكموا مع العلم أن حكم التوراة لا يبيح لهم قتل شكيم فكيف بقتل أهل المدينة؟ وقد تكرر ذلك مع أبشالوم بن داود إذ فسق بسراري أبيه كلهن وعلى مرأى من إسرائيل كلهم، ولم يقم من بني إسرائيل من يقيم عليه الحد[1] .ويعلق كاتب الإصحاح هذا على عمل أبشالوم: (وكانت مشورة أختيوفل التي كان يشير بها في تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله).

٢.الأخت:

ورد تحريم الأخت في التوراة وشدد في تحريمها سواء أكانت أختاً من أم أو من أب وأم أو من أب، وسواء ولدت في البيت أو خارجه ورغم هذا التشديد كما رأينا فقد نسبت التوراة الزواج بالأخت إلى عدة شخصيات كبيرة في تاريخ اليهود كما يدعون ومنهم:

- إبراهيم الخليل: فقد نسبوا إليه أنه تزوج سارة بنت هاران وهاران أخوه، وأكدت ذلك حينما جعلته يسافر إلى مصر وقال للحرس إنها أخته، وأكدت ذلك سارة عندما أخذها فرعون وقد كسب إبراهيم من وراءها خيراً كثيراً، ونحن الآن لسنا بصدد مناقشة هذه القصة فقد ناقشتها في كتابي هاجر بين الحرية والعبودية وبشكل موسع.

---

(١). صموئيل الثاني ص١٦/٢٠ – ٢٣/.

هذا الافتراء الذي قالت به التوراة فجعلت إبراهيم قواداً يسمح بزوجته لفرعون أياماً يستمتع بها فرعون هذا كما يسمح لأبي مالك أن يأخذها أيضاً واسمع إلى ليوتاكسيل معلقاً على الإصحاح العشرين من سفر التكوين: ((يخطر في الذهن عدد من الملاحظات:

- هل قال إبراهيم الحقيقة عندما أكد لأبي مالك بأن ساره زوجته وأخته في الوقت نفسه؟ إذا كانت هذه هي الحقيقة فعلاً فأمامنا مثال على سفاح القربى المقدس وإنه لكتاب مقدس ممتع حقاً.

ولكن ليس هذا كل شيء فإذا كان أبيمالك قد ظهر لنا في هذه القصة رجلاً شريفاً محترماً فإن إبراهيم كان فيها مثال الرجل النتن من أية جهة نظرت إليه، وإذا كان هو أخاً لسارة بالدم فعلاً فإن هذا لا يبرر له دوره كقواد وكذاب فأخته التي هي زوجه تحولت بين يديه إلى مصدر دخل جيد.

ـ لقد كذب عندما نفى أنها زوجته أما المبرر الذي ساقه عندما كشف مكره ودناءته فقد أظهره محتالا.

ـ لماذا لم يسق الأعذار التي ساقها لأبيمالك حينما كشف فرعون غير الحقيقة التي قيلت))(١)

كل هذه الأمور تدفعنا إلى القول:

---

(١). ليوتاكسيل التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص١٠٨.

١. إن سارة ليست أختا لإبراهيم من أمه ولا من أبيه فهم يدعون أن إبراهيم يهودي بمعنى أنه يسير على شريعة التوراة فكيف زوجوه أخته ولم يرجموه كما قرروا في شريعتهم.

٢. غني عن القول بالطبع أن هذا كله مجرد اختلاق يهدف مؤلف أخرق جاهل.

٣. هذه الحادثة تناقض ما جاءت في المحرمات في التوراة، لقد دونها المؤلف بإذعان ورضى ليكون هذا المثال الذي صاغه اليهود مثالا لهم يقودون لنسائهم كما صرح التلمود بذلك إذا أمن فائدة لهم.

٤. كيف سمى سهل جرار مملكة بينما يقول الجغرافيون القدماء إنه مجرد واد صغير قاحل ليس فيه حياة نباتية إنه مكان صحراوي ميت لا يمكن أن تعيش فيه روح بشرية فهل كان أبيمالك ملكا على هذه الصحراء؟

٥. كم من الوقت بقيت سارة عند أبي مالك حتى عرفت نساؤه أن يهوه قد سد أرحامهن ومنعهن عن الولادة، فهل يكفي ذلك ليلة واحدة أم سنة واحدة؟

٦. كم من المدة استغرق أبيمالك ملكا على سهل جرار حتى عاين الحادثة نفسها مع إسحاق بن إبراهيم.

ويقول ليوتاكسيل في تعليقاته: ((يجب أن نقر مع اللاهوتيين الذين لاتدهشهم أية عجيبة مهما كانت تثير الإشمئزاز بأن يهوه مزح هنا مزحة شنيعة لكنها فريدة في طريقها.

هل تتخيلون معي أي تعابير ارتسمت على وجه ملك الصحراء ووجوه رعيته عندما رأوا أرحام نسائهم مغلقة، لا بد أهم عدوا ذلك مزحة شريرة جدا لذلك يصبح مفهوما تماما لماذا أعطى إبراهيم كل ما أراد كي يضع حدا لتلك الكارثة التي ابتليت بها مملكته))[1]

إذا كانت سارة آنذاك في السبعين في مصر وفي الثمانين عند أبي مالك فأي جمال في وجه سارة؟

- الحادثة الثانية وهي الأكبر حادثة آمنون الذي زنى بأخته تامار ولم يرض أن يتزوج بها، ولن أعرض حادثتها وإنما أشير إلى مصدرها صموئيل الثاني ١/١٣ –٢٢/، ويكفي أن أقول إن كاتب التوراة ترك داود متفرجا لم يحرك ساكنا ولم يقم بتنفيذ الحد على المجرم الذي دنس أخته حتى قام أخوها أبشالوم بقتل أخيه وفي هذا انقسام للبيت المالك، وبالعكس من ذلك غضب داود من أبشالوم حتى شفع فيه من شفع، ولا أعتقد أن الكاتب عرف حدود الله ومحرماته ولو عرف ذلك لما أقدم على تسجيل هذه الحادثة التي لا أصل لها ولا صحة لتسجيلها.

(١). المصدر السابق ص ١٠٨.

٣.البنت:

لا أعتقد أن هناك شريعة من الشرائع تسمح بـــزواج الأخـــت والبنت أو الأم مهما بلغت هذه الشرائع من الانحطاط والضعة.

أما شريعة اليهود فقد أجازت ذلك ولا أدري كيف يقول النـــاس عنها إنها ديانة سماوية؟

لقد اتهمت لوطا بابنته واسمع إلى النص التوراتي أولا: ((وصعـــد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خـــاف أن يســـكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شـــاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلمي نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها و لم يعلم باضطجاعها ولا بقيامـــها وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينـــا نســـلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا وقامت الصغيرة فاضطجعت معه و لم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكـــر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم والصغيرة أيضا ولـــدت ابنا ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمي إلى اليوم))(١)

وخير من يعلق على هذه الحادثة فولتير يقول ليوتاكسيل: و لم تنـــج مغامرة لوط وابنته من الانتقاد المر العادل الذي وجهه إليها المفكر العظيـــم

---

(١). العهد القديم سفر التكوين ١٩/ ٣٠ –٣٧/.

فولتير وها نحن أولاء نترك الحديث لأن أفكار العبقرية مازالت تحافظ على أهميتها حتى يومنا هذا يقول فولتير: لا يفيدنا النص التوراتي بما فعله لوط حينما رأى زوجته وقد تحولت إلى عمود من الملح و لم يذكر لنا أيضا اسمي ابنتيه.

أما فكرة إسكار الوالد بهدف الاضطجاع معه فهي فكرة توراتية فريدة ولا تقول التوراة من أين جاءتا بالخمرة؟

ولكنها تقول إن لوطا اخترق عند زناه بابنتيه دون أن يلحظ دخولهما عليه أو خروجهما من عنده، يصعب كثيرا على الرجل أن يفض بكارة فتاة دون أن يعرف شيئا عما فعل إنه حدث، ولا نستطيع أن نجد له تفسيرا وليس مفهوما أيضا قلق ابنتي لوط على مصير البشرية، فإبراهيم كان قد أنجب اسماعيل من هاجر، والشعوب كانت منتشرة في كل مكان، وصوغر التي خرجت منها الفتاتان كانت قريبة.

من أين حصلتا على الخمرة؟

إن لم يكن من الخمارات المحلية ويشير فولتير إلى تشابه هذه القصة مع قصة ميرا التي ولدت أدونيس من أبيها لكن ميرا عوقبت عقابا صارما على جريمتها هذه بينما نالت ابنتا لوط مكافأة عظيمة من وجهة نظر اللاهوت فقد أصبحتا والدتين لذرية كثيرة[١] .

وليس هذا فحسب إنما كرمت التوراة هذا النسل من الزنى بني موآب وبني عمون واعتبرتهما شركاء مع إسرائيل في الميراث، وحرمتها

---

(١). ليوتاكسيل التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٢٢.

على بني إسرائيل قتالهما فقد انتزع بنو موآب أرض عار من الرفائيين وحرمت على بني إسرائيل، كما انتزع بنو عمون أيضا الأرض من الرفائيين شرق الأردن وحرمها على بني إسرائيل، هذا ما قالته توراهم ولكنها في زمن داود وما بعد لم يلق أحد بالا لهذا التحريم وإنما حسب قول التوراة إنهم اجتاحوا بني عمون واستولوا على أرضهم وأذلوهم.

٤ .الأم:

لا أعتقد أن تشريعا حضاريا يقبل بزواج الأم ورغم أن التوراة قد شددت كثيرا على تحريم الأم إلا أننا نلاحظ في التوراة تناقضا رهيبا، إن رحبعام بن سليمان قد تزوج ابنة عمه معكه بنت أبشالوم فأولدها أبيام وقد تزوجها أبيام أيضا فولدت له آسا الذي حكم إحدى وأربعين سنة ((وفي السنة الثامنة عشرة للملك يربعام بن ناباط ملك أبيام على يهوذا ملك ثلاث سنين في أورشليم واسم أمه معكه بنت أبشالوم...وفي السنة العشرين ليربعام ملك إسرائيل ملك آسا على يهوذا ملك إحدى وأربعين سنة في أورشليم واسم أمه معكة بنت أبشالوم)).

فهل معكة أم آسا؟ أم معكة أم أبيام؟

وكيف استطاع كاتب التوراة أن يوافق بينهما علما أنني راجعت النسخة اليونانية والعبرية فألفيتهما قد أوردتا ذلك ولما رجعت إلى أخبار الأيام الثاني وجدت أن اسم أم أبيام ميخا بنت أوريئيل من جهة، وفي النسخة اليونانية اسم أمه ميكايا بنت أوريئيل.

فكيف وقع هذا الخطأ الذي لا يغتفر؟

٥. العمة

الزواج الوحيد للعمة وابن الأخ الذي أشارت إليه التوراة زواج عمرام من يوخابد فهي ابنة لاوي بن إسرائيل وهو عمرام بن قهات بن لاوي، هذا ما أشار إليه كتبة التاريخ الناقلون عن التوراة وحاول بعض المؤرخين المسلمين أن يبعد هذه الشبهة فجعل عمرام بن يصهار بن قهات بن لاوي، أما التوراة فلم تقر بذلك إطلاقا وخير من نقل هذا النسب ابن كثير في البداية والنهاية وقصص الأنبياء عليهم السلام لئلا يتزوج عمرام من عمته، وقد أبعد المرمى و لم يصب الهدف فتزوج عمرام بن يصهار بن قهات بن لاوي يوخابد ابنة لاوي هذا الزواج يعتبر ضربا من المحال فكم كان سن يوخابد حينما تزوجها عمرام فإذا اعتبرنا أن يوخابد ولدت في مصر لأنها لم تذكر في عداد الداخلين إلى مصر، وإذا ما اعتبرنا حسب قول التوراة أن بني إسرائيل عاشوا في مصر أربعمائة سنة وأن ولادة موسى قبل الخروج بثمانين يكون عمر يوخابد فوق المئتين والخمسين أو تقارب الثلاثمائة حينما تزوجت وهذا محال و لم تذكر التوراة لها هذا العمر المديد.

وفي سفر الخروج كتمت التوراة اسم عمرام وقالت وذهب رجل من بيت لاوي وأخذ بنت لاوي، ولقد شعر المؤرخون العرب أن هذا الزواج غير منطقي ومحرم ولهذا كما قلت جعل عمرام بن يصهار بن قهات وبهذا تكون يوخابد عمة أبيه لعمرام ومنهم من ألغى هذا الزواج

فقال إن التوراة أخطأت في هذا ومنهم من قال إن الشـــريعة في ذلـــك الوقت تسمح بمثل هذا الزواج.

٦. الكنة

وهذا كما مر في التوراة أنها محرمة ومر معنا أن تحريمها في التـــوراة ورغم ذلك فقد لجأت التوراة إلى سفاح الأقارب ولقـــد كـــان زواجـــا وأقرت التوراة الزنى وثبتته زواجا.

وأخذ يهوذا زوجه لعير بكره امرأة اسمها ثامار وكان عـــير بكـــر يهوذا شريرا في عيني الرب فأماته الرب فقال يهوذا لأونان أدخل علـــى امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلا لأخيك فعلم أن النسل لا يكـــون لـــه فكان إذا دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نســـلا لأخيه فقبح في عيني الرب ما فعله فأماته أيضا.

فقال يهوذا لثامار كنته أقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني لأنه قال لعله يموت هو أيضا فمضت ثامار وقعدت في بيت أبيها، ولما حال الزمان ماتت ابنة يشوع امرأة يهوذا ثم تعزى يهوذا فصعد إلى جـــزاز غنمه إلى تمنه وهو وحيرة صاحبه العدلامي، فأخبرت ثامار وقيل لها حموك صاعد إلى تمنة ليجز غنمه فخلعت عنها ثياب ترملـــها وتقنعـــت بـــبرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمنة لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تعط له زوجة فنظرها يهوذا وحسبها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها فمال إليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليـــك لأنـــه لم يعلم أنها كنته فقالت ماذا تعطيني لكي تدخل علي فقال إني أرسل جـــدي

معزى من الغنم فقالت وهل تعطيني رهنا حتى ترسله فقال ما الرهن الذي أعطيك فقالت خاتمك وعصا بيتك وعصاك التي في يدك، فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه ثم قامت ومضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها، فأرسل يهوذا جدي المعزى بيد صاحبه العدلامي ليأخذ الرهن من يد المرأة فلم يجدها فسأل أهل مكانها قائلا أين الزانية التي كانت في عينايم على الطريق؟ فقالوا لم تكن ها هنا زانية، فقال يهوذا لتأخذ لنفسها لئلا تصير إهانة، إني قد أرسلت هذا الجدي وأنت لم تجدها))(١)

ولي على هذا النص مايلي:

١. بعد أن انكشف حمل ثامار أراد إقامة الحد عليها كزانية، تكوين ٣٨/٢٤ –٣٠/ ولما واجهته بالحقيقة عفا عنها.
٢. سمح يهوذا لنفسه بالزنى و لم يقم الحد عليها.
٣. خرج من هذا السفاح المحرم ابنان أحدهما جد داود، وابن الزنى ملعون حتى عاشر ولد وبهذا حرم داود من ذلك الزنى.
٤. تمضي القصة مخالفة لتعاليم التوراة وكأن شيئا لم يكن و لم يطبق حد الزنى عليه وعلى كنته.
٥. نتيجة هذا الزنى سيكون المسيح المنتظر الذي يعيد الأمم لمصلحة إسرائيل فيا له من نسل مبارك.
٦. حينما واجهت ثامار عمها يهوذا بالحقيقة شهد ببرها وبشرفها وياله من شرف رفيع بعد هذا السفاح والزنى واسمع

(١). العهد القديم سفر التكوين ٣٨/٦ –٢٣/.

لليوتاكسيل هذا التعليق على هذا النص: ((غني عن القول إن أحداً لا يستطيع اقامنا بعرض موجز يشوه حقيقة النص المقدس ومع أن ثمة عدداً غير قليل يقبل الإيجاز والاختصار إلا إذا كان الأمر يتعلق بمشاهد لا تتسم تفاصيلها بأهمية كبيرة، وكان عندما تسوق التوراة لنا مشهداً مثل مغامرة ثامار فإنه لا بد من اقتباسه بالحرف الواحد لأن الروح القدس هو من لقنه، إضافة إلى هذا ينبغي أن نلقي مزيداً من الضوء على المشهد الغني لتظهر لآلئ النص المقدس كلها، وهذا ما يحرم اللاهوتيون كل إمكانية لإيهام القراء بأننا نخدعهم عبر التحريف المقدس فالقذارات المرتبطة بقصة ثامار وشناعتها كلها تؤلف جزءاً لا يتجزأ من الكتاب المقدس والكنيسة لا تدحضها على الرغم من انحطاطها والاشمئزاز الذي تثيره في النفس، أليس غريباً أن تقبل ثامار أن تصبح قحبة لوالد زوجها بعد أن فشلت في زواجين متتاليين؟ أولا يبدو غريباً أيضاً أن يدفعها هذا الفشل إلى رفع ساقيها تحت حميها انتقاماً منه لأنه نسي أن يزوجها ابنه الثالث؟

يقول فولتير في هذا السياق: إنها وضعت الخمار لتشبه البغي بيد أن الأمر على النقيض تماماً لأن الخمار كان دائماً من ملابس النساء المحترمات المستقيمات وإذا كان صحيحاً أن القحبات كن يقفن في شوارع المدن الكبرى التي ينتشر فيها البغاء ليصطدن

الزبائن كما هي الحال الآن في لندن وباريس وفينيسيا وروما فإنه من غير المحتمل قط أن تقف قحبات كنعان الصغيرة على تقاطع الطرقات لاصطياد المارة، وما يزيد غرابة أن يمضي بطريرك عجوز مثل يهوذا مع قحبة ليفرغ شهوته فيها في وضح النهار وعلى طريق عام مغامراً بسمعته وهيبته.

وأخيراً ومن غير المعقول قط أن يجرؤ يهوذا ويأمر بحرق كنته الحامل بغاءً حسب ظنه وهو في أرض كنعان التي لا يملك شيئاً فيها، والأمر الأشد غرابة هو أن ينفذ أمره للتو وتضرم نار العقاب وكأنه قاض في تلك الأرض))[1] .

٧.أخت الزوجة

رغم أن هذا الزواج حرم في التوراة فقد ورد فيها واختلف المفسرون في ذلك اختلافاً كبيراً فقد قال بعض المفسرين إن هذا الزواج كان مشروعاً و لم يكن التحريم موجوداً غير أنه يكذب هذا الرأي ما أوردته التوراةا من التحريم ومنهم من سلم الأمر دون أن يناقش، ولكني أحب أن أعرض هذه القصة كما وردت في التوراة ثم أنقض هذا الزواج غير الشرعي.

ولو عدنا إلى سفر التكوين ١٥/٢٩ – ٣٠/ لرأينا أن يعقوب خدم خاله لابان سبع سنين ليزوجه من راحيل الجميلة وغشه خاله فأعطاه ليئة القبيحة قائلاً إنه لا يزوج الصغيرة قبل الكبيرة ثم قبل الخدمة سبع

(١). ليوتاكسيل التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص١٤٥.

سنين أخرى مقابل زواجه من راحيل وتزوجها بعد ذلك وأحب يعقوب راحيل أكثر من لئية.

هذا الزواج المبارك أثمر كما قالت التوراة كل بني إسرائيل لأنهم اعتبروا يعقوب إسرائيل وهو باطل من أساسه للأسباب التالية:

١. إن يعقوب غير إسرائيل وقد ناقشنا هذا في كتابي جذور اليهود أمام النقد التاريخي.

٢. إن قصة الرعي أو الخدمة مقدار سبع سنين التي أوردها التوراة ليعقوب وردت في القرآن الكريم لموسى عليه السلام على النحو التالي: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ * قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَةَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ * قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ

عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[القصص:٢٢-٢٨]. أبدلت التوراة حادثة موسى فأعطتها ليعقوب وزورت بما فيه الكفاية.

٣. زواج يعقوب من ليئة غير شرعي لأنه خطب راحيل ولم يخطب ليئة وقد اتفق مع خاله لابان على ذلك.

٤. أبناء ليئة الناتجون عن هذا الزواج غير الشرعي هو رأوبين البكر شمعون لاوي، يهوذا يساكر، زبولون هؤلاء الأبناء الذين تفخر بهم الصهيونية وهم أبناء غير شرعيين إنهم أبناء زور كما تحدثنا التوراة.

٥. لم يقل القرآن الكريم بأنه تزوج من النسوة إلا اثنتين إحداهما ماتت والثانية لازالت عند يعقوب ولهذا يسقط زواجه من الإماء بلهة وزلفة ويعتبر حسب هذا هؤلاء بأنهن غير موجودات، فيوسف أمه لازالت حية لأن الشمس والقمر يسجدان له الأم والأب ولم يرد ذكر أية امرأة دخلت مع يعقوب إلا والدة يوسف:﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[يوسف:٩٩] كما وردت الآية مائة على النحو التالي:﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ .

وهذه الآيات تكذب ما جاء في التوراة من زواج يعقوب أربع نسوة لبئن وراحيل وبلهة وزلفة فلفظ أبويه يدل على الأم والأب ولفظ الشمس والقمر دليل قوي على وجود زوجة واحدة وقت دخول مصر ووفاة زوجة أخرى (أخ لكم من أبيكم) بمعنى أن أمه غير أمهم ولهذا ما قيل في هذا الباب إن هو إلا لغو من حيث كاتب التوراة الذي زيف ما أراد أن يزيفه.

٨.بنت الأخ

بنت الأخ والأخت حرمتا في الإسلام حرمة دائمة واعتبرتا كالأخت والبنت أما في التشريع اليهودي فلم يرد تحريمها إطلاقاً وشاهدنا من تزوج ابنة أخيه وقد جاءت في زواج كالب بن قناز ابنتة معكه إلى أخيه عتنايل بن قناز[(١)].

وتزوجها عمها وأخذ بالحيلة بعض أملاك أبيها وهو تشريع يقبله اليهود ويجري في أعرافهم حتى الآن.

والذي أراه أن هذا السفاح والمسمى سفاح الأقارب كان محللاً عند المجوس في الديانة الزرادشتية حتى إن الملوك كانوا يتزوجون أخواقم وبناقم وكانوا لا يعرفون شيئاً اسمه محرماً في النساء.

أحببت أن أناقش هذه النقطة لأها مأخوذة عن الديانة الإيرانية وبذلك نكون قد استوفينا المصدر الإيراني الفارسي وأثره في الديانة اليهودية وماذا سرق من هذا المصدر وسجل في التوراة.

---

(١). سفر القضاة ص١ /١٠ – ١٥/.

الأثر الهندي

كثير من الناس يعجب لإيرادي هذا المصدر بين المصادر التوراتية فالهند بعيدة كل البعد عن مجال اليهود سواء كانوا في فلسطين أو كانوا في الجزيرة العربية كما قال الدكتور صليبي ومن لفَّ لفه.

ولكني أصر على إدخال هذا المصدر بين مصادر التوراة لأنَّها أحبت أن يكون التراث الهندي ممن أغار اليهود عليه وسلبوا منه ما سلبوا واختلسوا ما اختلسوا، وقد يقول قائل وما شأنهم بالهند؟

لجواب هؤلاء أرجو أن يقرأ القارئ التراث الهندي ليلاحظ ما اختلس اليهود من هذا التراث وكيف دخل إلى صميم التوراة وسنبحث المصدر الهندي حسب النقاط الآتية:

١ .خلق وتكوين

رأينا قصة الخلق والتكوين في الأساطير البابلية والكنعانية والمصرية ورأينا مدى تأثر الفكر اليهودي في هذه الأساطير وكلها تعزي خلق الكون إلى صراع بين الإله وبين وحش كبير (لوياثان).

أما الأسطورة الهندية فهي ترى أن الأرض خلقت من جسد رجل ضخم ضحى بجسده على مذبح الألهة ورضيت الآلهة عنه فحولت جسده إلى ذرات صغيرة عادت لتلتئم من جديد وتتحد جزئياتها، ومن هذا الاتحاد تكونت الأرض وكل ما يحيط بها من يابسة ومياه[1].

---

(١). فوزي محمد حميد: عالم الأديان ص٣١.

إن طبيعة الهنود الهادئة وعدم حبهم للقتال والصراع حولت الأسطورة من صراع إلى تضحية ومن قتال إلى إيثار ومن فناء إلى اتحاد وحياة من جديد وهي تختلف عن نظرة اليهود العرقية المتسلطة المتعجرفة.

٢ .الوصايا العشر

هناك وصايا عشر هندية تشبه الوصايا العشر اليهودية في بعض النقاط وتختلف عنها في نقاط أخرى:

١. لا تقتل أحدا.

٢.لا تسرق ولا تغتصب.

٣.لا تأخذ ما لم تعط.

٤.لا تكذب.

٥.لا تشرب خمرا ولا تتناول مسكرا.

٦.لا تزن ولا تخالف العفة.

٧.لا تتخذ طبيبا ولا تكلل رأسك بالزهر.

٨.لا ترقص ولا تحضر مرقصا ولا غناء.

٩.لا تقتن فراشا وثيرا ولا آرائك فخمة ولا وسائد ولا حشايا وثيرة.

١٠. لا تأخذ ذهبا ولا فضة(١).

وهذه الوصايا أقرب إلى الوصايا العشر عند زرادشت وقد ناقشنا آنذاك وجوه التشابه والاختلاف ولن نعود إليها من جديد

---

(١). المصدر السابق ص١٢٩.

وهناك وصايا براهما وتعاليم ديانته وهي أقرب إلى الوصايا العشر اليهودية من هذه الوصايا البوذية:

١. اعبد الكائن الإلهي.

٢. قابل الإساءة بالإحسان.

٣. القناعة.

٤. كن مستقيما فالإستقامة مطلوبة.

٥. الطهارة.

٦. كبح جماح الحواس.

٧. معرفة الفيدا.

٨. الصبر.

٩. الصدق.

١٠. اجتناب الغضب[١].

وهذه الوصايا موجودة في التوراة ومبثوثة في زواياها دون أن يشار إليها أنها الوصايا العشر.

٣. التوحيد

لا نستطيع أن ننعت الفكر الديني الهندي كله بالتوحيد فهناك ديانات لا تعرف الإله إطلاقا لا واحدا ولا متعددا كالبوذية الهندية فهي لا تبحث في وجود أي إله أو آلهة لكنها حينما ذهبت إلى الصين أخذت تميل إلى الاعتقاد بفكرة كائن مطلق يتمثل في شخصيات مختلفة بوذا

(١). المصدر السابق ص١٧٩.

إحداها وكان كونفوشيوس يؤمن بأنه ليس في الوجود سوى إله واحد قوي الإرادة هو السماء وكان كونفوشيوس أو من صرح بوجود العناية الوحدانية في الصين عندما كانت غارقة في ظلمات الوثنية الموحشة، ويظهر لمحات من التوحيد في الفكر الهندي الديني، وخاصة في كتاب الفيدا واسمع هذا النشيد الديني منه:

إنني أنا الله
نور الشمس وضوء القمر
بريق اللهب ووميض البرق
وصوت الرياح
أنا الرائحة الطيبة التي تنبعث في أرجاء الكون
والأصل الأزلي لجميع الكائنات
أنا حياة كل موجود وصلاح الصالح
أنا الأول والأخير والموت لكل كائن.

ويضيف الإله براهما في هذا الصدد:

أنا أقوى من السماء
وأعظم من الأرض
وأرفع من كل هذه الأجرام والكواكب حولي
أنا أعلى من جميع هذه الأشياء
أنا الكل في الكل أفعل ما أريد
وأخلق كل ما يخطر لي

أنا جوهر العالم الشامل

لست بالذكر ولا الأنثى

إنما أنا روح غير مشخص في صفاته

احتوي كل شيء

لا تدركني الحواس

لأنني أنا حقيقة الحياة...[1].

نستطيع أن نستلخص الصفات التي سلبت اليهود من هذا النص:

١.الوحدانية.

٢.التجريد.

٣.أصل الوجود.

٤.الإله الخنثوي.

٥.القوة العظيمة.

٦.هو النور وخالق النور.

هذه أهم سمات الإله التي سلبها يهوه وظن الناس أنه صاحبها، ويقول الأستاذ فوزي محمد حميد في هذا الصدد: ((براهما الإله الخالق مانح الحياة وسيد الآلهة وهو القوي القادر تصدر عنه جميع الأفعال وهو يمثل إله الخير، وهو الذي ترجى رحمته، وينسبون إليه الشمس التي يكون بها الدفء وهو خالق الكون، فقد أخذ براهما يتأمل ويفكر طويلا نشأ

(١). المصدر السابق ص١٧١.

عن التفكير فكرة مخصبة تطورت إلى بذرة ذهبية وم[illegible]ت البيضة ولد براهما خالق كل شيء فهو الخالق والمخلوق[1]

أوليست هذه الصفات اختلسها اليهود ليهوه مع الخلاف أن براهما إله المحبة أما يهوه فهو إله النقمات براهما إله السلام أما يهوه فهو رب الجنود والغضب.

٤.الأضاحي

إذا كان خلق الكون ناتجا عن تضحية رجل بنفسه لتصوغ الألهة منه هذا الكون الواسع بما فيه من مياه ويابسة فإنه من الأولى أن يرى الهنود في الأضاحي شيئا مميزا ولهذا لعبت القرابين دورا مهما في ساحة الفكر الديني الهندي، وكتاب الفيدا الذي يعني المعرفة التي توصل المخلوق لكسب رضا الخالق وهو مجموعة أغان دينية أمام الآلهة الآرية عند تقديم الأضاحي لها وتشتمل الفيدا على أساطير وقصص قديمة وعلى توسلات ومدائح موجهة إلى الآلهة، وأهم آلهة الفيدا النار فالشعلة المقدسة التي ترفع القربان إلى السماء.

هذا الكتاب ليس إلا توراة اليهود وقد رأينا أن التوراة كتاب خليط فيه الأناشيد الدينية (المزامير) وفيه التوسلات وفيه الأساطير القديمة عن خلق الكون وقصص قديمة عن آدم والطوفان وقايين ولامك كما فيه قصص عن إبراهيم ويعقوب وسليمان، وأهم الآلهة في التوراة يهوه مع الاعتراف بالآلهة الأخرى حسبما مر في نقاشنا السابق.

---

(١). المصدر السابق ص١٧٨.

وقد رأينا أن النار تلعب دورا مهما في عبادة اليهود وبذلك التقى اليهود مع الهنود وسرقوا من أفكارهم فالقربان لدى اليهود كانت تحرقه وارجع إلى صفحات التوراة لترى ذلك مثبتا فيها فحرق الأضاحي ليهوه ليشم رائحة سرور منها وكأنما كان يهوه هو النار التي تلتهم الأضحية أو قل إن النار ترفع الأضحية بحرقها إلى يهوه فيتناولها ويقول مرسيا إلياد: إن الآلهة كانت معتبرة كما لو أنها حاضرة في الأعياد بالقرب من البشر وكانت أضاحيها تحرق(١).

وقد رأينا أن مجموع الأضاحي الرسمية التي تحرق عند اليهود ١١٣ ثور و٢٨ تيس معزى و٣٦ كبش و١٠٧٠ خروف حولي ماعدا النذور والأضاحي الأخرى وهذا الأضاحي كانت كلها في الأعياد التي فرضها اليهود ليهوه في أعيادهم.

وقد وجد في الهند الضحايا البشرية وحسب رأي آدم بريم ADAM BREME إن هذه الأضحية قد أعيد إجراؤها كل تسع سنوات بشنق عشرة رجال وضحايا حيوانية أخرى وكانت معروفة عند الهنود من حيث الممارسة والنظرية للأضحية كانت باستمرار يعاد تقييمها(٢).

ورأينا الضحايا البشرية في التوراة إسحاق ويفتاح الجلعادي ابن الزانية أحد قضاة بني إسرائيل.

---

(١). إلياد مرسيا تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ص٢٣٧.

(٢). المصدر السابق ص٢٧٢.

إن التضحية عند البراهما هي نقطة البدء والتحقيق المبدئي لنظرية الأضحية المثارة في خلق البراهمانا وقد فرضت في ١٠٠٠ق.م فلكل من بوروزا الذي أسلم نفسه للإله الرجل الذي ضحى بنفسه ليخلق العالم وترك الآلهة تضحي به بهدف خلق العالم.

فلولا هذه الأضاحي لما استمر العالم وبقاؤه ذلك هو المعنى الأصلي للقربان أو الأضحية في البراهمانية إعادة خلق الكون فعبر التضحية أي النشاط العام المدعوم من الكهنة يستمر العالم حيا ومتناميا وخصبا أيضا وهي بهذا تختلف عن الأضحية اليهودية، فالأضحية اليهودية لإطعام يهوه ونيل رضاه حينما يشم رائحة الدم واللحم المشوي المحروق فتكون رائحة سرور للرب ((وفي الهند تركب التأملات حول الأضحية تشكونية مميزة وتفتح الطريق لما وراء الطبيعة والتقنيات توجيه هذا الطريق الغيبي، وعند اليهود تشرح وتقوم الأضاحي الدموية باستمرار حتى بعد نقد الأنبياء، أما في المسيحية فإنها ستشكل بدءا من التضحية الاختيارية للمسيح))[1]

وعبادة الهنود الملزم بها كل هندي ثلاث مرات في اليوم بما يسمى بالتضحيات الخمس الكبرى:

١. عبادة براهما روح العالم وقوامها تعليم الفيدا أو تلاوتها.
٢. عبادة الآباء بتقديم الطعام والماء لتغذيتهم.
٣. عبادة الآلهة بإحراق القرابين.

---

(١). المصدر السابق ص ٣١٨.

٤. عبادة بهوتاس بنثر الحبوب في الجهات الأربع والمركز.

٥. عبادة الرجال عن طريق تقديم الضيافة إلى الآري.

أما أنواع الأضاحي عند الهنود فهي كثيرة ومتنوعة وأعظمها الأضاحي الملكية الراجاسويا، والفاجابيا، والانتفاميدا.

أما النوع الأول فهو تنصيب ملكي وتتمثل الذروة التي يصل إليها في رش رأس الملك بالماء وغيره من السوائل ذات القوة الروحية، وكان شراب القوة.

والنوع الثاني وهو ضرب من الاحتفال بتجديد الشباب الذي يشمل سباق العربة وصعود الملك والملكة إلى السماء على سلم.

أما النوع الثالث فهو التضحية بالحصان وله أهمية خاصة نظرا لتاريخه الطويل في الهند ولما ينطوي عليه من مضامين سارية سياسية.

ولعلنا نتساءل أين تذبح هذه الأضاحي وتحرق؟

لقد نسخ اليهود الأضحية ومكانها من الهند فلها مذبح خاص يبنى من الحجر في الهواء الطلق والمباني الوحيدة التي ترتبط بـــع معظمها للأعمال المؤقتة وليست للعبادة.

وقد ورد في التوراة وفي أماكن كثيرة بناء المذابح في الهواء الطلق دون أن تشير إلى بناء معبد بجانب هذه المذابح ولم يكن من معبد مقام قبل خيمة الاجتماع ومن ثم هيكل سليمان، فبني المذبح بجانب الهيكل، وهذا يشير إلى نسخ اليهود عن الهنود المذابح ووجودها في الهواء الطلق ارجع إلى التوراة ذبح إسحاق تكوين ٢٢/٩ – ١٩/

إسحاق وبناؤه المذبح تكوين ٢٦/٢٤ –٢٥/ ومخاصمته الرعاة ويعقوب وبناؤه المذبح تكوين ٣٥/١ –٢/.

والأمثلة كثيرة فقد كانت المذابح تبنى من الحجارة بعيداً عن المدن ولا يبنى بجانبها أي معبد كان.

((وتتخذ الضحية نفسها مكاناً حول نار مقدسة مشتعلة في مذبح خاص يبنى من الحجر في الهواء الطلق، والمباني الوحيدة التي ترتبط به هي في معظمها للأعمال المؤقتة ولكنها ليست معابد، وعندما تطورت القرابين وسيطرت طبقة البراهمة عليها أصبحت نظرية القرابين أكثر إسهاباً اتسعت لتشمل طرقاً جديدة))(١) .

ويختلف هدف الأضحية كما قلنا بين الهنود واليهود اختلافاً كبيراً فقد كانت عناصر الأضحية تتوحد نظرياً مع أجزاء الكون كما كان ينظر إلى التضحية نفسها على أنها تمثل فعل الخلق مرة أخرى وتؤدي دوراً لا مندوحة عنه في تدعيم الكون والمحافظة على نظامه، وتبادل المنلفع البسيطة لنظرية الأضاحي المبكرة وبهذا يكون نظام الكون كله قائماً على القرابين ، أما القرابين عند اليهود فهي طعام للآلهة وقد نفى الأنبياء المتأخرون هذه القرابين وفكرتها، ويقول سفر عاموس: ((بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم، إني إذا قدمتم لي محرقاتكم وتفديلتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها، أبعد عني ضجة أغانيك ونفخة ربابك لا أسمع وليجرِ الحق كالمياه والبر كنهر دائم،

---

(١). بارندز جفري المعتقدات الدينية ص١٥١.

هل قدمتم لي ذبائح وتقديمات في البرية أربعين سنة يا بيت إسرائيل بل حملتم خيمة ملكومكم وتمثال أصنامكم نجم إلهكم الذي صنعتم لنفوسكم فأسبيكم إلى ما وراء دمشق قال الرب إله الجنود اسمه))عاموس ٥/٢١ – ٢٦/.

هذا النص لي عليه ما يلي:

١. هذا النص ينسف كل ما قيل في الأضاحي ويرينا أنها نسخ عن الأمم الأخرى.

٢. الخيمة لم يأمر بها الله وإنما هي نسخ من أمم أخرى وقد نسبها عاموس إلى الإله ملكوم.

٣. نفي الكروبيين فوق تابوت العهد وينسبها إلى الأصنام.

٤. نفي للغناء والآلات الموسيقية فقد أخذوها عن الأمم الآخرى وقد فرض الامبراطور من أسرة سن التضحية، ومن شروط الامبراطور أن يكون قادراً على تقديم القرابين وإلا فلن يكون إمبراطوراً[1] .

٥. الصراع مع التنين:

هذا الصراع لحظناه متجلياً عند بابل مع تعامت، وفي الكنعانيين وياثان، وفي مصر مع رهب، أما عند الهنود فيقوم هذا الصراع فرثرا ن الجبار وقد حاول اليهود أن يستغلوا هذه الصارعات وأن يصوغوا

(١). بارندز حفري المعتقدات الدينية ص٣٠٧.

صراعهم مع لوياثان أو رهب، وقد ناقشنا هذا الصراع سابقاً وسننقل هذا الصراع الهندي ضد التنين.

((إن الأسطورة المركزية لاندرا التي هي إضافة لذلك الأكثر أهمية من أساطير الريغ فيدا تروي قصة معركته المظفرة ضد فرترا التنين الجبار الذي حبس المياه في حفرة الجبل ومدعماً بسوما، فإن أندرا جندل التنين فرترا أرضاً بواسطة مدفعه الصاعق السلاح الذي كان قد حدد FROGE من قبل تفاستر شقَّ رأسها وحرر المياه التي سالت نحو البحر كأبقار خائرة))[1].

إن معركة ضد إله غول أفعواني أو بحري يشكل كما نعلم لازمة أسطورية منتشرة جداً ويمكن أن تعيد إلى الذاكرة المعركة بين رع وأبوفيس وبين الإله السومري نينورتا وساج والإله البابلي مردوخ وتعامت والإله الحثي للعاصفة والأفعى أيلوباتكا، والإله اليوناني زوس وتيفونا، والبطل افيراني ترابنونا والتنين ذي الرءوس الثلاثة، وفي بعض الحالات مردوخ وتعامت مثلاً يشكل نصر الإله الشرط العميق لعلم الكون، وفي حالات أخرى الصراع هو افتتاح لون جديد أو إقامة لسيادة جديدة.

وبالإجمال فإنه بإماتته غول أو أفعوان رمز ضمور العماء ويتكون وضع جديد أو وضع تأسيسي، إنَّ خطأً مميزاً وشائعاً في كل هذه الأساطير هو الخوف.

---

(١). المصدر السابق ص ٢٥٣.

هذا الصراع استفاد منه اليهود لتأكيد صراع يهوه مع لوياثان الذي أخذوا اسمه من الأدب الكنعاني لوثان.

٦.مجمع الآلهة:

رأينا مجامع الآلهة عند الأمم الآخرى وناقشناها مسبقاً وعند الهنود أيضاً مجمع آلهة شأنهم في ذلك شأن أي أمة أخرى وإن كنا قد ناقشنا لمحات من الفكر التوحيدي الهندي.

إلا أن المجمع الهندي للآلهة ((ويزخر مجمع آلهة الفيدا بمجموع أصغر من الآلهة تبلغ من الكثرة حداً يجعل من الصعب وضعها في قائمة))[1].

والإناث في مجمع الآلهة الفيدي يكاد يكون دورهن معدوماً فالمجمع هنا مجمع شرقي لغلبة الذكور على الإناث وليس المجمع اليوناني الآلهة لاناز اللواتي يقمن بأعمال تخالف أوامر زوس وأفعاله كهيرا وأثينا وأفروديت ولهن أدوار بارزة وتأثير بالغ في حياة اليونان.

((إن مجمع الآلهة الفيدي محكوم بالآلهة الذكور وإن بعض الربات أم الآلهة، وأوزاس ربة الفجر وباتري التي كرست لها الإنشودة الجميلة في الريغ فيدا))[2].

ونرى في مجمع الآلهة الهندي الآلهة الأم آلهة الأرض وآلهة تتخذ شكل حيوانات مثل أفعى الكوبرا وأرواح الأشجار، والفيدا تلغي عبادة

---

(١). المصدر السابق ص١٤٩.

(٢). المصدر السابق ص٢٤٥.

الذين يعبدون قضيب الرجل في حين أن عبادة شيفا في صورة حجر اللنجا ظلت عبادة منتشرة لفترة طويلة بل يمكن للمرء أن يهبط إلى أمور أصغر، فآلهة الفيدا يركبون عربات تجرها الجياد في حين آلهة الهندوس يمتطون ظهور حيوانات خاصة بهم[1] .

وقد رأينا في سفر حزقيال كيف كان يهوه يمتطي عربة نارية تجرها خيول من نار هذه الفكرة مأخوذة عن التراث الهندي في ركوب الآلهة عربات خاصة بها.

٧.أول الشهر القمري:

احتفل الهنود برؤوس شهورهم القمرية فقد كان في يوم ظهور القمر الجديد من كل شهر يجلس فقهاء البراهمة في مكان مكشوف ويفتتح رب الأسرة الاحتفال وينهيه بحرق قرابين للآلهة في النار المقدسة[2].

وهكذا يفعل اليهود ففي بداية كل شهر لابد من تقديم الأضاحي ولرؤية الهلال لابد من صلاة محددة وربما اختلس اليهود هذه العادة من الهنود.

((وفي رؤس شهوركم تقربون محرقة للرب ثورين ابني بقر وكبشاً واحداً وسبعة خراف حولية صحيحة وثلاثة أعشار من دقيق ملثوث بزيت تقدمة لكل ثور وعشرين من دقيق ملثوث بزيت تقدمة

(١). المصدر السابق ص١٦٠.

(٢). المصدر السابق ص١٤١.

للكبش الواحد وعشراً واحداً من دقيق ملثوث بزيت تقدمة لكل خروف محرقة رائحة سرور وقوداً للرب وسكائبهن تكون بصب الهين للثور وثلث الهين للكبش وربع الهين للخروف من خمر هذه محرقة كل شهر من أشهر السنة وتيساً واحداً من المعز ذبيحة خطية للرب فضلاً عن المحرقة الدائمة يقرب مع سكيبه))[1].

وباعتبار الهنود هم الأقدم فقد اختلس هذه العادة اليهود المسبيون في بابل بواسطة الفرس الذين تعرفوا عليهم في الأسر.

٨.الألفاظ الشهوانية للآلهة:

مر بنا الكثير من هذه الألفاظ في التوراة فإسرائيل الزانية ويهوذا التي فرجت ساقيها واضطجاع الزناة معهما كثير ورودها في التوراة، والغزل الشهواني الذي وضع في نشيد الإنشاد على لسان سليمان لهو أشهر من أن يعرف، وإليك بعضاً منه:

((وقد دخلت جنتي يا أختي العروس، قطفت مري مع طيبي أكلت شهدي مع عسلي شربت خمري مع لبني كلوا أيها الأصحاب اشربوا واسكروا أيها الأحباب.

أنا نائمة وقلبي مستيقظ، صوت حبيبي قارعاً: افتحي يا أختي يا حبيبتي يا حمامتي يا كاملتي لأن رأسي امتلأ من الطل وقصصي من ندى الليل، وقد خلقت ثوبي فكيف ألبسه، قد غسلت رجلي فكيف أوسخها حبيبي مد يده من الكوة (الفرج حسب تعبير مقار) فأنت عليه أحشائي..

---

(١). العهد القديم عدد ١١/٢٨ –١٥/.

حفظة الأسوار رفعوا إزاري عني...

ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدة من أبريز طلعته كلبنان))[1]

ولن أتابع فنشيد الإنشاد منذ بدايته وحتى نهايته غزل مكشوف داعر وشهوانية لا تقل عن أي شاعر مادي خلع عذاره وأرخى عنانه.

((ولا تستخدم آداب ردها كريشاً تعبيرات مجازية شهوانية بشرح علاقة البشر بالله، ولتشجع محبة الله بطريقة الأشرار الصوفية ونشيد الإنشاد في الكتاب المقدس، فها هنا تكون الروح مؤنثة في علاقتها بالله الذي تشتاق إليه وهي تصف ألم الانفصال عن المحبوب وغلطتها بالاتحاد معه))[2].

٩.النار:

لعبت النار دوراً كبيراً في حياة اليهود وقد ناقشنا ذلك في المصدر الفارسي فقد كانت العنصر التطهيري لدى اليهود وكانت الذبائح ليهوه تحرق ومرَّ معنا هذا.

وعبدَ الهنود النار أيضاً وقد رأينا أن أقدم ألهة الفيدا هي قوى الطبيعة وعناصرها وأهم آلهة الفيدا آلهة النار والشعلة المقدسة التي ترفع القربان إلى السماء العليا.

(١). العهد القديم نشيد الإنشاد ص٥.

(٢). بارندز جفري المعتقدات الدينية ص١٨٦.

وكما رأينا أن النار لعبت دوراً أساسياً في التطهير لدى الديانة الهندية وبهذا يكون اليهود قد سطو على النار وأخذوا ميزاتها من الهنود والفرس فهي التي تزف القرابين إلى يهوه وبواسطة إحراقها يتم ليهوه التهام القرابين والأضاحي كما أنها عنصر تطهير.

١٠.تحضير الأرواح:

لا خلود عند الهنود ولا بقاء للأرواح في جنة ونعيم أو في عذاب وجحيم، دائماً يرون أن الأجساد تتحلل وتنفصل الأرواح عن الأجساد عند الموت وتهيم هذه الأرواح وفي بعض الديانات الهندية تحل هذه الأرواح في المخلوقات من جديد، ولسنا الآن بصدد ذلك ولكن تبقى في الديانات الأخرى هائمة.

((ولقد ادعى الشامان والمشعوذون والسحرة من ناحية أخرى أنهم قادرون على استحضار أرواح الموتى الهائمة كما زعموا أنهم بوسائل تقنية مختلفة وعقاقير معينة قادرون على ضمان خلود الجسد وهكذا يمكن أن تتكامل الأرواح المبعثرة من جديد في جسد خالد ويمكن تجنب ما يحدث الموت من فناء)) [(١)].

وإحضار أرواح الموتى طريقة عرفتها التوراة فقد أحضرت امرأة صاحبة جان روح صموئيل لملك بني إسرائيل شاول ارجع إلى صموئيل الأول ١٧/٢٨ –١٨/.

---

(١). المصدر السابق.

خاتمة

وهكذا رأينا كيف أثر الفرس والهنود في نشأة التوراة وكيف ساعدت هذه الأفكار على ابتعاد التوراة عن الأصل الموسوي الخالص.

ولو أردنا أن نرجع الأثر التوراتي المتبقي من توراة موسى لألفيناه أثراً بسيطاً لا قيمة له في هذه الديانة التي يزعمون أنها سماوية، وهذا الأثر البسيط أيضاً نُقض في عدة أماكن.

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. شربنتية اصطفان: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس

٣. ليوتاكسيل: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير

٤. محمد حميد فوزي: عالم الأديان بين الحقيقة والأساطير

٥. إسرائيل شاحاك: الديانة اليهودية بين الحقيقة والأساطير

٦. بارندز جفري: المعتقدات الدينية

٧. العهد القديم

٨. جرجس صبري: التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي

٩. حسين علي فؤاد: اليهودية واليهودية المسيحية

١٠. إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية

١١. مقار شفيق: السحر في التوراة

١٢. مقار شفيق: الجنس في التوراة

١٣. تيزيني طيب: من يهوه إلى الله

١٤. كنعان جورجي: تاريخ يهوه

١٥. سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ

١٦. ويلز ج. هـ: تاريخ معالم الإنسانية

١٧. ظاظا حسن: الفكر الديني اليهودي

١٨. البار محمد علي: المدخل إلى الدين اليهودي

١٩. ول ديوارنت: قصة الحضارة جـ٢ من المجلد الأول

٢٠. همو عبد المجيد: هاجر بين الحرية والعبودية

كتب صدرت للمؤلف

الفكر اليهودي:

١. بلقيس بين الحقيقة والأسطورة.

٢. هاجر بين الحرية والعبودية.

٣. بابل ولصوص اليهود.

٤. التوراة تحريف وتزوير:

- التاريخ.
- حقيقة إسرائيل.

٥. القدس في التاريخ.

٦. أنبياء القرآن.

النوع الأدبي:

١. ديوان شعر البراعم

٢. تحقيق ديوان الإمام الشافعي رضي الله عنه

٣. تحقيق ديوان الإمام علي رضي الله عنه.

٤. تحقيق شرح الشيباني للمعلقات التسع.

النوع الفلسفي:

فصل المقال فيما بين الحقيقة والحكمة من الاتصال.

كتب تحت الطبع

١. ديوان عنترة دراسة.

٢.صرخات عربية.

٣.نفي الطغيان رد على محمد شحرور.

٤.إحياء علوم الدين للإمام الغزالي تحقيق ودراسة

٥.ديوان صرخة عربية.

٦.التوراة تحريف وتزوير:

التاريخ جزء ٣ وجزء ٤

الجغرافيا جزء ١ وجزء ٢

الدين جزء ١ وجزء ٢

٧.مصادر التوراة:

١. التوراة من كتبها
٢. الكنعانيون والتوراة المحرفة
٣. الديانة الفرعونية وأثرها في التوراة
٤. بابل وتحريف التوراة
٥. الأثر الفارسي في التوراة
٦. التوراة وفلسطين
٧. هل الديانة اليهودية سماوية

الفهرس

مصادر التوراة

(٦)

التوراة وفلسطين
من أين جاءت التوراة؟
رد على ادعاءات الصليبي

عبد المجيد همو

دار غار
حراء
دمشق - سوريا هاتف : ٢٢١٩٠٤٧

طبع بموجب موافقة وزارة الإعلام رقم /٤٦٥٩١ / تاريخ ٢٩ / ١٢ / ١٩٩٩

توزيع :
دار الهيثم - هاتف : ٤٤٤٥٦٦٥
دار الألباب - هاتف : ٢٢٣٩٨٢٠

الإهداء

إلى كل ذي بصر وبصيرة

إلى كل من أعمتهم أكاذيب التوراة

عساهم يبصرون

عبد المجيد همو

كفر تخاريم

الفصل الأول

اعتراف بتحريف التوراة

١. القراءة المغلوطة.

٢. تلاعب المترجمين.

٣. تحريف في المعاني.

٤. إبدال الأرض.

٥. تحريف في الأسماء.

هذا الفصل من النقاط الإيجابية التي وقعت في كتابة الصليبي فقد اعترف الصليبي بتحريف التوراة ضمن النقاط التي أوردها وسأمر بها تباعاً.

١ .القراءة المغلوطة

يقول الصليبي: وبموت العبرية التوراتية كلغة محكية أصبحت قراءة الكتب المقدسة اليهودية مشكلة وبقيت كذلك منذ ذلك الحين، واللغة العبرية مثلها مثل كل اللغات السامية كانت تكتب بأحرف ساكنة لابد من تصويبها لكي تفهم.

ومن الناحية الأخرى فقد كان من الضروري فهم الكلمة قبل إضافة الإشارات الصوتية الملائمة أو تشديد الأحرف حيث يتطلب ذلك المعنى الصحيح أو المفترض وبدءاً من المرحلة الإخمينية يبدو أن اليهود الفلسطينين والبابليين الذين لم يعرفوا كيف كانت اللغة العبرية لكتبهم المقدسة تلفظ على الأصل.

راحوا يصوغون الإشارات الصوتية المضافة إليها على الأساس الآرامي اللغة التي كانوا يتكلمون بها، وكانت نصوص كتبهم المقدسة هذه مليئة بأسماء أمكنة لم يكونوا يعرفوها لأن هذه الأسماء كانت خاصة بأماكن ومواقع في غرب الجزيرة العربية ولا يعرفوها[1].

هذا النص يمكن أن آخذ عليه عدة ملاحظات:

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٤٥.

١. إن فترة السبي البابلي لم تستمر طويلاً حسب النص التوراتي فقد ظلوا في الأسر /٧٠/سنة وهذه المدة لا يمكن أن ينسى الإنسان أسماء مدنه وقراه فنحن لازلنا بعد ألف وأربعمائة سنة بعد الهجرة لازلنا نذكر مدينة يثرب وجبل أحد ومكان حنين ومكة وغار حراء وغار ثور وحصن خيبر ولا يمكن أن تتغير معلوماتنا عنها.

٢. بدأت المرحلة الإخمينية مبكرة وفي هذه الفترة تأسست اليهودية والأحبار الذين ألفوا اليهودية يعرفون ذكرياتهم و لم ينسوها بعد ولنا تجربة مماثلة هي ما يجري في فلسطين حالياً فقد تمت النكبة عام /١٩٤٨/، فقد مرَّ عليها ما يقرب الخمسين سنة وهي تقارب فترة الأسر فقد تم الأسر /٥٧٨/ ق.م وسقطت بابل /٥٣٨/ ق.م وبينهما أربعون سنة والنكبة عام /١٩٤٨/ ونحن الآن /١٩٩٩/ والمدة تزيد عن مدة الأسر ولازال الفلسطينيون يحملون ذكرياتهم عن مدهم وقراهم ولازالوا يحفظون أسماء الدروب التي مروا بها والحوادث التي أصابتهم وكيف هجروا قراهم ومدهم.

٣. كيف ماتت العبرية خلال خمسين سنة أو أربعين في الأسر فمتى ولدت ونشأت؟ ومتى ماتت؟

لم تكن هناك لغة معروفة باسم العبرية ولا ادعتها التوراة وإنما كانت اللغة التي يتكلموها هي اللغة الكنعانية وليست العبرية كما

يقولون، ولم تكن لغة خاصة بهم واللغة التي تكلموها بعـــد الأســر لا تختلف كثيراً عن اللغة الآرامية.

ولهذا أنا لست معه بموت العبرية وإنما لم تولد حتى تموت واللغــة الكنعانية باعتبارها لهجة عربية قديمة قد حلت محلها لهجة عربية أخـــرى أما أن يقول لغة عبرية فإن التوراة لم تشهد بها وقالت إنها لغـــة كنعـــان وشفة كنعان وفي الأخير قالت اليهودية وهذا بعـــد تأسـيس الديانـــة اليهودية.

٤. الأحرف الصوتية وجدت في اللغة العربية والكنعانية والآرامية معاً فالألف موجودة في اللغات الثلاث معاً والواو وكذلـــك ياء فألف في كلمة أبجد والواو في كلمة هوز وياء في كلمـــة حطي من الترتيب الأبجدي.

ففي كلمة ولد /يلد الكنعانية موجودة اليـــاء/ وفي كلمـــة داود ولفظها بدون الألف دود فالواو موجودة، وكذلك /أمر/ قـــال الألـــف موجودة والهمزة غير موجودة في العبرية وكتابة الصليـــبي وزيـــاد مـــتى بإضافة الهمزة بديل الألف إنما هو للتضليل فقط.

٥. الإشارات الصوتية عرفها اليهود في ظل الحضارة العربية فقـــد وضع العرب النقاط على الحروف في عهد الحجاج في العراق وتحت رعايته وكذلك الفتحة والضمة والكسرة والســـكون ولم يضعوا الألف والواو والياء، ولو قال الصليـــبي وضعـــوا

الحركات لكان رأيه صحيحاً لكنه أراد أن يبدأ بالخطأ حتى يقرر الافتراض الذي يريده.

٦. لا يعلل الصليبي سبب تراجع اليهود الذين تبقوا في شبه الجزيرة وعدم تمكنهم من تصحيح هذه الأخطاء.

مع العلم أن التوراة قالت بهجرتهم من فلسطين إلى أرض مصر ولم ينصح بذلك أرميا، ومن ثم هجوم إسماعيل على الحاكم اليهودي الذي خلفه نبوخذنصر على تلك البلاد، وأرميا هو أحد الأنبياء الذين شهدوا السبي وكان مع البابليين وظل يحيا في البلاد التي أسروا منها هذا ما صرحت به التوراة.

هذه القراءة المغلوطة التي وقع فيها اليهود ليست من التشكيل وإن ضرب الصليبي وأعوانه مثلاً من العربية كلمة جبر فإنها تقرأ حبر وخبر وخير وخبز وجير وحير وحتر وختر وخنر وهذه كلها تدخل في باب التنقيط واللغة العبرية حسب تعبيره ليست فيها الأحرف المنقوطة إلا الحروف التالية وتسمى النقطة شدة والتي فيها تغير لفظ الحروف:

١. الباء وتلفظ فاء.
٢. الجيم وتلفظ غيناً.
٣. الدال وتلفظ ذالاً.
٤. الكاف وتلفظ خاء.
٥. الفاء وتلفظ باء أجنبية مخففة.
٦. التاء وتلفظ ثاء.

هذه الحروف التي يمكن أن يقع الإنسان فيها بالخطأ بين حرف وحرف، أما الأخطاء التي يقع فيها القارئ لعدم وجود الأحرف الصوتية فقراءته يمكن أن يقع فيها الأخطاء التالية: قل يمكن أن تقرأ قال أو قول أو قيل ولكن لا تلفظ فيل أو فيول لأن القاف في اللهجة الكنعانية غير منقوطة وكذلك اللام.

ولهذا إذا أراد التلاعب باللفظ حتى يحصل له ما يريد تسقط حيلته ضمن هذا الباب، أما الاشتقاق الذي أراد أن يتلاعب به ليحصل على هدفه فإننا نقول ما يلي:

يمكن في الكلمة العربية أن تبدل حروفها ضمن المعنى الواحد مع خلاف بسيط في ذلك فقول ولق وقل وقلا، لوق، لقو ممكن ولكن أن تزاد عليها حروف من خارج الاشتقاق ومن خارج الحروف الأصلية التي فيها، وهناك الأمثلة الكثيرة على ذلك مثالها جلعاد حذف اللام فيها وجعلها أل التعريف فصارت الجعدة وقبيلة جعدة معروفة منذ أيام الجاهلية والنابغة الجعدي نسبة إلى هذه القبيلة وكان في أيام الحجاج شيخاً مسناً وكان يهاجي ليلى الأخيلية.

ولو قال جلعاد مقلوبها جعدل أو جعلد أو دجعل أو عدجل أو لجعد أو لعجد أو لدعج أو دعجل أو دلعج أو عجدل أو علجد أما الجعد أي التعريف تعتبر لاحقة ولهذا يسقط كل ما قيل في هذا الباب، أما النقطة الثانية في هذا المجال فكل كلمة أضاف إليها أل التعريف بدل من إيل إله فهو تفسير خاطئ فلو قلنا الغلام معناه الإله غلام، أو القوم

هل يعني الإله قوم أو آل زيد تعني الإله زيد، إن هذا التفسير اللغوي يرفضه كل من له أدنى علم في اللغة أو الاشتقاق وصرفها.

٢.النقطة الثانية في هذا الفصل هو تلاعب المترجمين

لقد عزا الصليبي بعض الأخطاء التي وقع فيها قراء كتب اليهود المقدسة هو تلاعب المترجمين بالمعاني أو قل عدم قدرتهم على القراءة الصحيحة، ننقل من كلام الصليبي هذا المقطع للدلالة على ذلك ((فقد أخذ هؤلاء المترجمون شحت العبرية على أنها فعل ماض بمعنى أخرب أو خرب في حين أنها ترد علميا في النص كاسم مكان، ولو وضع ترجمة الأصل العربي الذي مغزاه التام كما هو نصاب البيئة الجغرافية المتصورة في فلسطين لجأ المترجمون إلى التلاعب بالنص الأصلي فنزعوا الجملة لفي شحت يهوه أت سدم وأت عمره من موقعها الصحيح ليضعوها بعد كأرض مصريمه بأكه صعر وهذا ليس موقعها في الأصل العبري وأكثر من ذلك فقد اعتبروا أن من المسلم به كون أرض مصريم تعني ارض مصر وفي الجملة الأخيرة افترض كلهم وبدون استثناء أن عرى هلكر تعني مدن الدائرة أي مدن وادي الأردن في حين أن الأصل العبري يشير إلى كهوف مكان معين بالعربية غار أي كهف، أو وديان ذلك المكان، وبالعربية غور أي المكان العميق أو الوادي والمرجح أن عرى في إطار النص تعني الكهوف))(١).

ولي على هذا النص النقاط التالية:

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ١٤٥.

١. إذا تلاعب المترجمون في النص فهذا يعني أن النص باق على حالته الأصلية في التوراة وهذا لا يشكل خطرا.
٢. لا يمكن أن يترجم الإنسان من لغة دون أن يتقن هذه اللغة ثم إن كل ترجمة يشرف الأحبار وأهل العلم عليها.
٣. إن نقل نص من مكان إلى آخر لا يمكن لأن النص الأصلي موجود وما أخطأ به هذا المترجم سيأتي مترجم آخر ويصححه، إن سدوم وعمورة الواردتين في النص لم يعرف أحد مكانهما لولا قول علماء اليهود إنهما في هذا المكان وهذا ليس عيب الترجمة.
٤. الصعر في العربية غير الصعر، وصعر لا تفيد إطلاقا ما يريده الصليبي، وكتاب التوراة لا يقصدون اسم صعر وإن وجد في الجزيرة العربية أكثر من كلمة صعر فهذا ينفي أن تكون أحداهما هي صوعر ولو وجدت فالأمر معكوس فالعين الكنعانية تقابل الغين العربية فصعر تقرأ بالعربية صغر وليس العكس إطلاقا.

أما عر بمعنى غار فهذا أمر محتمل ولكني أسأل الدكتور الصليبي لماذا اختار لوط مكان كهوف وكيف يكون مكان الكهوف مسقيا وكيف يرعى في الأراضي المسقية إذا كانت تابعة لمدينة، ولتكن كما قال صعرة والغمر فإن أهالي المدينتين سيستنفرون ضد الرعي لأنه لا يمكن أن يلتقي الرعي والحضارة معا.

لماذا سلبوا لوطا رسالته؟

وحرموه من النعمة الإلهية التي قدمت للوط وقبلوا به راعيا فقط؟

هذا السؤال نطرحه على أهل العلم والمعرفة من اليهود وجماعة الصليبي علهم يفيدوننا أفادهم الله.

هذا الاختيار كله ملغي لأن القصة ليست إلا من خيالات اليهود وعقلهم المريض ولهذا إن تلاعب المترجمون في هذا النص أم لم يتلاعبوا فالأمر سواء ولا أصل لهذه القصة المزعومة.

٣.تحريف في المعاني

يقول الصليبي: ((إذا كانت يهوذا أو يهودا أرض الشعاب والوهاد على امتداد الجانب البحري لجنوب الحجاز وعسير فلا بد أن يسرإيل كانت في الأصل مرتفعات السراة هناك، وقد كتب الكثير عن أصل الاسم، ولكن النتائج كانت مدعاة للتشويش أكثر منها مدعاة للتنوير والقول في سفر التكوين ٣٢/٢٨/ بأن الاسم يعني يجاهد مع الله أو الله يجاهد ما هو إلا تفسير ميثولوجي من نسج الخيال، إن كون الاسم يسرئيل مركب من يسر وإيل أمر يؤكد موقع ذلك فإن يسر هنا ليست المضارع من الفعل العبري ساره بمعنى جاهد، ناضل قاتل، بل هي اسم قديم من الفعل نفسه بمعنى الكلمة العربية سرو أو سري، والسرو هو ما ارتفع من الوادي وانحدر عن غلظ الجبل والسراة من سري أعلى كل شيء، وإن الجزء الأول من يسرئيل أي يسره هو اسم على وزن يفعل مشتق من سره بمعنى شمخ ارتفع ويقابله العربية اسم السرو أو السراة من

الجذر ذاته ويتضح من ذلك أن الاسم بكامله هو يسره إيل أي سراة الله والإشارة هي ولا شك إلى مرتفعات السراة بين الطائف واليمن))[1].

لي على هذا النص الملاحظات التالية:

١. هناك تحريف في المعاني وهو كثير كما يؤكد صليبي وهذا مثال من الأمثلة.

٢. رفض المعنى التوراتي الوارد إنما هو رفض للتوراة بحد ذاتها إذ لم يأت التفسير هامشيا وإنما جاء في صلب النص.

٣. وحتى في سفر حزقيال أكد هذا المعنى من جديد.

٤. إن فعل ساراه وهذا هو اللفظ العبري هو بالعربية جاهد وناضل ولكن الهاء من جذر الكلمة أو من الحروف الأصلية فيه فالسين والراء والهاء حروف أصلية في الفعل ولا يمكن الاستغناء عن أي واحد منها ولهذا يسرئيل لا يمكن أن تكون مشتقة من ساراه لأن الهاء نقصت في هذه الكلمة ولو كانت الكلمة يسره إيل كما يفكر الدكتور لهانت المشكلة.

وإنما يسرا ليس يسره إن فعل ساراه قد أخذ إلى زوجة إبراهيم وقد حولت من ساراي إلى ساراه.

ترى ماذا تفيد الكلمتان من معنى؟

فساراي جذرها السين والراء والياء وهي من سرى العربية.

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ١٩٥.

وسارا جذرها السين والراء والهاء وهي من سره وهذه الكلمة التي أخطأ الصليبي في ضمها.

إن يسره وساراه معناها جاهد وناضل هذا التبديل في الحروف قد أوجدته التوراة في تغيير اسم ساراي إلى ساره ولكن لماذا؟ الجواب لا نعرف وحتى كاتب التوراة عاجز عن ذلك.

إن معنى يسرئيل كما حدثت التوراة هو بالفعل محير ومشوش وخاصة بعد أن أوردت يعقوب يصارع يهوه وعجز يهوه عن غلبته.

٥.أما اعتبار الصليبي سره = سرو العربية فلنا فيها أمران:

- إبدال الهاء العبرية بالواو العربية فهو غير وارد فهذا جذر وذاك جذر آخر.
- سرو بالعربية ما ارتفع من الوادي وانحدر عن غلظ الجبل والسراة بلاد جبلية مرتفعة عن الوادي ومنحدرة عن غلظ الجبال، وبهذا ناقض المعنى الذي يريده.

٦.لا يمكن أن تكون أل التعريف العربية في يوم من الأيام بديل من إل بمعنى الله وإلا كان العرب سموا هذه الجبال سراة الله ولم يحدث هذا مما يرد كلام الصليبي ويجعله منطقيا مرفوض.

٧.اعتبر الصليبي أن إسرائيل بلاد المرتفعات ويهودا بلاد المنخفضات وكأن هناك أصلين في اليهودية إسرائيل ويهوذا

مع العلم أن التوراة ضمت سبط بنيامين إلى يهوذا حينما انقسمت المملكة.

ونحن هنا أمام عدة أمور:

١. اعتبار التوراة صحيحة وما وجد فيها حق وعلينا أن نقبل بها ككتلة متكاملة لا يجوز أن نصحح بعضها ونضرب ببعضها.

٢. إذا ثبت أن جزءاً من أجزاء التوراة قد دس وهو باطل فإن هذا يدعونا إلى إسقاط التوراة فالكتاب لا يمكن أن يكون صحيحاً إلهياً وباطلاً بشرياً في وقت واحد.

٣. النظرية تسقط بسقوط جزء منها ولا تثبت إلا بثبات أجزائها كافة وهكذا كتاب التوراة إما أنه لا يأتيه التحريف من بين يديه ولا من خلفه أو هو كتاب بشري لا علاقة له بالله لا من قريب ولا من بعيد وطالما حُرِّفَ في مكان يمكن أن يكون محرَّفاً في أماكن أخرى فأين الصحيح وأين الخطأ؟

أورد الصليبي قائمة المواقع في الحجاز وعسير تحمل (إيل يسره) هكذا كتب وقال: إله السراة ولن أقف عندها وأعددها ولكني أريد أن أناقش هذه الرموز:

١. زمرة أل + يسر.

٢. زمرة يسر.

٣. زمرة آل يسر.

٤. زمرة لا تنضم إلى وصف معين.

١. إن أل التعريف وما يليه من أسماء لهو بعيد جداً عن تكوين إيل الله في العربية وقد مرت في القرآن الكريم الذي استشهد به الصليبي فهناك جبريل وميكائيل وما شابه ذلك من ملائكة ولك يرد في القرآن إل جبر وإل مكاي والحكاي حتى نعتبر أل التعريف بدل إيل.

٢. أن زمرة أل وآل في اللغة العربية لها عدة معاني منها السراب ومنها جماعة الشخص ولكنها لا تعني إذا كانت في بداية الكلمة اله في أي شكل من الأشكال.

٣. إن كلمة يسر من اليسر وليس من الجبال الشاهقة التي فيها السراة، واليسر عكس العسر، فاشتقاق السراة من اليسر اشتقاق خاطئ نرده ولا نقبله.

٤. إن تعدد الأماكن بهذا الاشتقاق دليل واضح على أنه ليس المقصود المكان التوراتي فالتوراة لم تشر إلى مكان معين وإنما أشار إلى اسم رجل كما وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى أيضا.

٥. ورد في القرآن الكريم سري بمعنى جدول وهو بعيد عما توخاه الصليبي سامحه الله.

٦. هناك بعض الإشتقاقات التي تناولها الصليبي مأخوذة من سار يسير وهذه الإشتقاقات بعيدة عما يريده الصليبي.

ويذهب به الخيال ويشط عنده فيقول الاسم الذي يماثل إسـرائيل مع إيل لاحقة وليس سابقة هو الاسم سريويلِ وهو اسم قرية في أواسـط نجد ـــ خيال علمي جامح ونسي أن سريويل مصغـــر ســروال فليعـــد الصليبي إلى درس التصغير عله يفيدنا من علمه.

٤.إبدال الأرض

يقول الصليبي: هناك إجماع بين علماء التوراة بأن سفر التكويـــن لم يوضع إلا في وقت متأخر وذلك بعد مدة طويلة من قيام مملكة كـــل إسرائيل..

ويبدو أن واضعي سفر التكوين حاولوا تفسير هذا الأمر التـاريخي الواقع بإعطائه شرعية دينية فقالوا بأن الأرض التي تمكن بنو إسرائيل مـــن السيطرة عليها وإقامة دولتهم التاريخية فيها كانت بالفعل أرضاً موعـــودة لجدهم إبراهيم من الرب يهوه وكانت هذه الأرض ــ كما سبق ــ تمتـــد من منطقة جيزان عند حدود اليمن إلى وادي أضم ومرتفعات الطـــائف المحاذية لهذا الوادي في جنوب الحجاز وهكذا فإن نهر مصـــريم في وعـــد يهوه لأبرام لم يكن نيل مصر بل وادي جيزان ويبدو أن هـــذا الـــوادي عرف في الأزمنة التوراتية باسم نهر مصريم أو نحل مصريم نسبة إلى قريـــة من حوض هذا الوادي تعرف اليوم بالمصرم أما النهر الكبير نهر فـــرات فهو بدون شك وادي أضم حيث هناك إلى اليوم قرية الفرت[1].

(١). الصليبي: المصدر السابق ص ٢٥٩-٢٦٠.

ونحن أمام هذا النص نبدي بضع ملاحظات:

١. إجماع علماء التوراة على أن وضع سفر التكوين جاء متأخراً وخاصة لم يكن لديهم ما يستعينون به على هذا التسجيل يفتح لنا ثغرة أمام المناقشين فقد يغيرون كثيراً من الأسماء وينسون كثيراً منها.

٢. إن هذه الأسفار دونت على يد عزرا ونحميا وهؤلاء زاروا فلسطين _ وهذا رأيي _ قبل أن ينتقل اليهود برمتهم وهم على دراية تامة بنهر الفرات وأرض فلسطين ووادي مصر ولا ننسى أن الفرس هم الذين أعطوهم الوعد ولا وعد من قبل يهوه ولا إيل.

وإذا ما كان عزرا هو الكاتب فعلاً فمن الذي يجبرنا على القبول بأن هذا النص الذي كتبه هو النص نفسه الذي كان في زمن موسى وقد ناقشنا هذا سابقاً في فقرات طويلة.

٣. إن وعد يهوه لإبرام كما جاء عند الصليبي لا تصل لتضم السراة كلها فيما إذا كان الصليبي صادقاً مع نفسه فقد ضم قمم المرتفعات من الشرق ووصل بها إلى ساحل البحر الأحمر ومن مدينة الليث وحتى جنوب جيزان.

٤. إن تصور اليهود وهم في ظلال الفرس وقد زوجوا أستر لأرحشتا أن تكون دولتهم أقوى وأعز منعة مما ذكروا.

إن اقتصارهم على هذه المنطقة هو خيال في خيال وليوهموا فارس أنهم بامتلاكهم هذه المنطقة يكونون عوناً لهم وهم الذين سيتحملون الدفاع عن الدولة الفارسية وهم درعها الغربي فهم سيقفون في وجه اليونان والمصريين إذا أعطوهم هذه المنطقة.

٥. إن إبدال أرض غرب الجزيرة العربية بأرض فلسطين مخالف لعلماء اليهود منذ ما بعد الأسر وحتى الآن فهل يستطيع الصليبي أن يبرهن لنا أن علماء اليهودية كانوا على خطأ مخالفين وعد يهوه وضاربين بتوراتهم وما قاله يهوه عرض الحائط.

٦. إن فقرة الوعد والميعاد تشكل أهم بند في التوراة على الإطلاق، وإذا ما كان هذا الوعد مبدلاً فماذا يبقى من التوراة؟

٧. لو لاحظنا كلمة حاول واضعو سفر التكوين تفسير ولم يقل وفسر علماء التوراة، لماذا قال حاولوا مع العلم أنهم لم يحاولوا وإنما فسروا هذه البلاد على أنها فلسطين.

٨. أرى أن الصليبي دافع عن اليهودية والتوراة ولكنه سقط في حمأة تناقضات التوراة فالوعد اختلف ثلاث مرات ما بين أبرام ويعقوب وموسى وفي كل مرة كان يعدد أقواماً فيزيد وينقص، وقد أهمل الصليبي هذه الوعود واعتمد وعد أبرام.

٩. أهمل الصليبي أبناء أبرام الآخرين كإسماعيل ومديان وبشباق.. إلى ما هنالك من أبناء، بناء على إهمال التوراة لهم.

١٠. أخذ أسماء عربية لقبائل عربية وحاول أن يعيدها إلى أصول عبرية مع العلم أنه اعترف بأن العربية أقدم من الكنعانية والآرامية.

وقد تلاعب بالألفاظ قين قبيلة القوانية، وقتري بقبيلة القنيصات والقنيصات من القنص الصيد، القدمونيون الدمجان وسبحان الله، ثم عاد على القوادم وفسرها بأنها جمع قدم والقوادم جمع قادمة والحيثيون أل حتاحيت والحتاحيت القطع الصغيرة وأخيراً الفزرايون بني فرضة أو بني صفاري.

ولن أتابع هذا الخلط اللغوي عند الصليبي وإلا كنا استطعنا إثبات وجود الأمة العربية منذ آلاف السنين في أوربا وأمريكا وإليك أمثلة على القياس الصليبي:

أوربه = عروبة، مرسليا = ميناء الله، مرس إيليا، طولون من طال العربية والمملكة الطولونية معروفة.

باريز من البراز والمعارك، وبرلين كجبرين باللهجة السريانية، برل+إين الإله، وجبرين جبر+إين الإله.

ولن أتابع في هذه السفسطة فإننا لا نصل إلى نتيجة سوى تشويش عقل القارئ وإيهامه أننا على صواب في محاكاتنا اللفظية، أما قوله في نهاية الأسماء العشرة أن الأقوام التوراتية كانت من القبائل القديمة

في غرب الجزيرة العربية فقول مرفوض لأننا لو عدنا إلى جداول القبائل العربية في الجاهلية وصدر الإسلام سواء كانوا من العرب البائدة أم الباقية فإننا لا نعرف عن هذه الأسماء التي أوردها شيئاً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٥. تحريف اسم يوثام

قال الصليبي: ((وعندما يعثر عالم آثار توراتي آخر على مناجم للنحاس قرب إيلات الحديثة إلى الغرب من ميناء العقبة ويعثر على ختم نقشت عليه كلمة ليثم في الجوار العام نفسه يسارع إلى الاستنتاج بأن هذا الختم لا بد أنه كان يخص يوثام ليثم ملك يهوذا ثم يعلن للعالم دون أن يرف له جفن اكتشاف الموقع الصحيح والدقيق لمناجم نحاس الملك سليمان ولمدينة عصيون جابر التوراتية التي كان الإسرائيليون ينطلقون منها بحثاً عن الذهب))[١].

في هذا النص يمكن أن أبدي بعض النقاط:

١. ليثم: لوثام واللام هنا لام الملك حرف جر ويوثام ورد في التوراة يهوثام، إن ورود الاسم ليثم عبارة عن فضح للكذب التوراتي بإضافة يهو على الاسم بعد الياء واسحب هذا على كل الأسماء اليهودية التي وردت يهورام، يورام، يهوشفاط، يوشفاط، وهي الأفعال يورم ويشفط من شفط ويوثام= يثم ...الخ. وقد أثبت دون أن يريد التحريف التوراتي.

---

(١). الصليبي: المصدر السابق ص ١٠٦.

٢. علق على النص ليس في البحث الأثري عن المواقع التاريخية خطأ من حيث المبدأ لكن الخطأ هو الوصول إلى الاستنتاجات التاريخية وتأكيدها على أساس دلائل غير حاسمة.

٣. لو كان الختم مكتوباً عليه ليثم ملك يهوذا، ولكن حينما لم يجد ذلك فأي دليل على أن يثم هذا هو يوثام ملك يهوذا.

٤. هناك واد عبر وادي عربه يسمى وادي اليتم ويحاول أن يبعد ذلك عن اليهودية بقوله إن يثم هو إله مصري آثوم.

فلماذا لا يقول إن وادي اليثم هو واد مرعب يخاف فيه داخله أن يتيتم أطفاله فالداخل إليه مفقود وإنه لمحتمل.

ووقع الصليبي بما نهى عنه من ناحية استنتاجات تاريخية على دلائل غير حاسمة، إن وجود كلمة يتم فيها الياء لهو دليل واضح على أن الياء موجودة في اللهجات العربية القديمة من كنعانية وآرامية وغيرها.

الفصل الثاني

تمجيد لليهودية:

٦. دفاع عن اليهودية.

٧. قدرة اليهود على اجتذاب أناس لدعوتها.

٨. الإحساس المرهف لديهم.

٩. تمجيد للمسوريين.

١٠. تخليد لغة كنعان بواسطتهم.

قدمت الفصل الأول وهو حسنة في كتاب الدكتور الصليبي فهو قد اعترف بصريح العبارة بتحريف التوراة وإن بدت هذه الاعترافات خجولة أحياناً ومترددة أحياناً.

أما في هذا الفصل فقد كشف الصليبي عن وجهه ولا أدري كيف أساغت مؤسسة الأبحاث العربية نشر هذا الكتاب ودافعت عن نفسها بقولها: وأخيراً فإن المؤسسة العربية الناشرة لهذا الكتاب وهي تضم مواطنين عرباً سلاحهم الفكر والفكر وحده، تقف بما تنشره موقف الرفض المطلق من الوجود الصهيوني في فلسطين، وتعتبر أن الصراع مع إسرائيل والحركة الصهيونية صراع حتمي على البقاء والوجود وليس مجرد خلاف على الحدود وتؤمن أيضاً برغم قتامة الوضع الراهن وأن الفجر العربي قادم لا محالة ويومها لن تبقى أرض عربية تحت سنابك خيل الغزاة صهاينة كانوا أم قوى أخرى غير عربية في فلسطين وفي بعض المناطق العربية التي اغتصبت منذ عقود من الزمن))[(١)].

جميل هذا الكلام وجميل أيضاً أن نبدأ بتطبيقه لا أن نرى التمجيد في عدونا والتمييز له عن بقية البشر وعنا أيضاً، ونقول إننا عرب فأين العروبة هذه إذا قرأنا هذه المقاطع التي انتزعتها من الكتاب للدلالة على انتماء الصليبي ومعاداته العربية والعروبة قولاً وفعلاً، يقول الصليبي: ((بين الأديان المعروفة في قديم الشرق الأدنى تقف اليهودية في فئة وحدها إذ لم تجر أية محاولة ناجحة حقاً لتفسير أصولها من خلال الأديان العراقية أو

(١). الصليبي: المصدر السابق ص ٩.

الشامية أو المصرية القديمة باستثناء ما جرى على مستوى الاستعارات الأسطورية كما في قصة الطوفان...

وحتى في هذه الحالة لا يمكن للمرء أن يقول: أين ولدت أمثال هذه الأساطير؟

ومن استعارها ممن أو أخذها عنه؟

إنه يجب البحث عن الأصول الحقيقية لليهودية في ثنايا الاتجاه في منحى التوحيد في عسير القديمة حيث تم الجمع في وقت ما بين عدد من آلهة الجبال (ومنهم يهوه وآلهة صبأوت وشلم وشدى وعليون وهم في الترجمة العربية المعتمدة الرب إله الجنود وإله السلام والله القدير والله العلي) واعترف بهم كإله واحد أسمى.

ربما حدث ذلك بالترافق مع قيام تآلف بين القبائل المحلية، وبعد أن تبنى سكان محليون يسمون الإسرائيليين والأصح بني إسرائيل هذا التوحيد البدائي المولود في غرب شبه الجزيرة العربية قام هؤلاء بتطويره مرحلة بعد أخرى إلى ديانة عميقة المضمون لها كتبها المقدسة، وتشمل مفهوماً متطوراً للألوهية ومحتوى اجتماعياً وأخلاقياً مصقولاً إلى درجة رفيعة[1].

نستطيع أن نبدي بعض الملاحظات حول هذا الإطراء غير العادي:

---

(١). الصليبي: المصدر السابق ص ٢٨-٢٩.

١. لم يقرأ الصليبي على ما يبدو ما قاله ابن حزم ولا الجاحظ، ولا ما خطه سبينوزا أو فولتير ولا ما كتبه فرويد ولا غيره.

٢. من أجل هذه الكلمات لم تجر أية محاولة جادة ترد عليه ولهذا قدمت كتبي هذه مصادر التوراة وفندت محاولته.

٣. وقف الصليبي موقف المتشكك هل اليهود أخذوا من أسطورة جلجامش الطوفان أم كاتب ملحمة جلجامش هو الذي أخذ الطوفان، فإذا ما كانت ملحمة جلجامش تنتمي إلى ما قبل الألف الثانية قبل الميلاد فكيف يمكن أن يأخذ كاتب الملحمة عن سفر التكوين، لقد فندت هذا في المصدر البابلي.

٤. كيف ترجم المترجمون آلهة صبآوت بإله الجنود؟ والكلمة صبا إما أنها مأخوذة عن الظبي ولهذا جمعوها جمع مؤنث أو أنها لا تعني لا هذا ولا الجنود اللهم إلا إذا فرضوها بهذا المعنى وقبلناها منهم، إن الجنود مذكرون والجمع إما جمع تكسير أو جمع مذكر ولو قال صبئيم لكان أصح، أما تأنيث الجمع فلا يدل على الجنود.

٥. من قال إن هذه الآلهة آلهة عسير وقد وجدنا الآثار تقول:

- يهوه أخذوها من ياهي الفارسية.
- إيل أخذوها عن الفينيقيين وكذلك إيل شداي.
- وشلم أو سلام رأيناه في الملحمة الأوغاريتية ملحمة كرت.
- ولا نرى أي أثر من آثار عسير يشير إلى تلك الآلهة.

٦. نسي الصليبي أن الجزيرة العربية عرفت التوحيد قبل أن عرف بنو إسرائيل في التاريخ على يدي نوح عليه السلام وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب.

٧. نسي الصليبي وهو الذي أشار إلى القرآن أن يدرس القرآن دراسة واسعة ومن ثم يأخذ منه الحقائق ولو درس لما قال إن ديانة اليهودية ديانة عميقة المضمون لها كتبها المقدسة، لم يقرأ نشيد أخناتون ولا قرأ الأدعية في بابل ولا درس كتب الديانة الفارسية.

٨. اشتد به التمجيد للديانة اليهودية حينما رفعها في مفهومها الأخلاقي وقد مرَّ بنا رأي الدكتور جورج عبد المسيح ورأيه في اليهودية وانحطاطها الأخلاقي، وقد ناقشنا ذلك والتوراة تضرب أمثلة كثيرة على معاملة اليهودي لأخيه اليهودي ومعاملته لغير اليهودي.

٩. عين الصليبي عين راضية عن اليهود وكما قال الشاعر:

((فعين الرضا عن كل عيب كليلة))

قدرة اليهود على اجتذاب الناس إليها

لقد كرر هذا المقال مرتين في كتابه مما يؤكد هذا الإعجاب العميق الذي يكنه لليهودية في صدره:

((إنه لا بد من أن هذه الديانة كانت في زمنها على قدرة فائقة في اجتذاب المهتدين إليها من خارج موقفها الأصلي وحيث وجدت مستويات معينة من عُمق التفكير ومن الحساسية الخلقية ولا بد أن مما ساعد بشكل خاص على نشرها هو أنها كانت ديانة ذات كتاب طورها أناس قادرون على القراءة والكتابة))[1].

في هذه الفكرة أربع نقاط يمكن أن ننطلق منها لمعرفة الصليبي:

١.لليهود قدرة فائقة على اجتذاب المهتدين إليها من خارج موقعها الأصلي، هذه بديهية فقد كان التآمر سلاحهم ضد الدول المحيطة بهم وكان سلاحهم الخاص المرأة في تسهيل مهماتهم ونشر دياناتهم نذكر على سبيل المثال أستير وزواجها من أرتحششتا وكيف عملت على حماية اليهودية ونشرها في أيام أرتحششتا وانتصارها على هامان كما يقول السفر.

---

(١). الصليبي: المصدر السابق ص ٢٩.

٢. عمق التفكير والحساسية الخلقية:

يا سبحان الله أين هذا التفكير العميق وقد رأينا في سرقات اليهود للدين اليهودي من الديانات الأخرى وقد ناقشنا هـذا بشـكل مفصل في المصادر للتوراة ولسنا بحاجة للعودة إليها.

أما الحساسية الخلقية فهو أينما تلفت في كتاب التوراة تجدها:

- مكافأة القاتل قايين ولامك.
- الإله لا يسر إلا برائحة اللحم والدم.
- إبادات جماعية.
- إباحة الزنا للمرأة إذا كان هذا يخدم اليهودية.
- إتهام الأنبياء إبراهيم وقوله عن سارة أخته وتسليمها لملـك مصر ولأبي مالك، لوط وسفاحه بابنتيه، اليقانا وخدمة القـائد وقتله، داود وزناه وقتل زوج الزانية.

حساسية خلقية تأمر بالكذب والسرقة والغش.

٣. ديانة ذات كتاب:

لا أعتقد أن ديانة من الديانات دون كتاب سواء كانت في بـابل أو مصر أو كنعان أو مدين أو فارس، وقد دمرت هذه الممـالك ودمرت كتبها معها أما اليهود فقد كتبوا كتابهم من سرقات تلك الأمم ونسبوها إلى أنفسهم بعد أن فقد بنو إسـرائيل كتـابهم التوراة منذ قرون وقرون.

٤.طورها أناس قادرون على القراءة والكتابة:

هذه النقطة تثير الانتباه إلى نقطتين هما:

• طورها أناس...

ما معنى طورها إن التطور يعني التقدم إلى الأمام وتغيير الشيء الفاسد إلى شيء صالح ترى هل فعل اليهود هذا؟

إننا لاحظنا أنهم أهملوا الديانة الإسلامية التي دعا إليها موسى وقتلوه ثم صاغوا كتاباً أيام الأسر لا يمت إلى كتاب موسى بصلة سوى الذكريات الغامضة عن موسى في الخروج وبعض الأحيان كانوا يحومون حول ما جرى مع موسى دون أن يشيروا إلى أن بني إسرائيل قتلوه ودليلي أنه قتله جماعته عدم معرفتهم قبره.

إن جهل بني إسرائيل ثم اليهود من بعدهم قبر موسى لدليل أكيد على كره الجماعة الأصيلة لموسى ورسالته ولذلك ما إن مات موسى حتى بدلوا الآراء بالآراء وأهملوا الكتاب وأضاعوه.

• قادرون على القراءة والكتابة:

من يسمع هذه الكلمات يظن أن البشرية كانت في جهل تام وأنه لا يعرف أحد القراءة والكتابة غيرهم.

ونحن نعلم أنه في كل أمم الأرض الأحبار والكهنة كانوا من الطبقة المثقفة التي تجيد القراءة والكتابة ولهذا فهم ليسوا مميزين عن غيرهم في هذه الناحية.

ويقدم الصليبي شاهداً ثانياً على قوة اليهودية والدعاية لها:

((ولم يكن لهؤلاء المستوطنين أن يخفقوا في اجتذاب المهتدين المحليين إلى دينهم الذي كان يفوق العقائد المحلية في مستواه الفكري والخلقي إلى حد لا يقاس وكذلك الديانات العليا لإمبراطوريات مصر والعراق))[1].

تثير هذه الفكرة في نفسي سؤالين هما:

١. لم يستطع الصليبي أن يبرهن أن هناك مهتدين محليين فهل لديه أمثلة عن هؤلاء المهتدين المحليين؟

إن التوراة لا تقبل يهودياً في حقوقه إذا كان من الأغيار إلا للجيل العاشر ولكن دعوتهم السرية قد تلقى بعض القبول من المعارضين للحكم كما صار في بابل إذ فتحت أبواب بابل دون قتال في الوقت الذي صرع فيه الملك البابلي نابونيد ومن الطبيعي أن تلقى هذه الدعوات الإباحية للجنس بعض من يغريهم ذلك إلا أنه لم يكن موثوقاً بهم.

٢. يفوق العقائد المحلية في مستواه الفكري والخلقي إلى حد لا يقاس فأين هذا المستوى الفكري والخلقي؟

إذا كان المستوى الفكري اختلاساً وسرقة ولم نشهد أي مستوى فكري خلاق عند اليهود إلا في القتل والتدمير فهم عناصر الإرهاب والإبادة في العالم.

---

(١). الصليبي: المصدر السابق ص ٣٣.

أما المستوى الأخلاقي فقد مرَّ معنا المستوى العام لانحطاط الأخلاق والرذيلة في صفوف اليهود.

الإحساس المرهف لديهم وحدهم:

يقول الصليبي: ((وبين شعوب الشرق الأدنى القديم يبدو أن بني إسرائيل كانوا وحدهم المالكين لإحساس مرهف بالتاريخ أو هم على الأقل الوحيدون الذين فهموا أنفسهم تاريخياً وعبروا عن ذلك بطريقة واضحة منسجمة مكتملة وتقدم كتبهم المقدسة رسماً ذاتياً حياً ومفصلاً وهو رسم فريد من نوعه بالنسبة إلى عصره، وصحيح أن روايات التكوين هي روايات أسطورية لما قبل التاريخ وليس روايات تاريخية باعتبار أنها ليست سجلاً لما كان الإسرائيليون في الأصل بقدر ما هي سجل لما اعتقدوا أنهم كانوا))[١].

هذا النص لي عليه الملاحظات التالية:

١.شعور بالدونية من الصليبي أمام اليهود وكأنني به يريد قول لوثر لقد كانت مشيئة الرب أن يكون إنعامه على العالم بالدين من خلال اليهود وحدهم دون سائر البشر فهم أبناؤه الأثيرون إلى قلبه، وما نحن إلا الضيوف الغرباء على مائدتهم، وقدرنا هو أن نقنع بأن نظل الكلاب التي تلتقط الفتات المتساقطة من مائدة أبيهم[٢].

---

(١). الصليبي: المصدر السابق ص ٥٣.

(٢). مارتن لوثر: المسيح ولد يهودياً ص ١٥٢٣، وشفيق مقار: المسيحية والتوراة ص ١١.

هذه الدونية التي يقف فيها بعض رجال المذاهب المسيحية تظل منتشرة في كيانهم حتى إذا حاولوا الانقلاب ضدهم ساعدوهم وعملوا على التخلص منهم في إبعادهم عن أوطانهم إلى فلسطين واسمع لوثر نفسه حينما انقلب عليهم: ((من ذا الذي يمنع اليهود من أن يعودوا إلى أرضهم في يهوذا لا أحد بل إننا على أتم استعداد لأن نزودهم بكل ما قد يحتاجونه في رحلتهم لمجرد أن نتخلص منهم فهم عبءٌ ثقيل علينا ومصيبة حلت بنا))[1].

هذا العداء الذي يكنونه لليهودية يظل رحمة منهم عليهم وبلاءً علينا ولهذا لا نعجب ولن نعجب من الصليبي إذا وقف هذا الموقف من اليهودية وجماعتها.

لاحظ معي إطراء الصليبي على اليهودية وحدهم المالكون لإحساس مرهف بالتاريخ...الوحيدون الذين فهموا أنفسهم تاريخياً... عبروا عن ذلك بطريقة واضحة منسجمة مكتملة...تقدم كتبهم المقدسة رسماً ذاتياً حياً ومفصلاً...هو فريد من نوعه بالنسبة إلى عصره.

يا للغرابة لو أراد أي كاتب يهودي لما طار في الخيال وحلق كما حلق الصليبي في خياله في مدح هذه الجماعة العدوانية منذ نشأت المتآمرة منذ قيامها، الجماعة التي عاشت عبئاً على الإنسانية وشراً مستطيراً في حياتها، فكرها أجوف إلا في حالة التدمير والقتل في الإحراق والإبادة.

(١). المصدر السابق.

٢.النقطة الثانية وهي نقطة أنصف فيها الصليبي حينما قال إنها روايات أسطورية لما قبل التاريخ وليس روايات تاريخية باعتبار أنها ليست سجلاً لما كان الإسرائيليون في الأصل بقدر ما هي سجل لما اعتقدوا أنهم كانوه.

لقد ناقشنا الأساطير التي نقلها اليهود عن بلاد الشرق الأدنى بل قل عن الأمة العربية في العراق والشام ومصر بالإضافة إلى أساطير الفرس والهند.

لقد تناسى الصليبي تاريخ مصر وما تركوه من حوليات غطت أسر الفراعنة وما كتبوه عن آثارهم الخالدة التي تشهد بعظمة البناة في مصر، وتجاهل الصليبي الآثار البابلية والكنعانية التي تشهد وتعترف بالدور الريادي لحضارة هذه الأمة وسجل بكل اعتزاز ما دونه اليهود فاعتبر اللصوص أبطالاً ومجدهم واحتقر غيرهم من بني البشر إنها نظرة الشعب المختار من يهوه إلى بقية الناس وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تمجيد للمسوريين

من المسوريون؟

إنهم أحبار اليهود والذين نقلوا نظام الشكل والنقاط إلى الحروف العبرية (الآرامية) باللهجة الكنعانية وهي على النحو التالي:

١.الفتحة بتاح وهي كالفتحة العربية وحتى كلمة بتاح هي الكلمة العربية فتحة.

٢. قماص وهي فتحة طويلة ورسمها آ.

٣. حيريق وهي تقابل الكسرة وهي كالنقطة العربية.

٤. حيريق جدول كسرة طويل تقابل الياء العربيـــة الســاكنة ورسمها ياء ونقطة.

٥.حولام وهي تقابل الكسرة الممالة ورسمها كالحرف الفرنسي e

٦.حولام جدول وهي كسرة ممالة طويلا.

٧.الصيري نقطتان:

٨.السيجول وهي ثلاث نقاط مثل الصفر المكعب وهي تقـــابل الكسرة.

٩.الشروق وهي حركة ضمة.

١٠. القبوص.

هذه الحركات أخذعا اليهود عن الآراميين وبدورهم قد تعلمـــوا الحركات من العرب لأن هذه الحركات لم توجد في اللغتين قبل عصـــر الحجاج وعلى كل حال فاليهود لم يخترعوا هذه الحركات وإنمـــا كـــان فكرهم خاويا وقد عاشوا عالة على العرب.

واسمع ثناء الصليبي لهم ومدحه وتقريظهم ((وبفضـــــل الأمانـــة العلمية التي تحلى بها المصوريتيون (المسورون) وهـــم العلمـــاء اليـــهود التقليديون القدماء الذين ضبطوا نصوص التوراة بالإشارات الصوتية فـإن النص المكتوب بالأحرف الساكنة للتوراة العبرية وصل إلينا من القـــدم دون أن يمس تقريبا، ونادرا ما أبدى الباحثون المحدثون تقديرهم لهـــذه

الحقيقة، وحيث أخفق هؤلاء الباحثون المحدثون في تحليل بعض المقاطع التوراتية كما هي وارده في النص نظرا لأحكامهم المسبقة المتعلقة بالنص، كثيرا ما افترضوا في النص فسادا غير موجود في الواقع، مثلهم مثل العامل الفاشل الذي يلقي باللوم على الأدوات))(١).

لنا على هذا النص ما يلي:

١. ثناء على العلماء اليهود منقطع النظير الأمانة العلمية لديهم، وكأنه لم يقرأ أي نص تلمودي ليرى آثار التحريف.

٢. لقد اعتمد على بعض الآيات في القرآن الكريم معترفا بالتحريف في التوراة لكنه عاد فأنكر هذا التحريف.

٣. إذا كان الخطأ في الشكل وقد تأخروا في الشكل حتى القرن العاشر الميلادي فإن الترجمات الآرامية والترجمة السبعونية كما يسموها قد حصلت قبل التنقيط والشكل ونحن أمام أمرين:

- الأمر الأول: أن الذين وجدوا قبل الميلاد من اليهودية قد حرفوا التوراة وهذا قبل الترجمة وما وصلنا هو توراة محرفة.
- الأمر الثاني: أن تكون الترجمات غير صادقة وتختلف عن النص التوراتي اختلافا كبيرا ملحوظا، ولما كانت التراجم قد أقرت بشكل كامل الأسماء الفلسطينية كما هي فإننا نبقى عند الحل الأول وهو أن التوراة قد حرفت وبدلت منذ ما قبل عزرا

---

(١). الصليبي كمال: التوراة ص ٥٨.

حتى إذا جاء عزرا ازداد الأمر سوءاً على سوء وبهـذا تنتفي الأمانة العلمية عندهم.

٤. إذا كان المصوريتون كما يسميهم الصليبي قد أخطأوا في الشكل فهم إذن لا يعرفون القراءة في العبرية ولا يجيدون كتابتها وعلى هذا كيف تكون الأمانة العلمية لرجل جاهل لا يجيد قراءة لغته ويشكلها كما يبدو له.

٥. إذا كان الباحثون المحدثون أخفقوا في تحليل بعض المقاطع التوراتية فليس الذنب ذنبهم وإنما من شكل الكلمة بالخطأ ولازالت كلمة الفرزدق ترن في مسامعنا: علي أن أقول وعليكم أن تعربوا فإذا ما تكلم الأصيل في القوم كلاما خاطئا فكيف نعيب الغرباء عن اللغة وأهلها.

٦. الصليبي ذكي في دفاعه فقد وضع دون أن تمس تقريبا حتى إذا ذكره الإنسان بالآية القرآنية قال أنا أعترف بأن التحريف حصل ولكن في الشكل والنقاط وليس في الأصل وإن وجد بعض الأخطاء فأنا لم أقل لم تمس وإنما قلت تقريبا.

ويسير الصليبي في فلك هذه الدائرة ليدافع عن رجال الدين اليهودي فيقول: ((باستعمال إشارات صوتية خاصة هو ما فعله المصوريتيون الفلسطينيون والبابليون بين القرنين السادس والتاسع أو العاشر من العصر المسيحي وكانت اللغة العبرية في حين قد غابت عن الاستعمال العام منذ ألف سنة أو أكثر وقد فعل المصوريتيون سواء كانوا

من الناطقين بالآرامية أم العربية أفضل ما في نطاق معرفتهم ونتيجة لأحلامهم للتوارة ككتاب مقدس كانت عنايتهم فائقة في صنع العبث بها فحافظوا على النص بالأحرف الساكنة كما ورد حتى حيث كانت فقرة ما لا تستقيم لهم كلياً في معناها.

وقد لوحظت أخطاءٌ في التهجية أو الصرف والنحو حيث وجدت أو بدا أنها وجدت، ولكن لم تكن هنالك في الظاهر أية محاولة أو اجتهاد لإدخال التصحيح على النص الأصلي ولو كان الباحثون المحدثون في التوراة بمثل عناية المصوريتين واحتراسهم لما كان علم التوراة الحديث على ما هو عليه من تشويش اليوم، ولما تطلبت عملية المعرفة الصحيحة في هذا الحقل كل هذا التقدير من نبذ المتداول))[1].

لي على هذا النصل مايلي:

١. الأحرف الصوتية الألف والياء والواو موجودة في اللغة العبرية والذي أضيف هو الحركات والنقاط نقلاً عن العرب والآراميين ولهذا فكل خطأ حدث بالنسبة وقت الشكل إنما هو شكلي و لم تضف إلى النص حروف زيادة لأنها موجودة فداود كانت دون قماص ولكن الواو موجودة ولهذا اختلف في قراءتها الأوربيون فقرأوها فاء و كسروا القماص وصارت كحرف A في الإنكليزية فقرئت ديفيد بينما قرأها الفرنسيون دافيد، أما الدال والواو فلم يتغير فيها شيء.

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٥٩.

٢.إن هذا الشكل وجد حسب قول الصليبي حتى القرن العاشر مسيحي وهو عصر متأخر وقد سبقت الترجمة إلى اليونانية في القرن الثالث لما قبل الميلاد وبين الفترتين ألف وثلاثمائة سنة فهل نصوص السبعونية تشير إلى غرب الجزيرة العربية بينما يشير الشكل العبري إلى فلسطين؟

إذا كان الأمر كذلك فهو على حق أما إذا كانت الترجمة والأصل يدلان على مكان واحد فما حجته.

يقول زياد منى: ((كما تم إنجاز ترجمة يونانية من التوراة في مدينة الأسكندر خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وذلك لفائدة الطوائف اليهودية في مصر وأطلق على تلك النسخة السبعونية وقد استقي هذا الاسم أو المصطلح من الأسطورة التي أحاطت بها والقائلة إن انجازها تم بتكليف من امبراطور مصر بطليموس الثاني فيلاديليفوس /٢٨٥ – ٢٤٦/ق.م لأثنين وسبعين معمراً يهودياً.

أما النسخة الآرامية الأقدم والتي عثر عليها من العهد القديم فيطلق عليها الترجوم وتتمثل في لفائف البحر الميت التي تحوي في ما نشر منها أقساماً من سفر اللاويين وأيوب))[1].

أما نسخة السامريين وهي الأقدم فلم يتطرق إليها الصليبي ولا إلى الخلافات بين هذه النسخ[1].

---

(١). منى زياد: جغرافية التوراة ص ٢٧.

ولكن اليونانية والعبرية والآرامية والسامرية أكدت عن نهج واحد هو الأسماء التي وردت في فلسطين و لم تقل أية توراة بأنها كانت في جزيرة العرب وهذه النسخ كلها قبل أن يدخل الشكل إلى النسخة العبرية.

٣. إذا كانت الخلافات في الشكل تبقى الخلافات بسيطة فكلمة جبر فرضاً تقرأ جبرٌ وجبراً وجبرٍ وجَبَر لكنها لن تقرأ أخيرٌ ولا حيرٌ ولا خبزٌ لأن الحروف الآرامية التي كتبت بها التوراة حروف ليست منقوطة كالحروف العربية والحروف المنقوطة وضحتها سابقاً هي ست حروف ولا حاجة لإعادتها.

٤. إن موت اللغة العبرية (الكنعانية) كما يقول زياد منى والصليبي كان في القرن الثالث قبل الميلاد وقد ترجمت فيه التوراة إلى اليونانية فقد شهدت الترجمة أناساً ممن يجيدون العبرية إجادة تامة وصاحب البيت أدرى بمن فيه وخاصة أنه لم يمض على تسجيل التوراة إلا زمن بسيط فقد كتبها عزرا في عام ٣٩٢ ق.م فالفترة بين تدوينها وترجمتها لا تزيد على ١٥٠ سنة في أغلب الأحوال.

فهل حرفت التوراة الأسماء من الجزيرة العربية إلى فلسطين أيام عزرا أم بعده؟

---

(١). ارجع إلى ابن الأثير: تاريخ الكامل جـ١، وإظهار الحق بجزئيه لرحمة الله بن خليل الهندي العثماني.

إن الصليبي يدافع عن صدق التوراة التاريخي ويتكلم عن تحريف التوراة الجغرافي فكيف يصدق العقل ما قصوه تاريخياً وهو باعتراف الصليبي دونوا التاريخ كما يريدون لا كما هو؟ فلماذا نقول أيضاً إنهم دونوا الجغرافية كما يريدون لا كما هي الحقيقة والذي يكذب مرة يسهل عليه الكذب مئات المرات فإذا ما عرفنا أن التوراة تأمر بالكذب فليس محالاً على علمائها الكذب في التاريخ والجغرافيا والدين وكل المجالات الآخرى.

٥. أشار إلى الفلسطينيين والبابليين (علماء اليهود) لكنه لم يشر إلى المصريين ترى لأنهم تابعوا التوراة اليونانية؟ أم لم يعتبر يهوداً.

٦. لم يشر في كل أبحاثه إلى السامرية ولعله وجد يها ما يدحض آراءه فابتعد عنها.

وقد أشار القرآن الكريم إلى التحريف بأشكاله العديدة وسنناقش ذلك في فصل الاستشهاد في القرآن.

تخليد لغة كنعان بواسطتهم

هذه المأثرة التي قام بها اليهود ولولاهم لما عرفنا اللغة الكنعانية كما قال الصليبي: ((واللغة التي عرفت بكونها اللغة العبرية أو العبرانية لم تكن بالتأكيد لغة بني إسرائيل والعبرانيين وحدهم، وفي أيامها كانت هذه اللغة واسطة الانتشار لا في غرب الجزيرة العربية فحسب بل أيضاً في

أماكن أخرى ومنها فلسطين وما يليها شمالاً من غرب الشام وقد كانت اللغة العبرية كما لوحظ سابقاً تُعرف بشفة كنعان أي بلغة كنعان، ومنها لغة التوراة وغيرها من اللهجات الكنعانية القديمة ومنها الأوغاريتية والفينيقية ويبقى الواقع الذي لا شك فيه وهو أن بني إسرائيل الذين اعتبروا أنفسهم عبرانيين أثنياً بشكل خاص كانوا هم الذين خلدوا شفة كنعان كما كانت محكية في غرب الجزيرة العربية في زماهم ولذلك يصح تسمية لغة التوراة باللغة العبرية))[1].

هذا النص يمكن أن نضع عليه بعض التساؤلات:

١.إذا لم تكن اللغة الكنعانية لغة عبرية الأصل فما هي لغة بني إسرائيل ويهوذا؟ هذا السؤال يضطرني في الرجوع إلى أشياء كثيرة فإننا لم نجد أي أثر في تلك البلاد التي تحدث عنها الصليبي ما يشير إلى قيام دولة يهوذا والسامرة (بني إسرائيل) ولا ما يشير إلى لغتهم قبل التروح إلى كنعان.

كل ما وجد في التوراة أن إبراهيم هاجر من أور الكلدانية وأنه من أصل آرامي وعاش في فدان آرام فهل كانت لغته آرامية أم كنعانية؟

ويقول الصليبي إن لغة كنعان لم تكن بالتأكيد لغة بني إسرائيل فما لغتهم؟

٢.السؤال الثاني: متى انتشرت اللغة الكنعانية في فلسطين هل انتشرت بعد سقوط دولة يهوذا والسامرة أم قبله؟

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٢٤٤.

هذا يجعلنا نرتد إلى الآثار فنرى النص الآشوري الـذي سـجله سنحاريب يشير إلى مدن فلسطينية وهو غير مسجل باللغة العبرية حـتى نقول إن النص قد تعرض للشكل والنقط.

لقد سجل أمام حاكم القدس مناحيم فقد حبسته في قصـره في أورشليم وأخذت من مدنه /٤٦/ مدينة وضيقت عليه الخنـاق ويعـدد المدن التي هاجمها سنحاريب فليرجع إليها الصليبي ليرى مدى تعلقـه في تثبيت النص العبري رغم أنه لم يكن صحيحاً في يوم من الأيـام ولعـل التجمع الذي حدث بين ملك أرفاد (حماة) وملك دمشق وملك عمـري آخاب والمدن الأخرى التي نقشها لنا شلمناصر على نهر العاصي خـير دليل على دحض كلام الصليبي.

٣.إن التوراة اعترفت في الأول بشفة كنعان ثم انتقلت فقـالت اللغة المقدسة ثم أطلق عليها اللغة اليهودية وهذا القول يذكرنا بنكتة قرأتها في العبرية في كتاب ربحي كمال عن يهودي أركبه أحد النـاس علـى حصانه ومشى الحصان فقال اليهودي ما أقوى حصانك! وبعد مدة قـال ما أقوى حصاننا! فقال له صاحب الحصان انزل يا هـذا فبعـد قليـل ستدعي الحصان أنه لك.

وهنا ألم يتبع اليهود الخطة نفسها؟

لقد اعترفت التوراة بأنها شفة كنعان ثم قالت اللغة المقدسـة ثم قالت إنها اللغة اليهودية وأتت القبالة لتدعي أن هذه اللغة أنزلت بحروفـها

الاثنين والعشرين على آدم وقد كتبت بأحرف من نور وهي منذ ما قبل الخليقة.

فهل هنالك أكثر تبجحاً وادعاءاً يا قوم من هؤلاء.

٤.سرقوا اللغة الكنعانية وادعوها واختلسوا الحروف الآرامية وادعوها أفبعد هذا لصوصية؟

هل يحق لنا أن نفتخر بأنهم خلدوا لغة كنعان ويحق لهم أن يدعوها أوليس هذا ما حصل في فلسطين، لقد سرقوها منا وادعوها في أيام الفرس وسموها أرض الميعاد وهاهم أولاء يسرقونها من جديد ويدعونها ونحن أصحاب الأرض واللغة نباركهم فيا لنا من أصحاب حق!

على رسلك يا صليبي أنت وأتباعك.

الفصل الثالث

مناقشات لغوية

١. اعتبار العربية أقدم من الآرامية والكنعانية.

٢. تفسير لغوي خاطئ.

٣. حلول العربية محل الآرامية.

٤. العبرية.

٥. اللغة العربية استعارت أبجدية اللغات الأخرى وأضافت الحروف الأخرى.

٦. تطور لغوي للكلمات.

٧. تناقض مع الأصوات.

١. اعتبار اللغة العربية أقدم من الآرامية والكنعانية

هذا البند من حسنات الكتاب وبرهن على قدم اللغة العربية وقد عثر على نص مكتوب بالفينيقية وجد في جوار بنت جبيل بلبنان وحاولوا قراءته باللهجات العربية فلم يستقيم إلا حينما قـرئ باللغـة العربيـة الفصحى ويقول الصليبي: ((وفي كل ذلك ما يفيد بأن اللغات السـامية الثلاث التي نحن بصددها كانت قائمة جبنا إلى جنب سواء في الشام أو في غرب الجزيرة العربية في آن واحد وفي هذا الواقع وحده ما يقلب المفـاهيم بالنسبة إلى جغرافية اللغات السامية وتاريخها رأسا على عقب، ولا عجب في أن اللغة العربية كانت معاصرة للكنعانية والآرامية في الأزمنة التوراتيـة فالعربية سواء من ناحية تصويتها أو من ناحية صرفها ونحوها تعتبر أقـدم اللغات الثلاث من قبل أهل الاختصاص وربما كـانت في الأصـل لغـة الأعراب من أهل البادية في حين أن الكنعانية والآرامية كانت من لغـات النبط (وهم سكان الحواضر) في مناطق التحضر المحيطة بالبادية سـواء في الشام أو العراق أو الجزيرة العربية، ولا بد أن انهيار حضارات النبـط في هذه الأقطار ابتداء من القرن الثاني والثالث للميلاد وامتداد نفوذ الأعراب إلى الحواضر المحيطة بالبادية هو السبب في انتشار لغة الأعراب))(١).

لي على هذا النص ما يلي:

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٢٧.

١.قدم اللغة العربية هذا أمر لا شك فيه فقد وردت كلمة الأعراب والعربية في نصوص آشورية وبابلية قديمة.

٢.ما الدليل على وجود الكنعانية في بلاد شبه الجزيرة؟ هل هو التوراة؟ إذا كان كذلك فإن التوراة بنسخها قد فسرت على أنها فلسطينية، ثم إذا كانت اللغة العربية لغة البدو المتجولين فقد اعترفت التوراة ذاتها بأن بني إسرائيل ويهودا رعاة متجولون في عهد الآباء وفي عهد مصر وفي الخروج.

٣.إن التوراة قسمت لسبطين ونصف خارج الأردن سواء كان نهراً حسب تفسير التوراة أو كانت القمم الشماء حسب تعبير الصليبي ورفاقه فإذا كان السبطان والنصف شرقي الجرود فقد انقطعوا عن بني إسرائيل انقطاعاً كاملاً وباعتبار أنهم صنفوا أنفسهم ضد البشرية فمن باب أولى أن يقف الناس ضدهم ولم تحدثنا التوراة عن مناوشات بين هذه الأسباط والجوار رغم ضعف بني إسرائيل ويهودا إلا تحت راية واحدة في زمن داود أو تحت راية إسرائيل وهذا مما يدل على أن القمم العالمية لم تكن تفصلهم عن بعضهم.

٤.قال إن الكنعانية والآرامية منتشرتان بين سكان الجزيرة العربية والشام فهما ممتزجتان معاً ولم يخصص لكل منهما منطقة معينة وهذا خطأ من الكاتب إذ أن الآرامية لم تظهر

آثارها إلى الألف الأول ما قبل الميلاد أما آثار اللغة الكنعانية أوغاريت كانت في الألف الثانية قبل الميلاد.

٥. إن انهيار اللغة الكنعانية لم يكن في القرن الثاني والثالث للميلاد وإنما كان أقدم من ذلك بكثير فقد كتب التوراة بحروف آرامية وهجرت الحروف الكنعانية منذ أيام الدولة البابلية في القرن السادس لما قبل الميلاد والفرق في التاريخ ما يقارب من ألف سنة تقريباً.

٦. إن الصليبي يريد أن يفرض رأيه علينا فرضاً ولهذا يدور حول كثير من النقاط ليبتعد عن الحقيقة وليوهمنا ما يقوله إنه الصواب.

إن اللغة العربية هي مجموعة لهجات خرجت من الجزيرة العربية منذ أيام نوح وقد تعددت هذه اللهجات وكثرت في بعض الأحيان ومات بعضها ودفن في ركام التاريخ في أحايين أخرى ، أما اللغة الفصحى فقد ظلت حية حتى الآن عامرة زاهرة.

٧. إذا كان بنو إسرائيل ويهوذا من سكان الجزيرة العربية كما يدعي وكانا رعاة كما تقول التوراة فإن لغتهم العربية الخالصة ولم يقل أحد بهذا وقد برهنت في كتب سابقة أن لا علاقة لبني إسرائيل بإبراهيم ويعقوب وإسحاق ونوح ولا ندري ما اللغة التي كانوا يتكلمونها في مصر أو فترة الخروج والتيه.

٢. حلول العربية محل الآرامية

يضطرب الصليبي كثيراً في مكان اللغة الآرامية ولا يريد أن يعترف بأنها فرع من اللغة العربية الأم التي نشأت في الجزيرة العربية وتبعاً لخلفيته المسبقة يحاول أن يخالف آراء تفسير التوراة وينقلها إلى الجزيرة العربية دون اعتماد على نص أثري إلا محاولات لكسر رقبة الكلمة العربية التي يريد تطبيعها حتى تلائم هدفه.

لقد ظهرت الآثار الآرامية في تل العطشانة مملكة الالاخ ومملكة شمأل في زنجرلي وقد وجدت في أماكن عديدة من بلاد الشام.

كما أن التجمع الآرامي ضد شلمناصر قد سجل بوضوح ضد الآشوريين ولازالت مسلة شلمناصر أثراً واضحاً على ذلك.

وقد حاول أن يجعل من القرآن شاهداً فأخطأ المرمى وأبعد الرمية.

إن استشهاده بإرم ذات العماد إنما هو في سياق الآراميين لكن لم يورد النص كاملاً: ﴿**ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد**﴾[الفجر:٦-٨].

إن عاد عند العرب أقوام عرب خالصون وهم يسكنون الأحقاف (الربع الخالي) وقصتهم وقصة هلاكهم معروفة وعاد من الأمم التي لم تتطرق التوراة إلى ذكرهم على الإطلاق.

١. إن عدم تعرض التوراة لأقوام شبه الجزيرة العربية لدليل واضح على أن بني إسرائيل والتوراة لم يكونوا يعرفون أرض

العرب في يوم من الأيام ولا سكنوا فيها وكل ما يعرفون هو إبراهيم وإسحاق ويعقوب فالتصقوا بهم لشهرة هؤلاء الأعلام وحب الناس لهم.

٢. إن إسماعيل العربي ابن إبراهيم لم تقل التوراة بسكناه بلاد الحجاز العربية ولكنها أسكنته في فاران وفاران حسب التوراة في سيناء في الجنوب.

٣. لو كان بنو إسرائيل في بلاد اليمن وعسير لكانت الإشارة إلى فاران يجب أن تكون في الشمال وليس في الجنوب.

٤. لو كان بنو إسرائيل في غرب شبه الجزيرة العربية لعرفوا على الأقل مكة وكانت مراثي أرميا على الأقل تذكرها، كما ذكرت بقية المدن.

٥. لو كان بنو إسرائيل في غرب شبه الجزيرة العربية لذكرت ثمود ومساكن ثمود أقرب إليهم من مساكن مدين.

كل هذا لأن الصليبي لم يدرس القرآن دراسة وافية وإنما سار وراء التوراة فأهمل ما أهملته التوراة ولم ينظر إلى الأقوام الموجودين خارج نطاقها ولهذا لا عجب إن سقط في مطبات كثيرة.

إن اعتماده على اللغة والكلمات الموجودة حاليا في شبه الجزيرة جعله يضطرب اضطرابا كبيرا ويخرج بنتائج مغلوطة واعتقد أن الفرق كبير بين فدان آرام والدفينة فرق كبير وما بين رام وورم كبير.

إن اللغة الآرامية لهي لهجة قبيلة من قبائل العرب في شبه الجزيرة العربية خرجت هذه القبيلة حينما نضبت موارد العيش في الجزيرة ويقدرون خروجهم منها في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد.

وبهذا لم تبق هذه اللغة في الجزيرة العربية حتى إن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يتكلم العربية ارجع إلى "إبراهيم أبو الأنبياء" للعقاد.

ولو كان بنو إسرائيل في الجزيرة العربية لعرفوا ببناء إبراهيم للكعبة ولغيروا من طريق عبادتهم و لم يبنوا مذابح كما يفعل الوثنيون ولكانوا بنوا معابد فالله (إيل) الرحيم لا ينال لحوم الأضاحي ولا دماءها ولا يسر برائحة الدم واللحم المحروق.

كل هذا دلالة واضحة على أن بني إسرائيل لم يكونوا في غرب الجزيرة العربية، وإن اعتراف الصليبي بوجود اللغتين الكنعانية والآرامية كانتا تستخدمان بالتأكيد لدى مجتمعات مختلفة في غرب شبه الجزيرة العربية في مرحلة واحدة كما كان الأمر عليه بالشام(١).

ويحاول أن يثبت ذلك من خلال شواهد فلنسمع إلى شاهد من شواهده ولنرى اضطراب الصليبي في هذا الأمر.

((واستنادا إلى سفر التكوين ٣١/٤٧-٤٩/ فإن ركاما يدعى الشهادة أقيم ليشهد على ميثاق يعقوب العبري وخاله الآرامي لابان، وقد سمي هذا الركام يجر سهدوت عند لابان بينما سماه يعقوب جلعيد بالعبرية جلعد والمصفاة همصفة بالعبرية أي نقطة المراقبة والأسماء الثلاثة مازالت

---

(١). المرجع السابق ص ٣٠.

تطلق اليوم على ثلاث قرى صغيرة متجاورة على منحدرات عسير البحرية في منطقة رجال ألمع إلى الغرب من مدينة أبها وهي فرعة آل سهدء إيل سهدء الله هو الشاهد أو إله الشاهد والكلمة العربية فرعة تعني الكومة أو الهضبة وهي المساوية للكلمة الآرامية يجر.

والجعد (إيل جعد وهو الصيغة العربية المعترف بها للاسم التوراتي جلعد) والمضاف (مضاف قارن مع مصفه وقد قلبت الصاد إلى الضاد) بالعربية وهناك قرية اسمها المصفى في منطقة قناة البحر المحاذية لرجال ألمع إلى الغرب ولا أظنها المصفاة المقصودة في هذا الصدد لبعدها عن فرعة آل شهداء والجعد[1].

وقبل أن أعلق على النص سأنقل النص التوراتي ومن ثم أبيح لنفسي التعليق آنذاك على النص: ((فأخذ يعقوب حجرا وأوقفه عمودا وقال يعقوب لأخوته التقطوا حجارة فأخذوا حجارة وعملوا رجمة وأكلوا هناك على الرجمة ودعا لابان يجر شهدوثا وأما يعقوب فرعاها جلعيد وقال لابان هذه الرجمة شاهدة بيني وبينك اليوم لذلك دعي اسمها جلعيد، والمصفاة لأنه قال ليراقب الرب بيني وبينك حينما نتوارى عن بعضنا إنك لا تذل بناتي ولا تأخذ نساءا على بناتي، ليس إنسان معنا انظر الله شاهد بين وبينك وقال لابان ليعقوب هوذا هذه الرجمة وهوذا العمود الذي وضعت بيني وبينك شاهدة هذه الرجمة وشاهد العمود إني لا أتجاوز

---

(١). المصدر السابق ص ٣٠.

هذه الرجمة إليك وأنك لا تتجاوز هذه الرجمة وهذا المعمود إلي للشر، إلـه إبراهيم وىلهة أبيهما يقضون بيننا))[1].

هذا النص استشهد به الصليبي فهل هذا الشاهد معه أم عليه؟

١. إن يعقوب ولابان بشهادة التوراة كلاهما آرامي وحتى سمـي يعقوب الآرامي التائه ولهذا وضع كلمة جلعيد الكنعانيـة لا معنى لها هنا حتى ولا المصفاة.

٢. كلاهما يعبد إلها واحدا لأن لابان قال انظر الله شاهد بيـني وبينك ولم يقل أحدهما إيل والثاني يـهوه، لأن يعقـوب لا يعرف يهوه حسب تصريح يهوه لموسى.

٣. في النص تحريف واضح حينما وضعوا ليعقوب إلها واحـدا وللابان آلهة عديدة.

٤. إن يعقوب في رأي التوراة آرامي خالص لوصيـه إسـحاق لابنه يعقوب أن يتزوج امرأة آرامية فتزوج ابنتي خاله.

٥. وضع يعقوب عمود وحول العمود رجمة وسماهـا بأسمـاء عديدة.

---

(١). تكوين ٣١/٤٥-٥٣/. ولا أدري من أين جاء أخوة يعقوب وليس له أخوة في التـوراة إلا البعض أو أدوم ولم يكن معه، أما أن يكون الرعاة أخوته فهذا من باب التواضع ولا أعتقـد أن اليهود يقبلون أن يكون رعاقم أخوقم.

ولنقبل جدلا بما قالته التوراة فإن الأسماء الثلاثة تبقى مسميات لمكان واحد بينما الصليبي اختارها لمواقع ثلاث حسب التسمية ولنحلل كلماته:

١. **الشهداء:**

- أل التعريف ولا يمكن أن تنوب عن الله.
- إن شهداء جمع شاهد وشهيد وليس بمعنى شاهد واحد.
- إن شهداء تعني الجمع وهي مأخوذة من شهيد والشهيد قتل لتكون كلمة الله هي العليا ولا يمكن أن تكون بمعنى الإله الشاهد.

٢. **الجعد:**

- إيل جعد أقام أل التعريف مكان إيل الله وهذا الكلام رددت عليه في أمكنة كثيرة.
- إن الاسم جعد بعد حذف ال التعريف قد نقص من حروفه اللام وهي في وسط الكلمة الكنعانية لا تمثل إيل ولو كانت لثار الخلط واضحا في الأسماء ولضاعت الأمور.

٣. **مضف:**

والتي هي قلب المصفاة بدل الصاد ضاد أخطأ فيها الهدف فالمضاف مكان للضيافة والمصفاة مكان للمراقبة ولا أدري لماذا لم يستعمل أل التعريف باسم إيل.

إن العمود وجد في مكان واحد مع الرجمة وليس في أمكنة ثلاث إن هذا هو التمحل بذاته فاتق الله يا هذا.

نعم لقد حلت العربية محل الآرامية لأن العرب عادوا بدعوة جديدة انطلقوا فيها حاملين لواء الحق والحضارة محررين بلاد الشام من الرجس الروماني والعراق من الاستعمار الفارسي منطلقين إلى كافة بقاع الدنيا حاملين رسالتهم إلى العالم القديم كله فطرقوا فرنسا غربا والصين شرقا فسادت اللغة العربية لسيادة أهلها، بينما انضم الآراميون في سورية والعراق إلى الركب العربي.

لقد أخفق اليهود في إحياء اللغة الكنعانية من جديد ولقد كتبوا توراقم في الخط الآرامي المربع غير أن هذه اللغة سقطت بسقوط أصحابها وغلبة العناصر الأعجمية من فرس ويونان ورومان عليها وعلى بلادها وسادت اللغة اليونانية لفترة ثم اندحرت أمام الرومان الذين ثبتوا أقدامهم في البلاد التي كانت تحتلها فاحتلوا الشام ومصر واحتلت فارس العراق فسقطت اللغة الآرامية أما اللغة الكنعانية فقد هجر خطها القديم وانضم أهلها إلى الآرامية لقرب الصلة بينهما و لم يبق من أحد يتكلمها وصارت عند اليهود لغة مقدسة لا لغة الكلام إذ نسي اليهود هذه اللغة و لم يعودوا يعرفون قراءتها إلا قلة قليلة من رجال الدين، وبظهور الدين الإسلامي واندفاع العرب في حمل لوائه سيطرت الفصحى وسادت ولازالت حتى اليوم.

٣. تفسير خاطئ

وقع الصليبي في تفسيرات خاطئة كثيرة لا نستطيع أن نسير وراءه في كل خطوة من خطواته لأنها كثيرة ولكنني سأعرض شاهداً على ذلك ليعرف القارئ نهج الصليبي في كتابه: ((أعاد الرومان في عهد الإمبراطور هادريان بناء المدينة وسموها إيليا كابتولنيا تيمناً في الظاهر بأحد أسمائه إيلوس واستناداً في الواقع على الأرجح إلى صيغة سامية للاسم إيليا الذي كان في الأصل يطلق على موقع المدينة قبل أن تصبح معروفة باسم أورشليم نسبة إلى أورشليم غرب شبه الجزيرة العربية وربما كان الأصل السامي لكلمة إيليا اسماً يعني الحصن (بالعبرية إيل أي القوي أو المنعة) ومن المؤكد أن قدماء العرب لم يعرفوا المدينة باسم أورشليم بل باسم إيليا وذلك قبل أن يطلقوا عليها اسم بيت المقدس أو البيت المقدس أو القدس فحسب))[1].

كيف تعامل الصليبي مع النص التاريخي؟

١. هدم هادريان المدينة ومنع اليهود من سكناها إلا في يوم معين من السنة يأتون ويبكون فيه مجدهم الزائل.

٢. حرق كل نسخ التوراة وأعدم كل من وجد نسخة لديه وحرم عليهم التعامل باليهودية كدين.

٣. أقام لنفسه صنماً في المدينة كي يعبده سكانها.

هذه النقاط الثلاث لم يتطرق إليها الكاتب لغاية في نفسه

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٤٨.

١.ولو عدنا إلى تفسير الاسم ففي اللاتينية كابتـال العاصمـة والمدينة الكبيرة، وكلمة إيليا في اللهجات العربية الإلهي ولهـذا أراد هدريان أن يحافظ على أصلها العربي وأن يضع للرومـان فيها قدماً فاقتسمت التسمية وصـارت المدينـة الإلهيـة أو العاصمة الإلهية.

٢.إن تفسير إيليا نسبة لهارديان باسم إيليوس وكلمة إيليوس ولو كان كما يقول الصليبي في الظاهر اسم لهارديان ولا أعلـم ذلك فإنها تسمية يونانية مشتقة من إيل العربية.

٣.قال الصليبي: إن إيل في العبرية معناها القوة والمنعـة ولا أرى هذا فإيل حوله اليهود إلى إله وهو الأصل اسم علم للخـالق ليتسنى لهم إدخال يهوه وإبرازه بديلاً من الله ولهـذا كـانوا حينما يذكرون إيل يضيفون إليه صفة إيل عليون، إيل شداي وكلمة إيل عليون ترجمتها الإله العلي، وإيل شـداي الإلـه القوي، ولا أدري كيف وقع الصليبي في هذا المطب.

٤.قال الصليبي: إن العرب عرفوا القدس باسم إيليا و لم يعرفوهـا باسم أورشليم أقول: إن هذا القول فيه شيء من الصحة فلقد ورد في وثيقة فتح القدس على يد عمر بن الخطاب اسم إيليـا لأنه اسمها آنذاك كان إيليا.

٥.إن بروشليم أو أورشليم خلافاً لما يراه الصليبي ليس أل شـريم فاللام من السلام شالم لا يمكن أخذها ووضعـها آل أو أل

التعريف وقد رددنا على هذا في كلمة الجلعاد. إن هذه المدينة الفلسطينية وقد كانت عاصمة لليهود الحشمونيين ولهيرودت في أيام المسيح عليه السلام.

٦. إذا كانت اليهودية منذ أيام الأخمينيين قد حولت الأسماء إلى فلسطين بديلاً من الجزيرة العربية وأقرت واقعاً فرض بقوة السلاح فماذا يجدي كسر رقبة الكلام وتطبيعها إلا إذا كان خدمة للصهيونية ومطامعها.

٧. يتهم الصليبي التوراة السبعونية بأنها هي التي حولت وحورت وقد قلنا إنها ترجمت في القرن الثالث قبل الميلاد وناقشنا ذلك حينها ولكننا نتساءل ما الأسباب التي دفعت هؤلاء إلى هذا التحرير والتزوير والتحريف.

يشترك في هذا الاتهام كل من سار وراء الصليبي دون استثناء ولكنني أقول إن النسخ الباقية من العبرية والسامرية والآرامية لا تدل إلا كما دلت السبعونية ولله في خلقه شؤون.

٤. العبرية

لم يتكلم الصليبي عن نشأة اللغة العبرية وإنما تكلم عن لغة كنعانية ثم قال ومن الحق أن نسميها عبيرية حينما قال إنهم خلدوها، وفي هذا خالف الحقيقة في عدة نواح فالذي خلد الكنعانية آثارها في أوغاريت وفي بنت جبيل وفي تابوت حيرام، وخلد الآرامية آثارها أيضاً وأما اللغة

العبرية فهي لغة هجين حروف آرامية ولفظ كنعاني وحركات لصيقة ليست من العبرية وليست من الكنعانية في شيء.

إنها اللغة الهجين والهجين يموت ولا يخلف ولا يخلد وهذه قائمة النباتات الهجينة التي لا تثمر بذاراً من نوعه وبموت النبات يموت النوع ونحتاج لتهجين الأصل من جديد حتى يثمر أو يزهر الزهر الهجين.

اللغة العبرية لغة هجين ولهذا ماتت وماتت بسرعة رغم أن تابعي الديانة اليهودية ظلوا أحياء إلا أن لغتهم بقيت محنطة كجثث الفراعنة لا تنبض بالحياة ولهذا دعوها باللغة المقدسة طوراً وباللغة اليهودية طوراً آخر.

وبموت العبرية التوراتية كلغة محكية أصبحت قراءة الكتب المقدسة اليهودية مشكلة وبقيت كذلك منذ ذلك الحين واللغة العبرية مثلها مثل كل اللغات السامية كانت تكتب بأحرف ساكنة لا بد من تصويتها لكي تفهم.

ومن الناحية الأخرى فقد كان من الضروري فهم الكلمة قبل إضافة الإشارات الصوتية الملائمة أو تشديد الأحرف حيث يتطلب ذلك المعنى الصحيح أو المفترض.

وبدءاً من المرحلة الأخمينية يبدو أن اليهود الفلسطينيين والبابليين الذين لم يعرفوا كيف كانت اللغة العبرية لكتبهم المقدسة تلفظ في الأصل

راحوا يصوغون الإشارات الصوتية المضافة إليها على الأساس الآرامي اللغة التي كانوا يتكلموها[1].

ولي على هذا النص مايلي:

١. لا تموت اللغة مهما كانت هذه اللغة فجأة فهي ليس كالإنسان يصيبها التخثر أو السكتة القلبية فيموت مباشرة بل لا بد لذلك من زمن طويل فإذا كانت الفترة الإخمينية فترة موت العبرية فهي تبدأ في ٥٣٨ ق.م باستيلاء كورش ولم يمر على أسرهم سوى أربعين عاماً على الأسر، أبهذه السرعة تموت لغتهم؟.

٢. إن الفترة الإخمينية هي فترة جمع الكتب المقدسة وقد عرفنا أن عزرا ونحميا قد جمعاها في لغة ميتة؟ ولماذا لم يجمعاها في لغة حية كالآرامية آنذاك.

٣. إذا كان التشكيل قد تم في القرن العاشر الميلادي فقد مرَّ على جمع التوراة ما يزيد عن ألف وثلاثمائة سنة فكيف لأناس بمعرفة لغاتهم التي لا يتكلموها مهما كانوا من الذكاء والفطنة.

٤. إن إحياء العبرية اليوم لم يتم إلا بحقن من اللغات الأوربية وهكذا عاشوا في الزمن القديم حتى في كلامهم وعادوا للحكاية نفسها فعاشوا وهم يعيشون الآن عالة على الغرب.

---

(١). المصدر السابق ص ٤٥.

يقول الصليبي ((ولا شك أن الأمر نفسه ينطبق على العبرية في زمانها حيث عرفت لغة النطق بلهجاتها المختلفة عدة أحرف ساكنة لم تكتب بأحرف مستقلة وعلى سبيل المثال فإنه ليس هنالك من سبب للافتراض بأن متكلمي العبرية القديمة في غرب الجزيرة العربية أو في أي مكان آخر لم يلفظوا حرف الحاء وكذلك الحر الآخر المرتبط به صوتياً وهو الخاء، بينما كانوا يمثلون الحرفين الساكنين كليهما بحرف الحاء في الكتابة وفي التصويت المتأخر للعبرية التوراتية الذي يعكس تأثير الآرامية، يلفظ حرف الباء على أنه ب وعلى أنه ف فوقها ثلاث نقط وحرف الجيم على أنه ج وعرى أنه غ وحرف الكاف على أنه كاف وعلى أنه خ وحرف الفاء على أنه ب تحتها ثلاث نقاط وعلى أنه ف وحرف التاء على أنه ت وعلى أنه ث))(١).

لي على هذا النص مايلي:

١. حذف من العبرية حرف الدال على أنه د و ذ حتى يتم العدد ستة.

٢. تجاهل الياء والواو والألف وهي الأحرف الصوتية.

٣. التصويت الحركات جاءت بعد موت العبرية والتفاف الآرامية حولها ولذلك اعترف بأثر الآرامية في اللغة العبرية والحركات والنقاط أخذوها عن الآرامية والآرامية دائماً هي الأصل في هذا.

---

(١). المصدر السابق ص ٦٣.

٤. لم يضف إلى العبرية أحرف صوتية وإنما أضيفت الحركات فقط وحركات اللغة والآرامية التي نقلها اليهود إلى اللغة أكثر من حركات العربية ففي العربية أربع حركات ــــ ــــ ــــ ــــ الضمة والفتحة والكسرة والسكون.

٥. يتساءل الصليبي عن حرف السين السامخ كيف يلفظ في القديم، وقال: ولا يستبعد أن يكون المتكلمون بالعبرية في القدم قد تلفظوا بأحرف لم يكتبوها مثل الذال والضاد والضاء.

أسئلة كثيرة يطرحها القارئ حول غموض بداية الكنعانية وعلاقتها بالعبرية وكيف تحولت الحروف القديمة الخط القديم إلى حروف آرامية مربعة.

٥. اللغة العربية والأبجدية

أراد الصليبي أن يناقش الأبجدية العربية من خلال كتبه وحبذا لو ابتعد عنها وليترك هذه المسالة لأصحاب الاختصاص فيها واسمع إلى رأيه فيها ((والعربية التي استعارت كتابتها من شقيقاتها السامية استخدمت هي أيضا أبجدية هذه الشقيقات ذات الأحرف /٢٢/ الأصلية في البداية ومع مرور الزمن أدخلت عليها لا أقل من ستة أحرف جديدة أيضا بإضافة النقاط إلى ستة أحرف كانت موجودة بالأصل وبهذا فإن حرف ت الذي لم يكن منقوطا في الأصل تلقى نقطتين وتلقى نقطة ثالثة إضافة ليصبح ث والحرف ح تلقى نقطة ليصبح خ والحرف د تلقى نقطة

ليصبح ذ والحرف ص تلقى نقطة ليصبح ض والحرف ط تلقى نقطة ليصبح ظ والحرف ع تلقى نقطة ليصبح غ وفي جميع هذه الحالات الست.....الأحرف الجديدة المدخلة أحرفا ساكنة متعلقة صوتيا بتلك الممثلة في الأحرف القديمة المتلقية للنقاط المضافة، كانت هناك العربية في البداية إذن ستة أحرف ساكنة ينطق بها ولا تكتب بأحرف أبجدية مستقلة هذه الأحرف الساكنة كان يرمز إليها في الكتابة بأحرف أبجدية تخص أحرفا ساكنة أخرى متعلقة بها صوتيا[1].

لي على هذا النص مايلي:

١. أخطأ الصليبي في الأحرف المنقوطة فهي: ت، ث، ب، ي، ج، خ، ذ، ز، ش، ض، ظ، غ، ف، ق، ن، هذه الحروف خمسة عشر حرفا وليست ستة أحرف فقد أوردها سنة وهي ت، ث، ذ، خ، ض، ظ، غ، ولم يتطرق إلى ب، ت، ي، ش، ف، ق، ز، ن، هذه الحروف لم يتطرق إليها حتى تستقيم له الحروف الستة وهو كما يظهر مغالطة واضحة وصريحة أو قل إنه جهل بالعربية أو تجاهل فيها.

٢. من قال إن حروف اللغة العربية اثنان وعشرون حرفا؟ غير أن الصليبي وفق العد /٢٢/ ليوفق بين الكنعانية والعربية والآرامية ونحن لو سرنا مع الأبجدية العربية للاحظنا أنها تنفرد بالحروف ث، خ، ذ، ض، ظ، غ، وإن حاولت اللغات

---

(١). المصدر السابق ص ٦٢.

الثانية رأب هذا الصدع ففي الآرامية حرف الكاف إذا وضع فيه نقطة يصبح خاء والتاء ثاء والدال ذالا والجيم غينا أما الضاد والظاء فلا يقابلهما حرف في الآرامية أو الكنعانية على الإطلاق.

٣. وإنني أسأل الصليبي ما الذي جعله يقول استخدمت العربية أبجدية هذه الشقيقات ذات الأحرف /٢٢/ هل له بينة على هذا؟.

أليس الصليبي القائل إن اللغة العربية أقدم من الكنعانية والآرامية فكيف تأخذ اللغة الأقدم أبجدية اللغات التي تخلفت عنها زمنيا.

٤. إن تطور الخط العربي أخذوه عن اللغة النبطية ولا أقصد النبط أهل الحضر وإنما أقصد الأنباط ودولة الأنباط معروفة تاريخيا ولا أدري لماذا أهملها الصليبي، أما الأبجدية وهي الحروف التي كانوا يتكلمون بها فهي موجودة بوجود العربية.

٦. تطور لغوي للكلمات

اعترف الصليبي بأن هناك تطور لغوي للكلمات ويمكن أن يتم بها القلب والاستبدال وقد اعتمد هذه الدالة ليسطو على قرى غرب الجزيرة العربية وليسجلها أنها كانت لبني إسرائيل وقد حاول ما أمكنه المحاولة أن يدخل ضمن هذا الإطار ولأعطيك أمثلة على هذا: يهودا: وهدة، سعير: عسير، صيدن: زيدان، نجب: جنوب، بئر سبع قرية الشباعة.

غير أن الحظ لم يحالفه في الكثير من الكلمات وقد مر بنا جلعاد أل جعد، إسرائيل أل سراة، أبي مالك: بني مالك، سدوم دسم دمس غزة، خزاعة، مجدو: مقدم، أورسالم: آل سلام أو أل شريم، ولن استمر في هذا التعداد فقد أورد أسماء كثيرة واعتمد فيها على التلاعب في الألفاظ ولو رجعنا إلى هذه الكلمات كلمة كلمة للاحظنا أنها عربية وليست معربة على حد رأي الصليبي، ولا حاجة بنا إلى التكرار كثيرا فخير القلادة ما أحاط بالعنق.

٧. تناقض مع الأصوات

يقول الصليبي: لا يمكن معرفة الكيفية التي كانت تلفظ بها أسماء الأماكن المأخوذة في الاعتبار في الأزمنة التوراتية والتحديد الدقيق لكيفية لفظها الآن يتطلب بحثا ميدانيا مكثفا، هناك قرية في عسير مثلا تذكرها المعجمات الحديثة على أنها المصرمة والبحث الميداني يثبت أن اسمها المصرامة والأمثلة على ذلك كثيرة(١).

١. فكلمة مصر موجودة في التوراة يعززها ما وجد في القرآن ولم ترد في القرآن الكريم كلمة مصرمة.
٢. إن كلمة مصرايم كما وردت في التوراة هي جمع مذكر سالم بينما الميم الأخيرة في مصرمة هي ميم أصلية والميم الأولى هي زائدة وشتان ما بين كلمة صرم في الاشتقاق ومصر.

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٦٢.

٣.ليس الخلاف في الأصوات كما يقـــول وإنمــا الخــلاف في التمحل والقراءات المغلوطة ولو لم يورد الصليـــبي القـــرآن شاهدا لما ناقشته في هذا السفر الخالد.

٤.هنالك كلمات كثيرة وردت عنده ليس الخلاف فيها خـلاف أحرف صوتية وحركات وإنما هناك خلاف في الأصول مثـل: شميم وهي جمع سماء فنقلها إلى السماين وهي جمـــع سمينـــة وشتان بين اللفظتين والأصلين، وكلمة شعلبيم ترجمـــــها إلى الثعالب مع العلم أن ثعلب في العبرية هي شوعال وليســـت ثعلب فزيادة الباء عن شوعال تغير الاسم كليا، يزرع إيل آل رزعي والأمثلة كثيرة ولا حاجة إلى تقصيها.

الفصل الرابع

تناقض التحريف

١. أمانة المسورين.

٢. استعمال الإشارات الصوتية.

٣. تأكيد على الأمانة.

٤. اللغة العبرية لغة كنعان.

١. أمانة المسوريين

لا يعقل أن يناقش رجل دين مسيحي أو يهودي في تحريف الكتاب المقدس مع العلم أنه ظاهر لكل ذي عينين، ولكن عين الرضا عن كل عيب كليلة، ولهذا رأى في رجال الدين اليهودي رجالا أمناء وقد مر معنا هذا النص ولكن لي على النص بعض النقاط:

١.يقول ومن الأكيد أن بعض كتب التوراة العبرية هي عبارة عن جمع معاد التحرير لنصوص أكثر قدما.

ولقد رأينا أن المؤلفين ناقشوا هذه النصوص وأعادوها إلى مصادرها:

- المصدر اليهوي.
- المصدر الإيلي.
- المصدر التثنوية.
- المصدر الكهنوتي.

وقد ناقشنا هذه النصوص ورأينا كيف سطوا ومسخوا وسرقوا ولا حاجة بنا إلى أن نؤكد أن الكاذب لا يمكن أن يكون صادقا والسارق لا يمكن أن يكون أمينا فمن أين هذه الأمانة ياسيدي الصليبي؟

من أين هذه الأمانة وقد كتبها عزرا كما رأينا سابقا فهل نقل عزرا ما نقل صحيحا أم أن التضارب والتناقض كان حصيلة ما نقل عزرا فأين الأمانة؟

ترى هل درس الصليبي التوراة بعين الإيمان أم بعين الناقد؟

هل سلم بالتناقض الموجود فيها أم أغمض عينيه عن ذلك واعتبره كتابا نقله أمناء وحافظ عليه أمناء؟.

إن كان الأمر كذلك فلا بأس أن يدلي برأيه أما إذا كان الكتاب قد تعرض للنقل والحذف والسرقة والتحريف والتزوير فكيف نثق بما يتأوله الصليبي ويؤمن ببقائه وأمانة حملته.

٢. إن الصليبي يحمل التوراة السبعونية الأخطاء القاتلة التي حلت بالتوراة ولكني حينما وازنت بين النصين لم أر السبعينية محرفة فقط وإنما رأيت العبرية والسامرية وكل منهم يتهم الآخر وقد صدق الجميع لأن كل هذه النسخ محرفة ويعزو الصليبي إلى أن السبب الثاني في التحريف هو وضع الأحرف الصوتية ويقول الصليبي: ((ويقول القرآن الكريم إن هناك من اليهود من يحرفون الكلم عن مواضعه، وأنهم يفعلون ذلك ليا بألسنتهم، وفي هذه الآية إشارة واضحة وبالغة الدقة في الوصف إلى العمل الذي كانت تقوم به فئة دون غيرها من أحبار اليهود وهم المعروفون بالمصوريتين أي أهل التقليد ابتداء بالقرن الميلادي السادس وقد استمر المصوريتيون في عملهم هذا حتى القرن العاشر)).

ولي على هذا النص ما يلي:

١. أخذ النص القرآني من آية لكن جزأها ليدل على المعنى الذي يريده والنص القرآن: ﴿**من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا**

في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾[النساء:٤٦]

هذا نص الآية فكلمة ليا بألسنتهم قال المفسرون عنها إنهم كانوا يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم راعنا بتنوين الألف وحينها تصبح صفة للرسول وليس فعل أمر بينما هي فعل أمر.

ولهذا قال ليا بألسنتهم و لم يقل النص القرآني إن اليهود يلوون ألسنتهم في قراءة التوراة حتى يصبح المعنى معنى آخر.

إنما قال النص القرآني يحرفون الكلم عن مواضعه فيحذفون وينقلون ويغيرون الكلمات وهذا معنى التحريف في الكلم عن مواضعه لا كما فهمه الصليبي وأراد أن يفهمنا إياه فالنص القرآني واضح.

- ما حدث من الضبط بالحركات إذا كان الإنسان جاهلا للغة فإنه يخطئ والأخطاء تكون قاتلة فراعنا فعل الأمر والفاعل والمفعول به يتحول إلى كلمة تدل على الحال والوصف وهي تؤدي غير المعنى الذي يراد منه وبهذا يكون التشكيل والحركات والتنقيط أمام الجاهل سببا من أسباب الأخطاء القاتلة في النص وهذا بعض ما حدث في التوراة اليهودية.

٢. استعمال الإشارات الصوتية

لقد أضاف المسوريون الحركات والنقاط على النص ولكنهم كما يقول الصليبي حافظوا على النص المكتوب بأمانة وحرفية لكنهم أخطأوا في الشكل وهذا يناقض ما قاله عن التحريف وما اعترف به العلماء الآخرون من تحريف التوراة وسنناقش أنواع التحريف من خلال نقاشنا للقرآن حيث استشهد الصليبي بالقرآن الكريم في عدة أماكن.

• يعتبر الصليبي التوراة أنها الكتاب الذي كتب في أرض يهوذا وفي هذا يقول الصليبي: وفي عسير الجغرافية القديمة كانت هناك شعوب تقطن أجزاء مختلفة من البلاد وتتحدث بلهجات مختلفة وأحيانا بلغات مختلفة كما كانت تعبد آلهة مختلفة بطرق مختلفة...

وقد مر هذا الشعب في مرتفعات السراة ومنحدراتها الغربية بين القرنين العاشر والخامس قبل الميلاد بتجربة تاريخية نادرة المثال، ثم زال من الوجود مخلفا سجلا كاملا بالغ الدقة والتفصيل لهذه التجربة ومازال هذا السجل موجودا وهو التوراة العبرية بمختلف أسفارها موجودا ومعروفا إلى الوقت الحاضر[1].

---

(١). المصدر السابق ص ٨٣.

هذا الكتاب الذي لم يمسه المسورون إلا بإضافة الحركات والأحرف الصوتية هذا ما يقوله الصليبي لكنه يقع في تناقض ضمن النقاط التالية:

١.مرة يقول بالتحريف وأخرى يقول إن الكتاب حافظوا عليه بأمانة.

٢.مرة يقول إنه سجل كامل بالغ الدقة والتفاصيل لهذه التجربة وأخرى يقول لقد كتبوا التاريخ كما أرادوا لا كما هو.

٣.إذا كانت المصرمة القرية التي كان يأوي إليها بنو إسرائيل قبل الخروج وكان عددهم من المقاتلين /٦٠٥/ ألف مقاتل فمع النساء والشيوخ والأطفال يبلغ عددهم مليونين فما أهل المصرمة آنذاك الذين فرنبو إسرائيل منهم؟

وهل يكذب بنو إسرائيل في هذا العدد وبهذا تكذب التوراة؟

أم أن قرية المصرمة كانت مدينة كبيرة تضم الملايين فهي كنيويورك؟

أم أن مصر ليست هذه القرية المعروفة بالصرمة وفي هذا ينهار كل ما بناه الصليبي وجهده يكون ضائعا؟

٤. أين صارت حادثة الخروج وغرق أهل المصرمة أم أن الحادثة التي روتها التوراة كاذبة في تقليديها اليهوي

والإيلي وإذا ما كان الأثر كذلك فأية أمانـــة في كتابـــة التوراة؟

٥. إذا كانت المصرمة هي القرية المنشــودة وجبــال عســير والسراة مسكنهم فأين كان التيه وهل وجــد في هــذه الأمكنة التي أشار إليها المدن التي حدثتنا التوراة عنــها في أثناء الخروج؟

أسئلة كثيرة لا يستطيع أحد الإجابة عنها لأنهـــا ضـــاعت في غياهب التاريخ وقد غطوا الحقيقة وغمطوها ومن أين للإنسان أن يجـــد الحقيقة ضمن أكوام من الترهات وأساطيره.

٣..اللغة العبرية لغة كنعان

ناقشنا هذا في فقرات سابقة ورأينا أن الصليبي لم يستطع أن يعطينا لغــة بني إسرائيل قبل دخولهم أرض كنعان.

هل كانت الآرامية لغتهم وما برهانه على ذلك؟

هل نسوا الآرامية أثناء مقامهم في مصر وإذا ما كانت مصر هي مصرمة فلغتها ستكون إما آرامية أو كنعانية أو عربية وهذا ما قاله الصليبي بتواجد هـــذه اللغات الثلاث.

فما لغة بني إسرائيل حينما كانوا في المصرمة؟

وما لغة بني إسرائيل قبل أن يأتوا إلى المصرمة؟

ثم هل تكذب التوراة حينما قالت إن بني إسرائيل قـــد بنـــوا مدينـــتي رعمسيس وفيثوم فهل هاتان المدينتان تابعتان للمصرمة؟

تكفي هذه الأسئلة لإسقاط نظرية الصليبي ومن والاه.

الفصل الخامس

استشهاد بالقرآن الكريم

١. دليل تحريف وفهم الصليبي للتحريف.

٢.جمع القرآن وعدم إعطاء أسماء.

٣.القرآن لا يكرر ما قالته التوراة.

٤.شواهد أنواع التحريف قالها القرآن ولم يتطـــرق إليها الصليبي.

١ دليل تحريف القرآن وفهم الصليبي للتحريف

لقد رأينا في الفكرة السابقة أنه استشهد في القرآن على تحريف اليهود للتوراة ورأينا أيضاً أنه قطع الآية ومزقها ليستدل منها على ما فهمه أو يريد أن يُفهمه للآخرين ضارباً في وحدة الآية عرض الحائط.

على كل حال اعترف الصليبي آنذاك بأن المسوريين حرفوا التوراة سواء كان ذلك التحريف في الشكل وهو ما أراده أو كان التحريف كما فهمناه تحريف الكلم عن مواضعه بإزالة كلمات أو جمل من مكانها ووضع كلمات أو جمل مكان ما حذف.

ويقول الصليبي: وبالفعل فقد قام هؤلاء بتحريف النصوص التوراتية عن طريق إدخال الحركات والضوابط عليها بصورة اعتباطية في أحيان كثيرة مما غير إعراب الجمل وحوَّر المعاني.

ولم يرق أعمال المسوريين هذا لغيرهم من أحبار اليهود المعروفين بالربانيين في البداية، ولكن الربانيين قبلوا ما عمله المسوريون مع الوقت بحيث أصبح النص التوراتي المضبوط من التوراة هو النص المعتمد من اليهود وقبل المسيحيون أيضاً بهذا النص المسوري للتوراة أو أخذوا عنه ترجماتهم المعتمدة للعهد القديم من الكتاب المقدس وعلماء التوراة اليوم بمن فيهم العلماء اليهود يعرفون تماماً أن ضبط المسوريين للتوراة لم يكن صحيحاً في مواقع كثيرة، وقد قامت عدة محاولات لإعادة النظر في هذا الضبط خصوصاً من قبل العلماء الذين حاولوا ومازالوا تصحيح ترجمة الأسفار التوراتية لكن هذه المحاولات لم تف

بالمطلوب حتى الآن لأن التحريف الذي أدخله الضبط المسوري على النص التوراتي هو أضخم بكثير مما يتصوره علماء التوراة[1].

لي على هذا النص الملاحظات التالية:

١.اعتبر التحريف في التوراة السبعينية وعليه فالتوراة السبعينية غير صالحة في رأيه لأن التحريف قد أصابها.

٢. النص العبري أصابه التحريف نتيجة الضبط بالشكل والحركات ولو حذف الضبط الذي أحدثه هؤلاء لخرجت التوراة صحيحة حسب رأيه وإني لأتساءل هل الحركات هي التي جعلت أساطير العراق تدخل في العهد القديم؟ هل الضبط بالشكل هو الذي نقل الأدعية من كتاب الموتى المصري في التوراة؟

هذه الأسئلة أتمنى أن يجيب عنها من يسير في صف الصليبي.

٣.قامت عدة محاولات لإعادة النظر في هذا الضبط فهل يرشدنا الصليبي إلى بعض من حاول إعادة النظر.

٤.على كل حال التحريف واقع في النص لإهمال حروف جر ودمجها في الكلمة كما يحدثنا في كثير من الحالات وكذلك هاء التعريف فمن يستطيع فصل حرف الجر عن الكلمة أو هاء التعريف إنها هاء من الكلمة أم التعريف؟

(١). المصدر السابق ص ١٥.

أسئلة كثيرة لا يمكن الإجابة عنها بسهولة أرجو لمن يفتح الباب أن يستطيع إغلاقه وهو عاجز عنه.

٥. إذا كانت التوراة محرفة منذ القرن العاشر الميلادي وحتى الآن بواسطة الضبط والشكل وعليه عاش الناس ألف سنة فهل في استطاعة تيار الصليبي أن يعيد إلى التوراة صفاءها ونقاءها، وكل الناس يعرفون أنها محرفة في غير ذلك.

٦. تناقض في آراء الصليبي فهو تارة يعتبر المسورين أمناء وتارة يتهمهم بالتحريف ويقول إن الربانيين رفضوا التوراة المضبوطة بالشكل فلماذا قبلوها على هذا النحو و لم يصححوا ما وقع فيها من أخطاء وهم القادرون على ذلك.

٧. سنتطرق إلى التحريفات للتوراة في هذا الفصل في فقرة أخرى.

٢. جمع القرآن الكريم وتوافقه مع التوراة

هذه النقطة مهمة في النقاش عند الصليبي فهو قد حاول التسلل منها إلى ما يريد ليعلن أن القرآن موافق للتوراة، يقول الصليبي: لقد جمع القرآن ودون تقريباً في نفس الوقت الذي كان فيه المسوريون قد بدأوا بتصويب نص التوراة العبرية واستناداً إلى التاريخ الإسلامي فإن التدوين النهائي للقرآن الكريم بالصيغة التي استمرت في الوجود إلى اليوم قد تم في عهد الخليفة عثمان أي بين سنتي ٦٤٤ و ٦٥٦م.

وحيثما تكلم القرآن عن الآباء العبريين أو عن بني إسرائيل أو عن أنبياء اليهود أشار إلى عدد من أسماء الأمكنة التي هي من الأسماء المعروفة في غرب شبه الجزيرة العربية والتوافق بين أسماء الأمكنة القرآنية في إطار معين وتلك التوراتية في الإطار نفسه قد يكون ملتبساً إلى حد كبير في بعض الأحيان وحيث يمكن للتوراة مثلاً أن تعطي اسم هذا الجبل في غرب الجزيرة العربية فإن القرآن قد لا يعطي اسم هذا الجبل بل اسم واد أو بلدة أو اسم موقع آخر في الجوار نفسه وهكذا واستناداً إلى التوراة الخروج ٣/٢/ فإن ملاك الرب يهوه ظهر على موسى بلهب نار من وسط عليقة في جبل حوريب واستناداً إلى القرآن الكريم فإن دعوة السماء لموسى حصلت في الوادي المقدس طوى وحتى الآن جرى البحث عن جبل حوريب التوراتي في سيناء و لم يعثر عليه هناك بهذا الاسم وقد فهم لهب العليقة التي تتوقد بالنار و لم تكن العليقة تحترق على أنه إشارة إلى بركان ولكن لم يعثر على آية آثار لأية نشاطات بركانية في سيناء.

وهذا ما جعل الباحثين ينثنون عن سيناء إلى البحث عن جبل حوريب في المناطق البركانية شمال الحجاز ولكن كذلك دون جدوى ولكن القرآن يقول لنا بالدقة أين كان حوريب؟

فهو جبل في الجهة البحرية منن عسير ويسمى اليوم جبل هادي وعلى سفح جبل هادي هناك قرية تدعى اليوم الطوا[1].

أمام هذا النص أقف لأبدي عدة ملاحظات:

---

(١). المصدر السابق ص ٦٩-٧٠.

١. إن جمع القرآن الكريم تم بسرعة قصوى فقد جمع منذ عـهد النبي صلى الله عليه وسلم وظلت النسخة عند أم المؤمنين حفصة وقد استعادها أبو بكر ونسخ عنها وأعادها إلى أم المؤمنين حفصة ثم استعارها عثمان ووحد الكتابة والخطوط وكان الخلاف في كيفية الخط وليس في الآيات فالتابوت قسم منهم كان يكتبها بالتاء والآخرون يكتبونها بالهاء وقد كتب القرآن على لغة قريش والخط القرآني هو خط قريش الذي بقي فيه القرآن مسجلاً حتى الآن.

٢. لم يطل الأمر في القرآن حتى يتسرب له الشك كما في التوراة فقد بدأ نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم حوالي سنة ٦١٠م وتم ٦٣٣م وبقي الوحي يـنزل على الأمين مدة /٢٣/سنة، وتوفي الرسول صلى الله عليه وسلم في العام العاشر للهجرة وتوفي عثمان بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ولهذا جمع القرآن ولم يحدث به الأخطاء ولا وقع في الثغرات التي وقعت به التوراة.

٣. يقول الصليبي: وحيثما تكلم القرآن عن الآباء العبريين، ولو درس القرآن بصورة أفضل لرأى أن القرآن لم يعترف بـأبوة إبراهيم عليه السلام للعبريين ولا اليهود ولا بني إسرائيل فكيف تكلم عن أبوة العبرانيين، أما الأنبياء اليهود فلم يجر

ذكر لهم في القرآن فلم يمر ذكر لأرميا أو أشعيا أو بـاروخ أو حبقوق أو حجي أو زكريا الأول والثاني والثالث و لم يمر عن جاد وناثان وعدد وما والاهم فكيف ذكر أنبياء اليهود.

٤. إن النار التي رآها موسى وخاطبه الله من عندهـا كـانت بالوادي المقدس طوى وكان موسى عائداً مـن مديـن إلى مصر فأين وقع وادي طوى هذا؟ فما الذي أتى بـالجبل إلى عسير وهل عسير على طريق مدين؟

٥. أما أن النار المشتعلة التي أراد موسى أن يأنس بها أو يجـد عليها هدى فليس بركاناً و لم يقل القـرآن الكـريم بأنـه بركان، وكيف يجرؤ موسى على الاقتراب مـن بركـان يقذف بحممه؟ إن البركان لم يكن إلا من مخيلـة اليـهود والذين ساروا وراء التوراة وظنوا أن البركان هـو الـذي وقف عنده موسى وأن يهوه إله البراكين والصواعق، هـذه الخطوات اتخذها أحبار اليهود في تصوير إلههم إله الغضـب والانتقام إله الرعد والعواصف إله البراكين إله الجبال إلـه الدماء، وعلـى هـذا لا نسـتطيع أن نقـول إن يـهوه الدراكولات مصاصي الدماء ومبيدي البشرية.

٦. يبقى ما كتبه الصليبي بعد ذلك ليس إلا من باب السفسـطة وعدم فهم للقرآن، ولو فهم القرآن لما وقـع في الإشـكال

الذي وقع فيه فلا براكين ولا أنشطة للحمم التي تقذف من البركان من هنا وهناك.

يرى الصليبي أن رواية القرآن تختلف عن رواية التوراة وهو يخالف هذه النظرية الغربية إلى القرآن الكريم ((وحيث يروي القرآن القصص التوراتية فإنه لا يكرر الروايات التوراتية لهذه القصص ويتصرف بها كما هي النظرة السائدة اليوم بين الباحثين في الغرب.

بل إن محتويات القرآن الكريم حيث تتوافق مع محتويات التوراة العبرية هي رواية تاريخية مستقلة تماماً عن رواية التوراة ولا بد من دراستها على هذا الأساس، والشيء نفسه ينطبق على الروايات لقصص الأناجيل المسيحية وقد تبدو التباينات بين الروايتين التوراتية والقرآنية محيرة للوهلة الأولى ومع ذلك فإنها قد تصبح باعثة على التنوير في التمحيص التالي لأن في القرآن ما يوضح غوامض التوراة في أحيان كثيرة وهذا أمر في غاية الأهمية))(١).

لي على هذا النص ما يلي:

موقف الصليبي من القرآن الكريم موقف يختلف تمام الاختلاف عن نظرة الغرب، فالقرآن ليس تابعاً لهذا التحريف في التوراة ولهذا فرواية القرآن الكريم رواية مصححة لما وقعت فيه التوراة من أخطاء وتحريفات، يصر الصليبي على أن دارس التوراة عليه أن يعود إلى قراءة التوراة دون الشكل والحركات ويقرأها بشكل ساكن ويعود إلى سجلات الآشوريين

(١). المصدر السابق ص ٧١.

والبابليين والكنعانيين وما يستجد من آثار مكتشفة وأن يعتمد النص القرآني الثابت حرفياً وأخيراً تضاريس غرب شبه جزيرة العرب.

وأضيف فأقول: إن على الدارس أن يبحث عن الحقيقة أينما كانت ولا ينطلق من خلفية مسبقة فيرفض الأحكام التي في مخيلته دون عابئ بالحقيقة.

الاختلاف بين الرواية القرآنية والتوراتية محير للوهلة الأولى ولكن في الواقع أن القرآن يوضح غوامض التوراة في أحيان كثيرة وهذا أمر في غاية الأهمية وهكذا عاد الصليبي إلى القرآن لأنه يوضح غوامض التوراة لكن رغم ذلك لم يدرس القرآن دراسة كاملة ولو درسه دراسة كاملة لما قال عن حجارة مكونة إنه مذبح إبراهيم، وإبراهيم لم يكن لديه مذبح ولا حرق للضحايا بل كان إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ولم يكن إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً.

٣. شواهد أنواع التحريف لم يتطرق إليها الصليبي

هنالك آيات أخرى تدل على أنواع من التحريف في التوراة قام بها الأحبار اليهود لكن الصليبي لم يتعرض لها باعتبارها لا تقف في الحدود التي رسمها في مفكرته ولهذا يكون الصليبي آمن ببعض الكتاب وكفر ببعضه فما هذه الأنواع من التحريفات التي لم يتطرق إليها:

١. إخفاء قسم من التوراة وإخفاؤه يكون بحذفه من أصل الكتاب قال الله تعالى في القرآن: **﴿ياأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾**[المائدة:١٥].

إذن بيَّن القرآن بعض ما كان اليهود يحذفونه من التوراة وذلك في الأحكام الشرعية والفقهية كما أن القرآن لم يتطرق إلى ما حذفوه في التوراة من الآيات التي لا تهم المسلمين واليهود على السواء إن لم يذكرها لأنها قد نسخت في أحكام القرآن الكريم.

٢. النسيان لم يكتب جماعة بني إسرائيل بعد أن ضاع بعد موسى عليه السلام وقد أشار سفر القضاة إلى ضياعها حينما استولى (الفلسطينيون كما تقول التوراة) على تابوت العهد والحقيقة كما يصرح بها القرآن الكريم حينما قامت حرب بين بني إسرائيل الذين يؤمنون مع الذي لا يؤمنون منهم وخسر المؤمنون الحرب فقد صرح القرآن بذلك فقال: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ**

لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنْ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[البقرة:٢٤٦-٢٤٨].

هذه الآيات الثلاث يمكن أن نستفيد منها مايلي:

١.قامت حرب بين بني إسرائيل ممن لم يؤمنوا ومن آمن وقد خسر المؤمنون الحرب فتخلى المؤمنون عن أوطانهم وأبنائهم وتابوت عهدهم وفيه كما نعلم من خلال التوراة أن ألواح موسى التي كتبت فيها الشريعة كانت موضوعة في تابوت العهد.

٢.اختيار الملك لم يرضوا عنه لأنهم رأوا أن الملك يجب أن يكون صاحب أموال أكثر و لم يروا غير ذلك.

٣.عودة تابوت العهد يختلف تمام الاختلاف عما أوردته التوراة فلا بقر هنا وإنما أعادته الملائكة.

٤.ضياع التوراة منذ ذلك الوقت ولهذا حينما أرادوا أن يكتبوا التوراة بعد ذلك نسوا كثيراً من أحكام الشريعة ومن حوادث الكتاب وقد وردت الآيات مؤكدة ذلك.

قال تعالى في القرآن: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

فالتوراة قد ضاعت ولم يكتب بنو إسرائيل نسخاً ما عنها ولهذا بقي ما حفظه الأحبار والربانيون وقد نسوا كثيراً من التوراة ويؤكد القرآن ذلك في آياته: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلا قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة:١٣].

وهكذا بيَّن القرآن القسم الثاني من التحريف وهو النسيان وقد أكد لنا القرآن ولهذا جمع المسلمون القرآن منذ عهد الرسول ونسخوه إلى عدة نسخ في زمن الخليفة الراشدي الثالث ووزعت هذه النسخ في الأمصار الإسلامية الكبرى حتى لا يضيع كما صار مع التوراة.

٣.التحريف في الكلمات عن عمد: وقد قال الله تعالى في القرآن [المائدة:٧٥] وأكد القرآن الكريم هذه الظاهرة ظاهرة التحريف

وقد نص القرآن الكريم ظاهرة إيمان اليهود ببعض الكتاب وكفرهم ببعضه وقد فعل اليهود ذلك فنقلوا ما يؤمنون به وحذفوا ما لا يؤمنون به، وباتت التوراة في متناول أيديهم يمزقونها إرباً إرباً يكتبون منها ما يريدون ويحذفون منها ما يريدون حتى استقرت في الصورة التي قال عنها الصليبي إن علماء اليهود كانوا أمناء في كتابتهم التوراة ولم يمسوا نصوصها وإنما ضبطوها وأخطأوا في ضبطها بينما لو تابع دراسة النص القرآني حول التوراة للاحظ أن القرآن لم يكتف بنوع التحريف الذي قدمه الصليبي، وكان بنو إسرائيل كلما جاءهم رسول من الرسل فإذا وافق هواهم قبلوه وإذا خالف رأيهم وهواهم كذبوه وقتلوه، أهذه هي الأمانة؟

ولهذا من يقرأ سفر أخبار الملوك والأيام يلحظ كثرة من الأنبياء منهم من كان صادقاً ومنهم من كان كاذباً هذا ما قاله القرآن لكن لم يشر إليه الصليبي على الاطلاق فلماذا وأين الأمانة؟

واسمع إلى النص القرآني في هذا الصدد: **(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ)**[البقرة:٨٧].

٤. النوع الرابع من التحريف كتابة نصوص وإضافتها إلى التوراة وهي ليست كذلك وهذا النوع من الأنواع الخطيرة في التحريف التوراتي يقول الله تعالى في القرآن: **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا**

يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ* فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ [البقرة:٧٨-٧٩].

هذه الإضافة تمت من قبل الأحبار والربانيين أو قل إنها تمت من قبل عزرا ونحميا فقد كتبا التوراة التي بين أيدينا وقالوا إنها كتاب موسى الذي أنزله الله على موسى، كذبوا على الله وكذبوا على موسى فلا هذا الكتاب كتاب الله ولا عرف موسى ولا سمع به ولم يكن يهوه رب موسى ولا كان موسى عبداً له إنه رسول من رسل الله فإله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وهو الله رب العالمين.

وإذا أردنا معرفة ما نزل في التوراة على موسى من تشريع فعلينا أن ننظر إلى القرآن وهذا حسب رأي الصليبي لأنه يقدم لنا شرحاً عن روايات التوراة ويبين لنا ما غمض منها.

٥. النوع الخامس من التحريف تحريف في القراءة وقد أشار إليه القرآن الكريم أيضاً بقوله: وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا

لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُـــونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ [آل عمران:٧٨-٧٩].

هذا النوع الأخير من التحريف أرجو أن أكون قد وفقـــت في عرض هذه الأنواع من التحريفات والتي تجاهلها الصليبي ولو لم يستشهد بالقرآن لكان أفضل له.

الفصل السادس

قراءات مغلوطة

١. يجر سهدوتا.

٢. كركميش.

٣. ملكي صادق

٤. بئر سبع.

لم يكن الصليبي أحسن حظاً من علماء بني إسرائيل واليهود فقد حرف ما أراد تحريفه ليوافق هواه وليسبغ على فرضيته الصحة والسلامة ونسي أن فرضيته ستنهار حينما تنكشف أخطاؤه وتظهر للناس عثراته.

عرف الناس من خلال الآثار أمكنة كثيرة وبلداناً كثيرة رغم أن هذه الأسماء معروفة في التاريخ ومشهورة كثيراً، حاول الصليبي أن يحرف هذه الألفاظ والأسماء ليخرجها عن غاياتها وينقلها من أماكنها، ونضرب بعض الأمثلة التي وردت على سبيل المثال لا على سبيل الحصر لأنه حرَّف كثيراً من الأسماء ولو أردت أن أتتبع سقطاته لمل القارئ من هذه السقطات.

١. يجر سهدوثا

لقد ناقشنا هذه الكلمة سابقاً فقد وردت في التوراة على أساس عمود من الحجر نصبه يعقوب وعملوا حوله رجمة من الحجارة.

هذه الرجمة من الحجارة جعل كتبة التوراة لها ثلاثة أسماء، الاسم الأول: يجر سهدوثا ومعناه الرجمة الشاهدة، وسماها يعقوب جلعاد ولا أدري ما معنى جلعاد أهي من قسمين جل+عاد وما معناها ومن ثم فسر هذه الكلمة الغريبة بالمصفاة.

والمصفاة نقطة المراقبة يقف عليها الإنسان وهي في مرتفع ليراقب القادم من بعيد، هذه الأسماء الثلاثة كتبها جماعة التوراة للدلالة على كلمة واحدة أو مكان واحد، أترى هذه الأسماء وردت لاختلاف مصادر التوراة واختلاف الكتبة؟.

فيعقوب حسب التعبير التوراتي آرامي ولغته آرامية ولابان حسب الرأي التوراتي آرامي ولغته آرامية فمن أين أتت الأسماء الأخرى، إن قراءة الصليبي ليجر سهدوتا فرعة آل شهداء قد أخطأ فيها وحرفها إلى ما يريد حتى يبلغ هوىً في نفسه، لقد جعل من يجر سهدوتا ثلاثة أمكنة من رجمة أقامها كتبة التوراة لا أصل لها في الحقيقة فلم يكن يعقوب وهو الرسول ـ إن كان الصليبي يقبل بالقرآن ـ فكيف يؤمن الرسول بالأنصاب وإن كررت التوراة الأنصاب في كثير من ثناياها؟

هذه القراءة المغلوطة فهم منها أن البقعة صارت ثلاث قرى هي:

١. فرعة آل شهداء وقال فرعة هي الكومة أو الرجمة ولما رجعت إلى لسان العرب وجدت الفرعة رأس الجبل وأعلاه خاصة وجمعها فراع والفرعة هنا تعني أبناء آل شهداء وليست كومة الشهادة كما فسرها الصليبي وارادها أن تكون تأويلاً لما يريده، ثم نقل سهودتا إلى سهدء مع حذف التاء

٢. جلعاد حولها إلى الجعد وبهذا كسر عنق الكلمة وحذف اللام من الوسط ليجعلها أل التعريف وأرادها أن تكون بمعنى إيل الله كل هذا اللف والدوران ليجعل الكلمة مطية لأهدافه وقد أخطأ المرمى.

٣.المصفاة اسم آخر ليجر سهدوتا لكن الصليبي رأى مكاناً آخر اسمه المضاف فقال هو المصفاة واستدل على وجود مكان يعقوب في هذه المنطقة، والمضاف تختلف معنىً عن المصفاة.

ثم إنه جعل من المكان الواحد أمكنة ثلاث ليتوافق مع هواه.

٢. كركميش

ورد هذا المكان في شمال سوية وعلى الحدود الموهومة بين كيليكيا العربية التي سلبتها تركيا وبين سورية السياسية الآن واسمها في الوقت الحالي جرابلس وقد جرت عندها معركة شهيرة.

وكركميش اسم لمكان واحد أيضاً لكن الصليبي شأنه في ذلك شأن كل من يريد أن يُسيِّر الأمور على هواه فجعل المكان مكانين والقرية قريتين، قر وقماشة ورأى قريتين متجاورتين وقر معناها البارد وقماشة معروفة أما كركميش التي قال عنها الحثيون إنها كرغماسا حسب اللفظ الذي أورده الصليبي، ولم يكن هواه يسوقه ليفسرها بحصن ماسة كرك حصن وهذا الاسم الكرك موجود في الأردن باسم مدينة ولكنه لم يتطرق إليها لأنها تنفي هواه وهكذا قسم الكلمة إلى كلمتين والمدينة إلى مدينتين(١).

ولقد أخطأ في هذا المرمى.

---

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٣٦.

٣. ملكي صادق

قرأه قراءة مغلوطة فحول الرجل الكاهن لله العلي إلى لقمة سُائغة فاسمع لما قاله الصليبي في هذا الصدد ((والواقع هو أن ملكي صادق في التكوين ١٤/١٨/ ليست اسم علم بل تعبير اصطلاحي يفيد معنى الطعام وهي في المزمور ١١٠/٤/ إشارة إلى ملوك مكان اسمه صدق (ملكيم مع إسقاط ميم الجمع في الإضافة إلى صادق) وليست هناك بالتالي أية علاقة لغوية أو تاريخية بين ملكي صادق التكوين وملكي صادق المزامير...

لكن ملكي في هذا الإطار ليست لفظة ملك بمعنى الملك مضافة إلى ضمير المتكلم بل هي جمع ملك صيغة تقليص للفظة مَلْوَك بمعنى لقمة أو ملء الفم وهي اشتقاق من جذر فعلي وارد في العربية دون العبرية هو ألك أي علك أو مضغ ومن مشتقات هذا الجذر في العربية عبارة ألوك صدق أي ما يؤكل وهو الطعام وهكذا يصبح المعنى الصحيح لنص التكوين وملك شالم أخرج ألوك صدق خبزاً وخمراً وكان كاهناً لإيل عليون))[1].

ويمكن أن نبدي بعض الملاحظات في هذا النص:

١. جذر ألك غير موجود في العبرية حسب اعتراف الصليبي فكيف صيغت الكلمة العبرية من العربية من ألك أو علك.

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٢٢١-٢٢٢.

٢.الجذر العربي ألك فيها معنى الطعام ولكن اللسان لم يقر هذا وإنما قال هي من لاك يلوك أما جذر ألك فهو بمعنى أرسل ومنه الملائكة.

٣.لاك يلوك ليست ملء الفم وإنما هو أهون المضغ وقد أخطأ الصليبي فجعله من ألك بدل لوك حتى لا يعترف بأن الواو موجودة في الحروف الساكنة وهو صوتي.

٤.قراءة الكلمة مغلوطة وأخرج الكلمة من اللغة كلها حتى يستقيم له المعنى كما يريد.

٥.ثم إذا كانت ملكي مأخوذة من ألك غير العبرية فلماذا أضيفت الياء.

٦.إن وجود ملكي صادق في المزامير لهي تأكيد لملكي صادق في التكوين.

٤. بئر سبع

مرت هذه الكلمة في العهد القديم في أماكن عديدة منها:

١.مرت الكلمة في تكوين ٢١/٢٨-٢٤/ وعلل سبب هذه التسمية بأن إبراهيم أعطى سبع نعاج لأبي مالك من أجل حفر بئر ماء لأن حفره في أرض أبيمالك وسمي بئر سبع للنعاج التي قدمها.

٢.سكن في بئر سبع بعد محاولة التضحية بابنه تكوين ١٩/٢٢/ ولم يعلل سبب سكناه في بئر سبع ولكن الأغرب

من ذلك بعد هذا المقطع جاء الإصحاح الثالث والعشرون وفيه ماتت سارة فدفنها في حبرون فكيف سكن بئر سبع وكيف ماتت سارة في حبرون ودفنها في المكفيلة.

٣.مرت كلمة بئر سبع في قصة إسحاق و لم يعلل لنا سكناه في بئر سبع بعد أن حفر عسق وسطنة ورحوبوت وقد حفر بئر سبع من جديد، وغيرت التوراة تعليل بئر سبع بشكل مختلف عما كان عليه في عهد إبراهيم ((وحدث في ذلك اليوم أن عبيد إسحاق جاؤوا وأخبروه عن البئر التي حفروا وقالوا له قد وجدنا ماءاً فدعاها شبعة لذلك اسم المدينة بئر سبع إلى هذا اليوم))تكوين ٢٦/٣١-٣٢/.

من هذه النقاط الثلاث يمكن أن نرى تعليل اسم بئر سبع في التوراة مرتين مختلفتين فهي مرة من بئر سبع نعاج وبها سميت بئر سبع، وفي المرة الثانية من الامتلاء والشبع وسميت بئر سبع والغريب في الأمر أن المرة الثانية لم يسم البئر بئر شبع وإنما أسماها بالسين بئر سبع مما يدل على أن الحادثة الثانية مختلفة وبئر سبع هي الأصل وليس بئر شبع لكن الصليبي آمن ببعض التوراة وكفر ببعضها فضرب في التعليل الأول عرض الحائط وعاد إلى التعليل الثاني فقال إن الاسم في الجزيرة العربية شباعه دون أن يعير انتباهاً هل هناك بئر ما في قرية شباعة أم لا وهي واقعة حي من خميس مشيط[1].

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٩٤.

الفصل السابع

جغرافية التوراة

١. عدم وجود آثار تدل على أن فلسطين سكنى بني إسرائيل.

٢. التشبث بالأمكنة الفلسطينية من قبل باحثي التوراة.

٣. محاولة الصليبي إثبات عسير.

٤. مناقشة بعض الأماكن:

- جرار
- قادش
- كورش
- صيدن
- عين سلوان

مقدمة جغرافية التوراة

إن صلب الكتاب هو جغرافية التوراة فلقد كان الكتاب والباحثون في التوراة ينطلقون من صدق الجغرافية وكذب التاريخ أما الصليبي وجماعته فقد انطلقوا من صدق التاريخ وكذب الجغرافية.

ولعل تصديق بعض الكتاب وتكذيب بعضه قد أدى بهم إلى الوقوع بأخطاء قاتلة فالكتاب إما أن يؤخذ كله أو يرفض كله وفي كل نظريات العالم إذا سقط جزء من النظرية انهارت النظرية.

ولو سار الكاتب مبتدئاً بعين الناقد للتاريخ والجغرافية لما وقع في مثل هذه المطبات التي وقع فيها وأنا ممن ساروا بنقد التوراة تاريخها وجغرافيتها ودينها ولغتها تحت عنوان التوراة تحريف وتزوير.

أما الصليبي وهو السائر في ركاب التوراة يقوده هواه إلى التشبث بصدق التوراة وأمانة علمائها كما رأينا ذلك من أقواله حاول أن يعطي بعداً جديداً في التوراة من خلال مناقشة كذب جغرافية التوراة وحاول أن يبعدنا عما فسرته التوراة وكتبتها ما أمكن وأنها ليست بلاد فلسطين أنا معه أن التوراة لم تنزل في فلسطين، ولا كان موسى فيها في يوم من الأيام فقد نزلت على موسى وهو في التيه ومات في جبل نبو، لا أدري أين جبل نبو لا يدريه علماء اليهودية دائماً كل الذي أعرفه أن نبو إله عراقي بابلي سمي به عدة ملوك كلدانيين منهم نبوخذ نصر ونبونابيد، فمن أين جاءت التوراة بكلمة نبو؟

المهم أنه حاول أن يثير انتباهنا إلى أن يهودا مأخوذة من الوهدة وسماها الأراضي المنخفضة وغاب عن ذهنه أن وهد غير هاد وفي اللغة العربية هاد يهود إذا تاب ورجع ومنه النبي هود نبي عاد، ولهذا أقول لو كانت جغرافية التوراة كما أشار وكانت في غرب شبه الجزيرة لتطرقت التوراة إلى الأمم البائدة العربية وخاصة كان بنو إسرائيل في وقت قريب من هذه الأمم البائدة كعاد وهم قوم من أقوام العرب البائدة نبيهم هود وكثمود وهم ينتمون إلى عاد أيضاً فأما عاد الأولى فكانت في جنوبي شرق الجزيرة وأما ثمود ونبيهم صالح فكانوا في شمال الجزيرة لكن التوراة لم تحدثنا عنهم إطلاقاً مما يدل على أن التوراة لم تكن تعرف من شعوب الجزيرة أحداً ما عدا إسماعيل وذريته التي أنكرت أن يكون سكناهم في الجزيرة وإنما أسكنتهم في فاران في سيناء.

بل لو كانت التوراة في الجزيرة كما يدعي الصليبي لتحدثت عن بناء إبراهيم للكعبة ولافتخرت بها لأنهم يزعمون أن إبراهيم جدهم وكانوا يدلون على العرب ببناء جدهم هذا الأثر التاريخي الخالد الذي جعل مهوي للأفئدة ليحج إليه الناس من كافة بقاع الدنيا.

ولو كانت التوراة في الجزيرة لتحدثت عن عبيل التي قيل إنها سكنت في المدينة والمدينة قريبة من مكان الجغرافية التي يبحثها الصليبي.

ولو كانت التوراة في الجزيرة لتحدثت عن طسم وجديس....ولكنها تكلمت عن مادي وعيلام تكلمت عن يأجوج

ومأجوج وماشك وتوبال وياوان، وهذه الشعوب الغريبة عن العرب والجزيرة العربية ولا تمت إليهم بصلة.

فلنر بعد هذه المقدمة النقاط التي تستحق الوقوف عندها في هذه النظرية ويمكن أن نقسمها إلى عدة بنود كما هو شأننا في الفصول السابقة التي ناقشناها:

١. عدم وجود آثار في فلسطين تدل على سكنى إسرائيل فيها

لقد حاولت الكاتبة الباحثة كاتلين كينون إثبات آثار يهودية في فلسطين مما قبل الأسر وعبثا حاول الكتاب إثبات ذلك إلا أنها خرجت بنتيجة أنه لا أثر يثبت أن لإسرائيل أثرا في فلسطين مما قبل الأسر وقد انطلق الصليبي من هذه النقطة عدم وجود آثار في فلسطين تدل على سكنى إسرائيل ما قبل الأسر في فلسطين فلا داود ولا سليمان ولا حزقيال ولا رحبعام.... وكل ما كتبته التوراة في هذا القبيل لم يكن إلا من خيال اليهود المريض وأوهامهم ولهذا فإن الصليبي يقول: ((وقد اضطر علماء الآثار في المرحلة الأخيرة من التنقيب على بعد خمس كيلو مترات تقريبا عن بئر السبع للعثور على مواد أثرية يعود عهدها إلى زمن التوراة دون أن يعثروا على برهان قاطع بأن لهذه المواد أقل علاقة بالتوراة أو بتاريخ بني إسرائيل.

لقد اهتم الغرب اهتماما كبيرا بإثبات صدق التوراة بواسطة الآثار ومهما كلفهم كيف لا والتوراة هو الركن الأساسي الذي استطاعت اليهودية إدخاله في دينهم كنصارى وإقناعهم بذلك.

لهذا فإن أي تكذيب للتوراة تكذيب لركن أساسي من كتابهم المقدس كيف لا وهو العهد القديم وعليه انبنت الشريعة اليهودية والمسيحية فإذا ما سقط هذا الكتاب لا يعود من مبرر لوجود الديانتين معا لهذا يحاولون ما أمكن إثبات وجود هذا الكتاب وصحته ولو بخيط واه.

ويجزم الصليبي بأنه لا يوجد أثر واحد في فلسطين يدل على وجود بني إسرائيل فيها ليحول الأنظار بعد ذلك إلى منطقة أخرى هي غرب الجزيرة العربية.

لقد سبق الصليبي من قال لا أثر في فلسطين كينون في كتابها الكتاب المقدس والمكتشفات الأثرية تقر في نهاية بحثها أن لا أثر لبني إسرائيل في فلسطين قبل الأسر.

ووقفت كاتلين كينون عند هذه النتيجة دون أن تبدي ملاحظة تثير الانتباه في أي اتجاه.

لقد كذبت كينون تهديم أريحا على يد يوشع فقد كانت مهدمة قبل الزمن الذي يفترض فيه دخول يوشع بأربع قرون ثم إن المقابر في أريحا لا وجود فيها ما يدل على أن بني إسرائيل قد قبروا فيها.

وكذلك بالنسبة لعاي وجازر ومجدو وهكذا كان بحث الآثاريين في فلسطين جهدا مضاعا ودون تحقيق الفائدة المرجوة من هذا البحث والعناء.

ويقول الصليبي: ((وعلى مدى قرون كانت مسارات الحج اليهودي والمسيحي تقتفي آثار تطواف الآباء الأوائل وأبنائهم الإسرائيليين عبر الأراضي الشمالية للشرق الأدنى بين الفرات والنيل متفرقة إلى المواقع التوراتية الأساسية بقرية أو آبدة فلسطينية أو أخرى))[1].

٢. التشبث بالأمكنة وعدم دلالة الآثار

لقد قلت إن علماء الآثار لم يجدوا أثرا ما يدل على وجود سكن لبني إسرائيل في فلسطين ولكن العلماء وقعوا بين نارين:

- التوراة كاذبة والحوادث التي فيها محض اختلاق وهذا ما يقض مضجعهم لقد بنوا دينهم واعتقادهم على أساس صدقها فكيف يقبلون بهذا الصنم الذي يعبدونه أن ينهار؟
- التمسك بما قالته التوراة دون دليل يثبت ذلك مستميتين في الدفاع عما قالته التوراة حقا كان ذلك أو باطلا.

ولقد آثروا النار الثانية حتى إذا ما طنت ذبابة هلعت قلوبهم وقالوا إنه الحق ولهذا ما إن يرون شيئا بعيدا جدا حتى يتمسكوا به ويؤيدوه ومن ذلك آثر ميشع ملك مؤاب وقد ناقشته في كتابي تحريف اللغة ورأينا أن هذا الأثر ليس في اللغة العبرية وإنما هو لهجة من لهجات كنعان لا أكثر ولا أقل وقد ترجمه اليهودي العالم الآثاري إسرائيل

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٥٠.

ويلفنسون وقد فندت الأخطاء التي وقع فيها في تفسير هذا النقش ومن أراد التوسع فليرجع إلى ذلك الكتاب.

أما الصليبي فيرى أن هؤلاء العلماء يتمسكون بغير حق ((ثم جاء علم الآثار التوراتي في القرن الأخير فاعتمد على المقدمات نفسها وتابع الباحثون بحثهم في التاريخ التوراتي في فلسطين إلى يومنا هذا))(١).

ويقرر الصليبي أنهم لن يروا أثرا في فلسطين مهما امتدت بهم الدراسات والتحقيقات والبحوث والكشوف.

((ومع أنه قد جرى التحقيق في كامل ميدان التاريخ القديم للشرق الأدنى بعمق وبالعلاقة مع دراسة التوراة العبرية فإن هذا التاريخ في الموقع الذي هو فيه حاليا مازال مليئا بألغاز عدم اليقين مثله مثل علم التوراة الحديث وسجلات مصر والعراق القديمة التي قرئت على ضوء النصوص التوراتية والتي أخذت تلميحاتها الطوبوغرافية وعلتها أنها تتعلق بفلسطين والشام ومصر والعراق أجبرت على إعطاء مؤشرات جغرافية وتاريخية تتوافق مع الأحكام المسبقة لدى الباحثين التوراتيين))(٢).

إنني لأعجب من كلام الصليبي في بعض الأحيان إذ يقول إن رعمسيس كمدينة لا وجود لها في مصر بينما ينقلها إلى الجزيرة العربية مصاص ويحاول أن يبرر ذلك بأن رع كبير الآلهة المصريين وقد حذفت رع وبقيت مصاص ونسي أن الاسم المصري رعمس +يس اللازمة

---

(١). المرجع السابق ص ٥٠.

(٢).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٥٢.

اليونانية حينما احتلوا بلاد مصر فأضافوا هذه اللازمة وإذا ما كان موسى اسم يضاف في مصر على أسماء الآلهة وهذا ما نجده في تاريخ الفراعنة الرعامسة معروفون بالإضافة تحوت موسى وبتاح موسى فكيف يوفق بين موسى والمصاص أليس اسم موسى بحد ذاته اسما مصريا تم الاتفاق عليه من قبل العلماء.

إن اسم موسى قد وضع اليهود له فعلا ليدل على أنه المنقذ ولكني أرى هذا من باب التبرير وتوراقم كلها تبريرية كما فعلوا في قايين وحواء ويعقوب وأدوم وإسرائيل.

ولهذا فإن رعمس ملك من ملوك مصر ولا بد من وجود مدينة باسمه كما فعل أخناتون حينما بنى مدينة أختياتون مجد آتون.

المهم أن الصليبي يرفض تعلق الباحثين الأثريين التوراتيين بإثبات آثارهم في فلسطين ويقرر أنه لا صحة لهذه الادعاءات.

٣. محاولة الصليبي إثبات عسير على أنها أرض التوراة

يرى الصليبي أن كلمة رع موجودة في شبه الجزيرة العربية وفي أماكن عديدة وهي ليست إلا كلمة رع المصرية ونسي أن العرب في الجزيرة كانوا رعاة وإلى حد قريب نسي أن بني إسرائيل حسب تعبير التوراة أنهم كانوا رعاة في أرض جاسان و لم يكونوا أهل حضارة في يوم ما وأنهم إذا أجادوا شيئا فإنهم إنما أجادوا القتل والتدمير والإرهاب والإبادة والكذب وكره الإنسانية.

لهذا فإن كلمة راع لا يمكن أن تدل على كبير آلهة المصريين على كل حال كما أنها لا تدل على احتلال مصر لشبه الجزيرة العربية.

يقول الصليبي: ((اسم عسير مصطلح جغرافي حديث الاستعمال وهو يرمز منذ القرن التاسع عشر إلى مرتفعات غربي شبه الجزيرة العربية الممتدة من النماص شمالا إلى نجران جنوبا أضف إلى ذلك الأراضي الهضبة والصحراء الساحلية لما يسمى تهامة، وعسير اليوم هي إحدى مقاطعات المملكة العربية السعودية وقاعدتها مدينة أبها))[1].

إذن عسير هي بلاد السراة وارتفاع جبالها بين ١٧٠٠ و ٣٢٠٠م فهي إذن تمتد من الطائف شمالا إلى اليمن جنوبا ومن بحر الأحمر غربا إلى الصحراء العربية شرقا وبعد أن يصف هذه المنطقة بشكل كامل ينتقل فجأة ليقرر أن هذه البلاد كانت بلاد إسرائيل مع شعوب أخرى ـــ بالطبع اعترفت بها التوراة ـــ ولو تساءلنا ما الذي نستطيع أن نفعله لنقنع معه أن أن بلاد عسير هذه بلاد إسرائيل لكان جوابنا انتظروا حتى أبرهن لكم فلننظر إن كان هذا ما يرغب قوله.

ولكننا لو فتحنا التوراة لرأينا أن كلمة عسير غير موجودة في التوراة وهذا ما يبرر للصليبي قوله مصطلح جغرافي حديث الاستعمال، بهذه الحجة الواهية استطاع أن يتخلص من ألف سؤال وسؤال يوجه إليه.

---

(١). المرجع السابق ص ٧٣.

ولو تمهل قليلا لرأى في التوراة ما يسعفه لكن ذاكرته خانتـــه وقديما قيل: قاتل الله النسيان، فلقد نسي ذلك وغابت الأمور عن مخيلتـــه فلنعيد إليه أقوال التوراة عله يراجع ما خانته ذاكرته.

إن جبل سعير لم أجده في التوراة إلا في سفر التثنية أليس ســعير اشتقاقه من عسير أو العكس ويحدد سفر التثنية موقع سعير بأنه بـــالقرب من بحر سوف (البحر الأحمر) كما يقول المترجمون ((ثم تحولنا وارتحلنـــا إلى البرية على طريق بحر سوف كما كلمني الرب ودرنا بجبل سعير أيامـا كثيرة ثم كلمني الرب قائلا كفاكم دوران بهذا الجبل تحولوا نحو الشـــمال وأوصى الشعب قائلا أنتم مارون بتخم أخوتكم بني عيسو الســاكنين في سعير فيخافون منكم فاحترزوا جدا ولا تهجموا عليهم لأني لا أعطيكـــم أرضهم ولا وطأة قدم لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثا طعامـــا تشترونه منهم بالفضة لتأكلوا وماءا أيضا تبتاعون منهم بالفضة لتشـــربوا. لأن الرب إلهك قد باركك في كل عمل يدك عارفا مسيرك في هذا القفر العظيم الآن أربعون سنة للرب إلهك معك لم ينقص عنك شيئا، فعبرنـــا عن أخوتنا بني عيسو الساكنين في سعير على طريق العربة على إيلة وعلى عصيون جابر ثم تحولنا ومررنا في طريق برية موآب)) تثنية ٢/١-٨/.

فإذن هل جبل سعير هو جبل عسير؟

وإذا ما كان عسير هو الجبل المنشود فإنه سيكون محرما على بني إسرائيل حسب توراتهم لأن يهوه أعطاه لأبناء أدوم وأدوم أخو إسرائيل.

وإذا ما ترجم تيار الصليبي أن أدوم هو حمير فمعنى ذلك أن سعير عسير هو من حصة حمير ولا علاقة لبني إسرائيل فيه لا من قريب ولا من بعيد وبهذا تكون جهود الصليبي كلها باءت بالإخفاق الذريع.

ولن تكون السراة التي هي أعالي عسير مسكنا لإسرائيل ولا يهوذا وحسب التحديد التوراتي فإن جبل سعير سيكون هو شرقي بحر سوف إلى الشمال فإذا ما كان تحديد سعير في التوراة خطأ وأن سعير هو عسير وبهذا تفقد المصداقية، وإذا ما كان تحديد التوراة صحيحا فإن سعير يطلق على جبل آخر وحينها ستكون مساكن إسرائيل شمال سعير وبهذا تفقد مصداقية الصليبي.

لكن التوراة لم تكتف بذلك بل تصور لنا أن حربا قامت بين الأموريين وإسرائيل في جبل سعير فكسروا شر كسرة فهل يسكن جبل سعير أدوم أم الأموريين؟

ويشير سفر التثنية إلى أن المعركة التي كسر بها بنو إسرائيل كانت في أرض فلسطين ويقول سفر العدد بأنهم أتوا من جنوب جبل سعير والملك الكنعاني عرار كان في الجنوب فاصطدم معهم فأين كان بنو إسرائيل إذن؟

هل كانوا في اليمن؟

لا أعتقد ذلك ولا يعتقد الصليبي إذ يرى أن المصرمة تقع في نصف بلاد عسير وليس في بلاد اليمن على الإطلاق.

وعند جبل أدوم (سعير) لعبت الأفاعي دورها فمات منهم قوم كثيرون وصنع موسى الحية المحرقة فما قول الصليبي في جبل سعير وعسير؟

وبعد دورانهم في جبل أدوم وبعد أن كسرهم الأموريون عاشوا فترة في قادش وقادش حسب رأي سفر التثنية أنها خارج جبل عسير أو سعير.

ويقول الصليبي: ((وفي عسير الجغرافية القديمة كانت هنالك شعوب مختلفة تقطن أجزاء مختلفة من البلاد وتتحدث بلهجات مختلفة وأحياناً بلغات مختلفة كما كانت تعبد آلهة مختلفة بطرق مختلفة))(١).

غير أن التوراة لم تقل بهذا فالساكنون في سعيرهم بنو أدوم أخو إسرائيل وهم مع الإسرائيليين يتكلمون لغة واحدة لأن والدهم كما تقول التوراة إسحاق ومن لغته اشتق الاثنان لغتيهما.

فهل أخطأ كتاب التوراة في أدوم وسعير؟

أم أخطأ الصليبي في عسير وإسرائيل؟.

٤. مناقشة بعض الأماكن

١.جرار السهل التوراتي يتحول إلى قرية القرارة:

هناك أربع مقاطع توراتية تتحدث عن جرار سفر التكوين ١٠/١٩/ وتترافق فيها كلمة جرار مع صيدا وغزة، ((وكانت تخوم

---

(١). الصليب كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٨٣.

الكنعاني في صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزة)) فإذن المنطقة منطقة واسعة وليست قرية أو بلدة كما توهمها الصليبي، وفي سفر التكوين ٢٠/١/ ((وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار...فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة))، فالمنطقة إذن مملكة وهذا يؤكد المقطع السابق تخوم الكنعاني وأبيمالك كنعاني حسبما فهمنا من النص، ولن أناقش قضية سارة وصدقها وكذبها فليس هذا وقتها وأخطأ الصليبي حينما رافقها بكلمة الجنوب هنجب لأن السفر أشار إلى أن إبراهيم سكن في الجنوب بين قادش وشور إلى جرار، فسواء كانت النقب أو الجنوب ليفسرها الصليبي كما يريد لكن جرار لم يشر إليها أنها في الجنوب.

وجاءت كلمة جرار في سفر التكوين ((وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم فذهب إسحاق إلى ابيمالك ملك فلسطين إلى جرار))٢٦/١/، وسهل جرار هذا أو مملكة جرار هذه أقرها التوراة وأقرت ملكها لكنها أخطأت في نسبة الملك إلى الفلسطينين إذ أنه كنعاني كما بدا لنا من قسمة الأرض في التكوين ٢٠/١/ وارتبطت جرار بأبيمالك في السفر نفسه في الخلاف مع إسحاق حول الآبار التي حفرها عسق وسطنة ورحبوت وشبعة.

ويرى الصليبي أنه لم يرتبط جرار بغزة وهو في هذا يغالط تمام المغالطة إذ أن غزة على ساحل البحر و لم يسكن إسحاق حسب قول

التوراة على طرف البحر بل عاش في الداخل ولهذا لا موجب لذكر غـزة في هذا المقام.

الذكر الرابع لجرار في العهد القديم أخبار الأيام الثـاني ١٤/٩-١٤/ وفي هذا الإصحاح ذكر لمعركة جرت بين زارح الكوشي وآسـا وقد مرَّ زمن على إبراهيم وإسحاق حتى وصل آسا ما يقارب من ألـف سنة وأكثر.

وفهم الصليبي أن زارح الكوشي أنه حبشي وسهل جرار إنما هو سهل حبشي ولهذا أخطأ الهدف.

ونحن نعلم أن بعض الأثيوبيين قد ملكوا مصر وأسسوا سـلالة حاكمة وكانت بعض الأسر الفرعونية من سلالة كوش أو الحبشة.

أما سهل جرار في الحالات الأربعة هو ما نسميه الآن سهل بـن عامر والواقع ما بين صيدا اللبنانية حسب التقسيم السياسي حتى غزة بما فيه من حيفا ويافا وعكة وعسقلان.

ويقول الصليبي في هذا ((ولا بد من الإقرار بأن أسماء صيـدن وعزة وأرض هنجب في التوراة هي نفسها أسماء صيدون (صيدا) وغـزة وأرض النقب في لبنان وفلسطين حالياً))[1].

ولكنه عاد من جديد ليقف مع الباحث اليهودي الأدبي كريلنـغ من دليله المعتمد للجغرافية التوراتية صفحة ٨٠ لينقل نصه وإليك النص:

---

(١). المرجع السابق ص ٨٧.

((ومازال الموقع الصحيح للمكان الذي كانت جرار تقوم فيه غير أكيد وهو يعتمد على كيفية تحديد مواقع البلدات الأخرى في المنطقة عموماً...

وفي أخر الحكم الروماني كانت هناك منطقة جرار يتيكي ومن الواضح أنها سميت كذلك لأنها تكونت من أراضي جرار القديمة وكلنت بئر السبع من ضمنها في تلك الأيام وتل جمة وهي هضبة أثرية هامة جنوب غزة عرفت بكونها جرار من قبل فليندرز بتري الذي نقب عنها ١٩٢٧.

بعض الباحثين أظهر شكاً في هذا...وفضل تل الشريعة شمال غرب بئر السبع، وعلى العموم واستناداً إلى تقرير صادر في العلم ١٩٦١ فقد وجد علماء الآثار الإسرائيليون أن هضبة غير بعيدة تقع على الطريق الممتد من بئر السبع إلى غزة هي تل أبو هريرة وتحوي على بقايا تعود إلى ما قبل عهد الهكسوس هي أكثر أهمية من تينك الهضبتين وتستحق المقارنة مع جرار))(١).

والخطأ الذي وقع فيه الصليبي والجماعات الأخرى توهموا أن جرار بلدة وإنما هي مملكة تقع في المنطقة المشار إليها أما عاصمتها فلا ندري على الإطلاق ما هي أما تل الشريعة وأبو هريرة وتل جمة فإنها أجزاء من جرار، ويرى الصليبي:

---

(١). المرجع السابق ص ٨٩.

١.أن موقع جرار التوراتية لم يحدد بعد بصورة مرضية أو بصورة نهائية.

٢.يفترض علماء التوراة أن موقع جرار جنوب فلسطين لأن سفر التكوين ١٠ يذكر المكان مترافقاً مع غزة.

٣.إن سيطرة الكوشيين على جرار حسب قول أخبار الأيام لا يمكن تفسيرها بسهولة فما الذي اتى بأهل الحبشة[١].

وبعد هذا يجعل الكوشيين ذريعة لنقل جرار من فلسطين إلى القرارة في خميس مشيط ناسياً أو متناسياً أن الرومان سموا منطقة سهل بن عامر بمنطقة جرار يتيكي أي مقاطعة جرار.

٢.قادش البلدة التي لم تستطع التوراة تحديدها

أخطأ كتبة التوراة في قادش كثيراً فوضعوا في فترة التيه مرورهم على مكانين كل مكان يدعى قادش وقال الكتبة إنهما في صحراء سيناء ولنرجع إلى التوراة لنأخذ مكان قادش وقادش برينع، ذكرت قادش في التوراة في الأماكن التالية:

١.تكوين ٢٠/١/ وانتقل إبراهيم من هناك إلى ارض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار فهي إذن جنوب فلسطين وشور هي القسم الذي يقابل مصر من صحراء سيناء حسب التعريف التوراتي.

---

(١). المرجع السابق ص ٩٣.

٢.العدد ٢٠/١-٢/ وأتى بنو إسرائيل الجماعة كلها إلى برية صين في الشهر الأول وأقام الشعب في قادش وهناك ماتت مريم ودفنت هناك ولم يكن ماء للجماعة فاجتموا على موسى وهارون وخاصم الشعب موسى وكلموه..))
وقاذش هنا قبل ظهور مسة ومريبة وهي على بداية الطريق فهي في برية صين.

٣.وأرسل موسى رسلا من قادش إلى ملك أدوم هكذا يقول أخوك إسرائيل قد عرفت كل المشقة التي أصابتنا...ونحن في قادش مدينة في طرف تخومك عدد٢٠/١٤-١٥/
وقادش هنا على تخوم أرض أدوم وليست من فلسطين بينما هي في الحالة الأولى كانت من أرض فلسطين في الجنوب وبعد رحيلهم عن قادش ودورانهم حول أرض أدوم توفي هارون في جبل هور.

٤.ثم ارتحلوا من عصيون جابر ونزلوا برية صين وهي قادش ثم ارتحلوا من قادش ونزلوا في جبل هور في طرف أرض أدوم عدد٣٣/٣٦-٣٧/ وقادش هنا صارت بعد عصيون جابر للقادم من مصر فقد تغير مكان قادش من سفر إلى سفر ومن إصحاح إلى إصحاح.

٥.أما في سفر التثنية فقد تغير اسمها إلى قادش برنيغ (وجئنا إلى قادش برنيغ)تثنية١/١٩/ وهي تقع بعد حوريب للقادم من مصر.

وبعد ذلك ضرب عليهم المتاهة في سفر التثنية حينما جبنوا عن دخول المدينة حتى يقول: وقعدتم في قادش أياما كثيرة كالأيام التي قعدتم فيها تثنية١/٤٦/، فهل قادش هذه غير قادش برنيغ وقادش هذه تقع حسب القول بعد أن كسرهم الأموريون وبعدما جبنوا عن اللقاء.

والآن أتساءل كيف وقعت قادش أمام جبل حوريب للقادم من مصر وكيف وقعت قادش جنوب فلسطين وجبل حوريب تابع لمديان حسب نص التوراة وعنده رأى موسى الله وكلمه.

وعرف الصليبي جبل حوريب بأنه جبل هادي وجبل هادي شمال المصرمة فإذا كانت الرحلة من المصرمة إلى جبل عسير وتهامة كما أسماها فإنه لن يمر على جبل حوريب في قدومه على تلك الأرض وبهذا يكون الصليبي قد سقط في متاهة قادش كما سقط جماعة التوراة وهو الذي يزعم أنه بصير خبير.

والقادم من المصرمة حسب رأي الصليبي لن يعبر في التيه ولا هو اعترف به ولن يمر على جبل حوريب وما سماه كدس بالقرب من المصرمة لن يكون بجوار بني أدوم ولا بالقرب من جبل الرب جبل حوريب ولا من مدين ويبقى الصليبي يتخبط في متاهات التوراة التي لم يعرف كاتبوها أين يضعون أقدامهم؟

٣.صيدن (صيدا)

وردت صيدون في التوراة في المناطق الآتية:

أ. مرت معنا في تحديد أرض كنعان وهي بهذا تقع في الشمال بينما غزة تقع في الجنوب وحينما اطلعت على الخريطة التي وضعها الصليبي لأرض كنعان لاحظت أنه وضع آل عزة في الشمال وبهذا تكون آل زيدان كما أوردها خارج أرض كنعان وبعيدة عنه إذ جعل أرض كنعان تبدأ بآل عزة وتنتهي في جرار مع احتمالات جرار قراءة في مواقع عديدة وبهذا يكون قد كذب التوراة في موقع أرض كنعان.

ب. وقد وردت بعد ذلك في سفر الملوك لأن ملك صيدا ساعد سليمان في بنائه الهيكل وإذا ما كانت أرض كنعان والتي احتلها بنو إسرائيل ويهودا في جبال عسير فهم ليسوا بحاجة إلى الأرز من صيدا وصيدا (زيدان) بعيدة كل البعد عن جبال التي أسماها الصليبي لبنان وعن عرعرها وسردها، ولهذا فقد أخطأ المرمى في صيدا كما أخطأ المرمى في جبال لبنان أو إن التوراة هي التي أخطأت المرمى وقد تصرف كتبتها بما لم يعرفوا.

٤.عين سلوان

عين تقع بالقرب من القدس وقد كشفت كتابة فيها ونقش منذ أيام الكنعانيين حاول الباحثون التوراتيون أن يعيدوا حفر النفق إلى الملك

حزقيا لكني رددته في كتابي تحريف اللغة ويرده كمال الصليبي أيضا لعدم ذكر أي ملك من الملوك في هذه النقش وإنما يذكر أن العمـــال كـــانوا ينقبون من الطرفين حتى وصلوا وأتموا.

الفصل الثامن

تاريخ التوراة

١. تصديق ومناقشة جغرافية.

٢. لم يركز على اليهود في منطقة معينة.

٣. عدم التمييز بين اليهودية وديانة موسى.

٤. معارك الآشوريين.

٥. عودة اليهود إلى شمال الجزيرة العربية.

٦. قيام دولة معين في ٤٠٠ق.م.

٧. نص ميشع ملك موآب.

٨. لفائف البحر الميت.

٩. جرزيم وعيبال.

١. تصديق تاريخ ومناقشة جغرافية

لقد بدأ الصليبي نظريته في كتابه من التسليم بالتـــاريخ وقـــام بتصديقه واعتبره صحيحاً بينما ناقش صدق الجغرافيـــة ، فقـــد كـــان الباحثون التوراتيون يناقشون تاريخه، عدد من الروايات التوراتية بقيـــت عرضة للنقاش الحاد أما جغرافية هذه الروايات استمرت معتـــبرة مـــن المسلمات، ويقول الصليبي والحقيقة الساطعة هي أن الأرض الشـــمالية للشرق الأدنى قد مسحت وحفرت من قبل أجيال متوالية مـــن علمـــاء الآثاء من أقصاها إلى أقصاها وأن بقايا العديد من الحضارات المنسية قـــد نبشت من تحت الأرض ودرست وأرخت في حين أنه لم يعثر علـــى أي مكان كان على أثر واحد يمكنه أن يصنف جدياً على أنه يتعلق مباشـــرة إلى أي حد بالتاريخ التوراتي))[١].

هذه الرؤية التي انطلق بها إنما هي رؤية رجل يعز عليه ألا يـــرى مصداقيته في التوراة فهو حينما رأى أن التاريخ كذب هذا الوجود وهذه الروايات راح يطلب إثباتها عن طريق تغيير الأرضية في النقاش ولو كـــان باحثاً حراً موضوعياً لكذب الجغرافية والتاريخ ولانطلق باحثاً جديـــاً لا متحايلاً من جهة كاسراً عنق الكلمة قافزاً ببهلوانية ضمن الحقل اللغـــوي الذي لا يسمح له بالقفز فيه لأحد.

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٥٠.

في المجال اللغوي رأينا أنه قال يقدم العربية أكثر من العبرية فلماذا يلجأ إلى إرجاع الكلمة الجغرافية لغوياً إلى العبرية بدلاً من إثباتها في أصلها العربي ولماذا لا نقول إن فرعة آل شهداء أبناء الشهداء نحاول جرها وقلبها وتغييرها التغيير الذي يغير المعنى والحقيقة فتصبح كومة الشاهد أو إيل الشاهد الإله الشاهد.

وقد سار الصليبي في كتابه كله من هذه الفكرة معتقداً أن العبرية الكنعانية هي الأصل والعربية هي الفرع بينما قال في مقطع آخر إن العربية هي الأقدم.

والغريب في الأمر أنَّ الصليبي عرف من التاريخ أنه ليس فيه على ما يبدو أي تصديق لتاريخ بني إسرائيل فليست هناك في الآثار لا في فلسطين ولا في غيرها ولا في نصوص الآشوريين أو الفراعنة أو الكنعانيين ما يدل على هذا الوجود وإن حاول العلماء التوراتيون الكذب على الحقيقة والتلاعب بالألفاظ فقالوا الخابيرو أو العابيرو هم العبريون، و لم يجد الصليبي عن طريق المستشرقين، حاول أن يثبت ما لا يمكن إثباته وإن لبس لباس أهل العلم وتجلَّب بجلبابهم لكنه لم يستطيع أن يخرج من جلده ولهذا ما إن بدأ الخطوات بشكل علمي حتى انقلب بعد ذلك إلى رجل متشبث بآرائه وبدأ بالمدح يكيله جزافاً لجماعة اليهود ومن تبعهم وقد مرَّ هذا المديح في صفحات سابقة ولهذا لسنا بحاجة إليه من جديد.

لقد صرح مراراً في كتابه أن دراسته هذه ستقلب الأمور رأساً على عقب وبدلاً من أخذ جغرافية التوراة العبرية كمسلمة ومناقشة صحتها كتاريخ سآخذ تاريخها مسلمة وأناقش جغرافيتها[1].

وحبذا لو كان العالم المحايد الذي لا يسلم في شيء إلا بعد تثبته من هذا الشيء.

٢. لم يركز على اليهود في منطقة معينة

لأن المجال الفكري لم يكن واضحا لديه فهناك خلط لم يستطع التخلص منه فهو مرة يقول إن اليهود وجدوا في غرب الجزيرة العربية ومرة أخرى يقول إن اليهود في فلسطين وبلاد الشام.

فهو مرة يريد أن يثبت فرضية ومرة أخرى تجبره التوراة والإيمان بها إلى الارتداد أو النكوص فهو مضطرب تمام الاضطراب في هذه الناحية فهو يقول: ((وأكثر من ذلك فإني لم أستطع العثور على مثل هذا التجمع لأسماء الأمكنة التوراتية وفي صيغتها الأصلية عادة، في أي جزء آخر من الشرق الأدنى وهنا قدم الاستنتاج المذهل نفسه بنفسه فاليهودية لم تولد في فلسطين بل في غرب الجزيرة ومسار تاريخ بني إسرائيل كما روى كان هناك في غرب شبه الجزيرة العربية وليس في أي مكان آخر هذا لا يعني أن اليهود لم يكن لهم أي وجود في فلسطين أو في غيرها من البلدان خارج غرب شبه الجزيرة العربية في أيام التوراة))[2].

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٥٣.

(٢).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٢٧-٢٨.

والسؤال الذي يطرح من أين أتى الوجود اليهودي خارج الجزيرة العربية ومن كان رسوله؟ وما كانت سيرته؟

هل هناك رسول غير موسى وإلى أية ديانة دعا وكيف صار وقع الحافر على الحافر حتى نشأت هنا يهودية وهناك يهودية وما الخلاف بين اليهودية في غرب الجزيرة العربية واليهودية في فلسطين، فإذا كانت التوراة تزعم أن موسى هو مكتشف يهوه لما سماه باليهودية في شبه الجزيرة فمن مكتشف يهوه ليهود فلسطين؟

تبقى هناك ثغرة لا يمكن للصليبي أن ينجو من التعثر فيها والسقوط من جراء اضطرابه الفكري في هذه الناحية وبعد أن تسيره الفكرة في إثبات وجود اليهود في غرب الجزيرة يرى نفسه مضطرا للاعتراف بوجود تجمع يهودي في فلسطين ((ويبدو أن وجودا يهوديا قويا كان قد قام خلال هذه المرحلة في فلسطين فلما ساءت أحوال الإسرائيليين في شبه الجزيرة العربية صار اليهود يتوسمون الخير والأمل في أرض الاستيطان اليهودي الجديد في فلسطين أي في بيت صهيون))[1].

حتى إذا يئس من وضعه هذا أعلن احتمالا والعلم لا يقبل الاحتمال والشك دائما عكس اليقين فقال: ((ويحتمل أن يكون معظم الإسرائيليين العائدين في المرحلة الأخمينية إلى شبه الجزيرة العربية قد عادوا

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٤٠.

أدراجهم ثانية إلى بلاد فارس والعـــــراق أو هـــم تفرقـــوا في أمـــاكن أخرى))[1].

وهنا يتبادر لذهني السؤال التالي:

لقد وعد موسى بني إسرائيل وقت الخروج أن ينقلـهم إلى أرض تفيض لبنا وعسلا وكانوا آنذاك في القفر فهل الانتقال ما بين المصرمة في جبال عسير إلى السراة ويهودا (الوهاد) يحقق لهم هذا الوعد وهل هـــذه الأرض تفيض لبنا وعسلا؟

والسؤال الذي يطرح بعد ذلك قالت التوراة إن مـــدة التيـــه أربعون سنة فهل يمكن أن يسيروا من المصرمة إلى أرض كنعـــان وهـــي مسافة لا تتعدى مئتي كيلو مترا وأن يبقوا أربعين سنة؟

إما أن تكون التوراة كاذبة أو أن المسافة ليست بين المصرمـــة وأرض كنعان كما تصورها الكاتب.

وهو يعترف في النهاية أن اليهودية اختفت في غرب الجزيـــرة العربية وفي هذا يقول: ((ومن ذلك الوقت فصاعدا وحتى تدمير الرومـان لأورشليم الفلسطينية في العام ٧٠ للميلاد نرى التيار الرئيســـي للتيـــار

---

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٤٣.

اليهودي حول فلسطين وقبل أن يمر وقت طويل كانت أصول اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية قد دخلت غياهب النسيان(١).

أوليس هذا الكلام عجيبا أمام الفكر الصهيوني؟

لقد هدم الهيكل وطردوا من فلسطين شر طردة في عام ٧٠م وظلوا ينظرون إلى فلسطين أنها أرض الميعاد وجاءوا إليها تحت ظلال الغرب بعد ألف وتسعمائة سنة فهل ينسون تاريخهم بهذه السهولة في عدد من عقود السنين؟

لا أبدا هذا مستحيل وما محاولة الصليبي هذه إلا ضرب من الخيال.

٣. عدم التمييز بين اليهودية وبين ديانة موسى

هذه الفكرة خلط فيها كثيرون من العلماء ولهذا لا ألومه في هذا لكني أحببت أن أثير الانتباه إليها فهو لم يميز بين اليهودية كدين وبين بني إسرائيل كجنسية إلا في مكان واحد من كتابه(٢)، وقد قال في هذه النقطة وهكذا عاش اليهود كأناس بدين ولكن انتهى بنو إسرائيل، وفي هذا يعتبر بني إسرائيل من الشعوب البائدة والتي لم يجد من آثارهم غير الدين اليهودي وإنني لأتساءل متى ظهرت اليهودية؟

---

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٤٣.

(٢).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٤٣.

لقد طرحت هذا السؤال في كتابي جذور اليهود أمام النقد التاريخي وأجبت في كتابي تحريف وتزوير الدين، وفي الكتابين رأيت أن اليهودية لم تبدأ إلا في عهد عزرا وعلى يديه وقبل ذلك الوقت لم يظهر أي اسم لليهودية أما بنو إسرائيل فقد مر ذكرهم في التوراة كثيرا دون أن نرى ما يسمى باليهودية.

إن قراءة سفر عزر يشعرنا بأن اليهودية كانت حديثا معروفة فهو الذي أمر بطلاق اليهود لزوجاهم الأجنبيات الأمميات، أما قبل هذا السفر فلم يذكر إطلاقا وعلى العكس فقد تزوج زعماء بني إسرائيل من بنات الأمم نذكر منهم:

موسى تزوج مدينية وكوشية.

يشوع تزوج راحاب الزانية الكنعانية.

بوعز تزوج راعوت المؤابية.

داود تزوج بتشيع زوجة أوريا الحثي.

سليمان تزوج أجنبيات وأملن قلبه.

هؤلاء أمثلة من كثير ولم يقل لهم أي نبي من أنبيائهم طلقوهن لأهن لسن يهوديات وأنتم يهود.

وهناك الكثير من بني إسرائيل قد تزوج من غير بني إسرائيل، أما تسمية اليهود فقد حصرت في فترة عزرا ونسبهم إلى جد تزعم التوراة أنه من أبناء إسرائيل واسمه يهوذا وذلك بعد الأسر بما يقارب من مئتي سنة ٣٩٢ق,م.

ويؤكد ذلك قوله في صفحة٤٣ أما اليهودية كدين فقد استمرت في مناطق متعددة خارج شبه الجزيرة العربية ومنها العراق وفلسطين زمصر.

أما الحشمونيون فقد اعتبرهم الورثة الشرعيين لبني إسرائيل القديمين وقد ساروا ضد الدولة الرومانية وسقطت دولتهم في عام ٦٧ق.م على يد بومبي وانتهى حكمهم حتى ثار باركوخبا وانتهت ثورته بنهاية اليهودية في فلسطين أيضا عام ٧٠للميلاد.

قلت إن الصليبي لم يميز بين بني إسرائيل في ديانتهم مع موسى وبني إسرائيل في ديانتهم مع عزرا واعتبر الصليبي موسى مؤسس الديانة اليهودية ولهذا قال إن الموطن التاريخي للشعب الإسرائيلي المنقرض ومكان ولادة اليهودية كدين كان غرب شبه الجزيرة العربية وليس في فلسطين[1].

وبهذا عمي عليه كما عمي على غيره فلم يميز بين بني إسرائيل وهم تابعون لموسى على ديانة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وبين بني إسرائيل وهم على ديانة عزرا الديانة اليهودية التي لا تمت إلى ديانة موسى بصلة سوى بعض الذكريات والادعاء بالانتساب إليها.

وها قد مضى على موسى ما يزيد عن ثمانمائة سنة ونيف لتنشأ هذه الديانة العرقية العنصرية الوثنية المشركة التي لم تؤمن بالله ربا ولا بالعدل مذهبا ولا آمنت بأن الرب رب العالمين بل صاغت إلها على

---

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٥٥.

شاكلتها عنصريا عرقيا متميزا بكراهيته للبشر محبا لتدميرهم لا يرضى إلا بالدم واللحوم البشرية المحترقة.

٤. معارك آشور وبابل

تقول المسلة التي تركها سنحارب إنه قد دمر إسرائيل وقد حبس حاكم أورشليم في قصره كما يحبس عصفور في قفصه وقد سلب من ملكه أربعاً وأربعين مدينة وقد ضيق عليه الخناق وفرض عليهم الحصار ونصب آلات المنجنيق حول أسوار أورشليم.

وذكر في حملته هذه موقف مصر وغزة وعقدون مما ينسف الشك في أن هذه الحملة لم تكن إلا على فلسطين حتماً لكن الصليبي آثر أن تكون هذه الغزوات على شبه الجزيرة العربية دون أن يكون له ما يدعمه من أثر أو وثيقة ما.

ووقع في خطأ وكان بالأحرى من مثله ألا يقع في ذلك حينما قال إن سرجون ساق آسري السامرة إلى بلاد فارس فهل كان الآشوريون فرساً ولم تكن الدولة الفارسية قد ظهرت بعد؟ وكان ذلك سنة ٧٢١ق.م ثم في عام ٥٨٦ق.م قاد بختنصر معركته الظافرة ضد دولة يهوذا التي هي بدورها في غرب الجزيرة واقتاد رعاياها حيث وضعوا في الأسر.

وقد أراد أن يؤيد رأيه بمراوغة تاريخية لم يرد منها إلا أن يوهم من لم يقرأ التاريخ أنه لا يتكلم إلا الحق.

((وكان البابليون يسعون إلى المحافظة على السيطرة على غرب شبه الجزيرة العربية وإلى استباق أية عودة مصرية إلى المنطقة ومنعها إلى درجة أن نبونابيد الذي خلف نبوخذ نصر في ملك بابل نقل عاصمته من

بابل نفسها إلى تيماء في شمال الحجاز وقضى معظم أيام ملكه هناك كما هو معروف))[1].

هذا الكلام لا يمثل إلا نصف الحقيقة فقد حاول نبونابيد نقل عاصمته من بابل إلى التيماء العربية لأنه أحس بالتآمر حوله قد استفحل فأراد الابتعاد من منطقة الخطر لكنه لم يستطع وفي الليلة التي قتل فيها فتحت أبواب بابل دون قتال ليدخلها كورش ويُسقط الدولة البابلية وذلك بتآمر بني إسرائيل مع أبناء الملك المخلوع الذي خلعه نبونابيد وتمت مباركة كورش الفارسية.

إن التاريخ أعاد نفسه مع المتوكل على الله حينما أراد نقل عاصمته من بغداد إلى دمشق ليتخلص من جو التآمر عليه ولكنه لم يفلح فقتله المتآمرون عليه ونصبوا ابنه المنتصر بديلاً عنه وهكذا فقدنا في تاريخنا ملكين قويين حاولا التخلص من المتآمرين الذين كانوا حولهم من الغرباء (بني إسرائيل، الأتراك) وحاولا اللجوء إلى العرب لكنهما لم يُفلحا في ذلك.

وهكذا أراد الصليبي أن يوهم الناس أن نبونابيد حاول أن ينقل عاصمته إلى تيماء ليقوي قبضته على الجزيرة، وفي الواقع أراد أن يقوي قبضته بالجزيرة العربية وبأبناء عمومته ضد الأغراب الذين بدأوا يتآمرون عليه مع الفرس ولكنه صرع دون أن يستطيع تحقيق أمنيته.

---

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٣٩.

٥. عودة الأسرى إلى غرب الجزيرة

هذا ما قرره الصليبي لكني لم أجد من يعضده في هذا الرأي حتى ولا مستشرق و لم يستطع أن يعضد رأيه حتى ولو بوثيقة تاريخية تثبت ذلك فقد قال الصليبي: ((إن يهود غرب شبه الجزيرة العربية استمروا في عيشهم كيهود من الناحية الدينية فقط، وليس كإسرائيليين من الناحية الأثنية والسياسية، وعلى كل حال فإن هؤلاء اليهود أنفسهم ما عادوا يتكلمون العبرية التي كتبت بها كتبهم المقدسة وقبل مضي وقت طويل كانت لغتهم قد أصبحت العربية))[1].

ولي على هذا النص بعض النقاط وأهمها هو:

١. كيف استمر يهود غرب شبه الجزيرة العربية في عيشهم كيهود من الناحية الدينية وليس كإسرائيليين من الناحية الأتينية؟ هل الأصول تخلع مثلما يخلع اللباس وتبدل كما يبدل الحذاء؟ لا ياسيد صليبي فهمك خاطئ لهذا الموضوع وأنت مدرس التاريخ في جامعة من جامعات لبنان، ولو لم تكن مدرساً في التاريخ لعذرناك وقلنا جاهل بأحوال المجتمع وكأنك لم تقرأ كلمة خالد أبي الدم إلا أنت ينتصر.

٢. لماذا في فترة بسيطة ابتلعت اللغة العربية هذه المنطقة ونسي اليهود لغتهم بهذه السرعة والزمن أقل من خمسين سنة؟ والجواب لأن الناس لم يكونوا في هذه المنطقة التي أشار إليها الصليبي ولأن اللغة

---

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٤٦.

العربية هي اللغة المسيطرة على الجزيرة وليس هناك مكان ما يتسع للغة ثانية في هذه البلاد.

٣. ما الذي منع اليهود الذين اعترف الصليبي بوجودهم من التعاون مع أبناء جلدهم لإنقاذ دولتهم المنهارة؟

وقد رأينا في أسفار اليهود اليونانية سفر يهوديت وهي تضحي لتقتل قائد جيش عراقي قادم وترده على أعقابه.

ورأينا استير وهي تقبل أن تكون مخطئة لتحمي أبناء جلدها من انتقام أعدائها.

فهل كانت نساء بني إسرائيل أشد غيرة على الدولة اليهودية كما قال الصليبي من رجال بني إسرائيل؟

لا لم يكن هذا لأنه لم يكن تجمعات يهودية أخرى و لم يكن بنو إسرائيل إلا في منطقة واحدة.

ولو سألني أحدهم وأين مكان هذه الدولة أقول كما قال الشاعر:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

فإلى أن تبدو الحقيقة وتكشف نظل قانعين بالسكوت خوفاً من الخطأ والخلط ورحم الله امرءاً عرف حده ووقف عنده.

٦. قيام دولة معين في ٤٠٠ق.م

من الأخطاء القاتلة التي وقع فيها وهو مدرس التاريخ هو قيام دولة معين، فقد قامت دولة سبأ سنة ٥٨٠ق.م وقامت هذه الدولة على أنقاض دولة معين.

ونسي الصليبي أو تناسى قصة ملكة سبأ مع سليمان وكان حكمه ٩٥٠ق.م تقريباً فكيف وقع في خطأ تاريخي حينما قال: ((ففي غرب شبه الجزيرة العربية أدى الضعف التدريجي الذي أصاب الدولة الأخمينية والذي كان ظاهراً منذ سنة ٤٠٠ق.م إلى نشوء كيانات سياسية جديدة وخصوصاً من بينها ما يسمى دولة معين))(١).

أليس الصليبي القائل بأن تاريخ التوراة مسلم به أوليس حادثة ملكة سبأ مع سليمان من تاريخ التوراة وهو مسلم بصدقه فكيف سقط هذه السقطة المريعة؟

إن هذا الكلام غير المنطقي والذي لا يحمل من الحقيقة شيئاً لم يكتبه الصليبي عن جهل وكيف نتهمه وهو دكتور في التاريخ ومدرس في جامعة عالمية هي الجامعة الأمريكية ألمثل هذا يقال جاهل؟

أبداً والله ما هو بجاهل ولكنه متجاهل يدفعه إلى التجاهل خلفية مسبقة وآراء يحاول أن يبرهن على صحتها بأي طريقة كانت حتى ولو حاول الدوران والتجاهل والتناسي.

---

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٤٧.

٧. نص ميشع ملك موآب

في هذا النقش الموآبي يتحدث ميشع ملك موآب عن حروبه مع عمري ملك يشرال وأبنه من بعده دون أن يذكر النقش اسم الابن وبسبب الغزوات المتتالية التي تعرضت لها أرض موآب في هذه الحروب انتقل من عاصمته فبنى مدينة جديدة هي مدينة قرحة ويفتخر في النص بأنه مدينة قرحة ويعلن انتصاره على يشرال وسحب هيكل داود هذا هو النص ملخصاً لترجمة النص وقد قال إسرائيل ولفنستون إن هذا النقش قد كتب في لغة عبرية وفندت هذا الرأي في كتابي التوراة تحريف وتزوير القسم الرابع اللغة، فاللغة كنعانية وفيها حروف لا تستعملها العبرية على الإطلاق ورددت أن تكون اللغة لهذا الحجر لغة عبرية.

هذا النقش تناوله الصليبي بوجهة نظر خاصة منطلقاً من خلفية تحركه ليقول: ((وليس هناك في الحجر الموآبي ما يشير إلى أن موآب كان اسماً قديماً لمرتفعات الكرنك شرق البحر الميت أي لما سماه العرب بلاد الشراة أو إلى أن مملكة إسرائيل كانت تقع في فلسطين، وإذا نحن أعدنا قراءة النص الأصلي وليس من خلال الترجمات التي أجريت حتى الآن (مثل ترجمة وف ألبرايت إلى الإنكليزية) يصبح أن الحرب التي جرت بين إسرائيل ومؤاب والتي يتحدث عنها النقش إنما جرت في الحجاز وليست في شرق الأردن وأن مملكتي إسرائيل ومؤاب بالتالي كانتا متجاورتين في غرب شبه الجزيرة العربية وليس في جنوب الشام))[1].

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ١١٢.

ويسوق بعض الأدلة ليثبت ذلك:

١.يحاول أن يترجم مؤاب إلى أم الياب ويترجم يمن ربن بجنوب ربن مع العلم أنه قال يمن جمع يوم في الترجمة وربن كثير جمـــع ودلالـــة الجمع النون هذا ما قالته الترجمة علماً أنه قال يمن بمنى جنـــوب في هـــذا النص بينما في نصوص الكتاب المقدس قال عن يم بأنه غرب وجمع غـوب غروب وليس جنوب وبهذا يصبح المكان الذي قاله بعيد جداً عن المكـــان الذي يريده، ثم إن جمع اليوم يومن هو جمع آرامي سرياني وهـــو عـــربي أصيل لما يعقل بالإضافة إلى ما يلحق بجمع المذكر السالم.

٢.لا يصف ميشع نفسه بأنه ملك موآب فحسب بل إنه ملـــك موآب وديبان ويعلل إن ديبن في الطائف وهي غير بعيدة عن أم الياب أمـا المترجمون فقد افترضوا أنها ذبيان والنص الذي بين أيدينا ديبون وليســـت ديبن وذبيان التي أشارت الترجمة إليها هي شامية ولا أرى هذا فذبيان قـد تغيرت من ذلك الوقت حتى الآن وقد فنيت أمم وخربت مـــــدن، ثم إن ملك قريتين كما قال الصليبي لا يمكن أن يقف أمام إســـرائيل ويهزمـــها وهي صاحبة العدد العديد وصاحبة الأسباط العشرة فليســـت أم اليـــاب وهي محاولة لكسر عنق كلمة مؤاب إلا قرية صغيرة وكذلك ديبن الـــتي افترضها ومساحتهما لا تتعدى عدة كيلو مترات فقط فكيف حقق هـــذا النصر؟

ولنفرض أن قوله صحيح وقد هرب ميشع من وجه إســـرائيل وـــى وبنى قرحة في الأردن فكيف استطاع أن يحقق نصره المكتـــوب في الحجر بعيداً عن إسرائيل.

إن هذا الكلام قمة المغالطة هدانا الله وهداك

٣.هناك في النقش جملة قرئت ويرص عمري كأرض مـــهدبا، يقول الصليبي أخذت هذه الجملة على أن ميشع احتل بلدة مأدبا في شرق الأردن ولو كانت مأدبا (مدبأ) هي المعينة حقاً لما كتبت مهدبا نظـراً لأن الهاء الذي يتوسط الكلمة لا يسقط عادة من اللفظ في اللغات السامية وما تقوله الجملة فعلاً هو وعمري احتل كل الأرض من هدبا أي جميـع أرض مؤاب ابتداءً من أرض هدبا، وهدبا هذه هي اليوم قرية الهدبة شمـــال أم الياب في مرتفعات الطائف المشرفة على وادي أضم[1].

وهذه الترجمة التي قدمها أيضاً خاطئة لأن من هدبة كما أراد أن يقول فلنا فيها رأيان:

- أما أن تكون من تفيد ابتداء الغاية فأين نهاية أرض مؤاب وإذا كانت هدبة شمال أم الياب وهي بدورها موآب فإن من هنـــا لم تفد الابتداء وأفادت النهاية في الترجمة وهذا خطأ.
- إذا كانت من تفيد التبعيض فإن هدبة ستكون هي قـــاعدة الملك والمملكة باسم هدبة ومؤاب جزء منها وهذا ما لم يقلـــه أحد حتى الصليبي.

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ١١٣.

ولي ملاحظة أخرى على النص فقد قال إن الهاء الذي يتوسط الكلمة لا يسقط عادة في اللفظ في اللغات السامية، فكيف أسقط اللام في جلعاد وغيرها وتركها جعد وجعل اللام أل التعريف والذي ترجمه بالإله؟

إن هذا إلا تمحل لإخراج الحقيقة وإبدالها بالباطل وهذا ما فعله الصليبي في عمله.

٤.في أجزاء من النقش ترد لفظة قر باعتبارها كلمة تعني قرية ولفظه كموس على أنها كموش إله موآب، وفي أجزاء أخرى تظهر كل من قر وكمي بشكل مميز على أنها اسمان لبلدتين أو قريتين متجاورتين في أراضي موآب وقريتا القر وقماشة مازالتا هناك إلى اليوم في الجزء نفسه من مرتفعات الطائف حيث تقع الهدبة[1].

لي على هذا النص التعليق التالي:

لقد ترجم كركميش حيث التقى فرعون وملك آشور بقر قماشة ثم ترجمها الآن بأنها من أراض مؤاب فهل هاتان البلدتان مؤابيتان؟

وإذا كانتا كذلك فإن النص لم يذكرهما أنهما من ارض مؤاب ولا تحدث النص بين الملكين العظيمين عن مؤاب وملكها فهل كانت هذه الدولة زائلة علماً أن نص شلمناصر نص على وجود عمري وميشع في زمن عمري وابنه، فلماذا لم يذكر النص ملك مؤاب في صراع الملكين.

---

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ١١٣.

هذه الأدلة التي أوردها ليدلل على أن موآب في الحجاز وليست في شرق الأدرن والآن أوجه سؤالاً إلى الصليبي ما الذي نقل هذا الحجر من موآب الحجازية إذا كانت كذلك إلى شرق الأردن؟

٨. لفائف البحر الميت

كشفت هذه اللفائف حديثاً في مغارة في دواي قمران كشفها أحد الرعاة وقد أثارت ضجة كبيرة حيث إنها لفائف توراتية وهي تختلف في نقاط كثيرة عن التوراة العبرية والسبعونية والسامرية، وهذا ما أثار الجدل بين علماء التوراة وهذه اللفائف لا تشمل التوراة بكل أسفارها وقد مرَّ معنا في السابق شرح عن هذه اللفائف ولا حاجة بنا للعودة إليها من جديد.

وهذه اللفائف يعود عهدها إلى سنة ٢٥٠ ق.م أي بعد كتابة التوراة العبرية بما يقارب ١٥٠سنة تقريباً.

وهذه اللفائف تذكر أمكنة تقع في بلاد الشام بنص صريح لا غموض فيه ولما كانت هذه اللفائف حجة دافعة على الصليبي فقد مرَّ عليها مرور الكرام دون أن يناقشها نهائياً.

((وكذلك فإنه واضح من إحدى وثائق البحر الميت اللفيفة التي تحتوي على معالجة آرامية لنص توراتي (سفر التكوين) حيث تعرف عدداً من أسماء الأمكنة التوراتية بأمكنة معروفة في الأجزاء الشمالية من الشرق

الأدنى، وهناك عرض نقدي موجز للمحتوى الطبوغرافي لهـذه الوثيقة اللفيفة في دليل جغرافية التوراة لإميل كريلنغ))[1].

هذا كل ما ذكره عن هذه اللفيفة دون أن يتطرق إلى تكذيبها بحرف واحد، ترى لماذا؟

٩. جزريم وعيبال

مرَّ ذكر هذين الجبلين في الأسفار التالية:

١. يشوع٨/٣٢-٣٤/ ((وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التي كتبها أمام بني إسرائيل وجميع إسرائيل وشيوخهم والعرفاء وقضاتهم وقفوا جانب تابوت الرب من هنا وهناك مقابل الكهنة اللاويين حاملي تابوت عهد الرب الغريب كالوطني نصفهم إلى جهة جبل جزريم ونصفهم إلى جهة جبل عيبال كما أمر موسى عبد الرب أولاً لبركة شعب إسرائيل وبعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة)).

٢. في سفر التثنية ((وإذا جاء بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها فاجعل البركة على جبل جزريم واللعنة على جبل عيبال، أما هما عبر الأردن وراء طريق

---

(١). المصدر السابق ص ٤٩.

غروب الشمس في أرض الكنعانيين الساكنين في العربة مقابل الجلجال بجانب بلوطات مورا))١١/٢٩-٣١/.

وكذلك ورد عيبال وجزريم في التثنية ص٢٧/٤-٢٦/ وسأنقل النص بكامله ((حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال وتكلسها بالعكس، وتبني هناك مذبحا للرب إلهك مذبحا من حجارة لا ترفع عليها حديدا، من حجارة صحيحة تبني مذبح الرب إلهك وتصعد عليه محرقات للرب إلهك وتذبح ذبائح سلامة وتأكل هناك وتفرح أمام الرب إلهك وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشا جيدا.

ثم كلم موسى والكهنة اللاويون جميع إسرائيل قائلين انصت واسمع يا إسرائيل اليوم صرت شعبا للرب إلهك فاسمع لصوت الرب إلهك واعمل بوصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم.

وأوصى موسى الشعب في ذلك اليوم قائلا: هؤلاء يقفون على جبل جزريم لكي يباركوا الشعب حين يعبرون الأردن، شمعون ولاوي ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة رأوبين وجاد وأشير وزبولون ودان ونفتالي فيصرخ اللاويون ويقولون لجميع إسرائيل بصوت عال ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالا منحوتا أو مسبوكا رجسا لدى الرب عمل يدي نحات ويضعه في الخفاء، ويجيب جميع الشعب ويقولون آمين ملعون من يستخف بأبيه وأمه ويقول جميع الشعب آمين ملعون من ينقل تخم صاحبه ويقول جميع الشعب آمين

ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه لأنه يكشف ذيل أبيه ويقول جميع الشعب آمين ملعون من يقل الأعمى عن الطريق ويقول جميع الشعب آمين ملعون من يعوج حق القريب واليتيم والأرملة ويقول جميع الشعب آمين ملعون من يضطجع مع بهيمة ما ويقول جميع الشعب آمين ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه ويقول جميع الشعب آمين ملعون من يضطجع مع حماته ويقول جميع الشعب آمين ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها ويقول جميع الشعب آمين))ص٢٧/٤-٢٦/.

هذه النصوص الثلاثة التي وردت في عيبال وجزريم أوردها ورأينا أن اللعنات هي التي انصبت فوق جبل عيبال وجزريم ولم يجر ذكر للبركات فهل نسي الكاتب البركات وبهذا ناقض كاتب سفر التثنية نفسه فأهمل البركات إذ لم نعرف عنها شيئاً.

الطبيعة اليهودية التي كتبت هذا النص لم تتغير فقد خلقوا وطباعهم مجبولة باللعنة والكره للبشرية ولهذا بعد أن كتب الكاتب البركة على جبل جزريم رأى أن البركة لا تحق لبني إسرائيل كما لا تحق للبشر فحذفها.

أو قل إنه نسيها فخرج السفر مبتوراً أورد اللعنة دون أن يورد البركة فلم نعرف عنها شيئاً، ترى من يباركون وماذا يباركون؟ بقي الأمر سراً لم يعرفه أحد وحتى اليهود أنفسهم لا يعرفون ما يريدون.

لننطلق بعد هذه المقدمة لنر ما رأي الصليبي.

((وعندما انتشرت عبادة يهوه بطريقة أو بأخرى من غرب شبه الجزيرة العربية إلى فلسطين وغيرها من بلاد الشرق الأدنى فعلت ذلك بصيغتها اليهودية والسامرية خصوصاً في فلسطين وهناك أقام السامريون لأنفسهم سامرة جديدة فيما هو اليوم سبطية بالقرب من مدينة نابلس الحديثة.

وهناك عرف السامريون هضبتين محليتين بأنهما جبل جزريم وجبل عيبال التوراتيين وقالوا بقدسيتهما، والنصوص التوراتية التي تتحدث عن هذين الجبلين تعطي الانطباع بأنهما كانا شديدي القرب واحدهما من الآخر))[1].

١. إذا كان هذا الرأي صحيحاً فلماذا لم يحتج اليهود على هذا القول ويقولون إن الجبلين في الجزيرة العربية وليسا هنا.
٢. إذا كان هذا الرأي صحيحاً فلماذا لم يفصح عيسى عليه السلام حينما سأل عن قدسية جبل جزريم والجبل الذي سألته عنه هو في فلسطين وليس في الحجاز.
٣. ارتبط الجبلان بعبور الأردن وعلى هذا الأساس فالجبلان يجب أن يكونا أعلى من نقطة العبور ونقطة العبور عند الصليبي هي منطقة مرتفعات وما بعدها هو أقل ارتفاعاً من منطقة العبور فكيف يصح إطلاق اسم جبل على منطقة الوهاد أو منطقة أقل ارتفاعاً من منطقة العبور.

---

(١). المصدر السابق ص ٢٠٤.

٤. حددت التثنية مكان جزريم وعيبـــال وراء طريـــق غـــروب الشمس وبعد العبور وليس وقت العبور.

٥. تناقضت التوراة (التثنية) ففي الأول بناء المذبح بعد العبـــور لكن ليس على جبل عيبال فهو للعنة أما المكان الثاني فقد بني على جبل عيبال وفي سفر يشوع لم يبن مذبح علـــى جبـــل عيبال.

٦. اختار الصليبي قمتين بعد قمة الجرد في جبال السراة هما شـــد الأعلى وشدا الأسفل فأيهما هو عيبال المخصصة للعنـــة لأن المباركة وإن كانت على جبل جزريم لكنها لم تذكر.

٧. يقول الصليبي إن جبل شدا الأعلى هو جبل جزريم فما دليلـه على ذلك إن الدليل يعوزه إلى ذلك.

٨. حاول أن يعلل فجعل جزريم صفران ولا تنسى أن جـــزريم مجموعة جزر فكيف عرب إلى صقران في المثـــنى، وكيـــف استطاع تعريب جزر إلى صقر هذا أمر بعيد المحال.

٩. إن وجود قرية اسمها صقران لا يجعل الجبل باسمها وإنما اســـم الجبل شدا الأعلى وليس صقران الأعلى فما علاقـــة شـــدا بجزريم، لقد أخطأ الصليبي الرمية وأفلت منه الزمام فلا حـــول ولا قوة إلا بالله...

الفصل التاسع

عدم معرفة الصليبي الديانة اليهودية

١. هل هي توحيدية أم وثنية.

٢. عدة ألهة لبني إسرائيل بعد موسى.

٣.انقسام في الصفوف.

٤.إله اليهودية إله صبأوت.

قد يعجب القارئ من عنوان هذا الفصل، الدكتور كمال الصليبي مدرس التاريخ واللغات السامية في الجامعة الأمريكية في بيروت والمختص في تاريخ الشرق الأوسط في جامعة لندن وأستاذ في دائرة التاريخ والآثار في الجامعة الأمريكية في بيروت وصاحب الكتب العديدة وتتهمه أنت بأنه لا يعرف اليهودية.

ماذا أقول؟ إذا كان الواقع كذلك إن ما كتبه عن اليهودية لا يخرج عن أحد اثنين إما أنه جاهل في اليهودية وهذا ما قلته أنا أو مرتبط بحلقة اليهودية والصهيونية وهذا ما لا أريده أنا فالاتهام لا يجوز ولا أريد أن أشكك في هوية أحد أو وطنية أحد ولهذا آثرت أن أصمه بجهل اليهودية فهذا أخف الشرين وسأبرهن لكم ذلك من خلال مناقشتي لكتاب كمال سليمان الصليبي.

١. هل الديانة اليهودية توحيدية أم وثنية؟

لم يستطع الصليبي أن يفصل في هذا الأمر فهو تارة يصفهم بالسمو الفكري والرقي الديني ويطلق عليهم الموحدين أو قل هم أهل أول ديانة توحيدية.

وتارة أخرى يصف آلهتهم العديدة التي ترد في التوراة.

وسأمر في الموقفين وأنقل نصوصاً من كتابه حتى يبدو لنا اضطرابه في فهم الدين اليهودي.

١ .التوحيدية: ((قام هؤلاء بتطويره مرحلة بعد أخرى إلى ديانة عميقة المضمون لها كتبها المقدسة وتشمل مفهوماً متطوراً للألوهية

ومحتوى اجتماعيا وأخلاقيا مصقولا إلى درجة رفيعة، وإذا أخذت كل هذه الأمور في الاعتبار فإنه لا بد من أن هذه الديانة كانت في زمانها على قدرة فائقة في اجتذاب المهتدين إليها من خارج موقعها الأصلي وحيث وجدت مستويات معينة من عمق التفكير ومن الحساسية الخلقية ولا بد أن مما ساعد بشكل خاص على نشرها هو أنها كانت ديانة ذات كتاب طورها أناس قادرون على القراءة والكتابة))(١).

هذا المدح الذي قاله الصليبي لليهودية قدمه دون اعتذار وكأنه واحد من هؤلاء الداعين لليهودية أو أحد أعلامها ومن كلمات المدح التي قدمها كلمة المهتدين وكان باستطاعته أن يقول الداخلين بدلا من المهتدين.

بالإضافة إلى الكلمات التي ناقشتها سابقا عميق المضمون والمفهوم المتطور للألوهية، والمحتوى الاجتماعي الرفيع الدرجة.

يكفينا هذا التعليق على النص لنورد نصا آخر يدل على أن الديانة اليهودية في رأي الصليبي هي ديانة توحيدية وفي هذا الشأن يقول: ((وقد تطورت عبادة الرب يهوه بين يهود يهوذا إلى دين توحيدي مصقول ومتفتح لا يقتصر على شريعة موسى كما وردت في التوراة فحسب بل يأخذ في الاعتبار أيضا تعاليم الأنبياء المتأخرين الذين نشطوا في ظل مملكة يهوذا، وقد شهد النفوذ الديني لهؤلاء الأنبياء مقاومة من قبل ملوك إسرائيل واتباعهم الذين يبدو أن مفهومهم لعبادة يهوه بقي قبليا، ومن هنا

---

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٢٠٤.

جاء استعدادهم للقبول بألوهية آلهة القبائل والشعوب الأخرى التي عاشوا بينها وهذا ما تؤكده الأسفار التاريخية))[1].

هذا النص يؤكد النقاط التالية:

١. لم يكن موسى موحدا وإنما قاد اليهودية إلى التوحيد الأنبياء المتأخرون.

٢. الدين اليهودي دين توحيدي مصقول ومنفتح.

٣. عدم الاقتصار على شريعة موسى.

٤. ملوك بني إسرائيل قاوموا الأنبياء المتأخرين الذين قادوا اليهودية إلى التوحيد وبقي بنو إسرائيل بمفهوم ألوهي قبلي منغلق.

ترى هل هذه النقاط الأربع صحيحة كما ارتأها الصليبي؟

١. تقول التوراة إن موسى التقى يهوه صدفة وهو عائد إلى مصر وعرفه يهوه بنفسه لأن الآباء لم يكونوا يعرفونه بهذا الاسم وهو إله خاص لبني إسرائيل ليخرجهم من مصر إلى أرض تفيض لبنا وعسلا هذا هو كل معرفتنا بيهوه وقد عرفنا سابقا إبراهيم الخليل والذي ادعوا الانتساب إليه كان مؤمنا بالله الواحد العلي ولهذا سمى ابنه البكر إسماعيل و لم يسمه باسم يهوي.

- لم تقل التوراة ماذا كان موسى يعبد قبل أن يلتقي بيهوه.

- رفعت التوراة موسى إلى أن جعلته إلها لفرعون وهارون وزير موسى.

---

(١). الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٢٠٤.

- قاد موسى الشعب وخلصه لكن الشعب كثيراً ما كان يغضب يهوه حتى فكر عدة مرات بإفنائهم.
- ظل موسى الحليم الهادي الذي خلصهم من غضب يهوه وإرادته إبادهم عدة مرات.

والسؤال الذي يطرح كيف لم يكن موسى موحدا؟

والسؤال يوجه إلى الصليبي وهو الذي قدم من القرآن شواهد أفلم يدرس وجهة نظر المسلمين حول موسى؟

٢. الدين اليهودي دين مصقول ومنفتح لم يقل أحد من الناس المتعصبين للديانة اليهودية ومهما بلغ التعصب أن الدين اليهودي دين مصقول ومنفتح وهو الدين الذي عرف بتعصبه وإرهابيته وعرقيته فهم أبناء الله والناس الآخرون ليسوا سوى بهائم.

٣. إضافة الشريعة الموسوية إلى شرائع الأنبياء الآخرين لتشكل الشريعة اليهودية والسؤال الذي يطرح هل الأنبياء الآخرون هم الذين أرسوا دعائم اليهودية أم يعتبر الصليبي موسى مؤسس الديانة اليهودية؟

فإذا كان موسى مؤسس الديانة اليهودية فما الفائدة من الأنبياء المتأخرين؟

وإن كان الأنبياء المتأخرون عزرا ونحميا وحزقيال ومن والاهم فما مساهمة موسى في هذا الدين المنفتح؟

٤. ملوك إسرائيل قاوموا الأنبياء المتأخرين الذين قادوا اليهودية إلى التوحيد هذا يعني أن ملوك إسرائيل قد قاموا بتطبيق شريعة موسى إذ

بقي بنو إسرائيل مؤمنين بمفهوم إلهي قبلي لدى ملوك بني إسرائيل فقد تزوج آخاب بن عمري اليزابيث المؤمنة ببعل وكانوا ملتصقين بإيل أكثر مما كانت دولة يهودا وملوكها حتى إن التقليد الذي عرف عن بني إسرائيل سمي بالتقليد الإيلوهيمي، فكيف نسمي اتجاه ملوك إسرائيل بالقبلي المنغلق والعكس هو الصحيح.

والذي نلاحظه أنه يهوه لم يرتفع إلى مستوى العالمية إلا بعد الأسر البابلي على يد حبقوق النبي.

٢.اليهودية وثنية تؤمن بآلهة متعددة

((ولا يمكن للإنسان حقا أن يقول متى تم جمع يهوه مع غيره من ألهة غرب شبه الجزيرة والاعتراف بهم كإله واحد، وكل ما يستطيع الإنسان أن يقوله هو أن الجمع بين هذه الآلهة ومنها الاسماء المذكورة مثلت بيهوه فإن أسماء أخرى لم تغفل ومن هذه الأسماء الإلهين سكوت وكيون عاموس٥/٢٦/ وقد أثبت الاسمان في الترجمات الأوربية الحديثة للتوراة...ومن الممكن إجراء مسح لأسماء آلهة غرب شبه الجزيرة العربية الذين جرت مماثلتهم مع يهوه وأولئك الذين لم تجر لهم مثل هذه المماثلة، وهناك شيء واحد مؤكد وهو أن في بعض أسفار التوراة اعتراف صريح بوجود آلهة غير يهوه وإن لم تكن لهذه الآلهة قدرة يهوه وعلو شأنه))[1].

ويستشهد من التوراة على تعدد الآلهة.

فهل يعتقد الصليبي أن اليهودية دين توحيدي أم هو وثني؟

---

(١). المصدر السابق ص /٢٣٢-٢٣٣/.

يبقى هذا السؤال مطروحاً للإجابة.

٢. عدة آلهة لبني إسرائيل من بعد موسى

عدد الصليبي كثيراً من الآلهة التي عبدها بنو إسرائيل بعد موسى:

١. بنى جدعون مذبحاً للإله شلوم وسماه شلوه.

٢. المسيح الذي بشر بولادته أشعيا٩/٦/ إيل جبور أبي عد سرشلوم وهو ما يترجم عادة إلهاً قديراً أباً أبدياً للسلام، لكن الصليبي ترجمها أبي عد اسم إله قديم أصبح فيما بعد لقباً من ألقاب يهوه، إيل جبور الإله القوي القادر، سرشلوم رب شلوم وهو الذي بنى له مذبح جدعون.

وبهذا صارت هذه العبارة تكريساً للآلهة الثلاث: الإله القادر، الإله الأبدي، إله السلام[1].

ويرى الصليبي أن خير ما يمثل تعدد الآلهة في التوراة سفر التكوين٦/١-٤/ حينما رأى أبناء الله بنات الناس أنهن حسناوات...

ويعلق الصليبي على هذه الحادثة بقوله: ((هذه الميثولوجية خالصة شبيه جداً بميثولوجيات العالم القديم والقصة التي تشير إلى أن يهوه لم يقرب نساء البشر كما كان يفعل غيره من الآلهة وبذلك كانت له منذ البدء صفة خاصة، أما سائر أبناء الآلهة فلم يقربوا نساء البشر فحسب بل

---

(١). المصدر السابق ص ٢٢٧.

صارت لهم ذرية بشرية من النوافل الجبابرة، وهم أنصاف سلالة الآلهة على حد قول سفر التكوين.

وتكررت كلمة أبناء الله أيضاً في سفر أيوب من كل هذا نستنتج أن الصليبي قال بأن اليهودية تدين بعدة آلهة(١).

٤ ..إله صبأوت

يضيف الصليبي إلهاً جديداً لليهودية فقد ترجم في التوراة إلى العربية هذا المقطع إلهي صبأوت عمو (إن الرب إله الجنود كان معه) ولكن الصليبي لا يرضى هذه الترجمة وأنا معه في هذا الرفض حيث يترجمها إن إله صبأوت(اسم مكان) كان معه.

وأنا أرى أن صبأوت ليس جمعاً للجنود لأن الجنود مذكرين فكيف جمع جمعاً مؤنثاً سالماً وقد مرت في التوراة إله صبأوت في الكثير من الأماكن ولن أتطرق إليها فهي أكثر من أن تحصى وكلها ترجمت بإله الجنود.

---

(١).الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ص ٢٣٤.

الفصل العاشر

أخطاء متعمدة

١. الأردن وعدل عن الأردن إلى الدارين.

٢. يم بمعنى غرب.

٣. لبن ليس لبنان.

٤. اثني عشر حجراً يشكل رابية.

٥. إيراد ٥٥ اسم من ١٥٠ اسم.

٦. تهامة.

يمكن للعالم أن يهفو كما يمكن للجواد أن يكبو وللسيف أن ينبو أما إذا نبا السيف مرات ومرات حتى صار طبعاً له فإنه يكسر وإذا كبا الحصان مرات ومرات فإنه يقتل صاحبه في المعركة أو ربما تنبه إليه صاحبه فقتله قبل المعركة وهكذا إذا صارت الهفوات طبعاً أصيلاً في العالم فإنه يعتبر من صفوف الجهلة لا من صفوف العلماء.

وهذا ما صار مع الصليبي في كتابه التوراة جاءت من جزيرة العرب فقد أخطأ وأخطأ، وليت الأمر قد وقف عند الخطأ غير المتعمد، و لم يقف الصليبي عند هذا الحد بل صار يتعمد الأخطاء والانحراف حتى ينفذ إلى ما يريد ويحقق ما يصبو إليه ولن أتتبع أخطاءه المتعمدة فهي كثيرة إنما سأحاول شرح بعض هذه الأخطاء.

١. الأردن

عرف نهر الشريعة بوادي الأردن وقد أوردته التوراة وكلنا يعرف أن كاتب التوراة هو عزرا وعزرا عاش البقية الباقية من عمره في فلسطين وهو قد خاض الأردن حينما جاء إلى فلسطين قادماً من الشرق في زمن دولة فارس فلا أقل أن يسجل ما يراه لا ما يسمعه، لكن الصليبي كعادته رفض ما هو مكتوب متكئاً على فكرة يريد تحقيقها فقد رفض كلمة الأردن على أساس أنه نهر الأردن وشط به الخيال وأغرقه فغرق الصليبي و لم يكن يحسن العوم، في هذا الحال يقول الصليبي: الأردن هيردن لم يكن في التوراة العبرية نهراً وأكثر من ذلك فإن أهل الاختصاص يعرفون تماماً أن ما من مكان وردت فيه الكلمة في النصوص التوراتية

معرفة على أنها اسم نهر ، أما كيف أصبح النهر الفلسطيني الشهير يعرف بهذا الاسم فهي مسألة تستحق التمحيص بحد ذاتها...

ويقول: من ناحية علم أصول الكلمات أن يردن التوراتية هي اسم مشتق من المصدر يرد الذي يعني انحدر، هبط، سقط، ومن الجذور التي تقابل يرد بالعربية ردى سقط تهور من جبل عال، ومن هذا الجذر على الأرجح يشتق الاسم العربي ريد وصيغته المؤنثة ريدة والريد هو الحرف الناتئ من الجبل، وربما الريدة وهي غير قاموسية هي النتوء الجبلي والقمة الجبلية أو الحرف مع السماء، واستخدام التعبيرين بالعلاقة مع الأرض الجبلية ينحصر من الناحية العلمية بغرب وجنوب شبه الجزيرة العربية[1].

انظروا إلى هذا الكم الهائل من الأخطاء التي وقع فيها ليبرر ما يريد:

١. إن كلمة يردن هي من ردن وليست من يرد إلا إذا اعتبرنا النون من علامات الجمع كما فعل في يومن وسماين وريـن وهذا ما لا يجوز لا في العبرية ولو حتى إذا أجزناه في اللغة جمعا لكنها لا يجوز في الفعل أن يضاف إليه النون في آخره زيادة وإنني أتحدى لغويا الصليبي في أن يأتي بأمثلة من اللغة السامية فيها النون الزائدة في فعل ماض أو مضارع أو أمر اللهم إذا كانت نون التوكيد في العربية، ولهذا فالأصل يرد

---

(١). المصدر السابق ص/١٣٣-١٣٤/.

ليردن خطأ ولا يمكننا أن نقول إن نتائجه صحيحة وبدايته خاطئة.

٢. إن ردى يردي العربية قد وردت في القرآن الكريم: ﴿فلا **يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى**﴾[طه:٢٦] لا يمكن أن تكون بمعنى سقط أو تهور التي أوردها الصليبي وإنما معناها الهلاك والموت وهي لا تقابل يرد العبرية.

٣. يرد العبرية تقابل ورد العربية إذا أتى الماء للشرب والورد نوع من أنواع الشرب وسمي الأسد وردا لوروده الماء، ولا تقابل ردي.

٤. صاغ راد من ردى وهو من باب الاشتقاق صحيح لكن راد غير ردى فردى مات ومنه الردى الموت وراد ومنه الرائد في الحديث النبوي ((إن الرائد لا يكذب أهله)) فالرائد هو الذي يتقدم جماعته ليعرف ما أمام القوم ومنه الريادة لبني هلال وكانت رحلة استكشاف للمغرب العربي فالريادة إذن التقدم لمعرفة الأمور والسبق إليها، ولهذا أرفض وضع راد بدل ردى لأن لكل كلمة معنى.

٥. الريد ليس من باب رود وإنما هو من باب ريد وباب الريد غير باب الرود ثم ما علاقة الريد بباب يرد وبباب ردن هذه الأخطاء الخمسة وقع فيها ليصل إلى أن هنالك كلمات في اليمن وفي جبال عسير ريدة وريدان.

٦. سار في أخطائه خطوة أخرى حينما أخذ هيردن والأصح الآن اسما وليس فعلا وقال ولعل لاحقة النون هي في الأصل أداة تعريف مماته، ليقول إن كلمة هيردن تعبير طبوغرافي يعني جرف أو قمة أو مرتفع ليصل فيقول إن الأردن هي الجروف في جبل عسير ولكن للخطأ السابع في هذا التركيب أن الأردن ورد مفردا ولم يرد مجموعا وحيث أن تعداد بني إسرائيل إذا لم نرد تكذيب التوراة تاريخيا كان تعدادهم يوم الخروج /٦٠٥/ألف مقاتل وحسب هذا العد فإن تعداد نفوسهم يزيد على المليونين، وبعد أربعين سنة سيكون العدد مضاعفا وأصبح في وقت عبور الأردن أربع ملايين هل يستطيع هؤلاء جميعا أن يمروا في جرف واحد؟

وفي حالة الإيجاب يجب أن يكون الواحد منهم بحجم النملة فهل الحكم الذي وصلنا إليه صحيح.

لا بل إنه يتحدى أبسط قواعد اللغة فيجعل الأردن مكانا اسمه الدارين ومنه المسك المعروف لكن الدارين تقع في شرقي الجزيرة العربية ولهذا جانبه الصواب، ارجع إلى الكتاب صفحة ٢١٨ فقال: يردن دارين درين بلا تصويب وليست الأردن من ثلاث قرى إلا إذا كانت الدارين في سراة زهران.

٢. يم بمعنى غرب

إن كلمة يم في اللغة العربية بمعنى نهر أو بحر والنهر يجب أن يكون كبيرا واسعا حتى يسمى يما وإلا فإنه نهر وقد وردت الكلمة في القــــرآن الكريم ثمان مرات وكلها تدل على البحر بدون استثناء أما في العبرية فهي تعني أيضا البحر ولكن الصليبي أراد أن يخطئ ويتعمد الخطأ فقال إنهـــــا تعني الغرب ومن البدهي بالنسبة بلادنا أن يقترن الغرب بالبحر لوجــــود البحر في الجهة الغربية من بلادنا سواء كان ذلك في بلاد الشام أو شمـــال الجزيرة العربية ولنقبل الكلمة على أنها غرب.

نقل الكلمة من غرب إلى غراب ومنه إلى غرابة ليرى اسم قريـــة هناك بهذا المعنى فيرى غرابة هي المعنى المطلوب(١).

إن غرابة ليست مشتقة من الغروب وإنما هي أنثى الغراب وهـــو طائر لا يقصد به جهة الغرب إطلاقا ولو قال عوريف بمعنى غراب لقبلنـــا ذلك منه أما يم تتحول إلى غرابة أهذه لعبة من ألعاب البهلوان للقفز على حبال اللغة أم سخرية على القارئ ظنا منه أن القارئ جاهل لا يعـــرف كيف مسارات اللغة.

---

(١). المصدر السابق ص ١٣٨.

٣. لبن ليس لبنان

لازال المثل العربي يرن في مسامعنا اللبن أبيض وهذا ما تقصده اللغة الآرامية والكنعانية فكلمة لبن تعني أبيض وقد وردت هذه الكلمة اسم علم خال يعقوب لابان الآرامي.

يقول في هذا: هناك جبل لبنان المعروف بالشام والشجر فيه هو الأرز وهناك أيضا لبنان بالحجاز وقد ذكر الجغرافيون العرب ومنهم ياقوت الحموي أنه جبلان قرب مكة يقال لهما لبن الأسفل ولبن الأعلى وإضافة إلى ذلك هناك لبنيان في شمال اليمن في جوار منطقة نجران[1].

فهو قد سار في الخطوات التالية متعمدا الوقوع في الخطأ:

١. لبن اسم جبل بمكة لبن الأعلى ولبن الأسفل ومثناهما لبنان مثنى لبن و لم يذكر في التوراة بصيغة المثنى وإنما ذكر بالواو وليس بالياء والميم ولو قالت التوراة لبنايم لكان لبنان مكة.
٢. إن التوراة ذكرت لبنون وقال إن هناك لبينان في اليمن ولبينان في اليمن مصغر لبنان.
٣. إذا كان لبنان باليمن هو ما تقصده التوراة فإين أرض باشان تحل.
٤. الوصول إلى ارض باشان هي موقع بشن في اليمن.
٥. اعتمد في تحليله هذا سفر زكريا١١/١-٣/ وأغمض عينيه عن سفر يشوع القائل ولما سمع جميع الملوك الذين في عبر

---

(١). المصدر السابق ص ١٥١.

الأردن في الجبل والسهل وفي كل ساحل البحر الكبير إلى جهة لبنان الحثيون والأموريون والكنعانيون اجتمعوا لمحاربة يشوع وإسرائيل بصوت واحد.

٦. ولم ينتبه إلى جبل حرمون في يشوع١١/٣/ وحرمون هو جبل الشيخ جنوب جبل لبنان فهل من حرمون آخر في اليمن.

٧. ولم يسمع إلى يشوع١٢/٧/ بقعة لبنان.

٨. ولم يقرأ في أخبار الأيام الثاني ٢/٨/ وأرسل لي خشب أرز وسرو وصندل من لبنان لأني اعلم أن عبيدك ماهرون في قطع خشب لبنان وقد وقع الصليبي في شرحه حينما قال: هناك جبل لبنان المعروف بالشام والشجر فيه الأرز والأرز مشهور في جبال لبنان كما قالت التوراة ولم تقل التوراة العرعر الشجر الذي شهر في لبينان اليمن.

٤ ..اثني عشرحجرا يشكل رابيه

- ما نوع هذه الحجارة وما حجمها؟ لاشك أن التوراة تبالغ في كتابتها فقد قتل أحدهم بمنساس البقر أناسا عديدين ولهذا لا عجب إذا كان في منطق الصليبي أن تصبح اثنتا عشرة حجرة هضبة عالية ورابية شامخة.
- ولا شك في أن هذه الحكاية تشكل محاولة لتفسير كيفية وجود رابية جلجل الصخرية في سهل جلجل في وادي أضم.

- إذا كان العبور من السراة إلى السفوح الغربية فأين السهل بعد العبور حتى يقول جبل جلجل في ذلك السهل الفسيح؟
- لم يعرفنا الصليبي فيما إذا كان هناك جبل يسمى جلجل في وادي أضم أم لا وبقي الأمر مغالطة.
- إن جلجل في العبرية معناها دحرج ولذلك لا يمكن أن يكون السهل اسمه جلجل لأن الحجارة لا تتدحرج فيه ولو قال سفح جبل لقلنا كلمته المشهورة في المناقشة محتمل.

وهكذا كدس خمسة أخطاء ليصل إلى تعريف جلجل وورخ بدل يريحو التوراتية، اللهم لا حول ولا قوة إلا بك.

٥. قائمة البلدان الناقصة

١. يورد الكاتب جملة شيشانق ويفترض أنها حدثت في شبه الجزيرة العربية لأن التوراة أوردت هذه الحملة وقد أحرق مدينة جازر وقدمها هدية لسليمان كمهر لابنته زوجة سليمان، هذه القائمة تحتوي إلى ١٥٠ اسماً لبلدان قد سقطت في فتوحات شيشانق ولما لم يستطع إيجاد البديل لهذه الأسماء فقد اقتصر من /١٥٠/ اسماً إلى /٥٥/ أورد لها بديلاً وسكت عن الباقي.

٢. رغم أن التوراة ذكرت مدينة جازر احرقها شيشق وقدمها لسليمان لكن القائمة لا تذكر جازر على الإطلاق مما يدل

على كذب التوراة وتعصب الصليبي إذ لم يشر إلى عدم وجودها.

٣.تلاعب بالألفاظ في هذه الأسماء ما شاء له التلاعب وما وسعه ورغم ذلك لم يستطع أن يبرهن أن الحملة كانت منصبة على هذه المنطقة وإلا فإنه كان يذكر بقية أسماء القائمة.

ولما لم تكن تخدم غرضه فقد حذفها وأظهر الأسماء التي يستطيع التلاعب بها كما يشاء(١).

٦. تهامة

وقع الصليبي في تهامة في العديد من الأخطاء حتى يبرر المعنى الذي يريده:

١.نفى تهامة أن تكون مشتقة من تهم فقال: من الناحية البنيوية ليس اسم تهامة اسماً عربياً. ولما رجعت إلى لسان العرب وجدت مادة تهم تملأ عدة صفحات من لسان العرب ومنها:

تهامة: اسم مكة والنازل فيها متهم ويجوز أن يكون هذا اشتقاقها ويجوز أن يكون من تهم الدهن إذا تغير ريحه لأنها سفلت عن نجد فخبثت ريحها.

وقيل تهامة بلد والنسب إليه تهامي وتهام على غير قياس...واتهم الرجل وتتهم أتى إلى تهامة.

---

(١). المصدر السابق ص /٢٠٩-٢١٨/.

وتهامة في بلاد الحجاز هو الساحل والأراضي التي انخفضت سواء كانت مكة أو غيرها.

٢. أخذ الصليبي تهامة من مادة هيم وهُيام شدة العطش والمصدر هيام الذي يشير إلى ما لا يتمالك من الرمل وهنالك الهيماء وهي الفلاة بلا ماء.

٣. تربة تهامة الساحلية تمتد على طول غرب شبه الجزيرة العربية بأسره وهذا التحديد خطأ لأن اليمن لا تعتبر من تهامة.

٤. اسم الصحراء الساحلية لغرب شبه الجزيرة العربية يجب أن يكون الهيماء أما اسمها الفعلي تهامة فهو استمرار في الوجود لمصطلح تهوم المثبت في التوراة.

٥. تهوم في التوراة اسم الفعل أو المصدر المؤنث من هوم ولا أعتقد أن هنالك مصدر مؤنث أو مذكر فالمصدر مصدر ولو قال فعل مضارع من هوم للغائبة المؤنثة لكان أقبل.

٦. شاع القول بأن اللفظة العبرية مشتقة من مصدر ممات هو تهم وأنها تعني الغمر.

هذه الأخطاء الستة ارتكبها ليصل إلى أن تهوموت التوراتية هي تهامة العربية.

٧. خطأ كل من قرأ التوراة تهوموت في التوراة لأنه لم يعتبرها اسماً في قراءته سواء كان الاسم مفرداً تهوم أم جمعاً تهوموت وترجمت خطأ وقد ترجمت هذه الكلمة الظلمة بالظلمة.

فإذا كانت تهامة هي الساحل الغزبي لشبه الجزيرة العربيـــة فـــأين سكن بنو إسرائيل هل امتدوا من مدين شمالاً حتى عدن جنوباً هذا مـــا لم يقله أحد حتى التوراة بذاها وحتى الصليبي فقد أسكن هذا الساحل لسبط يوسف وبهذا نكتفي في إيراد الأخطاء المتعمدة للصليبي وخير القلادة مـــا أحاط بالعنق.

الفصل الحادي عشر

جنة التوراة

١ . مكان الجنة.

٢ . نهر فيشون.

٣ . نهر جيحون.

٤ . نهر حداقل.

٥ . نهر فرات.

١. موقع جنة التوراة

كنت أريد وضع هذا الفصل ضمن الفصـــل الســابق الأخطــاء المتعمدة إلا أنني قررت في النهاية أن أفرده فصلاً لوجود بعض المطبـــات الكبيرة التي تعثر فيها الصليبي وسقط و لم يحاول أن ينـــهض ويعـــود إلى الحقيقة ويعترف بخطئه.

يمكن تلخيص المعلومات التي كان يقدمها وصف الجنة عن الموقـــع الجغرافي لعدن وجنتها كما يلي[1]:

١. كان موقع عدن إلى الشرق من أرض إسرائيل ويهوذا حيـــث كان يعيش الكاتب التوراتي الراوي للقصة شرق السراة.

- هذا الكلام فيه مغالطة كبرى لأن التوراة لم تجمع وتكتــب إلا بعد الأسر البابلي ولو افترضنا أن ما كتبته التوراة صحيح وبـني إسرائيل كانوا في فلسطين فهل جنة عدن في الأردن؟
- وإذا كانت الكتابة على يد عزرا في فارس فهل يعني ذلـــك أن الجنة في أفغانستان؟

لم تكتب التوراة أن الجنة كانت شرق إسرائيل وإنما قال في عـــدن شرقاً فأين تقع عدن؟

هذا ما لا يجيب عليه الصليبي.

---

(١). المصدر السابق ص ٢٧٣.

٢. كانت عدن وجنتها تقعان ضمن شبكة لصرف المياه تضم أربعة روافد رئيسية معروفة ومحددة بالاسم.

- هل شبكة النهار لصرف المياه أم لسقاية المياه فالأنهار لا تستعمل لصرف المياه وإنما تستعمل لري البساتين (الجنة) وهي سبب من أسباب الحياة.

- هذه الأسماء التي أوردها التوراة عجز عن إيجادها كتبة التوراة أنفسهم وقد ناقشت هذا في كتبي السابقة وقد أتوا بهذه الأسماء من أقاليم مختلفة وليراجع الصليبي في هذا الشأن الفصل في الملل والنحل لابن حزم وسيرى الرد الكافي عليه.

٣. إن جنة عدن تقع تحت عدن باعتبارها تسقى بنهر يخرج من عدن وهذا يعني أن الجنة لم تكن في عدن بالذات بل مكان إلى الأسفل من عدن.

- ما معنى عدن يا سيدي الفاضل؟ فعدن ليس اسم مكان وإنما هي تعني الخلود ولو عنيت نفسك قليلاً ورجعت إلى معجم العربية لرأيت فيها ما يلي: عدن فلان بالمكان يعدِن ويعُدن عدنا وعدوناً أقام، وعدنّت البلد توطنته، وجنات عدن جنات إقامة لمكان الخلد ومنه عدنان أبو العرب الشماليين ومن عدن المعدن وقال الليث معدن كل شيء: أصله ومبدؤه.

- ولهذا فالجنة لم تكن على الأرض فالأرض ليست دار خلود على الإطلاق ومن أجل عدم الإيمان بالآخرة كتب كاتب

التوراة الجنة على الأرض لكنه نسي أن يرفع كلمة عدن منها واستطاع تحريف الكلمة فجعلها مكاناً.

٤. إن الجنة كانت مترافقة بشجرتين لهما مغزى معين أحدهما هي شجرة الحياة والأخرى هي شجرة المعرفة.

- هذا ما سجلته التوراة والواقع غير ذلك في جنة البابليين صوروا شجرة واحدة هي شجرة النخيل وعند المسلمين شجرة واحدة لم يسم القرآن نوعها، ولهذا فالشجرتان من وهم كاتب التوراة وتحريفه.
- إن الحياة والمعرفة المقصود بالحياة الخلد ورأينا بحث جلجلمش في ملحمته عن الخلد وعدم الحصول عليه وقد غرَّ إبليس آدم وزوجته في الخلود فأكلا من الشجرة وطردا من الجنة ولو كانت شجرة الخلد لظلا حيين هما وأبناؤهما إلى الأبد.
- أما شجرة المعرفة التي حدثتنا التوراة عنها حينما أكلا منها وعرفا أنهما عريانان ليس هذا الكلام إلا وهماً من أوهام كتبة التوراة إذ أن القرآن أفاد غير هذا المعنى فقد جاء فيه:

في الأعراف الآية ٢٧: ﴿**ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما**﴾ فقد كان آدم وحواء في الجنة مستترين ولا نعرف ما نوع اللباس الذي يستتران فيه عوراتهما.

في سورة طه الآية ١١٨: ﴿**إن لك ألا تجوع فيه ولا تعرى**﴾.

فالآيتان من سورتين مختلفتين قد أكدتا أن آدم وزوجته كانا يلبسان لباسا يواري سوآهما ولا ندري ما نوعه وما كيفيته؟

٥. إن كروبيين أو أكثر وقفا أو وقفوا شرق جنة عدن لحراسة طريق شجرة الحياة.

- لماذا وقفا شرقا وطردا آدم إلى الشرق وجعل يهوه كروبيم ولهيب سيف نار متقلب، هل الجنة مسورة بجبل عال من الغرب لا يستطيع إنسان اقتحامه وماذا في الجهة الجنوبية والشمالية هل هما مسورتان أيضا؟ يبقى الأمر مجهولا ولا يستطيع الصليبي ولا غيره حتى ولا كاتب التوراة نفسه يستطيع الإجابة على ذلك.

- لماذا طرد إلى الشرق هل يعني ذلك أنه طرد إلى نجد؟

هل كانت نجد قاحلة آنذاك وهل زار الكاتب تلك المنطقة؟

ولماذا لم يتجه آدم إلى الغرب ألا ينتمي بنو إسرائيل إليه فلماذا لم يأتوا به إلى بلادهم ليرحبوا به؟

٦. شرق الجوار العام لعدن هناك أرض تسمى نود.

- هذه الأرض منفى عند كتبة التوراة فقد نفوا آدم إليها كما نفوا قايين بعد أن قتل أخاه هابيل.

- أين تقع نود هذه؟ ولقد فتش عنها عبثا فلم يجدها في الشرق ولكنه وجد قرية اسمها النودة في بلاد اليمن ومن ثم بدأ من أجل ذلك يتعمد الخطأ لينتقل منه إلى خطأ آخر وصار في رأيه

في النهاية أن نود تعني القفار ولكني لا أرى هذا فبلاد اليمن وهي ليست أرض قفار.

- لم تكن الجزيرة العربية في بداية أمرها مقفرة فلقد مرت في فترة مطيرة ولهذا فوصف الجنة إذا كان المقصود بها الجزيرة لم يكن إلا في الزمن الذي سجلت فيه التوراة أيام حكم الفرس وفي تلك الفترة كان قلب الجزيرة يبابا، إذن أين مكان الجنة في راي الصليبي؟

يقول: ولعل جنة عدن التوراتية كانت حديقة الإله يهوه في وادي بيشه قبل ظهور الدين اليهودي الذي اعترف به كإله أسمى ثم أطلق اسمه على الله الواحد حسب الشهادة اليهودية الوارد نصها في سفر التثنية اسمع يا إسرائيل يهوه إلهنا يهوه واحد...وفي الوصايا العشر أنا يهوه إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي...

والظاهر أن اليهود لم ينسوا أن إلههم كانت له حديقة خاصة به في البداية مثل غيره من الآلهة,والدليل على ذلك قصة جنة يهوه التي كانت له في أرض عدن.

هذا النص لي عليه ما يلي:

١. كنت أناقش الصليبي على أنه مؤمن بدين يقول بإله واحد ولكني أراه من الذين لا يؤمنون بشيء وإنما هو التعصب الذي يقوده لا الإيمان.

٢.هل للآلهة حدائق في شتى بقاع الأرض ويهوه واحد منهم؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا نقول عن الديانة اليهودية ديانة توحيدية؟

٣.إن الإيمان بعدة آلهة يجعل الديانة اليهودية ديانة وثنية وبهذا تسقط الديانة اليهودية كديانة توحيدية.

وبعد هذا فلنناقش أنهار الجنة كما قدمها الصليبي:

وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس هذا ما أوردته التوراة تكوين٢/٨/.

٢. نهر فيشون

المحيط بجميع أرض الحويلة حيث هناك الذهب وذهب تلك الأرض جيد، هناك المقل وحجر الجزع٢/٩/ وهذا الوادي هو وادي تبالة أقصى روافد بيشة غرباً وهذا الوادي يأخذ اسمه الحالي من واحة واقعة على امتداد مساره واسمه التوراتي مازال حياً كاسم لقرية الشوفان (شفن تحرير عن فيشون)[1].

والحويلة قرية حوالة وقال أحمد داود إنها بنو خولان إلى الشمال من النماص والمسار الرئيسي لوادي بيشة يحيط بالطرف الشرقي من بلاد غامد بعد التقاء آخر روافده قرب قرية الروشن.

هذا الوصف لي عليه ما يلي:

(١). المصدر السابق ص ٢٧٣.

١.إن هذا النهر يجب أن يخرج ويتفرع بعد خروجه من الجنة لا يأتي ليصب قبل موقع الجنة.

٢.إن كلمة الشوفان معروف معناها اسم أحد الحبوب التي تزرع ومشهور في ألمانيا لأنه يزرع بكثرة، ولا يمكن أن تكون كلمة الشوفان هي البديل لفيشون ففيشون وزن فعلون كجبعون وشمعون وفيها الواو والنون زيادة وكلمة فشا كثر وشاع أما شوفان من شفن فهي من باب آخر ولهذا لا يمكن أن نقول إن صيغة شمعون من شمعن ولا جدعون من جدعن وإنما هما من شمع وجدع، ولهذا يسقط هذا الاحتمال من باب اللغة كما سقط من ناحية الوصف لأنه يرفد وادي بيشة بينما الوصف التوراتي يتفرع.

٣.ولو قرأ الصليبي كتاب الباحث أحمد سوسة لرأى أن وصف الجنة هذا قد وجد في بابل و لم يقل في فلسطين لأن الأنهار تتفرع من الفرات ثم تلتقي من جديد بعد ذلك.

٣. نهر جيحون

الذي يتدفق محيطاً بأرض كوش وهذا هو المسرى الرئيسي لنهر بيشة كما يسمى اليوم الذي مازال أحد روافده الرئيسية يعرف بوادي جوحان وهذا الوادي يقع بين خميس مشيط وأبها وهناك أيضاً قرية في حوض بيشة تحمل اسم آل جحون والجحن في اللغة العربية السيئ من الغذاء كما لا يمكن أن يكون هذا النهر من أنهار الجنة:

١. لأن النهر يلتقي مع النهر السابق بعد الجنينة والأصل أنه يتفرع.

٢. إن وزن جيحون هو فعلون والأصل من جاح كما أن هذا الاسم جيحون اسم لنهر يقع في آسيا الوسطى وصله المسلمون العرب في فتوحاتهم وهما نهران سيحون وجيحون كما أن هناك نهرين في تركيا بهذا الاسم سيحان وجيحان فهل يمكن أن تكون الجنة في تركيا لوجود نهر جيحان أيضاً.

٣. لم يعلق الصليبي على هذا النهر وعلى أرض كوش وأين تقع كوش هذه؟ سوى أنه قال وهي قرية كوش في جوار خميس مشيط التي تجاور عمليا وادي جوحان، والسؤال لذي يطرح هل يمكن لهذه القرية أن تجند مليونا من الرجال يحاربون إسرائيل بقيادة زارح الكوشي، وإذا ما كان عدد الجيش مليونا فكم عدد السكان ثم ذكرت التوراة أن غزة وجرار وبعض المدن كانت تابعة لزارح الكوشي فهل هذه المدن بجانب نهر بيشة؟ إنها كما قال في فصل سابق بعيدة كل البعد عن هذا الموقع وبهذا سقط هذا النهر لغويا كما سقط مكانا.

٤. نهر حداقل

الذي أخذ تقليديا على أنه نهر دجلة في العراق ولو كان اسم هذا النهر هدقل بالهاء ربما كان تعريبه الدجلة أو دجلة مسبقة بأداة التعريف لكان يفهم أن يكون هو نهر دجلة بالعراق وفي الواقع فإن اسم النهر كما

ورد في التكوين هو حداقل وليس هداقل بالهاء على أساس أن الهاء أداة التعريف.

١. يقول الصليبي: إن تعريبه بالدجلة عبثا بأبسط قواعد العربية ولقد قام بأبشع من هذا العبث كما لاحظنا في الجلعاد والجعد وهناك كثير من الأسماء وقع فيها أكثر من هذا العبث.
٢. عرب الاسم حداقل إلى حجدل أوليس هذا عبثا بقواعد اللغة فهل الجيم من مخرج القاف ويقول ولا بد أن وادي تندحة كان في الأزمنة التوراتية يسمى حداقل.
٣. نسأل الآن السؤال هذا النهر يتفرع عن نهر بيشة أم يصب في وادي بيشة فإذا ما كان يتفرع يمكننا قبول ذلك ولكنه يصب وهنا تنتقض المعلومة التوراتية.
٤. يقول إن هذا النهر في أعالي وادي بيشة ويقول إنه يمر بقرية بني ثور وفي التوراة أشور إن وجود هذا النهر في أعالي بيشة يسقطه من حساب أنهار الجنة.

٥. نهر الفرات

الذي أخذ تقليديا على أنه الفرات العراقي ربما كان ما هو اليوم وادي خارف الذي ينبع من مرتفعات السراة بجوار تنوفة شمال أبها وهذا الوادي هو من أهم روافد المسار الرئيسي لوادي بيشة ولا بد أن اسمه التوراتي قرت أتى من اسم قرية من قرى تنوفة تسمى اليوم الطفراء.

١. إن نهر الفرات وصف بالنهر الكبير في وصف الأرض الموعودة فهل الفرات هناك غير الفرات هنا؟

٢. إن وضع هذه الأنهار في الجنة يجب أن يطرد منها بنو إسرائيل لأن آدم طرد منها فكيف أمكن لإسرائيل أن تسكن في هذه المنطقة وتضم المصرمة والجنة.

٣. هل تم خروج بني إسرائيل من المصرمة أم لم يتم؟

إن المصرمة في الخريطة التي قدمها الصليبي لأرض الميعاد قد ضمها إلى أرض إسرائيل فإلى متى سنظل نلغي عقلنا وتفكيرنا ونركض لاهثين وراء التوراة.

خاتمة

اعتقد أن هذه الجولة كافية في الرد على الصليبي واتجاهه الذي يحب تزوير الحقائق ويبحث بحثا يدعي فيه الموضوعية وهو بعيد عن أية موضوعية ومنهجية.

ولولا خوفي من الإطالة لكنت تابعت البحث معه في التفاصيل وناقشت كل كلمة أوردها من الكلمات.

لكن البحث يصبح مملا فقد اتبع مع اتجاهه في شرح قوائم وردت في الآثار بأسماء المدن وأرادوا أن تكون هذه القوائم كما يشاء هواهم ويخدم أغراضهم ولقد تابعت هذا التيار وقرأته كما قرأت تفاصيل دقيقة أوردها تمنيت أن تكون الموضوعية اتجاههم ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه.

حاولت أن أسير ضمن خطوط عريضة وألا أسبر الأمور الدقيقة والصغيرة فالمجال لا يسمح بأكثر مما كتبت تاركا بعض الفصول التي وردت عند الصليبي في كتابه مثل نشيد الإنشاد الذي قال عنه إنه من جيزان وجيزان كما نعلم هي الحدود اليمنية السعودية فهي قريبة من خط المطر الوفير في اليمن وعلى البحر والجهة الساحلية دائما لا تصلح أن تكون مكانا للرعاة والرعي ونشيد الإنشاد قال إن مصدر هذه الأغاني كانت السلسلة الرائعة من الذرا الجبلية التي تمتد على شكل هلال لتفصل بين منخفضات جيزان وبلاد السراة إلى الجنوب من أبها وما يليها من الداخل ويبدو أن هذه الأغاني جمعت في عهد المتأخرين من ملوك

يهوذا ونسبت إلى الملك سليمان كما نسبت إليه مجموعة الأمثال وحكم الجامعة وحفظت هذه الأسفار الثلاثة مع سائر الأسفار المعروفة بالكتب بحيث تشكل جزءا من التوراة[1].

ويعرض الأناشيد قطعة قطعة يتلاعب فيها بالألفاظ كما عهدناه ولهذا لم أرد مناقشة هذه الكلمات بشكل مفصل فعملي لا يقوم على الجزئيات وإنما يرد بشكل عام وضمن خط عريض ومنهجي، ولا ننسى أولا وأخيرا أن اللغة التي تكلمها بنو إسرائيل هي لغة كنعان وهي إحدى اللهجات العربية ولهذا لا تعجب إن تشابهت الأسماء حتى إن الأسماء اليهودية تشابهت في كل بلد مع أهالي البلد الذين يسكنونها وإن كانت هذه الأسماء شاذة وتختلف عن عقيدتهم وسأضرب بعض الأمثلة على ذلك:

١. مردخاي هذه الكلمة مأخوذة من مردوخ إله بابل مع العلم أنهم يتغنون بدمار بابل ويكرهونه إلهها مردوخ.
٢. الأسماء الإيلية كلها أسماء كنعانية واليهود لا يؤمنون بإيل إلها وإنما يؤمنون بيهوه إلها.
٣. أسماء آرامية حزقيا، أرميا، وأشعيا، ونحميا.
٤. أسماء مصرية موسى وهارون، فنحاص وما شابه ذلك.
٥. أسماء بعلية نسبة إلى بعل إله من آلهة الساحل الشامي، يربعل أشبعل...

(١). المصدر السابق ص ٢٨١.

وهكذا نراهم يلبسون لكل حالة لبوسها ولهذا إذا رأينا تشابه أسماء توراتية مع بعض الأماكن في الوطن العربي الكبير فلا يغتر أحدنا ويقـول إن هذا المكان لليهود لأن فيه أسماء يهودية وردت في التوراة.

ولكن لنقل إن هذه الأسماء تأثر بها اليهود فتسموا بها وقد رأينا أن مخيلتهم ينقصها الإبداع في كل المجالات ماعدا القتل والتدمير والإبـادة والفتك والبطش فهم صوروا إلههم كما هم وكما يحبون أن يكونوا.

هذا هو كتابي فإن وفقت فيه كـان ذاك مـرادي وإن قصـرت فالكمال لله وحده.

ولله الحمد على كل حال

عبد المجيد همو

كفر تخاريم

٥ جمادى الآخرة ١٤٢٠   ١٥ /أيلول/١٩٩٩.

المصادر

١.القرآن الكريم

٢.الصليبي كمال: التوراة جاءت من جزيرة العرب ١٩٨٤.

٣.مقار شفيق : المسيحية والتوراة.

٤.الكتاب المقدس: النسخة العبرية.

٥.كمال ربحي: دروس في اللغة العبرية طبعـــة جامعـــة دمشـــق ١٩٥٨.

٦.مخطوطات وادي قمران ترجمة موسى الخوري.

٧.العهد الجديد.

٨.الهندي العثماني رحمة الله بن خليل.

٩.إسرائيل ولفنسون: اللغات السامية.

١٠. محفل أحمد: اللغة الآرامية.

١١. ابن حزم: الفصل في الملل والنحل.

١٢. همو: التوراة تحريف وتزوير قسم الجغرافية لم يطبع بعد.

كتب صدرت للمؤلف

الفكر اليهودي:

١. بلقيس بين الحقيقة والأسطورة.

٢. هاجر بين الحرية والعبودية.

٣. بابل ولصوص اليهود.

٤. التوراة تحريف وتزوير:

- التاريخ.
- حقيقة إسرائيل.

٥. القدس في التاريخ.

٦. أنبياء القرآن.

النوع الأدبي:

١.ديوان شعر البراعم

٢.تحقيق ديوان الإمام الشافعي رضي الله عنه

٣.تحقيق ديوان الإمام علي رضي الله عنه.

٤.تحقيق شرح الشيباني للمعلقات التسع.

النوع الفلسفي:

فصل المقال فيما بين الحقيقة والحكمة من الاتصال.

كتب تحت الطبع

١. ديوان عنترة دراسة.

٢.صرخات عربية.

٣.نفي الطغيان رد على محمد شحرور.

٤.إحياء علوم الدين للإمام الغزالي تحقيق ودراسة

٥.ديوان صرخة عربية.

٦.التوراة تحريف وتزوير:

التاريخ جزء ٣ وجزء ٤

الجغرافيا جزء ١ وجزء ٢

الدين جزء ١ وجزء ٢

٧.مصادر التوراة:

١. التوراة من كتبها

٢. الكنعانيون والتوراة المحرفة

٣. الديانة الفرعونية وأثرها في التوراة

٤. بابل وتحريف التوراة

٥. الأثر الفارسي في التوراة

٦. التوراة وفلسطين

٧. هل الديانة اليهودية سماوية

الفهرس

مصادر التوراة

(٧)

هل اليهودية ديانة سماوية؟

عبد المجيد همو

دار غار حراء
دمشق - سوريا هاتف : ٢٢١٩٠٤٧

بموجب موافقة وزارة الإعلام رقم /٤٦٥٩٣/ تاريخ ٢٩ / ١٢ / ١٩٩٩

توزيع :
دار الهيثم - هاتف : ٤٤٤٥٦٦٥
دار الألباب - هاتف : ٢٢٣٩٨٢٠

الإهداء

إلى من ألغى عقله

وسار على آراء التوراة

إلى من ألغى نـور عينـيه وبصيرتـه

وسار في ظلماتالتوراة

عبد المجيد همو

كفر تخاريم

مقدمة:

١.نشوء الديانة اليهودية:

كثير من الناس من يتراءى لهم أن الديانة اليهودية هي أول ديانة سماوية أنزلت إلى الأرض على موسى عليه السلام والتوراة هو الكتاب المترل على موسى ليدين به اليهود ويعملوا به، وإذا ما سئل عن الديانات السماوية أجاب على الفور اليهودية والنصرانية والإسلام.

،هذه النظرة أوجبتنا أن نتعاطف مع اليهود سواء كنا نصلوى أو مسلمين فهم أصحاب الرسالة السماوية الأولى ولهم حق السبق في هذا وهم شعب الله المختار وما الناس من بعدهم إلا تبع لهم وعالة عليهم.

من هذه النقطة أحببت أن أبدأ لتفنيد هذا الرأي وأريهم أن هذه الديانة لا تمت إلى رسول الله موسى بصلة لا من قريب ولا من بعيد وأن الناس كانوا في أوهام اليهودية يسيرون وفي بحارهم يسبحون وعلى هديهم يسيرون ولقد نبه القرآن الكريم أول من نبه إلى ذلك وفرق بين جماعتين:

- جماعة موسى فناداهم ببني إسرائيل وذكرهم بفضله ومنه عليهم وكم قدم الله لهم من نعم فرفضوها وأكرمهم فقابلوه بالإساءة وحتى وصفهم القرآن في كثير من الآيات بقسوة القلب وأنها كالحجارة بل هي أشد قسوة، وإن من الحجارة لما يتفجر فتتخرج منه الأنهار.

- جماعة اليهود ما ذكر اليهود في القرآن إلا ذكروا بالذم والغضب والمقت، وقد لعنوا في القرآن الكريم وكان القرآن العظيم يكذبهم في دعاواهم الواحدة تلو الأخرى:

١. انتسابهم إلى إبراهيم ويعقوب: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:١٤٠]، وقال الله تعالى في القرآن العظيم:﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٧،٦٨].

٢. اليهود أبناء الله وأحباؤه وسترى هذا القول مبثوثاً في الكتاب المقدس في العهد القديم بصورة كثيرة وقد ردَّ القرآن هذه الفرية فقال الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨].

٣. اختصاصهم بالجنة قال تعالى في القرآن: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

٤. الهداية اختصوا أنفسهم بالهداية وقد ردّ القرآن ذلك: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥].

٥. زعم اليهود أنهم أولياء الله قال الله في القرآن: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الجمعة:٥-٨].

قد وردت الآيات التي ذكرت اليهود على النحو التالي:

هادوا: البقرة ٦٢، والنساء ٤٦، ١٦٠، المائدة ٤١، ٦٩، الأنعام ١٤٦، النحل١١٨، الحج١٧، الجمعة٦، الأعراف١٥٦.

هود ويهود: البقرة١١١، ١٣٥، ١٤٠، ١١٣، ١١٤، المائدة١٨، ٥١، ٨٦، التوبة ٣٠.

يهودي: آل عمران١٦٧.

الآيات التي ذكرت بني إسرائيل:

وتوزعت هذه الآيات على النحو التالي:

١. تذكيرهم بفضله ونعمته: البقـــرة ٤٠، ٤٧، ١٢٢، ٢١١، آل عمـــــران٩٣، الأعـــــراف١٣٧، يونـــــس٩٣، الإسراء٢، ١٠١، ١٠٤، طه٨٥، الشعراء٨٠، الســـجدة٥٩، الدخان٩٣، الزخرف٥٩، غافر٥٣، الجاثية١٦.

٢. اللعنة على من كفر منهم: المائدة٧٨

٣. إرسال موسى من أجل خروجهم: الأعـــراف١٠٥، ١٣٤، الإسراء١١١، طه٤٧.

٤. إرسال الرســـول عيســـى لدعواهـــم: الصـــف٤، ١٤، آل عمران٤٩، المائدة٧٢، ١١٠.

٥. الميثاق: البقؤة٨٣، المائدة٧٠.

٦. الخروج: الأعراف١٣٨، يونس٩٠.

٧. إسرائيل: آل عمران٩٣، مريم٥٨.

٨. ماذا كتب على بني إسرائيل: البقـــرة٨٣، آل عمـــران٩٣، المائدة١٢، ٣٢، ٧٢، الإسراء٤، ١٠٤.

٩. القرآن وبنو إسرائيل: النمل٧٦.

١٠. تاريخ بني إسرائيل: المائدة١١٠، يوتس٩٠، البقـــرة٢٤٦، طه٩٤، الشعراء٢٢، ١٩٧، الزخرف٥٩.

الشيء الثالث الذي أحب أن أذكره في هذا المجال آيات موسى ويمكن توزيعها على النحو التالي:

١.موسى وبنو إسرائيل: البقرة٥١،٩٢، الأعراف١٢٨،١٦٠، النساء١٥٣، يونس٨٤،٨٧، هود١١٠، إبراهيم٥،٦،٨، طه٧٧،٩١، الشعراء٥٢،٦٥، القصص٣٤،٧٦.

٢.موسى وفرعون: الأعراف١٠٣،١٢٨، يونس٧٥،٨١،٨٨، الإسراء١٠١،١١، طه٤٩،٧٠، الشعراء١٠،٤٨، القصص٣٦،٤٨/ غافر٢٦،٣٧.

٣.موسى والرسالة: آل عمران٨٤، الأنعام٨٤،٩١،١٥٤، يونس١٦، إبراهيم٥، الإسراء٢، الأنبياء٤٨،٤٤، المؤمنون ٤٥،٤٩، الفرقان٣٥، السجدة٢٣، الأحزاب٧،٦٩، الصافات١١٤،١٢٠، غافر٢٣، الشورى١٣، فصلت٤٥، الزخرف٤٦،الأحقاف١٢، الذاريات٣٨، النجم٣٦، الأعلى١٩.

٤.قصة موسى: القصص٣،٣١، الكهف٦٠،٧٥، طه٩،٤٨.

٥.موسى والإسلام: قد يرى بعض الناس غرابة هذا العنوان فإذا ما كان موسى مسلما فما الديانة التي دعا إليها إذن؟

سأبرهن في الحالة الأولى على أن موسى مسلم، ومن ثم تكون دعوته إلى الإسلام بالصورة التي أقرها الله في كتابه المنزل على موسى التوراة الصحيحة وليست التي بين أيدينا حاليا، قال الله تعالى في القرآن

العظيم: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:٨٤].

ويتابع القرآن الآية ٨٥: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

وهؤلاء السحرة من قوم فرعون يلقون ويسلمون بعد أن غُلبوا على أمرهم: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[الأعراف:١٢٦].

﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[يونس:٨٤]، وقال: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

٦.سليمان والإسلام: ﴿قَالَ يَاأَيُّهَا المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[النمل:٣٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾[النمل:٤٢] ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[النمل:٤٤]، ومن الآيات القرآنية يتبين لنا أن دعوة موسى لم تكن في يوم من الأيام دعوة إلى اليهودية ولا عرف هذه

الدعوة على الإطلاق وإنما كانت دعوته إلى الإسلام والإسلام فقط هو وكل الرسل **(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو من الخاسرين)**.

ومن هذه الكلمات والآيات انطلق لأناقش الديانة اليهودية كيف نشأت ومن ثم هل هي دعوة سماوية أم وضعية؟

وليعذرني من تعود على سماع أن اليهودية ديانة سماوية وأنها ديانة موسى وبني إسرائيل، فهذا القرآن الكريم مستندي لمن كان مسلماً.

أما من لم يكن مسلماً سأبرز له أراء العلماء من غير المسلمين على نشوء الدعوة وما علاقتها بالسماء.

متى ظهرت اليهودية؟

هل الديانة اليهودية ديانة موسى؟

هذا ما نفيته من خلال القرآن الكريم وهو ما سأنفيه من خلال مناقشتي ومن خلال أقوال العلماء الواحد تلو الآخر.

وتختلف الآراء من شخص لأخر ولا حقيقة يقف عندها الباحثون بل يكتب على هواه وحسب خلفيته الثقافية ولو أضفنا إلى ما يمليه العقل ومن خلال ما وجد في الكتاب المقدس لألفينا أنها ديانة لا تمت إلى موسى بصلة فديانة اليهود هي ديانة الكتاب المقدس والكتاب بحد ذاته كما يقول مرسيا إلياد هو مشكلة من مشكلات العصر ويرى المؤلفون المحدثون أن ديانة إسرائيل تبدأ بإبراهيم وتبعاً للتقاليد فإن الرب اختاره ليصبح جد الشعب الإسرائيلي وليأخذ ملك كنعان، غير أن هؤلاء المؤلفين يصدمون

بالأحد عشر إصحاحاً في سفر التكوين قبل وجود إبراهيم واختياره وبدءاً من آدم، هذه الإصحاحات هي أكثر حداثة في التدوين من نصوص الأسفار الخمسة ويرى الباحثون أن أسطورة الخليقة قد لعبت دوراً ثانوياً في الوعي الديني لإسرائيل.

وبصفة عامة اهتمت الديانة اليهودية بالتاريخ المقدس وبعلاقتهم مع يهوه الإله أكثر من اهتمامهم بتاريخ الأصول للأحداث الأسطورية والخرافية البدئية.

ويقول مرسيا إلياد: ((ويمكن لهذا أن يكون صحيحاً من بداية بعض العصور وعلى الأخص بالنسبة لبعض النخبة الدينية إلا أنه لا يوجد حجة للاستنتاج بأن أجداد الإسرائيليين كانوا غير مبالين بالمسائل التي استهوت كل المجتمعات القديمة وبخاصة التكوينية وخلق الإنسان وأصل الموت وبعض المشاهد الأخرى العظيمة ولأيامنا بعد /٢٥٠٠/سنة من الإصلاحات فإن الأحداث المقررة في الفصول الأولى من التكوين تستمر في تغذية الخيال والفكر الديني لورثة إبراهيم واتباعاً للتقليد السالف نبدأ الموضوع مع الفصول الأولى من التكوين، إن التاريخ المتأخر لتدوينها لا يشكل مطلقاً أية صعوبة لأن المحتوى قديم وهو في الواقع يعكس المفاهيم الأكثر قدماً من قصة إبراهيم))(١).

لي على هذا النص مايلي:

---

(١). إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ص٢٠٣.

١. ربط الكاتب اليهود بإبراهيم وقد رأينا أن القرآن نفى هـــذه العلاقة وكثير من الكتاب من نفى ذلك ولا علاقة بـــإبراهيم ببني إسرائيل لا من قريب ولا من بعيد.

٢. نتبين من هذا النص أن هناك قصة إبراهيم والوعد قد سجلت قبل تسجيل قصة الخليقة والطوفان ولكن الكاتب لم يحدد لنـا من سجل هذا أو ذاك.

٣. نلاحظ التعاطف بين مرسيا إلياد والفكر اليهودي من خـلال دفاعه عن تأخير التدوين.

٤. اعترف بالإصلاحات التي حدثت في هذه الفصول.

ويقرر الباحث شفيق مقار: ((فالقرن السادس قبل الميلاد كـــان الزمان وكانت بابل المكان في ذلك الزمن وذلك المكان صنعت الديانـــة اليهودية أخذاً عن المسمى السياسي للكيان دعـــي وقتـــاً إلى أن أزالـــه البابليون من الوجود باسم مملكة يهوذا وافتعل القوم أو بالأصح لتجمـــع سائب من عشائر بدوية متناحرة أطلق روائياً عليه اسم الشعب ونســـباً خيالياً بغية إعطاء ذلك الشعب عمقاً تاريخياً وأصلاً عرقياً ودينيـــاً عـــن طريق الحكي روائياً بأنه انحدر من أصلاب أسلاف عريقين اسموا تشـعرا بالآباء في سياق عملية شاسعة من إعادة الصياغة وتأليف لنصوص منشـئة للاهوتية بدا لمن اصطلحوا في هذه المهمة أنهم كانوا عن طريقها ينقـــذون ما أمكن العمل على إنقاذه))[1].

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٤٧٨.

هذا ما ارتآه الكاتب الباحث شفيق مقار ويمكن أن نؤكد على بعضه:

١. نشأت اليهودية حسب رأيه في القرن السادس ولا أرى هذا وسأشرحه فيما بعد.

٢. أكد أن النصوص مؤلفة في هذا العهد وأنا أواخره أيضاً بعض الزمن إلى عزرا وإن كان حزقيال قد بدأ تأليف ما يراه في الزمن الذي أشار إليه الكاتب.

٣. التأكيد على أن لا علاقة لهم بما سموا بالآباء إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسيمر معنا كثيرون أكدوا هذه الناحية.

٤. لم تكن كلمة اليهودية كدين معروفة قبل هذه الفترة.

والآن أسأل العلماء الذين يسيرون في هذا الاتجاه ماذا كانت ديانة موسى وبني إسرائيل تسمى قبل هذا الوقت وفي أية ديانة كان يدين داود وسليمان.

ويرى الباحث مقار في كل الديانات يوجد فيها المعبود أولاً ثم تنسج الأساطير حوله والتي تستمد كل خطوطها ومكوناتها من الاعتقاد الأصلي بوجود المعبود والتصور البدئي لهويته وقدراته، وأما صنع يهوه كمعبود فقد وضع من خلال عملية تجميع تلفيقية لاختصاصات وقدرات آلهة أقدم وأعرق من يهوه[1].

(١). المصدر السابق ص ٤٩٦.

ويقول الدكتور أحمد شلبي: ((وحقيقة القول إن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة))(١).

ويتساءل الدكتور شلبي ما الدليل على أن هذه الأسفار نسبت إلى غير مؤلفيها؟

في الإجابة على هذا السؤال يورد بعض النماذج التي تؤكد هذه الحقيقة دون شك:

١. أسفار موسى نقرر أنه لا يوجد بها من قريب أو من بعيد ما يفيد أن موسى هو الذي جاء بها أو أنزلت عليه بل على العكس من ذلك يوجد ما يقرر خطأ نسبة هذه الأسفار إلى موسى وفيما يلي من هذه الأسفار ما يدعم هذه الحقيقة:

- جاء في سفر التثنية: فمات موسى عند الرب في أرض موآب ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، وليس من المعقول أن يكتب موسى ذلك عن نفسه.
- جاء في سفر التكوين: وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض آدوم قبلما ملك ملك لبني لإسرائيل.
- ويقول الباحث JSMITL عن سفر الخروج: إن هذا السفر الذي نقرؤه بين أسفار الكتاب المقدس لم يكتب إلا بعد فترة طويلة من الأحداث الواردة فيه وربما كانت هذه الأحداث

(١). شلبي أحمد: اليهودية ص ٢٢٩.

محفوظة جيلاً عن جيل إذ كان بعضها كما لا يزال الحال حتى الآن ضمن التلاوة الدينية التي يرتلها رجال الدين في المناسبات وبخاصة عيد الفصح.

٢. يرى بعضهم أن سفر يوشع كتبه أرميا وبين يوشع وأرميا أكثر من ثمانية قرون تقريباً.

ويرى آخرون أنه من تصنيف صموئيل،ويرى فريق ثالث أنه تصنيف فنحاص.

٣. سفر القضاة ينسبه بعض الكتاب إلى حزقيال وينسبه آخرون إلى عزرا وينسبه فريق ثالث إلى فنحاص، وبين عزرا وفنحاص أكثر من تسعة قرون.

٤. سفر دانيال لا يمكن أن يكون قد كتب في ذلك الزمن البعيد الذي روي أنه عاش دانيال فيه أي عندما سقطت بابل في يد الملك الفارسي كورش عام ٥٣٨ ق.م بل لا بد أن يكون هذا السفر قد كتب بعد ذلك بثلاثة قرون أو أربعة للأسباب التالية:

- يتضمن هذا السفر كلمات مقدونية مع أن اليهود في الأسر البابلي لم يكونوا قد خالطوا اليونان ولا حكت أسماعهم للغة اليونانية.
- فيه وصف للكلدانيين لا يتسنى الإتيان به لكاتب سابق على عصر الإسكندر.

- اقتبس طرفا من أقوال أرميا وحزقيال وزكريا مع أن هؤلاء الأنبياء متفرقون في الزمن ، فأرميا بداية الأسر وحزقيال في وسطه وزكريا في أواخر الدولة الفارسية.

٥. كتاب راعوث قال بعضهم إنه تصنيف حزقيال وقال بعضهم تصنيف عزرا وقال اليهود وجمهور من المسحيين إنه صموئيل.

٦. كتاب نحميا قال سمهاني سنش وأبي فانيس وكريزاستم إنه من تصنيف عزرا وقال آخرون إن كاتبه نحميا.

٧. الزبور اختلف القدماء في مصنفه:

- كريزاستم وأكستاين وغيرهما قالوا من تصنيف داود.
- قال هيلري واتهان وسيش وجيروم مؤلف مجهول.
- قال هورن إن قول كريزاستم وجماعة غلط ونسب ذلك إلى موسى وداود وهمان وأنهان وهو كما ورد في التوراة.

ولن أسترسل في شرح ذلك فخير القلادة ما أحاط بالعنق واسمع إلى القول في التوراة من بعض النقاد:

قال أكستاين: إن اليهود حرفوا التوراة النسخة العبرانية في بيان زمن الأكابر الذين كانوا قبل الطوفان وبعده إلى زمن موسى عليه السلام، وفعلوا هذا لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ولعناد الدين

المسيحي وبه يعلم أن قدماء المسيحيين كانوا يقولون عنه وكانوا يقولون إن اليهود حرفوا التوراة في سنة ١٣٠ ميلادي))[1].

وإذا أردت تتبع التحريف فما عليك إلا أن تقرأ كتاب إظهار الحق ونسخ التوراة المشهورة ثلاث نسخ:

النسخة الأولى العبرانية وهي المعتبرة عند اليهود وجمهور علماء بروتستنت.

النسخة الثانية اليونانية وهي المعتبرة عند المسيحيين إلى القرن الخامس عشر، وكانوا يعتقدون إلى هذه المدة تحريف العبرانية وهي إلى هذا الزمان معتبرة عند الكنيسة اليونانية وكذا عند كنائس المشرق.

النسخة الثالثة السامرية وهي المعتبرة عند السامريين وهي تشمل الكتب التالية: أسفار موسى الخمسة ويوشع وكتاب القضاة فهي مؤلفة من كتب سبعة حتى إن خلافات جذرية في الكتابات حول المكان المقدس هل هو جبل جرزيم أم جبل عيبال؟

ونحن نلحظ في هذه الفترة بروز اتجاهين في اليهودية من خلال كتبهم: الاتجاه الأول الاتجاه النبوي والذي يمثله حزقيال، والاتجاه الكهنوتي ويتميز الاتجاه النبوي أنه أقرب إلى النفس وأشمل إلى البشر والإله يهوه يبدو لديهم أنه بدأ يميل إلى الشمولية، أما الاتجاه الكهنوتي فهو أكثر اهتماماً بالمظاهر وتعلقاً بالقومية وأشد تعصباً.

---

(١). رحمة الله بن خليل الهندي العثماني: إظهار الحق ص ٢٧.

هذه هي الصورة التي وصلتنا بها الأسفار الخمسة وهي الأساس للعهد القديم وعليها مدار اليهودية بشكلها الكامل للدين اليهودي.

لكنها باتت مثار النقد وكانت موضوع جدل كبير ومعقد وطويل ولم يقبل العلماء بنسبة الأسفار الخمسة إلى موسى وحاولوا ترتيب هذه الأسفار حسب الترتيب الزمني لتأليفها،و قد قدم يوليوس فلها وزن ترتيباً جديداً فنسب تأليف الأسفار الخمسة إلى ما بعد موسى بقرون عديدة ذاكراً عدة أسباب منها وجود إيل ويهوه وتكرار بعض القصص والفروق البينة في اللغة والأسلوب بين أجزاء مختلفة من هذه المجموعة كل هذا أقنع العلماء الباحثين أن الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى كانت في الواقع نتيجة تصنيف من مصادر مختلفة وقد حددت أربع مصادر أساسية:

١. المصدر اليهوي وينسبونه إلى عهد المملكة يهوذا وهو يستعمل اسم يهوه إلهاً.
٢. المصدر الإيلوهيمي وينسب إلى عهد مملكة إسرائيل في الشمال وقد أدمج ـ هذا ما يقوله علماء التوراة ـ بعد سقوط مملكة الشمال حوالي ٦٥٠ ق.م.
٣. المصدر التثنوي أعلن عن العثور عليه في زمن الملك يوشيا عام ٦٢٠ وكان أساساً لإصلاح ديني كبير.

٤. المصدر الكهنوتي وهو يرجع إلى عزرا وقد أدمج في المصادر السابقة حوالي بداية القرن الرابع قبل الميلاد وكانت النتيجة الأخيرة الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى.

ولنعد إلى نقد هذا الكلام بحيث يصبح الكلام منطقياً:

١. لقد عرفنا أن بختنصر أحرق النسخ الموجودة للعهود السابقة ولم يبق أية نسخة أمام جماعة السبي فمن أين أتى التقليد اليهوي والتقليد الإيلوهيمي وتقليد التثنية؟

٢. إذا أدمج العهدان حوالي سنة ٦٥٠ ق.م وأتى سفر التثنية في عام ٦٢٠ ق.م بعد ثلاثين سنة من اتحاد التقليدين فلماذا بكى يوشيا وأعلن أنه لم يعرف الآباء والأجداد شيئاً عن الشريعة وسفر التثنية صورة عن التشريعات الموجودة في الأسفار الثلاثة الأخرى الخروج والعدد واللاويين.

٣. عظم اليهود عزرا بشكل كبير واعتبروه باني اليهودية فإذا كانت له إضافة بسيطة فماذا فعل؟

٤. هذه النظرية ترى أن الأسفار الأخرى وضعت وخرجت إلى الوجود على النحو التالي:

- أسفار الأنبياء أرميا أشعيا، حزقيال، باروخ، حبقوق، زكريا.
- الأسفار التاريخية صموئيل، الملوك، أخبار الأيام.
- الأسفار الخمسة.

ولكن جمع هذه المواد وترتيبها الترتيب الذي وصلنا في هذا الشكل وليس الترتيب الزمني، و لم تعتبر الأسفار الخمسة مقدسة إلا في زمن متأخر واختلف العلماء الباحثون من مدرسة إلى أخرى في ترتيب هذه المواد ولكن لي بعض الأسئلة:

١. إذا كان التقليد اليهوي هو ما كتب في عهد مملكة يهوذا والإيلوهيمي في مملكة الشمال فهل ثمة دينان وقومان، كل قوم يعبدون إلهاً فالجنوب يعبدون يهوه والشمال يعبدون إيل، فأيهما الكتاب الموحى لموسى؟ وأيهما الدين الموسوي الأصيل؟

٢. إذا كان اتهام الكتاب المقدس للمملكة الشمالية بالانحراف عن الدين وعن الإله فما الرابط الذي يربط بينهما وأي دليل على توحيد التقليدين في ٦٥٠ق.م؟

٣. إذا كان سفر التثنية في عام ٦٢٠ ق.م فلا لزوم له على الإطلاق ولن يثير هذه الضجة الكبيرة التي آثارها يوشيا واعتمد هذا السفر اعتماداً كلياً إلا إذا كان التقليدان غير موجودين على الإطلاق ورأى في سفر التثنية الشريعة الجديدة، مما يدل على أن سفر التثنية قد كتب في غيبة التقاليد الأخرى ثم نشأ التقليدان بعد ذلك.

٤. إن عزرا مؤلف التوراة الحالية وكاتب شريعة اليهود لم يقم بعمل كبير إذ جمع هذه التقاليد السابقة.

وإنما أقول ما قاله حسن حدة: وفي هذا الوقت لم يكن لليهود أية وثيقة تاريخية أو غير تاريخية فكتبت التوراة عشوائياً وكيفياً وحسب تجليات الفكر الكهنوتي اليهودي.

وقد كان للكهنة الذين بدءوا يكتبون ينتمون إلى اتجاهات عديدة منها الاتجاه الإيلي وفيه بقايا من ذكريات موسى.

والاتجاه اليهوي وفيه التأثير بالديانة الفارسية فيهوه ليس إلا الإله الفارسي المؤنث ياهي ولم يكن موسى يعرف يهوه ولا سمع به، ثم أضيف سفر التثنية وهو يمثل اتجاهاً ثالثاً، أما بقية الكهنوت وهو الذي يمثله حزقيال وبقية الأنبياء الذين أثر فيهم السبي والانغلاق والعصبية فقد أضافوا بأقلامهم ما سمي بالكهنوتي، هذه الاتجاهات الأربعة تجمعت في عهد عزرا وكان منها هذه الأسفار الخمسة التي عرفت بأسفار موسى.

ولأشرح ذلك بإيجاز:

هنالك مجموعتان دينيتان مجموعة تعبد إيل وهي تنتمي إلى بني إسرائيل وهي التي تشكل المجموعة الغالبة وصاغت كما تريد صياغتها، وهناك زمرة ومجموعة دينية أخرى تعبد يهوه وهي الفئة المقربة من الحكم الفارسي والتي استطاعت أن تحصل على الوعد بأرض فلسطين ليوجدوا لأنفسهم كياناً ذاتياً وكانت القائدة والتي تسيطر سيطرة فعلية على الأمور، ولهذا جعلت يهوه الإله المفضل بالإضافة إلى الاعتراف بإيل إله الجماعة السابقة الذين سباهم بختنصر.

هذه العملية لم تقم بين عشية وضحاها وإنما امتدت لسنين فقد كان السبي في عام ٥٧٨ ق.م وكان عزرا في عام ٣٩٢ ق.م وبينهما ما يقرب المئتين من السنوات وفي خلالهما تطور الفكر الديني عند هاتين المجموعتين وفيها غلبت فئة يهوه فقد كانت المقربة إلى الحكام الفرس وأكثر قدرة على التلون وهم الذين نسبوا أنفسهم إلى سبط لاوي.

العهد الذي حصلوا عليه من الفرس الحكام في العودة إلى فلسطين صاغوه في كتبهم المقدسة واعتبروه وعداً على لسان يهوه وإن كان الوعد قد كتب ثلاث مرات وفي كل مرة يختلف عن الثاني وكان الوعد يختلف مداً وجزراً حسب الوعد الذي يحصلون عليه من قبل الحاكم الفارسي، وفي عهد أرتحششتا الثالث في زمن عزرا ونحميا قر القرار على استملاك فلسطين ونسبوا هذا الوعد إلى كورش وكورش لا يعرف عن ذلك شيئاً وربما كان وعداً كوعد بلفور لكنه لم ينفذ إلا في عام ١٩٤٨ م أما وعد كورش إن صح أنه وعد فقد كان في ٤٣٨ ق.م ونفذ في عام ٣٩٢ ق.م ما يقرب عن مائة وخمسين بين هذين الوعدين تم تشكيل ما يسمى باليهودية، ولهذا كتب أحبار اليهود توراتهم باللغة الآرامية والخط الآشوري المربع سارقين في هذا الكتاب ما استطاعوا سرقته من حضارات الأمم الأخرى مشوهين وماسخين وناسخين ومحافظين على نقاط ثلاثة:

١. الإله يهوه.

٢. الإله إيل.

٣. الترفع عن بقية الناس رداً على الكبت الذي كانوا يحيونه في الأسر، إنهم أرادوا أن يظهروا للفرس أنهم أسمى من أي شعب آخر يريد الفرس أن يتعامل معهم ضد الدولة البابلية فهم الشعب المختار وهم أبناء يهوه البكر.

من هذه النقاط الثلاثة صيغت التوراة صياغة جديدة ضاربين بتوراة موسى الضائعة والمفقودة عبر الحائط.

ولهذا قال عنهم الكاتب اليهودي فرويد: ((الديانة اليهودية ديانة متباهية متزمتة ولهذا تم الاتفاق على توحيد يهوه بإيل وأصبح الإله الساكن في مكان معين إلهاً واحداً مفرداً تام القدرة لا يدانيه أحد ولا يقوى على اجتلاء وجهه أحد ولا ينبغي لأحد أن يخط له صورة أو حتى أن يلفظ اسمه))[1].

وصار المعبود يهوه خلافاً لما صوروه في الكتب الخمسة يزدري التضحية والطقوس إنه يتطلب الإيمان به وهذا ما كان يريده حزقيال إنه يختلف في تفكيره عن يهوه القديم الذي لا يرضيه إلا تشمم رائحة الدم واللحوم المحترقة من الأضاحي لتكون رائحة سرور للرب وكانت الروايات التي قدموها جسراً يصل بين عصرهم وما بين عصر موسى كما تخيلوه مع بقايا ذكريات في أخيلتهم وكانت هناك شقة واسعة بين التشريعين لأن تشريع موسى قد ذهب و لم يبق منه شيء وأخذوا التشريع عن الأمم المجاورة وخاصة حمورابي والدولة البابلية ويقول فرويد ومع

---

(١). فرويد سيغموند: موسى والتوحيد ص ٥٠.

ذلك فإن ديانة موسى لم تختفِ تماماً دون أن تترك أثراً فقد عاش نوع من ذكراها نوع من التراث حجب وشوه(١).

وجاء في سفر عزرا في الإصحاح السابع عشر الذي يؤرخ طرقاً من عودة جماعة من المسبيين من بابل إلى أورشليم، أن عزرا كان كاتباً ماهراً في توراة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل فبذل له الملك أرتحشتا كل ما طلب وأصعده إلى أورشليم وأمره بإقامة حكم إلهه وشرائع إلهه وشريعة الملك ثم جاء في الإصحاح الثامن من سفر نحيميا الذي يؤرخ كذلك طرفاً من الحقيقة المذكورة آنفاً أن الشعب العائد اجتمع في ساحة المعبد وطلب من عزرا إحضار سفر توراة موسى فأحضره وأخذ يتلوه أمام الجماعة، ولا يمكن الجزم بما إذا كان عزرا كان يحفظ التوراة غيباً وكتب السفر من ذاكرته أم كان يحتفظ بنسخة من التوراة التي يمكن أن تكون نسخة من التوراة التي قال حلقيا الكاهن أنه وجدها في بيت الرب(٢).

ولما عدت إلى السفرين وجدت أن الكاتبين يتكلمان عن النقاط التالية:

١. العائدين إلى فلسطين من اليهود.
٢. الزمن زمن أرتحشتا ولا يحدد لنا أي أرتحشتا ولما عدت إلى زمن عزرا فألفيته ٣٩٢ ق.م عرفنا أن ذلك تم في عهد

(١). المصدر السابق ص ١٤٦.

(٢). دروزة محمد عزة: القرآن والمبشرون ص ٣٥.

أرتحشستا الثالث وما بين ٣٩٢ – ٥٨٧ ما يقارب أكثر من مائتي عام فإذا كان العائدون إلى فلسطين يستطيعون الاجتماع في ساحة المعبد فهم قلة وهم الذين صدر إليهم الأمر بالعودة ومن هنا نستطيع أن نبدي الملاحظات التالية:

- كل ما كتب عن وعد كورش فهو زيف والعودة لم تتم إلا في زمن أرتحشستا الثالث وبدهاء أستير ونحميا وعزرا.
- لم يكن زربابل بن شالتئيل إلا في زمن عزرا.
- اليهود في ذلك الزمن قلة حسب الرأي التوراتي لكنهم غرسوا بحد السلاح وبقوة الاستعمار الفارسي.
- قالوا عن سفر توراة موسى وإذا ما كانت توراة موسى تتألف من خمسة أسفار فأي سفر يقصدون اللهم إلا إذا كنا أمام أمرين:

١. ما يسمى بالأسفار الخمسة كلها مجموعة في سفر واحد وهذا مستحيل يناقضه ما جاء في عهد يوشيا عن وجود سفر الشريعة.

٢. لم تكن التوراة بأسفارها الخمسة مكتوبة وإنما الذي كان مكتوباً هو سفر واحد وأتم كتابة التوراة بعد مجيئه إلى القدس وبهذا يكون قد تمت كتابة التوراة أثناء القرن الرابع قبل الميلاد وكل ما قيل عن مكتشفات البحر الميت يجب أن تكون بعد ذلك التاريخ بزمان بعيد.

أما الدكتور محمد فرزت حرب فهو يقرر أن كتابة التوراة قبل ذلك الوقت بقليل في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد، جمع الكهنة اليهود قوانين العهود الماضية ونسبوها إلى موسى فتشكل منها الكتب الخمسة التي تحتوي الأساطير والتنبؤات والأشعار والقوانين المدنية والجزائية....

والآداب العبرانية المعروفة ذات طابع ديني حيث أضاف الكهنة إلى الكتب الخمسة نصوصاً كثيرة كأحاديث الأنبياء وحوليات تاريخية ومجموعة من النصائح والحكم والأخبار والأناشيد والأغاني...

وقد اقتبس العبرانيون الكثير من الأدب الفينيقي ودخل في كتاباتهم المقدسة وخاصة سفر التكوين وقصص الأنبياء وجاءت الكتابات الأوغاريتية تكشف عن ذلك، وهناك تشابه بين سفر أيوب والأدب الأوغاريتي[1].

ويتضح مما تقدم أن التوراة كتبت بعد إبراهيم الخليل بأكثر من ألف وأربعمائة سنة وبعد عهد موسى بأكثر من ثمانية قرون وهي بالطبع غير التوراة التي نزلت على موسى، ويؤكد لودز ذلك بقوله: إننا لا نستطيع أن نؤيد صحة الرجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشر إلى موسى لأن ما ورد من روايات في هذه الأسفار قد تعرض أكثر من بقية أسفار التوراة إلى تكرار وإعادة تصنيف وإلى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور.

---

(١). حرب محمد فرزات: موجز تاريخ سورية القديم ص ٢١٧.

ويعترف العالم اليهودي سيلفر بأن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى الأصلية في أية ناحية وحتى الوصايا العشر التي يكاد العلماء يجمعون أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين كتلك التي أتى بها موسى، ويقول العالم الألماني مورتكات لا يمكن الاعتماد من الناحية العلمية على أساطير التوراة[1].

وخير من يمثل هذا الرأي قرار اللجنة الحبرية التوراتية في ١٩٠٦/٦/٢٧: ((ويمكن القول بأن موسى استعمل وثائق مخطوط وتقاليد شعوبية سائدة ونُقل عنها ما يوافق الغاية التي استهدفها بالهام الروح القدس وأنه نقل تارة النصوص بحروفها وتارة بمعناها وأخرى بتلخيص أو إسهاب وإن الكتب الخمسة المذكورة قد تعدلت بنصوصها مع مرور الزمن بحيث أضيفت مثلاً نصوص كتبها ملهم بعد وفاة موسى وزيدت تفسيرات وتحولت تعابير قديمة إلى تعابير مستحدثة وإن هناك أخطاء اقترفها النساخ))[2].

ويمكن أن نعتمد التواريخ لاستقرار هذه الكتب على النحو التالي:

١. عرفنا متى استقرت الكتب الخمسة.

٢. كتب الأنبياء والتواريخ ثبتت نحو القرن الثاني قبل الميلاد.

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص٢٧٤/.

(٢). الخازن نسيب وهبيه: أوغاريت ص ٧٩.

٣. كتب وأسفار المزامير والأمثال وأيــوب ونشـيد الإنشـاد وراعوت والمراثي والجامعة وأستير وعزرا ونحميـا وأخبـار الأيام اتخذت شكلها النهائي في القرن الأول الميلادي.

وأقدم نصوص التوراة التي عثر عليها حتى الآن هي بعض أسـفار العهد القديم تعود إلى القرنين الأخيرين قبل الميلاد آثار قمران منـها درج كامل لنبوة أشعيا وبينها درج يحتوي على جزء من كتـاب اللاويـين ومقطوعات كبيرة من رؤيا أورشليم الجديد ودرج من المزامـير ونـص لسفر أيوب بالآرامية، ومقاطع من أسفار التكوين والخروج والتثنية.

أما الترجمة السبعونية من العبرية إلى اليونانية فتمت حـوالي /٢٥٠ ق.م/ بواسطة ٧٢ حبرا يهوديا ولم يترجم آخرها إلا حوالي سـنة /١٠٠ ق.م/ وأهمية هذه الترجمة أنها أخذت عن نص عبري أقدم من النص الذي بين أيدينا.

وكل الدراسات ترى أن التوراة التي بين أيدينا تختلف اختلافـا كبيرا عن توراة موسى وتقول الكاتبة الأديبة أبكار السـقاف إن هـذه التوراة التي بين أيدينا وهي مصدر العقيدة للدين اليهودي الحالي تعتـبر موسى خائنا وأن الرب غضب عليه وأمر بموته جزاء خيانته فكيف بعـد ذلك يمكن أن ينسب هذا الدين إلى موسى؟[1]

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص٤٩٢/.

٢.اعتراف بأصولها الغريبة

لقد اعترف كثير من الباحثين بأنها استمدت كثيراً من الأبحاث مما حولها ويتفق الباحثون عموماً على أن التوراة التي تمثل الديانة اليهودية مقتبسة من أصول قديمة تعتمد على ثقافة الكنعانيين والمصريين والبابليين بالدرجة الأولى.

ومع أنها تركز على تاريخ اليهود فهي تنقل من خلال عرضها للمعلومات معلومات جغرافية وتاريخية هامة عن أسماء المدن والأماكن والشخصيات الكنعانية القديمة في فلسطين[1].

يقول الدكتور سوسة في مكان آخر من كتابه: ((إن الأبحاث الأثرية برهنت على عدم صحة أكثر الأساطير التي وردت في التوراة كما وهناك أبحاث تبرهن على عكس هذه الأساطير التي تقول بقرابة بين الآراميين والعبرانيين واليهود ونتحسس كل التحسس أن الأحبار قد اقتبسوا من تواريخ الأخطاء التي جاسوا خلالها بعض الحكايات فعبرنوا كل المعلومات.

ولكن لماذا كل هذه اللصوصية من قبل الصهاينة؟

الغرض منها تلفيق أكذب تاريخ للعالم يثير أعظم ضجة فيه وكل ذلك لاختراع ملفقة الشعب اليهودي المختار))[2].

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص ٢٥٩/.

(٢). المصدر السابق /جـ ١ ص ٤٧٦/.

أخذ اليهود جنة عدن من أساطير البابليين اقتبسها الفريسيون وكان عليهم إيجاد مكان مناسب لها فاختاروا عدن.

والواقع يشير إلى أن الفريسيين اختاروا هذا الموقع اعتباطياً من وصف حزقيال وبالغوا فيه مما أضاع جميع الباحثين إلى يومنا هذا، فوصف حزقيال لعدن جنة الله هو وصف ينطبق على جنوبي لبنان ولم يكن لهذا الموقع أية علاقة مع قصة التكوين عند حزقيال[1].

ويقول سهيل ديب: يجمع الباحثون والعلماء على أن كتاب حزقيال وضع أولاً ومن ثم كتب من حوله الكتب الأخرى وعلى رأس هؤلاء العلماء الباحثين علماء اليهود، ويرى ديب أن سفر حزقيال يعري التوراة تعرية تامة ولعل هذا هو سبب تجاهل اليهود لسفر حزقيال ورفضه في بعض الأحيان لأن هذا السفر يضعنا أمام واقع مذهل بل ومزعج لبعضهم.

ويؤكد الكاتب الباحث أسد أشقر أن اليهود قد سرقوا الدين عن المدينيين والكنعانيين والبابليين وشوهوا ما سرقوه حسب نفسية إلههم يهوه شاذين عن النفسية السورية المتطورة الخلاقة المعطاءة فقد كانت لهم وكان لهم إله ولكن دينهم لهم وحدهم ديناً قبلياً بدائياً وقد أبت نفسيتهم المريضة أن تعطيه للأمم الأخرى، وكان لهم إله ولكنه إله يخصهم

---

(١). ديب سهيل: التوراة تاريخها ص٤٩.

وحدهم يقودهم إلى القتل والتدمير والمذابح وإفناء مضيفيهم الكنعانيين والأموريين و لم يكن إلهاً للإنسان أينما وجد كإله المسلمين[1].

وقد ورد وصف الجنة عند حزقيال على النحو التالي:

((وكان إلي كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم أرفع مرثاة على ملك صور وقل له هكذا قال السيد الرب أنت خاتم الكمال ملآن حكمة وكامل الجمال كنت في عدن جنة الله، كل حجر كريم ستارتك عقيق أحمر وياقوت أصفر وعقيق أبيض وزبرجد ويشب وياقوت أزرق وبهرجان وزمرد وذهب، أنشأوا فيك صفة صيغة الفصوص وترصيصها يوم خلقت أنت الكروب المنبسط المظلل، وأقمتك على جبل الله المقدس كنت بين الحجارة النار تمشيت، أنت كامل في طرقك من يوم خلقت حتى وجد فيك أثم، بكثرة تجارتك ملأوا جوفك ظلماً فأخطأت فأخرجك من جبل الله وأبيدك أيها الكروب المظلل من بين حجارة النار قد ارتفع قلبك لبهجتك أفسدت كلمتك لأجل بهائك سأطرح إلى الأرض وأجعلك أمام الملوك لينظروا إليك)) حزقيال ٢٨/١١-١٧/.

هذا النص يختلف تمام الاختلاف عن وصف الجنة في سفر التكوين:

١. كلمة عدن في اللغة العبرية لا تفيد مكاناً معيناً في اليمن كما أراد كمال الصليبي، وإنما عدن الإنسان إذا استقر وأقام

(١). أشقر أسد: الخطوط الكبرى في تاريخ سورية /جـ١ ص٢٥/.

وعدنت المكان إذا أقمت فيه وتوطنته ولهذا فجنة عدن بهذا المعنى تصير جنة الخلد وليست نسبة إلى مدينة عدن أو اليمن.

٢. تختلف هذه الجنة في وصفها عن جنة سفر التكوين، فهناك الزراعة والعمل في الحقل وهي مأخوذة من أرض العراق ومن بابل لأن العراق بلد زراعي أكثر مما هو تاجر، بينما وصف الجنة هنا وصف مالي بحيث وصف أرض تجارة و لم يشر الوصف هنا إلى أية قيمة زراعية معينة، وهنا الحجر الكريم والعقيق والزبرجد.

٣. ملك صور هنا أشبه بآدم فهو ملآن حكمة وكامل الجمال وهكذا كان آدم فالله قد صاغه بيده وعلمه الأسماء كلها.

٤. متابعة لسيرة آدم فهنا أخطأ ملك صور في تجارته كما أخطأ آدم في أشجاره وكانت الخطيئة وقبل الخطيئة لم يكن آثماً.

٥. ورد وصف الكروب في سفر التكوين إذ جعله حارساً بعد أن طرد آدم من الجنة، بينما هنا كان ملك صور كروباً، ولو اعتمدنا نظرية الصليبي فكروب بدون الحروف الصوتية كرب، وكرب في اللغة السبئية المقرب عند إله وملك صور هنا هو المقرب عند الله لكن السفر لم يبين لنا لماذا كان ملك صور كروباً.

٦. في قصة آدم كان الكروب يحمل سيف لهيب نار متقد ليبعد آدم من الجنة أما هنا فقد أبعده وطرحه أرضاً وجعل بينه وبين جنته جبلاً بركانياً وحجارة نارية.

٧. جبل لبنان شرقي صور وكذلك نود شرقي جنة عدن كما قال سفر التكوين، هذا السفر يختلف في نفسه عن نفس سفر التكوين ومن أين أتى حزقيال بجنته هذه لا أعلم.

وقد مرت جنة عدن في هذا السفر.

٣. منشؤها:

لقد وجدت فئة تدين بما كتب في التوراة في أسفارها الخمسة بالإضافة إلى سفر يشوع، وتعرف هذه الفئة بالسامريين نسبة إلى السامرة وهم يسكنون نابلس وتوجد لديهم نسخة قديمة من الأسفار الخمسة على ورق يدعون بأنها ترجع إلى ما قبل عهد المسيح وهم يرفضون كل ما عداها وما يزالون يتمسكون بها حتى اليوم.

وقد استقلت تلك الفئة بكيانها الديني وعمل اليهود على إخراجها من الحظيرة اليهودية فلم يفلحوا وقد بنو هيكلاً لهم خاصاً على جبل جرزيم عند نابلس واعتبرته بمثابة الطور، وقام بينها وبين اليهود عداء مستمر، وطائفة السامريين من أقل الطوائف على وجه الأرض عدداً إذ يبلغ مجموع أفرادها ٣٣٧ شخصاً بين ذكور وإناث وقد مر عليهم وقت غير بعيد لم يزد عددهم عن ١٠٠ نفس متفرقين في قرى مختلفة وقبل ٣٥٠ سنة لم يكن قد بقي منهم سوى خمسة ذكور وخمسة إناث لا غير

فجمعهم الكاهن صدفة بعد أن كانوا متفرقين في دمشق وغزة ومصر، ويرى السامريون أنهم ورثة بني إسرائيل جميعاً وحماة التوراة العاملون بتعاليمها ووصاياها العشر وأن الله قد اختارهم وأنهم هم البقية من أولاد يعقوب عليه السلام وتقوم عقيدة السامريين على خمسة أركان:

١.وحدانية الله.

٢.نبوءة موسى ولا تقر بغيرها.

٣.قداسة جبل جزريم.

٤.الإيمان بأن التوراة (خمسة أسفار) مترلة من الله.

٥.الإيمان بالبعث وأنه لا ريب فيه.

وتختلف توراتهم عن التوراة العبرية اليهودية في ستة آلاف موضع أشار إليها الكتاب والباحثون ولا فائدة من بحثها هنا.

أوردت هذه الفرقة لأقول إن هذه التوراة التي يتبعها السامريون تختلف تمام الاختلاف عن توراة اليهود النص المسوري، ولعلنا نتساءل كيف نشأت هذه الفرقة ومن أين أتت نقول: امتزج المستوطنون الجدد ببني إسرائيل ليشكلوا السامريين واتحدت معتقداتهم الدينية في عبادة يهوه وحصل الانشقاق النهائي بين الفريقين بعد عودة عزرا ونحميا من السبي وطردا من أورشليم حفيد الكاهن الأعلى لزواجه من ابنة الحاكم السامري، ويبدو أن الشاب المطرود أصبح كاهن السامريين وبنى هيكله لأجله على جبل جزريم لينافس هيكل أورشليم وكان كتاب اليهود المقدس حينذاك يتألف من الكتب الخمسة فقد.

لقد رأينا في فقرة سابقة أن سفر حزقيال هو أول سفر كتب في عهد السبي ومن ثم عاش حزقيال فترة ما قبل السبي وما بعده وكان النبي الذي يسجل هذه الفترة وهو الذي سجل يهوه إلهاً ورفعه إلى مستوى الألوهية فأسبغ عليه عدة صفات من الألوهية لم تكن موجودة فيه و لم يكن قبل ذلك في عرف اليهود إلا إلهاً محلياً قبلياً.

وقد بدأ سفر حزقيال منذ السنة الثلاثين من سبي يوياكين الملك فإذا ما كان السبي عام ٥٧٨ ق.م فإن السفر يبدأ في عام ٥٤٨ ق.م ولكن تعداد السنين في السفر يجعلنا نشك في الثلاثين ونورد السنة الثالثة.

ولنتساءل ما الصفات التي أسبغها حزقيال على يهوه ؟

١. جعله ساكن السموات وفي عربة نارية.
٢. وصف الجلد أو السماء وهو وصف جديد بالنسبة للتوراة لم يمر فيها من قبل ذلك السفر حزقيال ١/٢٦-٢٨/.
٣. محاسبة كل إنسان على عمله ونقض للآراء التي وردت في أسفار موسى الخمسة فإن الآباء ليسوا مسؤولين عن الأبناء والعكس كذلك.
٤. يعطي يهوه فرائض غير مطلوبة حتى يضل الشعب ٢٠/٢٥-٢٦/.
٥. اعترافه بمجلس الآلهة ٢٨/.
٦. نفي وعد إبراهيم نفياً قاطعاً واسمع هذا النص: ((يا ابن آدم إن الساكنين في هذه الخرب في أرض إسرائيل يتكلمون

قائلين: إن إبراهيم كان واحداً وقد ورث الأرض ونحن كثيرون، لنا أعطيت الأرض ميراثاً لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب تأكلون بالدم وترفعون أعينكم إلى أصنامكم وتسفكون الدم أفترثون الأرض، وقفتم على سيفكم فعلتم الرجس وكل منكم نجس امرأة صاحبه أفترثون الأرض))
حزقيال ٣٣/٢٤-٢٦/.

هذا النص ينفي أية صلة بين الوراثة لإبراهيم وبني إسرائيل ومن ثم اليهود بعد ذلك.

٧.ورد يهوه واحد و لم يرد معه في هذا النص إيل على الإطلاق.

٨.ورد في السفر بأن إسرائيل لا تنقسم بعد هذا وقد انقسمت إلى السامرية واليهودية مما يدل على أن هذا السفر ليس وحياً من الله يوحى إنما هو تنبؤات لم تتفق مع الواقع والتاريخ.

إذن حزقيال هو أول كاتب ومنشئ اليهودية، ولكننا نلاحظ أن حزقيال وضع سفره دون أن يتطرق إلى الأسفار الأخرى، أما عزرا وهو أول الكتبة فقد نشأ كما قلنا في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد وبداية الرابع فقد توفي سنة ٣٩٢ ق.م.

ومع عزرا ابتدأت تلك الفئة من المؤلفين الذين وضعوا التوراة والشريعة الشفهية والتي سيطرت لقرون عديدة على عقول اليهود وجميع مقدراتهم وكان الكتبة هؤلاء حزباً منظماً هو حزب الفريسيين وهم الذين حملوا فيما بعد اسم الحاخامين أي معلمو الشريعة.

وقد سرق هؤلاء الأحبار أرضاً وادعوها وسرقوا تراثا وادعوه وسرقوا لغتنا وادعوها.

أما فرويد فقد قال: من المؤكد تاريخيا أن النموذج اليهودي تحدد نهائيا كنتيجة لإصلاحات عزرا ونحميا في القرن الخامس قبل الميلاد أي بعد النفي وخلال حكم ملوك فارس الذين كانوا أصدقاء لإسرائيل فطبقا لحسابنا فإن ٩٠٠ سنة تقريبا مرت منذ ظهور موسى وعن طريق هذه الإصلاحات أخذ الشعب التنظيمات التي تهدف إلى تقديس الشعب المختار مأخذ الجد وطبق الانفصال عن القبائل الأخرى بالقوة بمنع الزواج المختلط وأقر الأسفار الخمسة وهو التجميع الأصلي للشريعة في صورته المحددة وثم إعادة كتابة ما يسمى بالتشريع الكهنوتي ويبدو يقينا مع ذلك الإصلاح لم يأخذ اتجاهات جديدة ولكنه حقق ببساطة الاقتراحات، وينسب إلى عزرا كتابة التوراة عن طريق إعادة كتابة التراث[1].

ومع ذلك فإن قوتين متميزتين تركتا أثرهما على النص فمن ناحية كان تغييرات معينة أن تعمل عملها فيه مزيفة النص طبقا لميول مستترة تقطع منه وتزيد عليه حتى استحال إلى ضده.

ومن ناحية أخرى سيطر عليه ورع متسامح مشوق فاستبقى كل شيء كما هو... وهكذا يمكن أن توجد في كل مكان تقريبا محذوفات

---

(١). فرويد سيجموند: موسى والتوحيد ص ١٠٠.

بصورة مدهشة ومتكررات معوقة ومتناقضات ظاهرة وإشارات لأشـــياء لم يقصد توصيلها أبداً[1].

ويعترف فرويد بأن التشويه للنص لا يختلف عـــن الجريمـــة، ولا توجد صعوبة في تنفيذ العمل ولكن في التخلص من الآثار وكان بوســعنا أن نتمنى أن نعطي كلمة تشويه المعنى المزدوج الذي لها الحق فيه مع أنهـــا لا تستخدم الآن في هذا المعنى وكان يجب أن تعني ليس فقط تغيير المظهر ولكن كان يجب أن تعني كذلك التحريف.

ويقر فرويد إقراراً صحيحاً بأن العمل الأساسي للكهنة هو تطوير الطقوس والإشراف عليها بالإضافة إلى العنايـــة بـــالنصوص المقدســة ومراجعتها لموافقة أغراضهم وكان أولئك الرجال الأنبياء هم الذين ثـلروا على التبشير بمذهب موسى القديم: إن القديم يزدري التضحية والطقــوس إنه لا يريد إلا الإيمان وحياة ملؤها الحقيقة والعدل[2].

ولقد أراد الأحبار في عملهم الذي قدموه أن ينشئوا جسراً يصــل بين عصرهم الذي يعيشون فيه والعصر الذي وجد فيه موسى.

وحاولوا أن ينكروا وجود شقة بين تتريل الشريعة الموسوية وبــين الديانة اليهودية اللاحقة و لم يسع أحد لتغطيتها إلا فيما بعد، ومع ذلــك

---

(١). المصدر السابق ص ١٠١.

(٢). المصدر السابق ص ١١٥.

فإن ديانة موسى لم تختف تماماً دون أن تترك أثراً فقد عاش نـــوع مـــن ذكراها نوع من التراث حجب وموه[١].

فاليهود استخدموا كل وسائلهم ومواهبهم لا ليخدموا الحق بـــل ليحققوا أهدافهم فتركوا للناس تراثاً حافلاً بالانحراف يحتاج تصحيحـــه إلى جهد كبير، ويؤكد الدكتور شبلي أن توراة موسى لم يبق منها شيء، فاليهود بعد أن حرفوا عقيدة موسى وطباعه تخلصوا من أسفار موســـى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ وعقيدة.

إذن وضع الكتبة اليهود في بابل الشريعة وكما يقول الدكتـــور روبن اتخذوا إجراءات استثنائية لعزل اليهود عن باقي العـــالم ونظمـــوا حياتهم الخاصة تنظيماً دقيقاً قاسياً وفرضوا عليهم شروطاً حياتية تجعلـــهم تحت رحمة رؤسائهم ماداموا أحياء بل وجعلوا منهم فئة محقوداً عليها بـــل محاربة من باقي العالم عن سابق قصد وتخطيط ممـــا لا يحســـدون عليـــه إطلاقاً.

ولقاء ذلك الثمن الباهظ الرهيب أعطوهم الوعد بتملك العـــالم لكن بتاريخ لم يحدد[٢].

---

(١). المصدر السابق ص ١٣٨.

(٢). ديب سهيل: التوراة تاريخها غاياتها ص ٥٢.

وقد نبه بعض الكتاب إلى العديد من الكهنة الذين كتبوا هذه التوراة بعد السبي وقد شهد الكثير من الباحثين بكتابة عزرا هذه الأسفار.

١. إن جمهور أهل الكتاب يقولون إن السفر الأول والثاني من أخبار الأيام صنفها عزرا بإعانة حجي وزكريا وكتب التواريخ شاهدة.

٢. قال ترتولين وهيو فكلت وأهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بختنصر ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة......[1]

٣. يقول في هذا المجال أصطفان شربنتية: ((في السنة ٣٩٨ ق.م عهد الملك أرتحششتا إلى عزرا بإعادة تنظيم المنطقة، كان رجلاً ذا حزم فأعاد إلى الإيمان طهارته وأمر بفسخ الزوجات المقرونة مع غير اليهود وفرض شريعة إله السماء كشريعة للدولة.

لا شك أن هذه الشريعة هي التوراة الحالية التي حررها عزرا انطلاقاً من مختلف التقاليد وتعد التأدية المهيبة للعبادة الموصوفة في نحميا /٨-١٠/ من أهم ساعات تاريخ إسرائيل فهي بمثابة ميلاد رسمي لليهودية.

---

(١). العثماني الهندي رحمة الله بن خليل: إظهار الحق /جـ٢ ص١٦٤/.

فالاجتماع لا يعقد في الهيكل بل في الساحة وليس هو عبارة عن ذبائح دموية عن قراءة الشريعة والصلاة))[1].

فإذا كان الكاتب للتوراة الأسفار الخمسة وأكثر الأسفار الأخرى هو عزرا فإن حزقيال كان القائد الفعلي لليهود أيام السبي البابلي، أما أرميا فقد آثر أن يبق مع الضعاف في فلسطين ولهذا لا يمكن أن نقول إن أرميا قد كتب وساهم في كتابة التوراة.

٢.الديانة اليهودية هل هي سماوية

الديانة اليهودية

تزعم الديانة اليهودية أن اليهود انحدروا من سلالة واحدة هي سلالة إسرائيل لكن من يتتبع التوراة يلحظ أن هناك اضطراباً كبيراً في هذا النسب ويمكن أن نراه في عدة نقاط:

١.نسب إبراهيم فهو مرة آرامي تائه وهو مرة أخرى عبراني ينتمي إلى عابر وعابر حسب التوراة ينتمي إلى أرفكشاد بن سام بينما الآراميون ينتمون إلى إرم بن ماش بن سام وهناك الفارق الكبير بين النسبين وإن اجتمعوا في نهاية السلسلة بسام بن نوح.

لقد برهنت في كتابي جذور اليهود أنهم لا علاقة لهم بسام ولا بنوح ولا بإبراهيم.

(١). شربنتية أصطفان: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس ص ٧٥.

٢. نسب إسرائيل فهم تارة يقولون إن يعقوب هو إسرائيل وتارة ينادون يعقوب وينادون إسرائيل وكأنهما شخصان منفصلان لا يمت أحدهما إلى الآخر بصلة.

ويؤكد علماء البيولوجيا ومنهم علماء يهود: أن اليهود ليسوا شعباً واحداً بل هم طائفة دينية تضم جماعات مختلفة من الناس اعتنقوا ديناً واحداً.

وتشهد التوراة بذلك فقد شهدت بكورش أنه المسيح المخلص وأنه اعتنق اليهودية وهو عنصر فارسي لا يمت بصلة إلى بني إسرائيل.

وانبنى إعلاء اليهودية كديانة على أساسين رئيسيين أولهما القول بأنها أول ديانة توحيدية في تاريخ العالم، وثانيهما القول بأنها ديانة سابقة أخلاقياً وأول تقنين أخلاقي رفيع في تاريخ العالم[(١)].

ولي على هذا الكلام النقاط التالية:

١. ليست اليهودية أول ديانة توحيدية في تاريخ العالم فقد سبق الديانة اليهودية ديانة أخناتون وقد اكتشف نشيد أخناتون في معابد أخناتون وبهذا بطل ادعاؤها.

كما أن إبراهيم الذي حاولوا الانتماء إليه كان موحداً قبلهم بما يقارب سبعمائة سنة كما اعترفت التوراة بأن ملكي صادق كان موحداً في أيام إبراهيم فقد كان كاهناً لله العلي كما كان بلعام بن باعور موحداً حسب اعتراف التوراة.

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤١٠.

٢. الديانة اليهودية ليست توحيدية على الإطلاق فقد عبد اليهود إلهين مختلفين تمام الاختلاف إيل ومنه جاء التقليد الإيلوهيمي ويهوه ومنه جاء التقليد اليهوي.

٣. ليس يهوه بالإله العلي لكل البشر وإنما هو إله قبلي عرقي عنصري لا يسمو إلى مرتبة الألوهية وقد برهن شفيق مقار في كتابه الجنس في التوراة بأن الذي كان يمثل يهوه إنما هو قضيب ذكري سرق لبعل فغور فاتح الرحم وظيفته.

٤. لم تكن الديانة اليهودية سابقة إلى الأخلاقيات بل على العكس فالديانة اليهودية ديانة ليست أخلاقية تدعو إلى انحطاط الأخلاق وتتهم الأنبياء وخاصة آباءهم باللا أخلاق.

٥. ليست الديانة اليهودية ذات تقنين أخلاقي رفيع وإنما تشريع البابليين وخاصة حمورابي أول تشريع أخلاقي مقنن وضع في العالم.

من هذه النقاط أقول إن الأسس التي انبنى عليها إعلاء اليهودية أسس واهية ليست إلا من ادعاء كتبة اليهود وأوهامهم وتقول التوراة إن شريعة موسى نزلت عليه في جبل سيناء وهي من صنع الله ومنقوشة على لوحي حجر مكتوب على جانبها بأصابع الله وقد كتبها الله بيده مرة ثانية بعد أن ألقى موسى بها على الأرض وكسرها بسبب غضبه عندما شاهد قومه يعبدون العجل ويرقصون حوله، ولكن أصل الشريعة اختفت في الصراع الذي دار بين بني إسرائيل بين الذين يؤمنون والذين لا

يؤمنون، ولم يبق لها وجود وإن ما كتبه عزرا لم يكن إلا ذكرى من ديانة موسى وتوراة موسى أضاف إليها من أساطير الأقوام الآخرين.

وهناك مصادر كثيرة تدل على أن هذه التوراة التي نزلت على موسى تقوم على مبادئ التوحيد والعالمية للإله إيل، أي أنها غير التوراة التي كتبها الأحبار بعد عصر موسى بثمانية قرون.

فديانة موسى توحيدية خالصة ثم مالت إلى التعدد وعبادة الأوثان بعد ذلك وهناك ثغرة بين شرائع موسى والديانة اليهودية المتأخرة عنها في الزمن ثغرة سدت في البداية بعبادة يهوه ثم تم التخلص منها فيما بعد رويداً وعلى مهل.

ويقول الدكتور سوسة: ومن أهم ما أوضحت لنا الاكتشافات المكاسب العلمية الآن:

١. تشخيص أكثر مواقع المدن والأماكن التي ورد ذكرها في هذه المدونات القديمة وكتب التوراة.

٢. توصل الخبراء إلى أن الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير وشرائع يرجع إلى أصل قديم وجد مثيله أو ما يشابهه في المدونات السومرية والأكادية والكنعانية والبابلية والآشورية والمصرية.

٣. توصل الخبراء إلى أن مواد عديدة من التوراة مأخوذة من تشريع حمورابي وشرائع قديمة أخرى.

٤. توصل الخبراء إلى أن معظم شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي كان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل وقد اقتبسها اليهود منهم ثم مارسوها وأدخلوها في كتبهم المقدسة.

٥. ثبوت كون اليهود غرباء دخلاء على فلسطين وأن كل ما يملكون من المقومات الثقافية ومن ضمنها اللغة وكتابهم المقدس مقتبس من الثقافة الكنعانية والآرامية وأنها من أصل عربي.

٦. ثبوت كون اليهود عاشوا في فلسطين وهم أقلية بين السكان الأصليين طيلة مدة مكوثهم فيها[1].

وإليك الآن الفرق اليهودية ولاحظ الفرق بين هذه الفرق:

١. الفريسيون يعتقدون أن التوراة بأسفارها الخمسة خلقت منذ الأزل وكانت مدونة على ألواح مقدسة ثم أوحي بها إلى موسى وعلى هذا فتدوينها بعده هو في الحقيقة إعادة تدوين، ويعتقد الفريسيون في البعث وقيامة الأموات والملائكة والعالم الآخر... كما يعتقد الفريسيون أن التوراة اثنتان التوراة المكتوبة والتوراة الشفوية (التلمود).

٢. الصدوقيون نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان أو إلى كاهن آخر وقد اعترف بهذا النسب عزرا واعتبر أبناء صادوق هم الكهنة الأصليون وهم من سبط

---

(١). سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ /جـ١ ص٣٤٣/.

لاوي وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار ويرون أن جزاء المرء يتم في الدنيا وينكر الصدوقيون التعاليم الشفوية والتلمود وحتى التوراة لا يرون أنها مقدسة قدسية مطلقة.

٣. القراءون يمثلون القلة بين اليهود فلما تدهور الفريسيون نما فريق القراء وورثوا اتباع الفريسيين ونفوذهم، والقراء لا يعترفون إلا بالعهد القديم ولا يعترفون بالتلمود.

٤. الكتبة تطلق هذه التسمية على مجموعة من اليهود كانت مهمتهم كتابة الشريعة لمن يطلبها فهم أشبه شيء بالنساخ، وكانوا أحياناً يسمون بالحكماء وأحياناً بالربانيين كما كان أحدهم ينادى بلقب أب عند المخاطبة.

وقد برز الكتبة كحملة الشريعة عندما جذب النفوذ السياسي الكهنة إلى مجاله فأصبح هؤلاء حلفاء للحكام الأجانب من فرس وإغريق ورومان وأخلوا المجال الديني للكتبة فاحتلوه[1].

وهذه هي أهم الفرق اليهودية في تلك الفترة وقد رأينا خلافهم في الإيمان بالبعث والآخرة هذا الخلاف جوهري في الديانة اليهودية ونخرج من هذا بنتيجة أن الوحي ليس مصدر لهذه الأسفار وقد كتب اليهود التوراة انعكاساً لأخلاقهم ولآمالهم.

---

(١). شلبي أحمد: اليهودية ص ٢٠٤.

وهكذا كتبت أسفار العهد القديم باسم الله والله بريء منها، إنها في الحقيقة صدى لانفعالات اليهود وأحاسيسهم.

ولهذا السبب وبسبب كثرة الكتاب الذين اشتركوا في تدوين العهد القديم كثرت الأخطاء فيه.

ويعدد الدكتور شلبي بعض الأخطاء منها:

١. لم يكن للعهد مدلول دقيق في أسفار العهد القديم فقد ورد في سفر الخروج أن إقامة بني إسرائيل في مصر كانت ٤٣٠ سنة وهي في الحقيقة ٢١٥ سنة، وقد اعترف مفسروا العهد القديم بوقوع الخطأ في هذا الرقم، وعدد الرجال الذين لم يبلغوا سن العشرين قبل خروج موسى من مصر كما ورد في سفر اللاويين لا يمكن عقلاً أن يكون صحيحاً فقد كان عدد بني إسرائيل عند دخولهم سبعين شخصاً ومحال أن يخرجوا ملايين في مدى قرنين.

٢. ورد في أسفار التوراة ما يقرر أن الأبناء يؤخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع وفي سفر حزقيال ما يعارض هذا الاتجاه.

٣. تختلف الأحكام اختلافاً واسعاً من سفر إلى سفر آخر ويبدو ذلك بمقارنة الإصحاح الخامس والأربعين والسادس والأربعين من سفر حزقيال مع الإصحاح الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد..

٤. في سفر أخبار الأيام الثاني وردت الفقرة التالية: لأن الرب ذلل يهوذا بسبب آحاز ملك إسرائيل ولفظ إسرائيل غلط يقيناً لأن آحاز ملك يهوذا.

٥. تنفي الأسفار على أن نبوخذ نصر أسر يهوياكين إلى بابل ولكن الحقيقة التاريخية أنه قتله في أورشليم وأمر أن تلقى جثته خارج السور ومنع من دفنها كما ذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس.

٦. وقع في الفقرة الثانية والعشرين من الزبور الخامس بعد المائة في النسخة العبرانية: ((و لم يعصوا كلام)) وفي اليونانية جاءت هذه العبارة ((من عصوا كلامه)) وأحدهما خطأ يقيناً[(١)].

ومن أراد أن يطلع على مثل هذه الأخطاء فليراجع كتاب: (إظهار الحق للمرحوم رحمة الله الهندي العثماني).

واختلف جماعة المسيحيين واليهود حول أسفار الكتاب المقدس اختلافاً كبيراً حول عدد الأسفار وتسليمهم بها.

١. السامريون لا يقبلون إلا بالكتب السبعة موسى ويشوع والقضاة وتخالف نسخة توراهم توراة اليهود.

٢. وتتألف المجموعة التي يقبل بها المسيحيون الآن من مذهب إلى مذهب فالبروتستنت واليهود لا يعترفون إلا بالكتب الموضوعة بالعبرية وهي أربعون، أما سائر المسيحيين فإنهم

---

(١). شلبي أحمد اليهودية ص ٢٣٨.

يضيفون ستة كتب وضعت باليونانية، والبروتستنت يطلقون على هذه الكتب صفة المنحولة وأما الآخرون من المسيحية فإنهم يلقبونها بالقانونية الثابتة.

ولنر كيف ضمت الكتب بعضها إلى بعض واعترف بها هؤلاء وأنكرها آخرون، وخير من تتبع هذه الخطوات رحمة الله بن خليل في إظهار الحق: ((إذ عرفت ذلك فاعلم أنه انعقد مجلس العلماء المسيحية بحكم السلطان قسطنطين في بلدة نانسي ٣٢٥ م ليتشاوروا في باب هذه الكتب المشكوكة ويحققوا الأمر فحكم هؤلاء العلماء بعد التشاور والتحقيق في هذه الكتب أن كتاب يهوديت واجب التسليم، وأبقوا سائر الكتب المختلفة مشكوك كما كانت وهذا الأمر يظهر من المقدمة التي كتبها جيروم على ذلك.

ثم انعقد مجلس لوديسيا سنة ٣٦٤م فأبقى علماء ذلك المجلس حكم علماء المجلس الأول في باب كتاب يهوديت على حاله وزادوا على حكمهم سبعة كتب أخرى كتاب أستير رسالة يعقوب، الرسالة الثانية لبطرس، الرسالة الثانية والثالثة لحنا، رسالة يهودا رسالة بولس إلى العبرانيين.

ثم انعقد مجلس كارتهيج سنة ٣٩٧م وكان أهل هذا المجلس الفاضل المشهور أكستاين ومئة وست وعشرون شخصاً عنده من العلماء المشهورين فأبقى أهل هذا المجلس حكم المجلسين الأولين على حكمهما

وزادا هذه الكتب: كتاب وزدم، وكتاب طوبيا، كتاب باروخ، كتاب أيكليز باستيكس، كتاب المكابين كتاب مشاهدات يوحنا.

ثم انعقد بعد ذلك ثلاثة مجالس مجلس نزلو ومجلس فلورنت ومجلس ترنت فزادوا على حكم كارتهيج اسم كتاب باروخ وفصلوه عن أرميا بعد أن كان ملحقاً به.

وفي القرن السادس عشر ظهرت فرقة بروتستنت فردت باروخ وطوبيا ويهوديت ووزدم وأيكليز باستيكس والمكابين، وقالوا إن هذه الكتب واجبة الرد وغير مسلمة وردوا بعض أبواب كتاب أستير وسلموا ببعضه لأن هذا الكتاب كان ستة عشر باباً فقالوا إن الأبواب التسعة من الأول وثلاث آيات من الباب العاشر واجبة التسليم وعشر آيات من الباب العاشر وستة أبواب باقية واجبة الرد وتمسكوا في هذا الإنكار بستة أوجه:

١. هذه الكتب كانت في الأصل باللسان العبري والكلداني ولا توجد الآن في تلك الألسنة.
٢. لا يسلم اليهود بأنها إلهامة.
٣. جميع المسيحيين لم يقبلوا بها.
٤. قال جيروم إن هذه الكتب غير كافية لتقدير المسائل الدينية وإثباتها.
٥. صرح كلوس إن هذه الكتب تقرأ لكن لا في كل موضع.

٦.صرح يوسيفوس في الباب الثاني والعشرين من الكتاب الرابع بأن هذه الكتب حرفت لاسيما كتاب المكابين الثاني[1].

إن هذه الكتب اختلف فيها اختلافاً كبيراً وهناك ما يناقض هذه الزيادة فقد أضاعوا كتباً كثيرة.

عرف أن كريزاستم وعلماء كاثوليك يعترفون أن اليهود ضيعوا كتباً لأجل غفلتهم بل لأجل عدم ديانتهم ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها فيجوز أن تكون هذه الكتب داخلة في السبعة عشر كتاباً التي قال عنها يوسيفوس بل أقول إن الكتب التي أفصلها الآن لا مجال لفرقة بروتستنت ولا لكاثوليك ولا لغيرها أن ينكر فقدانها من العهد العتيق فيجوز أن يكون أكثرها داخلاً في السبعة عشر، والكتب المفقودة:

١.سفر الحروب جاء ذكره في الآية الرابعة عشرة من الباب الحادي والعشرين من سفر العدد وقد ورد تعريف هذا السفر في تفسير هنري واسكات حين يقول: والغالب أن موسى كتب هذا السفر لتعليم يشوع وكان فيه بيان حدود أرض موآب.

٢.سفر ياشر جاء ذكره في الآية الثالثة عشرة من الباب العاشر من كتاب يشوع وجاء ذكره في الآية الثانية عشرة من الباب الأول من سفر صموئيل الثاني.

٣.الكتاب الثالث لسليمان عليه السلام ألف وخمسة زبورات.

---

(١). الهندي العثماني رحمة الله: إظهار الحق ص ٤١.

٤.تاريخ المخلوقات لسليمان.

الأمثال فيه نجد ثلاثة آلاف مثل لسليمان ومن هذه الأمثلة إلى الآن باق أيضاً.

وجاء ذكر هذه الكتب الثلاثة في الآية الثانية والثلاثين والثالثة والثلاثين من الباب الرابع من سفر الملوك الأول.

قال آدم كلارك في المجلد الثاني في تفسيره ذيل شرح الآية الثانية والثلاثين في حين أن الأمثال والزبورات له.

الأمثال التي تنسب إلى سليمان تسعمائة أو تسعمائة وثلاثة وعشرون تخميناً، وإن سلم قول البعض إن الأبواب التسعة من أول الكتاب ليست من تصنيف سليمان عليه السلام فستمائة وخمسون تخميناً وبقي من ألف وخمسة زبورات نشيد الإنشاد فقط.

٥.كتاب قوانين السلطنة تصنيف صموئيل الذي جاء ذكره في الآية الخامسة والعشرين من الباب العاشر من سفر صموئيل الأول.

٦. تاريخ صموئيل.

٧. تاريخ ناثان النبي.

٨. تاريخ جاد الرائي الغيب وجاء ذكر هذه الكتب الثلاثة في الآية الثلاثين من الباب التاسع والعشرين من السفر الأول من أخبار الأيام.

قال آدم كلارك في الصفحة ١٥٢٢ من المجلد من تفسيره: هذه الكتب مفقودة.

٩. كتاب سمعيا.

١٠. كتاب عيدو الرائي الغيب وجاء ذكرهما في الآية الخامسة عشرة من الباب الثاني عشر من السفر الثاني من أخبار الأيام وفي هذه الآية ذكر تاريخ ناثان النبي أيضاً فقال آدم كلارك في الصفحة ١٥٣٩ من المجلد الثاني من تفسيره: هذه الكتب كلها مفقودة.

١١. كتاب أحيا النبي.

١٢. مشاهدات عيدو الرائي الغيب، وجاء ذكرهما في الآية التاسعة والعشرون من الباب التاسع من السفر الثاني من أخبار الأيام، قال آدم كلارك في الصفحة ١٥٣٩ من المجلد الثاني من تفسيره: هذه الكتب كلها مفقودة.

١٣. كتاب ياهو النبي بن حنائي وجاء ذكره في الآية الرابعة والثلاثين من الباب العشرين من السفر الثاني من أخبار الأيام، قال آدم كلارك في الصفحة ١٥٦١ من المجلد الثاني: هذا الكتاب الآن مفقود رأساً وإن كان موجوداً في وقت تأليف السفر الثاني من أخبار الأيام.

١٤. كتاب أشعيا النبي الذي كان فيه حال السلطان عزيا من الأول إلى الآخر وجاء ذكره في الآية الثانية والعشرين من

الباب السادس والعشرين من السفر الثاني من أخبار الأيـــام، قال آدم كلارك في الصفحة /١٥٧٣/ من المجلد الثاني مـــن تفسيره هذا الكتاب مفقود رأساً.

١٥. كتاب مشاهدات أشعيا النبي كان فيه حـــال الســلطان حزقيا مكتوباً بالتفصيل وجاء ذكره في الآية الثانية والثلاثــون من الباب الثاني والثلاثين من أخبار الأيام، وقال آدم كــلارك في شرح هذه الآية: هذه المرثية مفقودة الآية.

وفي تفسير دورالي وروجر مينت هذه المرثيــة مفقــودة الآن ولا يمكن أن تكون هذه الحديثة مرثية المشهورة الآن لأن المشـــهور على حادثة أورشليم وموت حزقيا وهذه كانت علـــى مــوت أشعيا.

١٦. كتاب تواريخ الأيام وجاء ذكـــره في الآيــة السادســة والعشرين من الباب الثاني عشر من كتاب نحميا، قـــال آدم كلارك في الصفحة /١٦٧٦/ من المجلد الثاني من تفســيره: هذا الكتاب لا يوجد في الكتب التي هي عندنا لأنه لا يوجـد فيها الفهرس الكذائي بل كان هذا كتابا آخر هـــو مفقـــود الآن.

١٧. سفر العهد لموسى الذي جاء ذكره في الآية السابعة مـــن الباب الرابع والعشرين من سفر الخروج.

١٨. كتاب أعمال سليمان الذي جاء ذكره في الآية الحادية والأربعين من الباب الحادي عشر من كتاب السلاطين الأول

وقد عرفت أن يوسيفوس ينسب إلى حزقيال كتابين آخرين غير كتابه المشهور وهو مؤرخ معتبر عند المسيحيين فصارت الكتب المفقودة عشرين كتابا.

ولا تقدر فرقة بروتستنت أيضا على إنكارها وقال طامس انكلس من علماء الكاثوليك في كتابه المسمى بمرآة الصدق ١٨٥١: اتفق العالم على أن الكتب المفقودة من الكتب المقدسة ليست بأقل من عشرين كتابا[1].

(١). الهندي العثماني رحمة الله بن خليل: إظهار الحق /جـ١ ص٢٢٧/.

هل اليهودية ديانة سماوية؟

بعد أن جلنا في الديانة اليهودية هذه الجولة أظننا نستطيع أن نتساءل:

هل اليهودية ديانة سماوية؟

ما علاقة موسى بالله؟

من الذي أنشأ اليهودية؟

هل جهل الأمم الآخرى هو الذي قاد اليهود إلى ركوب موجة التوحيد فجعلوا أنفسهم أول ديانة توحيدية وادعوا بأن شريعتهم سماوية؟

هذه الأسئلة الأربعة جوابها واحد فمتى أجبنا على واحد أجبنا على الأسئلة الباقية.

نحن لا نشك بأن موسى عليه السلام هو رسول موحى إليه من الله لا من يهوه، يؤيده في ذلك نص التوراة التي كانت تسمي بني إسرائيل بأسماء إيلية لا بأسماء يهوية، ولو كان موسى رسول يهوه لسميت الأسماء بيهوه وينطبق على هذا إيمان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأبنائه وحتى عهد موسى لا نلحظ أية تسمية يهوية.

وكذلك يؤكده القرآن الكريم فقد عد موسى بين الرسل الذين أرسلهم الله لهداية البشرية سلسلة تبدأ من نوح وتنتهي بمحمد عليهم السلام، وقد ذكر موسى في القرآن الكريم كثيرا والآيات التي ذكرت موسى ودعوته ذكرت معه الإسلام والمسلمين ولم تذكر اليهودية اطلاقا، فقد ورد اسم إسماعيل يسمع + إيل ويشرائيل أو إسرائيل وهذان العلمان

أشهر من أن يعرفا ولو كان إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب يعبدون يهوه لسميت التوراة يهوه شاماع ويهو يشار ولكن شيئا من هذا لم يحدث ولو تتبعت الأسماء التوراتية في تلك الفترة لما لاحظنا أي اسم من الأسماء مركب معه يهوه مما يدل أنه حتى بعد الخروج لا يعرفون يهوه على الإطلاق.

ولهذا نقول إن موسى لا علاقة له بيهوه وكذلك في العهد السابق ولو تتبعنا سلسلة نسب داود لما لاحظنا حتى داود أيضا أي اسم يهوي مما يدل دلالة رسمية على أن داود لم يعرف يهوه لا هو ولا آباؤه، ولعل أول اسم ورد في التوراة يهوي في هذه السلسلة هو يهوشافاط ابن آسا فكيف خلق هذا الاسم هل هو فجأة دخل الاسم أم جعلوا له أسماء قبله؟

لقد ورد في التوراة أسماء يهوية في زمن سليمان عليه السلام وداود:

١. بناياهو بن يهوياداع وجعلوا له الوصايا على سليمان في تولية الملك وهو الذي بطش بيوآب بن صرويه وقتله وكان يوآب القائد العام للجيش في أيام داود ولا أعتقد أن هذا الاسم إلا من مخيلة اليهود فلم أر في سلسلة آباء سليمان من اسمه يهوي وإنما ورد اسم بعلي في أسماء أبناء داود مما يدل على تأثر كتبة اليهود في عبادة بعل الإله الفلسطيني.

٢. الملك يهو شافاط وشافاط القاضي والحاكم ويمكن ترجمة الاسم الحاكم بيهوه أو الحاكم بالله.

فكيف تسرب الاسم اليهوي إلى هذه السلسلة؟

هذا السؤال من الصعب الإجابة عنه فقد عرف آسا بالصلاح حسب رأي التوراة فكيف يشذ عن عبادة إله أبائه داود وأبنائه إن هذا الاسم لهو اسم دخيل ولا أظنه إلا من مخيلة اليهود فقط.

والغريب في الأمر أنهم لا يلفظون يهوه في التوراة ويقولون إن مجرد ذكره حرام وهم يقولون أدوناي أو السيد الرب فكيف يجرؤن على التسمية باسمه؟

والغريب في الأمر أنهم جعلوا نبيين في زمن واحد أحدهما اسمه إيليا والثاني اسمه ياهو بن حناني فهل عبد بنو إسرائيل الإلهين معا إيل ويهوه فتسمى نبي باسم إيلي وتسمى نبي آخر باسم يهوي.

هذه الأمور جعلتني أرفض تسمية يهوه في هذه الفترة وأقول إن يهوه لم يعرف بني إسرائيل و لم يعرفوه حتى في نهاية الأسر البابلي حيث أخذوا الاسم من الآلهة الإيرانية.

وعلى هذا الأساس فإن اسم يهوه قد أقحم إقحاما على التوراة بعد أن كتبت في نهاية السبي وفي أيام أرتحششتا.

٣. لم تلحظ أي عبادة ليهوه في دولة بني إسرائيل كما حررت التوراة وإنما كانت عبادة لإيل أو بعل ولكنها سلكت في سلوك إسرائيل اسما بعنوان يهورام وأرى أيضا أن الاسم مقحم.

ولما رجعت إلى الطبعة اليونانية وجدت الأسماء على النحو التالي:

يوشافاط _ يورام _ يوناداب _ يواش _ يوآحاز.

يهوشافاط _ يهورام _ يهوناداب _ يهوآش _ يهوآحاز.

ومن ثم خلت الأسماء بعد ذلك من يهوه ولكن كتبة التوراة أرادوا أن يحتفظوا بالتسمية التوراتية وحولوا الأسماء الآرامية إلى أسماء يهوية:

عزرايا = عزرياهو. أمصيا= أمصياهو، رمليا=رملياهو، صدقيا=صدقياهو، عزيا=عزياهو، حزقيا=حزقياهو، يوشيا=يوشياهو، أرميا=أرميا هو

وهكذا أقحموا يهوه على الأسماء إقحاما.

ومن ثم لو رجعنا إلى ملوك يهوذا وآخر ملوكهم للاحظنا مايلي:

١.الياقيم: حول إلى يهوياقيم.

٢.الياكين: حول إلى يهوياكين وهو الذي قال يوسيقوس عنه إنه قتل، قتله نبوخذنصر وقالت التوراة إنه أسره وكرمه.

إذن باستطاعتنا أن نقول بكل ثقة وهدوء إن موسى وداود وسليمان ومن جاء بعدهم لم يعرفوا يهوه ولا التسميات اليهوية على الإطلاق وإنما أقحمت الأسماء اليهوية إقحاما وغيرت تغييرا حتى تلائم اسم يهوه.

ما علاقة عزرا بالله؟

هذا السؤال الذي يسأله كل من يبحث في اليهودية كديانة سماوية ولعله مما يلفت الأنظار أن اليهود يعتبرون عزرا مؤسس اليهودية وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في هذا المنوال: ﴿**قالت اليهود عزير ابن الله**﴾ وعزير هذا هو عزرا.

ولي ملاحظة قبل أن أستكمل نقاشي هذا:

إن عزيرا لا يعتبر في عداد الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم وإنما كل ما نعرفه عنه أنه مبجل عند اليهود ويعتبرونه ابن الإله المعبود لديهم، وقد مر بنا في نقاش الفقرات السابقة أنه منشئ اليهودية وهو الذي وافق على وضع يهوه إلها معبودا وأعطاه من السمات الإلهية ما استطاع واعتبر بديلا من الله عند المسيحيين وقد ناقشنا عزرا وعمله ولسنا بحاجة للعودة إليه من جديد وسنتركه لنبحث في الديانة التي أنشأها.

يقول البروفسور كلاين: ليست اليهودية من الأديان التي ترغب الناس في اعتناقها، ولقد أغفل اليهود التوراة المترلة وعملوا بالتوراة المكتوبة على هواهم[1].

إننا أمام الديانات السماوية الأخرى نلحظ عدة أركان مهمة فيها:

---

(١). محمد حميد فوزي: عالم الأديان ص ٣٤٥.

١.الإله الذي يؤمن به الناس إله عالمي فهو رب العالمين وليس ربا قبليا خاصا ولو تتبعنا القرآن الكريم للاحظنا هناك نداء مختلف النواحي:

- يا أيها الناس: حينما يريد أمرا عاما.
- يا أيها المؤمنون: حينما يريد أمرا خاصا.

كلنا حينما نصلي نقرأ أم الكتاب وفي بدايتها الحمد لله رب العالمين ولا نقول رب العرب أو رب المسلمين.

هذا الإله العام لكل الناس الخالق للسموات والأرض وما بينهما لا نلحظ وجوده في الديانة اليهودية وإنما نلاحظ في الأسفار الأخيرة التي لم يلعب بها عزرا لعبته إنه إله خالق السموات والأرض ولكنه إله قبلي خاص فهو قد سطا بواسطة الكتبة على مفهوم الإله العالمي ولكنه ظل إلها خاصا ينادي شرذمة يعقوب ودودة إسرائيل.

٢.كل دعوة سماوية تؤمن بالقيامة والدينونة بيوم الحساب والعقاب بالآخرة إما إلى جنة عرضها السموات والأرض أو إلى جهنم قال الله في القرآن: ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾ ونحن لا نرى في الديانة اليهودية إيمانا بهذا الركن وقد رأينا اختلاف الفرق اليهودية ولو وجد هذا الركن لما اختلفوا فيه هذا الاختلاف الكبير وسنناقش هذه ين الركنين كل ركن على حده.

الإله العالمي

لم يكن عند اليهود إلهاً عالمياً إنما كان هناك تعدد للآلهة وخير من يمثل الرفض للدعوة التوحيدية الكاتب اليهودي رافائيل باتاي: ((إن عامة الناس من اليهود وغيرهم مازالوا يتصورون أن الديانة العبرانية الرسمية كانت من مبدأ أمرها ديانة توحيدية بدأت بأبرام الموحد بيهوه غير أن المتخصصين يعطون ظهور التوحيدية العبرانية تاريخا لاحقا لأبرام وزمانه ببضعة قرون إذ يرجعون بدايات التيار التوحيدي إلى زمن الأنبياء الأكابر، وبأمانة العالم يتحفظ باتاي فيقول: إنه يجب أن نأخذ في الحسبان أن إرجاع بدايات التيار التوحيدي حتى إلى زمن النبيين الأكابر يجب أن يؤخذ بحذر ويحفظ نظرا إلى ما وجد طريقه إلى الديانة من عقائد باتت جزءا لا يتجزأ منها في الأزمنة التلمودية وبالنظر إلى ما انطوت عليه الإشارات القبالية من تعدد الشخوص في شخص الخالق))(١).

ولي على هذا النص مايلي:

١. إن الباحثين في التوراة يغفلون القرآن الكريم ولو رجعوا إليه ولوجدوا أن التوحيد الحق عند إبراهيم.

٢. الأنبياء الكبار سواء كانوا موسى أم أشعيا أو أرميا قد دس على لسانهم الشي الكثير ونحن مع باتاي في الأخذ عنهم بحذر.

---

(١). مقار شفيق: الجنس في التوراة والعهد القديم ص ٧١.

٣.لو تركنا التلمود جانبا لرأينا في التوراة تعدد الإلـــه يظـــهر بوضوح أما التوحيد فهو أمر ثانوي أمام تعدد الآلهة.

ويتابع شفيق مقار شكه في التوحيد اليهودي فيقول: ((وذلك من شأنه أن يضع موضع الشك أيضا التصوير اللحوح الذي عـــني مؤلفـــو التوراة بترسيخه للقوم كجماعة منغلقة على حد ذاتها من بـــدو رحـــل عارفين بالله موحدين بيهوه منذ تلك العصور السحيقة رغم تـــأكيدات يهوه ذاته أنهم لم يعرفوه))(١).

وعلى أية حال لم يكونوا بأي معيار موحديـــن وأنهـــم ظلـــوا يستعيرون الآلهة والإلهات والعبادات من الأقوام المستقرة المتحضرة الـــتي تطفوا على أراضيها أو احتكوا بها في تجوالهم الذي أسمته التوراة بســـببه بالتائهين كما يوقفنا ذلك على التاريخ على أن إلههم المذكر الرئيســـي الذي خرجوا به من عيشهم في أرض الرافدين كان إله العواصف والمطـر والخصب والرعد حداد/شداد ومن الاسم الأخير جاءت إيل شداي.

وقد عبدوا آلهة غير يهوه واعتبر يهوه إله الحرب ولهـــذا كـــانوا ينادونه رب الجنود أما الآلهة الأخرى فقد كان لها أسماؤها الأخرى.

وأمام سقوط مملكة يهوذا على يد بختنصر وأسر بـــني إســـرائيل وأخذهم إلى بابل وعيشهم على ضفاف الفرات بشـــكل خـــاص بـــرز اتجاهان كهنوتيان:

---

(١). المصدر السابق ص ١٢١.

١. طفرة عارمة من الشراسة التي كانت قوية في شخصية يهوه منذ خلقه فصور روائياً في أسفار التوراة ولهذا بدا يهوه عنيفاً مدمراً.

٢. طمر الآلهة المنافسة التي خاف منها رجال الكهنوت على مصالحهم.

ويقول شفيق مقار: ((إننا نجد أنفسنا وجها لوجه مع نص يفصح بجلاء عن تعدد الآلهة لدى الشعب مما جعل كهنة يهوه يبدؤون بالوصايا بتحريم أية عبادة إله آخر بجانب يهوه وقد تطلب تنفيذ تلك الوصية قرونا بأكملها من الصراع بين كهنة يهوه والشعب كان مطلبا أساسياً لا غنى عنه لصنع أمة متماسكة في ظل هيكل موحد، وفي غمار ذلك كان تفكير موسى متأثرا تأثيرا قويا كالذي حدثنا عنه الباحث اليهودي في شأن صياغة موسى للوصايا العشر بالمفهوم التوحيدي المصري الناطق في صلوات مصرية كهذه والإله واحد وحيد لا وجود لآخر معه))(١).

وفي الإصرار على تحريم صنع تماثيل منحوتة أو صور مما في السماء من فوق أو مما هو في الأرض من تحت أو في الماء، ورغم ذلك فقد صورت أصنام بأمر يهوه كما تقول التوراة صور الكروب في تابوت العهد وفي هيكل سليمان.

إن تعدد الآلهة لا سبيل إلى إنكاره في الديانة اليهودية وكان الآباء يدعون أبناءهم الأبكار بأسماء إيلية وفيما بعد يهوية، وأما الأصغر فقد

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤١٨.

كانت أسماؤهم بعلية فابن شاول اشبعل وابن يوناثام يربعل وابن داود بعلياداع، وفي أيام إيليا لم يجد من بني إسرائيل ممن لم يعبد البعل إلا /٧٠٠٠/ عبدوا إيل.

ويقول رينيه ديسو إن التوحيد الإسرائيلي ليس أصليا بل هو نهاية تطور طويل المدى ظهرت نتائجه بعد سبي بابل حيث فهم اليهود معنى التوحيد العام.

لكن نسيب الخازن عارضه معتبرا أن عاموس أو أشعيا وعوسيه ممهدون للتوحيد قبل السبي وعلى نفس النقطة يلح حتى أنه جرد إبراهيم وموسى وداود من التوحيد وجعله يبتدئ عند "يهود المذكورين.

شرح رأي ديسو:

١. يعتبر ديسو أن اليهود أخذوا عن بابل معنى التوحيد ونحن نقره على أخذه.
٢. يتضمن رأيه فكرة أن البابليين موحدين وهو على حق.
٣. نخالفه في اعتبار اليهود موحدين حتى بعد السبي إلى اليوم.
٤. مخالفة الخازن له غير صحيحة وسيظهر باطلها وباطل رأي حتى ولوبون.

لماذا لا نعتبر اليهود موحدين؟

نسلط ضوءا على عماد التوحيد وهي عالميته فالدين الموحد عدا جوهره الأخلاقي السامي يجب أن يكون في دعواه عالميا إنسانيا لا يفرق

بين الشعوب فهل تخلى اليهود مع عاموس وأشعيا وأرميا وغيرهم عن القبلية والإقليمية وفكرة الشعب المختار؟

قلنا الدين الموحد عالمي عدا عن أن جوهره الأخلاقي يجب أن يكون إنسانيا، ونعود إلى مسألة الجوهر بالذات فنقسمها إلى قسمين:

هناك أديان ليست عالمية في دعواها لكن جوهرها القومي من طراز أخلاقي رفيع وهناك أديان أو دين غير عالمي وجوهره عفن وهو اليهودي.

ومسألة الجوهر في التوراة ترتبط بقوة بقبلية الدين العبراني لأن القيم عدا ماديتها صارت محصورة بما يسمى الشعب المختار[1].

وهكذا صاغ اليهود يهوه فخلقوه على صورهم ومثالهم، هذا اليهودي عزرا أوجد صورة لإلهه على شكله ومثاله صورة متزمتة لإله فزعوم وهو مجرم سفاح غضوب ليس له من معالم الإنسانية ومزاياها شيء فكيف نوصله إلى مرتبة الألوهية، إن القيادة في البيت اليهودي للمرأة والنسب للمرأة ويحق لها أن تزني بكل الأمم لتنال نقودا ولهذا كان يهوه على مثال الرجل اليهودي وحق لليهودي أن يعبد كل إله إذا كان مصلحة اليهودية تأمر بذلك فعبدوا إيل وبعلا...

ولنكن منطقيين لو جمعنا أحقر الصفات وأخسها في شخص واحد لما جسد عشر أعشار الانحطاط المتجسد في يهوه فكيف نعلنه إلها؟

كيف نعتبره رديفا لإلهنا نحن؟

(١). عبد المسيح جورج: فكرنا الديني بين التعريف والتحريف ص ٦٢.

كيف يجوز القول يهوه هو الله؟

أفقدنا الحس السليم حتى نتحدث عن توحيد عبري[1].

يقول الأب حايك: من الخطأ علميا القول بوحدانية الله دخل تاريخ البشرية بواسطة الشعب الإسرائيلي..

اليوم الآخر

هذا الركن هام في كل دعوة أخلاقية دينية لأنه إذا ترك الإنسان دون حساب فيما بعد الموت لبغى وطغى لأنه يعلم أن الموت آت لا بد منه وعليه فالعقوبات الأرضية ليست كافية وحدها لجعل الإنسان نبيلا خلوقا.

فلننظر إلى الديانة اليهودية وما مدى إيمانها باليوم الآخر.

إن الديانة اليهودية تأثرت في هذا الركن في الديانة البابلية ورأت في واقعة الموت انتهاءا نهائيا للحياة وكان من الطبيعي أن ترى الأرض منشأ للحياة ومآلا نهائيا لتلك الحياة على النحو الذي نجده في مفهوم الجب والهاوية وشيول في هذه العقيدة اليهودية.

ويرى شفيق مقار أن اليهود حذفوا الإيمان بالآخرة ليخفوا منابع الديانة اليهودية التي أخذوها عن ديانات مصر فالديانة المصرية كانت تؤمن باليوم الآخر والحساب ولهذا حذف اليهود بعدهم الأخروي ويرى أن البعد الأخروي ركن هام لكل دعوة دينية أخلاقية ويرى في الديانة المصرية التوحيدية عند أخناتون ديانة هامة وعنها أخذ اليهود الكثير من

(١). المصدر السابق ص ٦٥

ديانتهم غير أهم أهملوا البعد الأخروي عن قصد لإعلائهم أنفسهم على أسيادهم المصريين فقد سرقوا من المناهل المصرية وطمسوا تلك المنابع لئلا تعرف أصولها.

ويقول شفيق مقار: ((ولنصغ إلى ما يسلم به الدعاة اليهود أنفيهم، لاشك أن فكرة اليهود عن العالم الآخر لم تتبلور إلا في عصور متأخرة أما تلك الأجزاء من العهد القديم الذي يفترض أنها ألفت قبل غيرها فإننا لا نجد فيها إلا إشارات متفرقة غامضة وشديدة الإبهام في أفضل حالاتها إلى ما قد يمكن القول بأنه اعتقاد ببقاء الفرد بعد موته، ولا يمكن الخروج منها إلا بأن كل ما يمكن أن يبقى من الكائن البشري بعد موته لا يزيد عن عظامه ودمه واسمه، وأن تلك البقايا يمكن أن تتواجد بعد الموت في مكان يدعى شيؤل وما من سبيل مهما تمادينا في التخيل أن ندعي أن شيؤل هذه تعني البقاء))[1].

إذن لم تؤمن اليهودية بعالم البقاء في الآخرة و لم تؤمن في الثواب والعقاب فيها وكل ما آمنت به أن الثواب والعقاب في هذا الحياة الدنيا ((أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على هذه الأرض التي أعطاك الله إياها)) والعقوبات الموجودة في التوراة كلها عقوبات مادية جسدية في هذه الحياة الدنيا فحكم الإعدام لأتفه الأسباب ينفذ وقد نفذ في رجل بائس قد احتطب في يوم سبت.

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٤١.

ويقيم مقار مقارنات بين الديانة اليهودية وبين الديانة المصرية ومن ثم يخرج ((المشكلة أن من ترجموا النص مسيحيون وأنهم ترجموه في وقت متأخر للغاية وتحت تأثير الخلفية التي تسربت إليها فكرة عالم الأخيلة هيدز من العالم الهلليني، ووجد المترجمون الورعون وقد شعروا أنه لا يليق ترك اليهودية هكذا بغير عالم آخر حتى على الطراز الأسطوري اليوناني.

بل ومن المرغوب والملائم ترجمة شيؤل مستقر حشد الموتى اليهودي بمكان تسكنه الأخيلة إلا أن الخطأ الأول الذي ترددوا فيه من غير قصد نتيجة لأن أحدا لم يكن قد وافقهم ربما على أن سفر الأمثال سلب من مصر وجعل تلك العملية التلفيقية حسنة النية تتخذ طابعا تضليليا غير لائق إطلاقا في شأن كتابات مقدمة كهذه))[1].

وهكذا بات نعيم اليهودي على هذه الأرض وجحيمه على هذه الأرض فهو في زعمه سيد هذه الأرض وقد خلقه يهوه ليكون سيد البشرية ناسيا أن جماعة الأحبار والكتبة هم الذين فصلوا هذا الدين كما شاءوا وصاغوا يهوه كما أرادوا.

---

(١). مقار شفيق: السحر في التوراة ص ٤٤٢.

الخاتمة

لاشك بعد هذه الجولة السريعة التي قدمتها في دراستي لليهود يمكننا أن نستخلص منها أن اليهودية ليست سماوية للأسباب التالية:

١. ليست الديانة اليهودية إنسانية فهي عصبية عنصرية مغلقة والديانات السماوية ديانات لكل الناس فالإله خالق البشر جميعا وهو يشملهم برعايته جميعا إله عالمي لا إله قبيلة خاصة أو طوطم خاص.

٢. ليست الديانة اليهودية توحيدية فهي قد اعتمدت في التوراة آلهة عدة منها إيل ويهوه وهي آلهة متناقضة في صفاتها.

٣. ليست الديانة اليهودية أخلاقية والديانات السماوية تعتمد دائما المبادئ الأخلاقية ولا تتهم أنبيائها بفساد الأخلاق كما فعلت التوراة مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

٤. لا تعتبر الديانة اليهودية نشأتها على يدي موسى بل هي ديانة متطورة أتمها الأنبياء المتأخرون، والديانات السماوية حينما يتنزل بها الوحي تكون كاملة وتنتهي بوفاة رسولها الذي يتنزل عليه الوحي.

والله من وراء القصد

عبد المجيد همو

المصادر

١.القرآن الكريم.

٢.الكتاب المقدس.

٣.إلياد مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية.

٤.مقار شفيق: الجنس في العهد القديم والتوراة.

٥.شلبي أحمد: اليهودية.

٦.الهندي العثماني رحمة الله بن خليل: إظهار الحق.

٧.دروزة محمد عزة: القرآن والمبشرون.

٨.سيغموند فرويد: موسى والتوحيد.

٩.حرب محمد فرزات: موجز تاريخ سورية القديم.

١٠. سوسة أحمد: العرب واليهود في التاريخ.

١١. الخازن نسيب وهبيه: أوغاريت.

١٢. ديب سهيل: التوراة تاريخها غايتها .

١٣. أسد أشقر: الخطوط الكبرى في تاريخ سورية.

١٤. شربنتية أصطفان: دليل إلى قراءة الكتاب المقدس.

١٥. مقار شفيق: السحر في التوراة.

١٦. محمد حميد فوزي: عالم الأديان.

١٧. جورج عبد المسيح: فكرنا الديني بين التعريف والتحريف.

كتب صدرت للمؤلف

الفكر اليهودي:

١. بلقيس بين الحقيقة والأسطورة.

٢. هاجر بين الحرية والعبودية.

٣. بابل ولصوص اليهود.

٤. التوراة تحريف وتزوير:

- التاريخ.
- حقيقة إسرائيل.

٥. القدس في التاريخ.

٦. أنبياء القرآن.

النوع الأدبي:

١.ديوان شعر البراعم

٢.تحقيق ديوان الإمام الشافعي رضي الله عنه

٣.تحقيق ديوان الإمام علي رضي الله عنه.

٤.تحقيق شرح الشيباني للمعلقات التسع.

النوع الفلسفي:

فصل المقال فيما بين الحقيقة والحكمة من الاتصال.

كتب تحت الطبع

١. ديوان عنترة دراسة.

٢.صرخات عربية.

٣.نفي الطغيان رد على محمد شحرور.

٤.إحياء علوم الدين للإمام الغزالي تحقيق ودراسة

٥.ديوان صرخة عربية.

٦.التوراة تحريف وتزوير:

التاريخ جزء ٣ وجزء ٤

الجغرافيا جزء ١ وجزء ٢

الدين جزء ١ وجزء ٢

٧. مصادر التوراة:

١. التوراة من كتبها

٢. الكنعانيون والتوراة المحرفة

٣. الديانة الفرعونية وأثرها في التوراة

٤. بابل وتحريف التوراة

٥. الأثر الفارسي في التوراة

٦. التوراة وفلسطين

٧. هل الديانة اليهودية سماوية

الفهرس العام